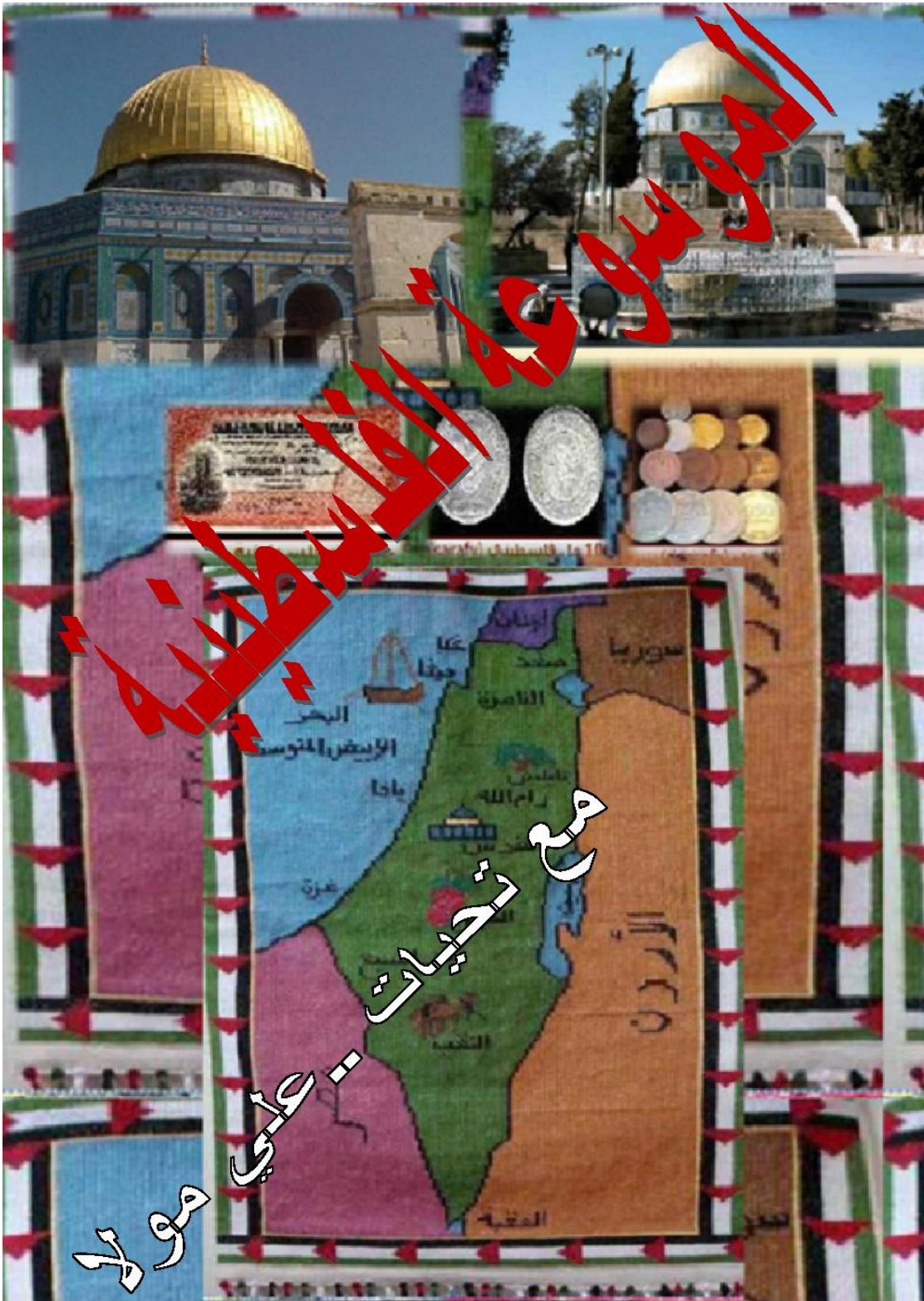
الموسوعة الفلسطينية
سوريا
الأردن
البحر الأبيض المتوسط
غزة
مع تحيات - علي مولا

المجلد الأول

الأجزاء : ب - ت - ث

باب الأسباط (مئذنة ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

بـاب الـواد (معـارك ـ) :

باب الواد ممر يربط السهل الساحلي * بجبال القدس * وتؤدي إليه وتتشعب منه طرق القدس والسرملة * وبيت جبرين * وعمواس * وعمرطوف * وغزة * ورام الله * . ويشتمل الموقع على وادي علي ومداخله ، وانحضاب المطلة عليه ، والقرى القريبة منه ، كعمواس * والنطرون وتل الجزر وأبو شوشة * وبيت نوبا * وبالو * .

ولباب الواد أهمية عسكرية عظيمة ،فهو مفتاح مدينة القدس * ، دارت فوق أرضه معارك كبرى على مر القرون . عنده صدّ صلاح الدين الأيوبي * غارات ريكاردوس قلب الأسد أواخر القرن الثاني عشر الميلادي . وفي موقعه وقف المقدسيون في وجه جيش إبراهيم باشا سنة ١٨٣٤ م ، ودارت فوق أرضه معارك دامية بين الجيش التركي والجيش الإنكليزي سنة ١٩١٧ .

وقد فطن العرب والصهيونيون إلى أهمية موقع باب الواد منذ اللحظات الأولى بعد صدور قرار التقسيم * عام ١٩٤٧ . وتهيأ الصهيونيون لغزوه من السهل الساحلي لضمان مرور قوافلهم إلى القدس . وعمل العرب بالمقابل على قطع الطريق عليهم ، فتنادوا لشراء السلاح ، وتجمع المقاتلون من قرى عمواس وبالو ودير أيوب * وبيت نوبا وبيت محسير * وساريس * وغيرها . وكان عددهم في البداية ٣٠٠ مناضل بينهم الشيخ هارون بن جازي أحد شيوخ قبيلة الحويطات في شرقي الأردن وقوة من رجاله المتطوعين ، وقد انضووا تحت لواء قوات جيش الجهاد المقدس * بقيادة عبد القادر الحسيني * .

كان أول عمل قامت به القوات العربية تخريب الطريق هناك ، وإتلاف الأنابيب التي تمد الأحياء اليهودية في القدس بمياه الشرب من رأس العين * . وأخذ العرب بعد ذلك يتصدّون للقوافل الصهيونية المحروسة التي تمر بباب الواد مرة في الأسبوع ، ويوقعون بها الخسائر الفادحة ، أو يمنعونها من متابعة طريقها .

ففي ١٩٤٨/٣/١ هاجم المناضلون العرب قافلة صهيونية ، وقتلوا أربعة من رجالها ، وجرحوا ثمانية ، وأعطبوا إحدى السيارات . وفي اليوم الثالث من آذار دمروا سيارتين صهيونيتين كبيرتين عند حوض الماء القريب من مقام الشيخ علي ، وقتلوا خمسة عشر صهيونياً . وفي اليوم التالي هاجموا قافلة صهيونية ، وقتلوا أربعة من رجالها ، وكادوا يقضون عليها لولا تدخل الجنود البريطانيين .

فجّر العرب الألغام تحت السيارات الصهيونية يومي ١٢ و١٣ آذار ، وقتلوا خمسة من ركابها . وفي ١٧ آذار اشتبكوا مع الصهيونيين عند بئر الحمار على الطريق المؤدية إلى باب الواد وأعطبوا مصفحة صهيونية . ثم هاجموا في ١٩ آذار قافلة صهيونية من تسع سيارات قادمة من عرطوف ، وقتلوا ١٥ رجلاً ، وأعطبوا مصفحة للحراسة في المقدمة ، وغنموا كمية من الأسلحة . وفي ٢٢ آذار أعدّ العرب كميناً لقافلة قادمة من تل أبيب * ، وأشعلوا النار في سيارتي مؤن وقتلوا سائقيها ، كما أعطبوا سيارة ثالثة وجرحوا السائق ومساعده .

ومع اشتداد الهجمات العربية في باب الواد شعر يهود القدس بوطأة الحصار وقلة المؤن ، فاستجدوا بسلطات الانتداب التي وضعت في عرطوف قوة بريطانية من نحو ٢٠٠ جندي لحماية القوافل الصهيونية . وقد استطاع الصهيونيون منذ ٢٣ آذار أن يسيّروا قوافلهم في ظل هذه الحماية البريطانية ، وأنجدوا صهيون القدس بحوالي ١,٥٠٠ مقاتل .

ظلت عمليات بث العرب الألغام مستمرة ليلاً . وقد قتل بنتيجتها في ٢٤ آذار ١٢ صهيونياً ، وجرح ٣٠ آخرون ، ودمرت ثلاث سيارات ، وأعطبت ثلاث .

حاولت القوات الصهيونية ليلة ٣١ آذار احتلال التلال المشرفة على باب الواد والتمركز فيها لحماية قافلة قادمة عن طريق وادي الصرار . لكن المناضلين من سكان القرى المجاورة تنادوا للقتال ، وانقضّوا على القافلة وحاصروها قرب مستعمرة خلدة ، واشتبكوا مع الصهيونيين في قتال عنيف دام طوال ذلك النهار وانجلى عن عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين . ورغم خسارة العرب الأكثر في الأرواح استطاعوا دحر الصهيونيين وإعادتهم إلى خلدة، وغنموا بعض سيارات القافلة .

اشتبك الفريقان يوم ١٩٤٨/٤/١ في القطاع الممتد بين ساريس وباب الواد ، ثم اشتبكا ثانية في اليوم التالي . وقد خسر الصهيونيون في هذين اليومين حوالي ٦٠ رجلاً بين قتيل وجريح . وكانت محاولاتهم السيطرة على باب الواد مستميتة في الأيام الثلاثة ليمنعوا وصول النجدات العربية إلى القسطل * من الغرب . وقد نجحوا في ذلك ، وسقطت القسطل بأيديهم صباح يوم ٣ نيسان . وكان ذلك كله جزءاً من عملية سموها « عملية نحشون » بهدف إلى السيطرة على باب الواد واحتلال القرى العربية على جانبي الطريق من باب الواد إلى القدس . وقد احتلوا دير ياسين* يوم ٩ نيسان ، وقرية ساريس يوم ١٦ نيسان . وبذل العرب الكثير في مقاومة القوات الصهيونية المتفوقة تنظيماً وتسليحاً وعدداً .

وفي ١٦ نيسان قدمت من تل أبيب قافلة مؤن مؤلفة من حوالي ٢٥٠ سيارة تحرسها أعداد كبيرة من الجنود والصفحات . وقد كمن لها المناضلون العرب من أبناء القرى المجاورة تساعدهم قوة من رجال الجهاد المقدس بقيادة أحمد زرونا ، وقوة من البدو بقيادة الشيخ هارون بن جازي . ولما وصلت القافلة إلى قرية دير أيوب على بعد كيلو متر واحد من باب الواد أطبق عليها المناضلون بعد أن سدّوا في وجهها الطريق بالحجارة وبثّوا الألغام . دامت المعركة من شروق الشمس حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . وسقط فيها عدد من القتلى في الجانبين . وانتهت المعركة لصالح العرب ، واستطاعوا تدمير وإعطاب زهاء ٦٠ سيارة ، واستولوا على ١٥ سيارة أخرى وكمية من الأسلحة .

لكن الصهيونيين تابعوا دفع القوافل على طريق باب الواد . وقد مرت قافلة لهم يوم ١٧ نيسان دون أن يستطيع العرب التعرض لها بشكل حاسم . وتمكنت قافلة أخرى من المرور إلى القدس يوم ٢٠ نيسان بعد ان كبّدها المناضلون خسائر فادحة . بعد ذلك نشط

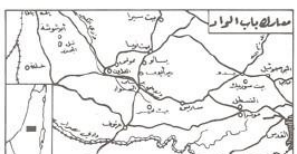

المناضلون لسد الطريق سداً محكماً بالحجارة الضخمة ، وحفروا في عرض الطريق ثلاثة خنادق يبعد الواحد عن الآخر ١٥٠ متراً وعرض الخندق متران ، وعمقه متر . وقد انتهوا من ذلك كله مساء يوم ٢٥ نيسان ورابطت هناك قوة من رجال الجهاد المقدس والمتطوعين البدو . وبذلك أغلقت طريق باب الواد إغلاقاً تاماً في وجه القوافل الصهيونية

في الوقت نفسه كانت طريق الخليل ـ القدس ، وطريق رام الله ـ القدس ، وطريق أريحا ـ القدس مغلقة في وجه الصهيونيين . لذلك أصبحت مدينة القدس محصورة من جهاتها الأربع ، فاستولى اليأس على صهيوني القدس ، وأخذت القيادة الصهيونية تعدّ لضربة قوية تفتح بها طريق باب الواد . وبالمقابل أخذت قيادة الجهاد المقدس تستعد لمجابهة الأعداء وصدّ ضربتهم ، فدفعت قوات جديدة إلى الميدان ، وانضمت إليها في الخامس من أيار فصائل من جيش الإنقاذ * بقيادة المقدم محمد مهدي صالح العاني (عراقي)

مسلحة بمدفعين من عيار ٦ بوصات . وانضمت إلى هذه القوات جموع كثيرة من أبناء قرى المنطقة ، وتولى القيادة المقدم العاني .

بدأت المعركة المتوقّعة يوم ١٠ أيار عندما قذف الصهيونيون الى أرض المعركة قوات كبيرة جاءت من القدس والمستعمرات اليهودية في المنطقة ، وتركزت في الأحراج الممتدة بين ساريس وباب الواد ، وحاولت رفع السدود وفتح الطريق . وقد تصدّى لها المقاتلون العرب ، وقصفتها مدفعية جيش الإنقاذ بشدة . وحتى يخفف الصهيونيون الضغط على قواتهم ناموا بهجوم مخادع على المرتفعات الواقعة بين بيت سوريك وبدّو والتي صمونيل في قضاء القدس ، لكنهم ردوا على أعقابهم .

أخذ الموقف يميل إلى صالح العرب الذين خاضوا المعارك بمعنويات عالية . وقد أذاعت قيادة جيش الإنقاذ في ١٣ أيار بياناً جاء فيه أن معركة باب الواد ما برحت مستمرة ، وأن الحرب تدور في صالح العرب ، وأن مراكز الدفاع الصهيونية قد انهارت ، وأن الصهيونيين خسروا حتى ذلك الوقت ٣٠٠ قتيل بينهم قائد المعركة ، وأن العرب غنموا ١٥٠ بندقية ، ست مصفحات وعدداً من الأجهزة اللاسلكية ، وأنهم دمّروا وأعطبوا عدداً آخر من المصفحات والسيارات .

انتهت المعركة في ١٣ أيار بفشل ذريع مني به الصهيونيون وتراجعت قواتهم عن باب الواد . وظلّ رجال الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ يتمسكون بموقع باب الواد حتى ١٩٤٨/٥/١٥ حين تسلم الموقع الجيش الأردني .

المرجع :

– عارف العارف : النكبة ، بيروت ١٩٥٦ .

البابية :

مذهب ديني ظهر في إيران في أواسط القرن التاسع عشر (١٨٤٣ م) . وصاحبه الميرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٨١٩ ـ ١٨٥٠م) الذي ادّعى أنه « الباب » إلى الإمام المنتظر المنور ، فسمي بذلك .

أودع الباب تعاليمه الدينية كتاب « البيان » ، وزعم أنه أنزل عليه ، وظل يدعو الناس إلى مذهبه سراً وعلانية . وأثارت دعوته ضجة ، حتى أصدر العلماء فتوى بارتداده عن الإسلام وبقتله . وقد سجن ، ثم أعدم عام ١٨٥٠ ، ولاحقت السلطات الإيرانية أتباعه ، وقد نقل البابيون بقايا الباب خلسة إلى حيفا* ، وله فيها ضريح اصبح مزاراً لهم .

يذكر بعض الباحثين أن للباب علاقة بالأجانب ، وأن البابية حركة أوجدها واحتضنها الاستعمار ، وان هناك علاقات مع اليهودية العالمية التي عرفت بدعمها للبابية ورعايتها لها وللبهائية * في فلسطين واعتناق أعداد من اليهود لها تحت ستار ما نادت به البابية من وحدة الأديان والإنسانية . وفي المقابل ينكر البهائيون المعاصرون أية علاقة خاصة مع الصهيونية او مع اليهودية .

المراجع :

– محمد الشيبي : الفرق الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٢ .
– حسن عبد الحميد : حقيقة البابية والبهائية ، بيروت ١٩٧٥ .
– صبر حنابت : العقائد ، القاهرة ١٩٢٨ .
– دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ، القاهرة ١٩٣٧ .
— Goldziher, J.: Le Dogme et la loi de L'Islam, (Traduction de F. Arin), Paris 1920.

بـات يـام (مـدينة ـ) :

مدينة صهيونية تقع على شاطىء البحر المتوسط جنوبي مدينة يافا* مباشرة . ويعني اسمها « بنت البحر » . وقد أسسها خليط من الصهيونيين يضم ٢٤ عائلة متدينة سنة ١٩٢٦ . وقد أطلقت هذه الجماعة على حيّها الذي أنشأته أنذاك اسم بايت قاغان ، أي « البيت والحديقة » . وقد هجرته إلى تل أبيب* في ثورة ١٩٢٩* هرباً من الهجمات العربية ، ثم عادت إليه عام ١٩٣١ . وشهد الحيّ زيادة كبيرة في عدد سكانه عام ١٩٣٣ إثر قدوم عدد من المهاجرين الصهيونيين من ألمانيا . ثم أصبح للحي مجلس محلي عام ١٩٣٧ ، واستبدل باسمه الأول اسم بات يام .

كان عدد سكان المدينة عام ١٩٤٨ نحو ١٠٠٠ نسمة . وقد أخذ هذا العدد ينمو لتدفق الصهيونيين من مصر وسورية الى المدينة حتى وصل إلى ١٠٫٠٠٠ نسمة في نهاية عام ١٩٥٣ ، وإلى ١٥٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٦ ، فتحولت مدينةً عام ١٩٥٨ . وقد ظل سكانها في تزايد مطرد نتيجة ورود أعداد كبيرة من الصهيونيين الشرقيين إليها ، وتضاعف عددهم فبلغ ٦٢٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٧ ، و ١٠٦٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ (ز : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

ساعد الموقع الجغرافي لبات يام على نموها ، فهي تقع غربي

حولون* ، وشمالي ريشون لتسيون* ، وترتبط بكل من يافا وحولون بطريق رئيسة معبدة متفرعة عن الطريق الرئيسة الساحلية . وتعد هي وحولون مدناً أو ضواحي تابعة لتل أبيب أقيمت على أراضي يافا العربية لتخفيف الضغط السكاني عن تل أبيب . وهي وما يجاورها من مدن تجمع حضري كبير .

تقوم بات يام على منبسط من الأرض يراوح ارتفاعه بين ١٠٠ و ٢٠٠م عن سطح البحر . وتحيط بها كثبان الشاطىء الرملية من الجنوب ومن الشرق . وقد زرعت الكثبان بين بات يام وحولون بالأشجار المثمرة وبالأشجار الحرجية لتثبيت الرمال .

يوضح مخطط المدينة أن شكلها العام يشبه المثلث المتساوي الساقين ، قاعدته في الجنوب ، ورأسه في الشمال . ويتجه النمو العمراني للمدينة حالياً نحو الجنوب . أما من جهة الشمال فقد التحمت بمدينة يافا ، وأصبحت مبانيها تشرف على شاطىء البحر مباشرة عبر شارع محاذيه ، وتمتد على جانبيه الأبنية العالية والفنادق والمقاهي والاستراحات وملاعب الأطفال .

تعد بات يام مدينة صناعية وسياحية في الدرجة الأولى . فقد غدت من أبرز المنتجعات السياحية ، يؤمها آلاف السائحين من الداخل والخارج لتمضية إجازاتهم عند شاطئها الذي يبلغ طوله ٣,٢ كم منها ثلاثة أرباع الكيلومتر مخصصة للسباحة .

يعتمد اقتصاد المدينة على الصناعة * إلى جانب السياحة * ، ففيها أكثر من ١٧٠ مصنعاً ومعملاً صغيراً . ومن أبرز صناعاتها صناعة المواد الغذائية * كالخبز والنحوم المعلبة والأسماك * والجعة والمرطبات والبيرة وغيرها . وفيها مصانع للزجاج والخراطيم والريش والقطن والجلود والمعادن ومواد البناء والمواد الكيميائية وبعض المنتجات الخفيفة . وفيها مطبعة كبيرة ، بالإضافة إلى الفنادق ودور السينما والمشاتي .

والوظيفة التجارية للمدينة وظيفة ثانوية ، فهي تكاد تخلو من الأسواق التجارية ما عدا الحوانيت التجارية المتفرقة في الأحياء المختلفة . ويعتمد السكان على أسواق تل أبيب . أما الوظيفة الزراعية فهي هامشية بسبب ضيق المساحات الزراعية حول المدينة ، إلا ما يتركز في الجهة الشرقية قرب حولون .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لرقعة يافا ـ تل أبيب .
ـ المكتب المركزي الإحصائي (لإسرائيل) : نشرة المواقع والسكان رقم (٤) ، بالعبرية ، القدس ١٩٧٤ .

باتـريا (الباخرة ـ) :

على الرغم مما قدمته سلطات الانتداب البريطاني إلى الصهيونيين من مساعدة في الهجرة إلى فلسطين (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) فقد كان هؤلاء غير قانعين بذلك كله ، فدفعوا بآلاف اليهود إلى الهجرة بصورة غير قانونية ، لوضع السلطات البريطانية أمام الأمر الواقع وإجبارها على قبول المهاجرين .

وقد حدث أن منعت السلطات البريطانية دخول عدد من هؤلاء اليهود المهربين ، وأعدت الباخرة باتريا *Patria* لترحيل ١,٧٧٠ يهودياً من ميناء حيفا* . لكن انفجاراً وقع في الباخرة في ١٩٤٠/١١/٢٥ فغرقت ، ونجم عن ذلك موت حوالي ٢٥٧ يهودياً .

بادرت الوكالة اليهودية* عقب الحادث إلى إثارة الرأي العام ضد بريطانيا ، فزعمت أن الانفجار هو انتحار احتجاجا على منع اليهود من دخول فلسطين . وقد نجحت الوكالة المذكورة فيما رمت إليه ، إذ سمحت الحكومة البريطانية للناجين من ركاب الباخرة بدخول فلسطين .

وقد كشفت التحقيقات الرسمية أن الحادث لم يكن انتحاراً أو احتجاجاً كما زعمت الوكالة ، بل كان مدبّرا من قبل عناصر صهيونية . فقد قررت الهاغاناه* تخريب آلات الباخرة لمنعها من مغادرة الميناء ، غير أن خطأ حسابيا وقع فيه المسؤولون عن العملية شاؤول مشروف ، فخرقت المتفجرات السفينة وآلاتها . ولم يكن لركابها علم بما نوت الهاغاناه فعله . وقد سخر رئيس الجالية اليهودية الألمانية من "قصة الانتحار المزعومة" فجرت في عام ١٩٤٢ محاولة لاغتياله . وقد اعترف صحفي إسرائيلي عام ١٩٥٠ أن الهاغاناه هي التي دبّرت الحادث .

المراجع :

— Edwin Samuel: Immigration to Israel, its Causes and Consequences, **Herd Yearbook, 11, 1959.**
— Robert John and Sani Hadawi: **The Palestine Diary,** Palestine Research Center, Beirut, 1970.
ـ جاك ديرجي وهيزي كارمل : تاريخ إسرائيل السري (١٩١٧ ـ ١٩٧٧) (مترجم) ، دمشق ١٩٧٩ .

الباذان (وادي ـ) : رَ : الفارعة (وادي ـ)

بارغـواي : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

بارليف (خط ــ) : ر : التحصينات (خطوط ـ الإسرائيلية)

باريس (مؤتمر ــ) : ر: التونيق (لجنة ـ الدولية)

بازل (برنامج ــ) :

انعقد المؤتمر الصهيوني * الأول في شهر آب سنة ١٨٩٧ في مدينة بازل السويسرية التي استضافت فيما بعد العديد من المؤتمرات الصهيونية . وكان إقرار صيغة رسمية للأهداف الصهيونية واحدا من أهم بنود جدول أعمال المؤتمر الأول . وقد عرف هذا البند فيما بعد باسم برنامج بازل . وهو البرنامج الذي أضحى دعامة رئيسية من دعائم الفكر السياسي للحركة الصهيونية الناشئة وخططها العملية . وكان المسؤول الأول عن وضع ذلك البرنامج هو تيودور هرتزل .

تكوّن البرنامج من جملة انتتاحية تحدد بإيجاز هدف الحركة الصهيونية قائلة :" تهدف الصهيونية إلى إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام " .

ووضع البرنامج نصب الأعين ، للوصول إلى هذا الهدف ، الأساليب الأربعة التالية :

١) تنمية الوسائل المناسبة لتوطين المزارعين والعمال والحرفيين اليهود في فلسطين .

٢) تنظيم اليهودية العالمية وتوحيدها عن طريق هيئات محلية وعالمية مناسبة ، ووفقا للقوانين السائدة في البلدان المختلفة .

٣) تقوية العاطفة القومية اليهودية والوعي القومي وتنظيمها .

٤) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على مواقفة الحكومات على هدف الصهيونية إذا لزم ذلك . ولا يتم هذا إلاّ بالمفاوضات السياسية في الدول الكبرى للاعتراف بالحقوق القانونية لليهود ، ولتحقيق استيطان يهودي واسع .

وقد ثار جدل كثير حول لفظة "وطن " ، ومنشئها ، واستعمالها ، ومعناها . وجرى اعتماد هذه اللفظة مرة أخرى بعد هذا التاريخ بعشرين عاما في وعد بلفور * الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩١٧ . ولا ريب أن لفظة "وطن " مبهمة وعرضة لمختلف التفسيرات . وقد أثمرت الحركة الصهيونية بعد مؤتمرها الأول هذا استعمال صيغة أقوى وذات مدلول سياسي أعمق هي " وطن قومي يهودي" ، لكن هذه الصيغة أيضاً لم تكن واضحة كل الوضوح . وقد امتنعت الدبلوماسية الصهيونية ، في الواقع ، عن إعلان التزامها العلني حول هذه النقطة لمدة طويلة من الزمن ، ولا سيما زمن الحكم العثماني .

وعلى الرغم من إبهام هذه اللفظة وغموضها كانت النية من ورائها واضحة . فقد صرح هرتزل نفسه خلال النقاش الذي دار في المؤتمر حول اعتماد كلمة "وطن " أو " دولة " في البرنامج ، صرح قائلا : " لا داعي للقلق حول صياغة هذه الكلمة ، فالناس سوف يفهمون ، على أي حال ، أنها تعني دولة " .

والكلمات التي دونها هرتزل في مفكرته خلال انعقاد المؤتمر ذات دلالة أبلغ وأعمق . فقد كتب "لو كان عليّ أن اختصر برنامج بازل بجملة واحدة ـ وهي جملة لا اجرؤ أن أعلنها للملأ ـ لقلت: في بازل أوجدت الدولة اليهودية " .

وقد أشار العديد من المؤرخين إلى أن اختيار كلمة "وطن " بدل كلمة " دولة " يعود إلى عاملين رئيسين ، الأول هو الرغبة في بعث الطمأنينة في الباب العالي والرأي العام العثماني من أجل الحصول على براءة من السلطان عبد الحميد * للاستيطان في فلسطين بمساعدة بعض الدول الأوربية الكبرى التي يتم تجنيدها لهذا الهدف . والعامل الثاني هو الرغبة في تخفيف حدة اعتراضات الطبقة الارستقراطية المالية ، وطبقة المثقفين الليبراليين والطبقات الوسطى اليهودية في أوربا الغربية . فقد كان أفراد هذه الطبقات يعدّون أنفسهم مواطنين في دولهم الأوربية يتمتعون بالمساواة السياسية والاقتصادية ، ويربطون بين نمو الحركة الصهيونية ونمو الشعور المعادي للسامية . لذلك أبدى هؤلاء نوعا من العداوة لتيودور هرتزل، لاعتقادهم أن الحجة المطروحة لقيام دولة يهودية من شأنها أن تقوض مكاسب الاندماج التي حصلوا عليها في مجتمعاتهم ودولهم الأوربية بعد طول انتظار . وأن مثل هذه الحجة الصهيونية قد تصبح سلاحاً إضافياً في أيدي القوى المعادية للسامية .

وهكذا جاء برنامج بازل مؤيداً لجهود هرتزل الدبلوماسية والسياسية وواضعا نصب عينيه العاملين المذكورين . فقد بدأ هرتزل ، من قبل ، إجراء مفاوضات مع الباب العالي للحصول على براءة استيطان . وزار الأستانة لهذا الغرض ، لكنه لم يفلح . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرضى برنامج بازل الآراء المتضاربة لليهود الشرقيين والغربيين . وهذا أحد أسباب أهميته . وقد صيغ هذه الصياغة الدقيقة ليبال رضاء أكبر عدد من الفئات اليهودية الفعالة ، وليخفف ما وسعه من الاحتكاك والصدام على مختلف الجبهات اليهودية . فقد ارتاح اليهود الغربيون إلى الفقرات التي تشير إلى ضرورة الاستعانة بالدبلوماسية الدولية ، وإلى ضرورة العمل بمقتضى القوانين السارية في البلدان المختلفة . أما اليهود الشرقيون فقد رافقتهم الفقرات التي تعد بالرجوع إلى فلسطين ، وأرضت مطامعهم الدينية والطوبارية والقومية .

ونجد الموازنة بين صياغة برنامج بازل وما كتب تيودور

هرتزل في كتابه " دولة اليهود " الذي صدر قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بعام واحد . فالكتاب يشدد على لفظة " دولة " في حين يعتمد البرنامج لفظة " وطن ".والكتاب يعطي فلسطين والأرجنتين أهمية متساوية من حيث كونها مركزين محتملين للاستيطان اليهودي ، في حين يعرب البرنامج بوضوح عن تفضيل فلسطين.محققاً مطالب اليهود البولونيين والروس .

ولا بد من الإشارة إلى أن كتاب هرتزل وبرنامج بازل ، كليهما ، يشددان على أهمية الاستيطان في الخطط الصهيونية ، وهو أمر يماشي التوسع الاستعماري في ذلك الوقت . وقد تم إبراز المشروع الصهيوني على أنه يمثل موقعاً متقدماً من مواقع الامبريالية الأوربية في العالم الأسيوي ـ الإفريقي . يضاف إلى ذلك كله أن اغفال البرنامج أي ذكر لعرب فلسطين يشير بوضوح إلى الطابع العدواني الاستعماري الذي اصطبغت به الحركة الصهيونية منذ أيامها الأولى .

وقد أرسى المؤتمر الصهيوني الأول الدعائم التنظيمية المتعلقة بتنفيذ ذلك المشروع . فجعل المؤتمر أعلى هيئة للحركة الصهيونية ، وجرى تأسيس لجنة عمل من ثلاثة وعشرين عضواً لمعالجة الأمور الهامة التي تطرأ في الأوقات التي لا يكون فيها المؤتمر منعقداً . لكن السلطة الفعلية كانت ، في الواقع ، بيد هيئة تنفيذية صغرى اسمها "لجنة الأعمال الداخلية " مؤلفة من خمسة أشخاص ، ورئيسها تيودور هرتزل ، ونائبه ماكس نورداو .

وتأسس عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في العام اللاحق بنك اسمه " بنك الاستيطان اليهودي " ليكون الأداة المالية المساعدة على تنفيذ برنامج بازل .

المراجع :

— Theodor Herzl: **The Jewish State**, London 1964.
— Theodor Herzl: **The Complete Diaries**, Vol. I. New York 1960.

بازل (مؤتمر ـ) :

ر : المؤتمر الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني

باسفيلد (كتاب ـ الأبيض ١٩٣٠) :

اشتهر اللورد باسفيلد (أو كما كان معروفاً بين الأوساط العالمية باسم سدني وب) وزوجه بتحمسها النظري والعملي للاشتراكية بصبغتها الأولى المفتحة نحو الأممية وحقوق الشعوب الأخرى . وسبق له أن أبدى آراء صريحة بتأييد الإفريقيين ضد المستوطنين البيض . وعندما تسنم رمزي ماكدونالد رئاسة الحكومة العمالية في بريطانيا عام ١٩٢٩ أسندت إلى باسفيلد وزارة المستعمرات . ولم يكن حزب العمال البريطاني قد وقع بعد في أسر الأجنحة الصهيونية . وقد امتاز باسفيلد من زملائه الوزراء بهذه الاهتمامات الإنسانية العامة ، ووجد في المطامع الصهيونية اعتداء صريحاً على حقوق شعب آخر ، لذلك اعتبره الصهيونيون أقسى عدو واجهوه في الحكومات البريطانية .

بعد أشهر قليلة من استلام باسفيلد الوزارة صدر تقريران مهمان للجنتين بعثت بهما بريطانيا للتحقيق في الأوضاع في فلسطين هما لجنة السير والتر شو التي ناشدت الحكومة ضرورة وضع سياسة واضحة تجاه حقوق العرب ومشاكل الهجرة والأرض (ر : شو ، لجنة) ، ولجنة السير جون هوب سمبسون التي دعت إلى تقييد الهجرة اليهودية ، بحيث لا تؤثر على حياة الفلسطينيين واقتصادهم (ر: سمبسون ، تقرير) . وبادر اللورد باسفيلد على أثر ذلك إلى إصدار الكتاب الأبيض الذي عرف باسمه في ١٩٣٠/١٠/٢١ ، وتبنى الأفكار الرئيسة لتقريري شو وسمبسون . وتضمن هذا الكتاب الأبيض في الجانب النظري أجزاء مسهبة من صك الانتداب * والكتاب الأبيض لتشرشل فيما يتعلق بالالتزامات المتقابلة نحو طرفي النزاع (ر : تشرشل ، كتاب ـ الأبيض) ، وخلص من ذلك إلى أن هذه الالتزامات متساوية في وزنها ، وليست " غير قابلة للترفيق " . أما في النواحي العملية من السياسة فتقرر إعطاء "قسط من الحكم الذاتي " على غرار ما اقترحه تشرشل عام ١٩٢٢ في إقامة مجلس تشريعي من ٢٢ عضواً منهم ١٢ عضواً منتخباً مع حق الاستئناف لعصبة الأمم * .

واقترح باسفيلد اتباع تنمية زراعية منظمة . ولهذا الغرض دعا إلى تسجيل ملكية الأراضي . واعتبر التقرير نظام المشاع العربي التقليدي عقبة في وجه التقدم ، وارتأى أنه ينبغي في كافة الأحوال تقييد نقل الملكية بمخططات الإدارة وموافقتها . وقرر الكتاب فيما يتعلق بالهجرة ربطها بأحوال العمل في فلسطين ، على أن يؤخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين عن العمل في البلاد عند إعداد جداول الهاجرين ، وأن تكون القدرة الاستيعابية هي الدليل في تحديد مقدار الهجرة .

وانتقد الكتاب الأبيض الأساليب السياسية التي اتبعتها الوكالة اليهودية * واتحاد النقابات (الهستدروت) * في تعاملها ومواقفها ومقاطعتها للعمال العرب . ولفت النظر إلى أن الوكالة اليهودية ليست جزءاً من السلطة وإن كان من الضروري التعاون معها .

وما أن نشر الكتاب الأبيض حتى هبت زوبعة الدعاية الصهيونية وضغط المنظمة الصهيونية * في معركة ضارية ضد اللورد باسفيلد

والحكومة . ولم تبدأ هذه الزوبعة إلاّ عندما اضطر رئيس الوزراء إلى التراجع وإصدار كتاب خاص (كتاب ماكدونالد الأسود) * يخفف فيه من غلواء كتاب باسفيلد الأبيض .

المراجع :

—John, R. and Hadawi, S.: **Palestine Diary,** Beirut 1970.
—**Publication Information,** Paper No, 26, 1946.
—**Statement of Policy,** cmd 3692, 1930.

باسل الكبيسي (١٩٣٤ - ١٩٧٣) :

مناضل عربي من العراق ، ولد في مدينة بغداد ، وتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بالجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٥١ . أصدرت إدارة الجامعة قراراً بفصله مع مجموعة من زملائه إثر المظاهرات الطلابية التي شهدتها بيروت استنكاراً لإعلان قيام الحلف التركي ـ الباكستاني في شباط سنة ١٩٥٤ .

سافر باسل الكبيسي إلى الولايات المتحدة الامريكية حيث أتم دراسته الجامعية ، ونال شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية سنة ١٩٥٥ . ثم عاد إلى العراق وساهم في تأسيس فرع حركة القوميين العرب هناك .

عيّن مديراً لمكتب وزير الخارجية العراقية سنة ١٩٥٦ فاستطاع التعرف عن كثب على تحركات النظام العراقي السياسية ، وتمكن من رشح هوية ناسفة في إحدى السيارات المرافقة للوفد الأردني إلى مفاوضات إعلان الاتحاد الهاشمي (رَ : الاتحاد العربي) في آذار سنة ١٩٥٨ . وقد انفجرت في قصر الزهور ببغداد ، واختفل على أثرها للتحقيق معه .

أفرج عن باسل الكبيسي إثر ثورة تموز ١٩٥٨ ، ثم أعيد اعتقاله في عهد عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٩ مع عدد من أعضاء حركة القوميين العرب لمدة تزيد على العام .

تولى رئاسة تحرير مجلة الوحدة الناطقة بلسان الحركة في العراق سنة ١٩٦٣ . وفي العام التالي غادر العراق إلى الولايات المتحدة للحصول على شهادة الدكتوراه .

وعند تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * في خريف سنة ١٩٦٧ كان باسل الكبيسي من أبرز العناصر في أوساط المثقفين والطلاب العرب والأجانب في الولايات المتحدة وكندا لدعم الثورة الفلسطينية .

عين أستاذاً في جامعة كالغاري بكندا سنة ١٩٦٩ . وبقي في منصبه حتى سنة ١٩٧٢ حين عاد إلى الوطن ، وتسول عدة مسؤوليات هامة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

استشهد على أيدي عملاء الاستخبارات الصهيونية في أحد شوارع باريس يوم ١٩٧٣/٤/٦ ، حيث كان يتابع مهماته النضالية .

باسيليوس الأصغر (١٢١ - ١٩٠م) :

ولد في بيسان * أو سكيثو بوليس سابقاً (نسبة للسكيثيين الذين هاجروا سورية حوالي عام ٦٢٧ ق.م.) .

كانت هذه الشخصية ، في العهد الأنطونيني ، كغيرها من الأفلاطونيين الذين ميّزوا بين الله والمادة مستعملين الأرواح الشريرة كوسيط بين الخالق والمخلوق ، وقد استطاع أن يقنع بتعاليمه هذه الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي أعجب بها ، وأن يسخّر لها تشابيهه الرمزية ومقتطفاته الشعرية مقتفياً أثر مؤسس الأفلاطونية الحديثة ابن أفامية نومينيوس السذي عرف آنذاك بفيلسوف مصر اليوناني .

المراجع :

— Meiser, K.: **Studien zu Basileus dem Jungeren,** München, 1909.
— Rowe, A.: **Topography and History of Beth-Shan.** Philadelphia 1930.

الباعوني :

ر : إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني
رَ : أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني
رَ : يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني

الباقاني : رَ : أحمد بن محمد الباقاني

الباكستان :

منذ بداية الصراع العربي ـ الإسرائيلي وباكستان ، حكومة وشعباً ، تقف مع القضايا المصيرية للأمة العربية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين . ويسجل للباكستان موقفها المتميز من تقسيم فلسطين * ، فقد كان لمندوبها في الأمم المتحدة آنذاك ، محمد ظفر الله خان ، موقف واضح إلى جانب العرب ، وبذل أقصى الجهد في

الدفاع عن وجهة نظرهم إزاء مشروع التقسيم ، وتقدم بمشاريع مضادة للتقسيم ، الواحد تلو الآخر . ولما أخفق العرب ، رأقرّت الجمعية العامة قرار التقسيم كانت الباكستان بين الدول الثلاث عشرة التي صوتت ضده بعنف وحزم .

ورغم أن باكستان دخلت في منتصف الخمسينات في الأحلاف العسكرية الغربية (السنتو والسيتو) ، ورغم أن حكومتها اتخذت موقفاً سلبياً خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ (رَ : حرب ١٩٥٦) فقد بقي شعبها على ولائه للعرب وقضيتهم ، وشهدت العاصمة الباكستانية مظاهرات صاخبة دعوية نددت بسياسة فيروز خان ، وزير الخارجية آنذاك ، وألّت إلى إسقاط حكومته .

ومع بداية الستينات تحسنت العلاقات الباكستانية ـ العربية أكثر فأكثر ، واتخذت الباكستان مواقف واضحة التأييد للقضية الفلسطينية . فقد أكد وزير خارجية الباكستان آنذاك ، ذو الفقار علي بوتو ، تأييد بلاده لقضية شعب فلسطين ، ونددّ بإنشاء (إسرائيل) ، ووصفه بأنه انتهاك لبنودء القانون الدولي . كما أعلن بوتو تأييد بلاده لمنظمة التحرير الفلسطينية * في كفاحها العادل لاستعادة حقوق شعب فلسطين .

وعلى الصعيد الشعبي أعلن رئيس المجلس الاستشاري للمنظمة الباكستانية للشؤون الدولية في ندوة فلسطين العالمية " أن الحل الوحيد لمشكلة فلسطين هو في إزالة إسرائيل وإعادة الفلسطينيين إلى وطنهم " .

وقد أكدت حكومة الباكستان ، في مناسبات كثيرة ، أنها تعتبر قضية فلسطين « قضية إسلامية » ، وعليه فإن باكستان ، حكومة وشعباً ، ملتزمة بدعم الشعب الفلسطيني . ومن هذا المنطلق دعت الباكستان إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي في كراتشي لبحث القضية الفلسطينية . وشُهد هذا المؤتمر الإسلامي في ١٩٦٧/٤/٢٤ ، وحضره عن الجانب الفلسطيني الحاج محمد أمين الحسيني * رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين * . وفي المؤتمر ألقى شريف الدين بيرزادا ، وزير الخارجية الباكستاني آنذاك ، خطاباً أكّد فيه أن باكستان ستواصل تأييدها لقضية عرب فلسطين ، وقال إن (إسرائيل) قامت بطرد سكان فلسطين ، وإن بلاده تتعاطف مع هذا الشعب .

حين قامت (إسرائيل) بعدوانها عام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) بعث الرئيس الباكستاني محمد أيوب خان برسائل إلى رؤساء دول المواجهة مع (إسرائيل) قال فيها : " أرجو أن تشعروا بملء الحرية في أن تطلبوا منا ما تحتاجون إليه من مساعدات مادية ، وسنذل كل ما في وسعنا لتقديمها " . كما تظاهر مئات الألوف من الباكستانيين تأييداً للعرب ، وقاموا بحرق مكتب المعلومات الأمريكي ، ومكتب المجلس الثقافي البريطاني في راولبندي . أما وزير الخارجية الباكستاني فقد أكّد رفض بلاده لسياسة الاحتلال الإسرائيلية ، وطالب الدول الغربية والولايات المتحدة بكبح جماح (إسرائيل) . ودعا مندوب باكستان في جلسات مجلس الأمن والمناقشات الدائرة فيه حول الحرب في الشرق الأوسط في ١٩٦٧/٦/١٤ ، دعا إلى شجب العدوان الإسرائيلي ، وطالب بالانسحاب الفوري غير المشروط للقوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة . وتساءل : " هل هناك من يشكّ بعد الحوادث الأخيرة في أهداف إسرائيل التوسعية ؟ " . وقد عارضت الباكستان قيام (إسرائيل) بضم القدس إليها ، وتقدمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بمشروع قرار يقضي باعتبار ضم (إسرائيل) لمدينة القدس عملاً غير شرعي ، ويطالب (إسرائيل) بالتخلي عنه . وقد أيدت المشروع جميع الدول ، ولم تعارضه إلا (إسرائيل) .

وعلى الصعيد الشعبي تشكلت لجان باكستانية لمقاطعة البضائع الأمريكية والإنكليزية . وطالب آلاف الباكستانيون بالسماح لهم بالتطوع في الحرب إلى جانب العرب . لكن سرعة انتهاء الحرب لم تتح الفرصة لهؤلاء لنيل شرف النضال على أرض فلسطين . وقد استنكرت حكومة الباكستان ووسائل الإعلام فيها تزويد أمريكا (لإسرائيل) بالأسلحة . وقال رئيس جمعية علماء الإسلام في الباكستان في برقية أرسلها إلى الرئيس جمال عبد الناصر : " إن جمعية علماء الإسلام وقادتها يعلنون تأييدهم لقضيتكم العادلة ضد الصهيونيين ، فلا تخشوا شيئاً ، وضعوا ثقتكم في الله وجميع المسلمين " . وحين أحرق الصهيونيون المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩ (رَ : المسجد الأقصى ، إحراقه والحفريات فيه) ثارت جماهير الشعب الباكستاني ، وطالبت حكومة الباكستان بتشكيل لجنة للتحقيق في الحادث الإجرامي .

اشتركت الباكستان في مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الذي عقد في جدة بين ٢٣ و ١٩٧٠/٣/٢٥ ، وأكد مندوبها في المؤتمر تأييد بلاده لكفاح الفدائيين ضد الصهيونية . وفي ١٩٧٠/١١/٢٩ عقد في كراتشي مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية ، ودعا المؤتمر إلى انسحاب (إسرائيل) من الأراضي العربية ، ونددّ بالحركة الصهيونية ، بصفتها حركة عنصرية توسعية ، وأعلن تأييده الطلق للمقاومة الفلسطينية .

برز تأييد الباكستان للعرب في حرب ١٩٧٣ * ، فقد أعلن رئيس وزرائها آنذاك ، ذو الفقار علي بوتو ، مساندة بلاده الكاملة لسورية ومصر وللمقاومة الفلسطينية في الحرب ضد (إسرائيل) . كما دعا السفراء العرب في إسلام أباد لنقل مشاعر " فرحه العظيم وسعادته " لأخبار الانتصارات العربية ضد العدو الصهيوني . أما

وشارك عدد من الطيارين الباكستانيين في المعارك الجوية في حرب ١٩٧٣ على الجبهة السورية .

طالب علي بوتو برغام (إسرائيل) على الانسحاب الكامل من الأراضي العربية . وقال في خطاب له بمناسبة عيد الفطر : " إننا نحيّي الجنود العرب الذين حاربوا ببسالة وشجاعة ضد عدوّ لا حدود لشراسته ولأطماعه التوسعية . إن المجد الخالد يكسبه أولئك الذين خاضوا المعركة ضد الظلم والاغتصاب والتوسع . وقد قدّم الصراع الأخير في الشرق الأوسط برهاناً آخر على أن الروح البشرية ليست أقل أهمية من المهارة التكنولوجية في تقرير مصير الشعوب . إن الأمة المصممة على استعادة شرفها وسمح العار عن جبينها قادرة على تحقيق الأعاجيب التي كانت تبدو مستحيلة " . كما بعث الرئيس بوتو برسائل تأييد ونضامن إلى كل من الرئيسين أنور السادات وحافظ الأسد بمناسبة الانتصارات التي تحققت في حرب ١٩٧٣ .

وقد عقد في شباط ١٩٧٤ في مدينة لاهور الباكستانية مؤتمر القمة الإسلامي الثاني (رَ : منظمة المؤتمر الإسلامي) . وقد قرر المؤتمر اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع . وكان الباكستان بين الدول التي تقدمت بمشاريع القرارات التاريخية الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة حول حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير . وفيما يختص باتفاقيتي كامب ديفيد * ، أبدت حكومة الباكستان أسفها لعدم وجود إشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية في الاتفاقيتين ، وقالت : " إن تجاهل منظمة التحرير يعتبر أمراً خطيراً ، لأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين " . كما عبّرت حكومة باكستان عن أسفها لأن اتفاقيتي كامب ديفيد لم تتطرقا إلى إمكانية قيام دولة فلسطينية . وعلى الصعيد الشعبي رفضت جماهير الباكستان اتفاقيتي كامب ديفيد صراحة وأعلنت تأييدها للمقاومة الفلسطينية .

المراجع :

ـ اليوميات الفلسطينية ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ، مركز الأبحاث ، بيروت .

ـ شهادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ وزارة الإعلام الأردنية : مواقف دول العالم من حرب رمضان ١٩٧٣ ، عمان ١٩٧٣ .

— **International Documents on Palestine 1970,** Institute for Palestine Studies, Beirut 1973.

بال (برنامج ـ) : رَ : بازل (برنامج ـ)

بال (مؤتمر ـ) :
رَ : المؤتمر الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني

البالماخ :

البالماخ كلمة منحوتة من لفظتين عبريتين هما "بلوغوت ماهانزو" ومعناها « جند العاصفة » .

والبالماخ تنظيم عسكري أنشىء في ١٩٤١/٥/١٩ حين كانت قوات المحور تقترب من فلسطين . وتكون التنظيم من وحدات خفيفة تلقّى أفرادها تدريبات شاقة ، خاصة في أعمال النسف والتخريب والهجوم الصاعق .

شارك هذا التنظيم في الحملة البريطانية ضد حكومة فيشي في سورية ولبنان . وكان قائد البالماخ اسحق سادي وهو ضابط سابق في

افراد من البالماخ يجاهون سنة ١٩٤٨

الجيش القيصري السروسي وواحد من مؤسسي العسكرية الإسرائيلية . وارتبط التنظيم منذ البداية بحركة مزارع الكيبوتز * وحزب الماباي * .

تكونت قوات البالماخ ، نتيجة لعلاقتها المتينة بحكومة الانتداب البريطاني على فلسطين ، من التزود بأحدث الأسلحة ، وتأمين سرعة الحركة ، كما أولتها قيادة الهاغاناه * أهمية خاصة ، فكانت قوات البالماخ قوة الهاغاناه الضاربة ، نظرا لقدرتها على تنفيذ المهام الهجومية العدوانية البحتة ، ولتمتع أفرادها بدرجة كبيرة من التثقيف السياسي الذي يركّز على مبادىء الصهيونية العالمية .

كانت لقوات البالماخ قيادة خاصة مفرزة من الوكالة اليهودية* ، ومتمركزة في تل أبيب * ، كما كان لها قيادات ميدانية في معظم المدن الفلسطينية الرئيسة ، مثل القدس * وحيفا * .

لعبت المرأة دورا في تنفيذ عمليات البالماخ العسكرية . وقد تجاوز عدد النساء في بعض سرايا البالماخ ٣٠٪ من مجموع أفرادها . وقد اشتركت بعضهن في عدد من العمليات العسكرية ، مثل نسف خطوط السكك الحديدية ، بالإضافة إلى أعمالهن الأساسية في الحراسة والإسعافات الأولية وتشغيل أجهزة اللاسلكي والإذاعة السرية .

وكان للبالماخ مخابرات جيدة التنظيم ، استطاعت بواسطتها التسلل إلى بعض معسكرات أسرى الحرب الألمانية لأغراض التجسس . كما تخفّى كثيرون منهم بالزي العربي واستقروا في سورية ولبنان للهدف ذاته .

عملت قوات البالماخ ضد الانتداب إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولعبت دورا رئيسا في حرب ١٩٤٨ * في الجليل الأعلى وسيناء والنقب * والقدس ، وشكل ضباط البالماخ ، مثل ييغال آلون ويسحق رابين وحاييم بارليف ودافيد اليعازر وغيرهم ، نواة قيادة الجيش الإسرائيلي . وعند قيام (إسرائيل) أصدرت حكومة (إسرائيل) قرارا بحل البالماخ ودمجها في الجيش .

المرجع :

ـ عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

البالي : ر : حسين بن محمد البالي

باندونغ (مؤتمر ـ) : ر : المؤتمر الآسيوي ـ الإفريقي

بتاح تكفا (مدينة ـ) :

مدينة صهيونية من مدن قضاء يافا تقع على بعد ١١ كم شمالي شرق يافا * على مفترق الطرق التي تربط شمال فلسطين بجنوبها . وهي عقدة مواصلات هامة تتصل بالمدن الرئيسة الشمالية ، مثل كفار سابا * وهرتسليا * ونتانيا * والخضيرة وحيفا * ، وبالمدن الرئيسة الجنوبية مثل اللد * والرملة * ورحيوت * وبير السبع * . وتتصل بمستعمرات سهل مرج ابن عامر * والجليل عن طريق الخضيرة . وهي جزء من التجمع الحضري ليافا ـ تل أبيب ، ذلك التجمع الذي يضم بالإضافة إلى هذه المدينة مدنا أخرى تحيط بيافا ـ تل أبيب مثل بني براق * ورجفعتيم * وحولون * .

تعد بتاح تكفا من بين أقدم المستعمرات الصهيونية الزراعية التي أنشئت في فلسطين ، فقد تأسست بتاريخ ١٨٧٨/٨/٨ على يد صهيونيين متدينين قدموا إلى فلسطين للإقامة فيها متذرعين بحجة إنشاء مستعمرات زراعية لهم . وقد أخفق هؤلاء المهاجرون في مشروعاتهم الزراعية ، لكن المساعدات المالية التي قدمها روتشيلد شجعتهم على مواصلة الاستيطان ، وجعلتهم يعيدون تأسيس المستعمرة في عام ١٨٨٢ بمساعدة مهاجرين جدد من الصهيونيين الذين قدموا إلى فلسطين في الموجة الأولى من موجات الهجرة الصهيونية (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

أخذت الأوضاع الاقتصادية في المستعمرة تتحسن تدريجيا ، باستثمار أموال جديدة في زراعة العنب * والحمضيات * حوفا . وقد ساعدت الظروف الطبيعية على نجاح الزراعة ، فالمناخ معتدل ، والأمطار كافية ، ومياه الآبار متوافرة جيدة ، والتربة خصبة تصلح للزراعة ، وبخاصة زراعة الحمضيات . وقد تحسنت أوضاع المستعمرة منذ أوائل الانتداب ، فزاد عدد سكانها تدريجياً ، وامتد عمران المستعمرات . وما إن جاء عام ١٩٣٧ حتى تحولت المستعمرة إلى مدينة أخذت منذئذ تنمو بمعدلات سريعة وهي الآن مركز قضاء في المقاطعة الوسطى (رَ : الإدارة) .

ارتفع عدد سكان بتاح تكفا الذين يمثلون خليطاً من المهاجرين الصهيونيين من قرابة ٢٢,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٤٦,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٦ وإلى ٥٤,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦١ وإلى ٨٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ . ووصل عددهم إلى ١٠٠,٠٠٠ عام ١٩٧٣ . وتشتمل المدينة على عدد من المستشفيات والمدارس الزراعية والمدينة . وفيها محطة لمراقبة الإشعاعات النووية . كما أنها مجمع صناعي هام (رَ : الصناعة) . وتشتهر بتاح تكفا بمنتجاتها الزراعية المتنوعة ولا سيما الحمضيات ، وتمارس المدينة الزراعة الكثيفة المختلطة منذ أوائل هذا القرن (رَ : الزراعة) .

المراجع :

ـ آيير صابغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ، ١٩٦٨ .

ـ مكتب الإحصاء الإسرائيلي : نشرة إحصائية عن سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

البتراء : رَ : الأنباط

البتـرول : رَ : النفـط

بتّـير :

قرية تقع على بعد ٨ كم إلى الجنوب الغربي من القدس * ، في منتصف المسافة بين قريتي الوالجة * والقبو * .

وربما كان اسمها مأخوذاً من كلمة « بت تيرا *Bet Tira* » ، وتعني مكان الطير . أو من كلمة « بت تيارا *Bet Tyara* » وتعني المعشبة أو مرعى الخشم . وقد يكون من « بتر » السامية ، بمعنى : قطع أو فصل .

عرف الرومان قرية بتّير باسم « بثير *Bethther* » ، وكانت قلعة حصينة أوقع الرومان بالقرب منها هزيمة بجماعات اليهود لما تمردت على الحكم الروماني عام ١٣٥م .

وقرية بتّير موقع أثري يحتوي على بقايا أبنية وبرك ومغاور وأرضيات مرصوفة بالفسيفساء . وتحيط بها عدة خرائب منها : خربة اليهودية ، وخربة حمدان وخربة أبو شوشة . وقد اكتشف سيجورن *Sejourne* في بتّير عام ١٩٠٩ قطعة هامة من الفسيفساء عليها كتابة يونانية .

احتل الصهيونيون عام النكبة قسماً من القرية فيه المدرسة ومحطة السكك الحديدية ، وأنشأوا عام ١٩٥٠ مستوطنة بالقرب من بتّير سموها « هيفوبيتار *Hevo Bitar* » .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
— Albright , W. F: **The Archaeology of Palestine,** Pengsin 1960.
— Sejourne, P.M.: Une Mosaïque , anciennes Inscripitions Greques Trouvées à Battir, Jerusalem, **CAIBL,** 1909.
— Vincent, H.: **Une Mosaïque Byzantine à Battir,** RB 1910.

البحـر الميّـت :

من أهم المظاهر الجغرافية الطبيعية ، لا في فلسطين وحدها بل في العالم أجمع ، لما يتمتع به حوضه من وضع بنائي ـ جيولوجي معين ، ولما تتحلى به مياهه من صفات خاصة بندر وجودها في مكان آخر مشابه . وتتجلى الأهمية الاقتصادية لمياه البحر الميت في الثروات الطبيعية التي تحتويها ، والتي بدئ باستغلالها منذ عام ١٩٣٠ .

أ ـ لمحة تاريخية : معرفة الإنسان بالبحر الميت قديمة قدم الحضارات التي قامت في المنطقة . فقد ورد ذكر البحر الميت ، ورسمت له خرائط ، في كتب عن فلسطين وبلاد الشام الأخرى في العهود اليونانية ـ الهيلينستية والرومانية والبيزنطية ، ثم في العهد العربي الإسلامي والقرون الوسطى حتى الوقت الحاضر .

١) في العصور القديمة : ورد ذكر البحر الميت في الكتاب المقدس تحت اسم بحر الملح (تكوين ١٤ : ٣) وورد ذكره سرّة أخرى تحت اسم عمق السديم ، أو بحر العربة . ولقد عرف الأنباط* ، أبناء الموجة العربية الرابعة التي وصلت مشارف شبه الجزيرة العربية في حدود سنة ٥٠٠ ق.م. ، عرفوا طريقة استخراج البيتومين والقطران من مياه البحر الميّت . إذ تذكر المصادر أنهم كانوا يصدّرون هاتين المادتين إلى مصر حيث استخدمتا في التحنيط . ويذكر أرسطو البحر الميّت في مؤلفه « الميتورولوجياء. وكذلك يذكره سترابون في « الجغرافيا » . وسترابون هو أول من وصف البحر الميّت بشيء من التوسع ، وتحدث عن عمق مياهه الكبير وكثافتها العالية ، إلى جانب وصفه قطع الإسفلت الطافية على سطحها ، وخامات البحر وينابيعه الحارة . أما بليني الذي نقل عن سترابون الكثير من المعلومات فهو أول من سمّى البحر الميّت باسمه اللاتيني القديم « بحيرة الإسفلت » . وظهرت تسمية البحر الميت لأول مرة في كتابات يوسانياس ثم غالينوس . ومنها انتقلت إلى المؤلفات الأوربية المتأخرة والحالية . وتعدّ خريطة كنيسة مأدبا المرسومة بالفسيفساء في القرن السادس الميلادي من أهم الخرائط القديمة للبحر الميت ، وتشتهر منطقة البحر الميت بالمخطوطات القديمة (رَ : البحر الميت ، مخطوطات) . وقد عثر على هذه المخطوطات داخل جرار فخارية في كهوف قمران التي تقع جنوب مدينة أريحا* .

٢) في العصور الوسطى : لم تستفض الكتابة عن البحر الميّت إلاّ في العصور الوسطى مع ظهور المؤلفات التاريخية والجغرافية في العهد العربي حيث يندر ألاّ نجد ذكراً للبحر الميت في معظم المؤلفات المذكورة . وقد ورد ذكره تحت أسماء كثيرة، منها « بحيرة زُغَر » نسبة إلى واحة نخيل جنوبية ، ويظن أن مدينة زغر القديمة التي لها علاقة بالنبي لوط كانت تقع في غور الصافي بالقرب من مصب وادي الحسا . وقد وصف ابن حوقل بلدة زغر بقوله إنها مدينة حارّة متصلة

بالبادية صالحة الخيرات وبه النخيل الكثير ولها تجارة واسعة . وذكر الإصطخري أن بها تمراً غـذياً حسن المنظر وله لـون الزعفران . وذكرها المقدسي بقوله إن أهلها سودان غلاظ ، ومياهها حميم ، إلاّ أنها البصرة الصغرى والمتجر المربح . وقد تدهورت قرية زغر وزالت لفتك الحميات بأهلها ولتحول طرق التجارة عنها .

وسمي هـذا البحـر ، بحيـرة سـدوم وعمـورة ، و « البحيرة المقلوبة » و « البحيرة المنتنة » كما يدعوه المسعودي وياقوت الحموي . أما تسمية « بحر لوط » فواردة في مؤلف ناصر خسرو . ويذكره ابن الفقيه والإدريسي . وهكذا لا تخرج المعارف عن البحر الميت في العصور الوسطى عن نطاق ما قدمه العرب بالدرجة الأولى إلى جانب اسم « بحر الشيطان » الذي أطلقه عليه بعض الحجاج الأوربيين إلى الأراضي المقدسة . ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤلفات العـربية القديمة والوسيطة تحتوي على خرائط فيها البحر الميت .

٣) في العصر الحديث : كان الألماني زيتسن أول من قام بمحاولة لدراسة البحر الميّت في مطلع القرن التاسع عشر عندما قام برحلة في سواحل البحر ووصف التضاريس المحيطة به ، ودرس مناخه عام ١٨٠٦ ـ ١٨٠٧م . وتلاه الإيرلندي كوستيجان الذي أبحر في مياهه سنة ١٨٣٧م . لكن بداية الدراسات الحديثة تأخرت حتى سنة ١٨٥٢ م عندما قامت بعثة تابعة للبحرية الأمريكية بـدراسة البحـر الميّت ونهر الأردن * ، وظهرت نتائجها في تقرير أصدره رئيسها لينش في السنة نفسها . وبعد ذلك تتالت الأبحاث وكثرت الدراسات على يد علماء أجانب . ولا تزال تتتابع إلى اليوم .

ب ـ جغرافية البحر الميّت : البحر الميّت ، وهو الاسم المتعارف عليه حالياً ، كتلة مائية تحتل أخفض حوض في غور الانهدام السوري ـ الإفريقي الممتد مسافة تتجاوز ٦,٠٠٠ كـم بين مرعش في تركيا شمالاً ونهر الزامبيزي في إفريقيـة جنوباً . ويسـاير غور الانهدام هذا سواحل بلاد الشام على بعد يراوح بين ٤٠ و ٩٠ كم في سورية ولبنان وفلسطين . ويأخذ غور الانهدام شكلاً نموذجياً في غور (وادي) الأردن ، ولا سيما في حوض البحر الميت ذاتـه حيث يظهر المفهوم الجغرافي والجيولوجي للأغوار الانهدامية بأجلى صوره . ويقع هذا البحر في العروض فـوق المداريـة شبه الصحـراوية حتى الصحراوية . وهو يؤلف فاصلاً مائياً بين فلسطين في الغرب والأردن في الشرق . ويمتد متطاولاً من الشـمال نحـو الجنـوب مسـافة قـدرها ٧٨ كم ، بعرض متوسط يبلغ ١٤ كم . وينخفض هـذا الرقم إلى ٤ كم فقط لتقدّم بروز أرضي نحو الغرب يعرف باللسان . ويكاد بـروز اللسان يفصـل الربع الجنوبي عن بـاقي كتلة البحر الميت في الشمال لولا هذا المضيق المائي الضحل الذي يصـل بين مـا يدعى بحيرة اللسان وبقية البحر الميت شمالها . وتشير الدراسات إلى أن بحيرة اللسان التي تشكلت بفعل هزّة أرضية ، والتي لا يتجاوز عمق مياهها ٤,٥م ، لم تكن منفصلة بجسم البحـر الميت ، ولم تتحد مياههما إلا قبل نحو ١,٥٠٠ سنة . وتقدّر مساحة البحر الميت بنحو ٩٤٠ كم٢ ، أما حوضه فتبلغ مساحته نحو ٤٠,٠٠٠ كم٢ .

ينحصر حوض البحر الميت بين كتلتين من الجبـال هـما جبال القدس * والخليل * من الغرب ، وجبال البلقاء والكرك (مؤاب) والطفيلة من الشرق . وترتفع قمم الجبال فوق مستوى سطح البحر الميت بـين ٢٥٠,١م و ١,٣٠٠م . وتتميـز صفـحـات الجبـال الفلسطينية المشرفة على البحر الميت بالانحدارات الشديدة والنسفوح الفاسية التي تنقلب جروفاً قائمة في معـظم الأجزاء . وتنحـدر هذه الجروف بعنف شديد على سواحل البحر دون أن تترك بين أقدامها وخط مياه البحر شريطاً سهلياً ساحلياً عريضـاً إلا فيما نـدر . وعند

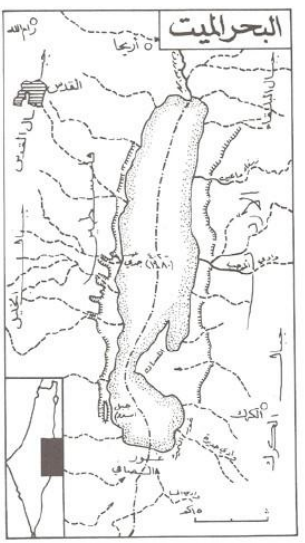

محارج الأودية السيلية من الجبال تتقدم دلالتها من المجروفات والأنقاض السيلية في البحر على شكل رؤوس صغيرة بارزة . وباقتراب الماء من نهايات البحر في الشمال والجنوب تتعد الجبال الفلسطينية عن البحر لتفسح المجال لمساحات سهلية منبسطة صغيرة يحتل جبل أسدوم في أقصى الجنوب مساحة متطاولة منبسطة مسايرة لساحل البحر الميت الجنوبي الغربي . أما في الشرق فلا يختلف الوضع اختلافاً جوهرياً إلاّ من حيث كون الانحدارات أضعف ، والجروف القائمة أقل عدداً وارتفاعاً وأقصر امتداداً . ومما يميز الأطراف الشرقية من الغربية بروز وتقدم شبه جزيرة اللسان السهلية ، وتقدم لسان سهلي أصغر هو غور النميرة الواقع جنوبي شبه جزيرة اللسان عند مصب وادي حنيرة .

وينتهي البحر الميت في الشمال بأراضي غور الأردن * في منطقة سهل أريحا ، وفي الجنوب بسبخة واسعة منبسطة تمتد ٢٠ كم وتحتل معظم سهل غور الصافي ، نهاية وادي عربة * .

جـ ـ جيولوجية وأصل البحر الميّت : نشأ غور الانهدام السوري ـ الإفريقي نتيجة الحركات البنائية (التكتونية) التي أصابت القشرة الأرضية فكسرتها على امتداد خطوط صدوع أو انكسارات سببت خفض أجزاء منها طغت عليها مياه البحار (البحر الأحمر وخليج عدن وخليج العقبة وخليج السويس) ، أو امتلأت بالبحيرات الطويلة في إفريقيا الشرقية وبلاد الشام . والبحر الميت واحد من الكتل الثلاثة الكبرى التي ملأت أخفض حوض لا في غور الأردن وحده ، بل في العالم كله ، إذ يقع مستوى سطح مياهه على ارتفاع ـ ٤٠٢ م دون مستوى سطح البحر .

وقد أخذ الغور شكله الحالي في البليوسين المتأخر وحتى مطلع البلايستوسين . وتدل الدراسات الجيولوجية على أن حوض البحر الميّت محصور بين محورين للانكسارات يتفقان مع السواحل الشرقية والغربية . ونظهر على مرآة الصدع (الانكسار) الغربية منها طبقات من صخور الكلس والدولوميت القاسية العائدة للعصر السينوماني والتوروني ، في حين تظهر على المرآة الشرقية مجموعة صخور أقدم عمراً ترجع إلى الكريتاسي الأدنى والفترة الباليوزويكية ـ الپيرزويكية وتتألف في معظمها من الحجر الرملي النوبي المتعدد الألوان . أما في الطبقات العليا فتظهر صخور السينوماني والتوروني أيضاً . وتظهر في أقصى الجنوب الشرقي صخور عائدة إلى ما قبل الكامبري تغلب عليها الكونغلوميرا (ر : الصخور) .

وعند أقدام هذه الطبقات الصخرية ، وعلى امتداد الساحلين توضعت رسوبيات رباعية طرية مؤلفة من مواد لحقية ـ نفضية وبحيرية الأصل . كما تظهر ترسبات ثلاثية العمر (نيوجينية) قارية الأصل شرقي شبه جزيرة اللسان وفي جسم جبل أسدوم المؤلف في معظمه من صخور ملحية . ويكثر ظهور الملح في الترسبات الساحلية الحديثة ، كما في سبخة الجنوب (غور الصافي) ، وأطراف البحر الذي تراجع فانحسر عنها الماء المالح .

وهناك آراء مختلفة حول الأصل الابهدامي لغور الأردن والبحر كنظرية غريغوري المعروفة بنظرية الشد ، ونظرية الضغط لوياز ، ونظرية الانزياح لكوبلي .

د ـ التغذية المائية للبحر الميّت : يقدّر حجم مياه البحر الميت بـ ١٤٢ كم٣ تقريباً . وهو حجم يتبدل تبعاً لكمية المياه التي تغذيه من حوض التصريف والأنهار والأودية السيلية والينابيع ، وتبعاً لمقادير المياه المتبخرة من سطحه والخاضعة للأوضاع المناخية المتميزة بالحرارة المرتفعة والأمطار القليلة . فالحرارة السنوية المتوسطة لمنطقة البحر الميت ٢٥° ، والحرارة القصوى المتوسطة لفصل الصيف ٤٠° ويحوم متوسط الأمطار السنوية حول ٥٠ مم . وهذا كله يشير إلى نسبة تبخر عالية تُدْخِل المنطقة في نطاق المناخ الجاف وشبه الجاف (رَ : المناخ) .

يشكل نهر الأردن بصبيبه المتبدل والبالغ متوسطه السنوي العام ١,٢ × ٩١٠ م٣ أهم مصدر لمياه البحر الميت . ويساعده عدد من السيول والمياه القادمة من الجبال ، ولا سيما من الجبال الشرقية . أهم الأودية السيلية الشرقية وادي الموجب الذي تصل الغزارة السنوية المتوسطة لصبيبه ٣٠ × ٦١٠ م٣ منها ١٨ × ٦١٠ م٣ من ينابيع الوادي المذكور وحوض تصريفه وشبكة أوديته العابرة فيه . تليه في الأهمية منطقة تغذية وادي زرقاء ماعين ذات الغزارة السنوية المتوسطة البالغة ٤ × ٦١٠ م٣ . وهناك عدد آخر من الأودية السيلية يأتي وادي الحسا في طليعتها . هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الينابيع الباردة والحارة المرتصفة على امتداد خط الصدع (الانكسار) الشرقي ، كعياه ينابيع زرقاء ماعين الحارة .

وتغذية البحر الميت بالمياه من الغرب ضعيفة نسبياً ، ولا تتعدّى مياه سيول الأودية الهابطة من جبال القدس والخليل وامتداداتها جنوباً ، إلى جانب عدد من العيون والينابيع النابثقة من أقدام الجدار الصدعي للجبال المذكورة (رَ : عيون الماء) .

إن المتوسط السنوي للمياه التي يتلقاها البحر الميت يقدّر بـ ١,٦ × ٩١٠ م٣ . وهي كمية معرضة للتبدل والزيادة والنقصان حسب الأوضاع المناخية وتبدّلها السنوي ، أو على مرّ السنين . وهذا يفسر التغيرات الطارئة على مستوى مياه البحر الميت وعمق المياه .

هـ ـ الخصائص الفيزيائية لمياه البحر الميّت : لمياه البحر الميّت خصائص فيزيائية يندر وجودها في بحر داخلي آخر له هذا الاتساع والحجم . فالوزن النوعي للمياه يبلغ على السطح متوسطاً عاماً قدره

١,٢٠٦ غ / سم٣ ، ينخفض في فصل الصيف إلى ١,٢٠١ غ / سم٣ ، ويرتفع في الشتاء إلى ١,٢١٠ غ / سم٣ . وتزداد هذه القيمة في بحيرة اللسان الجنوبية حتى تصل إلى ١,٢٣٠١ غ / سم٣ . وباستطاعة المرء أن يستلقي على المياه الكثيف ويطالع أثناء ذلك كتاباً أو صحيفة يومية . وهذا يعطي البحر الميت ميزة سياحية ترويحية غير معروفة في مكان آخر (ر : السياحة) . والكثافة في الأعماق شبه ثابتة لا تتأثر بالتغيرات الفصلية ، لكنها تتزايد من ١,٢٢٦ غ / سم٣ على عمق ٥٠م إلى ١,٢٣٤ غ / سم٣ على عمق ١٠٠م فما فوق .

إلى جانب هذه الكثافات العالية المتزايدة باتجاه قاع البحر الميت تتميز المياه بحرارات عالية أيضاً ، إذ تراوح حرارة الطبقة المائية العليا من السطح وحتى عمق ٤٠م بين ٣٥° في الصيف ، و٢١° في الشتاء . أما أدنى درجة حرارة معروفة فلم تنخفض دون ١٠° ، وأقصى درجة لم تتجاوز ٣٨° . وتصبح الحرارات ثابتة وتتزايد بانتظام في الأعماق التي تزيد على ٤٠ ـ ٥٠م ، وترتفع من ١٩° إلى ٢٢° باتجاه أعمق المياه .

وتتأثر حركة مياه البحر الميت بالرياح ويفروق كثافة المياه فتتولد بفعل الرياح أمواج صغيرة أو متوسطة الارتفاع ، وقد تعلو إلى متر واحد وعشرة سنتمترات حين تشتد حركة الرياح . لكن هذا قليل ، فالأمواج شبه معدومة معظم أيام السنة عدا فصل الشتاء حين تنشط الرياح بين الحين والآخر .

أما التيارات المائية فهي مسيرة بعامل فروق الكثافة المائية في الدرجة الأولى . وتبيّن أن حوض بحيرة اللسان الصغيرة التي تحتل نحو ربع مساحة البحر الميت ، و٠,٥٪ فقط من حجم الكتلة الإجمالية لمياه البحر ، تبدو أن هذا الحوض دوراً هاماً في نشأة التيارات وحركة الماء الأفقية . فمن حوض بحيرة اللسان القليلة العمق العالية الكثافة يخرج تيار من المياه الدافئة المرتفعة الكثافة مباشرة للشواطىء الشرقية عن طريق مضيق اللسان إلى الشواطىء الأردنية في البحر الميت حيث الأعماق الأكبر والكثافة المائية الأقل . وتتم عملية تعويض فاقد بحيرة اللسان بتيار قادم من الشمال مباشرة للشواطىء الغربية للبحر الميت يدخل عن طريق المضيق المذكور إلى البحيرة . ومياه هذا التيار أقل دفئاً وأدنى كثافة من مياه التيار المقابل المتجه شمالاً . وهكذا فإن دورة التيارات المائية في البحر الميت متكاملة ، حركتها عكس حركة عقارب الساعة .

وإلى جانب فرق الكثافة بين مياه الحوض الرئيس للبحر الميت ومياه بحيرة اللسان تساهم الرياح على امتداد المحور الشمالي الجنوبي للبحر في تنشيط حركة المياه الأفقية هذه .

د ـ الخصائص الكيميائية والترسبات : الملوحة الزائدة هي الميزة الكيميائية الرئيسة التي تميز مياه البحر الميت من أي بحيرة داخلية في العالم ، إذ يبلغ مقدار الملوحة المتوسطة ٣١,٥٪ تنخفض باتجاه المياه السطحية إلى ٢٨٪ ، وتزداد باتجاه الأعماق إلى ٣٢,٧٪ . ويعطي الجدول التالي التركيب الكيميائي ومقادير العناصر البارزة المؤلفة لهذه النسبة العالية جداً من الملوحة :

Cl^-	الكلور	٢٠٨	مغ / ل
Mg^{++}	المغنزيوم	٤٢	مغ / ل
Na^+	الصوديوم	٣٥	مغ / ل
Ca^{++}	الكالسيوم	١٥,٨	مغ / ل
K^+	البوتاسيوم	٧,٠٦	مغ / ل
Br^-	البروم	٠,٩٢	مغ / ل

ويبلغ مقدار هذه العناصر المذكورة في الجدول مع بعض العناصر الأقل أهمية نحو ٣١٥ مغ / ل . وتنخفض هذه المقادير في المياه السطحية فلا تجاوز ٢٧٣,٣٥٠ مغ / ل .

ومياه البحر الميت فقيرة بالأوكسجين ، إذ لا يجاوز الأوكسجين الحرّ في المياه السطحية ١,٦ مل/ل . ولم يسجل له أي وجود أو أثر في الأعماق الزائدة على ٥٠م .

وهكذا فإن مياه البحر الميت منقع ملحي كبير يسود فيه الكلور والمغنزيوم والصوديوم والكالسيوم . والمركبات الملحية الناتجة عن هذه العناصر تقدم الثروات الطبيعية التي يكتنزها هذا البحر من كلورات المغنزيوم وكلور الصوديوم والبوتاس وغيرها من الأملاح المنحلة في الماء .

أما بالنسبة إلى المواد المترسبة في أرض البحر الميت فالغالب عليها الوحل الذي تراوح سماكته بين ١٠ ـ ٥٠ سم في الحوض الواقع شمال اللسان . ويتركز هذا الوحل على قاعدة من الملح الصخري ذات سماكة غير معروفة . وتتألف ترسبات حوض بحيرة اللسان من تعاقب سافات من الملح والطين والمارن . وتتناوب ترسبات المارن والوحول الأخرى عامة مع الأراغونيت والكالسيت والجبس . وتختلط هذه الترسبات بما يصل البحر الميت من الحصباء الدقيقة التي تحملها مياه نهر الأردن والسيول الأخرى من أراضي حوض البحر . وكذلك تختلط بالرمال وفتات البازالت والصوان وغيرها من مواد الصخور المحيطة بالبحر .

ويفسر العلماء ظاهرة التلوّن بالبياض التي يتقلب فيها اللون الأزرق للمياه إلى لون 'بيض حليبي مرّة كل ٤ ـ ٥ سنوات ، وفي أشدّ أوقات السنة حرارة ، يفسرونها بالترسيب المفاجىء لمافتق الأراغونيت والجص .

وما تقدم من الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه البحر الميت هو السبب في انعدام الحياة في مياه البحر المذكور . وان وجدت بعض الأسماك * الصغيرة القليلة العدد إلى جانب بعض أنواع الطحالب فعند مصبّات ينابيع المياه العذبة على الشواطىء فقط حيث تتعدل خصائص المياه .

ز ـ تغيرات مستوى البحر الميت : إن جميع الأرقام السابقة عن مياه البحر الميت من حيث الحجم والمساحة والنسب المئوية وغيرها عرضة للتبدل لعدم ثبات مستوى مياه البحر . وقد لاحظ الدارسون هذه الحقيقة من خلال الشواهد الجيومورفولوجية ، ولا سيما المصاطب الساحلية للبحر والمصاطب النهرية لنهر الأردن ، وكذلك من خلال القياسات المختلفة لمستوى مياه البحر ، وتذكر الأبحاث المختلفة أن المستوى كان في أوائل القرن العشرين على انخفاض ٣٩٢ م تحت مستوى سطح البحر، وأن أكبر عمق لمياه البحر الميّت هو ٤٠١ م ، أي أن قاعه يقع على عمق ٧٩٣ م تحت سطح البحر المتوسط ، وأن كمية المياه قد تزايدت عمّا كانت عليه قبل ربع قرن ، وأن مستوى المياه قد ارتفع مترين . وقد رأى ماستزمان عام ١٩٠١ أن التبدلات السنوية القصوى (الدنيا والعليا) تبلغ ٩٦,٣٦ سم . والجدول التالي يرينا تذبذب المستوى منذ سنة ١٨٦٥ حتى ١٩٨٠ .

مستويات البحر الميّت من عام ١٨٦٥ ـ ١٩٨٠

السنوات	المستوى	السنوات	المستوى
١٨٦٥	ـ٣٩٣,٨م	١٩٤٤	ـ٣٩٥م
١٩١٠	ـ٣٩٢م	١٩٤٦	ـ٣٩٤,٢٩م
١٩١٢	ـ٣٩١م	١٩٦١	ـ٣٩٥م
١٩١٥	ـ٣٨٧م	١٩٦٣	ـ٣٩٨,٥٠م
١٩٢٨	ـ٣٩٣م	١٩٦٦	ـ٣٩٩م
١٩٣٣	ـ٣٩٤م	١٩٧١	ـ٣٩٩م
١٩٣٨	ـ٣٩٥م	١٩٧٣	ـ٣٩٨م
		١٩٨٠	ـ٤٠٢م

ويتبيّن من هذا الجدول أن الفرق بين أدنى مستوى وصلت إليه المياه وأعلى مستوى هو ١٥م خلال هذه الفترة الزمنية .

وتؤكد بعض الدلائل والأبحاث أن مستوى مياه البحر الميت كان أعلى من مستواه الحالي بنحو ٢٢٠م ، أي أنه كان على انخفاض ١٨٢ م . وبالتالي فإن المياه كانت ممتدة على طول غور الأبهدام ، من أطراف بحيرة طبرية* في الشمال وحتى موقع عين حصب* في وادي عربة* على بعد ٣٨ كم جنوبي البحر الميت الحالي ، وذلك في الحقبة الواقعة بين ٢٠,٠٠٠ و ٧٠,٠٠٠ ـ ١٠٠,٠٠٠ سنة سابقة .

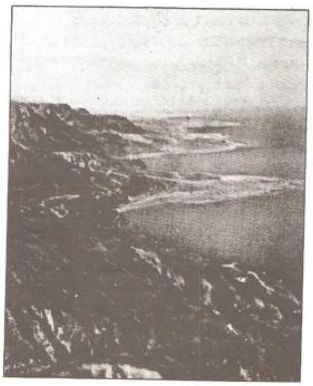

وترى هذه الدراسات أن عمر البحر الميت الحالي نحو ١٢٠,٠٠٠ سنة .

ترجع أسباب تغيرات مستوى مياه البحر الميت إلى التغيرات المناخية التي تعرضت، وتتعرض لها المنطقة ، واختلاف نسب التبخر . لكن يجب أن يضاف إلى الأسباب المناخية الأسباب البنائية (التكتونية) التي لا بد أن تكون قد لعبت دورها أيضاً إلى جانب العامل البشري ومدى استغلال الإنسان لمياه الأنهار والينابيع المغذية للبحر ، خاصة مياه نهر الأردن في الأغوار الشمالية لوادي الأردن نفسه ، وتحويل قسم كبير منها إلى الأراضي الغربية في فلسطين مما يقتطع جزءاً كبيراً من حصة البحر الميت من مياه هذا النهر .

ح ـ الإنسان وثروات البحر الميّت : لا تشجع سواحل البحر الميت ولا مياهه على السكنى والاستقرار . فالأرض الصالحة للزراعة صغيرة المساحة ومحصورة في نقاط معينة ، والمياه الصالحة للري قليلة الكمية . والحرارة عالية ، والأمطار قليلة والمناخ قاس ، حتى الأسماك التي يمكن أن تجتذب السكان إلى البحر غير متوفرة في مياهه . كما أن الصخور الجرداء العارية تحيط البحر بجدران عالية تجعل من الحوض حفرة خانقة تعيق المواصلات وتقيد نشاط الإنسان .

لذلك كانت سواحل البحر الميت من المناطق القليلة الكثافة

البشرية ، وكانت ملجأ لمجموعات بشرية صغيرة جداً جاءتها هاربة لأسباب مختلفة . وأول السكان الذين ارتبط وجودهم في شرقي البحر الميت باستغلال بعض ثرواته من الأملاح وغيرها هم الأنباط . حتى هؤلاء لم يقفوا على ما يظهر سواحل البحر ، بل أقاموا في الجبال الشرقية حيث عاصمتهم سلع (البتراء) . وكانت فئات منهم تأتي البحر لاستخراج مادة البيتومين . أما جبال غربي البحر الميت فكانت موطنا لقبائل فلسطينية مختلفة اقتصر نشاطها وتحركها على المرتفعات الغربية ، ولم تول البحر الميت أي اهتمام . وبرغم عداء الطبيعة للإنسان قامت بعض المراكز البشرية الصغيرة جنوبي البحر حيث كانت تقوم واحة نخيل (زُغَر) التي أعطت البحر اسمها العربي القديم . وكذلك الواحة الصغيرة التي قامت عند عين جدي على الساحل الغربي .

وقد بقي الإنسان جاهلاً بثروات البحر الميت الطبيعية ، أو عاجزاً عن استغلالها استغلالاً صحيحاً حتى الربع الأول من القرن العشرين حين واكبت تطور العلوم والصناعة الدراسات والأبحاث حول البحر الميت ، وازدادت الحاجة إلى الأملاح المختلفة في الصناعات الكيميائية . فقامت شركة بوتاس فلسطين عام ١٩٢٩ بإنشاء معمل شمالي البحر الميت عام ١٩٣٠ . ثم ألحقت به سنة ١٩٣٤ فرعاً بنته جنوبي غرب البحر الميت في أسدوم . وقد تعطّل المعمل الشمالي في أحداث ١٩٤٨ .

وجميع الأرقام التي نشير إلى ما يستخرج من ثروات البحر الميت أرقام صغيرة جداً إذا ما قورنت بمخزون هذا البحر من الأملاح المعدنية التي تدخل في صلب الكثير من الصناعات الهامة . يضاف إلى ذلك أن بعض ما يفقده البحر من الأملاح يتجدد وينعوض بما تحمله إليه المياه الصّابة فيه . وتقدّر كمية الثروة المعدنية بنحو ٤٥ مليون طن من الأملاح يتوزع أهمها على الشكل التالي :

١) كلوريد المغنزيوم	٢٣,٠٠ مليون طن
٢) كلوريد الصوديوم	١٢,٦٥ مليون طن
٣) كلوريد الكالسيوم	٦,١١٩ مليون طن
٤) كلوريد البوتاسيوم	٢,٠٥ مليون طن

وقد تأسست عام ١٩٧٦ في الأردن شركة البوتاس العربية لاستخراج البوتاس وغيره من المواد مثل كلوريد المغنزيوم وكلوريد الصوديوم والكلورين والبروميز من الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الميت ، وقد بدأ الإنتاج عام ١٩٨١ .

يضاف إلى هذا بعض النشاط الزراعي المتواضع الذي يستفيد من المساحات الصغيرة المرويّة الصالحة للزراعة ، ولا سيما في منطقة الأغوار الجنوبية على الساحل الشرقي جنوب شبه جزيرة اللسان ، وكذلك في سهل أريحا شمالي البحر الميت ، وواحة عين جدي على الساحل الغربي . وتمتاز هذه الواحات المتفرقة بزراعة البواكير وفواكه المناطق فوق المدارية .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ١ ، بيروت ١٩٦٥ .
- الأب مرمرجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية ، بيروت ١٩٤٨ .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ وج ٣ ، بيروت ١٩٥٥ و ١٩٧٥
- الإصطخري : المسالك والممالك ، القاهرة ١٩٦١ .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .
- إبراهيم شريف : غور الأردن ومشاريع الري ، بغداد ، ١٩٦٢ .
- هاردنغ لانكستر : آثار الأردن (مترجم) ، عمان ١٩٦٥ .
- العهد الجديد : إنجيل مرقص .
- العهد القديم : سفر نشيد الإنشاد ، وسفر يشوع ، وسفر التثنية ، وسفر الملوك الأول .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لموحات القدس والبحر الميت وسيل أسدوم ووادي عربة .
- Blanckenhorn, M.: **Entstehung und Geschichte des toten Meeres,** Zeitschr. Deutsch - Palaest. Vereins 1896.
- Blanckenhorn, M.: **Naturwissenschaft Studien am Toten Meer und in Jordantal,** Berlin 1912.
- Burrows,M.: **The Dead Sea Scrolls,** London 1956.
- Garstang, J.: **The Story of Jericho,** London 1940.
- **The Encyclopedia Americana,** Vol.8. 1976.
- **The Encyclopedia Britannica,** Vol III, 1974.
- Lynch, W.F.: **Official Report of the U.S. Expedition to Explorethe Dead Sea and the River Jordan,** Baltimore 1852.
- Queenell, A.M.: **The Structural and Geomorphic Evolution of the Sea Rift,** London 1959
- Willis,B. .**Dead Sea Problem: Rift Valley or Ramp Valley,** 1928.

البحر الميت (أملاح ـ) : رَ : المعادن

البحـر الميت (مخطوطات ـ) :

« قمران » اسم مغارة عثر فيها عام ١٩٤٧ على مخطوطات قديمة تعد من أروع المكتشفات في العصر الحديث . فقد وجد أحد رعاة عشيرة التعامرة العربية البدوية ، مصادفة ربيع عام ١٩٤٧ ، إحدى مخطوطات البحر الميت التي كتبت باللغات الآرامية * والعبرية واليونانية القديمة في كهوف ومغاور النهاية الشمالية الغربية للبحر الميت * ، ومنها خربة قمران ، ووادي السريعات ، وخربة المرد (شمال وادي النار *) ، وكهف الفشخة . وقد احتوت اللفائف

حفريات قمران

الكتّانية المغلفة بعناية والمحفوظة في قدور كبيرة من الفخار لصيانتها من الرطوبة والعث موضوعات غير معنونة ، وبدراستها تبين أنها أسفار أصلية من العهد القديم (التوراة *) ، ومكتوبات أخرى أدبية مختلفة ، وقد كشف حتى الآن عن أحد عشر كهفا ، واكتشف آخرها النعامرة أيضا عام ١٩٥٦ . واحتوت المخطوطات على :

١) كتاب النبي أشعيا : وقد نشرته المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية عام ١٩٥٠ . ويبلغ طول الرق المكتوب عليه نحو سبعة أمتار وأربعة وثلاثين سنتيمترا مدونة بخط عبري قديم . وهو أقدم ملف للتوراة العبرية كتب في أربعة وخمسين عمودا بالخط المربع أو الحروف الآرامية . ويشبه نصه سفر أشعيا المألوف مع بعض الاختلافات .

٢) تفسير حقوق والتعليق عليه : وهو صغير نسبيا سلي، بالفواجع التي ستحل بالجيل الأخير الذي يشهد نهاية العالم. (حبقوق أحد أنبياء اليهود) .

٣) كتاب النظام : وهو يمثل عقائد طائفة من اليهود فيها معاني النصحية وحب المساعدة .

٤) حرب أبناء النور مع أبناء الظلام : وفيه يبدو التشابه كبيرا بين صفات معلم الخير والصدق المختار من الله مخلصاً للعالم، وكيف وقف في وجهه الكهنة ، وحكموا عليه بالموت ونفّذوه فيه ، السيد المسيح المخلص وكيف حكم عليه اليهود والرومان . وهو قول بالرغم من تشابه ظواهره، مختلف بالجوهر ، فالقمرانية بقيت مذهبا يهوديا ، ولم تخرج عن هذا الدور الخاص ، في حين أن النصرانية رسالة إنسانية عالمية .

٥) مخطوط لامك باللغة الآرامية : فيه تسعة عشر عموداً تتضمن تعليمات لإدارة الحرب بين أسباط لاوي ويهودا وبنيامين المدعوين بأبناء النور ، والإيدوميين * والمآبيين والعمونيين والفلسطينيين والإغريق المدعوين بأبناء الظلام (ولامك حفيد أخنوخ ووالد النبي نوح) .

٦) مزامير التسبيح والشكران : وتبلغ عشرين مزمورا تشبه مزامير العهد القديم .

٧) قطع أخرى من أسفار متنوعة : شملت كتب الأبوكريفا *Apochrypha* ، ويقصد بها كتب التوراة التي لم تثبت صحتها ، والتي رفضتها الكنائس المسيحية ، وكتابات تتعلق بمذهب سكان قمران .

٨) الوثيقة الدمشقية : وقد ظهر بين مخطوطات البحر الميت في كتابات الآسينيين * الذين امتد عهدهم من ١٥٠ ق.م. إلى ٦٨ ب.م. ما يشابه إلى حد كبير عنويات وثيقة دمشق التي عثر عليها في كنيس يهودي بالجيزة قرب القاهرة . وهي خاصة بجماعة اعتقدوا أن الله أرسل إليهم معلم الحق ليخلّصهم من ذنوبهم ، فخرجوا إلى دمشق ، وسمّوا أنفسهم أبناء العهد الجديد. وليس هناك أي دليل يثبت أنهم وصلوا إلى دمشق . والآسينيون طائفة من اليهود عاشت قبل الميلاد . وكانت معيشتهم أضيق من معيشة الفريسيين * أقدم الطوائف اليهودية .

ودل الكشف على أن سكان قمران كانوا يعنون باستنساخ الأسفار المقدسة وسواها ، وأنهم خصصوا لهذه الغاية قاعة معينة أقاموا فيها الموائد والمقاعد للكتابة ، وأنشأوا المغاسل للتطهّر قبل البدء بالعمل ، نظرا لقدسية ما يفعلون . ويلاحظ أن محابرهم لا تزال موجودة حتى اليوم .

يسّرت المخطوطات معلومات للدراسة المقارنة مع النصوص المتداولة للعهد القديم ، ولدراسة نشأة العهد الجديد .

وقد عكف كثير من العلماء والمعاهد العلمية على دراسة المخطوطات المكتشفة ، ومنهم :

١) الدكتور جون تريفر *J. Trever* من المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية بالقدس .

٢) الأثري الإنكليزي جيرالد . ل . هردينج *G.L. Harding* مدير الآثار بالأردن .

٣) الأثري الأمريكي وليم . ف . أولبرايت *William F.*

Albright مدير المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية بالقدس والأستاذ بجامعة هوبكنز الأمريكية .

٤) الأثري وليم هـ . برواملي : *William H. Brownlee* من كلية كليرمونت للدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية .

٥) الدكتور بيرنبوم *Birnbaum* الأستاذ بجامعة لندن .

٦) الأب رولان دي فو *R.De. Vaux* رئيس مدرسة الأبحاث التوراتية الفرنسية في بيت المقدس .

٧) الدكتور بلندرليث *H. Plenderleith* مسؤول مختبر الأبحاث الكيميائية في المتحف البريطاني .

وتم تقدير عمر المخطوطات بدراسة اللغة والخطوط والمادة المكتوبة عليها وبها ، وشكل الحروف والصياغة والرق والكتّان والنحاس وقطع الفخار والنقود التي وجدت معها . وقد نجح البحث الأثري ، باستخدام طريقة الكربون المشعّ ١٤ لفحص الكتّان (التيل) الذي لفت به الوثائق والجرار الفخارية ، نجح في إعطاء معلومات تقديرية تقريبية عن عمر المخطوطات وزمانها ، فكان ما بين السنة ٣٠٠ قبل الميلاد والسنة ٦٨ أو ٧٠ بعد الميلاد .

ويمكن جمع نظر كبير من التوراة من مخلفات هذه الكهوف ، باستثناء سفر أستير الذي استبعد لأسباب طقوسية ، لأن الأسينيين لا يحتفون بالعيد العبري « فوريم » الوارد اسمه في السفر المذكور . وقيمة المخطوطات أنها وردت بلغتها الأصلية ، وأنها أقدم بحوالي ١,٠٠٠ سنة من أقدم مخطوطات للعهد القديم معروفة من قبل . ولكنها تختلف عنها في عدة مواقع ومواضيع .

وإجراء تعديلات أو تغييرات جوهرية في نصوص العهد القديم ، أو تأويلات حول نشوء المسيحية نتيجة لاكتشاف مخطوطات قمران ، مسألة تنتظر إجابات الدراسات النهائية الكاملة المقارنة بالنصوص العبرية (المسوّرة) المعتمدة لدى اليهود المحافظين . إضافة إلى ثلاثة آلاف دراسة كتبت وصنّفت حول مضامين المخطوطات وتفسيرها وشرحها وتأويلها .

وقد جرى تهريب بعض المخطوطات المكتشفة من الأراضي العربية ، والاتّجار بها بصورة غير شرعية . وتملّكت الحكومة الإسرائيلية ، بالشراء والإرهاب ، بعض المخطوطات المعروضة للبيع غير المشروع في الولايات المتحدة الأمريكية . وتملّكت الحكومة الأردنية بالقانون عام ١٩٥٧ المخطوطات الأثرية المكتشفة في منطقة البحر الميت بكافة أنواعها وبكل اللغات المكتوبة بها . وقد سمحت الحكومة الأردنية بعرض بعض المخطوطات في عدة متاحف في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإنكلترا .

وقد خالفت (إسرائيل) اتفاقية لاهاي (١٩٥٤) لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح عندما نقلت ، أثناء معركة القدس في ١٩٦٧/٦/٦ كميات كبيرة من مخطوطات البحر الميت القيّمة الباقية في المتحف الفلسطيني إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة ما قبل عام ١٩٦٧ بدعوى الحفاظ عليها بصفة مؤقتة . وحتى اليوم لم تتم إعادة مخطوطات البحر الميت إلى مكانها الأصلي في المتحف الفلسطيني .

المراجع :

ـ أحمد فخري سرور : ملف القدس ١٩٧٧ . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ـ أسعد رستم : مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، هدايا مجلة المسرة السنوية ، لبنان ١٩٥٩ .

ـ وليم أولبرايت : آثار فلسطين ، القاهرة ١٩٧١ .

ـ ليونارد كوزيل : الموسوعة الأثرية العالمية ، القاهرة ١٩٧٧ .

ـ محمود العابدي : مخطوطات البحر الميت ، عمان ١٩٦٧ .

ـ موريس بوكاري : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، القاهرة ١٩٧٨ .

— Barchard, C.: **Bibliographie zu den Handschriften vom Toten Meer**, Berlin 1957-1965.

— Carmignac, J. and Guibert, P.: **Manuscrits de la Mer Morte, les textes de Qumran**, Paris 1962-1964.

— De Vaux, R.: **L'Archéologie et les manuscrits de la Mer Morte**, Londres 1961.

— Milik, J.T.: **Dix ans de découvertes dans le desert de Juda**, Paris 1957.

البحوث والدراسات العربية (معهد ـ) :

أنشئ هذا المعهد في القاهرة سنة ١٩٥٣ بناء على القرار ٤٣٧ لمجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده السادس عشر في ١٩٥٢/٩/٢٣ فكان واحداً من مجالات العمل الثقافي ضمن رسالة جامعة الدول العربية .

حدد النظام الأساسي الذي أقره مجلس الجامعة أغراض المعهد في المادة الأولى بأنها :

١) إعداد شباب عربي مثقف ثقافة عربية عالية .

٢) نشر الثقافة العربية عن طريق التدريس والتأليف والنشر والمحاضرات العامة .

٣) إقامة فكرة القومية العربية على أسس علمية صحيحة .

٤) تكييف أسس الثقافة العربية بحيث تنتفع من تقدم المدنية الحديثة .

وقد عُيّن ساطع الحصري مديراً للمعهد وأستاذاً للقومية العربية فيه ، وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٨ . وكان الحصري رأس الداعين إلى إنشاء المعهد تحقيقاً للفكرة القومية التي عمل من أجلها منذ بدايات القرن ، وسعياً إلى تنشيط الوعي القومي في الوطن العربي ، مع إشاعة الشعور بالوحدة العربية ، وبث الإيمان بمستقبل الأمة العربية ، والتصدّي للنزعات الإقليمية وتيارات التجزئة .

زودت مكتبة المعهد بالمراجع والمصادر والمجلات المتنوعة ، وبدأت طباعة سلسلة وثائق ونصوص حول واقع الأمة العربية . وقد شملت دراسات المعهد وبحوثه الدراسات القانونية والاقتصادية والتاريخية والأدبية . وكانت قضية فلسطين من جملة القضايا الأساسية في الدراسات القومية ، ثم أفرد لها قسم خاص في المعهد منذ العام الدراسي ١٩٦٣/١٩٦٤ ترأسه الدكتور إسحق موسى الحسيني منذئذ ، وكلف الدكتور أنيس صايغ بإدارته في العام الدراسي ١٩٦٩/١٩٧٠ . وهدف هذا القسم الدعوة للاستفادة من دروس الماضي ، والتفاؤل المصحوب بالعمل ، والتركيز على أهمية فلسطين في المسار القومي ، وعلى أن قضيتها قضية مصيرية لجميع أبناء الأمة العربية . وكان نسم فلسطين من أهم أقسام المعهد الخمسة ، وقد نشط في مجال البحث والدراسة والنشر ، وزودت مكتبته بالمراجع المتخصصة في القضية الفلسطينية ، وحاضر فيه عدد من المتخصصين في جوانب القضية المختلفة ، التاريخية ، والسياسية ، والعسكرية ، والقانونية ، والأدبية ، وفي اللغة العبرية ، وتخرج من هذا القسم عدد كبير من طلاب الأقطار العربية المختلفة .

تحوّل أسلوب العمل في المعهد ، فلم يعد معهداً للدرس والبحث فقط بل أصبح ، بالإضافة إلى ذلك ، مؤسسة علمية تمنح الشهادات في الفروع المختلفة (دبلوم) ، ويتقدم بعض خريجيه المتصوفين لتحضير درجات الماجستير . وقد غدا المعهد بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٠ أحد أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . واتسعت في هذا الطور الجديد أهداف المعهد ، وقوي انتماؤها بالقضايا المعاصرة . ومن الأهداف :

١) إعداد جيل من الباحثين الشبان المعنيين بالتعمق في دراسة وبحث القضايا والمشكلات العربية المعاصرة .

٢) إجراء سلسلة من البحوث العلمية التي تتناول المشكلات والقضايا المطروحة على الساحة العربية .

٣) طباعة ونشر البحوث والدراسات العلمية حول القضايا العربية الحديثة والمعاصرة على المستوى العربي ، وفي الأوساط العلمية والأجنبية المعنية بشؤون الوطن العربي .

٤) تقديم خدمات استشارية للحكومات العربية وجامعة الدول العربية ومنظماتها عن طريق إجراء بحوث علمية في الموضوعات التي تحددها هذه الهيئات .

وضع للمعهد ، في شباط ١٩٧٣ ، نظام أساسي جديد أكّد مهام المعهد وأهدافه السابقة . وحدث بموجبه تعديل أقسام المعهد العلمية ، فأصبحت تضم البحوث والدراسات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والقومية ، والجغرافية والتاريخية ، والقانونية ، والأدبية . وأصبح موضوع قضية فلسطين جزءاً من الدراسات السياسية والقومية ، وأدرج تحت عنوان « الصراع العربي ـ الإسرائيلي » لأنه لا يمكن الفصل بين موضوع فلسطين وقضايا الوطن العربي السياسية تأكيداً لبعد القضية الفلسطينية القومي .

واصل المعهد السير وفق الخطوط العريضة التي تضمنتها نظامه الأساسي ، فتابع بالبحث العلمي الجاد القضايا العربية المعاصرة ، وأبرز أثر المشكلات العالمية في الوطن العربي ، تدل على ذلك انجازاته العلمية ومطبوعاته . وقد واصل المعهد إصدار مطبوعاته عن القضية الفلسطينية ، وهي تشكل اليوم مراجع هامة للدارسين في موضوع هذه القضية .

صدر القرار بنقل معهد البحوث والدراسات العربية من القاهرة ـ كسائر أجهزة جامعة الدول العربية ـ سنة ١٩٧٩ ، على أن يكون مقره بغداد . ولا يزال المعهد القديم في القاهرة يضم بين جنباته جميع تراث المعهد منذ تأسيسه .

المراجع :

ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

ـ وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

البخاري : رَ : محمد بن أحمد بن خير الله البخاري

البداوة والاستقرار :

البداوة نمط حياة قائم على التنقل الدوري في طلب الرزق حول مراكز ثابتة وموقتة . ويتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية ، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة

في استغلالها من ناحية أخرى ، ثم على مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة .

إذا أخذ مضمون البداوة باعتبارها حياة تنقل وسعي وراء مصادر العيش داخل البيئات البدائية كانت هناك بداوة جمع الثمار ، وبداوة الصيد ، وبداوة الرعي . وهذا يعني أن البداوة ليست وقفا على الصحراء ، وإن كانت الصحراء بظروفها الطبيعية تحتم على أهلها البداوة . وبداوة الرعي هي الصورة التقليدية للبداوة في فلسطين (رَ : الرعي) .

أما الاستقرار فإنه نمط حياة قائم على إقامة السكان في أماكن ثابتة ذات موارد اقتصادية مستغلة أو قابلة للاستغلال . وتتمثل هذه الأماكن في المناطق الريفية التي يستقر فيها السكان معتمدين في معيشتهم على الزراعة* أساساً ، وفي المناطق الحضرية التي يستقر فيها السكان معتمدين في معيشتهم على الصناعة * والتجارة * والوظائف الأخرى . والبداوة تسبق الاستقرار في معظم الأحوال ، ذلك لأن الإنسان القديم ، بسبب بدائيته ، اعتمد في الماضي البعيد على التنقل والتجول بحثاً عن الغذاء وهروباً من الأخطار التي كان يتعرض إليها . وهذا العمل يمثل عجز الإنسان عن مواجهة المشكلات من جهة ، ومحاولته التكيف مع البيئة من جهة ثانية للمحافظة على البقاء . ولكن ارتقاء الإنسان فيما بعد وتدرّجه في سلم الحضارة ساهما في استقراره ، لأن قدرته على مواجهة المشكلات والتغلب عليها أصبحت كبيرة . غير أنه يمكن القول إن التغير المناخي الذي شهدته المنطقة بعامة ، وفلسطين بخاصة ، كان عاملا رئيساً من عوامل استقرار الإنسان (رَ : المناخ) .

وتجدر الإشارة إلى أن فترة الجفاف * الحالية التي تمر بها فلسطين ، تغيرها من جهات الوطن العربي ، بدأت منذ خمسين ألف سنة خلت . إن تغير المناخ * من الحالة الرطبة (أثناء العصر المطير) إلى الحالة الجافة اضطر الإنسان القديم إلى النزول من الهضاب والمرتفعات إلى السهول والمنخفضات والأغوار حيث مصادر المياه المتوفرة . وكانت معرفة الإنسان بالزراعة نقطة تحول أساسية في تاريخه ، إذ انتقل من حياة التجول والبداوة إلى حياة الاستقرار فأقام في تجمعات سكنية بجوار مصادر المياه ، وبمحاذاة خطوط المياه ، وعلى طول بعض الطرق الرئيسة .

ولا يعني هذا القول ان الإنسان ترك حياة البداوة نهائيا ، إذ أن بعض السكان ظلوا يمارسون حرفي الصيد والرعي * في البيئة الصحراوية الجافة ، على حين انتقل بعضهم الآخر إلى حرفة الزراعة في البيئة شبه الرطبة حيث حياة الاستقرار في القرى الزراعية . وكانت فلسطين مسرح تلاقي مؤثرات الحضارتين البدوية والزراعية مثلما كانت مسرح تصارع البدو والمزارعين للحصول على مقومات حياتهم . ولم يخل تاريخ البلاد من فترات تعايش سلمي بين البداوة والاستقرار ، وهي الفترات التي كانت تشهد فيها حكومات قوية تسيطر على الموقف وتنشر الأمن في ربوع البلاد . وعندما تكون السلطة الحاكمة قوية فإنها تحدّ من غزوات البدو وهجماتهم على المناطق الريفية من جهة ، وتساهم ، بما تنشره من أمن وهدوء ، في تشجيع الجماعات البدوية على الاستقرار من جهة ثانية . لذا فإن الصحراء الفلسطينية ، وهي الامتداد الشمالي لصحراء شبه الجزيرة العربية ، تعد خزانا بشريا يغذي المناطق المستقرة في فلسطين بالسكان .

أ ـ البيئة الطبيعية : للبيئة الطبيعية في فلسطين أثر كبير في منشأ البداوة والاستقرار . فموقع فلسطين الجغرافي عند الحافة الغربية للصحراء الأردنية من جهة ، وعند الحافة الشمالية لصحراء سيناء وشبه جزيرة العرب من جهة ثانية ، جعلها تتلقى مؤثرات الصحارى العربية عبر العصور التاريخية (رَ: الموقع) . وهنا تظهر أهمية إقليمي الصحراء الفلسطينية (إقليم النقب *) ووادي الأردن (رَ : الغور) ودورهما التاريخي في تعمير فلسطين ، إذ أنهما الباب الكبير الذي دخل منه البدو إلى فلسطين .

وتساعد الأقاليم البيوماخية ، بتدرجها في فلسطين ، على وجود البدو في مرحلة البداوة إلى جانب مرحلة الاستقرار ، وإلى تحولهم

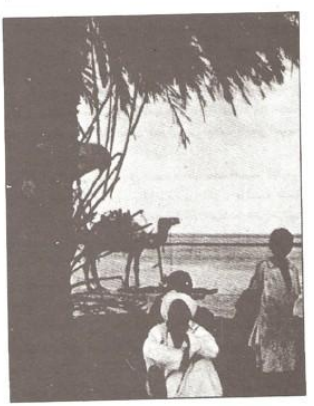

تدريجياً من البداوة إلى الاستقرار . فالإقليم الصحراوي في جنوب فلسطين هو إقليم البداوة بصفة عامة (ز : النقب) ، ويتميز هذا الإقليم بمناخه المتطرف ، وارتفاع قيم المدى الحراري السنوي والفصلي واليومي ، كما يتميز بارتفاع درجة حرارته نسبيا ، وانخفاض نصيبه من الأمطار ، إذ يصل المتوسط السنوي لدرجة حرارته إلى ٢٥° ، ويبلغ متوسط كمية أمطاره السنوية نحو ٥٠ مم ، وتهطل أمطاره بشكل فجائي ، وبكمية كبيرة خلال فترة قصيرة ، وهي متذبذبة وغير منتظمة (ز : المناخ) . والمياه الجوفية في هذا الإقليم قليلة (ز : عيون الماء) وهو يشتمل على تربة * ونباتات طبيعية * فقيرة ومبعثرة ، وتسود فيه تربة اللوس والأعشاب الشوكية التي تناسب الإبل أكثر من غيرها من المواشي (ز : التربة) و(ز : النباتات الطبيعية). وللموقع الجغرافي والمظاهر الطبوغرافية والتربة في صحراء النقب ووادي الأردن الجنوبي أثر في تحديد كميات الأمطار ، وفي امتداد الأعشاب الطبيعية . وتفرض هذه الظروف الطبيعية للبيئة على البدو التنقل والتجول باستمرار للمحافظة على حياتهم وحياة قطعانهم .

ويمتد إلى الشمال من الإقليم الصحراوي إقليم المناخ السوري ، أو إقليم السهوب في شمالي النقب (منطقة بير السبع) والأجزاء الوسطى من وادي الأردن . ويتميز هذا الإقليم بأنه شبه جاف تسود فيه الحياة شبه البدوية أو شبه المستقرة ، حياة تجمع بين البداوة والاستقرار في آن واحد . والمناخ هنا أقل تطرفا من المناخ الصحراوي ، إذ يقل المدى الحراري نسبيا ، ويصل المتوسط السنوي لدرجة الحرارة إلى ٢٠° . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية نحو ٢٥٠ مم ، وهي كمية تصلح للزراعة الجافة (البعلية) إلى جانب صلاحها لنمو الأعشاب الطبيعية المناسبة لرعي الأغنام والمعز .

ويمتد إقليم المناخ المتوسطي شبه الرطب في النصف الشمالي من فلسطين حيث يميل المناخ إلى الاعتدال بصفة عامة . ويصل المتوسط السنوي لدرجة الحرارة إلى ١٧° داخل هذا الإقليم ، وينجاوز متوسط كمية الأمطار السنوية ٦٠٠مم . ويختلف المناخ في الأجزاء الساحلية عن الأجزاء الداخلية ، فالأجزاء الساحلية أكثر اعتدالا ورطوبة من الأجزاء الداخلية . لذا ضمت الأجزاء الساحلية سكانا مستقرين في حين جمعت الأجزاء الداخلية (المرتفعات الجبلية) بين حياة الاستقرار وشبه الاستقرار لقربها من الإقليمين المناخيين الجاف وشبه الجاف ، ولتأثرها بهما .

بدأت البداوة والاستقرار جغرافيا حالة تكيّف بين البدو وظروف البيئة الطبيعية الجافة من جهة ، وحالة تكيّف بين الحضر وظروف البيئة الطبيعية شبه الرطبة من جهة ثانية . وانتهت نفسيا إلى تنظيم اجتماعي عند البدو يعتبر عاملا مساعدا على كثرة التنقل والترحال ، وبالمقابل كان التنظيم الاجتماعي عند الحضر عاملا على استقرارهم . ونشأ النظام القبلي الذي حدد لكل قبيلة مجالها الطبيعي ورقعتها المعروفة من الأرض التي هاوحدها حق التجول فيها واستغلالها على نطاق جماعي ، الأمر الذي يعمق ويرسخ مفهوم البداوة والنظام القبلي في الإقليم الصحراوي . من جهة ثانية نشأ النظام البلدي في المناطق المستقرة التي حدد فيها لكل قرية أو مدينة مجالها الطبيعي ورقعتها من الأرض . وكانت الملكية جماعية (مشاعا) وفردية في معظم المناطق الانتقالية التي تسود فيها الحياة شبه البدوية أو شبه المستقرة في حين سادت الملكية الفردية في المناطق الريفية والحضرية المستقرة (ز : الأرض ، ملكية) .

ب ـ التطور التاريخي للبداوة والاستقرار : سكن الإنسان القديم فلسطين منذ ما قبل التاريخ (ز : العصور القديمة) . وقد عثر الباحثون على بقايا الهياكل البشرية لإنسان العصر الحجري القديم في مغارة الزطيّة (ز : الزطية : كهف) قرب بحيرة طبرية * . فقد وجدت فيها عام ١٩٢٥ جمجمة تعرف بجمجمة طبرية أو جمجمة الجليل التي عاش صاحبها قبل نحو مائتي ألف سنة . وعثروا أيضاً على بقايا هياكل أخرى في مغارتي السخول والطابون من كهوف مغارة الواد في جبل الكرمل * ، وفي مغارة القفزة في جنوب الناصرة * ، ويعود عهدها إلى ما قبل مائة ألف سنة على الأقل .

وتدل الآثار والمخلفات التي تركها الإنسان في ذلك العصر على أن بداوة الجمع والالتقاط كانت النمط الأساسي لحياة الإنسان . أما آلاته وأدواته فكانت من العظام وأحجار الصوان . ثم تدرج الإنسان في المعرفة فاكتشف النار التي كان لها أعظم الأثر في حياته . وتطورت لغة سكان ذلك العصر مما ساعد على تجمعهم بشكل وحدات صغيرة .

أما إنسان العصر الحجري الوسيط الذي يرجع تاريخه إلى حوالي اثني عشر ألف عام قبل الميلاد فانه ، إلى جانب حرفة الجمع والالتقاط ، عرف الصيد . ولا سيما صيد الأسماك من المسيلات المائية للأردنية ، ودجّن البقر والمعز والغنم والخنازير في أواخر ذلك العصر ، واتخذ الكلب رفيقاً له يحرس قطعانه ويساعده على اقتناص فريسته .

وكانت عملية تدجين الحيوانات فاتحة عهد جديد في حياة الإنسان ، إذ أصبح راعياً يتجول بقطعانه من مكان لآخر . وعند نهاية ذلك العصر دخل سكان فلسطين في طور الاعتماد على الزراعة . وتدل الأدوات التي خلفها الإنسان على أن الفلسطينيين القدماء من أوائل من مارس الزراعة في العالم .

أما إنسان العصر الحجري الحديث الذي يرجع تاريخه إلى قرابة ستة آلاف عام قبل الميلاد فإنه كان متقدما في تدجين الحيوانات، أخذاً بتحسين أساليب الزراعة وتطوير أدواتها . كما أنه تجمع في القرى والمدن ، وعرف فن البناء والعمارة وفكرة تملك الأرض . وتبدلت أساليب حياته تبدلاً أساسياً عندما عرف صناعة الغزل والنسيج وصناعة الخزف ، مما ساعد في ترقية حياته المستقرة .

وعرف إنسان العصر المعدني الذي يرجع تاريخه إلى ٤ آلاف عام قبل الميلاد النحاس ، وبدأ يستعمله جنبا إلى جنب مع الأدوات الحجرية حتى عام ٣,٠٠٠ ق.م. حين اقتصر على استعمال الأدوات النحاسية والبرونزية . وقد امتدت يد التحسين في العصر المعدني إلى كثير من الصناعات التي كان الناس قد تعلموها ، وتقدمت صناعة بناء المنازل والزراعة التي تعتمد على الري وتربية المواشي وغيرها .

والجدير بالذكر أن آثار الإنسان القديم في حفريات شقبة في وادي النطوف * دلّت على أن سكان فلسطين الأوائل هم من العرق الذي يُعرف بعرق البحر المتوسط . ومنذ فجر التاريخ ، أي حوالي عام ٣,٠٠٠ ق.م. ، أخذت الهجرات السامية تتوالى على هذا الجزء من بلاد الشام قادمة من شبه الجزيرة العربية . وبذلك امتزج عرق البحر المتوسط بالعرق السامي ، ثم غلب العرق الأخير على فلسطين .

وكان نصيب فلسطين من الهجرات السامية كبيرا لأنها واقعة على طريق هذه الهجرات المتجهة من الجزيرة العربية نحو بلاد الشام ومصر ، وقد شرع الساميون ، قبل بدء العصر التاريخي (٣,٥٠٠ ق.م.) ، ينزلون مصر ، ويرجح أنهم دخلوها عن طريق فلسطين . وفي حوالي عام ٣,٠٠٠ ق.م. هاجر الأكاديون والأشوريون من الجزيرة العربية إلى العراق ، واستقروا في جنوبها وشمالها على التوالي . وقبل عام ٢,٥٠٠ ق م . تعاظم أمر موجة سامية أخرى عرفت بالموجة الأمورية ـ الكنعانية ، وهي الموجة التي اتخذت طريقها إلى بلاد الشام . فنزل العموريون * القسم الداخلي من تلك البلاد ، ونزل الكنعانيون فلسطين . ونزح فريق من الأموريين في نحو عام ١,٩٠٠ ق.م. إلى العراق وتونسا فيه سلالة بابل الأولى . ويرجح أن الهكسوس * الذين نزلوا مصر وحكموها في القرن السابع عشر قبل الميلاد هم من الكنعانيين .

وفي حوالي عام ١٥٠٠ ق.م. تعرضت بلاد الشام لموجة سامية أخرى هي الهجرة الآرامية ، وفيها القبائل المآبية والأيدومية والعمونية ، فحل الآراميون * في شمالي سورية وأوسطها ، ونزل المآبيون والأيدوميون * والعمونيون جنوبي سورية في الإقليم الممتد من البحر الميت * حتى خليج العقبة * . ومن الموجات السامية الموجة التي أتت بالأنباط * إلى جنوبي بلاد الشام في نحو عام ٥٠٠ ق.م. ، ثم هجرة اللخميين والغساسنة * إلى العراق والشام . وكانت آخر الموجات الكبرى موجة العرب المسلمين في القرن السابع للميلاد .

وكان الأنباط قد أقاموا محطات تجارية ومخافر حصينة لحراسة القوافل التجارية في وادي عربة * وبيّرة الخليل وفي النقب أيضاً . فقد كانت عبدة * مثلاً مشيدة فوق قمة تنوه صخري يشرف على طريق القوافل . أما الحلصة الرومانية فكانت مدينة تجارية كبيرة تحط فيها القوافل لتستريح في طريقها الطويل إلى ثغر غزة . وازدهرت مناطق البداوة في وادي الأردن وفي النقب أثناء الحكم البيزنطي ، وتأسست عدة مدن أخرى مثل الرحبية والعوجاء واسبنا وكرنب * . وشهد القرنان السادس والسابع الميلاديان حركة عمران واسعة ، فالدولة البيزنطية احتاجت إلى إنشاء قوة دفاعية على حدودها الصحراوية لتحمي فلسطين من هجمات البدو من شمال شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم كان إنشاء خطوط دفاع على طول وادي عربة وغور الأردن . كما ظهرت حركة الرهبنة المسيحية ولجوء الأتقياء من المسيحيين إلى العزلة في أديرة داخل الصحراء (ر : المسيحية) . ومن المحتمل أن هذه المراكز وتلك الأديرة جذبت عدداً من البدو وأشباههم من الأقاليم المجاورة للاستقرار حولها وتحويلها إلى مدن أحيانا .

وفي العهد الإسلامي لم يعد النقب طريقا للتجارة بسبب انقطاع التجارة العالمية بين أوربا والشرق الأقصى (رَ: الطرق) . ونتج عن ذلك هجرة المستقرين من البدو تاركين هذه المحلات المدنية بلا سكان، وتحوُّلُ كثيرين منهم إلى حياة البداوة . وتمرور الزمن عاد بعضهم للاستقرار في مواقع هذه المدن التاريخية المهجورة ، وأعادوا تعميرها بصورة بسيطة جدا ، وأصبحت محطات للبدو المتجولين مع مواشيهم داخل الإقليم الصحراوي .

ويمر البدو خلال مراحل زمنية بظروف معينة تنقلهم من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار . فاحتكاك البدو بسكان المناطق الريفية والحضرية عن طريق التبادل التجاري ، أو الغزو ، أو الهجرات الموسمية التي يقوم بها البدو بين المناطق الصحراوية والمناطق الزراعية أثناء سنوات الجفاف ، يجعلهم يشعرون بمدى تفوق المستقرين عليهم في مستويات المعيشة فيميلون إلى الاستقرار هربا من شظف العيش في قلب الصحراء ، ويأخذون في تقليص عدد المواشي التي يربونها ، وفي إنشاء مخازن الحبوب العلفية لمواشيهم ، وفي الإقامة في بيوت يشيدونها بالقرب من المخازن لحمايتها . وإذا تمكنوا من زراعة مساحات صغيرة حول هذه المخازن فإن ذلك يشجعهم على الاستقرار في حياة شبه زراعية . وهذا ما حدث بالنسبة إلى بدو

شمال النقب ، وبدو غور بيسان وبرية القدس والخليل ، إذ أقاموا تجمعات مبعثرة تجمع بين بيوت الشعر وبيوت الطين ، وتأخذ شكل القرى الصغيرة . وقد ساهمت هذه التجمعات العمرانية شبه البدوية في المنطقة الانتقالية بين المناطق الصحراوية والزراعية في إيجاد منطقة حاجزة بين مجتمعي البداوة والاستقرار . وكان سكان هذه التجمعات من أشباه البدو يتلقون الضربات الأولى من البدو الذين كانوا يهاجمون المناطق الريفية في الماضي . ونتج عن ذلك هجرة بعض هؤلاء تجمعاتهم في المنطقة الانتقالية واستقرارهم بعيداً في قلب المناطق الريفية والحضرية اتقاء لأخطار الغزو البدوي من جهة ، وانتقالاً إلى حياة الاستقرار التي تـوفر لهم نـوعا من الأمن المعنوي والمادي من جهة ثانية . ومن أمثلة المراكز التي استقروا حولها بئـر السبع * وغـزة * ونعـان يـونس * والخليـل * وبيت لحم * والقدس * وبيسان * والناصرة وحيفا * وطولكرم * ويافا * واللد * والرملة * .

وفي العهد العثماني كانت سيطرة الحكومة التركية على البدو والحضر اسمية لا فعلية ، وكان نفوذها على القبائل العربية ضئيلا ، واقتصر جل اهتمامها على جمع الضريبة من رعايا الدولة . وكان شيوخ العشائر هم الحكام الحقيقيون ، وكانوا يتجولون ويقيمون ويرحلون مع عشائرهم أينما طاب لهم وكيفما شاؤوا . وكانوا يغزون بعضهم بعضا كلما اتضحت الظروف لذلك ، مثلما كانوا يغزون المناطق الريفية وبخاصة في سنوات الجفاف . ومن الطبيعي أن تنشب النزاعات والحروب بين القبائل المختلفة ، ولا سيما في صحراء النقب ، لأسباب متعددة أهمها الأرض والماء والكلأ . ولم تستطع الحكومة التركية السيطرة على العشائر البدوية إلا في عام ١٨٩٠ م عندما قام رستم باشا القائد التركي بحملة قوية استخدم فيها الشدة والعنف والضغط والإرهاب والسجن والنفي . وامتـطاع السيطرة على الموقف بالرغم من مقاومة بعض العشائر للأتراك . وقد أقام الأتراك في عام ١٨٩٤ مخفرا للشرطة في قلعة الجهير ، وقـاموا أيضا بعزل القبائل في قضـاء بير السبع الذي تمّ فصله إداريـا عن قضاء غزة عام ١٩٠٠ م ، واتخذت بلدة بير السبع مركزا لـه لأنها كانت تتوسط القبائل من جهة ، ولأنها كانت مقرّا لشيوخها من جهة ثـانية (رَ : الإدارة) . وأسس الأتـراك في بير السـبع مجلسـين من شيوخ عشائر بير السبع ، أحدهما للإدارة ، والثاني للأمور البلدية .

عيّن أول قائمقام لإدارة قضاء بير السبع ، وهو إسماعيل بك التركي ، فسكن الخيام في بادىء الأمر كي يكون قريبا من مضارب العشائر . وزودته الحكومة بمجموعة من الشرطة والدرك للمحافظة على الأمن وإحكام السيطرة على القبائل . واتخذت مدينة بير السبع مركزا لنائب متصرف القدس .

وقد أولت الدولة العثمانية بير السبع أهمية خاصة في مطلع عام ١٩١٤ بالنظر إلى أهميتها الإستراتيجية في الحرب العالمية الأولى، وجعلت مقراً عـكرياً للجنود ، وتمكن العثمـانيون من تجنيد مـا يقارب ١,٥٠٠ بدوي إلى جانب قواتهم في حرب القناة .

وفي فترة الانتداب البـريطاني على فلسـطين نجحت سلطة الانتداب في السيطرة على القبـائل بمختلف وسـائـل الترهيب والترغيب ، وحدّت من المنازعات والحـروب والغـزو . وفي هـذه الفترة تحوّلت بعض العشائر من حياة البداوة إلى حياة شبه البـداوة في حين تحول بعضها الاخر من حياة شبه البداوة إلى حياة الاستقرار في القرى ، أو حتى في المدن .

ولم تتخذ سلطات الانتداب خطوات جادّة لتحسين أوضـاع البدو ، مما سبب تـدني أوضاعهم الاقتصـادية لقلّة الأمطار ولتكرّر المحول . فلم ترد نسبة الأمطار بين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٧ عن ١٨٨ مم ، وهـذا لا يكفي للزراعة بلظهور المراعي . وكـانت الزراعة الرئيسة في بير السـبع هي الشعير والحنطة والـذرة والبطيخ والسمسم . وقد توقفت زراعة السـمسم بسبب المحل ، وانخفض انتـاج الشعير والحنـطة وأصبحـا لا يكـادان يغيان بنصف حـاجة البدو ، كذلك انخفضت أعداد الإبل والمواشي ، وقلّت الأعـلاف والمراعي فنتج عن ذلك كله اشتداد وطأة الديون على البدو ، وتزايد أعداد العاطلين عن العمل بينهم .

ويضاف إلى هذا الوضع الاقتصادي الضعيف الذي كان البدو عليه أن سـلطات الانتداب البريطانية أخـذت تسهّل انتقال الأراضي التي ينزل بها هؤلاء إلى حوزة الصهيونيين ، وتحسم قضايا الخلاف القانونية حول الأراضي ، المحلولة ، لمصلحة الصهيونيين ، وتشرد البدو النازلين بهذه الأراضي .

وقد وقف البدو مثل غيرهم من عرب فلسطين في وجه الاستيطان الصهيوني والإجراءات البريطانية ، وعاشوا الأحداث الوطنية التي مرّت بفلسطين ، واشتركوا في ثورة ١٩٢١ وثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * . وفي معارك عام ١٩٤٨ تألقت في بير السبع جبهة الشـباب ، وتكونت حامية من أبناء المدينة ، ولجنة قومية تشرف على شؤون الدفـاع عنها . وقـد شن البدو هجمات ناجحة على مستعمرة « بيت إيشل » وسدّدوا ضربات موجعة لقوافل التموين الصهيونية . لكن نقص الأسلحة والمؤن والعناصر أدّى إلى ضعف المقاومة ، واستطاع الصهيونيون التغلب على المدافعين ، واحتلوا بير السبع مركز القضاء في ٢١/١٠/١٩٤٨ .

نجح الصهيونيون بعد ذلك في طرد معظم البدو المستقرين وشبه المستقرين من ديارهم ، وأقاموا على أراضيهم المستعمرات الصهيونية المتعددة . أما البـدو في صحـراء النقب ووادي عـربة فإن بعض

عشائرهم هاجرت إلى الأردن ، وهاجر بعضها الآخر إلى قطاع غزة ، وبقي قسم منها في مواطنها بصحراء النقب . لكن الكيان الصهيوني أخذ يحدّ من حريتهم في التنقل ، ويفرض عليهم التحرك في مناطق معينة ، وداخل مساحات محددة . وقد تمّ الاتفاق في مؤتمر كامب ديفيد* بين مصر والكيان الصهيوني على إقامة مطارات عسكرية بدل مطارات سيناء التي ستجلو عنها قوات الكيان الصهيوني . وبسبب ذلك قام الصهيونيون بمصادرة مساحات واسعة من أراضي بدو النقب لإقامة هذه المطارات عليها ، وتمّ ترحيل عشائر البدو من الأراضي المصادرة وغزها في مناطق فقيرة ونائية من مرتفعات النقب المطلة على وادي عربة .

كان البدو يشكلون ١٠٪ من مجموع سكان فلسطين في بداية فترة الانتداب البريطاني وبلغ عددهم في إحصاء عام ١٩٣١ زهاء ١٥٠,٠٠٠ نسمة ، لكن هذا الرقم ليس دقيقا (ز : السكان) . أما عدد البدو في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ فقد بلغ في أوائل الخمسينات وفقا للتعداد الذي أجرته سلطات الاحتلال الصهيوني لهم نحو٢٢ ألف بدوي ، منهم ١٥ ألف بدوي يعيشون في قضاء بير السبع ، وينتمون إلى عشرين عشيرة مثل أبي رقيق والقديرات وأبي ربيعة والظلام والهزيل . ويقدّر عدد البدو عام ١٩٨١ في فلسطين المحتلة بنحو ٧٥ ألف بدوي . وهم صامدون كغيرهم من عرب الأراضي المحتلة ، ومتمسكون بأراضيهم بالرغم من الظلم الذي يتعرضون له .

جـ ـ القبائل العربية وسلالاتها في فلسطين : النسّابون يجعلون العرب في ثلاثة أقسام :

١) العرب البائدة : وهم الذين بادوا .

٢) العرب العاربة : وهم اليمانيون من نسل قحطان .

٣) العرب المستعربة أو المدنانيون : وهم أهل نجد والحجاز من نسل عدنان .

١) العرب البائدة : من أشهر قبائلهم الكنعانيون وطسم وجديس وعاد وثمود* وعمليق وعبد ضخم وأميم وعميل وجرهم . وقد نزلت هذه القبائل في عهدها الكنعاني الذي امتد نحو ألفي عام ، من ٣,٠٠٠ ق.م. ـ ١٠٠٠ ق.م. فأما جديس وطسم فنزلت جماعة منهم جنوب فلسطين وغور الأردن . وأما ثمود فنزلت جماعة منها في مناطق سمّد* ونابلس* وغزة . واستقرت سلالات عمليق في جبال الخليل* وإقليم النقب حيث بنوا قرية بيت جبرين* وحاربوا اليهود .

واختلف النسّابون في نسب أهل مَدْين ، ومن المحتمل أنهم من العرب البائدة الذين سكنوا في ديار بير السبع ونزلت جماعة منهم مرج ابن عامر* . واشتغل هؤلاء بالتجارة والزراعة والرعي ، ثم عادوا إلى البداوة عندما ساءت أحوال النقب .

وتعد من العرب البائدة الذين نزلوا فلسطين عندما كان العرب الكنعانيون مستقرين فيها القبائل الآتية :

(١) العموريون الذين أنشأوا مدنهم في تل الحسي* وتل النجيلة وشعليم ، ووسعوا أو جددوا مدينتي لاخيش وجازر* .

(٢) المعينيون الذين غزوا جنوب فلسطين ، وأقاموا لهم دولة في منطقة غزة ، وكانوا تجارا .

(٣) الإيدوميون الذين امتد ملكهم من جنوب الأردن إلى بلدتي الخليل وبيت جبرين .

٢) العرب العاربة : تنتسب القبائل العاربة إلى قحطان بن عامر المنتهي نسبه إلى سام أبي العرب ، وغالبية أهل فلسطين قحطانية . وكانت معظم الجيوش الفاتحة في صدر الإسلام من القبائل القحطانية . ومن أمهات قبائل قحطان :

(١) قبائل حمير : ينسب حل قبائل حمير إلى قضاعة* . وقضاعة هو الجد الأعلى لجميع بطون قضاعة التي نزلت فلسطين . وقد انتشرت بطون قضاعة في قرى البطاني* (غزة) ، وجماعين (نابلس) ، ووادي حنين* (يافا) ، وغيرها .

ويمكن أن يذكر من بطون قضاعة : كلب* وبلي وجهينة وحرم وقدامة وبنو بهراء وبنو عذرة والقين ومسكة . ومن أحفاد بني كلب في فلسطين عشيرة السراجين في قضاء بير السبع ، والهديبات في قضاء الخليل ، والفحيلي في قضاء طبرية . ومن أحفاد بلي في فلسطين قبيلة الحناجرة في قطاع غزة ، وعشيرة الظلام في قضاء بير السبع ، وعرب النقرا بجوار الخضيرة* على شواطىء نهر المتجر بقضاء حيفا ، وبعض سكان قرية كفرصور ، وبعض السكان المجاورين لقرية أم خالد في قضاء طولكرم .

أما جهينة فقد كانت تنزل من الحجاز إلى حوران والجولان* والغور* الفلسطيني . ومن بطون هذه القبيلة في فلسطين عشيرة الجرادات التي انتشر أفرادها في قرى سعير* (الخليل) ، وجولس* (غزة) ، ودير الغصون* (طولكرم)، وسيلة الحارثية* وزيوبة وقفوعة (جنين)، ومن بطونها أيضاً الضواحك في برية الخليل . أما بنو جرم فقد امتدت مواطنهم ما بين غزة غربا وجبال الشراة في جنوب الأردن شرقا . وتنتمي إليهم قبيلة العزازمة في النقب . وكانت مواطن بني قدامة تمتد في بلاد جماعين بقضاء نابلس . وانتشر بنو بهراء في قرى حمامة* (غزة) ، والطيبة* وجت (طولكرم) ، وصير وعجة (جنين) ، والعباسية* (يافا) ، ومن أحفادهم عرب الصفور في قضاء بيسان . وتركز بنو عذرة في جماعين (نابلس) . أما القين فقد نزلت جماعات منهم الغور الفلسطيني في حين استقرت

جماعات أخرى في جنوب فلسطين ، وفي منطقة الخليل ، وفي السهل الساحلي * الأوسط . ومن بطون القرن قبيلة مسكة التي أنشأت قرية مسكة * (طولكرم) ، وبطن سبيان الذين نزلوا الرملة ونواحيها ، والسكاسك في يافا .

(٢) بنو كهلان : تعد علي* من أقدم قبائل بني كهلان . ومن أشهر الطائين الذين نزلوا فلسطين بنو ثعل ، وقد نزلت جماعة منهم عسان * (غزة) ، وبنو الجراح الذين أسسوا لهم إمارة في الرملة (٩٧١ ـ ١٠٢٨ م) . ومن بني الجراح آل الفضل بن ربيعة الذين أبلوا بلاء حسناً في محاربة الإفرنج . ومن أحفاد آل الفضل بن ربيعة اليوم عائلات طوقان وأبي ريشة والعابد والقاعور وكعوش والرمضاوي وعرب الحريفات . وينتمي إلى طيء أيضاً آل السنبد الذين أنشأوا قرية دير سنيد * (غزة) .

وتعرف طيء اليوم بباسم شمر ، وتنسب إليها العوايمة من عشيرة الجبارات ، وأبناء عمهم الرماضين من التيامة في قضاء بير السبع . وتنسب إليها أيضاً عائلة الجربان في بعيد * ،وعائلة الجربة في قرية جربا (جنين) . وتنحدر منها أيضا بعض جماعات من عرب ابن عبيد في قضاء بيت لحم ، وحمولة بني شمسة في قرية بيتا (نابلس) والعجاجرة في غور نابلس .

ومن بطون طيء الفلسطينية بنو جرم ، وهم غير جرم قضاعة المتحدرين من قبائل حمير . وقد انتشر بنو جرم في العهد الروماني في بلاد غزة والداروم مما يلي الساحل إلى جبال الخليل . وتنحدر من بني جرم عائلة العويسات التي تقيم في قرية البريج * وبير معين * (الرملة) ، وعائلة عويس في يافا ، وعائلة بني شاور في قرية الشاورية ، وعرب الجرامسة الذين استقروا في قرية المر (المحمودية) * في قضاء يافا . ويعد بنو جذيمة من أشهر بطون جرم ، إذ انحدرت منهم عائلات آل عوسجة وآل أحمد وآل محمود في بلاد غزة ، وحمولة الربابعة في مبتلون* (جنين) . وهناك بطون أخرى انحدرت من جرم مثل بني سهيل الذين استقروا في قرية بني سهيلة * ، والعبادلة الذين استقروا في خان يونس ، وبني جبيل (الخليل) ، وبني هرماس في قرية إجزم * (حيفا) .

ويعد بنو سنبس أحد بطون طي- الذين نزلوا جنوبي فلسطين وكثروا هناك . وفي سنبس أفخاذ وعشائر منهم الخراعلة الذين استقروا في خربة الخزاعلة (بير السبع) ، ورميح الذين عاش أحفادهم في قرية المزيرعة * (يافا) ، والعنين الذين نزلوا حربة المعين من أراضي الترابين (بير السبع) . ومن أعقاب سنبس في فلسطين قبيلة الحارثية التي تنسب إليها عشيرة وادي الحوارث (طولكرم) ، وعشيرتا الحمام والغنامة (صفد) ، وسبلة الحارثية (جنين) .

وتعد قبيلة بني زيد اليمانية إحدى قبائل بني كهلان التي انتشرت في فلسطين والشام . ويعود قسم من قبائل شمالي فلسطين بنسبه إلى بني زيد ، ومنهم عرب السواعد والطوقة في قضاء عكا ، وزبيد والشمالنة في ديرة صفد ، وسعيدان والهيب في معظم بلاد الجليل . ومن العائلات الفلسطينية التي تعود بنسبها إلى زبيد عائلات أبو شعبان في غزة ، والشرابي في نابلس ، والعزة في الخليل وبيت جبرين ونل الصافي * .

أما قبيلة جذام * فإنها انتشرت بعد الإسلام في ربوع فلسطين ، وبخاصة ما بين مدينتي طبرية * وعكا * . وقد استقرت جماعة منها في بيت جبرين (الخليل) وزمارين (حيفا) ، واستقر الأساورة في موقع تل الأساور (حيفا) ، وبنو بعجة في ديار بير السبع حول زويره ، واستقر بنو زيد في فضاء رام الله ، وبنو فيض في القدس ، وبنو جرى في رفح * ، وبنو النمل في عسمان شرقي خان يونس . أما عرب العايد فقد نزل بعضهم ديار بير السبع في حين نزل بعضهم الآخر في جوار قريتي مسكة وجلجوليا (طولكرم) . ومن جذام أبو شرخ الذي انحدرت عائلة أبو شرخ منه في مجدل عسقلان ، ومنها أيضاً بنو ظريف الذين استقروا في قرية دير ظريف * (الرملة) ، والجرادين من الترابين في بير السبع ، وبنو جابر الذين انحدرت منهم عشيرة الجبارات في بير السبع .

وانتشرت قبائل لخم * قبل الإسلام في مواقع متعددة من فلسطين كالجهات الغربية من البحر الميت وفي جنوب فلسطين ووسطها . وسلائل لخم كسلائل جذام في فلسطين متنوعون أيضاً في ديار غزة ، ومنهم بنو نبهان من قبيلة الحناجرة في بير السبع ، وآل النبهاني في إجزم (حيفا) ، والمساعيد في الغور النابلسي ، والرفيدات في رفيديا (نابلس) ، وآل قفة في سيلة الظهير * (جنين) ، وحمولة الديك في كفر الديك (نابلس) . أما رهط تميم الداري فإنهم يقيمون في مدن الخليل ونابلس وجنين * ويافا .

وخلّد الغساسنة اسمهم في فلسطين في قرية دير غسانة (رام الله) . ومن سلائلهم جماعة الحدادين التي نزلت فلسطين وخاصة بيت المقدس . وللأوس والخزرج (الأنصار) سلائل في فلسطين نذكر منهم آل الصامت في القدس ، وآل شداد في قريتي عمورية وجيت (نابلس) ، وبنو ثمير في كفر ثلدوم (نابلس) ، وعرب النصيرات (غزة) ، وبعض سكان قرية عنبل * (طولكرم) ، وآل غانم في القدس . وقد انحدرت عن الخزرج عائلات في فلسطين مثل آل نسيبة في القدس ، والجوابرة في عراق المنشية * (غزة) .

ومن سلائل الأزد بفلسطين عشيرة المناره في ظاهر مدينة طبرية الجنوبي ، وعشيرة نجمات الصانع من الترابين في جنوبي فلسطين ، وحولتا الشقران وآل جرار في بلاد جنين ونابلس . وقد استقرت

عشيرة خزاعة ، وهي من الأزد ، في قرية خزاعة إلى الشرق من خان يونس .

٣) العرب المستعربة : وهم العرب الذين يرجعون بأنسابهم إلى النبي إسماعيل " بن إبراهيم " . دعوا العدنانيين نسبة إلى عدنان من رجال القرن السادس قبل الميلاد .

انحدرت قبيلة عنزة عن بني عدنان ، وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي شرعت بعض بطون عنزة تخرج من نجد وترحف شمالاً طلباً للرعي والماء ، وأصبحت سيدة بادية الشام . ومن سلائل عنزة في فلسطين قبيلة الترابين والعطاونة في النقب ، وعرب السوالمة للشمال من يافا ، وعرب العنوز في فضاء حيفا ، وحولة النعيمات في ميثلون (جنين) ، وبعض سكان النزلة وعلار * (طولكرم) . وقد استقر بنو كنانة في جوار عسقلان بعد نزوحهم من مكة ، واستقر بنو مضر في ديار نابلس .

ومن القبائل العدنانية التي نزلت فلسطين قبيلة حرب الحجازية ، وإليها تنسب عشائر مزينة والصوالحة والمحمديين من العزازمة في النقب . وهناك عشيرة الشنابلة في طولوزة (نابلس) ، والسميديون في وادي عرية . وقد استقرت جماعات من الحويطات في قريتي بربر * وبيت حانون (غزة) ، واستقرت عشيرة القليطات في منطقة عكا ، واستقرت قبيلة بطاني في قريتي البطاني الغربي والشرقي (غزة) .

انحدرت عن الحسينيين عائلات فلسطينية منها عائلة الزعبية المنتشرة في الناصرة وقراها ، وفي يافا وحيفا وطوباس * ، وعائلة الكيلاني ، وحولة الزيادنة في الجليل ، وعائلة أبو الرب في بلاد جنين ، وآل البرقاوي في دير طولكرم ، والوحيدي من ترابين سير السبع ، والبشوطي في عكا . ومن الحسينيين في فلسطين عشائر سعادة في قرى أم الفحم وعرابة وسيلة الحارثية والسوافير * وبينا وجبارات الوحيدي . وتوجد في القدس ويافا وغزة ونابلس عائلات يرجع نسبها إلى الحسين بن علي .

ومن سلائل العباسيين في فلسطين آل الغصين في غزة والرملة ، والخصينات من عشيرة القلازين من التياهة في النقب ، وآل العباسي في سمخ ، وحولة الحواترة في منطقة نابلس .

وبالإضافة إلى استقرار كثير من العشائر العربية في المناطق الريفية والحضرية في فلسطين استقر شتيت من أعقاب فن نزلها من الناس (ومنهم الإفرنج والأتراك والأكراد والألبان أو الأرناؤوط والشركس * والبشناق والأروام والأرمن وغيرهم ممن تعربوا وكملت عروبتهم) في فلسطين .

د - التوزيع الجغرافي للقبائل البدوية : يتركز البدو في النقب وفي وادي الأردن ، ويتوزعون في هذين الإقليمين على الوجه التالي :

١) بدو النقب : يتألف بدو النقب من أربع قبائل عربية كبيرة يملكون جميع الأراضي المحيطة بمدينة بير السبع منذ القديم ، وهذه القبائل هي :

(١) قبيلة الجبارات : تملك هذه القبيلة جميع الأراضي الواقعة في الشمال الشرقي من مدينة بير السبع . وتمتد أراضيها إلى أراضي الفالوجة * وبربر . بلغ عدد أفرادها نحو ٧,٥٢٨ نسمة في صيف ١٩٤٦ . وكانت حتى نهاية عام ١٩٤٨ تتألف من ١٤ عشيرة،لكن لم يبق في فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٤٨ أي من هذه العشائر بل هاجر معظمها إلى الأردن ، وقليل منها إلى قطاع غزة .

(٢) قبيلة العزازمة : تمتد أراضي هذه القبيلة امتدادا واسعا من مدينة بير السبع حتى وادي عربة جنوباً بشرق وخليج العقبة جنوبا . وتقع أراضي قبيلتي التياهة والترابين إلى الشمال الشرقي والشمال الغربي على التوالي من أراضي هذه القبيلة . بلغ عدد أفرادها وفقا لتعداد ١٩٤٦ نحو ١٦,٣٧٠ نسمة ، وتتألف من ١١ عشيرة .

(٣) قبيلة التياهة : تنتشر هذه القبيلة في الشمال الشرقي والشرق من بير السبع . وتمتد أراضيها في الجزء الجنوبي من سرّية الخليل بين جبال الخليل والبحر الميت . بلغ عدد أفرادها في عام ١٩٤٦ نحو ٢٥,١٥٣ نسمة . وتتفرع هذه القبيلة إلى ٢٣ عشيرة . وقد هاجر معظم هذه العشائر إلى الأردن في عام ١٩٤٨ ، وهاجر قليل منها إلى قطاع غزة ، وبقي قسم منها في النقب .

(٤) قبيلة الترابين : تنتشر هذه القبيلة ما بين بير السبع شرقا حتى الحدود المصرية غربا . ويحيط بها قبيلة العزازمة من الشرق وقبيلة التياهة من الشمال ، ويوجد قسم مستقر منها في النقب الغربي المطل على البحر المتوسط في جنوب شرقي غزة وحول دير البلح * . بلغ عدد أفرادها في عام ١٩٤٦ نحو ٣٢,٣٨١ نسمة . وتتألف هذه القبيلة من ٢٤ عشيرة .

٢) بدو وادي الأردن والمنحدرات الشرقية للمرتفعات الجبلية المطلة عليه :

(١) عشائر وادي عربة : تشتمل على عشائر النحيوات التي تعود بأصلها إلى قبيلة بني عطية . وتمتد أراضيها في القسم الجنوبي من وادي عربة المتاخم للعقبة . كما أن لهم أراضي في سيناء . وكان عدد أفراد هذه العشائر في عام ١٩٣١ نحو ٤٢٠ نسمة .

وتشتمل أيضاً على عشائر السعيديين التي تعود بأصلها إلى قبيلة الحويطات . وتمتد في الجزء الشمالي من وادي عربة . وقد بلغ عدد أفرادها في عام ١٩٣١ نحو ٦٤٥ نسمة .

(٢) قبائل الجانب الغربي للبحر الميت (بريّة القدس -

الخليل) : بلغ عدد سكان برارى القدس والخليل من البدو المتجولين والمستقرين في عام ١٩٤٥ نحو ٩ آلاف نسمة منهم ٧ آلاف نسمة في برية القدس وألف نسمة في برية الخليل . وتشاهد القبائل العربية التالية من الشمال إلى الجنوب حسب توزيعها الجغرافي في هذه المنطقة الوعرة من المنحدرات الشرقية لمرتفعات القدس ـ الخليل :

عرب السواحرة : وهم يقيمون في الأراضي الواقعة بين مقام النبي موسى في الشمال وعرب ابن عبيد في الجنوب ، وبين جبال القدس * في الغرب والبحر الميت في الشرق . بلغ عددهم في عام ١٩٣١ نحو ١,٥٧٢ نسمة ، وفي عام ١٩٦١ نحو ١,٤١٣ نسمة . وكانوا يتجولون بمواشيهم في هجرات موسمية شتوية إلى الساحل الشمالي الغربي للبحر الميت ، وهجرات صيفية إلى المرتفعات الجبلية في الأطراف الشرقية للقدس وبيت لحم وبيت ساحور* . وقد استقر معظمهم خلال فترة الانتداب البريطاني في قريتي السواحرة الشرقية والسواحرة الغربية المبنيتين من الحجر ، وأخذوا يمارسون حرفا أخرى إضافة إلى حرفة الرعي مثل الزراعة والخدمات وأعمال البناء والإنشاءات في المدن المجاورة . واستفادوا من مياه القدس المتحدرة في وادي قدرون (جهنم) في دير بساتين الأشجار المثمرة على جانبي الوادي .

عرب ابن عبيد : يقيمون في الأراضي الممتدة بين جبال القدس غربا والبحر الميت شرقا ، وتنحصر أراضيهم بين أراضي عرب السواحرة في الشمال وعرب التعامرة في الجنوب . وقدر عددهم في عام ١٩٣٨ بنحو ١,٣٠٥ نسمات ، وفي عام ١٩٦١ بنحو ٨٣٨ نسمة . وأهم مواقعهم على البحر الميت من الشمال إلى الجنوب : عين فشخة ، ورأس فشخة ، وسرابيل ، ونقب الرباعي .

عرب التعامرة : يجمعون بين عرب ابن عبيد في الشمال وعرب الرشايدة في الجنوب . قدر عددهم في عام ١٩٣٨ بنحو ٤,٣٩٦ نسمة . وكانوا يتجولون في الماضي في رحلات موسمية صيفية إلى مرتفعات بيت لحم ، وشتوية إلى الساحل الغربي للبحر الميت . وكانت أهم مواقعهم على ساحل البحر الميت عين الغويبرة ، وعين الترابة ، في حين كانت مواقعهم التي ينزلون فيها للرعي فوق تلال برية القدس هي خشم حترورة إلى الغرب من عين الغوير ، ورأس الدوارة ، والرويكبة ، ومسترق التاج ، وتجربة خريشون . وقد استقر معظم عرب التعامرة منذ أواخر فترة الانتداب في منطقة بيت لحم .

عرب الرشايدة : يقيمون بين عرب التعامرة شمالا وبرية الخليل ـ عرب الكعابنة جنوبا . قدر عددهم في عام ١٩٣٨ بنحو ٢٠٠ نسمة . وكانوا يتجولون حول عين جدي على الساحل الغربي للبحر الميت شتاء ، وفوق قمم المرتفعات الجبلية إلى الغرب صيفا . وقد استقر بعضهم في منطقة الخليل ـ بيت لحم .

عرب الكعابنة : يقيمون في برية الخليل بين الخليل والبحر الميت . ويشتملون على عشيرتي الفرجات والزوبديين . وقد استقر بعضهم في قرى الخليل وحلحول* .

عرب الجهالين : يتجولون في برية الخليل ما بين الخليل والبحر الميت . ويشتملون على عشائر الضراحنك والظلامات والصرايعة والفقرا وبني عياض والرماضين . ويستفيدون من الأودية المتحدرة من جبال الخليل والتقب نحو البحر الميت في الحصول على المياه والأعشاب لرعي مواشيهم . وقد استقر بعضهم في قرى بيطة * والسموع* وبني نعيم * ، وبقي بعضهم الآخر يعيشون على الرعي وتربية المواشي .

(٣) قبائل وادي الأردن الأدنى : تمتد أراضي قبائل وادي الأردن الأدنى ما بين بحيرة طبرية شمالا والبحر الميت جنوبا . ولا يقتصر تجوال القبائل على طول وادي الأردن الأدنى بل يتعدى ذلك إلى المنحدرات الشرقية لجبال نابلس * وإلى سهل مرج ابن عامر المطلة على غور الأردن . وتضم هذه القبائل عرب السواحرة (سواحرة الواد) التي تتجول بين مقام النبي موسى جنوباً وأريحا * شمالا ، وعرب الرياحنة وعيد مريم في منطقة أريحا . وقد استقرت هذه العشائر في قرية النبي موسى وموقع الخان الأحمر وفي أريحا وعين الديوك وعين السلطان ومخيمات اللاجئين حولها ، وكذلك مخيم عقبة جبر .

وهناك عشيرة بني سبلة التي كانت تتجول في المنطقة الواقعة بين غور فصايل شمالا وغور أريحا جنوبا . وقد استقرت هذه العشيرة حول غور فصايل ، وأخذ أفرادها يمارسون حرف الزراعة في وادي الملاحة . أما عشيرة المساعيد فإنها كانت تتجول في غور الأردن الغربي ما بين غور فصايل جنوبا وغور الفارعة شمالا . وقد استقرت في الجزء الأدنى من وادي الفارعة * ، وفي قرية الجفتلك ، وعلى طول أريحا ـ بيسان .

وتضاف قبائل غور بيسان إلى قبائل وادي الأردن الأدنى . وكانت هناك ثلاث قبائل تتقاسم أراضي غور بيسان المتصلة بأراضي غور الأردن ، وهي من الشمال إلى الجنوب : البشاتوة والغزاوية والصقور . وقدر عدد أفراد هذه القبائل معاً بنحو ٦,٥٠٠ نسمة ، ولها ٦٠٠ بيت شعر . وكانت تجول في العهد العثماني بين غور بيسان شمالا وسهل مرج ابن عامر والمرتفعات الجبلية المحيطة به صيفا . وفي العهد البريطاني استقرت هذه القبائل ، وأقامت مضاربها وبيوتها الليتية على طول الطرق الرئيسة ، ولا سيما طريقي سمخ ـ بيسان ـ العفولة وسمخ ـ بيسان ـ أريحا . وإلى جانب تربية المواشي كان

أفراد هذه القبائل يعملون في الزراعة المروية وفي التجارة والخدمات . وقد تعرضت هذه القبائل إلى كثير من الاضطهاد على يد السلطات البريطانية إبان الثورات الفلسطينية . وطردها الصهيونيون من ديارها في عام ١٩٤٨ ، وهاجر معظمها إلى الأردن وسورية .

(٤) قبائل وادي الأردن الأعلى : تنتشر هذه القبائل في قضاءي طبرية وصفد داخل وادي الأردن الأعلى بين الحدود الشمالية الشرقية لفلسطين شمالا وبحيرة طبرية جنوبا . ويوجد بعضها على طول الحافة الشرقية لجبال الجليل المطلة على وادي الأردن . ومن عشائر قضاء طبرية التلالوة والسدور وسرجونه والمدارج والمشارقة والحرانية والكديش والموينحيات والسميري والفحيل . وكان معظم هذه العشائر في العهد العثماني يتجول بين سواحل طبرية شتاء ومرتفعات الجليل الأدنى صيفا . وقد استقر معظمها في العهد البريطاني ، وأخذت تمارس حرفة الزراعة إلى جانب تربية المواشي . وأقامت بعض القرى إلى جانب مضاربها في منطقة الناصرة ، وبخاصة حول جبل طابور وبالقرب من حافات المرتفعات الجبلية للجليل التي تطل على سهول طبرية شرقا وسهل مرج ابن عامر جنوبا . وفي عام ١٩٤٨ هاجر معظم هذه العشائر إلى سورية والأردن بعد أن طردتها سلطة الكيان الصهيوني من فلسطين ، وبقي قليل منها حول جبل طابور (الطور *) في قضاء الناصرة .

وكانت مضارب عشائر المكية والزنغرية والقديرية والسيّاد وزبيد والشمالنة والهيب تمتد بين بحيرتي طبرية والحولة داخل وادي الأردن الأعلى . وقد استقر كثير من هذه العشائر في العهد البريطاني ، وأقامت بعض بيوت اللبن مع مضاربها ، وأخذت تمارس حرفة الزراعة وتربية المواشي وصيد الأسماك . لكن الصهيونيين طردوها من ديارها في عام ١٩٤٨ ، وهاجر معظمها إلى سورية (رَ : إخراج الفلسطينيين من ديارهم) .

وكان سهل الحولة * الشمالي أثناء الانتداب البريطاني يشتمل على ١٢ قرية جميع سكانها من عشيرة الغوارنة الذين سكنوا بيوت الشعر ، واستقروا في ذلك السهل ، وأخذوا يمارسون حرفة الزراعة والرعي والصيد . غير أن سلطة الاحتلال الصهيوني قامت بطرد العشيرة من ديارها في عام ١٩٤٨ ، ودمرت مضاربها ، ثم جففت بحيرة الحولة ومستنقعاتها في أواخر الخمسينات ، وتم لها تغيير المعالم الجغرافية لسهل الحولة (رَ : الحولة ، تجفيف بحيرة) .

هـ ـ النظام القبلي : البدو جزء من المجتمع الفلسطيني الذي يجمع بين سكان المدن وسكان الأرياف وسكان بيوت الشعر (رَ : السكان) . وهيكل النظام القبلي في فلسطين على نوع من العلاقات والروابط الاجتماعية يدور حول وحدة الدم وصلة القربى التي تفرض بعض الحقوق والالتزامات ابتداء من الأسرة وانتهاء بالقبيلة . فالأسرة هي أبناء الرجل وبناته الذين يحملون اللبنة الأولى للمجتمع القبلي في حين تشتمل العشيرة على رهط الرجل وأقاربه الأدنين ، وهي بنت القبيلة ، ويرأسها شيخ مستقل أو شيخ القبيلة العام . أما القبيلة فهي رأس التنظيم الاجتماعي القبلي ، وهي مجتمع اقتصادي وسياسي وإداري وقضائي . وتتألف من جماعات متماسكة يتصفون بالتضامن وبالشعور بروح الجماعة ، ويشتركون في قيم قبلية مشتركة ، وتقع عليهم جميعا مسؤوليات كثيرة منها المحافظة على سلامة الأرض ومواردها من ماء وكلأ ، ثم المحافظة على النظام بين أفراد القبيلة ، وعلى التراث الاجتماعي للقبيلة ، وحفظ صفاء نسلها ما أمكن . ويرأسها شيخ القبيلة ، وهو المصدر الأساسي لمختلف السلطات ، والمرجع الأول في الشؤون القضائية والتنفيذية ، وهو الذي يمثل القبيلة في جميع معاملاتها مع الآخرين فيحدد مواضع الرعي ويقود القبيلة ، ويحفظ الأنساب ، ويقوم بواجب الضيافة ، وهو المسؤول عن الصلة بين القبيلة والحكومة .

وفي النظام القبلي بعض مظاهر الثيوقراطية ، فشيخ القبيلة هو صاحب الأمر والنهي بالرغم من أنه ليس مستبدا تماما . وفي بعض جوانب هذا النظام نوع من الطبقية ، فنظام المشيخة وراثي ، والنسب والمصاهرة من الأمور التي تتجلى فيها الارستقراطية . لكن الروح الديموقراطية لا تنعدم ، فالشيخ يستشير ذوي الرأي في قبيلته ، ولا يحتجب عن أحد .

إن فقر الحياة النباتية في صحراء النقب ووادي الأردن فرض أنواعا معينة من الحيوانات التي يربيها البدو ، فهم يهتمون بتربية الإبل التي تأكل الأعشاب الشوكية في الصحراء ، ويستفاد منها في نقل الأمتعة أثناء التجوال ، وتستغل ألبانها ولحومها وأصوافها في الغذاء والكساء . كما أنهم يهتمون بتربية الأغنام والمعز لأنها ترضى بالكميات القليلة من الأعشاب أو من بقايا المحاصيل الزراعية (رَ : الحيوانات الأليفة) . ويحتم هذا الوضع على البدو رحيلا دائما مع مواشيهم طلبا للكلأ والماء .

وتلاحظ عدة أنماط من الترحل عند بدو فلسطين هي :

١) الارتحال المعادي : وهو يتم في الظروف العادية التي اعتادت عليها كل عشيرة ، وذلك في نطاق العشيرة المكاني المعروف الذي سبق أن طرقته في تراثل زمني بحسب الطاقة الرعوية للأراضي (رَ : الرعي) .

٢) الارتحال الطارىء : يتم عندما تتغير الظروف المناخية في سنوات الجفاف فلا تجد العشائر مناصاً من الهجرة إلى مناطق أخرى بحثا عن الكلأ والماء (رَ : الجفاف) . وفي هذه الحالة لا بد

من دخول مراعي العشائر الأخرى سواء بالطرق السلمية أو بالطرق الحربية . وقد تكون هذه المراعي خارج فلسطين فتضطر العشائر للرحيل إليها في سيناء أو في الجولان أو في جنوب الأردن . وكانت معظم المنازعات والحروب القبلية تنجم عن مثل هذه الهجرات الضرورية . وكثيراً ما كان بدو النقب يتحركون بمواشيهم في سنوات الجفاف نحو الشمال ، ويطلقون هذه المواشي لترعى في الحقول الزراعية حول القرى والمدن .

٣) الارتحال الموسمي (النجعة) : وهو الارتحال الدوري الذي يرتبط أساساً بفصلي الشتاء والصيف ، فترحل العشائر البدوية بمواشيها إلى الجنوب والشرق شتاء ، وإلى الشمال والغرب صيفا . وهناك رحلة الجبل والوادي أيضاً ، إذ تنتقل العشائر بالمواشي صيفا إلى المرتفعات الجبلية في أقصية الخليل وبيت لحم والقدس ورام الله ونابلس وجنين وبيسان والناصرة وصفد لترعى الأعشاب الجبلية وبقايا المحاصيل الزراعية ، ثم تنتقل إلى وادي الأردن في مناطق سهل الحولة وغور بيسان وغور الأردن وغور البحر الميت ووادي عربة شتاء حيث الدفء والماء والكلأ .

هذا بالنسبة إلى البدو الرحل ، أما بالنسبة إلى أشباه البدو والعشائر التي استقرت في المناطق الريفية فإنها ظلت تحافظ على عاداتها في تربية المواشي إلى جانب ممارستها لحرفة الزراعة . وكانت بعض العشائر المستقرة أثناء فترة الانتداب البريطاني تسكن في بيوت موقتة من اللبن تقيمها وسط مزارعها ، وتستعملها أثناء زراعة وجني المحاصيل الزراعية فقط . من جهة ثانية كانت بعض العشائر المستقرة تربي أعداداً من الحيوانات التي تستخدمها للزراعة ، وتستفيد من لحومها وألبانها وأصرافها ، إلى جانب تربيتها أعداداً كبيرة من الأغنام معتمدة في تغذيتها على بقايا المحاصيل الزراعية ، وعلى الأعلاف الزراعية أثناء فصلي الصيف والشتاء ، وعلى الأعشاب الطبيعية في فصل الربيع . وكان الرعاة يتنقلون بهذه الأغنام من المناطق الزراعية في السهول إلى المناطق الرعوية على المنحدرات الجبلية ، ويقضون فصل الربيع بكامله في الرعي ، ويستخدمون الكهوف والمغاور لإيواء الأغنام ليلاً . وبعد الانتهاء من موسم الرعي يعود الرعاة بأغنامهم إلى قراهم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٦٥ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ محمد السيد غلاب : الجغرافيا التاريخية لإقليم النقب ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ أحمد أبو خوصة : بير السبع والحياة البدوية ، ج ١ ، عمان ١٩٧٦ وج ٢ ، عمان ١٩٧٩ .
ـ عارف العارف : القضاء بين البدو ، القدس ١٩٤٩ .
ـ عارف العارف : تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس ١٩٣٤ .
ـ عارف العارف : أحداث رنح وعاقبة البدو بين أهلها (مأساة بدو النقب وتطاع بئر السبع) ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ عبد الجليل الطاهر : البدو والعشائر في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .
— Epstein, E.: Bedouins of the Negeb. **Palestine Exploration Fund Quarterly** 1939.

بدر بن عبد الله الجمالي (٤٠٥ - ٤٨٧هـ / ١٠١٤ - ١٠٩٤م) :

ولقبه الذي شهر به « أمير الجيوش » . أصله من الأرمن ، وعرف بالجمالي لأنه كان مملوكاً لجمال الدين بن عمار الكتامي المتغلب على طرابلس الشام .

تدرج بدر الجمالي في خدمة الفاطميين ، وكان يظهر الطاعة والموالاة للخليفة الفاطمي المستنصر ، وظل مخلصاً له حتى النهاية .

تولى بدر الجمالي ولاية دمشق مرتين : في سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م لمدة عام ، ثم في سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م لمدة عامين . وكانت أحوال الشام مضطربة لأن أهل البلاد كانوا يكرهون الفاطميين ويقاتلون عساكرهم (ز : القاطميون) . فكانت الفتن والثورات لا تنقطع ، وليس من سلطة عليا تحول دون أعمال السلب والنهب . وكان المتغلبون في مختلف الأنحاء يغتصبون الحكم ، مثل ابن حمدان في حلب ، وابن عمار في طرابلس الشام ، وابن أبي عقيل في صور ، وابن حيدرة الكتامي في دمشق . وكانت قبائل البدو بقيادة أمراء بني طيّ، يعيثون فساداً في فلسطين كلها .

وقد حاول بدر الجمالي إصلاح الفساد وتدبير الأمور ، ولكنه اصطدم « بالعسكرية » الذين خربوا قصر الوالي وأضرموا فيه النيران . كما امتد الحريق مرة إلى المسجد الأموي حتى لم يبق منه إلا حيطانه . فاضطر الوالي إلى الهرب ، وتحصن في عكا * وصور حتى استدعاه المستنصر إلى القاهرة سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م .

ولم تكن الحالة في مصر أفضل منها في الشام . فقد ابتليت الديار المصرية بالقحط والغلاء مدة سبع سنين (٤٥٧ - ٤٦٤هـ / ١٠٦٥ - ١٠٧٢م) كما كان قد اجتاحها الطاعون العظيم الذي أودى بحياة خلق كثير (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) .

كذلك قاسى الناس الشدائد من استيلاء ناصر الدولة الحسن بن الحسين الحمداني على الحكم في القاهرة وانفراده بالسلطة حتى صار الخليفة المستنصر كالمحجور عليه .

ولما قتل بعض المماليك الأتراك ناصر الدولة في سنة ٤٦٥هـ

أخذ المستنصر يفكر في المخلصين من رجال دولته لمعالجة الأمر ، فوصفوا له بدراً الجمالي المشهور بالقوة والدهاء ، فاستدعاه من عكا للاستعانة به على مجاوز المحن التي ألمّت بالبلاد .

قال المؤرخون : " إن وصول بدر كان أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه " . وفي الواقع فقد سكنت الفتن بعد أن تولّى بدر الجمالي تدبير الأمور ، وقتل عدداً من كبار الأمراء والمقدمين والأجناد ورؤوس الفتنة ، وكافأه المستنصر على ذلك بأن قلّده "وزارة السيف والقلم ، وجعل له قضاء القضاة والتقدم على الدعاة " .

كان بدر الجمالي يطمح إلى الاستيلاء على بلاد الشام وفلسطين وإعادتها إلى سيادة الفاطميين . لذلك جهز جيشاً إلى دمشق في سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٨م . ولكنه لم يظفر بها إذ كان تملّكها تاج الدولة تتش أخو السلطان السلجوقي ملكشاه . وفي سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م أرسل جيشاً آخر بقيادة نصير الدين الجيوشي فاستولى على صور وصيدا وعكا ، ثم تقدم إلى يعلبك وخطب للمستنصر ، ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها طويلاً .

لم يكتب لجهود بدر الجمالي لاستعادة الشام النجاح لأن دولة الفاطميين التي دبّ إليها الضعف اصطدمت بقوة جديدة عظيمة أقبلت من الشرق هي الدولة السلجوقية (ر : السلجوقيون) .

برهن بدر الجمالي على مهارة سياسية ومقدرة كبيرة في إدارة شؤون مصر خلال وزارته التي استمرت أكثر من عشرين عاماً ، وهي فيها أموالاً طائلة ، وخلف بعض الآثار العمرانية في الإسكندرية وعسقلان .

وقد تزوج المستنصر ابنة بدر الجمالي ورزق منها ولداً سماه أحمد . وهو الذي تولى الخلافة بعد موت المستنصر (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) باسم المستعلي بأمر الله . وقام بتدبير أمره خاله الأفضل شاهنشاه الذي تولى الوزارة بعد موت والده بدر الجمالي .

المراجع :

ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٢هـ .
ـ الذهبي : سير النبلاء ، دمشق ١٩٤١ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

بدر لاما (ـ ١٩٤٨) :

فلسطيني هاجر إلى الأرجنتين ثم عاد مع أخيه إبراهيم إلى بلدهما ، لكنهما يدل العودة إلى فلسطين ذهبا إلى مصر ، واتخذاها موطناً لهما ، واستقرا في الإسكندرية . ويبدو أنهما قد توفرت لهما ثروة طيبة في المهجر فأقاما في دارة رحبة ، وبادرا عام ١٩١٦ إلى تأسيس ناد سينمائي سمّياه « مينا فيلم » قد يكون أول ناد من نوعه في الوطن العربي . وأتبعا النادي بتأسيس شركة إنتاج سينمائي سمياها « كوندور فيلم » ، وعملا معاً عام ١٩٢٣ في إنتاج فيلم « قبلة في الصحراء » الذي صوّراه في صحراء فيكتوريا بضواحي الإسكندرية (ر : السينما) . وقد تولى إبراهيم لاما الإخراج والتصوير ، وأسندت البطولة إلى بدر لاما ، واشترك في الفيلم إبراهيم ذو الفقار وبعض الأجانب المقيمين في الإسكندرية . وفيلم « قبلة في الصحراء » أول فيلم روائي طويل أنتج في مصر وعرض فيها ، رغم أن المؤرخين المصريين يجعلون فيلم « ليلى » من إخراج إستفان روستي وتمثيل عزيزة أمير وأحمد جلال الذي تلا ظهور « قبلة في الصحراء » هو الفيلم المصري الأول بحيّة أن الإنطلاقة الأولى لفيلم « ليلى » في التحضير والتصوير سبقت فيلم الأخوين لاما ، كما أن المنتجة والمخرج والممثلين في فيلم « ليلى » كانوا جميعهم مصريين .

وبسبب نجاح الأخوين لاما أصبحت الإسكندرية منافساً خطيراً للقاهرة إذ هيّأ الأخوان دارتهما على صورة « استديو سينمائي » مجهز بالآلات ، وأقاما فيها مكتب شركتهما ، وأنتجا فيلماً آخر هو « فاجعة فوق الهرم » عام ١٩٢٩ ، وأخرجه إبراهيم لاما أيضاً ، ومثله بدر لاما ورداد عرفي وفاطمة رشدي . ثم أتبعاه بفيلم ثالث « معجزة الحب » عام ١٩٣٠ ، وقد صوراه في الهواء الطلق .

وبعد تركز صناعة السينما في القاهرة ونجاحها انتقل الاخوان لاما إلى القاهرة ، وهناك أوكلت المهمة المنتجة آسيا داغر إلى إبراهيم لاما مهمة تحقيق فيلمها الثاني « وخز الضمير » . وتابع الشقيقان إنتاج أفلام من النوع البدوي الذي بدآه بفيلمهما الأول « قبلة في الصحراء » ، فظهر لهما فيلم « معروف البدوي » وفيلم « الكنز المفقود » . ويعالج الفيلمان التقاليد البدوية من شرف وبسالة وأخذ بالثأر وحب عذري . وقبل إنهما نقلا إلى السينما المصرية طرائق أفلام الغرب الأمريكي (الوسترن) بنغمة شرقية . لكنهما عادا في موسم ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ إلى إنتاج أفلام « دراسية » من مثل « الهارب » و « شيخ المشايخ » . ثم تابعا مسيرتهما خلال فترة الحرب العالمية الثانية فأنتجا عشرة أفلام طويلة .

المراجع :

ـ عبد المنعم سعد : السينما والشباب (كتاب الإذاعة والتلفزيون ٢١) ، القاهرة .
ـ جلال الشرقاوي : تاريخ السينما في الجمهورية العربية المتحدة (بحث) ،

مؤتمر الطفولة المستديرة للسينما والثقافة العربية ، بيروت ١٩٦٢ .
ـ جورج سادول : تاريخ السينما (بالفرنسية) ، سلسلة فرات ، ١٩٦٢ .

البـدو : رَ : البداوة والاستقرار

بِـدْيَة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد ٣٢ كم جنوبي غرب نابلس * . وهي على طريق نابلس ـ يافا المعبدة ، وترتبطها طرق معبدة بقرى ســتة * والزاوية وراقات وكفر الديك وفراوي بني حسّان ومستوبرية وحارس وكفل حارس وغيرها من القرى المجاورة .

نشأت بدية فوق رقعة منبسطة نسبياً من الأرض عـلـى الـرغم من كونها في منطقة جبال نابلس * ، ويراوح ارتفاع أرض بدية بين ٣٠٠ و ٣٥٠م عـن سطح البحر ، وتنحدر أرضها من الشرق إلى الغرب . ويجري إلى الشمال منها بقليل وادي الشلاّلة أحـد روافد وادي أبو عمّار . وفي أراضيها الجنوبية وادي غابين أحـد روافد أبو حمودة .

بنيت بيـوتهـا مـن الحجـر والإسمنت ، واتخـذ خـطـطهـا شكل متوازي الأضلاع ، إذ يخترقها شـارع رئيس معبـد تلتقي معه شوارع فرعية معبدة ، وأزقة البلدة القديمة . وقـد امتدت مباني البلدة القديمة في محورين شرقي وغربي من المباني الحديثة التي تحاذي الطريق الرئيسة الخارجـة من البلدة . وازدادت رقعة بدية من ٤٧ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٢٥٠ في عـام ١٩٨٠ . وللبلدة مجلس قروي يشرف على إدارتها وتنظيم شؤونها وتوفير المرافق والخدمات العامة . ففيها شوارع معبدة وعـدد من المحلات التجارية . وقـد أضيئت شوارعها وبيوتها وعملاتها بالكهرباء . ويشرب سكانها من مياه الأمطار التي تجمع في آبار خاصة لاتقارها إلى الينابيع ، وتعتمد البلدة على بركة لـديّة واسعة تكفي مياهـا لشرب مواشي البلدة . وتشتمل بدية على مسـجدين أحدهما قديم والثاني حديث . وفيهـا مدرسـتان ثـانـويتـان للذكـور والإنـاث ، ومدرسـتان ابتدائيتان ـ إعداديتان للذكور والإناث أيضاً ، وفيها عيادة صحية . وتحتوي بدية على بعض الآثار وتوجد بعض الحرب الأثرية جنوبيها (رَ : الحرب والأماكن الأثـريـة) . وفي جنـوب البلدة ضريحان للشيخ حميدة الرابي والشيخ علي الدجاني من رجال القـرن العاشر الهجري .

تبلغ مساحة أراضي بـدية ١٣,٤٦٦ دونماً ، وتستثمر معظم أراضيها في زراعة الحبوب * والقطاني وأشجار الزيتون * والتـين في حـين تستثمر مساحات قليلة من هـذه الأراضي في زراعة الفـواكه والخضر * الأخرى . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية لنمو المحاصيل الزراعية . وقد قامت صناعة زيت الزيتون بالاعتماد على أشجار الزيتون التي تنتشر في مساحات واسعة حول البلدة ، كما قامت صناعة التين المجفف على أشجار التين .

بلغ عدد سكان بدية في عام ١٩٢٢ نحو ٧٩٢ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٠٢٦ نسـمـة . وقدر عـددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٣٦٠ نسمة ، ووصل حسب تعداد عام ١٩٦١ إلى ٢,٢١٢ نسمة . ويقـدر عـددهم في عـام ١٩٨٠ بنحـو ٦ آلاف نسمة . ويعتمد هؤلاء السكان في معيشتهم على الزراعة والتجارة * وبعض الوظائف ، وعلى العمل في الأقطار العربية النفطية .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة سلفيت .

البـرازيل : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

البـراق (ثـورة ـ) رَ : ثـورة ١٩٢٩

البـراق (لجنـة ـ) رَ : حـائط البراق (لجنة ـ)

البراكيـن :

تعـرضت فلسطين عبر تاريخها الجيولـوجي الطويـل لصدوع وانكسارات في أماكن مختلفة من أراضيها . وتعـد الانكسارات الطولية بمحاذاة وادي الأردن من أهم الانكسارات التي أثـرت في القشـرة الأرضية وسـاهمت في إبعاد ضعف في هـذه القشـرة (رَ : الغور) . وهناك انكسارات مستعرضة تمتد في اتجاهات متعـددة . وقد أدّى ضعف القشرة الناتج عن وجود هذه الانكسارات إلى عدم

استقرار الأرض وتعرضها للحركات التكتونية (رَ : الزلازل) . وقد صاحب ذلك ثورات بركانية في العصور الجيولوجية المختلفة . لكن النشاط الاندفاعي الذي كان فعّالاً في الماضي البعد أصبح منذ بداية عصر الهولوسين (العصر الحديث) خامداً . وتدل آثاره على أماكن توزع البراكين وأزمنة حدوثها .

كانت البراكين نشطة في عصور ما قبل الكمبري والجوراسي والكريتاسي والميوسين والبليوسين والبليوستوسين (رَ : البنية والبناء الجيولوجي) . وقد تميزت الفترة السينومانية والفترة التورونية بنشاط بركاني ملحوظ خلال العصر الكريتاسي . ويمكن القول إن الثوران البركاني نشط خلال مرحلتين هما : مرحلة النشاط البركاني القديم التي حدثت في الميوسين وما قبله ، ومرحلة النشاط البركاني الحديث التي حدثت في البليوستوسين . وفي كل مرحلة كانت البراكين تقذف حممها من الصهورات التي تركت بصماتها على سطح الأرض متمثلة في أشكال كثيرة أهمها المسطحات البازلتية السوداء والينابيع الحارة والفوهات وغيرها .

وأهم المناطق التي تعرضت لنشاط بركاني اندفاعي في العصور الماضية وادي الأردن وجبال الجليل * ونابلس * والنقب * . أما وادي الأردن فإنه تعرض لتكدس الحمم البركانية المندفعة من جانبيه في الجولان * والجليل بصفة خاصة ، فغشيت كتل من البازلت قاعه على شكل تلال أو عتبات أثرت في تكوين الحيرات المائية القديمة التي نشأت داخله من جهة ، وفي مجرى نهر الأردن * من جهة ثانية .

أما في منطقة جبال الجليل فإن الآثار البركانية تتضح في صورة الأغشية البازلتية والجبال المخروطية والينابيع المائية الحارة . وفي منطقة نابلس تنتشر بعض الأغشية البازلتية في أماكن قليلة ، ولا سيما في الجزء الشرقي منها . وفي النقب توجد آثار فوهات بركانية قديمة في قمم بعض الجبال المخروطية ، بالإضافة إلى بعض الأغشية البازلتية القليلة .

المراجع :

— Robinsoe, E.: **Physical Geography of the Holy Land,** Boston 1865.
— Warren, C. and Conder, C.R.: **The Survey of Western Palestine,** London 1884.

بَرْبَرَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ٢١ كم إلى الشمال الشرقي من غزة * . وهي على الجانب الغربي لطريق وخط سكة حديد رفح ـ حيفا بين مدينتي غزة والمجدل * . وتبعد ٥ كم إلى الجنوب من المجدل . وترتبط بالقرى العربية المجاورة لها بطرق فرعية ، وتحيط بها قرى نعليا * في الشمال الغربي ، وابجّا * في الشمال الشرقي ، وبيت جرجا * في الجنوب الشرقي ، وحربيا * في الجنوب الغربي .

نشأت بربرة فوق الأطراف الشرقية لتلال الكثبان الرملية الشاطئية الممتدة بمحاذاة البحر المتوسط . وترتفع نحو ٥٠م عن سطح البحر . وكانت معظم بيوتها مبنية باللبن ومنفصل بينها شوارع ضيقة مليئة بالرمال . وقد عانت بربرة كثيراً من زحف الرمال إليها ، لكنها استطاعت في السنوات الأخيرة من عمرها أن تثبت الرمال بالتوسع في إقامة المباني الكبيرة ، وبزراعة الأشجار المثمرة في الكثبان الرملية ومسطحات الرمال الممتدة إلى الغرب منها . واتخذ توسعها العمراني شكل المحاور الممتدة على طول الطرق المؤدية إلى القرى المجاورة . أما المخطط الأصلي للقرية فإنه يتخذ شكل المستطيل . ويقوم وسط بربرة على قاعدة أرضية رملية منبسطة نسبياً ، ويشتمل على الجامع وبعض الحوانيت ومدرسة القرية الابتدائية التي تأسست عام ١٩٢١ . وقد بلغت مساحة الرقعة المبنية في القرية حتى عام ١٩٤٥ نحو ٧٠ دونماً .

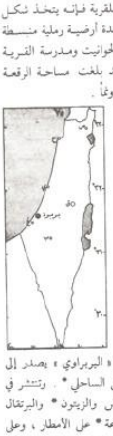

بلغت مساحة أراضيها نحو ١٣,٩٧٨ دونماً منها أربعمائة دونم ودونم للطرق والأودية والسكة الحديدية . ولا يملك اليهوديون فيها أي شبر . وتحيط الأرض الزراعية بالقرية من جميع الجهات ، ومعظمها تربته رملية ، باستثناء الأراضي الممتدة إلى الشرق من خط سكة الحديد حيث تسود التربة الرملية الطينية التي تصلح لزراعة الحبوب . تسود زراعة الأشجار المثمرة في الجهة الغربية من بربرة ، وأهمها العنب * الذي يعد من أجود الأنواع في فلسطين ، وكان العنب « البربراوي » يصدر إلى مختلف المدن والقرى الفلسطينية في السهل الساحلي * . وتنتشر في بربرة أيضا زراعة اللوز والتين والمشمش والزيتون * والبرتقال والجوافة والبطيخ والشمام . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ، وعلى بعض مياه الآبار التي تروي بساتين البرتقال (١٣٢ دونماً) والخضر * . ويراوح عمق آبارها بين ٣٥ و٤٠ م .

بلغ عدد سكان بربرة في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٦٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٥٤٦ نسمة كانوا يقيمون في ٣١٨ بيتاً وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,٤١٠ نسمات . وقد

اشتهر أهل بربرة بنشاطهم وجدهم في الأعمال الزراعية ، واشتهرت النساء بعمل البسط الطويلة المعروفة محلياً باسم « المزاود » .

قاوم سكان بربرة الصهيونيين في عام ١٩٤٨ وانتصروا عليهم في عدة معارك . ثم أُجبروا على مغادرة القرية ، ولجأ معظمهم إلى قطاع غزة . وقد دمّر الصهيونيون القرية وأقاموا في ظاهرها الجنوبي مستعمرة « مفقيم » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة بربر .

برترام ـ يونغ (لجنة ـ) :

كثرت ديون البطريركية الأرثوذكسية في القدس في نهاية الحرب العالمية الأولى بسبب توقف وارداتها من الخارج ، ولا سيما من روسيا . يضاف إلى ذلك أن الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين مزّقها الصراع بين أنصار تبعيتها للكنيسة اليونانية وأنصار منحها الاستقلال عن هذه الكنيسة . ومرور الزمان صارت جمعية الضريح المقدس يونانية تامة تقريباً . بلما كانت الجمعية المذكورة هي التي تعيّن أعضاء المجمع الكنسي المقدّس صارت البطريركية الأرثوذكسية نفسها يونانية في حين كان المؤمنون ورجال الأبرشيات المرتبطون بها من الفلسطينيين الناطقين بالعربية . ولما طالب العرب بقسطهم في إدارة شؤون البطريركية حدثت اضطرابات في عامي ١٨٧٢ و١٩٠٨ . وقد استغلّت الحكومة اليونانية متاعب البطريركية المالية في أيلول ١٩١٩ فعرضت عليها مساعدة شهرية عن طريق المصرف الوطني في اليونان بشرط أن توافق البطريركية على مجموعة جديدة من النظم الداخلية وضعها في أثينا مطرانان يونانيان وعضوان من وزارة الخارجية اليونانية . مال المجمع المقدّس للبطريركية إلى قبول الاقتراح اليوناني فوراً ، ولكن البطريركية وأنصار استقلالها عارضوا ذلك لأن النظم الجديدة ستجعل البطريركية تابعة للحكومة اليونانية . حاول المجمع الكنسي المقدس خلع البطريرك ، ولكن حكومة الانتداب البريطانية تدخلت في كانون الثاني ١٩٢١ بتعيين لجنة تحقيق أولى هي لجنة برترام ـ ليوك لكي تقترح التدابير التي يجب اتخاذها لإعادة النظام في شؤون البطريركية ولتصفية ديونها . ووفقاً لتوصيات لجنة برترام ـ ليوك عينت لجنة ثانية في آب ١٩٢١ لإدارة شؤون البطريركية المالية . وقد سوّى موضوع الديون دون اللجوء إلى القرض اليوناني ، وأعيد السلام موقتاً إلى البطريركية .

ولكن النزاع عاد ثانية بين أنصار تبعية الكنيسة لليونان وأنصار تعريبها في آب ١٩٢٢ حين اختار المجمع الكنسي المقدس في القدس مطراناً للناصرة ممن يتكلمون العربية وفقاً لقانون البطريركية الأرثوذكسية الأساسي الذي أصدرته الدولة العثمانية سنة ١٨٧٥ والذي كان من الضروري بموجبه أن يصرف مطارنة عكا والناصرة اللغة العربية . وفي آذار ١٩٢٥ عينت حكومة الانتداب البريطانية لجنة ثانية هي لجنة برترام ـ يونغ (مؤلفة من السير أنطون برترام *Bertram* ومن ج . و . أ . يونغ *Young*) لتفحص قضية علاقات البطريركية بالجالية الأرثوذكسية في فلسطين واقتراح الخطوات الواجب اتخاذها لتعديل قانون ١٨٧٥ من أجل الوصول إلى علاقة أكثر انسجاماً بين الجانبين .

اقترحت اللجنة في حزيران ١٩٢٥ أن يكون انتخاب المطارنة خاضعاً لاعتراف حكومة الانتداب مثل انتخاب البطريرك . ووضعت اللجنة في تقريرها مشروع قرار يتناول ثلاثة أمور :

١) السماح لرعية البطريركية العرب بمساهمة أكبر في إدارة أمورها المالية .

٢) توسيع المجلس الكنسي المقدس بحيث يضم جميع المطارنة والأساقفة التابعين للبطريرك .

٣) الاشتراط بأن يكون أعضاء جمعية الضريح المقدس والمجمع الكنسي المقدس من المواطنين الفلسطينيين .

وقد اعترفت اللجنة بأن الشرط الثالث لم يكن القصد منه ضمان دخول العرب إلى الجمعية بقدر ما قصد منه ضمان عدم صيرورة الجمعية والمجمع الكنسي والبطريرك خاضعين لدولة أجنبية (أي اليونان) .

لم تشرع هذه التوصيات فوراً بشكل قانون . وقد عاد النزاع مرة أخرى عام ١٩٣١ حول من يخلف البطريرك دميانوس الذي توفي في ١٤ آب من هذا العام . وفي تموز ١٩٣٥ انتخب تيموثيوس للمنصب ، ولكن العرب عارضوا ذلك . ولم يتوصل إلى حل وسط حتى ١٩٣٨ الذي نفذت فيه أكثر مبادىء تقرير برترام ـ يونغ . وقد اعترفت بريطانيا بالبطريرك تيموثيوس في تشرين الأول ١٩٣٩ . وفي تشرين الثاني ١٩٤١ استعيض عن القانون العثماني لسنة ١٨٧٥ بقانون جديد لتنظيم وإدارة البطريركية .

المراجع :

— H. Eugene Bovis.: **The Jerusalem Question, 1917 – 1968.** Stanford Cal. 1974.

— Sir Anton Bertram and J.W.A. Young : **The Orthodox Patriarchate of Jerusalem; Commission's Report on certain Controversies.**

البرج (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في شرق الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * . وتبعد إلى الشمال الغربي من طريق رام الله ـ الرملة مسافة ٣ كم تقريباً ، ويصلها بهذه الطريق درب ضيق . وتصلها دروب ضيقة أخرى بالقرى المجاورة كبيرمعين * وبيت سيرا وصفا وشلتة * وبرفيلية * .

نشأت البرج فوق تلة ترتفع نحو ٣٢٥ م عن سطح البحر ، وهي جزء من الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله المطلة على السهل الساحلي * الأوسط . ومن المرجح أن تكون القرية قد نشأت على أنقاض موقع استرانيجي به برج للمراقبة لأنها تحتوي على آثار برج منهدم وأرض مرصوفة بالفسيفساء تعرف باسم بجيس وقاعة الطنطورة . كانت القرية تتألف من بيوت مبنية من اللّبن وأخرى من الحجر ، واتخذ مخططها التنظيمي شكلاً دائرياً أوشبه دائري . وقد اتسعت القرية تدريجياً في نموها العمراني جهة الجنوب ، ووصلت مساحتها في أواخر عهد الانتداب إلى ١٢ دونماً . ويوجد إلى الشرق من البرج خزان للمياه ، وتأسست مدرستها في عام ١٩٤٨/٤٧ وضمت آنذاك ٣٥ تلميذاً فقط .

بلغت مساحة أراضي البرج ٤,٧٠٨ دونمات منها ٣ دونمات للطرق والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وتزرع فيها مختلف أنواع الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وكان الزيتون * أهم محصول زراعي في القرية ، إذ غرست أشجاره في مساحة ٦٠ دونماً . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ، وهي كافية للزراعة . ويعمل سكان قرية البرج في الزراعة وتربية المواشي .

بلغ عدد سكان البرج في عام ١٩٢٢ نحو ٣٤٤ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٣٧٠ نسمة كانوا يقيمون في ٩٢ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٤٨٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قرية البرج ، وطردوا سكانها ، ودمروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بردس حنّا ـ كركور (مستعمرة ـ) :

تجمع ريفي يضم مستعمرتين صهيونيتين تقعان في الجزء الشمالي من السهل الساحلي * على بعد ٧ كم شمالي شرق الخضيرة * .

تأسست موشاف كركور عام ١٩١٣ على يد جماعة من الصهيونيين الانكليز وصل عددهم عام ١٩٢٩ إلى ٣٠٠ نسمة . ومعظم سكانها اليوم من صهيوني أوربا الشرقية . وكان في مكانها الحالي محطة لرصد النّدى الليلي .

أما موشاف بردس حنا فتأسست عام ١٩٢٩ على يد « جمعية الاستعمار اليهودي * » من أجل توطين مجموعة من العمال الزراعيين . وقد انضم إليهم في الثلاثينات صهيونيون مهاجرون من أوربا الشرقية والوسطى . وامتد عمران الموشافا عام ١٩٣٩ فضمّت إليها مستعمرة مجد المجاورة التي تأسست عام ١٩٣٣ . وقد اتحدت موشافا بردس حنا وموشاف كركور منذ عام ١٩٦٦ .

لا تقل أهمية الموقع الجغرافي لهذا التجمع عن أهمية موقع الخضيرة إذ تتفرع منه طرق المواصلات إلى حيفا * في الشمال ، وتل أبيب * في الجنوب ، والعفولة * في الشمال الشرقي . وترتبط هذا التجمع بالمستعمرات المجاورة طرق معبدة ، ويمر بأطرافه خط سكة حديد تل أبيب ـ حيفا .

موضع تجمع بردس حنا ـ كركور أرض سهلية منبسطة . يجري نهر المفجّر (الخضيرة) في المنطقة الممتدة بينه وبين الخضيرة حيث توجد بعض المستنقعات * . ويعتمد اقتصاد التجمع على الزراعة * المروية وعلى الصناعة * . وأهم الزراعات الحمضيات * التي تجود في الإقليم لخصوبة التربة وتوافر المياه . ولا غرابة إذا كان اسم بردس حنا يعني بيارة حمضيات حنا .

يشتمل مخطط التجمع على شبكة شوارع مستقيمة متعامدة في الغالب . وقد كان لموقعه الهام أثر في سرعة نموه والتحام بردس حنا بكركور . لكن هذا النمو يظل قليلاً إذا ما قورن بسرعة نمو مدينة الخضيرة ، لأن التجمع يقع في ظل الخضيرة ويتبعها إدارياً .

ثم سكان مستعمرة بردیس حنا من ٢,٣٥٠ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٩,٧٠٠ نسمة عام ١٩٦٥ . وتوجد فيها مدرسة زراعية ثانوية . وهي مركز سياحي ومصنا‌عي أيضاً . وفيها مصانع مطاطية وبلاستيكية وصناعة الأزرار والحطب المعاكس وتشميع الحمضيات ومواد البناء .

أما كركور فقد زاد عدد سكانها من ٩٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٣,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٢ . وأصبح عدد سكان المستعمرتين بعد اندماجهما ١٤,٥٠٠ نسمة في عام ١٩٧٣ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ المكتب الإحصائي المركزي لإسرائيل : نشرة السكان والمواقع رقم ٤١ (بالعبرية) ، القدس ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ لوحة الخضيرة .

بَرْطَعَة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع غربي جنين * ، وتبعد نحو ٦ كم إلى الشمال الغربي من يعبد * . وتصلها دروب ممهدة بالقرى المجاورة كيعبد وعرعرة وزبدة ووادي عارة * وقفين * . وقد شطرت بعد عام ١٩٤٨ قسمين : الأول في الضفة الغربية ، والثاني في فلسطين المحتلة . ويعتقد أن تسميتها تعود لوجود ضريح الشيخ برطعة جنوبي شرق البلدة .

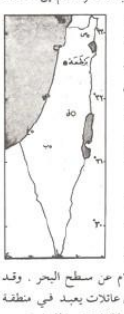

نشأت برطعة فوق رقعة منبسطة من أراضي سهل مرج ابن عامر * الجنوبية الغربية المجاورة لأراضي السهل الساحلي * . وترتفع نحو ٢٠٠م عن سطح البحر . وقد أسسها جماعة من عائلة الفُهَة إحدى عائلات يعبد في منطقة تكسوها الأحراج الطبيعية بغرض الإقامة فيها للعناية برعي المواشي وتربيتها . وتتألف برطعة من بيوت متناثرة مبنية من اللّبن والحجر . ويمر وادي الماء أحد روافد وادي الغراب بوسطها . وقد توسعت البلدة بعد عام ١٩٤٨ وامتد عمرانها جهة الجنوب . وفيها جامع حديث ، ومدرستان : إبتدائية وإعدادية للبنين والبنات ، علاوة على بعض الحوانيت الصغيرة المتفرقة بين البيوت . وتوجد عين برطعة الغزيرة في وادي الماء شرقي البلدة ، ومن أجلها عرفت برطعة باسم « وادي المَيّة » أو « رأس العين » .

تبلغ مساحة أراضي برطعة ٢٠,٤٩٩ دونماً ، وتزرع فيها الحبوب * والقطاني والخضر * . وتشغل الأشجار المثمرة مساحة قليلة من الأرض الزراعية ، وأهم هذه الأشجار الزيتون * واللوز . ويخصص جزء واسع من أراضي برطعة لرعي مواشي السكان . وتعتمد المحاصيل الزراعية والأعشاب على الأمطار ، وعلى مياه بعض الينابيع المحيطة بالبلدة .

كان في برطعة نحو ٤٦٨ نسمة عام ١٩٢٢ ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٦٩٢ نسمة كانوا يقيمون في ٩٤ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٠٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٦١ بلغ مجموع سكان برطعة العرب بقسميها ١,١٦٣ نسمة .

وبلغ عددهم عام ١٩٨٠ نحو ٥,٠٠٠ نسمة نتيجة الهجرة إليها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يعبد .

بَرْفِيلْيَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في شرق الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * . وتبعد إلى الشمال الشرقي من طريق رام الله ـ الرملة مسافة ٧ كم تقريباً ، ويربطها بالطريق درب ضيق . وتربطها دروب أخرى بالقرى المجاورة مثل عتابة * والقبّاب * والكبيسة * وسلبيت * وبيت شنّة * وشلتة * والبرج * وبير معين * .

نشأت برفيلية فوق رقعة متموجة إلى منبسطة في الطرف الشرقي للسهل الساحلي * الأوسط ، بالقرب من الأقدام الغربية لرتفعات رام الله .

وترتفع القرية نحو ٢٣٠م عن سطح البحر . وقامت بيوتها البيّ معظمها باللّبن متلاصقة بعضها مع بعض في خطط مستطيل الشكل ، وتفصل بينها شوارع ضيقة تؤدي إلى الدروب الخارجية . واشتملت برفيلية على بعض الدكاكين وعلى مسجد في

وسط القرية ، بالإضافة إلى مدرستها الابتدائية التي تأسست عام ١٩٤٦ . وتوجد فيها آثار لصهاريج مياه . وإلى الشرق من القرية آثار معاصر منقورة في الصخر مما يدل على شهرة القرية بإنتاج الزيتون وزيته منذ القديم . وقد اتجه نمو برقيلية العمراني في أواخر الانتداب نحو الجنوب الغربي في محور محاذ لدرب عنابة ، ووصلت مساحتها إلى ١٧ دونماً .

مساحة أراضي برقيلية ٧،١٣٤ دونماً منها ٤ دونمات للطرق والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وتزرع في معظم الأراضي المحيطة بالقرية الأشجار المثمرة كالزيتون * والليمون والعنب * والتين . وقد غرست مساحة ١٩١ دونماً بأشجار الزيتون التي تعطي محصولاً جيداً . وتزرع الحبوب * والخضر * الشتوية والصيفية أيضاً ، ومعظمها يعتمد على مياه الأمطار الشتوية التي تهطل بكميات كافية للزراعة .

نما عدد سكان برقيلية بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣١ من ٤٢١ نسمة إلى ٥٤٤ نسمة كانوا يقيمون في ١٣٢ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٣٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون برقيلية ، وطردوا سكانها منها ، ودمّروها .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ لوحة اللد .

بـرقـة :

في فلسطين عدة مواقع اسم كل منها برقة . ومن أشهرها :

أ ـ بُرْقة / غزة (قرية ـ) : قرية عربية تقع على بعد ٤٨ كم شمالي شرق غزة * . ويمر كل من خط سكة حديد رفح ـ حيفا ، وطريق رفح ـ حيفا الرئيسة المعبدة إلى الغرب منها بقليل (٣ كم) . لذا كان موقعها الجغرافي مهماً بالنسبة إلى مرور البضائع والمسافرين بها ما بين جنوب السهل الساحلي * وشماله . وكانت ظهيراً شرقياً لميناء أسدود * قديماً . وهي من القرى العربية الواقعة في الطرف الشمالي لقضاء غزة تحيط بها أراضي قرى أسدود والبطاني * وياصور * .

نشأت برقة فوق بقعة منبسطة من السهل الساحلي الفلسطيني إلى الشرق من نطاق الكثبان الرملية الشاطئية ، ولا تبعد إلا ٤ كم عن شاطىء البحر المتوسط . وترتفع نحو ٤٥م عن سطح البحر ، ويمر بطرفها الجنوبي وادي العسل الذي يرفد نهر صقرير . ومن المرجح أنها قامت على بقعة بلدة بركة اليونانية لاكتشاف بقايا آثار وبئر وصخور منحوتة ، وشقف فخار على وجه أرض القرية (ر : الحرب والأماكن الأثرية) .

كانت برقة قرية صغيرة الساحة تتألف من مجموعة بيوت بُني معظمها من اللَّبن وهي بلا مخطط واضح ، تلاصقت منازلها فلم تترك بينها سوى أزقة . وقد اتسعت مساحتها في أواخر عهد الانتداب حتى أصبحت ٢٢٦ دونماً ، وامتد عمرانها نحو الشمال والشمال الغربي . واشتملت على جامع وبعض الخوانيت الواقعة في وسط القرية . ولم تكن فيها أية مدرسة ، الأمر الذي اضطر أبناء القرية إلى الالتحاق بمدرسة البطاني المجاورة . وتحيط بالقرية أضرحة النبي برق والشيخ محمد والشيخ زرّوق .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة لبرقة نحو ٢٠٦،٥ دونمات، منها ١٣٩ للطرق والأودية ، ويملك الصهيونيون ٢٢٦ دونماً . وتتألف معظم أراضيها من تربة طفلية حمراء تصلح لزراعة الحمضيات * . غرس أهالي برقة في أواخر فترة الانتداب أنواعاً مختلفة من الأشجار المثمرة حول قريتهم ، وكانت الحمضيات أهم هذه الأشجار ، وقد بلغت المساحة المزروعة بها في عام ١٩٤٥ نحو ٦٦٧ دونماً . وتعتمد الزراعة * على الأمطار التي يبلغ متوسط كمياتها السنوية نحو ٤٠٠ مم ، وحفر بعض الأهالي الآبار لري بساتينهم . وكانت أراضي برقة ذات إنتاج عال لحصيها .

بلغ عدد السكان في عام ١٩٢٢ نحو ٤٤٨ نسمة ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ٥٩٣ نسمة ، وكان هؤلاء يقيمون في ١٢٣ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٨٩٠ نسمة . كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسة للسكان ، وزرع الأهالي مختلف أنواع الحبوب * والخضر * والفواكه بما يكفي حاجاتهم المنزلية . وفي عام ١٩٤٨ شرد الصهيونيون سكان برقة ، ودمروا القرية ، وأقاموا مستعمرة « جن يفنه » على أراضيها .

ب ـ بُرْقة / نابلس (بلدة ـ) : بلدة عربية تبعد مسافة ١٨ كم إلى الشمال الغربي من نابلس * ، وهي على الجانب الشرقي لطريق نابلس ـ جنين الرئيسة المعبدة . وتربطها طرق فرعية معبدة بقرى سبسطية * والفندقومية وجمع * وسبلة الظهر * وبزّاريا وبيت إمْرين ونصف حبيل والناقورة .

نشأت برقة على التلال التي تمثل الأقدام الجنوبية الغربية لجبلي أبو يزيد (٧٢٤م) والقبيات (٦٦٨م) . وتبدأ من جنوبها مباشرة الجاري العليا لبعض الأودية الرافدية لوادي الشمالي الذي يتجه نحو طولكرم * باسم وادي البرج . ويراوح ارتفاع برقة بين ٤٥٠ و ٥٠٠م فوق سطح البحر . بنيت معظم بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ مخططها شكلاً قوسياً يسير فيه امتداد البلدة وفقاً لخطوط منحنيات التسوية .

لبرقة مجلس قروي يدير شؤونها ، ويهتم بتوفير المرافق والخدمات العامة كفتح الشوارع وتزويد البيوت بالمياه والكهرباء وغيرها . ويتوسط البلدة شارع رئيس معبد ، يعدّ المركز التجاري ، وتتلاقى معه بعض الشوارع الفرعية المستقيمة التي تربط أطراف البلدة بوسطها . ويوجد في برقة مسجد حديث ، وأربع مدارس للذكور وللإناث في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي . وفيها عيادة صحية وكنيسة تضم مدرسة . وتحتوي برقة على بعض الآثار كالمغاور المنقورة في الصخر . ويوجد في طرفها الشمالي مزار القبيات ، وفي طرفها الشرقي مزار أبو يزيد . وتتزود برقة بالمياه من الينابيع المختلفة الموجودة فيها ، وبخاصة من عين البلد . ولقد اتسعت رقعة البلدة بفعل نموها العمراني ، فازدادت مساحتها من ١٧٣ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٦٠٠ دونم في عام ١٩٨٠ . ويسير نموها في اتجاهين ، أحدهما غربي نحو طريق نابلس ـ جنين ، وثانيهما جنوبي محاذاة الطرق المؤدية إلى قرى سبسطية ونصف جبيل وبيت أمرين .

تبلغ مساحة أراضي برقة ١٨،٤٨٦ دونماً منها ٢٩٤ دونماً للطرق * والسكك الحديدية * والأودية . وتزرع في أراضيها الحبوب والخضر والأشجار المثمرة كالزيتون * واللوز والعنب * والتين والتفاح وغيرها . وتستغل بعض أراضيها في الرعي * . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والينابيع على السواء ، إذ تتوافر الينابيع حول برقة . وفي البلدة بعض المصانع الصغيرة لعصر الزيتون ولمنتجات الألبان .

لما عدد سكان برقة من ١،٦٨٨ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ١،٨٩٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ٢،٥٩٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣،٣٥٢ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٨،٠٠٠ نسمة . ويعتمد سكان برقة في معيشتهم حالياً على الزراعة والتجارة * والخدمات ، ويعمل عدد منهم في أقطار الخليج العربي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ ، ج ٢ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحتا أسدود وطولكرم .

بَرْقُوسِيَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في شمال غرب مدينة الخليل * ، وترتبط طرق ممهدة بكل من قرى بعلين * وتل الصافي * وصميل * ودير الديبان * وتل الترمس * .

نشأت برقوسية فوق رقعة متموجة من الأرض تمثل الأقدام الغربية لجبال الخليل * . وأقيمت على أحد التلال التي ترتفع ٢٠٠ م عن سطح البحر ، وتنحدر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي حيث تجري أودية وطقة وأم المكامير التي ترفد وادي بروسية . بنيت بيوتها من الحجر والطين ، واتخذ مخططها شكلاً خماسيا . مساحة برقوسية صغيرة لا تتجاوز ٣١ دونما . كان عمرانها ينمو ببطء ، وقد امتدت مباني القرية نحو الشمال بصفة عامة على شكل محور صغير يحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية بعلين المجاورة ، وامتدت نحو الجنوب أيضا عندما هاجرت في أواخر عهد الانتداب إحدى « الحمولتين » اللتين كانت القرية تتألف منهما وأقامت مساكنها على مسافة كيلو متر واحد من برقوسية ، وكانت المرافق والخدمات العامة قليلة جداً في برقوسية ، إذ خلت القرية من المدارس ومن الأسواق ، واقتصر الأمر على بعض الدكاكين ، وعلى مسجد صغير . وكان أبناؤها يتعلمون في مدرسة تل الصافي . وهناك بئر محفورة في غرب برقوسية استخدمت مياهها للشرب .

بلغت مساحة أراضي برقوسية ٣،٢١٦ دونما استغل معظمها في زراعة الحبوب * وبعض الأشجار المثمرة . وكانت بعض المساحات تستغل مراعي طبيعية للأغنام والمعز في فصل الربيع . واعتمدت الزراعة * والمراعي على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية .

ارتفع عدد سكان برقوسية من ١٥٨ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ٣٣٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وقد طرد هؤلاء السكان العرب من قريتهم على يد الصهيونيين في عام ١٩٤٨ . وتم تدمير بيوت القرية فأصبحت أطلالا .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

برّقين (بلـدة ـ) :

بلدة عربية تبعد مسافة ٥ كم إلى الغرب من جنين * . وتـرتبط بهـا بطريق معبدة ، وترتبط بالقرى المجاورة بطرق فرعية أو دروب ممهدة .

نشأت برقين فوق رقعة متموجة من الأرض المنبسطة التي تنحدر من الجنوب الشرقي نحو الشمـال الغربي ، وترتفع نحو ٢٥٠ م عن سطح البحـر . تتألف من بيوت مبنية من الحجـر والإسمنت والطوب ، وينحدر غطظها شكلا بيضويا يتبع طوله انحدار الأرض . وقدازدادت مساحة برقين من ٣٦ دونما عام ١٩٤٥ إلى ٢٥٠ دونما عام ١٩٨٠ ، ويسير نموها العمراني في الاتجاهين الجنوبي الشرقي والجنوبي بمحاذاة الطريق المعبدة التي تصل البلدة بطرق جنين ـ قباطية . وتضم برقين بعض المـرافق العامـة ، ففيها ثلاثة مساجد وكنيسة ، وثلاث مدارس للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وفيها محلات تجارية . ويشـرب الأهالي من ماء عين جارية تنبع في الجهة الشرقية من برقين ، بـالإضـافـة إلى اعتمادهم أيضا على جمع مياه الأمطار في آبار خاصة .

تبلغ مساحة أراضي برقين ١٩,٤٤٧ دونما منها ١٥١ دونما للطرق والأودية . وتحيط الأراضي الزراعيـة بـالبلدة من جميـع الجهـات حيث تتـزرع الأشجـار المثمرة والحبـوب * والنطاني والخضر * . وتشغل الأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون * ، أكبر مسـاحة من الأرض الـزراعية للبلدة ، ففي موسم ١٩٤٢/١٩٤٣ بلغت المساحة المخصصة لزراعة الزيتون ٣,٩٣٠ دونما ، وبلغت المساحة المخصصة لأشجار الفواكه ٤٠٨ دونمات ، منها ٢١٥ دونما للّـوز والباقي للمشمش والتين والعنب * وغيـرهـا . وخصصـت لزراعة الحبوب والنطاني مسـاحة ٨,٣٥٠ دونمـا ، ولزراعة الخضر مساحة ٢٧٥ دونما . وتعتمد الـزراعة * عـلى الأمطار إلى جـانب اعتماد بعض المساحات على المياه الجوفيـة . ويعتني الأهالي بتربية الدواجن والمواشي . وقدرت أعدادها في عام ١٩٤١/١٩٤٠ بنحو ٣,٠٠٠ دجـاجـة ، و٩٠٠ رأس غنم ، و٢٠٠ رأس بقـر (رَ : الحيوانات الأليفة) . وقامت عليها صناعة الزبـدة والسمن والجبن وغيرها من منتجات الألبان .

كان في برقين عام ١٩٢٢ نحو ٨٨٣ نسمة ازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٠٨٦ نسمة كانوا يقيمـون في ٢٢٧ بيتا . وقـدر عددهم في عـام ١٩٤٥ بنحـو ١,٥٤٠ نسمة ، وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٢,٠٥٥ نسمة . ويقدر عددهم سنة ١٩٨٠ بنحو ٥,٥٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .

بـــركـــان : رَ : البراكيـن

بـِرْكَـة :

عمد سكان فلسطين عبر مختلف العصور إلى تجميع مياه الأمطار والينابيع في الآبار * والبرك المنحوتة في الصخر للاستفـادة منها في فصل الجفاف * . وقد تهدّم قسم كبير من هذه البرك ، وأعيد ترميم قسم آخر . وكانت مشكلة توفير مياه الشرب لسكان مدينة القدس * حافزا لحفر البرك بالقرب منها ، وهي تعدّ من أهم برك فلسطين . وتقـع بـرك سليمـان جنوب بيت لحم * ، وقـد رممت في عـام ١٨٦٥ م ، وهي ثلاث برك تبعد إحداها عن الأخرى ٤٨ ـ ٤٩ م . ويبلغ طول البركة الأولى ١١٦ م وعرضها في قاعها ٧١,٨م وفي أعلاها ٦٩,٧ م ويصل عمقها إلى ٧,٦ م ، وقد نحت الجزء الأكبر منها في الصخر وتمّ بناء الجزء الآخر . وفي زاويتها الجنوبية الغربية يمتد درج يوصل إلى قاعها . والبركة الثانية ينخفض مستواها ٦ م عن الأولى ، ويبلغ طـولهـا ١٢٩ م وعـرضهـا في الطـرف العلوي ٤٨,٨ م ومـن الأسفل ٧٦م وعمقهـا ١٢ م ، وتصب في زاويتها الشمالية الشرقية قناة ماء تتصل بعين صالح ، وهي محفورة كلها في الصخـر . أما البـركة الثـالثة فطولهـا ١٧٧ م وعـرضهـا من الأعـلى ٤٥ م ومن الأسفل ٦٣ م وعمقهـا ١٥ م ، وينخفض سـطحها عن البركة الثانية ٦ م أيضا . ويوجد درج في زاويتها الشرقية وآخر

في زاويتها الشمالية الشرقية . وتصل قنوات هذه البرك ببرك أخرى كبركة العروب (الخليل) التي يبلغ طولها ٧٣ م وعرضها ٤٩ م ، وبركة بنت السلطان التي يبلغ طولها ٧٤ م وعرضها ٤٥ م . وتصل إلى برك سليمان مياه عين أرطاس الغربية من جبل الفردوس . وتنقل مياه برك سليمان إلى القدس قناتان تمتدان عدة ينابيع .

وفي حارة الحرم في الخليل " بركتان للماء تسمى العليا بركة القزازين ، وكانت مياهها تستعمل في صناعة الزجاج " منذ العصور الوسطى . ويبلغ طولها ٢٦ م ، وعرضها ١٧ م ، بعمق ٨,٥ م. أما البركة السفلى فتسمى بركة السلطان ، وهي مربعة الشكل ، وطول ضلعها ١٠ م .

وتوجد بركة موسى في وادي القلط " غرب أريحا ، وهي مبنية من الحجارة غير المشذبة ، يبلغ طولها ١٧١ م بعرض ١٤٣ م ، وتتصل بعدّة قنوات تتشعب في وادي القلط .

وتوجد بركة قديمة في الرملة " (بركة الجاموس) ، وبركة رومانية في بيت ليد " (فضاء طولكرم) ، ويعتقد أن أعمدة الشوارع الرومانية في سبسطية " قد أخذت منها . وهناك بركتا الشمس والقمر في قرية إبروفين جنوب غرب نابلس " ، وهما بركتان تمثلان الشمس والقمر .

برك سليمان بجبال الخليل

انتشرت حديثاً في غور الأردن " مجموعة كبيرة من برك الماء ترى فيها الأسماك " كسمك سهل الحولة " والحسر وبيسان . وفي سهل عكا أيضا برك " لتربية الأسماك .

المراجع :

— Baedeker. K.,Palaestina und Syrien. Leipzig 1897
— Schick. von C. Die Wasserversorgung der Stadt. Jerusalem 1878.

برنادوت (مشروع —) :

شعرت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أن تسوية تقسيم فلسطين " الصادر عن الجمعية العامة في ١٩٤٧/١١/٢٩ لم يتضمن حلا مقبولا للنزاع العربي ـ الصهيوني بل زاد من حدة الصدامات بين الجانبين المتنازعين ، ومع اقتراب نهاية الانتداب البريطاني واعتزام الحركة الصهيونية إقامة دولتها في فلسطين ازداد توتر الأوضاع فيها ، وخاصة بعدما تصاعدت الصدامات بين العصابات الصهيونية المسلحة والشعب الفلسطيني الذي هبّ للدفاع عن عروبة بلاده . كل ذلك دعا الجمعية العامة إلى أن تنعقد في ثنائي دورة استثنائية لها ، وأن تتخذ عددا من القرارات منها القرار رقم ١٨٦ الصادر بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٤ ومويقضي ، فيما يقضي ، بالآتي :

"تفوّض (الجمعية العامة) وسيطاً تابعاً للأمم المتحدة في فلسطين لختار، لجنة من الجمعية العامة مؤلفة من ممثلي الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ، ويمارس المهام التالية : استعمال مساعيه الحميدة لدى السلطات المحلية والطائفية في فلسطين في سبيل إيجاد تسوية سلمية للوضع المستقبل في فلسطين . . " .

وطلبت الجمعية العامة من الوسيط المقترح أن يرفع تقارير شهرية عن تقدم مهمته ، أو كلما رأى ذلك ضرورياً ، إلى مجلس الأمن والأمين العام لرفعها إلى أعضاء الأمم المتحدة .

وبناء على توصية إجماعية من اللجنة التي عيّنتها الأمم المتحدة اختير الكونت فولك برنادوت من السويد في ١٩٤٨/٥/٢٠ ليكون الوسيط الدولي المطلوب . وهو ، أي برنادوت (١٨٩٥ - ١٩٤٨) ، ضابط سويدي كان يترأس آنذاك لجنة الصليب الأحمر في بلاده . وقد استطاع أن يحقق الهدنة الأولى " في فلسطين في ١٩٤٨/٦/١١ . ثم بدأ ينفذ المهمة التي أوكلتها إليه الأمم المتحدة .

تمكن برنادوت بعد مساع لدى الجانبين العربي والاسرائيلي من الدعوة إلى مفاوضات رودس التي جرت في نهاية عام ١٩٤٨ .

وبعد اتصالات مكثفة بالجانبين توصّل إلى مجموعة من المقترحات حول مستقبل الوضع في فلسطين ، وقد قدمها في ١٩٤٨/٦/٢٧ ، وجاءت فيها النقاط التالية :

١) ينشأ في فلسطين بحدودها التي كانت قائمة أيام الانتداب البريطاني الأصلي عام ١٩٢٢ (وفيها شرق الأردن) اتحاد من عضوين أحدهما عربي والآخر يهودي ، وذلك بعد موافقة الطرفين اللذين يعنيهما الأمر .

٢) تجري مفاوضات يساهم فيها الوسيط لتخطيط الحدود بين العضوين على أساس ما يعرضه هذا الوسيط من مقترحات . وحين يتم الاتفاق على النقط الرئيسة تتولى لجنة خاصة تخطيط الحدود نهائياً .

٣) يعمل الاتحاد على تدعيم المصالح الاقتصادية المشتركة وإدارة المنشآت المشتركة وصيانتها بما في ذلك الضرائب والجمارك ، وكذا الإشراف على المشروعات الإنشائية ، وتنسيق السياسة الخارجية والدفاعية .

٤) يكون للاتحاد مجلس مركزي وغير ذلك من الهيئات اللازمة لتصريف شؤونه حسبما يتفق على ذلك عضوا الاتحاد .

٥) لكل عضو في الاتحاد الإشراف على شؤونه الخاصة بما فيها السياسة الخارجية وفقاً لشروط الاتفاقية العامة للاتحاد .

٦) تكون الهجرة إلى أراضي كل عضو محددة بطاقة ذلك العضو على استيعاب المهاجرين . ولأي عضو بعد عامين من إنشاء الاتحاد الحق في أن يطلب إلى مجلس الاتحاد إعادة النظر في سياسة الهجرة التي يسير عليها العضو الآخر ، ووضع نظام ينصفي والمصالح المشتركة للاتحاد ، وفي إحالة المشكلة ، إذا لزم الأمر ، إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة . ويجب أن يكون قرار هذا المجلس مستندا إلى مبدأ الطاقة الاستيعابية وملزما للعضو الذي تسبب في المشكلة .

٧) كل عضو مسؤول عن حماية الحقوق المدنية وحقوق الأقليات ، على أن تضمن الأمم المتحدة هذه الحقوق .

٨) تقع على عاتق كل عضو مسؤولية حماية الأماكن المقدسة والأبنية والمراكز الدينية ، وضمان الحقوق القائمة في هذا الصدد .

٩) لسكان فلسطين إذا غادروها بسبب الظروف المترتبة على النزاع القائم الحق في العودة إلى بلادهم دون قيد ، واسترجاع ممتلكاتهم .

وقد أتبع برنادوت مقترحاته السابقة بملحق تضمن الآتي :

" بالإشارة إلى الفقرة الثانية من المقترحات يبدو أنه من الأوفق عرض مقترحات تكون أساساً لتخطيط الحدود بين العضوين :

" ١) ضمّ منطقة النقب بأكملها أو جزء منها إلى الأراضي العربية .

" ٢) ضمّ منطقة الجليل الغربي بأكملها أو جزء منها إلى الأراضي اليهودية .

" ٣) إعادة النظر في وضع مدينة يافا .

" ٤) ضم مدينة القدس إلى الأراضي العربية ، ومنح الطائفة اليهودية فيها استقلالاً ذاتيا لإدارة شؤونها ، واتخاذ التدابير اللازمة لحماية الأماكن المقدسة .

" ٥) إنشاء ميناء حر في حيفا ، على أن تشمل منطقة الميناء الحر مصانع تكرير البترول ونهاية خط الأنابيب .

"٦) إنشاء ميناء جوي حر في مطار اللد " .

واقترح برنادوت اتحاد شرقي الأردن وفلسطين آخذا بعين الاعتبار الوضع الجغرافي للقطرين .

رفض العرب ممثلين في الأمين العام لجامعة الدول العربية مقترحات برنادوت ، وفنّدوها . وكان الملك عبد الله من أعنف معارضي هذه المقترحات ، خاصة ما تعلق منها بوحدة أراضي شرقي الأردن وفلسطين في الاتحاد المقترح . كذلك رفضت الهيئة العربية العليا " مقترحات برنادوت ، وقدّمت بدلاً لها ما قُدِّم من مقترحات عربية في مؤتمر لندن لعام ١٩٤٦ " .

بالمقابل رفض زعماء الحركة الصهيونية مقترحات الكونت برنادوت ، وخاصة تلك التي تتعلق بمدينة القدس ومنطقة النقب .

وعلى الصعيد الدولي أيدت بريطانيا والولايات المتحدة مقترحات برنادوت في حين عارضها الاتحاد السوفييتي .

وفي ضوء ما تلقاه برنادوت من ملاحظات وردود على مقترحاته الأولى ، وما لاحظه من مشاهدات عند زيارته لفلسطين ، أعدّ صيغة معدّلة لاقتراحاته عرفت باسم « مشروع برنادوت » بعث به قبل اغتياله إلى الأمين العام للأمم المتحدة . وقد نشر مشروع برنادوت هذا في ١٩٤٨/٩/٢٠ كوثيقة من وثائق الأمم المتحدة . وتتلخص خطوطه العامة فيما يلي :

١) يجب أن يعود السلام العام الشامل إلى ربوع الأراضي المقدسة حتى يمكن إيجاد جو من الهدوء تعود فيه العلاقات الطيبة بين العرب واليهود إلى الوجود . وينبغي على الأمم المتحدة أن تتخذ كل ما من شأنه إيقاف الأعمال العدوانية في فلسطين .

٢) يجب أن يعترف العالم العربي أنه قد أصبح في فلسطين دولة يهودية ذات سيادة تدعى (دولة إسرائيل) وهي تمارس سلطاتها كاملة في جميع الأراضي التي تحتلها .

٣) يجب قيام هذه الدولة الإسرائيلية ضمن الحدود التي نصّ عليها قرار التقسيم مع التعديلات التالية :

(١) تُضم منطقة لُنقب بما فيها مدينتا المجدل *والفالوجة * إلى الأراضي العربية .

(٢) يمتد خط من الفالوجة إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي من اللد * والرملة * اللتين ينبغي أن تخرجا من أراضي الدولة اليهودية .

(٣) تُضم منطقة الجليل برمتها إلى الدولة اليهودية .

٤) ينبغي أن تعين الحدود على أساس الوحدة الجغرافية والجنسية ، على أن تطبق على الطرفين بالتساوي دون تقيد بالحدود التي عينها قرار التقسيم .

٥) تعين الحدود بين الطرفين (رغم أنه لم تبدر أية بادرة لإنشاء دولة عربية في الأراضي التي خصصها لها قرار التقسيم) باتفاق مشترك بين العرب واليهود ، أو عن طريق الأمم المتحدة .

٦) يترك للدول العربية أن تقرر مصير الأراضي العربية في فلسطين بالتشاور مع سكانها .

٧) بالنظر إلى العلاقات الاقتصادية والتاريخية والجغرافية والسياسية بين المنطقة العربية في فلسطين وشرق الأردن فإن هناك من الأسباب القوية ما يشجع على ضم الأراضي إلى شرق الأردن ، على أن تعدّل الحدود المتاخمة للدول العربية الأخرى .

٨) تعلن حيفا بما في ذلك منشآت البترول مرفأ حرًّا ، على أن يُعطى للدول العربية المعنّية منفذ إلى البحر ، وعلى أن تتعهد الدول العربية بضمان استمرار تدفق البترول العربي إليه .

٩) يُعلَن مطار اللد مطارا حرا ، ويُعطى للدول العربية المعنّية منفذ إليه .

١٠) نظرا لما لمدينة القدس * من أهمية دينية ودولية ينبغي وضعها تحت إشراف الأمم المتحدة ، على أن يعطى العرب واليهود فيها أكبر مدى من الإدارة المحلية ، وعلى أن تُضمن حرية العبادة وزيارة الأماكن المقدسة للمراغبين في زيارتها .

١١) يجب أن تؤكد الأمم المتحدة حق الناس الأبرياء الذين شردوا من بيوتهم بسبب الإرهاب الحالي في العودة إلى ديارهم . كما ينبغي أن تدفع تعويضات عن الممتلكات لمن لا يرغب منهم في العودة .

١٢) يجب أن يضمن كل من الطرفين حقوق الأقلية الأخرى التي تسكن منطقته .

١٣) يجب أن تتعهد الأمم المتحدة بضمانات فعالة إزالة مخاوف العرب واليهود كل من الآخر ، وخاصة فيما يتعلق بالحرية والحقوق الإنسانية .

١٤) يجب تعيين مجلس فني من قبل الأمم المتحدة لتعيين الحدود أولا ، ثم لتوثيق العلاقات بين الدولة اليهودية والعرب .

رفضت مقترحات برنادوت المعدّلة الواردة في مشروعه هذا ، كما رفضت مقترحاته الأولى من قبل جميع الأطراف الفلسطينية ، والعربية ، واليهودية . غير أن الرفض الصهيوني كان أعنف بدليل قيام عصابة شتيرن الصهيونية باغتيال برنادوت ومراقب الأمم المتحدة العميد الفرنسي أندريه سيرو جهزارا يوم ١٩٤٨/٩/١٧ ، حتى قبل أن قدم برنادوت مشروعه رسميا . وقام مساعده رالف بانش الأمريكي بتابع مهمته كوسيط دولي ، فأشرف على اتفاقيات الهدنة الدائمة * بين كل من (إسرائيل) من جهة ، ومصر والأردن ولبنان وسورية من جهة أخرى .

لم يكن مشروع برنادوت لإعادة السلام إلى فلسطين حلاً للقضية . ولد تجسّد باتفاقيات موقتة لم يكن لها أي طابع سياسي ، وإنما هي اتفاقيات عسكرية أساسها وقف اطلاق النار ، وهي بالتالي لا تمس حقوق الدول العربية والحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني .

أما بقية مقترحات برنادوت (أو مشروعه) فقد أخذت طريقها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ونوقشت هناك . ويمكن القول إن هذه المقترحات كانت أساسا في إنشاء لجنة التوفيق الدولية * ، كما كانت أساسا في تضمين القرار ١٩٤ (الدورة ٢) الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ فقرة خاصة توجب السماح للفلسطينيين بممارسة حقهم في العودة (ر : العودة ، حق) .

المراجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ عادل مالك : من روسس إلى جنيف ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ صمد عزة مروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .

ـ وثيقة الأمم المتحدة رقم ٦٤٨/أ المتضمنة تقرير الوسيط الدولي

برنامج : ر : بازل ر : بلتمور

برهان الدين (منير ـ) :
ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

بروتوكولات حكماء صهيون :

من أشهر وأخطر المطبوعات المعادية لليهودية . وقد نشرها أولا باللغة الروسية سيرجي نيلوس أحد الموظفين الروس في عام ١٩٠٥ (وهناك إحدى النسخ الأصلية منها في المتحف البريطاني) مدعيا أنه استلم المخطوطة في عام ١٩٠١ من صديق له حصل عليها من امرأة سرقتها من أحد أقطاب الماسونية في فرنسا . وتضم دروساً ألقيت على التلامذة اليهود في باريس بعبارات تقطر سما وحقدا ضد الأغيار (والأغيار هم الغوييم عند اليهود أي الأقوام الأخرى غير اليهود) ، وتضع الخطط للتغلب عليهم والسيطرة على العالم . ومن هنا جاءت فكرة " المؤامرة اليهودية العالمية " التي ارتبط ذكرها بالبروتوكولات . ويكشف الكتاب عن تأثر كاتبه الواضح بالفكر العنصري للقرن التاسع عشر ، ومن ذلك التأكيد على سنن الطبيعة والقوة بدلا من الحق ، وعلى معاداة الثورة الفرنسية ومبادىء الحرية والمساواة والإخاء ، والنيل من مكانة المرأة ومن دور الرأسمال والصناعة الحديثة .

ويؤكد الكاتب أن السياسة لا تخضع للأخلاق ، وأن على اليهود أن يستعملوا الحيلة والدهاء والنفاق ويستغلوا الحربات العامة وإمكانات النقد لتقويض كيان الدول ، ويسعوا لإيقاعها في الحروب على ألا تؤدي هذه الحروب إلى تعديلات في حدود الدول أو الى مكاسب اقليمية ليتمكن رأس المال فقط من الخروج بالغنائم . وينبغي تركيز المنافسة في المجتمع ليجري الجميع نحو بريق الذهب ، ويصبح الدين والسياسة مهرلتين ويسود رأس المال كل شيء .

وقد اكتسح الكتاب ، لعدة سنوات ، الفكر في أوربا حتى قيل : إنه أصبح أكبر كتاب رائج في العالم بعد الكتاب المقدس . كما أنه ترجم إلى العربية وأثر في عقول بعض الناس ردحا من الزمن . ولا شك أن أفكار الكتاب أصابت الأوساط الأوربية المحافظة في الصميم فوجدت فيه تفسيرا لكثير من المظاهر السياسية والاجتماعية والأخلاقية الحديثة التي أرعبتها . ولكن مراسل جريدة التايمس اللندنية في استانبول أعلن في عام ١٩٢١ أن الوثيقة مزورة من أولها إلى آخرها ، فقد عثر على أصلها في كتاب فرنسي جاء به مهاجر روسي اشتراه من ضابط سابق في الأوخرانا (الشرطة السياسية القيصرية) . وكان الكتاب المذكور يحمل مكان النشر في جنيف وتاريخه ١٨٦٤/١٠/١٥ ، ونفد من الأسواق منذ سنين طويلة ، وتضمن هجوماً مستتراً على حكم نابليون الثالث بشكل ٢٥ حواراً بين مونتيسكيو ومكيافيلي ، وعنوان الكتاب : " حوار في الجحيم بين مكيافيلي ومونتيسكيو ، أو سياسة مكيافيلي في القرن التاسع عشر ، بقلم : معاصر " .

وأدى نشر هذا الكتاب إلى سجن المؤلف المحامي موريس جولي . ووجدت نسخة منه في المتحف البريطاني . ولدى مقابلة الكاتبين تبين أن بروتوكولات حكماء صهيون لم تتأثر فقط بالمطبوع الفرنسي ، وإنما تضمنت اقتباسات منه بالنص تقريباً . ويمزيد من التحقيق بدت البروتوكولات وكأنها من أشهر التزويرات السياسية في التاريخ . وقد أسند المؤرخ الروسي فلاديمير برستيف نشرها إلى إيعاز من الشرطة السياسية الروسية للنيل من الحركات الثورية والليبرالية وأفكار الثورة الفرنسية ، ولمّ الشعب حول القيصر والأرستقراطية والكنيسة . ولا شك أن تركيز البروتوكولات على هذه العناصر يؤيد الاتطباع .

وبالنظر للسمعة الشائنة التي اكتسبتها هذه البروتوكولات فقد استفاد الصهيونيون من ذلك بإرجاع أي نقد ضدهم إلى الوقوع في حبائل البروتوكولات . ويعتبر التعامل بالبروتوكولات أو الاستشهاد بها في الغرب الآن دليلاً على معاداة السامية .

وقد لوحظ أن تصرفات الصهيونية (وإسرائيل) جاءت مصداقاً لما أوردته البروتوكولات من أفكار ونوقعات ، ومن ذلك الارتباط الأخطبوطي للكيان الصهيوني بالكيانات اليهودية عبر العالم ، مما يعطي صدى لفكرة الأفعى الرمزية التي يتردد ذكرها في البروتوكولات بجسمها وذنبها الممتد حول العالم ورأسها المستقر في (إسرائيل) . ومنها أيضاً التأكيد على الصحافة وسيطرة اليهود عليها ، واستخدام المال والإعلام والعلم في التأثير على الدول ، والاعتماد على أي أسلوب مهما كان غير اخلاقي كالرشوة والفساد والمرأة والغش والإرهاب ، ومنها أن على الدولة اليهودية ـ كما تقول البروتوكولات ـ أن تعتمد على العنف والرياء ، وعلى اليهود أن يستغلوا الخلافات بين الدول ويسطوا نفوذهم عليها ولا يتركوا اتفاقاً يتم دون أن يكون لهم ضلع فيه .

ولئن لاح كل ذلك لبعض الباحثين دليلاً على دقة الملاحظة والإحساس وسعة النظر مما يمتاز به المزوّرون عموماً فان باحثين آخرين وجدوه برهاناً على صحة البروتوكولات وتطبيقاً محيفاً لوصايا حكماء صهيون في عودة رأس الأفعى إلى القدس (تأسيس إسرائيل) بعد إصابة أوربا بالدمار والخراب . ومما يلفت النظر تزامن الوثيقة مع المؤتمر الصهيوني * الأول .

المراجع :

— The Jewish Peril: **Protocols of the Elders of Zion,** London 1920.
— Cohn, N: **Warrant for Genocide,** London 1961.
— **The Times,** 17 and 18 Aug 1921.

بروكوبيوس القيسراني :

من أعظم المؤرخين في العهد البيزنطي . ولد في مدينة قيسارية * بفلسطين ، ودرس الحقوق هناك ، ونال قسطا كبيرا من الثقافة اليونانية السائدة إذ ذاك . ثم انتقل الى العاصمة القسطنطينية ، واستطاع أن يلفت الأنظار إليه فعيّن سنة ٥٢٧ م أمينا للسر ومستشارا قانونيا للقائد البيزنطي المشهور بليساريوس الذي استصحبه في حملاته الحربية المتعاقبة بين سنة ٥٣٣ م وسنة ٥٤٠ م . وقد عاد بروكوبيوس بعد ذلك إلى القسطنطينية ، وشهد الطاعون الكبير الذي اجتاح العاصمة البيزنطية في سنة ٥٤٢ م فوصف حوادثه بإسهاب . ثم اختاره الامبراطور جستنيان * عضوا في مجلس الشيوخ ، كما تولى رئاسة بلدية العاصمة حوالي سنة ٥٦٢ م .

انصرف بروكوبيوس إلى تدوين وقائع الحروب التي اشترك فيها إلى جانب القائد بليساريوس . وقد أفاض في وصف مزايا هذا القائد وإبراز أعماله الباهرة وبطولاته في حين أهمل شخص الإمبراطور الذي كان يعرف بشدة بخله . وعني بروكوبيوس بشؤون الكنيسة لكنه كان يبدو في كتاباته أحيانا مسيحيا مؤمنا وأحيانا أخرى متحمساً لآلهة اليونان القدماء .

مؤلفات بروكوبيوس الثلاثة :

١) الحروب : نشره سنة ٥٥٠ م . وأرخ فيه للمعارك التي خاضها البيزنطيون مع الفرس ، والاسبلاء على مملكة الفاندال في افريقيا ، وللصراع مع القوطيين في صقلية وإيطاليا .

٢) المباني : ألفه بروكوبيوس بتكليف من الإمبراطور جستنيان لوصف الأبنية التي شيدت في عهده . وقد نشر الكتاب في سنة ٥٦٠ م .

٣) النوادر ، أو التاريخ السري : ويتضمن الفضائح التي لم يذكرها في كتاب الحروب . ولم ينشر بروكوبيوس هذا الكتاب ، بل اكتشف بعد موته ، لأنه خاف نقمة جستنيان .

وقد أبدى بعض الباحثين شكوكهم في أن يكون بروكوبيوس هو الذي كتب المطاعن والانتقادات العنيفة لجستنيان وزوجته تيودورا ، إذ لاحظوا أن مستوى أسلوب « النوادر » هو دون مستوى أسلوب كتاب « الحروب » . ولكن أكثر العلماء يؤكدون النسبة إلى بروكوبيوس قائلين إن الوقت لم يسعفه لإكمال الكتاب وتنقيحه .

يحقق الجميع على أن بروكوبيوس كان يمتاز بالمهارة في ترتيب مواد بحثه ترتيبا منطقيا محكما ، وفي اختيار القصص المثيرة لانتباه القرّاء ، وأنه كان يكتب بلغة يونانية واضحة خالية من الالتواء والتعقيد تكاد لا تقل في فصاحتها عن لغة اليونان الأقدمين .

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن بروكوبيوس كان صادقاً موثوقا في روايته للأحداث التي شاهدها بنفسه ، كما كان دقيقا في معلوماته الجغرافية . ولذلك تعدّ مؤلفاته من المصادر التي لا يستغنى عنها في دراسة عهد جستنيان .

المراجع :

– فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
– ويل ديورانت : قصة الحضارة (مترجم) ، مج ١٤ ، القاهرة ١٩٦٦ .
— Encyclopedia Britannica Micropaedia VIII.

بروكينغز (مشروع —) :

نشر معهد بروكينغز *The Brookings Institution* في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية تقريرا في ثلاث وعشرين صفحة عنوانه «نحو السلام في الشرق الأوسط *Toward Peace in the Middle East*» وذلك في ١٧/١٢/١٩٧٥ . وقد أعد التقرير فريق دراسي مؤلف من ستة عشر اختصاصيا أمريكياً . وأنفقت مؤسسة بروكنغز على إعداده وطبعه . وترأس الفريق روجر و . هيتز ، وضم بين أعضائه مجموعة من أساتذة الجامعات والمؤسسات العلمية المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط منهم مورو بيرغر ، وشارل و . يوست ، وزبينيو بريجنسكي الذي أصبح في مطلع ١٩٧٦ مستشار الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للأمن القومي . وتميز الفريق ، من حيث تشكيله ، باحتوائه بعض الأعضاء المتحدرين من أصل عربي مثل نجيب حلمي وفريد خوري إلى جانب أعضاء يهود . وهي طريق لجأ إليها المعهد كي يثبت بها موضوعيته وتجرده ، ويحاول ، من خلال ذلك ، أن يؤثر على مختلف الأطراف المهتمة بالصراع العربي – الإسرائيلي في الولايات المتحدة .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن لهذا التقرير وأمثاله من التقارير التي تصدرها معاهد ومراكز البحوث والدراسات في الولايات المتحدة سوى قيمة نظرية وشبه أكاديمية .

كتب رئيس المعهد كيرميت غوردن في مقدمة التقرير يقول : " خلال العقود الثلاثة الماضية ازداد اهتمام أمريكا بالصراع العربي – الإسرائيلي وبالشرق الأوسط بكامله ازديادا كبيرا . وبالإضافة إلى ذلك فإن دور أمريكا منذ حرب ١٩٧٣ * ازداد أهمية . وبغية تقييم هذا الدور واقتراح كيفية استخدامه على أفضل وجه دعا معهد بروكينغز في الصيف الماضي مجموعة من الأمريكيين البارزين لدراسة الكيفية التي يمكن للولايات المتحدة أن تساعد بها على إنجاز تسوية عملية ومنصفة وثابتة لهذا الصراع العضال " . وختم المقدمة

بقوله : " يستحق هذا التقرير الذي جاء في الوقت المناسب اهتمام الرأي العام الأمريكي وحكومة الولايات المتحدة على أنه بيان عميق وبناء لفريق من الأمريكيين يعرفون الشرق الأوسط ويريدون لهذه الأمة أن تساعد تلك المنطقة في طريق السلام " .

يبدأ التقرير بالإشارة إلى أحداث العامين اللذين سبقا تاريخ إعداده ، وهي الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة في تشرين الأول ١٩٧٣ وحظر النفط العربي وتأثيره في الغرب (ر : النفط العربي) ، واتفاقية سيناء الثانية بين مصر وإسرائيل * في أيلول ١٩٧٥ . ويبيّن أن هذه الأحداث أوضحت للحكومة والشعب الأمريكيين الدور الكبير الذي يمكن أن تؤديه الولايات المتحدة في بلوغ السلام في الشرق الأوسط ، ردفعت إلى التساؤل عن الطريق التي يمكن بها تحقيق تسوية شاملة ودائمة بين العرب وإلإسرائيليين .

بغية الإجابة عن هذا التساؤل يعالج التقرير موضوع التسوية في خمسة أقسام رئيسة :

أ ـ مصلحة الولايات المتحدة في إقامة سلام دائم في الشرق الأوسط : للولايات المتحدة مصلحة حيوية في إقامة سلام دائم في الشرق الأوسط لأسباب عدة أهمها :

١) أنه اذا لم يتم سلام دائم فان الثورات ستتزايد ، وقد يؤدي ذلك إلى حرب عربية ـ إسرائيلية أخرى قد تنتج عنها مواجهة كبيرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

٢) للولايات المتحدة مصلحة كبيرة في الصداقة مع كلا الطرفين ، أي الدول العربية (وإسرائيل) ، وفي أمنها .

٣) للولايات المتحدة مصلحة قوية في الدفق المستمر لنفط الشرق الأوسط نحوها ونحو حلفائها في الغرب واليابان .

٤) للولايات المتحدة مصلحة كبيرة في التجارة والاستثمار والمواصلات عبر المنطقة بكاملها .

ب ـ ما المطلوب لتحقيق التسوية ؟

١) إن القوة الدافعة نحو التسوية ، وقد كانت شديدة في إثر حرب ١٩٦٧ * ثم ضعفت تدريجياً ، قد أحييت ثانية بعد حرب ١٩٧٣ واستمرت ناشطة أثناء اتفاقية سيناء في أيلول ١٩٧٥ . ومن الضروري الحفاظ على هذه القوة الدافعة لأن أي جمود طويل الأمد وأي فشل في التحرك لعدة أشهر سيزيدان من التوتر ، وقد يؤديان إلى تجدد القتال . وليس من الحكمة والأمان ترك الوضع " يجمّدا " مدة أخرى من الزمن . إن العوائق التي تقف في طريق التسوية قد تصبح أقسى مما كانت عليه ، وإن السياسات المعتدلة والزعماء المعتدلين قد يستبدل بهم من هم أكثر تعنّتا ، وإن أمن جميع الأطراف قد يتعرض للخطر بسبب إخفاق الجميع في التصرف في الوقت المناسب .

٢) إن الشروط الأساسية ملائمة الآن للتسوية أكثر من أي وقت مضى ، وربما أكثر من المستقبل القريب أيضاً " فالدول العربية المجاورة لإسرائيل اعترفت جميعها علنا بها ، واعربت عن استعدادها ضمن شروط محددة جدا للتفاوض حول تسوية دائمة . وهناك علامات مماثلة منذ حرب ١٩٧٣ على استعداد إسرائيلي للتفاوض ، إما حول المزيد من الخطوات الجزئية أو التسوية الشاملة ، بما في ذلك التسوية التي تأخذ المشكلة الفلسطينية في الحسبان " .

٣) منذ حرب ١٩٧٣ والخطوات الجزئية هي الراجحة في عملية السلام . وإذا ما أريد الحفاظ على حركة التفاوض وتجنب الجمود الطويل الأمد فإن مساعي السلام يجب أن تركز على التفاوض حول تسوية شاملة تتضمن خطوات جزئية ضرورية فقط من أجل إقامة استعدادات أساسية لمثل ذلك التفاوض .

٤) " إن القاعدة الرئيسة للتسوية يجب أن تكون الملاءمة المتبادلة التي يتم التفاوض بشأنها والاتفاق عليها ، وهي الملاءمة بين المطلب الإسرائيلي بشأن السلام والأمن والمطلب العربي بالجلاء عن أراض احتلت في ١٩٦٧ وحق تقرير المصير الفلسطيني .

" إن تلبية المطلب الإسرائيلي تتضمن تعهدات ملزمة من الدول العربية بسلام مستقر . وهي تعهدات بالاعتراف بإسرائيل واحترام سيادتها ، وبالامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضدها ، وبالكف عن الأعمال العدوانية الأخرى ضدها ، وتطوير علاقات طبيعية وإقليمية سياسية واقتصادية معها بصورة تدريجية .

" إن تلبية المطلب العربي تتضمن انسحابا إسرائيليا إلى خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ مع تلك التعديلات التي يتفق عليها الطرفان ، ومع تلك الترتيبات الخاصة بالقدس التي يرضيان بها . كما تتضمن تلبية حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بشكل من الأشكال يتوافق مع المتطلبات الإسرائيلية الآنفة الذكر . وتتم تلبية المطلب العربي المتعلق بالأمن بجعل التعهدات المذكورة في هذه الفقرة متبادلة " .

٥) يجب أن يتم تطبيق التعهدات خلال سنوات ، وعلى مراحل تحدد في اتفاقيات السلام . ويتم الانسحاب الإسرائيلي والتحرك العربي باتجاه العلاقات الطبيعية ضمن هذه العملية بشكل تراتُبيّ مسجم . ويجب تشكيل لجان لمتابعة أو متعددة الأطراف لبحث الشكاوى حول عدم تنفيذ بنود الاتفاقيات ، ولإزالة الخلافات التي تظهر أثناء تطبيقها المرحلي .

٦) وهناك مطلب الضمانات والإجراءات والمساعدات الدولية . فمن المرغوب فيه أن يصادق مجلس الأمن على اتفاقيات السلام . وإذا ما تضمنت هذه الاتفاقيات إقامة مناطق محددة من

السلاح فمن المنتظر أن تقدم منظمة الأمم المتحدة قوات لحفظ السلام ، أو مراقبين للإشراف على تلك المناطق .

٧) دلت التجربة على أن من المستبعد أن يكون في قدرة الأطراف في المنطقة أن تتفاوض حول تسوية شاملة دائمة بدون مساعدة ، وهنا يتجلى الدور الأساسي ، وربما الحاسم ، الذي يمكن أن تؤديه القوى الخارجية ، ولا سيما الولايات المتحدة . والتعاون السوفييتي مرغوب فيه كثيراً إلى الحد الذي يراه من أجل قيامه بدور بناء .

جـ - العناصر الأساسية للتسوية :

١) قبول متبادل وعلاقات سليمة : بعد أن يكرر التقرير ما ورد في الفقرة ب/٤ مع بعض التفصيل يؤكد أن الأعمال المحددة المتبادلة بين الأطراف لتحقيق التقدم نحو العلاقات الطبيعية تعتبر جزءاً أساسياً لا غنى عنه في عملية التسوية .

٢) الفلسطينيون : يؤمن الفلسطينيون بأن لهم الحق في تقرير المصير . ركي تكون التسوية السلمية قابلة للحياة والتفاوض والإنجاز " يجب الاعتراف بهذا الحق من حيث المبدأ كجزء من التسوية ، وأن تتم تلبيته على الصعيد العملي . وفي مقابل ذلك على الفلسطينيين أن يعترفوا بالحق ذاته لإسرائيل والأردن ، وأن يعترفوا أيضاً ، بصورة خاصة ، بسيادة إسرائيل ووحدة أراضيها ضمن حدود متفق عليها " ، وأن يقبلوا كل الإجراءات والضمانات التي تتضمنها التسوية السلمية . ومما لا شك فيه أن هذه التسوية لا يمكن أيضا تحقيقها " إلا إذا قبلت إسرائيل مبدأ حق تقرير المصير الفلسطيني . وهناك طرق مقبولة بشكل عام لتطبيق هذا المبدأ عملياً ، إذ يمكن تحقيق ذلك على شكل (١) دولة فلسطينية مستقلة تقبل بتعهدات والتزامات اتفاقيات السلام ، أو (٢) كيان فلسطيني متحد طواعية مع الأردن ولكنه يمارس استقلالاً ذاتيا واسعا " . ويمكن اكمال أي من هذين الشكلين بتعاون اقتصادي وثيق مع (إسرائيل) والأردن قد يتطور إلى سوق مشتركة إقليم أوسع .

وبالإضافة إلى ذلك يشير التقرير إلى أن التسوية السلمية يجب أن تضم بنداً ينص على إعادة توطين أولئك اللاجئين الفلسطينيين الذين يرغبون في العودة إلى أي شكل من أشكال الكيان الفلسطيني الذي يتم إنشاؤه . كما ينص على تعويض معقول عن الأملاك المفقودة سواء للاّجئين العرب من جانب (إسرائيل) أو لليهود الذين كانوا يقيمون في الدول العربية ، وعلى مساعدة اقتصادية للدولة أو الكيان الذي تتمخض عنه ممارسة حق تقرير المصير الفلسطيني تقدمها الدول المجاورة والمجتمع الدولي ابتغاء جعل هذا الكيان قادرا على البقاء والتطور .

تقف هناك مشكلة من سيفاوض بشكل رسمي باسم الفلسطينيين . ففي حين قبلت الدول العربية في مؤتمر القمة العربي في الرباط عام ١٩٧٤ منظمة التحرير الفلسطينية " ممثلة للفلسطينيين وعملت مثلها دول أخرى كثيرة فإن " ادعاء المنظمة تمثيل الفلسطينيين ليس بمنأى عن التحدي " .

ويقول التقرير إن منظمة التحرير الفلسطينية لم تعترف علنا بحق (إسرائيل) في الوجود ، كما أن (إسرائيل) لم تعترف بالمنظمة ولا وافقت على إقامة دولة فلسطينية . "ورغم ذلك يمكن القول بثقة إن حل البعد الفلسطيني للصراع سيتطلب اشتراك ممثلين فلسطينيين موثوقين مستعدين لقبول وجود إسرائيل " .

٣) الحدود : إن المبادىء الأساسية التي تتحكم في القسم الخاص بالأراضي من التسوية يجب أن تكون تلك التي نص عليها قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ ، وهي عدم السماح بكسب الأرض عن طريق الحرب ، و " انسحاب إسرائيل من أراض احتلت في النزاع الأخير " ، أي في حرب ١٩٦٧ ، وحق جميع الدول في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها .

" وفي مقابل إقامة إسرائيل المؤكدة لعلاقات سليمة مع جيرانها ، وفي مقابل إجراءات أمن ملائمة، يتوجب عليها - أي على إسرائيل - أن توافق على الانسحاب إلى خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ مع تلك التعديلات التي يمكن أن تكون مقبولة من الطرفين فقط " .

وفي الشرق الأوسط، كما في أي مكان آخر، تعني الحدود (الآمنة) تلك الحدود التي تعترف بها الأطراف المعنية وتقبلها بكامل حريتها . وما دام طرف أو أكثر يعتقد أن أجزاء من أراضيه ما تزال فيد الضم أو الاستيلاء فإن حدود هذه الأجزاء لن تكون آمنة أبدا .

٤) القدس : إن مشكلة القدس عسيرة الحل . وقد كانت مدار صراع مرير في حربي ١٩٤٨ * و١٩٦٧ . وهي ذات قيمة رمزية رفيعة لدى الطرفين . ولهذا قد يكون من الحكمة أن يترك أمر حل مشكلتها إلى مرحلة متأخرة من مراحل المفاوضات . ومهما كان نوع ذلك الحل فإنه يجب - كحد أدنى - أن يستجيب للشروط التالية :

(١) أن تكون هناك ممرات حرة إلى جميع الأمكنة المقدسة . وأن يكون كل ممر منها واقعا تحت إشراف أهل الملة صاحبة ذلك المكان المقدس .

(٢) ألاّ تكون هناك حواجز تقسم المدينة وتعيق التحرك الحرّ فيها .

(٣) أن يكون لكل فئة ذات أصل وطني واحد في المدينة حكم محلي واسع في المنطقة التي تسود فيها إذا ما رغبت في ذلك .

ويمكن تحقيق جميع هذه الشروط في المدينة :

(١) تحت حكم إسرائيلي يوفر ممرات حرة إلى الأماكن المقدسة .

(٢) أو تحت سيادتين منفصلتين بحيث تقسم المدينة بين (إسرائيل) والدولة العربية مع تحقيق تحرك حر داخل المدينة .

(٣) أو تحت أي شكل من الشكلين السابقين مع سلطة دولية تسود منطقة يتفق على تحديدها ، مثل المدينة القديمة المسوّرة ، مع ممرات حرة إليها من (إسرائيل) ومن الدول العربية .

وفي جميع الأحوال يجب أن تحقق هذه الحلول ، أو أية حلول أخرى ، الشروط الثلاثة المذكورة .

٥) مراحل التنفيذ : إن التسوية الشاملة يجب ان تتضمن ، كجزء لا يتجزأ منها ، مراحل تنفيذ تلك التسوية . كما يجب أن تحدد تلك المراحل بصورة دقيقة في اتفاقيات السلام . ويعتقد أصحاب التقرير أيضاً أن جميع جوانب التسوية يجب أن تصاغ صياغة واضحة في اتفاقية أو اتفاقيات سلام يوقع عليها على أنها « صفقة شاملة » . ويمكن النص على تنفيذ بعض أحكام تلك الاتفاقيات خلال مدة قصيرة بعد التوقيع في حين يتطلب تنفيذ الأحكام الأخرى مدة أطول ربما بلغت عدة سنوات ، وبخاصة تلك الأحكام المتعلقة بخطوات الانسحاب التي يجب أن تتماشى مع تدابير الأمن وخطوات إقامة علاقات سلمية وطبيعية .

إن هذا التنفيذ المرحلي يسمح لكل طرف بأن يتأكد قبل الانتقال إلى المرحلة التالية من أن الطرف الآخر قد نفذ جميع ما التزم به من أحكام تخص المرحلة السابقة . وبهذه الطريقة لا يشعر أي طرف بأنه ملزم بتطبيق أي جزء من الاتفاقية من طرف واحد فقط في حين يكون الطرف الآخر قد أحلّ بتنفيذ التزاماته الخاصة بالمرحلة السابقة .

٦) الإجراءات الوقائية والضمانات والمساعدات : يجب تعزيز اتفاقيات السلام وإكمالها بنطاق واسع من الإجراءات الوقائية والتأكيدات والضمانات والمساعدات ينص على بعضها في اتفاقيات السلام ذاتها ، وتحدد الأخرى في اتفاقيات أو رسائل منفصلة .

وإذا وجد بعض الأطراف أن الضمانات الدولية والاتفاقيات والإجراءات الوقائية التي تم الاتفاق عليها غير كافية للتأكد من عدم خرق أحكام الاتفاقيات فله أن يسعى وراء ضمانات متممة من قوة خارجية أو أكثر .

وستكون الاتفاقيات بحاجة إلى إتمامها بنود بشأن المساعدات الاقتصادية الضرورية التي ستقدمها الدول الغنية إلى دول المنطقة وشعوبها لتعينها على التطور السلمي والاستقرار .

د ـ عملية التفاوض : لقد جربت وسائل عدة منذ عام ١٩٦٧ من أجل تحقيق السلام . أما بعد حرب ١٩٧٣ فقد كان التركيز منصبّاً على الخطوات الجزئية وحدها . وحينما تم التوقيع على اتفاقية سيناء في أيلول ١٩٧٥ نشأت بعض الصعوبات الهامة في طريق سياسة الخطوات الجزئية ، مما جعل عملية التسوية معقدة . يضاف إلى ذلك أن الاتحاد السوفيتي ، وهو الرئيس المشارك لمؤتمر السلام * في جنيف وصاحب المصالح والنفوذ في المنطقة ، أبدى انزعاجه من هذه السياسة . ولقد أصبح واضحا بعد ذلك أنه لا بديل عن عملية التفاوض التي تضم جميع الأطراف في الصراع .

وفي حين تبدو الرغبة في تحقيق التسوية الشاملة واضحة تبدو وسائل تحقيق هذه التسوية غير واضحة . وهنا يبدو أن مؤتمرا عاما يعقد في جنيف ، أو في أي مكان آخر ، ويضم جميع أطراف الصراع ، له فوائده ومضاره ، لكن فوائده حقيقية وأساسية .

هـ ـ دور الولايات المتحدة في عمليات التسوية : دلت تجارب الأعوام الماضية على أن الحكومات العربية والإسرائيلية غير قادرة على التوصل إلى تسوية بدون تشجيع من القوى الكبرى . ويشكل إسهام الاتحاد السوفيتي في تحقيق التسوية الشاملة " عنصرا مساعدا ، وربما أساسيا " . أما الولايات المتحدة فإنها " تتمتع بمقدار من ثقة الأطراف في الجانبين ، وتملك الوسائل لمساعدتها اقتصاديا وعسكريا " . وهي لذلك تبقى " القوة الكبرى الأفضل المهيأة إيجابيا للعمل مع هذه الأطراف لتحقيق التسوية " . ومهما كان الأمر فإن " الولايات المتحدة لا تستطيع فرض التسوية سواء بمفردها أو مع الاتحاد السوفيتي . وليس من الحكمة بالنسبة إليها أيضا أن تحاول وضع مسوّدة مفصلة حول الشكل الذي تعتقد أن التسوية يجب أن تكون عليه ، بل يجب أن تتفاوض الأطراف كلها وتتفق فيما بينها بمبادرتها الخاصة " غير أن هذا لا يعني أن الولايات المتحدة ، وحدها أو مع قوى أخرى ، لا تستطيع في أي وقت من الأوقات تقديم مقترحات تساعد الأطراف المتفاوضة على تذليل الصعوبات التي تواجهها .

البِرْوَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسيرة ٩ كم شرقي مدينة عكا * . وقد قامت أجزاء القرية الشرقية والشمالية والجنوبية على تلة صخرية ، أما القسم الغربي فسهلي .

تجد البروة من الجنوب وادي الخلزون * الذي تصب مياهه في نهر النعامين * . وقد سماها الصليبيون « بروت » ، ومرّ بها الرحالة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

إليه فاراً من ولايته ويوم سهّل له سبيل العودة إليها ، فاكتفى بالمطالبة بحقه .

وهكذا أورث سلوقس خلفاءه مشكلة كبيرة مع البطالمة أدّت إلى سلسلة من الحروب بين الدولتين هي التي تعرف في التاريخ باسم « الحروب السورية » .

وكانت الحرب السورية الأولى أيام بطليموس الثاني (فيلادلفوس) سنة ٢٧٦ ق.م. وقد هزم الملك البطلمي أنطيوخوس الأول السلوقي واستولى على الشاطىء الفينيقي . ثم صالحه .

أما الحرب الثانية فقد كان مسرحها بعيداً عن سورية في غربي آسيا الصغرى . وقد حاول بعدها بطليموس الثاني (فيلادلفوس) أن يقيم علاقات ودية مع الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني (ثيوس) الملك عام ٢٦٢ ق.م.) فزوّجه ابنته على ألا يطالب الملك السلوقي بإقليم جوف سورية . فثبّت فيلادلفوس أقدامه في فلسطين وشرق الأردن وفينيقيا .

اعتلى بطليموس الثالث العرش عام ٢٤٦ ق. م. وتوجه بقواته إلى سورية لمساعدة أخته في صراعها على الملك بعد وفاة زوجها السلوقي أنطيوخوس الثاني . وانتصر الملك البطلمي على السلوقيين وبلغ سلوقية على الدجلة وقدم له حكام الولايات السلوقية الشرقية ولاءهم . ثم عاد إلى مصر . ولمّا حاول الملك السلوقي سلوقس الثاني غزو جوف سورية عام ٢٤٣ ق. م. تصدّى له بطليموس وردّه إلى أنطاكية ، وبقيت فلسطين والشاطىء السوري في قبضة البطالمة .

واشتعلت الحرب السورية الرابعة في عهد بطليموس بعد أن كرر الـ بوئيون * محاولة غزو جوف سورية ، وانتصر الملك البطلمي على قوات السلوقيين بقيادة أنطيوخوس الثالث جنوب مدينة رنج * ، واسترد البطالمة جوف سورية مرة أخرى .

تولى الملك بعد ذلك بطليموس الخامس عام ٢٠٣ ق.م. وكان حدثاً أساء الوصاة عليه إدارة شؤون الدولة فشاعت فيها الاضطرابات والقلاقل ، واقتطعت منها ممتلكاتها الخارجية ، ثم غزا السلوقيون جوف سورية فيما يعرف بالحرب السورية الخامسة ، واستطاعوا بقيادة ملكهم أنطيوخوس الثالث أن ينزلوا بالبطالمة هزيمة حاسمة في معركة بانيون عام ٢٠٠ ق.م. ، ثم استولوا على صيدا وبيت المقدس وبسطوا نفوذهم على فلسطين كلها . وفي عام ١٩٨ ق.م. فقد البطالمة جوف سورية نهائياً .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ إبراهيم نصحي : مصر في عهد البطالمة ، القاهرة ١٩٤٦ .

البَطَاني الشرقي والغربي (قرينا ـ) :

قرينان عربيتان من قرى السهل الساحلي الفلسطيني * تمتد إحداهما عن الأخرى مسافة ٢ كم تقريباً وتقعان إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة * على مسيرة ٥٢ ـ ٥٤ كم ، والبطاني الغربي هي الأبعد عن غزة . تتصل القريتان بدروب ممهدة بقرى ياصور * وأسدود * وبيت داراس * والسوافير * وبرقة * . وتتصل القريتان إحداهما بالأخرى . ويوجد مطار عسكري في الأراضي المنبسطة الواقعة بين البطاني الشرقي وقرية ياصور في الشمال الشرقي .

ترتفع البطاني الغربي نحو ٤٧ م عن سطح البحر في حين ترتفع البطاني الشرقي ٥٠ م ، ويمر بأراضيها وادي المازي أحد روافد وادي صفرير * الذي يصبّ في البحر المتوسط . وقد نشأت القريتان ضيعتين زراعيتين في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان * على رقعة سهلية خصيبة منبسطة . وكانت مادة بناء بيوت القريتين هي اللبن والتراب ، وسقوفها من الخشب والقصب المغطّى بالتراب وطبقة من الطين . والمساكن فيها متلاصقة تفصل بينها حارات وأزقة تنظم مخططاً عمرانياً مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب في البطاني الشرقي ، ومن الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي في البطاني الغربي . ولم يبق المخطط الأول للقريتين على حاله لأن قرية البطاني الشرقي اتسعت وامتد عمرانها غرباً بمحاذاة الدرب الذي يربطها بقرية البطاني الغربي ، مما قصّر المسافة بين القريتين . ولم يتسع عمران البطاني الشرقي نحو الشرق لوجود وادي المازي الذي حال دون ذلك بسبب فيضاناته الشتوية . أما توسع البطاني الغربي فكان في البداية على محورين هما الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي ، ثم تحوّل هذا التوسع ليتخذ محاور عدة على طول الطرق المؤدية إلى القرى المجاورة . وظلّ توسع عمران القريتين مستمراً حتى وصلت مساحة قرية البطاني الغربي في أواخر عهد الانتداب ٣٤ دونماً ، ومساحة قرية البطاني الشرقي ٣٢ دونماً . وضمت كل من القريتين جامعاً ومدرسة وبعض الحوانيت .

أما عدد سكان القريتين فقد نما وتزايد منذ عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٤٥ على النحو التالي :

السنة	١٩٢٢	١٩٣١	١٩٤٥
البطاني الغربي	٥٦٦	٦٦٧	٩٨٠ نسمة
البطاني الشرقي	٣٠٤	٤٢٤	٦٥٠ نسمة

وبلغ عدد بيوت البطاني الغربي ١٤٧ بيتا ، وعدد بيوت البطاني الشرقي ٨٥ بيتاً في إحصاءات عام ١٩٣١ .

مساحة أراضي القريتين ١٠,٣٣٨ دونما . وتبلغ مساحة أراضي البطاني الشرقي وحدها ٥,٧٦٤ دونما منها ١١٤ دونما للطرق و٧٠ دونما يملكها صهيونيو مستعمرة «بيار تيبا» الواقعة على مسافة ٢ كم تقريبا إلى الجنوب من البطاني الشرقي . ويملك أهالي قرية البطاني الغربي ٤,٥٧٤ دونما ، منها ٩٩ دونما للطرق والأودية ، ولا يملك الصهيونيون فيها أي شيء . وتتميز أراضي القريتين بالانبساط وخصب التربة وتوافر مياه الأمطار والمياه الجوفية . وتسمح الآبار * المنتشرة بريّ بساتين الخضر * والخمضيات * وتؤمّن حاجة السكان من مياه الشرب والاستعمالات المنزلية وسقاية المواشي . وقد اهتم سكان القريتين بزراعة الخمضيات والأشجار المثمرة إلى جانب زراعة الحبوب * والمحاصيل الزراعية الغذائية الأساسية . وبلغت مساحة الأرض المخصصة لغرس أشجار الخمضيات في البطاني الشرقي قرابة ٣١٩ دونما ، وأقل من ذلك في أراضي البطاني الغربي . ويسرّي أهالي القريتين المواشي والدواجن (ر : الحيوانات الأليفة) .

في عام ١٩٤٨ تعرّضت القريتان للعدوان الصهيوني وتشتت أهلها ودمرت تدميرا كاملا ، وأقيمت على أراضي البطاني الشرقي مستعمرة « أورت » ، وأقيمت على أراضي البطاني الغربي مستعمرة « عزريقام » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .

بطحيش : ر : أحمد بن بكر بن أحمد بن محمد

بطـــرس :

قديس له المقام الأول في الكنيسة . تذكر الأناجيل أن اسمه سمعان ، وقد لقبه المسيح بلقب « كيفا » أي صخر . وبطرس مذكر كلمة صخر في اليونانية ، ويرمز اللقب إلى الصمود والأمانة .

كان بطرس صيّاد سمك من بيت صيدا في الشمال الشرقي من بحيرة طبرية * ، وكان يسكن كفر ناحوم * وهو من أول من اختارهم المسيح رسلاً (ر : المسيحية) . واسمه في طليعة أسماء الرسل ، وفي طليعة الرسل الثلاثة الذين لازموا المسيح في بعض

كنيسة القديس بطرس على تلة طبرية

الأحداث الإنجيلية . وكان المسيح يسكن بيته عادة حين ينزل كفر ناحوم . وكان بطرس لسان حال الرسل .

وفي الأناجيل الثلاثة نصوص تبين المقام الفريد الذي خص به المسيح بطرس بين الرسل وفي الكنيسة :

١) متّى ١٦ : ١٣ـ ٢٣ : أجاب يسوع بطرس : "أنت صخر ، وعلى هذا الصخر سابني كنيستي ، فلن تقوى عليها أبواب الجحيم . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فما ربطت في الأرض ربط في السماوات ، وما حللت في الأرض حلّ في السماوات " .

٢) لوقا ٢٢ : ٣١ ـ ٣٢ : قال يسوع لبطرس : " سمعان سمعان دعوت لك ألاّ تفقد إيمانك . وأنت ثبّت إخوانك متى اهتديت " .

٣) يوحنا ٢١ : ١٥ ـ ٢٤ : قال يسوع لسمعان بطرس : " يا سمعان ابن يونا ارع غنمي . . . ارع خرافي . . " .

ويُري سفر أعمال الرسل « بطرس بعد صعود المسيح ، على رأس الجماعة يختار متيا يبدل يهوذا ، ويخطب في الجموع باسم الرسل ، ويدعوهم إلى العماد ، ويقبل الوثنيين في الكنيسة (أعمال ١٠ ، ١١ : ١ ـ ١٨) ، ويتفقد حال الكنائس في كل مكان . ولمّا قبض عليه كانت الصلاة ترتفع من أجله . ولمّا اهتدى القديس بولس ذهب ليراه . حتى عتاب بولس لبطرس في أنطاكية فإنه

يقصد شخصا مسؤولا في الكنيسة كلها (غلاطية ٢: ١١ - ١٤) .

وقد يكون بطرس بشّر بعض ولايات آسية (تركيا) . ثم جاء من قورنتس إلى رومة حيث قضى القسم الاخير من حياته وأسّسا كنيسة رومة ومات مصلوباً . ودفن في حدائق الفاتيكان أيام نيرون نحو سنة ٦٧ م . وقيل إن المسيحيين في رومة نصحوا له بأن يهرب ، غير أنه ، كما يقولون ، رأى السيد المسيح داخلا رومة يحمل الصليب فقال له : إلى أين يا سيّد ؟ فأجابه إلى رومية حيث أصلب ثانية . قيل : فتوبخ بطرس واستشهد مصلوبا . وتبيّن أقدم الآثار الكتابية والدلائل الأثرية مقام كنيسة رومة حيث قبر الرسول بطرس ، ومقام أسقف رومة خليفة بطرس ، في الكنيسة جماء .

ولي العهد الجديد رسالتان على اسم القديس بطرس . وتحتفل الكنيسة بعيده كل سنة في التاسع والعشرين من حزيران .

المراجع :

ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ العهد الجديد : الأناجيل الأربعة ، أعمال الرسل ، رسائل القديس بولس ، رسالتا القديس بطرس .
— Daniel Rops: **L'Eglise des Apotres et des Martyrs**, Paris 1948.
— Goyau. G.: **Saint Pierre**, Paris 1923.
— Lebreton. J. and Zeiller. J.: **L'Eglise Primitive**, Paris 1946.

بطريركيـــة : رَ : القدس (بطريركية ـ)

البَـطُّوف (سهل ـ) :

منخفض منبسط من الأرض يقع إلى الشمال من مـدينة الناصرة * وجبالها ، ويمتد على محور شمالي شرقي ـ جنوبي غربي . للمنخفض شكل قريب من المستطيل طوله نحو ١٧ كم ، ويتراوح عرضه بين ٢,٥ و٤ كم ، وتقدر مساحته بنحو ٤٥ كم٢ .

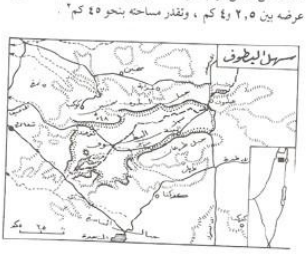

تشرف المرتفعات على السهل من جميع أطرافه ، وتكاد تمنع تصريف المياه منه وتحيله إلى حوض مغلق لولا الفتحة الوحيدة الضيقة في أقصى زاويته الجنوبية الغربية التي تربط بين السهل ووادي صفورية أحد روافد نهر القطّم * . والسهل محصور بين مرتفعات جبل البطوف ـ سخنين الذي ترتقي أعلى قممه إلى ٥٤٨ م عن سطح البحر من جهة الشمال ، وجبل طرعان من جهة الجنوب ، وله الارتفاع نفسه . أما السهل فيراوح ارتفاع سطحه بين ١٥٠ و٢٠٠ م وينخفض باتجاه الوسط والجنوب الغربي ويرتفع باتجاه الأطراف والشمال الشرقي والشرق . وهكذا فإن المرتفعات المحيطة به تعلو فوق أرضه بما بين ٣٠٠ ـ ٣٥٠ م بسفوح شديدة الانحدار نسبيا .

وسهل البطوف واحد من الحفر والأحواض البنائية (التكتونية) المنتشرة في منطقة الجليل الأدنى ، وهي حفر ذات محور شرقي ـ غربي سائد تفصل بينها سلاسل جبلية طولية لها المحور نفسه تقريبا . (رَ : الجليل ، جبال) . ويتفق محور سهل البطوف مع محور خطوط الصدوع (الانكسارات) التي حددت أطراف السهل وأدّت إلى نهوض الجبال حوله وسببت انخفاضه . ومما يزيد التباين بين السهل والجبال امتلاء أرض السهل بالترسبات اللحقية ومخروطات السيول العالية للفترة الرباعية الحديثة ، وسيادة الصخور الكلسية ـ الدولومتية العائدة للكريتاسي (السينومالي ـ التورونيّ) في الجبال (رَ : البنية والبناء الجيولوجي) . ولما كانت كمية الأمطار السنوية للمنطقة تراوح بين ٥٠٠ و٦٠٠ مم فإن إمكانية الزراعة في هذا السهل الخصب كبيرة ، وقد استفاد منها الإنسان منذ القدم .

استغل الصهيونيون هذه المواصفات الطبيعية في سياستهم الاستيطانية للأرض العربية فمدّوا أقنية المياه المأخوذة من بحيرة طبرية * عبر السهل ، وأنشأوا خزانا للمياه في النهاية الجنوبية الغربية للسهل يغذّي شبكة الأقنية المائية في السهل الساحلي ووسط (إسرائيل) وجنوبها . ونظراً لخصب السهل وتوفر المياه ازدهرت فيه زراعة الحبوب * والخضر * ، واهتم سكان القرى المحيطة به بغرس الأشجار المثمرة ، وتربية الحيوانات خارج نطاق المساحات التي كانت تغرقها مياه الفيضان .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ لوحات صفد ، والناصرة ، وحيفا ، ومرج ابن عامر .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١: ٢٥٠,٠٠٠ .

البُطَيْمات (قرية ــ) :

البطم شجر حرجي ينمو في فلسطين بكثرة ، وقد نسبت إليه قرية البطيمات .

تقع هذه القرية العربية في جنوب شرق حيفا * وتبعد عنها نحو ٣٤ كم عن طريق الكفرين ـ مرج ابن عامر . ومن هذه المسافة ٢١ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى و٦ كم طريق معبدة من الدرجة الثانية و٧ كم غير معبدة .

أنشئت البطيمات في جبل الكرمل * على ارتفاع ١٩٥ م عن سطح البحر فوق سفح يطل نحو الغرب على واد صغير يرفد وادي الجزر الذي يمر بشمالها ، ثم يلتقي بوادي القحصور ليكوّنا معا واديا يرفد وادي عين حمد الذي ينصب في وادي الغدران أحد الروافد العليا لنهر الزرقاء * . ويبدأ وادي حسن العلي من جنوب القرية . أما وادي الجرف فهو الحد الفاصل بين أراضيها وأراضي قرية معاوية الواقعة جنوبيّها ، وكلا الواديين يرفد وادي الراح الذي يرفد بدوره نهر الزرقاء . ومن ينابيع القرية عين الأفندي في طرف القرية الغربي ، وعين الجزّار في شمالها ، وعين وادي حمد في شمالها أيضاً . وعين البسنان ، وعين الجهمة في جنوبها ، وعين العرايس في شمالها الغربي (رَ : عيون الماء) .

الشكل العام للقرية شريطي يمتد من الشرق نحو الغرب . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٢٩ مسكنا بنيت من الحجارة والإسمنت أو الحجارة والطين ، وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ٤ دونمات ، وهي بذلك أصغر قرى قضاء حيفا مساحة . أما أراضيها فقد بلغت في العام نفسه ٨,٥٥٧ دونما استملك الصهيونيون ٤,٧٢٤ دونما منها ، أي قرابة ٥٥٪ .

كان في البطيمات ١١٢ نسمة من العرب في عام ١٩٣١ ، وأصبح عددهم ١١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ ، وبذلك كانت أقل قرى قضاء حيفا سكانا .

ضمت القرية جامعا ، ولم يكن فيها خدمات أخرى . واعتمد السكان على مياه الينابيع ، وخاصة عين الأفندي ، في الشرب والأغراض المنزلية .

نعم اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم الزروعات الحبوب * بأنواعها . وفي موسم ١٩٤٣/٤٢ الزراعي كان في القرية ١١٢ دونما مزروعة بالزيتون * المثمر .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٢٥,٠٠٠ ، لوحتا راعي وأم الفحم .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة مجدو .

البعثة الصهيونية إلى فلسطين :

رَ : المكتب العربي ـ البريطاني

بِـمْلِيـن (قرية ــ) :

قرية عربية تقع في أقصى الشمال الشرقي من قضاء غزة . وتبعد مسافة ٥١ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من غزة * . وهي قريبة من قرية برقوسية * بقضاء الخليل . ويرجح أن بملين تحريف لكلمة « بملم » جمع « بمل » أحد آلهة الكنعانيين .

قامت بملين على بقعة قريبة « بملوت» الكنعانية التي ترتفع ١٥٠ م عن سطح البحر في منطقة ذات أراض متموجة هي في الحقيقة الأقدام الغربية لجبال الخليل * . وقد فرضت عليها طبيعة الأرض الجبلية وقلة الطرق نوعاً من العزلة . يكفي نصيبها من الأمطار لنمو مراع طبيعية غنية ، وقيام زراعة ناجحة ، لأنها في موضع يواجه الرياح المطيرة .

كانت بملين تتألف من عدد قليل من البيوت المبنية بالطين والحجر معاً . لذا كانت مساحتها صغيرة لا تتجاوز ٦ دونمات . وهي قرية ذات خطط عشوائي ، ويتجمع فيها نحو ٥٠ بيتاً في شكل اندماجي ، وتتخللها بعض الأزقة الضيقة المتعرجة . وكان في القرية بئران يراوح عمقهما بين ٤٠ و٥٥م ، ويعتمد عليهما الأهالي في الحصول على مياه الشرب . واشتملت بملين على مدرسة ابتدائية أسست منذ عام ١٩٣٧ ، وفيها أيضاً بعض الدكاكين .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لبملين نحو ٨,٠٣٦ دونماً منها ١٥٤ دونماً للطرق والأودية ، وقد امتلك الصهيونيون منها ٢٩٤

درعماً . استغلت هذه الأراضي في زراعة الحبوب * والأشجار المثمرة كالتين والعنب * واللوز وغيرها . وتسود الزراعة * البعلة المعتمدة على مياه الأمطار . وقد استغل قسم من أراضي القرية في رعي المواشي ، وبخاصة الأغنام والمعز ، وكان السكان يشتغلون ببعض الصناعات المنزلية الحقيقية كمنتجات الألبان والصوف والشعر .

تطور نمو سكان بعلين من ١٠١ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٢٧ نسمة عام ١٩٣١ . وكان سكانها آنذاك يقيمون في ٣٢ بيتاً ، وقدر عدد سكان بعلين في عام ١٩٤٥ بنحو ١٨٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ تعرضت بعلين للعدوان الصهيوني ، وطرد سكانها منها ، وتم تدميرها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

بغداد (حلف ـ) :

يمكن تحديد بداية حلف بغداد الذي أصبح يعرف فيما بعد بحلف المعاهدة المركزية (السنتو) في ١٩٥٥/٢/٢٤ عندما عقدت تركيا والعراق ميثاقاً دفاعياً بينهما . وبموجب المادة الخامسة من هذه المعاهدة ترك باب العضوية مفتوحاً أمام الدول الأخرى التي ترغب في الانضمام إليها والتي يعنيها الدفاع عن السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط من (الخطر الشيوعي) .

تلا هذه المعاهدة انضمام بريطانيا إليها في نيسان ١٩٥٥ فالباكستان في تموز ١٩٥٥ ثم إيران في تشرين الثاني ١٩٥٥ . وقد فشلت مساعي نوري السعيد رئيس وزراء العراق آنذاك بإقناع عدد من الدول العربية (وبالذات مصر وسورية) بالانضمام إلى الحلف لاقتناع هذه الدول بأن مصدر الخطر الحقيقي على المنطقة يتأتى من (إسرائيل) وحلفائها الذين انتسب بعضهم إلى الحلف أو أيدوه ، وليس من الاتحاد السوفييتي الذي بدأ يصبح المزود الوحيد لمصر وسورية بالسلاح والعتاد والذي أليم الحلف واقعياً لمواجهته دون سواه .

لم تنضم حكومة الولايات المتحدة إلى الحلف بصورة كاملة رغم أن دورها في التحريض على إنشائه جلي بيّن ، بل قصرت مشاركتها على الانضمام إلى عضوية بعض لجانه ومنها لجنة مكافحة النشاط الهدام واللجنتان الاقتصادية والعسكرية ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٩ . وبعد ثورة العراق وانسحابه منه في آذار ١٩٥٩ أصبحت الولايات المتحدة عضواً كامل العضوية في حلف المعاهدة المركزية .

يرى بعض المحللين بحق أن المدوافع التي أملت على الدول الغربية أن تتبنى هذا المشروع ترتبط بالقيمة الاستراتيجية الهائلة لمنطقة الشرق الأوسط من الناحية العسكرية باعتبارها متاخمة للاتحاد السوفييتي ، ومن الناحية الاقتصادية باعتبارها مركز أكبر احتياطيات معروفة من النفط في العالم . بل ويذهب نفر من هؤلاء إلى أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة أرادت من الحلف أن يؤدي إلى " صرف أنظار العراق بعيداً عن فلسطين ويحمل الإسرائيليين يعيشون في أمن ودعة " .

غير أن العراق كما أسلفنا سرعان ما انسحب بعد ثورة ١٩٥٨ من الحلف . وفي عام ١٩٧٩ انسحبت منه إيران ثم الباكستان ثم تركيا وأصبح الحلف أثراً بعد عين .

المرجع :

ـ محمد عزيز شكري : الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية ، الكويت ١٩٧٨ .

البقول : ر : الحبوب

البُقَيْعَة (سهل ـ) :

من تضاريس منطقة نابلس . ويقع إلى شرقي الشمال الشرقي لمدينة نابلس * على مسافة خطية لا تتجاوز ١٨ كم ، وإلى الجنوب الشرقي من بلدتي طوباس * وطمون * . وهو سهل صغير نسبياً ، متطاول على محور شمالي غربي ـ جنوبي شرقي مفتوح على غور نهر الأردن من جهة الجنوب الشرقي حيث يخرج منه وادي دورا الذي يعرف ضمن السهل بوادي البقيعة أيضاً في حين يكتسب مجراه الأدنى بعد خروجه من السهل اسم وادي أبو سدرة . ويقدر طول السهل بنحو ٨,٥ كم ومتوسط عرضه ٢,٥ ـ ٣كم ، وتقع أجزاؤه الشمالية الغربية على علو ١٨٠ ـ ١٩٠ م عن سطح البحر ، في حين تنخفض نهايته حتى ٢٠ ـ ٢٥م عن سطح البحر أيضاً . وتطوق السهل من جهاته الجنوبية والغربية والشمالية مرتفعات جبلية هي ألسنة وامتدادات منبثقة من جبال نابلس * وسفوحها الشرقية المطلة على غور نهر الأردن ، وأهمها جبل طمون المرتفع جنوبي وجنوبي غرب السهل حتى ٥٤٧م ، في حين ترتفع قمة المويرة شمالي السهل حتى ٣٠٨م عن سطح البحر . وتعد قمة رأس جديرة شمالي غرب السهل إلى علو ٧١٢م .

أما تركيب السهل من الناحية الجيولوجية فهو غطاء رقيق من التربة الموضعية والمنقولة على أرضية من الصخور الكلسية والحوارية ـ المارنية ـ والدلوميتية العائدة للحقبة الثانية . والسهل خال من

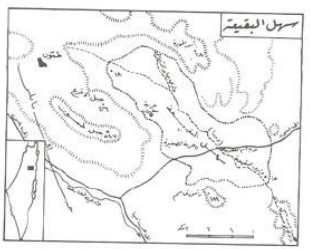

الصدوع والانكسارات ، لكن صوره العام متأثر بوادي الفارعة * الانهدامي الذي يساير السهل من جهة الجنوب . ويحتل السهل الجناح الشرقي لسنام البقيعة الانتواتي . ولما كانت كميات الأمطار السنوية في السهل منخفضة نسبياً وتتراوح بين ٢٥٠ و ٤٥٠ مم فإن الجريان السطحي قليل ومقتصر على السيول الشتوية والفيضانات التي تهبط من الجبال والمرتفعات المحيطة بالسهل وتنتهي في وادي دورا الذي يصب آخر الأمر في نهر الأردن * . وإذا استثنيت بعض الآبار المحفورة عند الهوامش الجنوبية الغربية من السهل فليس فيه ينابيع أو عيون تساعد على قيام نشاط اقتصادي زراعي كبير . لذلك تتعدم في السهل التجمعات الريفية والقرى ، وتنتشر على المرتفعات الغربية منه ، وأهمها وأقربها إلى السهل بلدة طمون . وفي السهل وأطرافه عدد من الخرب المهجورة منها خربة عطوف وخربة الصغيرة وخربة أم القطن ، وهي تدل على استغلال سابق للسهل في الزراعة البعلية والرعي * (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . أما اليوم فستغل بعض أجزاء السهل في زراعة الحبوب " بعلاً ، وفي الاستفادة من الغطاء العشبي في رعي المواشي ، ولا سيما الأغنام .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة نابلس .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

البكر (عملية ـ) : رَ : جيش التحرير الفلسطيني

أبو بكر الأصولي : رَ : محمد بن أبي اللطف الحصكفي

أبو بكر البنّاء المقدسي :

هو من أهل بيت المقدس ، ومن رجال أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . عاصر حكم ابن طولون في مصر والشام (٢٥٤هـ ـ ٢٧٠هـ)وكان من المهندسين المعماريين . ولا يتوافر عنه من المعلومات ما يكفي للترجمة له ترجمة وافية . ويعود الفضل لحفيده الجغرافي محمد بن أحمد المقدسي * البَشّاري بذكر نبذة عن عمله الهندسي . فقد كان أحمد بن طولون بعد وصوله إلى حكم مصر سنة ٢٥٤هـ يتطلع باستمرار إلى ضم جنوبي الشام ، إن لم يكن الشام كله ، إلى سلطانه وكان يدرك أن نهايات الطرق التجارية التي كانت تتحول في تلك الفترة من الخليج إلى البحر الأحمر إنما تصب في موانىء مصر والشام ، وأن الروم يحاولون أن يظلوا مسيطرين على البحر وتجارة البحر في حوض المتوسط الشرقي . وهكذا ، وفي الوقت الذي أرسل فيه ولاته وقواته إلى منطقة الثغور والعواصم في شمال الشام ، عمل على تحصين الثغور البحرية في الشام ومصر من غارات الروم . يقول المقدسي : " وقد زار ابن طولون عكا * ، وكان رأى صور ومنعتها واستدارة الحائط على ميناها فأحب أن يتخذ لعكا مثل ذلك الميناء . فجمع صناع الكورة وعرض عليهم ذلك فقبل له لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان . ثم دُكِّرَ له جدُّنا أبو بكر البناء ، وقيل إنّ كان عند أحد علم هذا فعنده . فكتب إلى صاحبه على بيت المقدس وأبهضه إليه . . . فلما صار إليه ذكر له ذلك . قال هذا أمر هيّن : عليّ بفلق الجميز الغليظة ، فصفّها على وجه الماء بقدر الحصن البرّي ، وخيّط بعضها ببعض ، وجعل لها باباً من الغرب عظيماً ، ثم بنى عليها بالحجارة . وجعل كلما بنى خمس دواس ربطها بأعمدة غلاظ ليشتد البناء . وجعلت القلق كلما ثقلت نزلت ، حتى إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حولاً كاملاً حتى أخذت قرارها ، ثم عاد فبنى من حيث ترك . كلما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخيّطه به . ثم جعل على الباب قنطرة ، فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة مثل صور . . " ، وأمنت عكا من الغارات الرومية البحرية التي كانت تتخطف مراكبها .

دفع ابن طولون لأبي بكر البناء ألف دينار سوى الخلع والمركوب . وكان اسمه على الميناء مكتوباً . ولكن أخباره تغيب بعد ذلك ، ولعله توفي في أواخر القرن الثالث الهجري .

المراجع :

ـ المقدسي البشّاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .

البكـــري : ر : محمد بن مصطفى البكري
ر : مصطفى بن كمال الدين البكري

البلاستيك (صناعة ـ) : ر : اللدائن (صناعة ـ)

بَـلاطة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد مسافة كيلومتر واحد شرقي مدينة نابلس * ، بل إنها تعد حاليا ضاحية لنابلس وسرابة شرقية لها . وترتبط بطرق ثانوية معبدة بقرى روجيب وكفر قليل رسالة ودير الحطب وبيت دجن * وبيت فوريك وعزمرط وعصيرة الشمالية * وطلّوزة .

نشأت بلاطة في أقصى الطرف الغربي لسهل عسكر بالقرب من فتحة وادي نابلس المتصلة بالسهل . وأقيمت القرية قرب أقدام جبلي الطور * (جرزيم) وعيبال مشرفة على سهل عسكر إلى الشرق منها . وترتفع نحو ٥٢٠ م عن سطح البحر . بنيت معظم بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ مخططها شكل المستطيل ، إذ تمتد البلدة في محورين رئيسين أحدهما يحاذاة طريق نابلس ـ رام الله وثانيهما يحاذاة الطريق المؤدية إلى وادي الفارعة * ووادي الأردن . وازدادت مساحة رقعتها العمرانية من ٢٥ دونما في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ١٠٠ دونم في عام ١٩٨٠ . وتعزى هذه الزيادة إلى تدفق اللاجئين الفلسطينيين للإقامة في بلاطة ، وإنشاء مخيم بلاطة بعد عام ١٩٤٨ ، وإلى نزوح عدد من العائلات النابلسية للإقامة في البلدة .

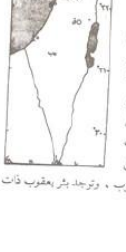

تتوافر في هذه البلدة بعض المرافق والخدمات العامة إلى جانب اعتماد البلدة على مدينة نابلس في كثير من حاجاتها . وتتركز المحلات التجارية في وسط البلدة . وتضم البلدة مسجدا قديما وخمس مدارس للبنين والبنات تابعة للحكومة ولوكالة غوث اللاجئين . وفيها عيادة صحية إضافة إلى تلك التي في مخيم بلاطة . وتشرب البلدة من ينبوع عذب يعرف بعين الحفير ، وكذلك من بئر ماء في طرف البلدة الشرقي . ويوجد في شمالي بلاطة الشرقي قبر النبي يوسف بن يعقوب ، وترجد بئر يعقوب ذات المياه العذبة في طرفها الجنوبي الشرقي . ويدل تل بلاطة الأثري على أن رقعة البلدة كانت معمورة منذ القديم ، ويؤكد هذا وجود بعض الخرب الأثرية بجوار بلاطة مثل خربة ذياب في الجنوب الشرقي ، وخربة العنود في شمالها ، وتل الراس في جنوبها الغربي (ر : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي بلاطة ٣,٠٠٠ دونم . وتتميز أراضيها بخصب تربتها وانبساط جزء كبير منها ، وبخاصة تلك الواقعة في سهل عسكر . وتستغل هذه الأراضي في زراعة الحبوب * والقطاني والخضر * والأشجار المثمرة مثل اللوز والتين والزيتون * والعنب * . وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار اعتماداً أساسياً ، وعلى مياه الينابيع اعتمادا ثانويا . ويعتني بعض المزارعين بتربية الأغنام التي يستفيدون من ألبانها كمصدر دخل يكمل دخلهم من الزراعة .

كان في بلاطة نحو ٣٠٠ نسمة عام ١٩١٤ ، وازداد عدد سكانها في عام ١٩٢٢ إلى ٤٦١ نسمة ، وفي عام ١٩٣١ إلى ٥٧٤ نسمة . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٧٠ نسمة . ووصل عددهم وفقا لتعداد ١٩٦١ إلى نحو ٢,٢٩٢ نسمة . ويقدر عددهم عام ١٩٨٠ بنحو ٧,٠٠٠ نسمة منهم ٣,٠٠٠ نسمة من أهالي بلاطة الأصليين وزهاء ٤,٠٠٠ نسمة من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في بلاطة .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ق ١ ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة نابلس .

بلالين (فرقة ـ) : ر : التمثيل والمسرح

بِلْتْمور (برنامج ـ) :

تبنى هذا البرنامج مجلس الطوارىء التابع للمنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال اجتماع غير عادي عقد في ١٩٤٢/٥/١١ في فندق بلتمور في مدينة نيويورك .

وقد مثل البرنامج انعطافا هاما في تاريخ الحركة الصهيونية ، وحدثا بارزا على صعيد علاقات هذه الحركة بالدول العظمى . فقد تضمنت بنود البرنامج لأول مرة في تاريخ الحركة الصهيونية مطالبة صريحة لمؤسسة صهيونية تمثيلية بقيام دولة يهودية في فلسطين . وبذلك أكد هذا البرنامج علنا الشكوك التي كانت تساور

بعض معارضي الصهيونية ، وملخا أن هدف الجهود الصهيونية الرئيس في فلسطين هو فرض السيادة الصهيونية على البلاد .

وكان طرح مطلب إقامة الدولة اليهودية في فلسطين في وقت مناسب جداً . فقد كانت الحرب العالمية الثانية لا تزال مشتعلة ، وكان العالم قد أخذ يعرف المجازر التي ارتكبها النازيون ، والنكبات التي حلت ببعض الشعوب الأوربية على أيديهم ، وأصابت بشرورها بعض يهود أوربا . لذلك كان سعي الصهيونية إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين يرتبط في ذلك الحين بما حل بشعوب أوربا من مظالم نازية . وكان "حل" مشكلة اللاجئين اليهود الهاربين من الإبادة النازية يعني انتقال اليهود الناجين إلى فلسطين .

وكان المغزى الكامن وراء اختيار عقد المؤتمر في الولايات المتحدة بوازي في أهميته توقيت المؤتمر فاختيار نيويورك مكاناً يتم فيه الإعلان عن أمر حاسم في تاريخ الصهيونية يمثل صلب البرنامج السياسي الصهيوني في الحقيقة يدل على أهمية الجالية اليهودية الأمريكية المتزايدة في الحركة الصهيونية ويعترف بها . لقد كانت الحركة الصهيونية تركز جهودها من قبل على الجاليات اليهودية الأوربية ، وتصب معظم جهودها السياسة على بريطانيا الدولة المنتدبة في فلسطين . لكن هذه الحركة أخذت تحول اهتمامها وجهودها إلى الجالية اليهودية الأمريكية الكبيرة ، وصوب الولايات المتحدة الأمريكية .

لقد مثل برنامج بلتمور في المقام الأول اعترافاً ضمنياً من جانب زعماء الحركة الصهيونية العالمية بأن محور نشاطهم السياسي ودعايتهم قد أصبح في الولايات المتحدة لا في بريطانيا . ويرجع سبب ذلك إلى سخط معظم الزعماء الصهيونيين على بريطانيا لإعلانها الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ (ز : ماكدونالد ، كتاب ـ الأبيض) ، وهو أمر عدته الحركة الصهيونية بداية تراجع بريطاني أمام الرأي العربي كما ظهر خلال مؤتمر سان جيمس عام ١٩٣٩ وما تلاه من مراحل سبقت الحرب مباشرة (ز : لندن ، مؤتمر ـ ١٩٣٩) . كذلك يرجع السبب في هذا الاعتراف الضمني بأهمية الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن القيادة الصهيونية رأت أن الولايات المتحدة قد بدأت تتبوأ مقعد الزعامة في المعسكر الغربي بما تملك من قدرات هائلة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وهذا يجعلها جديرة بدور الحليف الأساسي للحركة الصهيونية أكثر من بريطانيا . ومن هنا كان برنامج بلتمور رمز تغير في تحالفات الحركة الصهيونية بوازي في أهميته ما قام من تحالف قوي مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى على يد وايزمن نفسه . وقد ضمنت الحركة الصهيونية بارتباطها بالولايات المتحدة ، أن يكون النجاح حليف برنامجها الجديد ، وأن يكون هدفها الذي طرحته قريب المنال سهل الظهور إلى حيز التنفيذ .

وقد تلخصت معظم المطالب الصهيونية الهامة في برنامج بلتمور في النقاط الختامية الثلاث التالية :

" ١) يدعو المؤتمر إلى تحقيق الهدف الأصلي لوعد بلفور * والانتداب الذي يعترف بالعلاقة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين ويهدف إلى منح هذا الشعب ، كما قال الرئيس ولسن ، الفرصة لتأسيس دولة كومنولث (Commonwealth) يهودية هناك . ويؤكد المؤتمر رفضه التام للكتاب الأبيض الصادر في شهر أيار عام ١٩٣٩ ، كما ينفي صحته المعنوية والقانونية . والكتاب الأبيض يسرمي إلى تضييق الحقوق اليهودية في الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها إلى حد يعني واقعيا إلغاء هذه الحقوق . وهذا الكتاب ، كما قال المستر ونستون تشرشل في مجلس العموم في أيار عام ١٩٣٩ ، يمثل خرقاً لوعد بلفور ونكراً له . وسياسة هذا الكتاب سياسة فظة لا يمكن الدفاع عنها لأنها ترفض أن تمنح الملاذ لليهود الفارين من الاضطهاد النازي . وفي الوقت الذي أصبحت فيه فلسطين محوراً من محاور جهات الحرب في مجموعة الأمم الحليفة وأصبح من واجب اليهود في فلسطين أن يقدموا كل طاقاتهم الإنتاجية للمزرعة والمصنع والمعسكر ، في هذا الوقت نجد هذه السياسة تتناقض مباشرة مع مصالح الجهد الحربي لدى الحلفاء .

" ٢) وفي الصراع ضد قوى العدوان والظلم التي كان اليهود أول ضحاياها ، والتي تهدد الآن الوطن القومي اليهودي ، يجدر الاعتراف بحق اليهود في فلسطين في أن يلعبوا دورهم كاملاً في المجهود الحربي ، وفي الدفاع عن بلدهم على يد قوة عسكرية يهودية تحارب تحت رايتها الخاصة ، وبقيادة الأمم الحليفة العليا " .

٣) يعلن المؤتمر أن " نظام العالم الجديد بعد النصر لا يمكن أن يرسى على مبادئ، السلام والعدل والمساواة ما لم يتم حل مشكلة تهجير اليهود حلا نهائياً " . ويوصي المؤتمر " أن تفتح أبواب فلسطين على مصراعيها أمام اليهود . وأن تمنح الوكالة اليهودية * حق السيطرة على الهجرة إلى فلسطين ، مع ما يتبع ذلك من سلطة لأجل تعمير البلد بما في ذلك تطوير الأراضي غير الأهلة وغير المزروعة ، وأن يصار إلى تأسيس فلسطين كدولة كومنولث يهودية تندمج في إطار العالم الديمقراطي الجديد ، وعندئذ فقط يتم تقويم ذلك الظلم الذي خق منذ الأزل بالشعب اليهودي " .

البلد (وادي ـ) : ز : شوباش (وادي ـ)

بلد الشيخ (قرية ــ) :

سميت بذلك نسبة إلى الشيخ السهلي الصوفي الذي أقطعه إياها السلطان العثماني سليم الأول . وفي القرية قبر المجاهد العربي الكبير الشهيد عز الدين القسام * .

تقع هذه القرية العربية في قضاء حيفا على بعد ٥ كم في جنوب شرق مدينة حيفا * ، وتتصل بها بطريق معبدة ، إذ تمر طريق حيفا ـ جنين بشرقها مباشرة ، وير خط سكة حديد حيفا ـ سمخ على بعد نصف كيلومتر شرقيها ، ويوجد هبط للطائرات في الطرف الشمالي من أراضيها .

أنشئت بلد الشيخ في أدنى السفح الشمالي لجبل الكرمل * قرب حافة مرج ابن عامر * على ارتفاع ١٠٠ م عن سطح البحر . ويمر نهر المقطع بشرق وشمال شرق القرية على بعد يقل عن الكيلومترين ، وهو الحد الشمالي الشرقي لأراضيها . وتبدأ أو تمر بأراضيها عدة أودية صغيرة تنتهي في مرج ابن عامر . وتكثر الآبار في أراضيها على طول حافة جبل الكرمل الدنيا ، ويوجد خزان للماء على بعد ١,٢٥ كم من شمالها الغربي .

الامتداد العام للقرية من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي . أي مع الامتداد العام للسفح الذي تقع عليه ، وهي من النوع المكتظ ، وكان فيها ١٤٤ مسكنا في عام ١٩٣١ بني معظمها من الحجارة والإسمنت . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٢٤١ دونما . أي أنها كانت الثانية بين قرى قضاء حيفا من حيث المساحة . وبلغت مساحة أراضيها في العام نفسه ٩,٨٤٩ دونما استملك الصهيونيون منها ٤٨٥ دونما فقط ، أي ٢,٩٪ . ويقع نصف أراضيها تقريبا في مرج ابن عامر والباقي في جبل الكرمل .

كان في بلد الشيخ ٤٠٧ نسمات من العرب في عام ١٩٢٢ ، وارتفع عددهم الى ٧٤٧ نسمة في عام ١٩٣١ ويشمل هذا العدد عرب القُلَيلات ، وعرب الصوبطات ، وعرب الطوطنة ، وعرب السمينة . وفي عام ١٩٤٥ ارتفع العدد إلى ٤,١٢٠ نسمة فأصبحت بلدة الشيخ الثانية بين قرى قضاء حيفا من حيث عدد السكان .

كان في القرية مدرسة ابتدائية افتتحت منذ العهد العثماني ، ومعصرة زيتون غير آلية . واعتمد اقتصادها على الزراعة* وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب * والأشجار المثمرة ، ففي موسم ١٩٤٣/٤٢ كان فيها ٤١٨ دونما مزروعة زيتونا * مثمراً تركزت زراعته في جنوب شرق القرية . وإلى جانب ذلك عمل السكان في حيفا وضواحيها .

وفي أيام الانتداب استأجر بعض المستثمرين الصهيونيين بعض أراضي قرية بلد الشيخ ، وأسسوا مصنعا للإسمنت ، وأقاموا معظم مستعمرة « نيشر » على هذه الأراضي .

وفي عام ١٩٤٨ شردت القوات الصهيونية سكان القرية العرب ودمرت معظم بيوتهم (ر : بلد الشيخ ، مذبحة ـ ١٩٤٨) . وقد استوطن في بلد الشيخ مهاجرون صهيونيون ، وأطلق الصهيونيون على القرية منذ عام ١٩٤٩ اسم « تل حنان » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧ ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ ، لوحة حيفا .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة شرق الكرمل .

بلد الشيخ (مذبحة ــ) :

في أواخر شهر كانون الأول سنة ١٩٤٧ ثار العمال العرب في شركة مصفاة بترول حيفا على الصهيونيين العاملين في الشركة نفسها بعد أن انفجرت قنبلة خارج بناء المصفاة وقتلت وجرحت عددا من العمال العرب القادمين إلى المصفاة . وقد هاجم العرب الصهيونيين داخل المصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا منهم نحو ستين .

كان قسم كبير من العمال العرب في المصفاة يقطنون قريتي بلد الشيخ * وحوّاسة الواقعتين إلى الجنوب الشرقي من حيفا * بمسافة خمسة كيلومترات على طريق حيفا ـ الناصرة والمجاورتين لمستعمرة " نيشر " الصهيونية شرقيها . لذلك خطّط الصهيونيون لمهاجمة بلد الشيخ وحوّاسة لقتلاهم في المصفاة .

نفذّ الصهيونيون بعد حوالي أسبوع من حادثة المصفاة خطة للانتقام لقتلاهم في المصفاة ولإشاعة الذعر وبث الخوف بين العرب من أجل تهجيرهم من قراهم وإخلاء فلسطين . وقد بدأ هجومهم بعيد منتصف الليل وفي بدايات اليوم الأول من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ . وكان عدد المهاجمين بين ١٥٠ و٢٠٠ صهيوني قدموا من التلال الواقعة جنوبي بلد الشيخ ، وقد ركزوا هجومهم على أطراف بلد الشيخ وحوّاسة . ولم يكن لدى العرب آنذاك السلاح الكافي . ولم يتعد الأمر وجود حراسات محلية بسيطة في الشوارع .

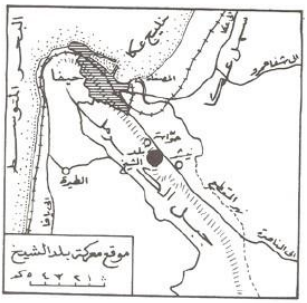

ناجأ الصهيونيون البيوت الثانية في الأطراف وقذفوها بالقنابل اليدوية ودخلوا على السكان النائمين وهم يطلقون نيران رشاشاتهم . وقد استمر الهجوم ساعة انسحب إثرها الصهيونيون في الساعة الثانية صباحا بعد أن هاجموا حوالي عشرة بيوت ، وراح ضحية ذلك الهجوم نحو ٣٠ فردا بين قتيل وجريح معظمهم من النساء والأطفال .

ترك الصهيونيون المهاجمون خلفهم عددا من الرشاشات والقنابل والذخائر ، وشوهدت بقع دماء دلّت على تصدي الحرس المحلي لهم بما كان يحمل من سلاح متواضع .

البلديات (حزب ــ) : ز : الدفاع الوطني (حزب ــ)

بلعـام :

موضع بفلسطين ورد ذكره في التوراة * على أنه يقع بجوار عجدو * . سمي أيضاً « يبلعام» وه جت رمون » . ذكر بعض الباحثين أنه يقع في مرج ابن عامر * . ويعتقد أنه كان يقوم مكان خربة بلعمة إلى الجنوب من جنين * بمسافة كيلومترين غربي الخط الحديدي الواصل بينها وبين نابلس * ، وكانت تحمل اسم « أبلعام » في العهد الكنعاني .

بلعام أيضا اسم نبي موحّد كانت له مكانة روحانية في أرض كنعان * ورد ذكره في سفر العدد (٢٢/٩) . وجاء في الوقائع الفلسطينية (العدد ١٣٧٥ عام ١٩٤٤) أن خربة بلعمة تضم تلا أثريا وحصنا متهدما .

المراجـع :

ــ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٢٤ .
ــ أحد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٣ .
ــ قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .
ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٧٣ .

بَلْعَـة (بلـدة ــ) :

بلدة عربية تقع على مسافة ٩ كم تقريبا إلى شرق الشمال الشرقي من طولكرم * . وتربطها بطولكرم طريق معبدة ، وبالقرى المجاورة طرق فرعية ممهدة .

نشأت بلعة فوق رقعة متموجة من الأرض عند الأقدام الغربية لمرتفعات نابلس * ، وتنحدر الأرض تدريجيا من الشمال إلى الجنوب . ترتفع البلدة ٤١٧ م عن سطح البحر ، وتتألف من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت واللبن ، ويتخذ مخططها شكلاً طولياً من الشمال إلى الجنوب . وتتكون البلدة من عدة مجموعات من البيوت المتراصة التي تفصل بينها شوارع تسير من الشرق إلى الغرب . وتمثل كل مجموعة من البيوت حيّاً من أحياء البلدة . تشتمل بلعة على بعض المحلات التجارية المتناثرة في جهاتها المختلفة ، وفيها جامع ومزار يعرف باسم مقام الخضر يقع في الجنوب الشرقي من البلدة . ويشرف المجلس القروي لبلعة على شؤون البلدة التنظيمية كفتح الشوارع وتوفير المياه والكهرباء والمدارس . وتعتمد البلدة في الشرب على الأمطار التي تجمع مياهها في آبار خاصة . وفيها ثلاث مدارس للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وفيها عيادة صحية . وقد ازدادت مساحة بلعة من ٤٢ دونما عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٣٥٠ دونما .

تبلغ مساحة أراضي بلعة ٢١,١٥١ دونماً منها ٤٢ دونماً للطرق والأودية . وتزرع في أراضيها الحبوب * والأشجار المثمرة من زيتون * ومشمش ولوز وتين ورمان وغيرها . وتحيط المزارع بالبلدة من معظم جهاتها ، وبخاصة من الجهتين الشرقية والغربية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية .

يعمل معظم سكان بلعة في الزراعة . وهم يعودون بأصولهم إلى قرى دير الغصون * وجيت وبريرة* . وقد ازداد عدد السكان من ١,٢٥٩ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١,٥٣٩ نسمة عام ١٩٣١ ، وكان هؤلاء يقيمون آنذاك في ٣٤٤ بيتاً . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,٢٢٠ نسمة ، ووصل عددهم حسب تعداد ١٩٦١ إلى ٢,٨٨٨ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .

بلعة (معركة) : ر : ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩

بلغاريا : ر : أوربا الشرقية (دول -)

بلفور (وعد -) :

بتزعم تيودور هرتزل الحركة الصهيونية وعقده المؤتمر الصهيوني * الأول في بازل عام ١٨٩٧ انتقلت فكرة الصهيونية من النطاق النظري إلى النطاق العملي . وتقل ذلك بمي الصهيونيون الحثيث للحصول على تعهد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لليهود . وباءت بالفشل المحاولات الأولى للحصول على مثل هذا الوعد من تركيا أولاً ، وألمانيا ثانيا ، وإنكلترا ثالثا . واضطر الصهيونيون إلى الانتظار حتى اجتمعت ظروف دولية ملائمة لهم ، وذلك بانداع الحرب العالمية الأولى ونحوها إلى سجال مرير مرهق جعل كل الدول المحاربة تتشبث بأي شيء للخروج منتصرة من الصراع . وكانت بريطانيا من أوائل الدول الأوربية التي التقت في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى فكرة تهجير اليهود إلى فلسطين ، وإسكانية ذلك ، وفائدته بالنسبة إلى مصالح بريطانيا . وفي عام ١٩٠٢ عرضت حكومة آرثر بلفور على منح اليهود وطناً لهم في إفريقيا الشرقية ثم في منطقة العريش . وعالج لويد جورج عندما كان محامي النواحي القانونية للمشروع . ورغم إخفاق المحاولة فإنها أعطت هذين السياسيين الفرصة لتفهم الصهيونية والتجاوب معها . وكانت المناسبة لذلك تذفق المهاجرين اليهود من أوربا الشرقية ، وإصدار إنكلترا قانونا لتحديد الهجرة إليها . وتوجه هرتزل إلى الحكومة البريطانية مصرّا على أن الحل الوحيد لمك. ة

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet.

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country."

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours sincerely,
Arthur James Balfour

إيجاد وطن لليهود يستوعب أمثال هؤلاء المهاجرين . وتركت هذه الفكرة صداها في الغرب ، ولا سيما في نفس بلفور الذي كان إسكوتلنديا متفقاً ومولعاً بالكتاب المقدس من ناحية ، ومن ناحية أخرى سياسياً محافظا متشبثاً بالإمبراطورية إلى الحد الذي أكسبه لقب بلفور الدامي عندما كان حاكما لإيرلندا .

ونشط الصهيونيون إبان الحرب للحصول على وعد من ألمانيا وإنكلترا فراحوا يعبئون السياسة لإصدار مثل هذا الوعد دعما لمصالح بلادهم . وكانت حجتهم الاستفادة من النفوذ اليهودي بوجه عام وفي الولايات المتحدة بوجه خاص فأشاروا إلى أن مثل هذا الوعد سيخري اليهود بالضغط على الحكومة الأمريكية لمناصرة الحلفاء علماً بأن عدداً كبيراً منهم كانوا من المهاجرين الروس الذين ما زالوا يحقدون على روسيا حليفة إنكلترا . وكان المنتظر أن يحمل الوعد البريطاني هؤلاء على التعاطف مع الحلفاء رغم ذلك الحقد . والمعروف أن بلفور التقى أثناء الحرب بالزعيم الصهيوني الأمريكي برانديز اليد اليمنى للرئيس ولسن ، وكانت استراتيجية بلفور تقوم على جر أكثر ما يمكن من الدول إلى الحرب بجانب الحلفاء .

وذكر أيضاً أن الوعد المذكور سيحمل يهود روسيا الذين انخرط أكثرهم في الحركة البلشفية الداعية إلى إخراج روسيا من الحرب على تغيير موقفهم والدعوة إلى إبقاء بلادهم في القتال إلى جا

وذهبت آراء آخرين ، ومنهم اللورد كتشنر ، إلى أن التطورات التقنية العسكرية اقتضت احتلال فلسطين وإبقاءها تحت التاج البريطاني لأغراض الدفاع عن قناة السويس . وادعى الصهيونيون أنهم خير من يحقق هذا الهدف لإنكلترا بإقامتهم هناك تابعين مخلصين للاستعمار البريطاني يسهرون على أمنه وسلامة مواصلاته . وتذكر لويد جورج أنه أيد إعطاء الوعد (ويعرف بالإنكليزية بوعد بلفور *Baljour Declaration*) مكافأة منه لوايزمن على مساهمته العلمية المهمة في صناعة العتاد الحربي أثناء الحرب . وفي الأشهر الخريفة من النزاع توجست الحكومة البريطانية خوفاً من نجاح الصهيونيين الألمان في الحصول على وعد مشابه من القيصر ، مما يؤدي إلى تحول اليهود إلى جانب دول المحور وضياع الفرصة على إنكلترا . وذهب آخرون كمارك سايكس إلى أن تخصيص فلسطين لليهود تحت رعاية إنكلترا سيضع حداً لمطامع فرنسا التي تعتبر فلسطين جزءاً من سورية . وإضافة إلى كل هذا كانت هناك الميول المعادية للسامية التي رأت في الوعد أسلوباً مهذباً للتخلص من اليهود ومصداقاً للإيمان بفكرة " أجنبية اليهودي " .

غير أنه كان هناك معارضون للوعد، وخاصة بين اليهود الليبراليين المندمجين في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وقد رأوا في الوعد سنداً يستغله معادو السامية ، ومؤشراً على " غربة " اليهودي وعدم اندماجه أو انتمائه إلى موطن إقامته . وكانت هناك أيضاً إشارات ثانوية تتعلق بحقوق المواطنين الأصليين في فلسطين ومصيرهم . وانعكست هذه المعارضة في مواقف مجلس ممثلي اليهود البريطانيين * والاتحاد الانكلو - يهودي بقيادة لوسيان ولف، وكلود مونتفيوري .وقاد المعارضة داخل مجلس الوزراء البريطاني الوزير اليهودي إدوين مونتاغو .وجرى بدا النقاش تقاش حماد حول قومية اليهودي وجنسيته وانتمائه وارتباطه بفلسطين أوموطن إقامته .

ومثل الجانب الصهيوني في هذا النقاش حاييم وايزمن وناحوم سوكولوف . ويبلغ النزاع حدا وجهت معه التهمة إلى مؤيدي الوعد بأنهم من اليهود غير الإنكليز علماً بأن الأسر الرئيسة اليهودية في إنكلترا كروتشيلد ، ومونتيفيوري ، ومونتاغو، كانت أصلا ضد الصهيونية . بيد أن النقاش انتهى أخيرا داخل مجلس ممثلي اليهود البريطانيين بالتصويت في ١٩١٧/٦/١٧ إلى جانب الجناح الصهيوني بنسبة ضئيلة ، وربما عكس ذلك مدى الانقسام في الطائفة اليهودية البريطانية .

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك بين الساسة الإنكليز من رأى أن وعد بلفور سيرتب حملا ماليا وإداريا وعسكريا على بريطانيا هي في غنى عنه ، وليس في فلسطين من الثروة أو الواردات ما يبرر هذا العبء الجديد .

بيد أن الاعتبارات السياسية والعسكرية المختلفة رجحت الكفة الصهيونية في كافة الميادين . وأظهر وايزمن براعة سياسية ودبلوماسية ونشاطاً لا يكل في إقناع ساسة الحلفاء بوجهة النظر الصهيونية والتعبير لبريطانيا عن تعاطفهم مع فكرة الوعد .

وبعد تبلور الفكرة في ذهن الحكومة البريطانية بدأ إعداد مسودة الوثيقة في حزيران ١٩١٧ . وتولى مسؤولية المشروع بصورة أولية ناحوم سوكولوف الذي أعطاه المسؤولون الإنكليز الخطوط الرئيسة للتصريح ، وقد أكدت على استبعاد فكرة إقامة دولة يهودية . ولعب من الجانب البريطاني مارك سايكس دورا رئيساً في ترجيه صياغة الوعد من الناحية الصهيونية وجهة وزارة الخارجية . وعكست هذه الوجهة بادىء ذي بدء عقلية وزير الخارجية آرثر بلفور وتجربته القديمة بشأن المهاجرين اليهود ، فتركزت على مفهوم إيجاد ملجأ للمضطهدين منهم . غير أن الجانب الصهيوني عارض هذا المنطلق . واستقر تفكير الطرفين على فكرة " الوطن القومي " التي وردت أولا في برنامج مؤتمر بازل الصهيوني (ز : بازل ، برنامج) .

وبالنظر للتعهدات الأخرى التي التزمت بها بريطانيا ، ولا سيما تجاه الشريف حسين ، وضغوط المعارضة التي واجهتها من الجانب المعادي للصهيونية ، فقد حرصت وزارة الخارجية في هذه المرحلة على الاقتضاب وتحاشي التفاصيل والاعتماد على العبارات الفاضة . وأدى ذلك إلى تنقيح الوثيقة واختصارها عدة مرات ، واستغرق كل ذلك ما يقرب من أربعة أشهر قبل الوصول إلى الصيغة النهائية التي صدرت أخيراً في ١٩١٧/١١/٢ بشكل رسالة من وزير الخارجية بلفور إلى اللورد روتشيلد ونشرت في الصحافة البريطانية في ٩ تشرين الثاني بالنص التالي :

" عزيزي اللورد روتشيلد ،

" يسعدني كثيرا أن أنهي إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي تعاطفا مع أماني اليهود الصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء :

(إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف . وليكن مفهوماً بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أية دولة أخرى) .

" إني أكون مدينا لكم بالعرفان لو قمتم بإيصال هذا التصريح إلى الاتحاد الصهيوني .

المخلص
آرثر بلفور"

ومما يذكر أن السيدة الصهيونية (تموز ١٩١٧) كانت تنص على "إعادة تكوين فلسطين لتصبح الوطن القومي للشعب اليهودي " ،

وعلى أن تبحث الحكومة البريطانية مع المنظمة الصهيونية سبل تحقيق ذلك . ولكن اللورد ملنر أحد الوزراء المتحمسين للوعد عدّل النص في آب ١٩١٧ وأعطاه صيغة " إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين " . وفي تشرين الأول كتب ملنر بالتعاون مع ليوبولد إيمري مسودة ثالثة أخذت بنظر الاعتبار احتجاجات المعارضين اليهود ، فأدخلت الإشارة إلى حقوق الفئات غير اليهودية وحقوق اليهود ومكانتهم السياسية في الدول الأخرى " ممن يشعرون كليا بالرضى بجنسيتهم ومواطنتهم الحالية " . وللسبب نفسه أزيل من التصريح ذكر المظمة الصهيونية والتزام الحكومة البريطانية بالتباحث معها . وصيغت الصورة الأخيرة للتصريح في ١٩١٧/١٠/٣١ .

لم يثر نشر الوعد انتباها كبيرا في حينه ، وتصور الكثيرون أنه سرعان ما سيصبح في ذمة النسيان بعد قليل لأن الصهيونية كانت تبدو آنذاك حلماً من الأحلام . بيد أن التاريخ قدّر غير ذلك . وغدت هذه الوثيقة من أهم الوثائق التي صدرت ، وربما كتب عنها ما لم يكتب عن أية وثيقة أخرى .

ويرجع جل النقاش الذي احتدم حولها إلى الغموض الذي اكتنف عباراتها . ولا عجب في ذلك بعد أن خرجت من أقلام طرفين احترفا الغموض والتمويه وتميزا بهما تاريخيا : الجانب الإنكليزي والجانب الصهيوني. هذا إلى أن وقائع أخرى أملت على كاتب التصريح تحاشي الصراحة والتفصيل والدقة والتحديد . ومن هذه الوقائع تعارض التصريح مع التعهدات البريطانية السابقة للشريف حسين (ز : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) ، والترتيبات التي تفاهمت حولها إنكلترا وفرنسا ، وعدم وضوح رؤية إنكلترا بالنسبة إلى مستقبل المنطقة . كان الغرض الأول في ذهن بلفور إعطاء تصريح دعائي يخدم المجهود الحربي في نزاع عيت بأقل ما يمكن من الثمن . وكانت المسألة بالنسبة وايزمن مسألة الحصول على وعد يعطي اليهود اعترافا دوليا بمكانتهم الخاصة في فلسطين . وكان كلا الطرفين يؤمن بأسلوب المرحلية في السياسة .

وفيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية صدرت تصريحات وتفسيرات مختلفة ومتناقضة لما يقصد بعبارة " وطن قومي " ، وما قصده بلفور بالذات منها، وما إذا كانت تشمل إقامة دولة يهودية . ومن ذلك أن اريك فوريس آدم خبير وزارة الخارجية البريطانية في الشؤون الفلسطينية قدم مذكرة رسمية في كانون الأول ١٩١٩ بيّن فيها أن الحكومة قبلت بمذكرة تحويل فلسطين في النهاية إلى دولة يهودية . ولكن خبير الوزارة الآخر هارولد نيكلسن قال إن بلفور لم يفكر بدولة يهودية مستقلة ، وإنما بملجأ ليهود أوربا الشرقية . وفي عام ١٩٢٢ صدر كتاب أبيض حدد مفهوم الوطن القومي بأنه لا يتضمن فرض الجنسية اليهودية على بقية الشعب ، وإنما يرمي إلى إيجاد مركز يهودي في فلسطين . وامتنع الصهيونيون عن إعطاء تفسيرات للعبارة تكشف عن عزمهم على إقامة دولة ، بل ذهب بعضهم ، ومنهم سوكولوف ، إلى رفض هذا الزعم . ولكن الظاهر أنهم اعتبروا الوعد إيذانا بتكوين أكثرية يهودية تصبغ القطر بصبغتها . وفي حديث ونستون تشرشل لوجهاء فلسطين عام ١٩٢١ أشار إلى وجود فرق لغوي كبير بين أقامة " وطن قومي " كما ذكر الوعد وإقامة " الوطن القومي " ، مما يستبعد فكرة إقامة " حكومة يهودية تسيطر على العرب " .

أما بالنسبة إلى الجانب العربي فالملاحظ أن المشاورات الطويلة في لندن والاتصالات في الخارج لم تتضمن استطلاع رأي السكان العرب بل ولا حتى الممثلين الرسميين لبريطانيا في المنطقة . ولكن المسؤولين الإنكليز والصهيونيين ناقشوا معضلة السكان الأصليين بصورة غابرة في الأشهر السابقة للوعد ، واتجه الرأي عموما إلى إمكانية تعايش القوميتين ، وإلى ضرورة تحاشي إثارة العرب . وقبل إصدار التصريح بأسبوع تقدم اللورد كرسن بمذكرة عارض فيها فكرة الوعد ، وأشار إلى نصف المليون العربي الذين " لن يرضوا بانتزاع عملكاتهم من أجل المهاجرين اليهود ، أو بأن يعاملوا مجرد حطابين وسقاة ماء لهؤلاء المهاجرين " . وأشار إلى فقر البلاد وعدم صلاحها لعرق آخر ، أو لتصبح وطنا قوميا للشعب اليهودي .

ما إن ذاع خبر التصريح حتى أسرعت السلطات العثمانية إلى لفت أنظار العرب إلى خطورته . وكان أن طلب الشريف حسين تفسيرا للموضوع من الإنكليز . وفي عدد من الاتصالات منها مقابلة هوغارت للحسين ، ومقابلة وايزمن لنجل الحسين ، بدا أن القيادة الهاشمية اقتنعت بتأكيد بريطانيا أن وعد بلفور لن يتعارض مع أماني العرب أو حقوقهم . بيد أن سكان فلسطين أنفسهم بدأوا يشعرون بنقيض ذلك ، ولا سيما أمام الضغط المتصاعد من الصهيونيين . وراح هذا الشعور يأخذ شكل الرفض لوعد بلفور والسعي لتفنيده وتعطيله وإلغائه . وبدأ النقاش الطويل الذي استمر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وقدم الفلسطينيون وجهة نظرهم بوفد رسمي إلى لندن لأول مرة في عام ١٩٢١ مطالبين بنقض التصريح بناء على المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم " ، لتعارضه مع مبادىء العهد (ز : الوفود العربية الفلسطينية إلى لندن) . وأشاروا أيضا إلى مخالفته لمبادىء الرئيس ولسن التي أعلنها الحلفاء أثناء الحرب فيما يتعلق بحق تقرير المصير . واحتجوا أيضاً بمناقضة الوعد لتعهدات إنكلترا للشريف حسين . وردّت إنكلترا على القول الأخير بالاستشهاد بفقرة من رسالة مكماهون المؤرخة في ١٩١٥/١٠/٢٤ وفيها استثنى مكماهون من مفعول تعهده " أجزاء من سورية تقع إلى الغرب من

ولايات دمشق وحمص وحماة وحلب " . واعتبر تشرشل فلسطين ضمن ذلك . وأوضح العرب أن النص الأصلي لم يتضمن كلمة " ولايات " ولا توجد أساساً ولاية باسم ولاية دمشق ، وأن فلسطين لا تقع غربي دمشق .

ولكن الحجة الأساسية ضد وعد بلفور كانت ، وستبقى ، مناقضته لحق تقرير المصير ، وأن إنكلترا قد منحت بموجبه ما لا تملك لمن لا يستحق . وفي مفاوضات الصلح قاومت فرنسا في الواقع الأخذ بوعد بلفور على اعتباره تصرفاً انفرادياً .

وقد أثير أيضاً كثير من النقاش بشأن العبارة المتعلقة بحماية الحقوق المدنية والدينية للفئات غير اليهودية . ونصح تشرشل العرب بالتمسك بها لحماية كيانهم . وحولها نشأ ما عرف باسم تناوي الالتزامات ، أي الالتزام بتشجيع الوطن القومي اليهودي والالتزام بحماية العرب . وقضى عدد من الساسة والإداريين الإنكليز السنوات اللاحقة يفتشون عبثاً عن طريق لتحقيق هذا التوازن والتوفيق بين الالتزامين . ورأى الجانب المناصر للعرب أن استحالة تحقيق الالتزام نحو الصهيونيين بدون الإخلال بالالتزام نحو العرب واستحالة توفير الهجرة اليهودية بدون المساس بحقوق العرب المدنية والدينية تقتضيان إلغاء وعد بلفور . وأعطى الجانب الصهيوني تفسيراً مخالفاً يقول : إن الأصل في وعد بلفور هو إقامة الوطن القومي وإن حماية الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود شرط فرعي ، وفي حالة التناقض يحذف الفرع حفاظاً على الأصل .

وفي نيسان ١٩٢٠ التأم مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو في إيطاليا للنظر في مصير الأقاليم المحتلة ، وطلب لويد جورج من المؤتمرين إدخال وعد بلفور ضمن معاهدة السلام مع تركيا . وتم ذلك في ٢٥ نيسان رغم معارضة الوفد الفرنسي ، فأدخل نص الوعد ضمن المادة الخاصة بالانتداب ، وأصبح التزاماً على عاتق الدول المتحالفة أنيط بريطانيا تنفيذه في إطار نظام الانتداب وتحت إشراف لجنة الانتداب التابعة لعصبة الأمم (راجع : سان ريمو ، مؤتمر) .

هل حقق وعد بلفور لبريطانيا ما كانت ترجوه منه ؟ من الصعوبة بمكان تحديد مدى المكاسب في مثل هذا الميدان . ولكن إصدار التصريح جرى في نفس اليوم الذي استولى فيه البلاشفة على الحكم في روسيا إيذاناً بإخراجها من الحرب . وعلى هذا فقد بطل غرض التصريح من حيث إبقاء روسيا إلى جانب الحلفاء والتأثير على اليهود الروسي الأصل في أميركا في هذا الإطار . كما أزالت الثورة البلشفية خطر تدفق المهاجرين اليهود إلى الغرب . وبالنسبة لتركيا فسرعان ما استسلمت أمام الجيش البريطاني الذي ساعده العرب ، ولم يكن لليهود دور مهم في هذه الساحة . ورغم صداقة القاضي الصهيوني برانديز للرئيس ولسن فمن المشكوك فيه أن يكون ليهود أمريكا دور خاص في حر بلادهم إلى الحرب بتأثير وعد بلفور . وعليه يمكن القول إجمالاً إن بريطانيا لم تجن الثمار التي توقعها بلفور في إصدار تصريحه بالنسبة لنتيجة الحرب ، ولو أن تأسيس الوطن القومي اليهودي أعطى بريطانيا المبرر لاستبعاد الفرنسيين من فلسطين واحتلالها حتى عام ١٩٤٨ . ولكن الثابتين ، من الناحية الأخرى ، اتهموا يهود ألمانيا بتخريب الروح المعنوية العسكرية والإرادة القتالية بدعواتهم السلمية والأممية التي تعاظمت في الأشهر الأخيرة من الحرب .

ويظهر أن القائل الحقيقي الوحيد في العملية كان المنظمة الصهيونية . ولا عجب إن دأب الصهيونيون على الاحتفال سنوياً بذكرى وعد بلفور في حين سماها العرب باليوم المشؤوم الذي استقبلوه بإضرابات ومظاهرات واحتجاجات . ورفضت طوائف من المندبين اليهود وعد بلفور على اعتباره تدخلاً دنيوياً في إرادة الله التي ستقرر " ساعة عودة اليهود إلى أرض إسرائيل " . أما الليبراليون والاندماجيون من اليهود فاتخذوا موقفاً فاتراً أو مترددا أو معارضا . وردان اليساريون والماركسيون بوجه عام الوثيقة لأنها " مؤامرة استعمارية رجعية لا غير " .

المراجع :

ـ حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، القاهرة ١٩٧٠ .

—Dugdale, B.: **Arthur James Balfour,** London 1936.

—John, R. and Hadawi, S: **Palestine Diary,** Beirut 1970

—Stein, L.: **Balfour Declaration,** London 1964

البلقيني : ر : عمر بن رسلان البلقيني

بلودان (مؤتمر ـ ١٩٣٧) :

صدر تقرير لجنة بيل * الملكية في شهر تموز ١٩٣٧ ، وقد أوصى ، بحل نهائي ، لقضية فلسطين تبنى أسسه على تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق : دولة يهودية ، ومنطقة انتداب بريطانية ، ومنطقة عربية تُضم إلى إمارة شرقي الأردن . وأعلنت الحكومة البريطانية قبولها لتقرير اللجنة ، وتبنّيها لقرار التقسيم ، وأكدت عزمها على تنفيذه .

رفضت اللجنة العربية العليا لفلسطين * توصية اللجنة

الملكية ، وأكدت تصميمها على مقاومة التقسيم ، واستماتة الشعب الفلسطيني في الحفاظ على وحدة وطنه .

ولجأ إلى اللجنة العربية العليا أن بعض الجهات العربية الرسمية تميل إلى قبول التقسيم فاتصلت فوراً بملوك العرب وحكوماتهم وزعمائهم تدعوهم إلى رفض التقسيم ، وبعثت الوفود إلى الأقطار العربية والإسلامية والغربية للدعوة لقضية فلسطين وإعلان رفض أهلها للتقسيم .

قابلت الحكومة البريطانية جهود اللجنة العربية العليا ومساعيها بالغضب والنقمة . وتابعت في الوقت نفسه مساعيها وجهودها مع عدد من الزعماء والقادة العرب في البلاد العربية لإقناعهم بالموافقة على التقسيم .

طلبت اللجنة العربية العليا لفلسطين من الحكومة البريطانية السماح بعقد مؤتمر عربي عام في القدس يحضره مندوبون عن البلاد

عربية ، ولكن الحكومة رفضت هذا الطلب وأكدت تصميمها على منع عقد أي اجتماع عربي عام في البلاد . ولما كانت اللجنة العربية حريصة على أن يُعلن زعماء العالم العربي رأيهم الإجماعي برفض التقسيم ، وراغبة في إحباط مساعي الإنكليز في الحصول على موافقة بعض الزعماء العرب ، فإنها أجرت اتصالات مع لجان الدفاع عن فلسطين في العراق وسورية (ر : الدفاع عن فلسطين ، لجنة) ، لعقد مؤتمر عربي عام في بلدة بلودان بسورية يحضره مندوبون عن فلسطين والأقطار العربية .

وفي ١٩٣٧/٩/٨ عقد هذا المؤتمر في بلودان برئاسة ناجي السويدي (العراق) وحضره ممثلون عن الأقطار العربية المختلفة . ومثل فلسطين في المؤتمر وفد انتدبته اللجنة العربية العليا كان أعضاؤه محمد إسحق درويش " وعزة دروزة ورشيد الحاج إبراهيم " وأكرم عبيد وصبحي الخضراء " ومحمد علي الطيمي وأحمد الإمام ، إنتخب الأمير شكيب أرسلان والنظران حريكة مطران حماه للروم الأرثوذكس نائبين لرئيس المؤتمر . وكاد المؤتمر في الحقيقة من أعظم المؤتمرات القومية العربية .

أعرب المؤتمرون عن مقاومتهم للتقسيم ونقمة العرب على كل من يقبل به . وعين المؤتمر عدة لجان لتقديم الدراسات والمقترحات المطلوبة ، وتقديم التوصيات بشأن أحسن السبل التي يجب اتباعها لضمان وحدة الصف العربي ورفض التقسيم .

وأصدر المؤتمر في جلسته الختامية القرارات التالية :

١) إن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي .

٢) رفض تقسيم فلسطين ومقاومة إنشاء دولة يهودية فيها .

٣) الإصرار على طلب إلغاء الانتداب وتصريح بلفور (ر : بلفور ، وعد) وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي الفلسطيني استقلاله وسيادته .

٤) يعلن دستور الدولة المستقلة (الفلسطينية) أن للأقليات ما للاكثرية من حقوق وعليها مثل ما على الأكثرية من واجبات . ويؤكد ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة وأمثال هذه الأمور وفقاً للمبادىء الدستورية والقانونية العامة .

٥) تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية حالاً وإصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي إلى اليهود .

بلودان (مؤتمر ـ ١٩٤٦) :

كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية شكلتا لجنة تحقيق مشتركة تتحرى المشكلة اليهودية الأوربية (ر : الأنكلو ـ أمريكية ، لجنة التحقيق) وتعيد النظر في القضية الفلسطينية . وقد أنهت اللجنة تقريرها وقدمته في ١٩٤٦/٤/٢٢ إلى كل من رئيس الحكومة البريطانية ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

أثار تقرير اللجنة غضب العرب لما فيه من شذوذ وبُعد عن النزاهة والمنطق والعدل ، وجعلهم يندمون لأنهم تعاونوا مع اللجنة المذكورة ولم يقاطعوها .

ودعي مجلس جامعة الدول العربية إلى عقد دورة استثنائية في بلودان بسورية في ١٩٤٦/٥/٨ لبحث الوضع الناشىء عن صدور تقرير اللجنة ، وإعلان موقف العرب منه ، ولكن هذه الدورة تأجلت بسبب انعقاد مؤتمر قمة أنشاص بمصر يومي ٢٧ و٢٨ أيار (ر : أنشاص ، مؤتمر) .

ثم دعي مجلس الجامعة إلى عقد هذه الدورة الاستثنائية في مطلع حزيران ١٩٤٦ في بلودان . ونظراً لخطورة الأوضاع وهياج الشعب العربي بسبب تقرير لجنة التحقيق المشتركة وقيام موجة من الدعايات ضد الجامعة العربية نفسها رأت الدول العربية ، إحياء

لآمال العرب بالجامعة ، إسباغ مظهر القوة والعزم على مجلس الجامعة ، فقررت أن تبعث إلى مؤتمر بلودان برؤساء الوزارات ووزراء الخارجية والدفاع ، وبعدد من كبار الزعماء والقادة . وكان من أبرز الشخصيات التي اشتركت في المؤتمر حمدي الباجه جي (العراق) وسعد الله الجابري وفارس الخوري ولطفي الحفار وجميل مردم بك (سورية) وصائب سلام وحبيب أبو شهلا (لبنان) واشترك جمال الحسيني * في الدورة بوصفه ممثلاً لفلسطين .

وبعد اجتماعات تمهيدية وجانبية افتتحت الدورة رسمياً في ١٩٤٦/٦/٨ في جو سادته الحماسة ، وقرر المجلس تركيز بحوثه وجهوده على قضية فلسطين وشؤون شعبها السياسية والداخلية .

ناقش المجلس تقرير لجنة التحقيق المشتركة فانتقده المجتمعون انتقاداً شديداً واستنكروا المجاهات السياسة الأمريكية خاصة ، والغربية عامة ، وتنافس أعضاء الوفود في الدعوة إلى التأهب والاستعداد ومواجهة الأخطار بجد وعزم . واقترح رئيس الوزارة العراقية (حمدي الباجه جي) أن تبادر الدول العربية إلى تخصيص مبالغ كبيرة من المال لتسليح الفلسطينيين وتنظيمهم ، وأعلن استعداد حكومة العراق للمساهمة بالمال والسلاح والرجال لإنقاذ فلسطين . وأهب هذا الموقف شعور المجتمعين فاقترح عدد منهم مقاطعة العرب لبريطانيا والولايات المتحدة وقطع النفط عنها . وبعد ذلك شكل المجلس لجنة من أعضائه سميت اللجنة السياسية برئاسة الأمين العام للجامعة لدرس المقترحات المقدمة للمجلس وتنسيقها ، ولوضع رد الجامعة العربية على تقرير لجنة التحقيق .

ثم بحث مجلس الجامعة شؤون فلسطين السياسية والداخلية ، ومواضيع أخرى تتناول إعداد الفلسطينيين وتنظيمهم وتوحيد صفهم ، وقرر تشكيل لجنة من أعضائه سميت اللجنة الداخلية للنظر في هذه الأمور ، وتقديم المقترحات والتوصيات إلى المجلس بهذا الشأن .

وبعد أن عقدت اللجنة الداخلية سلسلة من الاجتماعات ، حضرها بعض رؤساء الوفود والأمين العام للجامعة رفعت إلى مجلس الجامعة التوصيات التالية :

١) تشكيل هيئة فلسطينية عليا تعرف باسم الهيئة العربية العليا لفلسطين * تعترف بها الجامعة وتعتمدها ممثلة للشعب العربي الفلسطيني وناطقة باسمه . " وتكون هذه الهيئة « حكومة » للشعب الفلسطيني من ناحية ، ومن ناحية ثانية تكون بالنسبة إلى الفلسطينيين مثل الوكالة اليهودية * بالنسبة إلى اليهود " .

٢) تولّي هذه الهيئة أعمال الدعاية ومقاطعة الأعداء اقتصادياً وتجارياً وتنشيط الشعب الفلسطيني (أي تنظيمه وإعداده وتسليحه) .

٣) تخصيص الدول العربية مبلغ مليون جنيه فلسطيني سنوياً للهيئة لتستطيع القيام بواجباتها .

٤) تشكيل لجنة فلسطينية مركزية تابعة للهيئة للعمل على إنقاذ أراضي فلسطين والحيلولة دون تسربها إلى اليهود .

٥) تخصيص مبلغ مليون جنيه فلسطيني أخرى سنوياً للجنة إنقاذ الأراضي .

ووافق مجلس الجامعة على توصيات اللجنة الداخلية وفوض إليها العمل على تنفيذها .

واتخذ مجلس الجامعة عدة مقررات سياسية بعضها سري وبعضها علني . ومن المقررات العلنية الرد على تقرير لجنة التحقيق المشتركة ، ومفاوضة الحكومة البريطانية للوصول إلى حل لقضية فلسطين ، ورفع قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة في حال فشل المفاوضات . أما المقررات السرية فقد عرف منها قطع الدول العربية للنفط عن بريطانيا والولايات المتحدة ، وتزويد الفلسطينيين بالخبراء والعسكريين العرب لأغراض التدريب وتخصيص القرى والمناطق العربية ، وإدخال الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين في الوقت المناسب ، وتنفذ هذه القرارات (السرية) في حال استمرار بريطانيا والولايات المتحدة على سياستهما وموقفيهما .

وخلال اجتماعات الدورة الاستثنائية لمجلس الجامعة هبط بلودان العميد كلايتون رئيس استخبارات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ، والمستر برايس مساعد مدير الاستخبارات البريطانية في فلسطين ، وعدد آخر من البريطانيين والأمريكيين انتحلوا لأنفسهم صفة الصحافيين . وجعل هؤلاء ، ولا سيما كلايتون ، يجرون اتصالات مكثفة بالوفود العربية لإبطال مفعول بعض قرارات مجلس الجامعة . في حين كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية تمارسان ضغوطاً شديدة على العواصم العربية لتعديل مقررات بلودان وتخفيفها إلى الحد الذي يجعلها مقبولة للندن وواشنطن .

والواقع أن هذه المساعي البريطانية والأمريكية ، واتصالات كلايتون بالوفود العربية ، أثرت في نفوس بعض القادة العرب فخبت الحماسة العظيمة التي كانت تسيطر على مجلس الجامعة ، وجاءت مقررات الدورة النهائية غير ما توقعه العرب .

ففيما يتعلق بالقرارات التي وافق عليها مجلس الجامعة جرت تعديلات وتغييرات أساسية أفقدتها الكثير من مزاياها وفوائدها . إذ ألغى المجلس في قراراته الختامية توصية اللجنة الداخلية بتخصيص الدول العربية مبلغ مليون جنيه فلسطيني سنوياً ، واستعاض عنها

بتوصية أخرى تنص على " أن تقدم الدول العربية المساعدات المالية للهيئة العربية العليا لفلسطين حسب ما تقرره في ميزانياتها " . كذلك ألغى المجلس في قراراته النهائية توصية اللجنة الداخلية بتخصيص مليون جنيه فلسطيني سنوياً لإنقاذ الأراضي .

وخلال هذه الدورة ، وبعد اجراء مشاورات مع زعماء مختلف الأحزاب الفلسطينية الذين جاؤوا إلى بلودان ، تم إنشاء الهيئة العربية العليا لفلسطين من : جمال الحسيني ، وأحمد حلمي عبد الباقي * ، وحسين فخري الخالدي * ، وإميل الغوري . وترك منصب رئاسة الهيئة شاغراً ليشغله الحاج محمد أمين الحسيني * عندما يستعيد حريته .

وقدمت الأمانة العامة للجامعة مبلغ عشرة آلاف جنيه فلسطيني للهيئة لمباشر أعمالها فور عودتها إلى القدس .

البنـــاء (أحجـار ــ) : ز : المـادن
ز . مواد البناء (صناعة ــ)

البنّاء المقدسي : ز : أبو بكر البنّاء المقدسي

بنات يعقوب (جسر ــ) :

يقع على نهر الأردن * على بعد قرابة كيلومترين جنوب بحيرة الحولة * (التي جففت) ، وبيعد عن مدينة صفد * حوالي عشرين كيلومتراً . لم يعثر على رأي قاطع حول سبب تسميته بهذا الاسم وإن كان بعض الباحثين يذكر أن يعقوب * النبي عبر الأردن من هذه

النقطة وهو في طريقه إلى حرّان لزيارة خاله « لابان » أو في طريق عودته منها . وظن آخرون أن هذه التسمية تعود إلى مقتل بعض اليعقوبيين إبّان الحروب مع الإفرنج في العصور الوسطى .

تذكر بعض الروايات التاريخية أن السلطان صلاح الدين الأيوبي * هو الذي أنشأ هذا الجسر لربط طرق القوافل القادمة من فلسطين إلى دمشق ، وجدده الملك الظاهر بيبرس * في وقت لاحق . ويرجح البعض أن بناء الجسر والخان المجاور له من الجهة الشرقية قد تم قبيل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم جدد بناؤه في أواخر القرن السادس عشر .

في العصور الوسطى إبان الحروب مع الصليبيين سيطر هؤلاء على الجسر لأهميته الحيوية ، وأقاموا عنده في عام ٥٨٣هـ/١١٧٨م قلعة صغيرة استولى عليها صلاح الدين الأيوبي في العام التالي لانتهاء بنائها . ولا نزال بقايا هذه القلعة قائمة ، وقد صنفت ضمن المواقع التاريخية الفلسطينية . وقد نزل الشهابيون منطقة الجسر ، ولكنهم بعد مدة من الاستقرار رحلوا إلى وادي التيم وخاصبا حيث أقاموا إمارتهم .

ذكر أبو الفداء المؤرخ (عاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) القمعة باسم « بنت يعقوب » . وذكر رحّالو القرن الرابع عشر الذين كانوا يرافقون القوافل في طريقها من فلسطين إلى دمشق أنهم كانوا يعبرون نهر الأردن ثم يستريحون في خان بالقرب من الجسر . والراجح أنه الخان الذي يقع بالقرب من جسر بنات يعقوب ، والذي مرّ ذكره . والجدير بالذكر أن هناك مجموعة من الخانات أقيمت على طول طرق القوافل التي تمر عبر جسر بنات يعقوب منها : خان اللجون ، وخان النجار ، وخان المنيا ، وخان جب يوسف ، وخان الجسر ، وكلها بعد خروج الطريق من سهل بيسان . بني جسر بنات يعقوب من الحجارة البركانية السوداء التي تكثر في المنطقة ، ورفع على أربع قناطر ، وحافظ على أهميته الاستراتيجية عبر العصور التاريخية

بينت التنقيبات الأثرية التي جرت في المنطقة عام ١٩٣٦ أن المنطقة مأهولة منذ العصر الحجري القديم . وهو اليوم نقطة حراسة ، وبه معسكر صغير للجيش الإسرائيلي .

المراجع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .
ــ أنيس صايغ . بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ــ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ــ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
— Robinson, E. and Smith, E.: Palestine, Mount Sinai and Arabia Petraea III- QDAP vol. VI 1936.

البنادقـــة :

كـانت مدينة البندقية الإيطالية تتبع رسمياً الإمبـراطـوريـة البيزنطيـة وتحكمها نائب بيزنطي . وقد استطاعت البندقية ، هي وعدد من المدن الإيطالية الأخرى ، أن تحصل على استقلالها من الإمبراطورية نتيجة للضعف الـذي أصابها أواخر القـرن العاشـر الميلادي ، وأن تؤلف « جمهورية مستقلة » .

وقد سعت هذه الجمهورية ومثيلاتها الإيطاليات لبسط سيادتها على الملاحة في البحر المتوسط ، وإقامة قواعد وأسواق تجارية لها . وكانت البندقية أعظمها دوراً وأثراً ، فصار لها جاليات تجارية مقيمة في عدة موانئ على البحر المتـوسـط ، وحصلت على امتيازات كثيرة من بيزنطة ، وضربت نقوداً خـاصـة بهـا ، وحسّنت سفنها تحسينـاً كبيراً .

وكانت أوربـا آنـذاك بشطريها الغربي والشرقي تعيش أجواء دعوة صليبية متوقدة ، كانت مظاهرها الأولى الحج وزيارة الأمـاكن المقدسة . وقد شجعت القوى الإيطالية ، ومنها البنادقـة ، الحجاج الأوربيين على القدوم إلى فلسطين ، ونقلتهم أساطيلها البحـرية ، وقدمت لهم الخدمات المتنوعة .

ولمّا بدأت الحروب الصليبية لتّى البنادقة دعوتهـا وكان لهم دور بحـري كبير فيهـا . وقد حصلوا بنتيجة ما قـدموه من المـسـاعدات والخـدمـات عـلـى امتيـازات تجـاريـة وقضـائيـة . ففي سنـة ٥٣٥هـ / ١١٤٠ نـالـوا من صـاحب أنـطاكية امتيـازاً بتخفيض الرسوم الجمركية عـلى بضـائعهم ، مـع وعـد بحمـايـة سفنهم ومتاجرهم ، وحق في المحاكمة وفقاً لقوانينهم الخاصة .

وعقـد غـودفـري مـلك مملكـة القـدس اللاتينيـة * سنـة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م معاهدة معهم تضمنت إعفاءات جركية وضريبية داخل المملكة ، ومنحهم ثلث المدينة التي يساعدون في احتلالها ، وحماية ممتلكـاتهم ومنهم ، وقد أسهم أسطول البنادقة في احتلال مدينة حيفا * بعد قـرابة شهـرين من تاريـخ عقد هـذه المعاهـدة . ومنحهم الملك بغـدوين الأول سنـة ٥٠٥هـ / ١١١١م امتيـازات تجارية في القدس وحيّاً خاصاً بهم في عكا مقابل مساعداتهم له في احتلال مدينتي صيدا وبيروت سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م . ووقّعت مملكة القدس مع البنادقة عام ٥١٨هـ / ١١٢٤ م معـاهدة نالوا بها كثيراً من الامتيازات والإعفاءات الجمركية ، فأعطوا الحق في امتلاك أحياء لهم في المدن ، و الحق في استخـدام مقاييسهم ومكـاييلهم في معاملاتهم التجارية ، وفي وجود محاكم خاصة بهم ، وأعفوا من الضرائب والرسوم الجمركية ، ونالوا ثلثي مدينة صور لمساعدتهم في احتلالها .

وكان للبنادقة شأن كبير في تاريخ الحروب الصليبية ، إذ حرفوا الحملة الصليبية الرابعة عن اتجاهها المرسوم لها وهو مصـر ووجـهوها إلى القسطنطينية ، فاحتلها الصليبيون وأقـاموا فيهـا الحكم اللاتيني أمداً طويلاً . وبذا نال البنادقة أرباحاً وامتيازات كبيرة ، وقاموا بطرد الجنـويين * منـافسيهم من بيزنطية ، فـوجّـه هؤلاء جهـودهم إلى بلاد الشام ، وحملوا العداء للبنادقة . وكان نتيجة ذلك نشوب النزاع وحدوث الكثير من الاصطدامات بين البنادقة والجنويين في أكثر من مكان ، وكان أشهرها وأطولها في مدينة عكـا فيما عـرف « بحرب دير القديس سابا » سنـة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م . دامت سنوات ، وكان كل طرف يهاجم حي الطـرف الثاني ويسلب ممتلكـاته ويـدمّر سفنه ، ولا ريب في أن هذا الصراع بين القوى البحرية الإيطالية الذي جاء في المرحلة الأخيرة من وجود الفرنجة * في فلسطين وبلاد الشام قـد عجّل في إنهاء وجودهم في هذه المنطقة سياسياً واقتصادياً .

المراجـع :

— Ashtor, E.: **A Social and Economic History of the Near East in the Middle ages,** London 1976.
— Atiya, A.S.: **Crusade, Commerce and Culture,** Bloomington 1962.
— Brows, H.F.: **Venice, A Historical Sketch of the Republic,** London 1893.
— Hodgson, F.C.: **Venice in the Thirteenth and Fourteenth Centuries,** London 1910.
— Pirenee, H.,: **Medieval Cities** (Eng. Trans.), Princeton 1939.
— Ranciman, S.: **A History of the Crusades,** 3 vols., Cambridge 1957.

بن برق (قرية ـ) : رَ : الخيرية (قرية ـ)

بن طـوف (مشـروع ـ) :

مردخاي بن طوف يهودي بولوني الأصل هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٠ ، وهو من زعماء حزب المابام * ومؤسس جريدة الحزب اليومية « عـلى هـشمـار » ، بالإضـافـة إلى كونـه من قيـاديي الهستدروت * .

اشترك بن طوف منذ نشوء (الدولة) في عدة وزارات إئتلافية مع حزب المابای * الحاكم وله عدة كتب .

أما مشروعه لحل القضية فقد نشر خطوطه العريضة في مقالة عنوانها « استراتيجية السلام » في مجلة نيـو أوتلوك *New Outlook* عام ١٩٧٥ مشيراً فيه إلى أن أفضل مشـروع سلام إسـرائيلي لحل القضية قدم حتى الآن هو مشروع حزب المابام حسب تعبيره . وكان

حزب العمال قد قدم في مناسبات مختلفة أفكاراً لتحقيق السلام مع العرب أضاف إليها بن طوب نقاطاً جديدة أخذاً بعين الاعتبار التطورات الأخيرة التي حصلت في الموقف السياسي بعد حرب ١٩٧٣ * .

يقول بن طوب في مشروعه إنه يترتب على دولة (إسرائيل) أن تبادر إلى تقديم مقترحاتها بشأن أسس التفاوض مع جيرانها العربيات لإيجاد حل شامل على النحو التالي :

١) تعترف (إسرائيل) ، وتستمر في الاعتراف ، بسيادة مصر وسورية على أراضي الدولتين التي احتلتها (إسرائيل) عام ١٩٦٧ . لكن (إسرائيل) تحتفظ في الوقت نفسه بحقها في طلب تعديل الحدود أثناء مفاوضاتها مع الطرفين المشار اليهما .

٢) تتعهد (إسرائيل) مقدماً بالانسحاب من ٧٥٪ - ٨٠٪ على الأقل من الأراضي المشار اليها أعلاه وتبدي استعدادها للدخول مستقبلاً في مفاوضات بشأن تقرير مصير الأراضي المحتلة الباقية .

ويعني الإعلان مقدماً عن الانسحاب من ٧٥ - ٨٠٪ من الأراضي المحتلة التأكيد للعرب وللرأي العام العالمي أن حقوق (إسرائيل) ليست قائمة على أساس التوسع الإقليمي ، كما يتم تحديد الحدود النهائية على أساس المفاوضات وبرضى الطرفين .

ويقول بن طوب إن (إسرائيل) تكفل نتيجة هذا الاقتراح حقها في تعديل حدود عام ١٩٦٧ دون الإساءة إلى الموقف العربي الذي يرى أن على (إسرائيل) أن تعود إلى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ * .

٣) تتقدم (إسرائيل) بطلب إدراج ترتيبات معينة في اتفاقيات السلام ، بعضها ذو صفات مرحلية ، وترتيبات أخرى دائمة تتناول وضع (إسرائيل) الأمني الخاص ، وكذلك أمن أجيرانها كتحديد المناطق منزوعة السلاح ونقاط المراقبة والإدارة المؤقتة للأراضي المحتلة والضمانات الكافية لمنع الهجمات المباغتة لأي من الأطراف وكل ما يساعد على تقوية فرص السلام والثقة المتبادلة .

٤) تبدي (إسرائيل) استعدادها للتباحث بشأن القضية الفلسطينية مع ممثلي الفلسطينيين المعترف بهم من قبل دولتين على الأقل من جارات (إسرائيل) ، وعلى أساس الاعتراف المتبادل بين الطرفين ، بأن تقر (إسرائيل) بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، كما يعترف الممثلون الفلسطينيون بدورهم بحق (إسرائيل) في العيش ضمن حدود معترف بها .

٥) تقوم (إسرائيل) ببحث مشروع اتفاق سلام مع الممثلين الفلسطينيين ليتم إبرامه بينها وبين الدولة التي يزمع الفلسطينيون إقامتها في إطار حق تقرير المصير . وتأخذ (إسرائيل) بعين الاعتبار في إطار هذا الاتفاق مع الدولة الجديدة ما ورد من التعهد بالانسحاب من ٨٠٪ على الأقل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، على أن يجري تقرير مصير الأراضي الباقية في اتفاقي لاحقة .

٦) تقترح (إسرائيل) تنفيذ بنود اتفاقيات السلام المقترحة على مراحل تبدأ بمرحلة أولى لإعلان إنهاء حالة الحرب وتنتهي في المرحلة الأخيرة بإقامة علاقات طبيعية بين الأطراف المعنية . ويجري مسبقاً تعيين تاريخ ابتداء كل مرحلة في اتفاقية السلام المعقودة ، على أن يعين العرب بدورهم موعد ابتداء المرحلة الأخيرة بإعلانهم عن استعدادهم لإقامة علاقات طبيعية مع (إسرائيل) .

٧) تبدي (إسرائيل) استعدادها للدخول في مباحثات اتفاق شامل على أساس ما تقدم من مبادىء مع أي من جيرانها (وفيهم الفلسطينيون) منفردين أو مجتمعين . وفي حال إجراء مباحثات منفردة مع أحد الأطراف يراعى مبدأ تأجيل التنفيذ النهائي للاتفاق المعقود معه إلى حين الاتفاق مع الأطراف الأخرى .

وواضح أن بن طوب يريد من ذلك أن يظهر أن إجراء المباحثات مع طرف من الأطراف العربية ليس صلحاً منفرداً .

ثم يقول إن هناك كثيرين يرفضون تقديم أية تنازلات للعرب متعللين بأسباب مختلفة ، ولكنهم في أعماق أنفسهم يحجمون عن تقديمها خوفاً من أن يقبلها العرب . كما أن المسألة تتعلق حسب رأي بن طوب بمدى استعداد الحكومة الإسرائيلية في أن تعلن خطة من هذا النوع في ظل الأوضاع البرلمانية وما كانت عليه يومها لذلك لم يلق مشروعه الصدى الرسمي الإسرائيلي الملائم .

المراجع :

— Ben Tov, M. A Strategy for Peace, **New Outlook**, July - August 1975.

— Ben Tov, M.: Who's afraid of Peace, **New Outlook**, December 1976.

بن يهودا (نسف شارع) :

بدأت سلطات الانتداب البريطاني تقلص من شدة قبضتها على أنحاء عديدة من فلسطين بدا واضحاً منذ أواسط عام ١٩٤٦ . وفي الواقع كان ذلك تأثراً مع الحركة الصهيونية وتسهيلاً لها لبسط نفوذها على المناطق التي تخليها سلطات الانتداب . وتبعاً لذلك توقفت المحاكم عن النظر في القضايا وكلف بها القائد العسكري العام . كما توقفت خدمات البريد والهاتف ومرافق المياه والكهرباء ، مما أدى إلى نوع من الفوضى استغلها الصهيونيون لفرض سلطانهم الإدارية وفق الخطة « برنس » لوراثة الانتداب البريطاني .

دفع هذا الوضع العرب إلى زيادة عملياتهم التعرضية وتكبيد الصهيونيين أكبر خسائر ممكنة لثنيهم عن عزمهم على السيطرة . وكانت منطقة القدس أكثر المناطق حساسية للطرفين ، لذلك ركز قائد جيش الجهاد المقدس * عبد القادر الحسيني * ضرباته عليها ، ووقع اختياره على شارع بن يهودا لكونه في قلب المنطقة اليهودية من مدينة القدس ولاحتوائه على ميدان عدة هامة يمارس الإرهابيون الصهيونيون نشاطاتهم منها ، وأهمها بناية الهستدروت * التي كانت تشغلها آنذاك قيادة الهاغاناه * .

وضع عبد القادر الحسيني خطة لنسف أكبر قسم من الشارع ، وكلف فوزي القطب قائد فرقة التدمير العربية * تجهيز المتفجرات اللازمة لذلك فوزعها هذا الأخير على ثلاث عربات نقل موهت لتبدو بريطانية . كما تم الاستيلاء على عربة مصفحة من مهاجب شرطة يافا لتتقدم السيارات تبدو كأنها قافلة نظامية للجيش البريطاني .

استفاد عبد القادر من بعض عناصر الشرطة البريطانية الناقمين على الصهيونيين بسبب أعمالهم الإرهابية فكلفهم قيادة العربات بلباسهم العسكري حتى النقاط المحددة لها وفق الخطة .

وفي الساعة السادسة من صباح ١٩٤٨/٢/٢٢ تحركت هذه القافلة نحو شارع بن يهودا عن طريق رام الله ـ بيت حور ـ باب الواد ، وتخطت جميع حواجز التفتيش البريطانية والصهيونية بسهولة حتى وصلت إلى المواقع المحددة لها في الشارع والفريسة من مبنى فندق « الملانيك » حيث انتهت مهمة سائقيها الإنكليز فغادروها . وعندئذ أشعل المتآمرون العرب المكلفون تنفيذ المهمة فتائل التفجير ثم غادروا المكان .

دوّى الانفجار الهائل في تمام الساعة ٦,٢٥ ودمر القسم الأعظم من شارع بن يهودا وعدداً من أبنية الشوارع المجاورة . ووقع عدد كبير من القتل والجرحى بلغ حسب البلاغ الحكومي ٤٢ قتيلاً و ١٣٢ جريحاً . ودب الذعر بين سكان الحي فخرجوا من منازلهم هلعين .

أدّى هذا الحادث إلى ثورة غضب في نفوس قادة الصهيونيين فشكلوا لجنة بالتعاون مع سلطات الانتداب لتحديد الفاعل فتبين آن السيارات عائدة للجيش البريطاني . عند ذلك اعتبرت الوكالة اليهودية * كل بريطاني خصماً لها . وبدأت سلسلة من الاعتداءات على العسكريين الإنكليز أهمها نسف سيارة الجنرال ماكميلان القائد البريطاني ، ولو يكن هو نفسه موجوداً فيها .

اتخذت سلطات الانتداب إثر ذلك تدابير مشددة لمنع تكرار مثل هذا الحادث ، ولكنها رغم ذلك لم تستطع ان تمنع المناضلين العرب من تنفيذ عمليات أخرى مماثلة .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ حسن البدري : الحرب في أرض السلام ، القاهرة ١٩٧٦ .

البنـدكتيـن (دير ـ) :

ينتسب البندكتيون إلى القديس بندكتس *Binédictus* أو مبارك *Benoit* (٤٨٠ ـ ٥٤٧ م) ، الـذي يعدّ « أبا رهبان الغرب » وأحد منظمي الحياة التقشفية في القرون الوسطى .

امتدّت الأديار البندكتية إلى الشرق . وقد يكون البابا غريغوريوس (٥٩٠ ـ ٦٠٤ م) أول من أقام ديراً بندكتيا في القدس مع مضافة للحجاج بالقرب من كنيسة القيامة * . ثم أقام شرنان ثلاثة أديار هناك . وفي القرن الحادي عشر الميلادي كان للبندكتيين ثلاثة أديار في جوار كنيسة القيامة ، ومستشفى للمرضى والفقراء ، ومضافة للحجاج . ولعلّ أهم دير كان لهم في القدس هو دير « سيدة بوشلقاط » في جوار كنيسة قبر العذراء ، وكان رهبانه يعنون بالهندسة وبالصياغة وانزراعة . وكان لهم مستشفى . وكان للراهبات البندكتيات دير في الصلاحية وآخر في العيزرية القريبة من القدس .

واليوم ، في القدس دير للبندكتيين يقوم على جبل صهيون الحالي في بستان « النباحة » حيث بنيت كنيسة مريم العذراء ذكراً للأيام الأخيرة من حياتها . وقد قدّم المكان السلطان عبد الحميد * لغليوم الثاني إمبراطور ألمانية سنة ١٨٩٨ م فجعله هذا

ملكا للكاثوليك . فبنى الألمان الكاثوليك هناك (١٩٠٠ م) ديرا وكنيسة على اسم « رقاد العذراء » مستديرة على وفق فنون مختلفة من الهندسة . وفي سنة ١٩٠٦ سُلّم الدير والكنيسة إلى البندكتيين الألمان فزينوا الكنيسة بالفسيفساء ، وجعلوا منها مزارا جذابا ، واشتهروا بالنشاط الأدبي والعلمي والهندسة والصناعة ، وأقاموا متحفا فلسطينيا .

وفي حرب ١٩٤٨ * احتل الجيش الإسرائيلي الدير والكنيسة وحلّ الدمار والنهب بهما وبالمتحف . فأكره الرهبان على مغادرة الدير . وفي الدير اليوم مركز للدراسات الكتابية ، ومركز مسكوني للبحث اللاهوتي ، ومنتدى للقاءات الطلاب . وهو مسؤول عن ملجأ العجزة .

المراجع :

— Gariador, B.: **Les anciens Monastères Bénédictins en Orient,** Lille-Paris 1912.

— Hoade, E.: **Guide to the Holy Land,** Jerusalem 1979.

— **Revue de Jerusalem:** Jérusalem Août 1955, Mars - Avril 1974.

بندلي صليبا الجوزي (١٨٧١ - ١٩٤٢) :

ولد في القدس * وهاجر سنة ١٨٩١ إلى روسيا ليدرس اللاهوت ويتخرج كاهناً . ولكنه عدل عن ذلك بعد أن درس اللاهوت في موسكو ثلاث سنوات ، وانصرف إلى الدراسات العربية والإسلامية واللغات السامية في موسكو ثم في قازان . وقد عيّن نائب أستاذ للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة قازان سنة ١٨٩٦ . ونال شهادة الماجستير من هذه الجامعة سنة ١٨٩٩ . وكان موضوع رسالته « المعتزلة ، البحث الكلامي التاريخي في الإسلام » .

سافر بندلي الجوزي سنة ١٩٠٠ إلى وطنه فلسطين ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى قازان بسبب اضطهاد السلطات العثمانية له .

عمل أستاذاً مساعداً لمادة الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة قازان بين سنتي ١٩١١ و١٩١٧ . وانتقل بعد ذلك إلى كلية الآداب والتاريخ ، وحاضر في تاريخ شعوب الشرق الأدنى حتى سنة ١٩٢٠ . وفي تلك السنة دعي إلى تولّي كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة باكو الدولية ، كما أسند إليه كرسي تاريخ الشرق الإسلامي . وقد أصبح بين سنتي ١٩٣٠ و١٩٣٣ رئيساً للقسم العربي من فرع أكاديمية العلوم في أذربيجان . وزار فلسطين وسورية والعراق ومصر وإيران ثلاث مرات لأغراض علمية .

كان بندلي الجوزي يتقن الكثير من اللغات القديمة والحديثة . وقد ألف باللغتين العربية والروسية ، وترجم عنهما وإليهما ، كما نقل عن الألمانية بالاشتراك مع الدكتور قسطنطين زريق كتاب « أمراء غسان » تأليف المستشرق الألماني نولدكه (طبع سنة ١٩٣١) . وبالإضافة إلى الكثير من المقالات العلمية في المجلات العربية طبع في القدس سنة ١٩٢٨ الجزء الأول من كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام » . وقد بحث فيه الحركات الاجتماعية حسب النظريات العلمية ـ الماركسية فنال بذلك شهرة واسعة .

توفي بندلي في مدينة باكو تاركاً مؤلفات مطبوعة بلغ مجموعها ١٥ كتابا باللغتين العربية والروسية ، وهي :

١) اللغة الروسية للعرب قازان ١٨٩٨ - ١٨٩٩ .
٢) المعتزلة ، البحث الكلامي التاريخي في الإسلام قازان ١٨٩٩ .
٣) تحفة العروس في لغة الروس قازان ١٩٠٣ .
٤) محمد المكي ومحمد المدني قازان ١٩٠٣ .
٥) الأمومة عند العرب (ترجمة عن ديكلف الهولندي) قازان ١٩٠٣
٦) تاريخ كنيسة أورشليم قازان ١٩١٠ .
٧) جبل لبنان ، تاريخه وحالته الحاضرة قازان ١٩١٤ .
٨) البحث في القرآن قازان ١٩١٤ .
٩) المسلمون في روسيا ومستقبلهم قازان ١٩١٧ .
١٠) كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ترجمة) باكو ١٩٢٧ .
١١) تاريخ اليعقوبي (ترجمة) باكو ١٩٢٧ .
١٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام القدس ١٩٢٨ .
١٣) الشؤون الإنكليزية المصرية باكو ١٩٣٠ .
١٤) أمراء غسان (ترجمة عن نولدكه) بيروت ١٩٣٣ .
١٥) تاريخ حياة الفارابي وتلخيص نظامه الفلسفي باكو

وقد جمع ناجي علوش وجلال السيد مقالات بندلي الجوزي

المنشورة في الصحف والمجلات وأصدراها بيروت في كتاب عنوانه « دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب » .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ يوسف إليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ، القاهرة ١٩٢٨ .
ـ نصري الجوزي : بدئي صليبا الجوزي ، مجلة الكاتب الفلسطيني، عدد ٤ ، آب ١٩٧٨ .

بنفستي (مشروع ـ) : رَ : القدس (تموبد ـ)

البنـك العربـي :

يعتبر البنك العربي واحدا من أهم المؤسسات والدعائم الاقتصادية العربية القومية العملاقة ، إن لم يكن أكبرها جميعا . ويرتبط اسمه وسمعته باسم عبد الحميد شومان * الذي كان قد أسسه بالاشتراك مع أحد حلمي عبد الباقي * في القدس * الشريف من سبعة ساعين وعشرة موظفين وبرأسمال قدره ١٥ ألف جنيه . والواقع أن فكرة تأسيس البنك العربي كانت قد ولدت في مخيلة صاحبها عبد الحميد شومان قبل ذلك بسنين أيام كان شومان في المهجر . ثم جاءت ظروف وأزمات جعلت تأسيس مصرف عربي ضرورة لا محيص عنها ، ولا سيما تلك الأحداث التي تعاقبت على الوطن العربي وفلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ، وتفشي خطر الصهيونية * في فلسطين تعززه مصارف اليهود وأنصارهم في الوقت الذي عانى فيه المواطن الفلسطيني الكثير من إهمال حكومة الانتداب فسادت أحواله ولم يكن أمامه إلاّ " أن يبيع أرضه للعدو الغازي ، أو أن يقع في أيدي مرابين جشعين " .

ومن جهة أخرى أدرك عبد الحميد شومان أثناء وجوده في المهجر أهمية ما تقوم به البنوك الأمريكية من خدمات لتجارة وصناعة واقتصاد أمريكا عموما . وتفاعلت هذه العوامل في نفسه ، وتمخضت عن فكرة إنشاء بنك عربي يخدم اقتصاد بلاده . ويبدو أن شومان أراد في البداية التعاون مع طلعت حرب (المصري) على إنشاء مصرف في فلسطين باسم " البنك المصري الفلسطيني " ، غير أن هذا الأخير تراجع عن الفكرة ، مما حمل شومان على السير وحده لتحقيق المشروع بأمواله الخاصة . وقد أطلق عليه اسم البنك العربي ، وجرى تسجيله رسميا في ١٩٣٠/٥/٢١ ، وباشر عمله في ١٩٣٠/٧/١٤ .

وجدير بالذكر أن قصة إنشاء البنك العربي تشابه إلى حد كبير قصة كل فلسطيني عاش أحداث القرن العشرين . فلقد عانى البنك من عنت واضطهاد عهد الانتداب ، ومن الأحداث التي تعاقبت على فلسطين . ولقد كانت أول عقبة واجهت البنك هي معارضة مسجل الشركات الذي كان يهودياً تسجيل البنك لأسباب واهية مدة طويلة . كما عانى البنك أيضاً نتيجة الاضطرابات التي عمت فلسطين في ستي ١٩٣٩ و١٩٤٨ ، والأحداث العالمية الأخرى مثل حرب الحبشة والحرب العالمية الثانية . إلاّ أن البنك العربي استطاع مواجهة تلك الأحداث بصلابة وقوة ، ولم يتردد في الوفاء بالتزاماته . وخرج من هذه الصعوبات كلها وهو أقوى ساعدا وأشد عودا وأقدر على أداء رسالته . ويقف البنك العربي اليوم شامخا ثابتا وقد انتشرت فروعه ومؤسساته في أنحاء الوطن العربي وفي أوربا وآسيا وإفريقيا وأمريكا وأصبح مصرفا عالمياً . وهو يحتل المرتبة ٢٣٩ ضمن مجموعة أكبر ٥٠٠ مصرف في العالم لسنة ١٩٧٧ . وقد وصل عدد فروعه إلى ٤٩ فرعا (عدا فروع الضفة الغربية) . ويبلغ

رأسماله ١١ مليون دينار أردني ، كما زادت موجوداته على ألف وخمسمائة مليون دينار أردني . ويمكن أن نُعزى أسباب هذا النجاح إلى السياسة الحكيمة التي اتبعت في إدارته ، واحتفاظه بسيولة نقدية عالية (٦٠ ـ ٧٠٪) ، والصبغة القومية التي حرص دوما على الظهور بها ، مما زاد في دعم المواطنين له فلقد عمدت الإدارة بين الحين والآخر إلى إصدار أسهم جديدة وطرحها على المشترين في أنحاء الوطن العربي وفي المهجر . ومن جهة أخرى قام البنك العربي ويقوم بتقديم كافة التسهيلات المالية والمصرفية في مختلف الأقطار العربية وتمويل عمليات الاستيراد والتصدير والمساهمة في كثير من المشاريع الاقتصادية الحيوية فيها .

المراجع :

ـ البنك العربي : خمسة وعشرون عاماً في خدمة الاقتصاد العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٥٥ ، بيروت .
ـ التقرير السنوي للبنك لعام ١٩٧٧ .

بنكـلر (مشروع ـ) : رَ : القدس (تموبد ـ)

بني بِرَاق (مدينة ـ) :

مدينة صهيونية أسسها عام ١٩٢٤ مجموعة من الصهيونيين البولونيين تضم ١٣ عائلة . وقد أقيمت في السهل الساحلي * على بعد ٥ كم شمالي شرق تل أبيب * ، وعلى بعد ٨ كم من يافا * ، حول قلعة أنشأها الصليبيون لحماية مداخل مدينة يافا . وقد رمى الصهيونيون من تأسيسها هناك إلى السيطرة على مداخل مدينة يافا العربية من جهة ، وأن تكون نقطة دفاع حصينة عن مدينة تل أبيب من جهة أخرى . وقد قامت هذه المدينة على أراضي قرية بن براق (الخيرية *) العربية ، وقد احتلت بامتدادها العمراني جزءاً من أراضي مدينة يافا العربية .

يمر نهر العوجا المعروف في مجراه الأدنى بنهر الحريشة بالأراضي الواقعة شمالي المدينة في طريقه إلى مصبه في البحر المتوسط . وتمر الطريق الساحلية الرئيسة شرقي بني براق . وتقع مدينة رامات غان * قريباً منها في الجنوب الغربي . وقد أكسبها موقعها الجغرافي عند ملتقى طرق رئيسة وموضعها على أرض سهلية منبسطة أهمية خاصة ، وجعلها تجذب السكان إليها . وهي واحدة من عشر مدن في (إسرائيل) تقع ضمن تجمع مدن إقليم تل أبيب .

بدأت بني براق نشأتها الأولى قرية زراعية . وفي نهاية العشرينات من هذا القرن كانت تسكنها ١٠٠ عائلة يعمل معظم أفرادها في الزراعة . أدار ثيودور بين عامي ١٩٣٦ و١٩٤٩ مجلس محلي ، ثم غدت منذ عام ١٩٥٠ مدينة تشرف على إدارتها بلدية يافا ـ تل أبيب . وقد نمت نمواً عظيماً في عمرانها وسكانها ، إذ امتدت فوق رقعة زراعية من الأرض تبلغ ٧,٢٠٠ دونم ، وزاد عدد سكانها من ٤,٥٠٠ نسمة عام ١٩٤١ إلى ٨,٨٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ ، وإلى ٢٥,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٥ . وقد وصل العدد إلى ٦٤,٧٠٠ نسمة عام ١٩٦٨ ، وأصبحت بني براق تأمن مدينة بين المدن الصهيونية في عدد السكان الذين بلغوا ٧٩,٣٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ . ويرجع الفضل في نموها السريع إلى قربها من تل أبيب وارتباطها معها بمواصلات سريعة، ولذلك يقيم فيها كثير من العاملين في تل أبيب وتعد ضاحية من ضواحيها .

أصبحت منطقة بني براق ، منذ بداية الستينات ، واحدة من المناطق الصناعية الهامة . وهي تضم اليوم ٢٥٠ مصنعاً لإنتاج النسيج ومواد البناء والمواد الغذائية والكيميائيات والأدوات الكهربائية والإلكترونية وغيرها (ر : الصناعة) .

وبالإضافة إلى الوظيفة الصناعية تمارس المدينة الوظائف التجارية والثقافية والصحية والسياحية وغيرها . فمنها الأسواق التجارية والفنادق السياحية ومشفى للأمراض العقلية . وتضم أيضاً واحداً من أكبر خزانات المياه .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) بيروت ١٩٦٨ .
ـ المكتب المركزي الإسرائيلي للإحصاءات : نشرة رقم ٤٢ ، القدس ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا ـ تل أبيب .

بنـي بريث :

منظمة صهيونية أسست عام ١٨٤٣ في نيويورك ، وكان أول رئيس لها اسحق دينهوفر ، لكن الصهيوني هنري جونس يعتبر منشئها الفعلي . ويعني اسمها « أبناء العهد » ، أما أهدافها فهي توحيد اليهود قلباً وقالباً ونشر التراث والتقاليد اليهودية وبسط الدين اليهودي على « أرض إسرائيل » ، ونشر روح المحبة والتعاون بين اليهود ، وتقديم العون والمساعدة لهم في شتى أنحاء العالم ، والدفاع عن حقوقهم وإعلاء كلمتهم ومحاربة اللاسامية * . وتعتبر هذه المنظمة أقدم وأكبر منظمة خدمات صهيونية ولها فروع في أكثر من ٤٥ بلداً .

بعد صدور وعد بلفور * قدمت بني بريث خدمات كبيرة للحركة الصهيونية فأسهمت في المؤتمر الفلسطيني في واشنطن عام ١٩٣٥ وفي التأثير على السياسة الأمريكية لصالح الصهيونية ، وخاصة في عهد الرئيس ترومان ، وقدمت الدعم المالي لـ تيرين كاييمت * لتمكينه من شراء الأراضي وإقامة المستعمرات في فلسطين .

وبعد قيام (إسرائيل) وضعت بني بريث نفسها في خدمة السياسة الإسرائيلية ، ونفذت حملات لجمع التبرعات المالية ودعم المؤسسات الصناعية الإسرائيلية ومنح القروض للمشاريع الإنمائية وإقامة مؤسسات الخدمة الاجتماعية والنوادي والمكتبات وبيوت العجزة .

وتسهم المنظمة حالياً في بيع « سندات إسرائيل » في الخارج وتوفير الدعم الإعلامي والسياسي والمالي (لإسرائيل) وخنق أي اتجاهات مناوئة للصهيونية .

تتخذ بني بريث واشنطن مقراً لها . وأعلى سلطة فيها المكتب الأعلى الذي تتفرع عنه ثلاث مؤسسات هي : رابطة الدفاع اليهودية لمكافحة العنصرية واللاسامية ، ومؤسسة هيلل لمساعدة الطلبة

ومنظمات الشبيبة والمراكز الثقافية والدينية اليهودية ، ومؤسسة العمل والتوجيه المهني لتوفير العمل لليهود .

تعقد المنظمة مؤتمرها السنوي كل ثلاثة أعوام ، وتتخذ الشعلة شعارا لها .

المرجع :

ـ عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

بني سُهَيْلة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع في الطرف الجنوبي لقطاع غزة . وتبعد كيلومترين إلى الشرق من خان يونس * ، وكيلومترا واحداً إلى الشرق من طريق رفح ـ غزة وخط سكة حديد رفح ـ حيفا . وتصلها طريق معبدة بالطرق الرئسة العامة ، وبمدينة خان يونس غربا ، وبجيسان * وخزاعة شرقا .

أنشأت البلدة قبيلة بني سهيل العربية التي نزلت هذه الديار . وقد أقيمت على مرتفع من الأرض يعلو ٧٥ م عن سطح البحر ضمن أراضي السهل الساحلي * الجنوبي . وتتألف مساكنها من بيوت مبنية باللبن والإسمنت ومخططها يتخذ شكل المستطيل الذي تحف به معظم المباني بطريق خان يونس ـ عسان المارة من وسط بني سهيلة . وتوجد بعض المحلات التجارية في وسطها وكذلك مسجد البلدة ومدارسها الابتدائية والاعدادية للبنين والبنات ، وقد أنشئت بعض المدارس مؤخرا في الطرف الغربي للبلدة على جانب طريق بني سهيلة ـ خان يونس . وتشرب البلدة من بئر للمياه عمقها ٦٨ م . وقد امتدت بني سهيلة عبر نموها العمراني نحو الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية محاذاة طريقي عسان ، وامتدت أيضاً قليلاً نحو الغرب في اتجاه خان يونس ، لذا ازدادت مساحتها من ٩٧ دونما في أواخر فترة الانتداب إلى نحو ٥٠٠ دونم في عام ١٩٧٩ .

تبلغ مساحة أراضي بني سهيلة ١١,١٢٨ دونما منها ٢٩٩ دونما للطرق والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وأراضيها الزراعية متوسطة الجودة ، وتسودها تربة اللوس الصحراوية . وأهم المحاصيل الزراعية التي تنتجها البلدة الحبوب * والخضر * والبطيخ . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار المتوسطة الكمية ، إذ لا توجد آبار تستخدم مياهها للري . وقد اعتاد عدد من شباب بني سهيلة وعسان أثناء فترة الانتداب الهجرة الى مدن وسط وشمال فلسطين للعمل فيها بصورة مؤقتة . ويعمل بعض الأهالي في التجارة والخدمات بمدينة خان يونس المجاورة التي تعد مركزا إداريا وتسويقيا لبني سهيلة . وتصنع نساء البلدة السمد والسجاد والخرجة والعقرات والأكياس من الصوف .

كان عدد سكان بني سهيلة في عام ١٩٢٢ نحو ١,٠٤٣ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢,٠٦٣ نسمة كانوا يقيمون في ٤٠٦ بيوت ، وفي عام ١٩٤٥ كان عددهم نحو ٣,٢٢٠ نسمة ، وقدر عددهم في عام ١٩٦٣ بنحو ٥,٤١٨ نسمة . وفي عام ١٩٧٩ بأكثر من ١٠,٠٠٠ نسمة . ويعود سكان بني سهيلة في أصولهم إلى عرب بني حرم وبني حميدة المقيمين في شرقي الأردن وفي مصر .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ج ١ ، ق ٢ بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ لوحة رفح .

بني نُعيم (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد عن الخليل * إلى الشرق مسافة ٨ كم تقريبا وترتبط بها طريق معبدة من الدرجة الثانية . أقيمت بلدة بني نعيم على بقعة قرية « كفار بروشا » الحصينة في العهد الروماني . وبعد الفتح العربي الإسلامي عرفت باسم كفر بريك . ولما نزلت قبيلة النعيميين جنوبي فلسطين واستقرت طائفة منها في ناحية كفر بريك نسبت القرية إليهم ، وأصبحت تعرف منذئذ باسم بني نعيم .

نشأت بلدة بني نعيم فوق بقعة مرتفعة من جبال الخليل * تمثل الحافة الشرقية لهضبة الخليل وتعلو ٩٦٨ م عن سطح البحر . تتألف من بيوت مبنية من الحجر أو من الإسمنت أو من الطين ، وتتخذ مخططها شكل المستطيل الذي يمتد امتدادا شماليا شرقيا ـ جنوبيا غربيا في محور عمراني يحاذي الطرق المؤدية إلى الخليل . وتضم القرية محلات تجارية متناثرة بين البيوت السكنية ، وبها جامع ينسب إلى النبي لوط يؤمه الزوار سنويا . وفي بني نعيم ثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات . ومن الآثار

التي ما زالت قائمة في البلدة حتى الوقت الحاضر بقايا سور عال مربع الشكل على زواياه أبراج ، ولعله من بقايا الحصن الروماني .

وتعود آثار أخرى أحدث بناء إلى عهد الملك الظاهر برقوق* ، وقد أقيمت لمع عمارات البدو على البلدة وأطرافها . ونتيجة لتوسع البلدة وامتداد رقعتها العمرانية ازدادت مساحتها من ١٥٢ دونما في عام ١٩٤٥ إلى ٤٠٠ دونم عام ١٩٨٠ . ويشرب السكان من مياه الأمطار التي تجمع في آبار يتركز معظمها في شمال وغرب البلدة . وفي البلدة ينبوعان للمياه ، لكن مياههما قليلة لا تكفي حاجة السكان .

تبلغ مساحة أراضي بني نعيم ٧١,٦٦٧ دونما ، منها ٨ دونمات للطرق والأودية . وأراضيها متوسطة الخصب تزرع فيها الحبوب* والخضر* في الجهات المنخفضة وسطوح الأودية ، والأشجار المثمرة في سفوح المنحدرات الجبلية . وأهم الأشجار المزروعة الزيتون* والعنب* والمشمش واللوز والتفاح والتين . وتعتمد الزراعة* على مياه الأمطار التي تبطل بكميات كافية للزراعة ولنمو الأعشاب الطبيعية .

بلغ عدد سكان بلدة بني نعيم في عام ١٩٢٢ نحو ١,١٧٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٦٤٦ نسمة كانوا يقيمون في ٣٢٠ بيتا . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,١٦٠ نسمة ، وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٣٩٢ نسمة . ويقدر عددهم عام ١٩٨٠ بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة . وهم يعودون بأصولهم إلى جهات وادي موسى في شرقي الأردن ، وإلى جماعة من دورا* نزلت البلدة من عهد قريب .

يعتمد سكان بني نعيم في معيشتهم على الزراعة والتجارة* وتربية المواشي . وقد اعتاد الرعاة النجعة بمواشيهم في أواخر فصل الشتاء إلى الأراضي الشرقية التي نعيم التي تعرف باسم المسافرة ، وهي جزء من برّية الخليل المطلة على البحر الميت* . ويبقون في هذه المنطقة حتى أواخر الربيع . وخلال إقامتهم المؤقتة في بيوت الشعر غربي البحر الميت يقومون بصناعة منتجات الألبان ويبيعونها في أسواق بلدتهم وفي الخليل . وقد انكمشت حرفة الرعي* بعد عام ١٩٤٨ وأخذت تحل محلها حرفة التجارة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد حرفة الزراعة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٤٠,٠٠٠ لوحة البحر الميت .

بني نعيم (معركة ـ) : ر : جيش الجهاد المقدس

البنية والبناء الجيولوجي :

لفلسطين موقع متميز عن غيره من نواحي البنية والبناء الجيولوجي يندر أن يوجد له مثيل في العالم . وتشترك في ذلك مع بلاد الشام وشبه جزيرة سيناء . ففي هذا الجزء من العالم تلاقت تكوينات وبنيات جيولوجية كثيرة ، كما كان مسرحاً لحركات بنائية متباينة سبّبت ظهور تضاريس وكتل أرضية مختلفة على مساحات صغيرة من الأرض أهمها وأبرزها على الإطلاق الانهدام السوري ـ الإفريقي المعروف باسم الأخدود الانهدامي أيضاً .

إن فلسطين، وإن كانت تنتمي جغرافياً إلى قارة آسيا، هي من الناحية البنيوية والبنائية جزء من الركيزة العربية التابعة لإفريقيا والمعروفة أيضاً بالركيزة العربية ـ النوبية . ولا تظهر صخور هذه

الركيزة القديمة والمكونة من صخور بلّورية ومارية باطنية ومتحولة مختلفة إلاّ في أجزاء صغيرة المساحة في فلسطين لأنها مغطاة بطبقات صخرية معظمها من أصل رسوبي ، وبعضها من صخور اندفاعية ـ بركانية أحدث عموماً من صخور الركيزة (ر : الصخور) . وترجع صخور الركيزة إلى ما قبل الكامبري في حين تعود الصخور الأحدث إلى الأحقاب الجيولوجية الأولى والثانية والثالثة والرابعة . وعلى هذا الأساس فإن أرض فلسطين مكونة من ركيزة وغطاء . وتسهيلاً لفهم الأوضاع البنوية ـ البنائية المعقدة ستتم دراسة كل منها على حدة .

أ ـ الركيزة العربية : تظهر في فلسطين صخور الركيزة العربية المكونة من صخور بلورية ومتحولة في أقصى جنوب البلاد ، في منطقة العقبة ـ إيلات . لكنها تنكشف على السطح في مرتفعات الأردن المطلة على وادي عربة* وجنوب شرقي البحر الميت* بشريط ممايز للانهدام السوري ـ الإفريقي . وفيما عدا ذلك تختفي تحت

غطاء الصخور الأحدث عمراً باتجاه الشمال . ويزداد انكشافها باتجاه الجنوب خارج فلسطين على جانبي خليج العقبة * وجنوب سيناء ، وعلى جانبي البحر الأحمر في الحجاز ونجد وعسير في شبه الجزيرة العربية ، وفي جبال مصر الشرقية والسودان والحبشة وأرتيريا حيث تسود مساحات واسعة من الأرض . ويرجع السبب في ذلك إلى تكوين التركيزة العربية وطبيعتها المعقدة جداً . وقد اثبتت الدراسات أنها مالت نحو الشمال والشمال الغربي وانحدر سطحها في الاتجاه نفسه نحو الأعماق في حين هبطت أقسامها الجنوبية في شبه الجزيرة العربية أعلى وأقرب إلى السطح . ورافق ذلك ميل وانحدار آخران للتركيزة نحو الشرق والشمال الشرقي أيضاً . ونتيجة لهذه الأوضاع كانت أطراف ونهايات التركيزة في الاتجاهين المذكورين معرّضة لطغيان البحار القديمة عليها ، وترسيب الصخور العائدة لأحقاب جيولوجية تالية . فاختفت التركيزة تحتها ، ولم تعد تظهر على السطح في بلاد الشام وبلاد الرافدين وفيها فلسطين أيضاً . ومع تعرض التركيزة للحركات البنائية المولدة للتضاريس والمكوّنة للقارات أصابتها التواءات واسعة وصدوع (انكسارات) شوّهت انسجامها وزاويتها الأصلية ، فنشأت علوات (أماكن عوض) ومنخفضات (وهاد) كثيرة كوّنت قاع البحار التي غمرتها مياهها فيما بعد . ولقد اختلفت مقادير سماكة الصخور الرسوبية الأحدث بين المنخفضات والعلوات فكانت سميكة في الأولى رقيقة قليلاً في الثانية .

ب ـ الغطاء الرسوبي : تعرض سطح التركيزة العربية القديمة لطغيان وانحسار مياه البحار مرات كثيرة عبر الأحقاب الجيولوجية وعلى مدى ملايين السنين . ولم يكن الطغيان والانحسار في جميع الحالات واحداً ، فقد تطغى مياه بحر على كامل منطقة ما ، لكنها لا تنحسر عنها كلها . وقد تطغى على بذاع هامشية دون الداخل مثلاً . كذلك كانت أعماق البحار مختلفة بين بحر وآخر ، وبين داخل وأطراف ، وبين عصر وآخر . فكانت النتيجة اختلاف امتداد ترسبات صخور حقبة أو عصر ما عن امتدادها وانتشارها في فترة أخرى ، كما أن سماكاتها تباينت بين مكان وآخر حسب الأعماق والمواد التي رسبتها البحار والمياه القادمة من اليابسة . وعلى العموم كانت أهم البحار التي خلفت وراءها رسوبات سميكة واسعة الانتشار في بلاد الشام (وفلسطين منها) هي البحار العائدة للحقبتين الثانية والثالثة ، مع وجود ظاهرة انقطاع الترسيب لصخور بعض الفترات والعصور نتيجة بقاء أقسام من اليابسة تنجو من طغيان بحر في فترة أو عصر ما ، ثم انغمارها ببحر عصر متأخر بعده ، مما كان يؤدي إلى وجود ثغرات في تسلسل الطبقات الجيولوجية والسلّم الطبقي الطبيعي لها . يضاف إلى ذلك أن

الصخور الرسوبية ليست جميعها من أصل بحري ، فقسم منها من أصل قاري أو بحيري داخلي ، مما زاد في تعقيد الأوضاع البنيوية في فلسطين والمناطق المحيطة بها . ومن عوامل التعقيد أيضاً عدم بقاء الأوضاع ثابتة مستقرة في هذا الجزء من الكرة الأرضية ، إذ تعرضت المنطقة لحركات بنائية أدت إلى نشوء التواءات وتعديلات وتخفيض ومقعرات التوائية إلى جانب تعرض الغطاء الرسوبي لحركات صدعية (انكسارية) شوّهت الوضعية الأفقية أو القريبة منها فخلّفت الطبقات الصخرية وخلقت النجود والأغوار وغيرها من المظاهر المرافقة لحركات العلوّ والالتواء والتصدع . وفي كل هذا يجب ألا يغفل دور العوامل الخارجية كأعمال الحت والتعرية والنقل التي كانت تساهم في تطوير سطح الأرض المكشوف في أحد العصور أو إحدى الفترات الجيولوجية . ولقد كان حظ فلسطين من هذه التطورات والحركات البنائية الداخلية المصدر أو الخارجية الأصل كبيراً .

جـ ـ الحركات البنائية والوحدات البنيوية في فلسطين :

١) الحركات : تعرض كل من الغطاء الرسوبي والتركيزة في فلسطين لحركات بنائية (تكتونية) منذ مئات الملايين من السنين . وكانت كل حركة تؤثر في صخور وطبقات المنطقة تأثيراً يختلف عن تأثير الأخرى حسب مرونة وصلابة الصخور المتأثرة. فالمرنة أنتجت الطيات والالتواءات ، والصلبة قدمت الانهدامات والنجود

والأغوار . واختلف التأثير أيضاً حسب شدة واستمرار الحركة واتجاهها الأفقي أو الرأسي ، وحسب موقع المنطقة المعرضة للحركة ، إلى غير ذلك من شروط تؤثر في تكوين القارات والتضاريس بالحركات البنائية . ولما كانت فلسطين جزءاً من كلٍّ جيولوجي أكبر فإن الحركات البنائية المكوّنة لوحداتها البنيوية والتضريسية يجب أن تدرس مع هذا الكل الذي لا يمكن فصلها عنه .

لم يعد لنتائج الحركات البنائية القديمة جداً أيّ أثر ظاهر في تضاريس فلسطين الحالية لأنها اندثرت وزالت آثارها أو اختفت تحت تكوينات أحدث ، ولا يشاهد اليوم إلاّ آثار باهتة لها في سطح أرض فلسطين . علماً بأن أرض فلسطين لم تكن مستقرة بل في طور بناء متصل عبر الأحقاب الجيولوجية الماضية وحتى اليوم . وأكبر دليل على عدم الاستقرار استمرار الزلازل * والهزات الأرضية ، وكذلك حركة شبه الجزيرة العربية نحو الشمال بمعدل ٢ سم سنوياً ، والهبوط المستمر لقاع البحر الميت . وبالرغم من استمرار الحركات البنائية في عمر الأرض الفلسطينية فإنها تنشط في فترة وتهدأ لأمد في فترة أخرى . وكانت أواخر الحقبة الجيولوجية الثانية ومعظم الحقبة الجيولوجية الثالثة أهم فترة كونت تضاريس فلسطين ، ورسمت الخطوط الأساسية لأرض فلسطين وبنيتها الحاضرة التي جاءت أعمال وحركات الحقبة الرابعة فأكملتها ووضعت عليها اللمسات الأخيرة ،لتظهر فلسطين بمعالمها وسواحلها وتضاريسها الحالية .

وقد وضعت فرضيات متعددة لتفسير نشأة معظم الأراضي الفلسطينية ، وبشكل خاص أهم وحدة بنائية ـ بنيوية رسمت معالم تضاريس فلسطين ، وهي وادي الانهدام ، أو غور الأردن ، أو الغور * اختصاراً . منها فرضية القوى الضاغطة العنيفة ، ومنها فرضية الانزياح وتحرك شبه الجزيرة العربية شمالاً بانحراف عكس عقارب الساعة مع بقاء فلسطين وسيناء مستقرتين ، مما سبب تشقق الأرض وتعرّض الصخور الرسوبية الغطائية إلى حركات متباينة .وقد أخذ معظم الباحثين يميلون الى الأخذ بفرضية الانزياح . ومهما يكن من أمر هذه الفرضيات فإن منطقة شرقي البحر المتوسط كانت قبل فترة نشاط الحركات البنائية أواخر الحقبة الثانية وأثناء الحقبة الثالثة مؤلفة من شريط أو سلاسل من الجبال أو الهضاب الالتوائية العريضة التي تشتمل على بعض حدبات ومقعرات أصغر حجمها . وكانت هذه التكوينات التي يسودها الطابع الالتوائي تمتد من جنوب تركيا حتى فلسطين ، ودعاها بعض العلماء بالأقواس السورية ، وأراد نسبتها إلى الحركات والالتواءات الآلية ـ الطوروسية شمالي بلاد الشام . وفي أواخر الحقبة الثانية أخذت الحركات البنائية تنشط في المنطقة بأكملها ، وامتدت في منتصف الحقبة الثالثة في فترة الميوسين حيث بدأت حركة الانزياح الأفقي المذكورة ، فتعرضت تضاريس شرقي البحر المتوسط للتشقق على طول محورها ، مما أضعف المراكز الوسطى من الالتواءات المذكورة فأدى ذلك الى هبوطها وخفسها على امتداد ما يعرف اليوم بغور الانهدام السوري ـ الإفريقي الذي يبدأ من منطقة مرعش في تركيا وينتهي عند نهر الزامبيزي في إفريقيا الشرقية .

تمت عملية تكوين الغور وجانبيه الفلسطيني والأردني على مراحل أهمها المرحلة الأولى في فترة الميوسين الأدنى التي دفعت الكتل الأرضية الواقعة شرقي الغور مسافة تقرب من ٦٢ كم نحو الشمال ـ الشمال الغربي ، أعقبتها ، وبعد هدوء نسبيّ ، المرحلة الثانية في فترة البلايستوسين المتأخر من الحقبة الجيولوجية الرابعة ، وقدرت مسافة الانزياح الأفقي بنحو ٤٥ كم . وأصبح مجموع الانزياح الأفقي لكتلة شرق الأردن وسورية بالنسبة إلى فلسطين ولبنان ما يقارب ١٠٧ كم على طول الصدع (الانكسار) الرئيس للغور . وهناك فرضيات ترى أن مقدار الانزياح هو ١٠٥ أو ٧٠ أو ٤٠ كم أيضاً . وحسب استجابة الكتل الأرضية للحركات البنائية ظهرت وحدات التوائية وطيات أو وحدات صدعية ـ انهدامية بعضها صدعي ـ انهدامي بحت ، وبعضها التوائي صرف ، وقسم كبير منها التوائي ـ صدعي مشترك . مع الأخذ بعين الاعتبار أن محاور الطيات الالتوائية وخطوط الصدوع متأثرة في اتجاهها وامتدادها وشدتها بالقرب من مناطق التأثر الرئيسة للحركات البنائية أو بالبعد عنها ، وهي هنا في فلسطين غور الانهدام السوري ـ الإفريقي .

٢) الوحدات البنيوية : يمكن تقسيم فلسطين إلى مجموعتين كبيرتين من الوحدات البنيوية هما :

(١) مجموعة النقب * والخليل ـ القدس ، وتغلب عليها الحدبات والمقعرات أي الحركات الالتوائية (ز : الخليل ، جبال) و(ز : القدس ، جبال) .

(٢) مجموعة الخليل والكرمل ونابلس ، وتطغى عليها الصدوع والحركات الانهدامية (ز : الخليل ، جبال) و(ز : الكرمل ، جبل) و(ز : نابلس ، جبال) . إضافة إلى وحدة الغور الصدعية ـ الانهدامية (ز : الغور) .

ففي جنوب فلسطين (النقب ـ الخليل ـ القدس) تسود الحدبات والمقعرات والهضاب الالتوائية التي رسمت معالمها النهائية في منتصف الحقبة الثالثة الجيولوجية . وتتميز التواءات النقب الجنوبي بكونها طيّات صغيرة تأثرت بالكثير من الصدوع القصيرة . وتتفق محاورها مع محور وادي عربة الصدعي ـ الانهدامي ، أي المحور الشمالي ـ الشمالي الشرقي ، الجنوبي ـ الجنوبي الغربي ، ويصبح

نرقا غربياً في حوض وادي جرافي " . بعد ذلك ، وشمالي صدوع جرافي ، يبدأ النقب الأوسط حيث يظهر التراء الرمان وهيته الكبيرة ات المحور الشمالي الشرقي ـ الجنوبي الغربي التي تتناثر على جناحيها طيات أصغر ، وتسايرها خطوط صدوع فا المحور نفسه (ز : الرمان ، منخفض) . أما في شمال النقب فتكثر الطيات (المحدبات والمقعرات) الصغيرة والقصيرة في الشرق ، وتقل في الغرب حيث تظهر وحدات الحشرة والحفيرة المحدبة التي تتخللها مقعرات تساير المحور العام الشمالي الشرقي ـ الجنوبي الغربي المسيطر . وكذلك قبة الخليقات الالتوائية في الغرب . وتقل الصدوع في هذه المجموعة من الوحدات الالتوائية الصغيرة .

وبعد انقطاع يحتله مقعر (منخفض) عراد تظهر الوحدة الالتوائية الضخمة الواقعة شمال النقب ، وهي محدب جبال الخليل " ـ القدس " حتى جنوب جبال نابلس " ، ويعد هذا المحدب أكبر الوحدات البنائية في فلسطين ، ويضم محدبات أصغر كمحدب الظاهرية ويطّة والخليل ورام الله . وإذا أهملت الصدوع القصيرة المتجهة شرقاً ـ بغرب في منطقة مدينة القدس ، وصدوع وادي القارعة " في الشمال ، وهي صغيرة وقصيرة أيضاً ، يمكن القول إن هذه الوحدة البنيوية التوائية صرف . وتنتهي أجنحة وسفوح هذا المحدب الكبير في الغرب عند التلال " القديمة والسهل الساحلي الفلسطيني " بتموجات التوائية ضعيفة ذات محور شمالي شرقي ـ جنوبي غربي مساير لمحور المحدب الأساسي . وليست هذه التموجات مؤكدة تماماً لانطمارها بترسبات وكثبان ورمال السهل الساحلي الفلسطيني التي يزداد سمكها مع الاقتراب من الساحل .

أما المجموعة الثانية التي تقع شمال محدب الخليل ـ القدس وتوابعه فتحتل شمال البلاد ، وتضم الأقسام الشمالية من جبال نابلس وجبل الكرمل " والمنخفض الصدعي ـ الانهدامي الكبير لوادي جالود " ـ سهل مرج ابن عامر " ـ سهل عكا " ، وجبال الجليل " . وتكثر هنا الصدوع والانكسارات بشكل يزداد كثافة في جبال الجليل . وتأخذ خطوط الصدوع شتى الاتجاهات ، لكن السائد فيها هو الاتجاه الشرقي ـ الغربي . وقد أدى تلاقي هذه الصدوع وتقاطعها ، على الرغم من قصرها العام ، إلى تحلع وتشريش وضع الطبقات الصخرية رفعاً وخفضاً ، وبالتالي إلى انتشار النجود والكتل الناهضة وكثرة الحفوس والأغوار الصغيرة ذات فروق الارتفاعات المميزة لتضاريس الجليل بصورة خاصة ، فظهرت كتل جبلية مطوقة من جميع أطرافها بجروف صدعية كجبل الجرمق أعلى قمة في فلسطين . وكانت حركات الصدوع عمودية وأفقية انزياحية برميات كبيرة رسمت التضاريس الحالية لجبال الجليل . ويكوّن جبل الكرمل وحدة بنيوية ـ بنائية قائمة بذاتها ، فهو نجد انهدامي ناهض على امتداد محور شمالي غربي ـ جنوبي شرقي متفق مع المحور العام للوحدة البنيوية الهامة الأخيرة في هذه المجموعة ، وهي الوادي الانهدامي الكبير لخليج وسهل عكا وسهل مرج ابن عامر ووادي جالود الواصل عملياً بين البحر المتوسط وغور الأردن عند بيسان " . ويفصل هذا الوادي الانهدامي الحافر كتلة جبال الجليل في الشمال عن بقية فلسطين في الجنوب .

وأخيراً تأتي أهم وحدة بنائية ـ بنيوية في فلسطين ، وهي وحدة غور الأردن ـ الميت ـ عربة التي تؤلف أصل بناء وبنية فلسطين الحالية وأساسها . وهي وحدة صدعية ـ انهدامية نصفها الغربي يدخل ضمن حدود فلسطين ، وتؤلف حافات جميع تضاريس فلسطين وأطرافها من جهة الشرق . وتسقط هذه الحافات نحو أرض الغور الخانسة بجوانب شديدة الانحدار وبحروف قاسية في بعض الأقسام ، مستمرة في مناطق ومتدرجة على امتداد صدوع متوازية في مناطق أخرى جميعها ذات محور شمالي ـ جنوبي ، مع انحراف نحو الجنوب الغربي جنوبي البحر الميت .

المراجع :

— Freund, R., Garfunkel, Z., Zak, I., Goldberg, M. Weissbrot, T. and Derin, B.: **The Shear along the Dead Sea Rift,** London 1970.

— Picard, L.: On Afro-Arabian Graben Tectonics, **Geologische Rundschau,** V. 59, 1970.

— Schulman, N. and Bartov, Y.: **Tectonics and Sedimentation along the Rift Valley,** Excursions of the 10 th International Congress on Sedimentology 1978.

البهـائيـة :

حركة دينية تنسب إلى البهاء حسين بن علي المازندراني (١٨١٧ ـ ١٨٩٢ م) . وكان البهاء حسين وأخوه الأكبر يحيى (ولقبه صبح أزل) من أتباع الباب علي محمد رضا الشيرازي (ز : الباب) . وقد ثار الخلاف بينهما بعد إعدام الباب سنة ١٨٥٠ م ، فنفت الحكومة العثمانية « صبح أزل » إلى قبرص ، ونفت البهاء وجماعته إلى مكان يدعى البهجة قرب عكا " في فلسطين . دفن البهاء في عكا " وخلفه ابنه عباس أفندي الملقب عبد البهاء (١٨٤٤ ـ ١٩٢١م) .

انطلق البهاء في دعوته من مبادىء توخى منها إنشاء دين جديد ، فنسخ كتاب البابية « البيان » ، وكتب كتاب « الأقدس » ، ثم « الايقان » و« الإشراقات » . وجعل كتبابه «الأقدس» في عداد الكتب السماوية المقدسة ، وادعى أنه المسيح المنتظر . ثم ذكر أن الله يتجلى عليه . وادعى أخيراً الألوهية ذاكراً أن الله يظهر بمظهر البهاء .

لم يقصر البهاء دعوته على المسلمين ، فكاتب الملوك والأمراء والرؤساء في أوربا وآسيا وأمريكا داعيا إياهم إلى اعتناق مذهبه ، معلنا توحيد الأديان واختيار البهائية ليكون الدين الأوحد الذي تدين به البشرية جمعاء . ونادى بتوحيد اللغات وطالب بإنشاء برلمان عالمي واحد .

ويلاحظ البعض علاقة بين البهائية واليهود . وقد تمثلت هذه الظاهرة فيما يلي :

١) دعتهم البهاء إلى أن يعلن نفسه ربّا للجنود ، أو مسيحا جاء لهداية العالم ، مستدلين على ذلك بما ورد في "التوراة" من آيات تشيد بمجد يهوذا ، وما يحتويه سفر دانيال وأسفار العهد القديم من الرؤى التي تبشر ، في رأيهم ، بظهور بهاء الله وابنه عباس .

٢) دعوة الباب العلنية إلى التجمع اليهودي الصهيوني في أرض فلسطين : " هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم ، وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سخّرت البحور ، قل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور ، والروح ينادي منْ في الملكوت : هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور ، هذا يوم فيه أسرع كرم الله شوقاً للقائه ، وصاح الصهيون قد أتى الوعد ، وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب " (كتاب الأقدس ص ١١٨) .

وجاء عباس أفندي ابن البهاء مكملا دعوة أبيه للتجمع اليهودي الصهيوني فقال : " وفي زمان ذلك الغصن الممتاز ، وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة " وقال : " فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ، ويتملكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ، ويزدادون تدريجيا إلى أن تصير فلسطين جميعاً وطناً لهم " (مفاوضات عبد البهاء ص ٥٩) .

٣) تسلّف عبّاس أفندي (ابن البهاء) لليهود ومجاهرته بصداقتهم .

هذا ، وفي المؤتمر السابع والثلاثين لضباط المقاطعة التابع لجامعة الدول العربية تقرر مقاطعة البهائيين وعدم التعامل معهم ، واعتبار البهائية مرتبطة بالصهيونية . لكن البهائيين العرب يدفعون هذه التهم عن أنفسهم ويؤكدون ابتعادهم الكامل عن السياسة والعمل السياسي والتزامهم بقوانين البلاد العربية وأنظمتها .

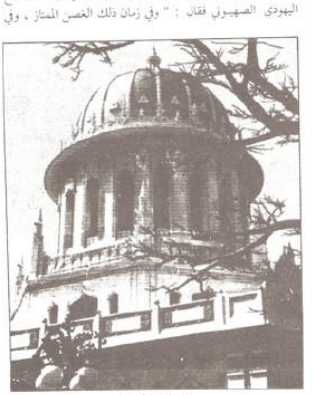
القبة البهائية في حيفا

المراجع :

– محمود الشنيتي : الفرق الإسلامية ، القاهرة ١٩٣٢ .
– محسن عبد الحميد : حقيقة البابية والبهائية ، بيروت ١٩٧٥ .
– عمر عنايت : العقائد ، القاهرة ١٩٢٨ .
– دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ، القاهرة ١٩٣٧ .
– محمد الخضر حسين : القاديانية والبهائية ، دمشق ١٩٧٥ .
– عائشة عبد الرحمن : الإسرائيليات في الغزو الفكري ، القاهرة ١٩٧٥ .
– Goldziher, I.: Le Dogme et la loi de L'Islam , (Traduction F. Arin) Paris 1920

البواطـي (قرية ـ) : ر : عرب البواطي (قرية ـ)

بُوريـن (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد مسافة ١٠ كم إلى الجنوب من نابلس * وترتبطها بها طريق معبدة فرعية ، كما ترتبطها طرق فرعية أخرى بقرى عراق بورين وعاطوف وعصيرة القبلية ويتا وحوّارة .

تشرف بلدة بورين في الطرف الجنوبي الشرقي من جورة عمورة الممتدة بين جبل الشيخ صبوريز (٨٣٨م) شمالاً وجبال سلمسان (٨١٠م) جنوب حيث تبدأ من هذين الجبلين المجاري العليا لوادي التين المتجه نحو مدينة طولكرم * . وتعد بقعة بورين جزءاً من جبال نابلس * ، إذ يتراوح ارتفاع بلدة بورين ما بين ٦٠٠

و٦٥٠م عن سطح البحر . بنيت معظم بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ تخطيطها شكل الجملة ، ويسير النمو العمراني لبورين في محاور بمحاذاة الطرق المتفرعة عنها . وقد امتدت مباني البلدة نحو الشمال والشمال الغربي ، فازدادت مساحتها من ١٠٦ دونمات في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٣٥٠ دونما في عام ١٩٨٠ . وليورين مجلس قروي يدير شؤونها التنظيمية ، ويساهم في فتح الشوارع وتزويد البيوت بالماء والكهرباء . وتكثر الينابيع في بورين وضواحيها وهي مصادر مائية هامة لتزويد البلدة بمياه الشرب وري بعض البساتين . وتوجد في بورين محلات تجارية على جانبي شارعها الرئيس ، وفيها أربع مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية للذكور وللإناث . وفيها عيادة صحية ومسجد إلى جانب بعض المزارات القريبة منها مثل مزار الشيخ سلمان الفارسي ومزار أبو اسماعيل . وتحتوي بورين على بعض الآثار التاريخية مثل المغاور ، والمعاصر المنقورة في الصخر ، والأحواض والجدران المبنية بمواد قديمة . وتوجد بالقرب منها خربة محنة وخربة عسرة (ر : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي بلدة بورين ، بما فيها عراق بورين ، ١٩,٠٩٦ دونما منها ١٥٩ دونما للطرق والأودية . وتستغل أراضيها في زراعة الحبوب * وقليل من الخضر * ، وفي زراعة الأشجار المثمرة ، وبخاصة أشجار الزيتون * والعنب * والتين واللوز وغيرها . وكان أهلها يعتمدون في السابق بشرية الأغنام ، ولكنهم عزفوا عن ذلك ، ويفضلون اليوم العمل في الزراعة * والتجارة * والوظائف الحكومية . وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار ، وتتركز زراعة الزيتون في الجهة الشمالية الغربية من بورين .

نما عدد سكان بورين من قرابة ٢٠٠ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ٨٥٩ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ١,٢٠٠ نسمة في عام ١٩٤٥ ، وإلى ٢,٠٦٨ نسمة في عام ١٩٦١ . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٦,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ خريطة فلسطين : مليمتر ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .

بُـورين (سهل ـ) : ر : محنة (سهـل ـ)

البوريني : ر : الحسن بن محمد البوريني

بوغـروم :

كلمة روسية معناها « هجوم » أو « مذبحة منظمة لتدمير جماعة أو طبقة ما خاصة إذا كان أعضاؤها من اليهود » .

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع زيادة التصنيع في روسيا وبولندا زيادة في عدد الهجمات على أحياء اليهود . فالطبقة الرأسمالية المحلية ، ومعظم أعضائها من المسيحيين ، بدأت تصطدم بالبرجوازية " اليهودية " القديمة المرتبطة بالمجتمع الإقطاعي ، وكان أغلب أعضائها من اليهود . وكثيرا ما كانت البرجوازية الجديدة تشجع العناصر المتعصّبة في المجتمع على أن تعبر عن سخطها عن طريق الفتك باليهود .

وقد كان البوغروم يأخذ عادة شكل غارة تشنها جماعة مسلحة على مراكز التجمع السكاني اليهودية المعروفة بالغيتو* تقتل من تقتل وتنهب ما تنهب . ومن أشهر البوغروما حادثة « كيشينيف » ، وهي مدينة روسية كانت تضم أقلية يهودية بلغ عدد أفرادها عشرة آلاف . فقد قامت في المدينة سنة ١٩٠٣ مظاهرة ضد اليهود سرعان ما تحولت إلى بوغروم قتل فيه ٤٧ يهودياً وجرح ٩٢ آخرون ، وبذل إن الشرطة القيصرية لم تتدخل لحماية اليهود .

وقد استغلت الصهيونية مثل هذه الحوادث ، وجردتها من سياقها التاريخي ، وحولتها إلى ظاهرة تدل على الكره الأزلي لليهود ، لتكتسب فكرة الدولة اليهودية شرعية ، ولتصبح الحل الوحيد للمسألة اليهودية . ولكن الصهيونيين مع هذا لم يترددوا في التعاون مع معادي السامية من أبطال البوغرومات . فقد تعاون هرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ مع فون بليفيه وزير الداخلية الروسي المسؤول عن حادثة كيشنيف محاولا اكتساب تأييد الدولة القيصرية للدولة الصهيونية .

ويستخدم بعض الكتاب الآن كلمة « بوغروم » للإشارة إلى أية مذابح منظمة تتم ضد أية أقلية، ومنها المذابح المنظمة التي تقوم بها الجماعات أو القوات الإسرائيلية المسلحة ضد الفلسطينيين العرب من أجل طردهم من وطنهم فلسطين .

بـولـس (٥ـ ٦٧ م) :

قديس من أشهر رجال العهد الجديد ، وله اسمان : شاؤل ، وهو عبري ، وبولس ، وهو روماني . ولد في مدينة طرسوس (في تركيا) التي كان أهلها رومانيين . وبولس يهودي الأصل ، يوناني الثقافة ، روماني الجنسية ، صناعته صناعة الخيام .

لم يرَ بولس السيّد المسيح معاصره . وقد قاوم الكنيسة ، وحثّ رفضه لها على أن يقصد إلى دمشق ليضطهد المسيحيين . فتراءى له السيد المسيح قبل دخوله المدينة ، وكان ذلك اليوم يوم اهتدائه (نحو سنة ٣٦ م) .

وبعدَ هذا اللقاء أساس حياة بولس الجديدة ، وهذا الاهتداء أعظم حدث في المسيحية . ففي أثره صار بولس رسول المسيحية إلى الوثنيين وقام برحلاته التبشيرية في سورية وليرص وآسيا (تركيا) واليونان وإيطاليا ، وقد يكون وصل إلى اسبانيا ، حاملاً الإنجيل إلى كل مكان .

وفي سنة ٥٨ م ثار عليه يهود القدس إذ كان هنـاك فـجـه الحاكم سنتين في قيصرية الساحل . ثم نقل من هناك إلى سجن رومة حيث مكث حتى سنة ٦٣ م . وبعد ذلك أطلق سراحه ، وعاد إلى التبشير ثم أسر ثانية، وضرب عنقه نحو سنة ٦٧ م أيام نيرون ، ودفن في المكان الـذي تقوم عليه اليوم " كنيسة القديس بولس خارج الأسوار " في رومة .

ليولس دور كبير في تـاريخ المسيحية " ، فقد نقـل في سنوات قليلة الإنجيل من جوّ الضيعة الفلسطينية إلى أعظم مـدن العـالم القديم حضارة . وبات هو القـائد الـسـاهر يتفقـد الكنائس التي أنشأها بحضوره وبرسائله . وقد بقي منها أربع عشرة هي بحسب تواريخها :

رسـالتان إلى أهـل تسالونيكي (اليونان) سنة ٥٢ و٥٣ م ، ورسالتان إلى أهل قورنتس (اليونان) سنة ٥٧ و٥٨ م ، ورسالة إلى غلاطية (تركيا) ، ورسالة إلى رومة . ومن سجنه في رومة (٦١ - ٦٣ م) بعث رسالة إلى أهل فيلبي وفليمون (اليونان)، ورسالة إلى قولسي ، ورسالة إلى أفسوس (تركيا) ، ورسالة إلى شخص يدعى فيلمون . وأرسل سنة ٦٤ م الرسالة إلى العبرانيين من إيطاليا ، وهي من وحيه . وأخيراً بعث وهو في رومة ثلاث رسائل إلى تلميذيه طيطس (كريت) وطيموثاوس (أفسوس) بين سنتي ٦٤ و٦٦ م .

كانت رسائل بولس وليدة حاجات المؤمنين . وقد غدت هـا شهرة عظيمة ، وشهد بعضرية كـاتبها المفكرون ، وتؤلف هـذه الرسائل أكبر قسم من العهد الجديد . وهي بعد الإنجيل أهم ركن تعلم اللاهوت ، وأدسم غذاء للحياة المسيحية ، وأعظم مرجع للمجامع والوثائق الكنسية . ويجد مرور القرن سنة عليها لا تجد الكنيسة في طقوسها ما تخاطب به مؤمني اليوم أروع شـيئاً مما كتبه بولس إلى العالم اليوناني الروماني .

فالقديس بولس هو أعظم متصوفي المسيحية وملتزميها ، وهو في طليعة من غيّروا مجرى التاريخ . وتحتل الكنيسة بعيده كل سنة في التاسع والعشرين من حزيران .

المراجع :

— Brunot, A.: **Les écrits de St. Paul,** Paris 1972.
— Colson, J.: **Paul apôtre martyr,** Paris 1971.
— Grant, M.: **Saint Paul,** London 1976.
— Mckenzie, J.L.: **Dictionary of the Bible,** New York 1978.
— Pax, E.: **In the Footsteps of St. Paul,** Jerusalem 1977.
— Vesco, J.L.: **En Mediterranée avec l'apôtre Paul,** Paris 1972.

بولس شحادة (١٨٨٢ - ١٩٤٢) :

ولد في رام الله * ، وتلقى تعليمه الثانوي في مدرسة صهيون* في القدس * ، ثم واصل تعليمه العالي في كلية الشباب الإنكليزية . واتقن اللغتين العربية والإنكليزية وأجاد الكتابة بهما . عمل أيام العثمانيين في التعليم في غزة* وحيفا * . وفي عام ١٩٠٧ حكم عليه بالإعدام لمناوأته السلطات العثمانية فلجأ للقاهرة هربا من عقاب السلطات التي طاردت الأدباء والوطنيين . وعاد إلى فلسطين ، كغيره من المثقفين العرب ، بعد إصدار الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، ونشط في حقل الصحافة * والتعليم وكتب للصحف الوطنية التي صدرت في تلك السنة ، بالإضافة إلى المجلات السياسية والأدبية في القاهرة .

وفي عام ١٩١٩ كان من أوائل الصحافيين الذين أسسوا صحفا في زمن الانتداب البريطاني ، فأصدر مرآة الشرق * في القدس ، وكانت جريدة أسبوعية سياسية صدرت في أول عهدها باللغتين العربية والإنكليزية . حرر القسم الإنكليزي فيها شقيقه الدكتور سليم . وشارك في التحرير أحمد الشقيري * وأكرم زعيتر . واستمرت المرآة في الصدور حتى سنة ١٩٣٩ حين عطلتها حكومة الانتداب بعد أن اشتركت مع الصحافة الفلسطينية في تسجيل أحداث ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ * .

وفي العشرينات نشط في الحركة السياسية فساهم في تأسيس الأحزاب السياسية المعتدلة بين ١٩٢٣ و١٩٢٥ ، وكان من مؤيّدي كتلة « المعارضين » . وحارب فكرة إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين .

وفي عام ١٩٣٤ اشترك في تأسيس حزب الدفاع الوطني *

وأصبحت سياسته أكثر جرأة في مهاجمة البريطانيين والصهيونيين معا .

المراجع :

– يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
– يوسف حوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ – ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦ .

بـولونيا : ر : أوربا الشرقية (دول –)

بونجر (مشروع –) :

ر : الأردن (استثمار مياه نهر – وروافده)

البويـرة (قرية –) : ر : خربة البويرة (قرية –)

البُوَيْزِيَّـة (قـرية –) :

قرية عربية تبعد ٣٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة صفد * ، وتقع بين قريتي الخالصة * وجاحولا * عـلى بعد ٥ كم من الأولى و ٤ كم من الثانية . وأقرب القرى إليها قرية الزويّة * التي تبعد كيلومترين شرقيها . وتمر إلى الشرق منها طريق طبرية – القطة الرئيسة . وتقع القرية على بعد ٥ كم شرقي الحدود الفلسطينية – اللبنانية ، وتمتد محاذاة خط الحدود غربي القرية طريق معبدة رئيسة تصل بين قريتي قدَس * وعرّون * .

تـرتفع القـرية ١٠٠م عن سطح البحر ، وقد أقيمت عند أقدام سفوح التلال الغربية التي تطل على أراضي سهل الحولة * . وهي تستند إلى تلك التلال حيث تشتد الانحدارات إلى الغرب من القرية مباشرة فتشكل الحافة الغربية لمنخفض الحولة . ويمر بالقرية مجرى واد صغير ينحدر من التلال في الغرب وينتهي في أراضي الحولة . وامتدت القرية بشكل طولي على الجانب الغربي للطريق الرئيسة التي تصل بين طبرية * والمطلة ، وكان النمو أكثر باتجاه الشمال قرب ملتقى الطريق الممهدة والطريق الرئيسة . وتكثر عيون الماء في المنطقة ، فهناك عين البارة إلى الشمال من القرية ، وعين العامودية في ظاهرها الجنوبي ، وكانت الأخيرة تزوّد الأهالي بمياه الشرب . وأنشئت في القرية مدرسة ابتدائية للبنين عام ١٩٣٧ .

بلغت مساحة القرية ١٧ دونماً عام ١٩٤٥ ، وبلغت مساحة الأراضي التابعة لها ١٤،٦٢٠ دونماً منها ١٣٠ دونماً للطرق والأودية . تكثر الأراضي الزراعية شرقي الطريق الرئيسة وإلى الشمال والجنوب من القرية . وقد انتشرت فيها زراعة الحمضيات * وبساتين الفاكهة وبعض الحبوب * والخضر * . وتحيط بها أراضي هزين وجاحولا وقدَس والخالصة والأراضي اللبنانية وامتياز الحولة .

بلغ عدد سكان البويزية ٢٧٦ نسمة من البدو في عام ١٩٢٢ ، ويعرفون بباسم عرب البويزية ، وهم فرع من عرب الغوارنة . وارتفع عددهم إلى ٣١٨ نسمة في عام ١٩٣١ ، وكانوا يقطنون ٧٥ مسكناً ، وقدر عددهم بنحو ٥١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ .

دمّر الصهيونيون القرية وأخرجوا سكانها منها عام ١٩٤٨ .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحة الحولة .

بِيَار عَـدَس (قـرية –) :

قرية عربية سميت بهذا الاسم بسبب وجود مخازن فيها للعدس محفورة في الحجر تحت الأرض . تقع بيار عدس شمالي شرق يافا * بين قرية جنجولية شرقاً ومستعمرة « بحدتيل » غرباً . وتبعد إلى الغرب من الطريق الساحلية وخط سكة الحديد مسافة كيلومترين ، وترتبط بالقرى المجاورة ، ولا سيما جلجولية ، بطرق فرعية .

نشأت القرية فوق رقعة منبسطة من السهل الساحلي الفلسطيني * لا يتجاوز ارتفاعها ٥٠م عن سطح البحر . ويمر بطرفها الشرقي أحد الأودية الرافدة لنهر العوجا * حيث تميل الأرض إلى الانحدار تدريجياً نحو الجنوب الغربي . كانت القرية تتألف من مبان سكنية مندمجة ، وكان نموها يميل إلى الاتجاه نحو الشمال الشرقي . وامتدت القرية فوق رقعة مساحتها ١٤ دونماً . ولم يكن عدد بيوتها عام ١٩٣١ يتجاوز ٢٨ بيتاً ، لكن عددها زاد في أواخر عهد الانتداب إلى قرابة ٥٠ بيتاً . وتبطل على القرية كمية كافية من الأمطار الشتوية ، وتتوافر حولها مياه الآبار * .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لها ٥,٤٩٢ دونماً منها ١٠٩ دونمات للصهيونين و ٤٠ دونماً للطرق والأودية و٥,٣٠٨ دونمات أراض زراعية . وأراضيها ذات تربة خصبة تصلح لزراعة الحمضيات * . وتحيط بالقرية بساتين الحمضيات والأشجار المثمرة ومزارع الخيرب * والخضر * ، وتتركز في الجهة الجنوبية الشرقية من بيار عدس . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والآبار التي عملت على رفع إنتاج الدونم من المحاصيل الزراعية .

تما عدد سكانها من ٨٧ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٦١ نسمة عام ١٩٣١ . وقدر عددهم عام ١٩٤٥ بنحو ٣٠٠ عربي . وكانت الزراعة الحرفة الرئيسة لهؤلاء السكان .

احتل الصهيونيون بيار عدس عام ١٩٤٨ ، وأفنوا معظم سكانها العرب ، ثم دمّروا القرية ، وأقاموا على أراضيها مستعمرة « جنيعام » واستغلوا الأراضي الزراعية الخصبة في الزراعة المروية الكثيفة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة يافا ـ تل أبيب .

البيـازنـة :

تعدّ بيزا الايطالية ـ بعد البندقية وجنوة ـ المدينة الثالثة التي حصل أهلها على اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بسيادتهم على مدينتهم فجعلوا منها سنة ١٠٨٥ م ، جمهورية مستقلة » .

وقد سعى البيازنة ، او البيزيون ، مثلهم مثل الجنويّين * والبنادقة * ، للحصول على امتيازات تجارية من الإمبراطورية البيزنطية ، وركزوا اهتمامهم على بلاد الشام ، وكانوا الجماعة الإيطالية الثانية ، التي لبّت الدعوة للحروب الصليبية بعد الجنويّين .

وقد حصل البيازنة سنة ١١٠٨م على امتيازات تجارية في إمارة أنطاكية ، ومُنحوا حيّاً خاصاً بهم في كل من أنطاكية واللاذقية ، مع كنيسة ومستودعات في اللاذقية ، فضلاً عن تخفيض ما يدفعون من الرسوم الجمركية والضرائب في المدينتين أو إعفائهم منها .

وقد نال البيازنة هذه المنح لمساعدتهم تانكريد صاحب أنطاكية على احتلال اللاذقية في عام ٥٠٢هـ / ١١٠٨م . وجدّدت هذه الامتيازات فيما بعد ، وتمّ توسيع بعض جوانبها .

وحصل البيازنة على عدد من الامتيازات في مملكة القدس اللاتينية * ، فقد تمّ منحهم أحياء خاصة في مدينة القدس * ، كما منحوا ربع مدينة يافا * . وحصل هذا أيام الحملة الصليبية الأولى ، أي سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م ذلك أن البيازنة قدموا للفرنجة * مساعدات كبيرة في تحصين كل من القدس وبلدة يافا بعد احتلالها .

وحصل البيازنة عام ٥٥١ هـ/١١٥٦م على امتيازات في صور، وتملكوا خمسة بيوت فيها ، ثم ملكوا حق إنشاء محكمة خاصة بهم في هذه المدينة . وفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م منحهم أمبوري الأول كومّت يافا وعسقلان منطقة في يافا لإقامة سوق خاص بتجارتهم ، وكنيسة مع بيوت سكنية ، وأعفاهم من دفع نصف الرسوم الجمركية المفروضة في ميناء يافا .

لكن مكانة البيازنة في القدس لم تكن مساوية لمكانة الجنويّين والبنادقة . وفي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م سنة معركة حطين * عقدت بين كونراد مونتفرات صاحب صور وملك القدس والبيازنة معاهدة منحوا فيها كثيراً من الامتيازات والإعفاءات الضريبة والجمركية في المدن والموانىء التي كانت داخلة في مملكة القدس اللاتينية في مقابل تقديم مساعدتهم العسكرية لمواجهة صلاح الدين الأيوبي * وقد ظلت هذه المعاهدة قائمة تجدد باستمرار .

وحصل البيازنة أيضاً على امتيازات كثيرة في إمارة طرابلس حتى أصبح لهم محكمة خاصة بهم ، وكان لهم في المدينة حصانة .

وقد تورط البيازنة في الخلافات الداخلية الصليبية ، وكانوا دائماً على خصام مع منافسيهم الجنويّين ، فلمّا تفجّر الصراع في عكا بين كونراد مونتفرات وغي لوزنيان بين عامي ٥٨٦ ـ ٥٨٧هـ / ١١٩٠ ـ ١١٩٢م حول عرش مملكة القدس الذي قوّمه صلاح الدين وقف البيازنة إلى جانب غي لوزنيان في حين انضم الجنويون إلى خصمه . وقد انتهى الصراع بخسارة حليف البيازنة فطردوا من صور . وتبع ذلك صدام دموي في داخل مدينة عكا بين البيازنة والجنويين . وسعى ريتشارد قلب الأسد للتوفيق بين الفريقين المتخاصمين .

لكن عمر هذا الاتفاق لم يكن طويلاً ، إذ سرعان ما انضم البيازنة إلى حليفهم القديم غي لوزنيان الذي غدا ملكاً على قبرص في مواجهة هنري شمباني سيد صور والجنويّين . وانتهى الأمر بطرد البيازنة من صور وعكا وغيرهما ، ولم يقدروا على العودة إلى أحيائهم إلا عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م حين تصالحت قبرص وصور .

وتجدد الصراع بين البيازنة والجنويين في القرن الثالث عشر الميلادي لمّا وصل الإمبراطور فردريك الثاني إلى فلسطين ، توقف البيازنة إلى جانبه ، واشتبكوا سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م مع الجنويين في عكا ، وتجددت الاشتباكات بين الطرفين سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م .

وكان هذا الصراع في الشرق مظهراً من مظاهر الصراع في أوربا وجانباً من جوانبه .

كان لوفاة فردريك الثاني سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م أثر كبير في البازنة ، إذ أخذ شأنهم بين الفرنجة يضعف حتى أزيحوا عن مسرح الصراع والتنافس الذي خلا للبنادقة والجنويين .

المراجع :

— Atiya, A.S.: **Crusade in the Later Middle Ages.** London 1938.
— Brutier, R.: **The Economic Development of Medieval Europe,** London 1971.
— **The deeds of the Franks** (Eng. Trans.), A. Krer, London 1962.
— Latoucha, R.: **The Birth of Western Economy.** London 1961.
— Pirenee, H.: **Medieval Cities** (Eng. Trans.), Princeton 1939.
— Ranciman, S.: **A History of the Crusades,** 3 vols. Cambridge 1954.

البيان الأنكلو ـ فرنسي (١٩١٨) :

حاول فيصل بن الحسين أن يشمل لبنان بسلطته العربية فأرسل شكري الأيوبي ممثلاً عنه إلى بيروت فاستلم الحكم فيها من عسر الداعوق . وعمد الوطنيون العرب إلى رفع العلم العربي هناك يوم ١٠/٣/ ١٩١٨ تأكيداً لعروبة لبنان ، وانضوائه تحت لواء الدولة العربية المستقلة . وكان رفع العلم قبل دخول القوات البريطانية والفرنسية إلى بيروت ببضعة أيام ، فأثار ذلك غضب فرنسا التي ضغطت على الجنرال اللنبي ودفعته إلى الأمر بإنزال العلم . وقد ولّد ذلك هياجاً في صفوف الجيش العربي والشعب . وزاد في غليان النفوس ما ذاع من أن بيروت ومدن الساحل السوري ستوضع تحت الاحتلال الفرنسي ، وما شاع عن تزايد نشاط الصهيونيين في فلسطين . فاحتج فيصل لدى اللنبي وأعلن أنه لن يستطيع كبح جماح القوات العربية وتهدئة النفوس إلاّ إذا أصدرت الدولتان المتحالفتان على الفور تحديداً رسمياً يتضمن صدق نياتهما .

أصبح لحادثة العلم صدى واسع بين الأوساط العربية التي اعتبرتها تأكيداً للنيات الشريرة التي بيّتها الحلفاء للمشرق العربي وأفصحت عنها اتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور * .

وأمام تطور الوضع الذي أصبح ينذر بالخطر أجرت فرنسا وإنكلترا مشاورات سريعة ، واتفقتا على إصدار بيان بشكل مذكرة تطمئن العرب في العراق وسورية وفلسطين . وعرفت المذكرة فيما بعد باسم البيان الأنكلو ـ فرنسي الصادر في ٧/ ١١/ ١٩١٨ . وقد روّج الحلفاء لهذا البيان بشكل جماهيري واسع ، فطبعت كميات كبيرة منه علقت في كافة الأماكن العامة ، ونشر في الجرائد المحلية ، بل تلي شفهياً على جماهير الأميين من قبل الموظفين العرب في الإدارة العسكرية . لهذا يعدّ هذا البيان أكثر إلزاماً وفاعلية من العهود التي أعطيت بصورة سرية وفردية إلى شخص الشريف حسين (ر : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) .

والبيان الذي يظهر أنه كتب أصلاً باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى الانكليزية والعربية وصدر عن المقر العام في القاهرة يؤكد عزم الحلفاء على تحرير الشعوب من ربقة الأتراك ، وتأليف حكومات وإدارات وطنية " تستمد سلطتها من الممارسة الحرة لمبادرات السكان المحليين وخيارهم " . ويضيف أن فرنسا وإنكلترا قد اتفقتا على السعي لهذا الغرض بإقامة حكومات وإدارات من السكان المحليين في سورية وبلاد الرافدين .

واستعرضت الفقرة الأخيرة منه رغبة الدولتين في مساعدة هذه الإدارات ، وتحقيق العدالة للجميع ، ونشر التعليم ، وتسهيل مهمة الحكومات التي ينتخبها الشعب بحرية .

والواضح أن إنكلترا وفرنسا قد اعترفتا هنا بحق تقرير المصير في إطار الانتخاب الديمقراطي للسلطة . ومن هذه الزاوية جاء البيان الأنكلو ـ فرنسي أيضاً أبلغ دلالة وأبعد مدى من تعهدات إنكلترا السابقة .

وبعبارة أخرى يتضمن التصريح فيما يشير به إلى سورية وفلسطين والعراق تأكيدين بالغي الأهمية : أولهما أن بريطانيا كانت وستظل تعمل لنيل تلك البلاد حريتها واستقلالها فضلاً عن تحريرها من الحكم التركي . وثانيهما أنها تعهدت بأنها لن تقيم في تلك البلاد أي نظام من أنظمة الحكم لا يقبله السكان فيها . وترجع خطورة التأكيدين إلى أنهما صدرا بعد اتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور . ولذا صدّق العرب أن بريطانيا مصممة على أن يكون مبدأ حق تقرير المصير الذي نادى به الرئيس الأمريكي ويلسون قبل بضعة شهور هو السياسة التي ستلتزم بها مستقبلاً لنسوية شؤون بلدان آسيا العربية بعد الحرب .

وهذا ركز الأمير فيصل على هذا البيان في طرحه للقضية العربية أمام مؤتمر الصلح بباريس والمفاوضات التالية له . ويعتبر إدخال فلسطين في إطار البيان وتوزيعه فيها حجة قوية في جانب الصف العربي بأن البيان كان إجراء دعائياً أملته ظروف الحرب دون أي عزم على تطبيقه ، كما اعترف بالنسبة شخصياً بذلك في مذكرته المؤرخة في آب ١٩١٩ .

المراجع :

ـ جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، (مترجم) ، بيروت ١٩٦٦ .

ـ أحمد طربين : الوحدة العربية ، دمشق ١٩٦١ .
ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .
—Sykes, C.: Cross Roads to Israel, London 1965.

البيـــان الثـــلاثي :

صدر هذا البيان في ١٩٥٠/٥/٢٥ عن كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا إثر اجتماع عقده وزراء خارجيتها من أجل وضع أسس جديدة لسياسة موحدة للدول الثلاث إزاء الصراع العربي ـ الإسرائيلي والمنطقة العربية بأسرها . وقد تضمن البيان ثلاثة بنود نص الأول منها على أن الدول المذكورة " تعترف بحاجة الدول العربية و (إسرائيل) إلى رفع مستوى تسليحها بنسبة معينة لتعزيز أمنها الداخلي ، وتأمين دفاعها الشرعي عن الذات ، والدفاع عن المنطقة بأسرها " . أما البند الثاني فقد أكد على وجود تعهد مسبق من الدول المعنية في المنطقة بعدم استعمال السلاح المصدر إليها لأية " أغراض عدوانية " . بينما نص البند الثالث على ضرورة توسيع " نكرة عدم اللجوء إلى القوة بين بلدان المنطقة " وعلى عزم الدول الثلاث " بوصفها أعضاء في الأمم المتحدة " على التصدي لأية محاولة اعتداء على " الحدود أو خطوط الهدنة " .

كان الهدف المباشر لإصدار هذا البيان هو وضع حد للصراع العربي ـ الإسرائيلي بالحيلولة دون قيام أي نزاع مسلح بين الطرفين ، وإيقاف عملية سباق التسلح بينهما ، وفرض وجود الكيان الصهيوني كأمر واقع في المنطقة العربية . وقد شكل اتفاق الدول الثلاث المذكورة على هذه السياسة أول خطوة عملية لإزالة خلافاتها وتناقضاتها السياسية السابقة إزاء الصراع العربي ـ الإسرائيلي من خلال تنسيق عمليات شحن الأسلحة إلى دول المنطقة باعتبارها الدول الوحيدة المصدّرة للسلاح حتى ذلك الحين ، ومن خلال إخضاع هذه الشحنات لمتطلبات مصالحها الإستراتيجية المشتركة التي تبلورت نتيجة التطورات السياسية العالمية واشتداد الحرب الباردة .

وفي أعقاب التوقيع على اتفاقيات الهدنة بين بعض الدول العربية والكيان الصهيوني سنة ١٩٤٩ أخذت كل من فرنسا وبريطانيا ترسل بعض الشحنات الرمزية إلى سورية والأردن ومصر والعراق بموجب الاتفاقيات المعقودة بينها في السابق ، بينما أخذ الكيان الصهيوني في الحصول على كميات كبيرة من الأسلحة من مختلف المصادر بطرق سرية نظرا لعدم وجود أية اتفاقية مماثلة بينه وبين الدول المذكورة . كما كانت الولايات المتحدة قد أعلنت على لسان الرئيس ترومان في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وبعد يوم واحد من إعلان قيام الكيان الصهيوني ، عن رغبتها في إعادة النظر في الحظر الأمريكي المفروض على شحن الأسلحة إلى المنطقة ، وتغاضت عن شحنات الأسلحة التي أخذت الشركات والمؤسسات الأمريكية المختلفة تصدرها إلى الكيان الصهيوني بشكل سري .

أما المتطلبات الجديدة للمصالح الإستراتيجية لدول البيان الثلاثي فقد تمثلت في ضرورة شحن نسبة معينة من السلاح إلى دول المنطقة شرط عدم استعمال هذا السلاح في النزاع العربي ـ الإسرائيلي بل في أغراض ثلاثة هي : الأمن الداخلي ، والدفاع عن الذات ، والدفاع عن المنطقة بأسرها .

وقد انطلقت الدول الثلاث تعمل عمل تعزيز الأمن الداخلي للدول المذكورة من الخوف الذي بدأ يساورها إزاء بوادر التحول السياسي التي أخذت تظهر في الساحة العربية نتيجة قيام الكيان الصهيوني ، واشتداد المطالبة بالسلاح لاسترداد الحق العربي في فلسطين ، والدعوة إلى التوجه السياسي نحو الاتحاد السوفييتي . كما ارتبط شرط الدفاع عن الذات باتفاق الدول الثلاث على ضمان بقاء الوضع الراهن ، وعدم السماح بحدوث أي تغيير في الحدود أو خطوط الهدنة القائمة في المنطقة ، والتصدي لأية محاولة بهذا الشأن من أي طرف من الأطراف . ويمثل الشق الثالث من هذه المتطلبات في إزالة التناقض القائم بين الدول العربية والكيان الصهيوني بهدف تعاون دول المنطقة كافة في الدفاع المشترك عن مصالح الدول الثلاث إزاء تنامي وانتشار ما ادعت أنه الخطر المنطلق من الاتحاد السوفييتي . وهذا يقتضي في نظرها احتواء المنطقة العربية في إطار منظمة دفاعية غربية .

ضمن البيان الثلاثي للكيان الصهيوني مكاسب كبيرة أولها تأمين إمداده بالسلاح بشكل رسمي وعلني من قبل الدول الثلاث ، وثانيها تثبيت خطوط الهدنة حدوداً جديدة له بحماية الدول الثلاث (غير الحدود التي رسمها قرار التقسيم) ، وثالثها التزام الدول الثلاث بالسعي إلى تحويل هذا الكيان إلى أمر واقع ومقبول من الدول العربية وتطوير هذا الواقع إلى تعاون للدفاع عن المصالح الغربية .

أما بالنسبة إلى الجانب العربي فقد نص البيان على ضمان عدم حدوث أي تغيير في الحدود القائمة بالقوة أو بالتهديد بها . كما يقال إنه ضمن ضم القطاع الشرقي من فلسطين إلى الأردن في ضوء المرسوم الأردني الذي صدر بهذا الشأن والذي كانت الخلافات ما زالت قائمة بشأنه داخل جامعة الدول العربية . يضاف إلى ذلك تطويق أية محاولة عربية للتوجه إلى الاتحاد السوفييتي طالما السلاح عن

طريق الوعد بتقديم السلاح للدول العربية ، واضعاف معاهدة الدفاع العربي المشترك التي تم عقدها قبيل صدور البيان في نيسان سنة ١٩٥٠ . كما جاء التأكيد على ضرورة عدم اللجوء إلى القوة بين بلدان المنطقة تلويحا للدول العربية بفهم منه إصرار الدول الثلاث على وضع حد للصراع العربي - الإسرائيلي في سبيل تشكيل جبهة عربية - إسرائيلية واحدة للدفاع عن المنطقة بأسرها .

أما بالنسبة إلى الدول الثلاث ذاتها فقد كان دخول الولايات المتحدة الأمريكية ، لأول مرة ، طرفا رئيسا وعلنيا في تقرير مصير المنطقة العربية محاولة لإنشاء الوسط المتوسطي ليسر بطانيا في هذه المنطقة . كما كان من شأن الدور الأمريكي أن يعزز عملية تقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ للدول الثلاث . وقد اتضحت هذه العملية بالطريقة التي تم فيها إبلاغ البيان لدول المنطقة من قبل سفراء الدول الثلاث المذكورة . وقد أشار إلى ذلك بيان الجامعة العربية الصادر حول البيان في ١٩٥٠/٦/٢١ معبراً عن أمل الجامعة العربية في ألاّ تعني طريقة تقديم البيان " تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ " . كذلك ارتأت الدول الثلاث وفق إستراتيجيتها العالمية الجديدة ضرورة الحيلولة دون نشوب أي نزاع في المنطقة لضمان استمرار تدفق النفط إلى أوربا الغربية وإلى دول حلف الأطلسي (ناتو) خاصة ، هذا الحلف الذي كان قد تم إنشاؤه سنة ١٩٤٩ ، إضافة إلى تأمين سلامة خطوط المواصلات لصالح هذه الدول ، وتوفير الإمكانيات لتطوير مبدأ ترومان الصادر سنة ١٩٤٧ ليشمل منطقة الشرق الأوسط بهدف تحويلها إلى جزء من حزام مطوق للاتحاد السوفييتي .

وقد تجاوزت الدول الثلاث في إصدار هذا البيان صلاحياتها كأعضاء في هيئة الأمم المتحدة جاء إقرارها لخطوط الهدنة بين الدول العربية والكيان الصهيوني كحدود أمر واقع إلغاءً للاعتراف بقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ وتثبيتا لوضع جديد خارج نطاق المنظمة الدولية في حين تذرعت بعضوية المنظمة الدولية لتشير إلى عزمها على التدخل في حال حدوث أية محاولة لتغيير الحدود أو خطوط الهدنة .

أدّى صدور البيان إلى بروز ردود فعل مختلفة . فقد التزم الكيان الصهيوني الصمت رسميا في حين رحب به ضمنيا ترحيبا كبيرا . أما بيان جامعة الدول العربية حوله فقد أشار إلى وجود بعض التحفظات العربية عليه دون رفضه كليا . ثم إنه لم يكن للبيان أية صفة إلزامية .

غير أن التطورات التي حدثت على الصعيدين العربي والعالمي ما لبثت أن نسفت الكثير من أسس البيان . ثم أضحى هذا البيان أثرا بعد عين عندما تأممت دو. ن من الدول الثلاث هما فرنسا وبريطانيا مع (إسرائيل) في عدوانها المدبر على مصر سنة ١٩٥٦ (ز : حرب ١٩٥٦) .

المراجع :

ـ خالد العظم : المذكرات ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ٤ ، بيروت ١٩٥٦ .

— Elkashef, A.: **United States Policy towards Arab Israeli Arms Race,** Beirut 1969.

— Safran, N.: **The United States Policy and Israel,** Cambridge (Mass) 1963.

بيبـــرس (٦٢٥ - ٦٧٦ هـ) (١٢٢٨ - ١٢٧٧ م) :

ركن الدين الملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي . كان مملوك الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار . ولمّا قبض الملك الصالح الأيوبي على الأمير أحد مماليكه بيبرس فجعله في خاصة خدمه ثم أعتقه . وقد ارتقى بيبرس حتى أصبح « أتابك » العساكر بمصر في أيام الملك قطز * وناضل معه التتار * في فلسطين . ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز فقتلوه ، وتولى بيبرس سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م .

اتصف بيبرس بنشاط عظيم في قتال الفرنجة * . وانتصر عليهم في عدة وقائع ، واستطاع أن يستولي على الكثير من مواقعهم ، ولا سيما في ساحل فلسطين ، وأن يلحق بهم الخسائر الكبيرة ، ويحقق الانتصارات الحاسمة عليهم ، وفي مقدمتها القضاء على مملكة أنطاكية الصليبية سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨ م ، وهو أكبر نصر للمسلمين على الفرنجة منذ تحرير صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . وكان بيبرس شجاعا يباشر القتال بنفسه في معظم الأحيان . ويروى أنه لم يمكث في عاصمة ملكه القاهرة نصف أيام سلطنته ، فقد خرج للقتال أكثر من ست وعشرين مرة ، واحتاز على ظهور الخيل آلاف الكيلومترات ، وتسمت زحوفه المفاجئة السريعة بالتخطيط الحربي . وفي عهده لم يعد الصليبيون يحتلون سوى رقعة ساحلية ضيقة في حين احتل المسلمون جميع المرتفعات المشرفة عليها وامتدت حدود مصر إلى عكا * فكان ذلك إشارة إلى قرب نهاية مملكة عكا الصليبية (ز : عكا ، المملكة الصليبية الساحلية) .

انصرف الظاهر بيبرس إلى قتال الفرنجة منذ السنوات الأولى

من سلطنته . وسبقت ذلك «مفاوضات كانت غاية الفرنجة منها استرداد أسراهم وعقد هدنة مع المسلمين . ولمّا لم يوافق الفرنجة على شروط بيبرس نقل الأسرى من نابلس إلى دمشق ، وأخذ يرسل بعض عساكره لتغير على ساحل فلسطين ، وتستطلع قوة الفرنجة وحال المنطقة ، وتتعرف على أماكن القوة والضعف هناك .

وقد أغارت عساكره على الناصرة * ووصلت إلى أبواب عكا سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣ م فغنمت وانتصرت دون أن يعترضها الفرنجة . ثم خرج السلطان نفسه إلى فلسطين فطلب منه الفرنجة تجديد الهدنة فرفض ، وأغار جنده على بعض مراقع الفرنجة وهاجم هو نفسه عكا ليتعرف على قوة تحصيناتها .

وخرج بيبرس إلى فلسطين سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م ، وحاصر قيسارية * وفتحها وهدم أسوارها وقلعتها ، وأرسل قواته فهدمت قلعة أخرى للفرنجة قرب الملوحة وهاجمت عتليت ، ثم هاجم قسم من جيشه حيفا * وخرب قلعتها بعد أن هرب الفرنجة إلى عرض البحر . وتمّ للظاهر فتح أرسوف * وهدم أبراجها في السنة نفسها بعد أن قتل وأسر كثيرا من الفرنجة .

عاد بيبرس في السنة التالية إلى فلسطين ، وأغارت عساكره على عدد من المواقع والمدن ، ثم توجه الجيش إلى صفد * التي كان يحميها فرسان الداويّة * فحاصرها وأجبر الداويّة على الاستسلام ، وهدم أسوار المدينة ، لكنه عاد في السنة التالية فرممها وحصّن القلعة وشحنها بالرجال لتصبح مركزا متقدما للهجوم على الفرنجة في الساحل الفلسطيني . ونجم عن استرجاع صفد تكوين أول نيابة في فلسطين . وهي « نيابة صفد » التي تولى نيابة السلطنة فيها الأمير عز الدين الحلاّبي (ز : الإدارة) .

وتكن الظاهر بيبرس من فتح هونين * ، وتبنين ، والرملة * . وقرر سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م فتح يافا * . ولمّا وصل إلى العوجا * عرض عليه فرنجة يافا تسليم المدينة والقلعة لقاء إطلاق سراحهم بأموالهم وأولادهم . فوافق الملك الظاهر ، ثم شرع يهدم القلعة ويبني الجوامع فيها ، وقد عيّن الخضراء على السواحل ، وأقطع الأمراء بعض القرى ، وأمر بإقامة التركمان في البلاد الساحلية ليضمن حماية المنطقة والمحافظة عليها .

في هذا الوقت جهز الظاهر بيبرس جيشا سار به إلى الشقيف ، وكان " من أحصن المعاقل وأحسنها " . واستطاع بحيلة ذكية اعتمدت على تغيير في رسائل وقعت في يده أن يوقع الخلاف بين فرنجة الشقيف وفرنجة عكا ، مما يسّر عملية الفتح .

اتبع بيبرس في قتال الفرنجة سياسة ذكية اعتمدت على مهادنة بعضهم دون الآخر ، والإيقاع بينهم حتى لا تتجمع القوى الصليبية كلها في جبهة واحدة ، واعتمدت أيضا على التخطيط والحيلة والمباغتة ، فكان يرسل أمامه من جنده إلى هذا الموقع أو ذاك في حين يكون القسم الأكبر من جيشه يحاصر موقعا ثالثا . وقد هاجم جنوده أكثر من مرة صور وعكا ، حتى إنه أرسل حملة صغيرة إلى جزيرة قبرص متهزاً فرصة خروج الفرنجة منها إلى عكا .

وقد أحسن استخدام الحيلة مع الأعداء كما فعل حين فتح الشقيف ، وحين أرسل جنوده بلباس فرسان الداويّة ليهاجموا الفرنجة عند عكا . وقد مكنته هذه السياسة من الانفراد بأنطاكية وتحريرها سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م .

سعى الفرنجة في عكا بعد هذا الانتصار العظيم إلى الظاهر بيبرس يحملون إليه الهدايا ويطلبون الصلح . فوافق على عقد هدنة مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات تبدأ من ٢٢ رمضان من عام ٦٧٠هـ/١٢٧٢م ، على أن تكون أعمال عكا مناصفة بين الطرفين ، ويستولي على المرتفعات المحيطة بصيدا . وقد أرسل أحد قضاته ليستحلف ملك عكا على هذا الصلح . وبذا تقلص النفوذ الفرنجي من الساحل الفلسطيني .

توفي الظاهر بيبرس في دمشق ، وقبره فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية . وقد كتب المؤرخون عنه الكثير وتحدثوا عن أخباره وآثاره وعساكره ، واتخذوا سيرته مثالاً للحزم والعزم والبطولة .

المراجع :

ـ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٤ ـ ١٩٦١ .
ـ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .
ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ .
ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (مترجم) ، بيروت ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ .

بيت أمّ الميس (قرية ـ):

قرية عربية تقع إلى الغرب من مدينة القدس * ، وتربطها طريق معبدة ثانوية بطريق القدس ـ يافا وبفريق صوبا *

والفسطل * ، وترتبطها طرق ممهدة بقرى كسلة * وعتّور * وبيت عسير * ودير عمرو * وحربة العمور * .

نشأت بيت أم الميس على مرتفع جبلي من جبال القدس * ، وتحيط بها الأودية من جهات ثلاث ، فوادي الحمار أحد روافد وادي الغدير في الشمال ، ووادي المرسج في الشرق ، ووادي أم الميس في الغرب . وقد اكتسب موضع القرية أهمية عسكرية دفاعية لارتفاعها بمقدار ٦٥٠ م عن سطح البحر من جهة ، ولإحاطة ثلاثة أودية بها من جهة ثانية . وتنحدر أراضي القرية من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي .

بنيت معظم بيوت القرية من الحجر ، وهي قليلة العدد ، وتنتظم متلاصقة بعضها مع بعض على شكل شبه منحرف . وكان نمو القرية بطيئاً من الناحية العمرانية ، إذ لم تتجاوز مساحتها الدونمين في عام ١٩٤٥ . وقد زحفت البيوت في نموها نحو الجنوب الشرقي مستغلة منحدرات الجبل الذي أقيمت القرية عليه . وكانت بيت أم الميس خانية من المرافق والخدمات العامة . وتوجد في جنوبها الغربي عين الشرقية وعين الجرن اللتان تزودان القرية بمياه الشرب . وتكثر الخرب الأثرية حول القرية مثل خرب الجبعة والصغير والسلطان إبراهيم والأكراد (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي أم الميس ١،٠١٣ دونما ، وكانت جميع أراضيها ملكاً لسكانها العرب . وقد استغلت أراضيها في زراعة الحبوب * والفواكه إلى جانب استعمال أجزاء منها في رعي الأغنام والمعز . واعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار والعيون ، وتركزت معظم الأراضي المزروعة في الجهة الجنوبية من القرية حيث امتدت بساتين الفواكه وكروم العنب * على المنحدرات الجبلية .

كان في بيت أم الميس نحو ٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد احتل الصهيونيون هذه القرية في عام ١٩٤٨ ، وطردوا سكانها العرب منها ، ودمروا بيوتها ، ثم أقاموا مستعمرة « رامات رازئيل » على أراضيها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين : ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠،٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت أُومَّـر (بلدة ـ) :

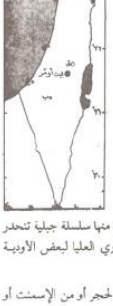

بلدة عـربية تبعـد عن مدينـة الخليل * قرابة ١١ كم إلى الشمال . وترتبط بطريق الخليل ـ القدس التي تمر غربيها بطريق فرعية من الدرجة الثانية طولها نحو كيلومتر واحد . وترتبط بطرق فرعية ببعض القرى المجاورة كصوريف * وبيت فجّار . ويرجح أنها أقيمت فوق أنقاض بلدة « معارة » العربية الكنعانية .

نشأت البلدة فوق رقعة جبلية من الأرض ترتفع ٩٨٧ م عن سطح البحر . وأراضيها الغربية أكثر ارتفاعاً من أراضيها الشرقية ، إذ توجد إلى الغرب منها سلسلة جبلية تنحدر صوب الشمال الغربي حيث تبدأ المجاري العليا لبعض الأودية مثل وادي المقطم ووادي البويرة .

تتألف بيت أومر من بيوت مبنية من الحجر أو من الإسمنت أو من الطين . وتفترقها الطرق المبددة التي تؤدي إلى صوريف في الشمال الغربي لتفصلها إلى قسمين : شمالي وجنوبي . مخططها التنظيمي يتخذ شكلاً طولياً من الشرق إلى الغرب بمحاذاة طريق صوريف ، وتشتمل البلدة على بعض المحلات التجارية المتناثرة ، وبخاصة على طول الشارع الرئيس للبلدة . وتوجد فيها ثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للذكور والإناث ، وفيها جامع متّى الذي يعتقد أنه يضم رفات متّى والد النبي يونس . وللجامع مئذنة وبئر عميقة . ويشرب السكان من مياه الأمطار ومن الينابيع والعيون المجاورة مثل عين كوفين وعين المقطّم وعين مرّينا وغيرها . ازدادت مساحة البلدة من ٥٥ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى ١٥٠ دونماً في عام ١٩٨٠ ، وذلك بفضل النمو العمراني الذي يتجه نحو الغرب والجنوب الغربي .

تبلغ مساحة أراضي بيت أومر ٣٠،١٢٩ دونماً منها ١٣٤ دونماً للطرق والأودية وتحيط بالبلدة بساتين الأشجار المثمرة من جميع جهاتها ، وتنتشر هذه الأشجار على سفوح المنحدرات الجبلية وفوق قممها . وتزرع الحبوب * في المنخفضات وبطون الأودية ، وتزرع الخضر * فوق الأرض المتبسطة . وتشتهر بيت أومر بزراعة الزيتون * والعنب * والخوخ والبرقوق والتفاح والتين والكمثرى وغيرها من الأشجار المثمرة . وتشتهر بزراعة أصناف متنوعة من الخضر ، وبخاصة البندورة . وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار ، وتروى

بعض مزارع الخضر من مياه الآبار والينابيع المنتشرة في أراضي البلدة . وتأتي عيون العرّوب على رأس عيون الماء المتدفقة في أراضي بيت أومر . ويستفاد من مياهها في الري أساساً ، ولأغراض الشرب أحياناً. وقد جرّت إلى مدينة القدس * في عهد السلطان قايتباي * (القرن التاسع الهجري) .

بلغ عدد سكان بيت أومر في عام ١٩٢٢ نحو ٨٢٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,١٢٥ نسمة ، ونيهم سكان الخربة (المزارع) المحيطة مثل جدور ، وذكر صفا ، وعين حبطان ، وصافا ، وفريديس ، ودير شعّار ، وابريقوت . وفي عام ١٩٤٥ ارتفع عددهم إلى ١,٦٠٠ نسمة ، وفي تعداد عام ١٩٦١ بلغ عددهم ٢,١٠٣ نسمات . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل.

بيت تُـول (قرية ـ) :

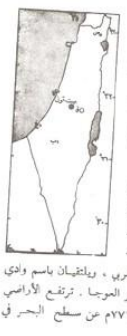

قرية عربية تقع على حدود قضاء القدس من جهة غرب الشمال الغربي محاورة لقضاء الرملة . وتبعد نحو ٤ كم شمالي طريق القدس ـ يافا وتتصلها بها طريق ممهدة . كما تصلها طرق ممهدة أخرى بقرى قطنة وأبو غوش ومساريس * ودير أيوب * وبالو * ونطاف * .

أقيمت بيت ثول فوق رقعة جبلية على مرتفع يعلو ٦٥٠م عن سطح البحر ، ويمتد فيها بين وادي العبد شمالاً ووادي الحمسة جنوباً ، ويتجه الواديان في انحدارهما إلى الشمال الغربي ، ويلتقيان باسم وادي الميش ، وهو أحد المجاري العليا لنهر العوجا . ترتفع الأراضي باتجاه الشرق من بيت ثول إلى قرابة ٧٧٢م عن سطح البحر في نقطة باطن العرش على بعد ٢ كم .

بنيت معظم بيوت القرية من الحجر ، واتخذ مخططها شكلاً مستطيلاً يتألف من قسمين رئيسين : شرقي وغربي ، وينهما وسط القرية حيث توجد بعض الدكاكين ومسجد ومزار . وبسبب النمو العمراني البطيء للقرية خلال فترة الانتداب لم تتجاوز مساحة بيت ثول ١٣ دونماً عام ١٩٤٥ . وتحتوي القرية على بعض الآثار لأعمدة وأسس بناء ، ويوجد حولها عدد من الخرب الأثرية مثل مسمار وزبيد وأجرابة والقصر (ز : الخرب والأماكن الأثرية) .

ويوجد بير المراح على مسافة كيلومتر واحد إلى الغرب من القرية .

تبلغ مساحة أراضي بيت ثول ٤,٦٢٩ دونماً منها ٤٢١ دونماً يملكها الصهيونيون . تنزرع في أراضيها الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة التي يعد الزيتون * من أهمها . وتشد الأراضي الزراعية في الأطراف الشمالية الشرقية والجنوبية من القرية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار . وهناك بعض البساتين التي تُسقى من مياه عين شومال في الجنوب .

كان في هذه القرية عام ١٩٢٢ نحو ١٣٣ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١٨٢ نسمة كانوا يقيمون في ٤٣ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢٦٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون بيت ثول ، وطردوا سكانها العرب ، ودمروا بيوتها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت جـالا (مدينة ـ) :

مدينة عربية ترجع تسميتها إلى جبل جيلو ، أو ما يعرف حالياً باسم جبل الرأس . تقع بيت جالا على بعد كيلومترين إلى غرب الشمال الغربي من مدينة بيت لحم * ، وقد وضع امتداد بيت لحم نحو الجنوب بيت جالا في الواجهة الغربية لبيت لحم . وتمتد الطريق التي تصل بين مدينتي القدس * والخليل * الحد الفاصل بين بلديتي بيت جالا وبيت لحم . وتحدها من الجنوب أراضي قرية الخضر حيث قبر المجاهد الكبير سعيد العاص * . كما تحدها من الشمال أراضي قرية شرفات ، ومن الغرب أراضي قرية بتير .

ترتفع بيت جالا ٨٢٥ م عن سطح البحر ، ولذا فهي ذات مناخ معتدل ، إذ يبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة فيها ١٧° ، ومتوسط أشد شهور السنة حرارة (آب) يبلغ ٢٢° في حين يبلغ متوسط أشدها برودة (كانون الثاني) إلى ٨,٦° . وتعد بيت جالا

من المواقع السياحية الهامة بسبب اعتدال مناخها وتنوع المناظر الطبيعية الجميلة حولها حيث الأرض الجبلية التي تكسوها الغابات الخضراء . ويؤمها عدد من المصطافين ، وتكثر فيها الفنادق والمنتزهات والمرافق السياحية المتعددة .

يبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي تهطل على بيت جالا نحو ٦٠٠مم ، وهي كمية تكفي لنمو معظم المحاصيل الزراعية . وتزيد هذه الكمية على مثيلتها في كل من بيت لحم وبيت ساحور * لأنها أكثر منها ارتفاعاً وقرباً من البحر المتوسط ، ومواجهة للرياح المطيرة .

بلغ عدد سكان بيت جالا عام ١٩١٢ نحو ٤,٥٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٢٢ تناقص عددهم إلى ٣,١٠٢ نسمة ، وواصل تناقصه في عام ١٩٣١ إلى ٢,٧٣١ نسمة بسبب هجرة سكان المدينة للعمل خارج البلاد ، وبخاصة في الأمريكتين . وفي عام ١٩٥٢ كان عدد سكان بيت جالا ٨,٧٤٦ نسمة تضمّهم ١,٥٥٥ أسرة . وقد نجمت هذه الزيادة الملحوظة في عدد سكان المدينة عن تدفق اللاجئين الفلسطينيين للإقامة في بيت جالا . وفي عام ١٩٦١ بلغ عدد السكان ٧,٩٦٦ نسمة كوّنوا ١,٤٢٢ أسرة . ويعزى هذا التناقص بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦١ إلى الهجرة المستمرة إلى الخارج . لكن عدد السكان عاد فارتفع في عام ١٩٧٥ إلى ٨,٨٦٠ نسمة ألّفوا ١,٦٠٠ أسرة . وقدر عدد المهاجرين من بيت جالا بما يقارب ١٨,٠٠٠ نسمة خلال الثلث الأخير من هذا القرن . وتتركز نسبة هامة منهم في تشيلي .

ويعد افتقار المدينة إلى الموارد الاقتصادية مع تزايد أعداد سكانها وكذلك الأوضاع المستجدة بعد عام ١٩٤٨ ثم عام ١٩٦٧ والحروب والاضطرابات المرافقة من أهم أسباب هجرة السكان . وهذه الهجرة جانب إيجابي وآخر سلبي . فأما الإيجابي فيتمثل في تدفق الأموال من المهاجرين إلى أهاليهم في المدينة فيعم الرخاء مختلف مجالات الحياة فيها . وأما الجانب السلبي فيتمثل في تسرب الكفايات وخروج الشباب ذوي العقلية المتفتحة من مدينتهم التي تخسر خدماتهم وتحرم نتاج أيديهم العاملة .

وبالإضافة إلى النهضة العمرانية المتنامية التي تشهدها بيت جالا تمارس المدينة وظائف مختلفة تكسبها أهمية خاصة . ففي مجال الزراعة تبلغ مساحة الأرض الزراعية للمدينة ١٣,٣٠٧ دونمات . وتتبوأ الأشجار المثمرة المكانة الأولى بين المحاصيل الزراعية ، إذ تحتوي هنا زراعة أشجار الزيتون * التي تشكل غابة متصلة تحيط بالمدينة . كما تنجح زراعة أشجار المشمش والعنب * والتوت بسبب طبيعة الأرض الجبلية . وتشغل الخضر * والحبوب * مساحات قليلة بسبب وعورة الأرض وقلة مصادر الريّ الدائم .

أما الصناعة * فهي ناشئة ، لكنها تتقدم بسرعة تدعمها أموال المهاجرين من أبناء المدينة . ومن أهم صناعات المدينة الحفر على خشب الزيتون ، وهي صناعة سياحية تتوفر مادتها الأولية وفي بيت جالا ٤٢ معملاً للحفر على الخشب ويعتمد على هذه الصناعة الهامة نحو نصف السكان . ومن صناعاتها أيضاً صناعة السبح * والمطرزات السياحية ، إذ توجد ٦ مصانع غزل ونسيج ، وصناعة الأدوية والمستحضرات الطبية ، وصناعة التبغ التي تشرف عليها شركة السجاير العالمية المحدودة (تأسست عام ١٩٧٠) وتقف في وجه الصناعات الأجنبية . وفي المدينة معصرة حديثة للزيتون . والمدينة متقدمة صناعياً تستوعب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة من أبناء المدينة نفسها ، أو من أبناء القرى المجاورة .

وتساهم التجارة * بنصيب قليل في الدخل المحلي لأهالي المدينة . وتعتمد في التبادل التجاري على مدينة بيت لحم . والأموال التي يعود بها المهاجرون الأثرياء ويستثمرونها في مشروعات متنوعة داخل المدينة مصدر اقتصادي هام من مصادر المدينة .

وفيما يتعلق بالوضع العمراني تقوم المدينة على رقعة تمتد فوق جبل يقع إلى الغرب من الطريق الرئيسة التي تصل بين مدينتي القدس والخليل . ولموضع المدينة مزايا كثيرة حققت فوائد في الماضي ، ولذلك أقيمت المدينة القديمة على بقعة مرتفعة من الأراضي غير الصالحة للزراعة لتوفير أسباب الأمن والطمأنينة من جهة ، ولإبعاد البناء عن الأراضي الصالحة للزراعة من جهة ثانية . وتتجمع المباني في البلدة القديمة متلاصقة لا يفصل بينها سوى أزقة ضيقة . ومعظمها من الحجر الكلسي الأبيض والأحمر ، وقلما ترتفع المباني عن طبقتين .

شهدت بيت جالا تطوراً في نموها العمراني منذ العشرينات ، فقد امتدت المدينة الحديثة باتجاه المحور الرئيس الذي يربطها ببيت لحم . وساهمت الهجرة في وجود المساكن الفاخرة التي تخلع طابع الأبنية المستقلة المحاطة عادة بحدائق مليئة بالأشجار المثمرة (فيلّات) . لكن المدينة تواجه مشكلة التصاق المباني المخصصة للمصانع بالمباني السكنية داخل المدينة ، مما يضر بالصحة .

وتعاني المدينة من مصادرة أراضيها على يد سلطة الاحتلال الإسرائيلي ، لإقامة ثكنات عسكرية عليها أو معسكرات للجيش الإسرائيلي وتقوم حالياً شمالي وغربي بيت جالا مستعمرتان صهيونيتان تمتدان في نموها العمراني نحو مدينة بيت جالا ، مما يعرض المدينة لخطر التهويد في المستقبل (رَ : الاستيطان الصهيوني بعد ١٩٦٧) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ ..

ـ إحصاءات دار بلدية بيت جالا لعام ١٩٧٥ .

بيت جَالا (مدرسة ـ) :

كان تعليم أبناء الطائفة الأرثوذكسية وغيرها من الطوائف المسيحية في فلسطين أمراً تحمل أعباءه الملة التي تدير شؤون الطائفة . ولمّا كانت الملّة الأرثوذكسية في فلسطين (والأردن) تخضع لأخوية القبر المقدس اليونانية التي كانت تهمل شؤون الطائفة جملة ، فإن ما عند الأرثوذكس من مدارس لم يكن كافياً ، ولم تكن هذه المدارس على المستوى المطلوب .

وقد لفت هذا الأمر نظر بعض الذين كانوا يهتمون بشؤون الأرثوذكس في فلسطين من الروس الذين نزلوا البلاد حجاجاً وسياحاً وسياسيين . لذلك عنوا وعي الكرسي الأنطاكي فيما بعد بفتح مدارس روسية أرثوذكسية في فلسطين . ولمّا أنشئت الجمعية الملكية الأرثوذكسية الفلسطينية (١٨٨٢م) صار إنشاء المدارس أكثر تنظيماً .

ومدرسة بيت جالا للبنات واحدة من هذه المدارس . وقد أنشئت أصلاً في القدس سنة ١٨٥٨م بأموال خاصة وقفتها فاعلة خير روسية ، ثم احتضنتها القيصرة ماريا . وكان البطريرك الأرثوذكسي اليوناني يقاوم وجود هذه المدرسة ، لذلك اضطر القائمون عليها إلى نقلها إلى بيت جالا * حيث ظلت في بناء مؤجر إلى سنة ١٨٦٩م إذ أقيم لها بناء خاص بها .

ولمّا وصل إداريو الجمعية الملكية الأرثوذكسية إلى فلسطين ١٨٨٢ رأوا أهمية هذه المدرسة فقبلوا أن تنقل إلى عهدتهم (١٨٨٦) ، ووسعوا بناءها وجعلوها مدرسة داخلية (١٨٩٠) . وقد كان في مجمعها أماكن لإقامة المدرّسات والتلميذات ، وكنيسة ، ومستوصف مع أسرّة للمريضات من التلميذات والمعلمات . وقد بدأت رئيسة المدرسة الأولى العمل وعندها خمس تلميذات (١٨٩٠) . إلاّ أن العدد بلغ إحدى وثلاثين طالبة سنة ١٨٩٥ ، وكان في المدرسة النموذجية مئتا تلميذة . واتجهت المدرسة منذ البداية إلى إعداد معلمات لمدارس البنات التي تفتحها الجمعية في فلسطين (وغيرها فيما بعد) .

وفي سنة ١٨٩٨ كانت ١٧ معلمة ، من أصل ٨٢ معلمة يعملن في مدارس الجمعية ، من خريجات مدرسة بيت جالا .

كانت مدة الدراسة في مدرسة بيت جالا ثماني سنوات ، وكانت الطالبات يؤخذن اليها وهن بين العاشرة والثانية عشرة . وكن يتعلمن اللغة العربية واللغة الروسية والحساب واللغة اليونانية (القديمة) والهندسة والتاريخ والجغرافية . ولم تنجح محاولة جعل اللغة الروسية لغة التعليم .

ومهما كان من أمر التعليم في مدرسة بيت جالا ومثيلتها في الناصرة وسترواء فقد أحدثتا ثورة فكرية في نفوس الذين درسوا فيهما ، وكان لهما ـ على ضعفهما ـ أثر في النشاط الثقافي في فلسطين (رَ : الإرساليات الروسية ، مدارس) .

بيت جِبْرِيـن (قرية ـ) :

قرية عربية تقع عند نهاية السفوح الغربية لجبال الخليل * على بعد ٢٦ كم شمال غربي الخليل * . وتتميز بيت جبرين بموقعها في منبسط طولي يمتد من الشرق إلى الغرب ويرتفع زهاء ٣٠٠ م عن سطح البحر . وقد تكوّن هذا المنبسط من التقاء عدة أودية كوادي الجديدة ووادي الشويكا ووادي الغورييل ووادي الزمّار التي لا تلبث أن تخرج مجتمعة من القرية باتجاه الشمال الغربي باسم وادي الشيخ .

وقد سهلت هذه الأودية إنشاء الطرق فصارت بيت جبرين ملتقى عدة طرق أهمها : طريق الخليل ـ بيت جبرين ـ القالونية ، وطريق بيت جبرين ـ زكريا ـ القدس أو الرملة ، بالإضافة إلى الطرق الفرعية الموصلة إلى القرى المجاورة

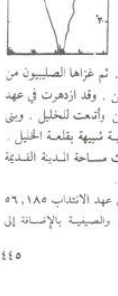

وقد عرف لموقع بيت جبرين هذه الأهمية منذ القديم فبنى فيه جبابرة العمالقة الكنعانيين مدينة من أقدم مدن فلسطين (ولفظ بيت جبرين يعني بيت الأقوياء الجبابرة) . وكانت من قلاع الأيدوميين * في نحو سنة ٥٠٠ ق.م . ، ويظهر اسمها في الكتابات التلمودية والرومانية . وصارت في العهد الروماني قاعدة أكبر مقاطعة في فلسطين (رَ : الإدارة) . وقد هدمت وأعيد بناؤها أكثر من مرة . ثم خضعت للحكم العربي بعد معركة أجنادين وبقيت قاعدة جنوب فلسطين . ثم غزاها الصليبيون من بعد وحصنوها وصارت محطة للمسافرين . وقد ازدهرت في عهد المماليك * وأعيد تحصينها زمن العثمانيين وأتمت للخليل . وبقي الإنكليز فيها أيام الانتداب قلعة عسكرية شبيهة بقلعة الخليل . وكانت القرية العربية تقوم على نحو ثلث مساحة المدينة القديمة (٢٨٧ دونماً) وتحمل آثار العهود السابقة .

بلغت مساحة أراضي بيت جبرين في عهد الانتداب ٥٦,١٨٥ دونما يزرع معظمها بالحبوب * الشتوية والصيفية بالإضافة إلى

البساتين القريبة من القرية وأشجار الزيتون * والأشجار الحرجية في الجبال .

كان عدد سكان بيت جبرين (سنة١٩٢٢) ١,٤٢٠ نسمة ، ووصل سنة ١٩٤٥ إلى ٢,٤٣٠ نسمة . وقد حافظت القرية على مركزها المتميز بالنسبة إلى القرى المحيطة بها حتى نهاية عهد الانتداب ، فكان فيها مدرستان ومركز شرطة وعيادة صحية ومحطة نقليات ، وكان يعقد فيها سوق أسبوعي كل يوم ثلاثاء عدا سوقها الثالث .

وفي عام ١٩٤٨ اغتصبت (إسرائيل) بيت جبرين فشردت أهلها ودمرتها وأقامت عام ١٩٤٩ على بعد كيلومتر واحد إلى الغرب من القرية مستعمرة " بيت جفرين " ، ومعظم سكانها من يهود شمال إفريقيا وروسيا . وتستغل (إسرائيل) الآن الآثار الرومانية والبيزنطية الموجودة في موقع بيت جبرين استغلالاً سياحياً كبيرا .

المراجع :

ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ١ ، مصر ١٩٠٦ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ق٢، بيروت ١٩٧٢ .
ـ أنس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ دائرة المعارف الإسلامية : المجلد ٤ (الترجمة العربية) .

بيت جبرين (وادي ـ) : ر : الإفرنج (وادي ـ)

بيت جِرْجَـا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسافة ١٥ كم إلى الشمال الشرقي من غزة * وتبعد نحو كيلومتر واحد إلى الشرق من خط سكة حديد رفح ـ حيفا ، ومن الطريق الساحلية غزة ـ المجدل ، وتبعد إلى الجنوب من المجدل * ٩ كم . تربطها بالقرى المجاورة مثل بربرة * والجيّة * وهربيا * ودمرة * دروب ممهدة . وهي قرية قديمة دعاها ياقوت باسم « جرجرة » . وقد اندثرت القرية القديمة وأقيمت مكانها قرية بيت جرجا عام ١٨٢٥ م . ولا تزال آثار القرية القديمة في وسط بيت جرجا متمثلة في أسس أبنية قديمة وبئر مياه .

تشرف بيت جرجا فوق بقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي * ترتفع نحو ٥٠ م عن سطح البحر . ويمر بطرفها الغربي وادي العبد أحد روافد وادي الحسي * الذي ينتهي في البحر المتوسط . ويظل مقام النبي جرجا في الطرف الغربي من القرية على ضفة وادي العبد . كانت بيت جرجا تتألف من مجموعة بيوت شيد معظمها من اللبن تفصل بينها شوارع ضيقة ، ويتخذ مخططها العام شكل شبه المنحرف الذي يتضح منه أن الامتداد العمراني للقرية يأخذ اتجاها شماليا غربيا ، وبخاصة على طول امتداد الطريق التي تؤدي إلى قرية بربرة . بلغت مساحتها أواخر عهد الانتداب ٢٥ دونما . ويعتمد سكان القرية في الشرب والريّ على مياه بعض الآبار التي يراوح عمقها بين ٣٠ و٨٠ م . وقد اشتملت بيت جرجا على بعض الحوانيت في وسطها ، وعلى مدرسة تأسست عام ١٩٣٢ .

مساحة الأراضي التابعة لبيت جرجا نحو ٨,٤٨١ دونما منها ٢٩٧ دونما للطرق * والأودية والسكك الحديدية * ، و١١٦ دونما تملكها الصهيونيون . وتتميز أراضي القرية بخصب تربتها الطمية والطفلية ، وبتوافر مصادر المياه الجوفية فيها .

وكان يزرع فيها الحبوب * والخضر * والفواكه ، ولا سيما الحمضيات * التي غرست في مساحة ٥٣٢ دونما . وتتركّز معظم الأرض الزراعية والبساتين في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية والجنوبية من بيت جرجا . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ومياه الآبار * ، وهي ذات إنتاج مرتفع نسبياً .

بلغ مجموع سكان بيت جرجا عام ١٩٢٢ نحو ٣٩٧ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٦١٩ نسمة كانوا يقيمون في ١١٥ بيتا ، وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٩٤٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ دمر الصهيونيون القرية وشردوا سكانها ، وهم يعيشون حاليا في قطاع غزة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة بربر .

بيت جِبْـرِ (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٥ كم جنوبي الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * ، وهي جنوب غربي اللطرون ، ويربطها درب ممهد بطريق غزة ـ القدس الرئيسة المعبدة التي تسير في الجهة الشمالية من أراضي القرية . وتربطها دروب ضيقة أخرى بقرى دير ميسن * وبيت سوسين * .

نشأت القرية فوق رقعة منموجة من الأقدام الغربية لمرتفعات القدس ترتفع نحو ٢٠٠ م عن سطح البحر . بنيت بيوتها من اللبن والحجر وألفت مخطط مستطيلا يضم مباني القرية وشوارعها الضيقة . واتجه فوهما العمراني في اتجاه شمالي جنوبي . وضم وسط القرية المباني السكنية وبعض الدكاكين بالإضافة إلى مسجد ومدرسة ابتدائية تأسست في عام ١٩٤٧، وهي مشتركة بين قريتي بيت جيز وبيت سوسين . وتشرب القرية من بئر النصراني إلى الشمال منها . ووصلت مساحتها في أواخر فترة الانتداب إلى نحو ٢٩ دونما. وتحيط بها بعض الخرائب الأثرية من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية ، وهي تضم آثار أسس أبنية وصهاريج مياه وأحواض صغيرة منقورة في الصخر ومدافن ومعاصر للزيتون (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

بلغت مساحة أراضي بيت جيز ٨,٣٥٧ دونما منها ١٤٠ دونما للطرق * والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وتعتمد أراضيها الزراعية على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية تسمح بإنتاج الحبوب * والأشجار المثمرة . وتنمو الأشجار الطبيعية جنوبي القرية ، والأعشاب الطبيعية شرقها ، وهي تصلح لرعي الأغنام والمعز . وتنتشر الأشجار المثمرة على المنحدرات الجبلية وفوق التلال حيث تزرع أشجار الزيتون * واللوز والعنب * والتين وغيرها . وتزرع الحبوب والخضر * في السهول وبطون الأودية والمنخفضات .

لما عدد سكان بيت جيز من ٢٠٣ نسمات عام ١٩٢٢ إلى ٣٧١ نسمة عام ١٩٣١ كانوا يقيمون في ٦٧ بيتا ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٥٥٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون بيت جيز ومعروها بعد أن طردوا سكانها ، ثم أقاموا على أراضي القرية مستعمرة « هراتيل » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة نجوز .

بيت حجلة (مدينة ـ) :

بيت حجلة ، أو عين حجلة ، أو نصر حجلة ، مدينة فلسطينية قديمة كانت عامرة قبل الغزو الإسرائيلي القديم . وهي من عيون الماء * عند نهر الأردن * الجنوبي ، وتبعد غربي مجرى النهر قرابة ثلاثة كيلومترات . وتقع جنوبي شرق أريحا * بين المجرى الأدنى لوادي القلط * في الشمال ووادي المرّار في الجنوب .

ورد ذكرها في العهد القديم مع قائمة طويلة من المدن الفلسطينية الواقعة غرب نهر الأردن وتحمل الملامح العربية السامية . ويدل بيت الأسماء الطويل لتلك المدن أن فلسطين كانت بلدا عامرا مزدهرا من الناحيتين الاقتصادية والعمرانية قبل غزو القبائل الإسرائيلية لها . وبيت حجلة إحدى المدن التي اغتصبت يومذاك وكانت من نصيب سبط بني بنيامين بعد القرعة التي جرت في شيلوه (خربة سَيْلون) . فقد نصب الإسرائيليون في شيلوه خيمة الاجتماع لقسمة الأراضي التي اغتصبوها ، فكانت سبعة أقسام وزعت في الأسباط السبعة .

لم يبق اليوم أثر لمدينة بيت حجلة ، ولكن هناك موقعاً بين أريحا ونهر الأردن يدعى عين حجلة .

المراجع :

ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ محمد عزة دروزة : العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها ، ج ١ ، ١٩٧٩ .
ـ فلسطين الخارطة : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .

بيت داراس (قرية ـ) :

قرية عربية بني اسمها مكان دراسة الحنطة . وتقع في الشمال الشرقي من مدينة غزة * على مسافة ٤٦ كم منها . نشأت في موضع سهلي منبسط يعلو ٤٥ م عن سطح البحر ، ويرتفع في الجهة الغربية والجنوبية الغربية ليكون تلة تعلو ٦٠ م عن سطح البحر . وقد أقام الصليبيون فوق هذه التلة قلعة تتحكم في المسالك والدروب التي كانت تلتقي في بيت داراس . ويمر وادي قريقع بالأراضي الشرقية للقرية ، وينتهي في وادي الجرف أحد روافد وادي صقرير . وتقع بجوارها خرب كثيرة مثل خربة بردغة ، وخربة عيّاضة ، وخربة عودة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

ترتبط القرية بالقرى المجاورة مثل أسدود * والسوافير * الشمالية والشرقية والغربية وجولس * والبطاني * بشبكة من الدروب الترابية التي أعطت بيت داراس أهمية خاصة كتجمع سكاني وريفي مركزي . ولا عجب في أن القرية كانت في عهد المماليك * مركزاً من مراكز البريد بين غزة ودمشق . وقد ساهم الموقع الجغرافي في نمو القرية وامتدادها العمراني نحو الجنوب الغربي على طول طريق بيت داراس ـ جولس . وتطور حجمها إلى ٨٨ دونماً وزاد عدد سكانها فبعد أن كان عدد السكان ١,٦٧٠ نسمة عام ١٩٢٢ أصبح عددهم ٢,٧٥٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وكان جميع سكانها عربا يمارسون أعمال الزراعة وتربية المواشي والدواجن ويعمل بعضهم في حرفة التجارة في حوانيتهم الواقعة في قلب القرية .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للقرية ١٦,٣٥٧ دونا . ومعظم هذه الأراضي قابلة للزراعة . وأما المستغل منها فإنه يزرع حبوباً * وخضراً * وأشجاراً مثمرة ، وأكثرها الحمضيات * . والزراعة ناجحة لانبساط الأرض وخصب التربة وتوافر مياه الآبار * . لكن مساحات رئيسة من الأرض الزراعية تعتمد على الأمطار التي تهطل شتاء بكمية تصل في معدلها السنوي إلى ٤٢٠ مم تقريبا .

وفي عام ١٩٤٨ تعرضت بيت داراس كغيرها من القرى الفلسطينية لهجمات مستمرة من العصابات الصهيونية انتهت أخيرا إلى احتلال القرية وطرد سكانها العرب منها . ثم قام الصهيونيون بتدمير القرية ومحوها من الوجود (ر : بيت داراس ، مذبحة ـ) ، وأقاموا فوق أراضيها مستعمرتي « زموروت » و« جيعاتي » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .

بيت داراس (مذبحة ـ) :

تعرضت قرية بيت داراس * لاعتداءات كثيرة قام بها صهيونيو المستعمرات المجاورة لها لوقوعها على طريق المواصلات التي تربط بين هذه المستعمرات ، وبالتالي لقدرتها على عرقلة التحركات فيما بينها .

هاجمها الصهيونيون لأول مرة يوم ١٩٤٨/٣/١٦ بقوة كبيرة . ولكن هذا الهجوم منى بفشل ذريع إذ تصدى له مناضلو القرية ـ رغم قلة عددهم وأسلحتهم ، بعنف وتصميم وأوقعوا خسائر عديدة

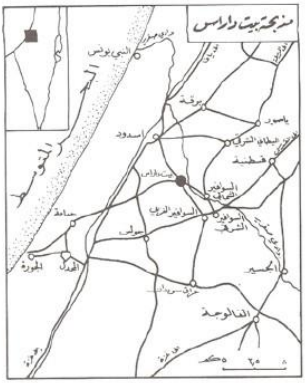

بين المهاجمين الذين فضلوا الانسحاب بعد أن نسفوا منزلين من القرية .

وفي ١٩٤٨/٤/١٣ عاود الصهيونيون هجومهم على القرية بقوة أكبر معززة بأربع مصفحات ، ولكنهم اكتفوا بنصف المنازل بالمدفعية من بعد ، ثم تراجعوا إلى مستعمراتهم .

ويبدو أن هدف هذا الهجوم كان تقدير مدى تصميم السكان على المقاومة ،وكشف القدرة النارية المتوفرة بين أيدي العرب ، ولذا هاجم الصهيونيون القرية مرة ثانية في ١٩٤٨/٥/١ . فقد وصلت قوة كبيرة من المستعمرات المجاورة للقرية فجر ذلك اليوم إلى موقع يدعى نصار حيث توقفت وبدأت تقصف القرية بمدافع الهاون تمهيداً لمهاجمتها ، ثم تحركت قوة من المشاة وهاجمت القرية من الجانب الغربي حيث المدرسة ، فاحتلتها وتابعت تقدمها نحو قلب القرية في الوقت الذي كانت قذائف الهاون تمطر الجانب الشرقي من القرية .

حاصر المناضلون مع سكان القرية معركة عنيفة ضد المعتدين ، وتمكنو من إيقاف الهجوم ، ثم شنوا هجوما معاكساً واستردوا المدرسة ، فانسحبت الموجة الأولى من الهجوم بعد أن تكبدت بعض الخسائر . ولم يبق في القرية عند الظهر أي صهيوني . وبعد هذا

النجاح بدأ المناضلون يجمعون صفوفهم ويوطنهم النجدات من القرى المجاورة مثل أسدود * وحامة * والسوافير * والمجدل * والفالوجة *، وحاولوا مطاردة فلول المعتدين الهاربين إلاّ أن القائد الصهيوني استنجد بالجيش البريطاني الذي أرسل ثلاث مصفحات منعت العرب من المطاردة .

زاد هذا الفشل من حقد الصهيونيين على سكان القرية فحشدوا بعد ثلاثة أسابيع أعداداً كبيرة من القوات عزّزوها بالمصفحات ، وهاجموا القرية يوم ١٩٤٨/٥/٢١ من جهاتها الأربع بآن واحد .

وصلت هذه القوة عند الفجر وطوقت القرية لمنع وصول النجدات إليها ، ثم بدأت تقصفها بنيران المدفعية والهاونات بغزارة كبيرة . شعر المناضلون بحرج الموقف ، وقرروا الصمود والدفاع عن منازلهم مهما كلف الأمر ، لذلك طلبوا من النساء والأطفال والشيوخ مغادرة القرية بهدف تخفيف الخسائر بين العزل . وتحرك هؤلاء عبر الجانب الجنوبي من القرية ، ولم يكونوا على علم بأنّ القرية مطوقة من مختلف الجهات . وما أن بلغوا مشارف القرية الخارجية حتى تصدى لهم الصهيونيون بالنيران رغم كونهم نساء وأطفالا وشيوخا عزلا فقتلوا عددا كبيرا منهم في مذبحة لا تقل فظاعة عن مذبحة دير ياسين * وسراها ، ثم أحرقوا بيادر القرية وبعض منازلها ، ونسفوا بعضها الآخر مستغلين انشغال المناضلين بالمذبحة التي حلت بعائلاتهم .

أدى هذا العمل الوحشي إلى زيادة قوة تصميم المناضلين على القتال فاندفعوا نحو العدو يملأ قلوبهم الغضب وكبدوا الصهيونيين خسائر كبيرة جدا وأجبروهم على التراجع . وسلمت القرية من الاحتلال .

ولكن الخسائر البشرية والمادية ووقعها الأليم على المناضلين اثرت في المعنويات بالإضافة إلى أن الذخائر قد نفدت تقريبا وانقطع الأمل في الحصول على الأسلحة والذخيرة . فبدأ السكان ينزحون عن منازلهم ولم يبق في القرية إلاّ النزر اليسير منهم . وعلى الرغم من ذلك لم ينجرأ الصهيونيون على دخولها إلاّ في يوم ١٩٤٨/٦/٥ بعد أن تأكدوا من عدم وجود أية مقاومة .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ علي محمد علي وإبراهيم الخصاني : إسرائيل قاعدة عدوانية ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ على مصر ، القاهرة ١٩٥٧ .

بيت دَجَن (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٠ كم جنوبي شرق مدينة يافا * في منتصف الطريق بينها وبين مدينة الرملة * . يمرّ جنوبيها طريق القدس ـ يافا ، ويمر شماليها خط سكة حديد يافا ـ القدس .

وبيت دجن من المدن الكنعانية القديمة ،وكانت تحمل اسم « بيت داجون » ولعلها سميت بهذا الاسم نسبة إلى « الربّ داجون » الذي كان له معبد في هذه المدينة .

عرفت بيت دجن في عهد سنحاريب الأشوري ٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م. باسم بيت دجانا *Bet Dagana* ، وعرفت في العهد الروماني باسم كافار داجو *Cafar Dago* . وردت عند الجغرافي العربي القدسي في القرن الرابع الهجري باسم « داجون » وذكر أنها شبه مدينة عامرة بها جامع بناه الخليفة هشام بن عبد الملك على أعمدة من رخام أبيض . وذكرها ياقوت الحموي في معجمه باسم « داجون » ، وقال إنها قرية من قرى الرملة بالشام ، وذكر أسماء الكثيرين من القرّاء والمحدّثين الداجونيين .

أقيمت أثناء الحروب مع الصليبيين على بقعة بيت دجن قلعة إفرنجية عرفت باسم حصين ماين *Casal Maen* أو الحصين الأوسط *Casal Moyen* وقد هدمها صلاح الدين الأيوبي * ، لكن ريكاردوس الملك الصليبي أعاد بناءها في عام ٥٨٧ هـ/ ١١٩١ م .

تقع « خربة داجون » جنوبي القرية على بعد كيلو مترين من طريق يافا ـ القدس ، وهي الموضع القديم للقرية الحديثة ، وتضم بقايا معمارية من القلعة وآباراً ومدافن مسجلة في قائمة الآثار الفلسطينية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

نشأت قرية بيت دجن الحديثة على أرض سهلية رملية تستمد مياهها من الآبار . وقد بلغت مساحة القرية في عهد الانتداب البريطاني ٦٠ دونماً . وأما الأراضي التابعة لها فمساحتها ١٧,٢٦٢ دونماً منها ٣,٤٨٧ دونماً أراضي غير زراعية ، والباقي ، ومساحته ١٣,٧٨٠ دونماً ، أراض زراعية بينها ٩,٠٦٨ دونماً زرعت برتقالاً ، و ٣٥ دونماً فقط زرعت زيتوناً . وكانت معظم هذه المساحات ملكاً للعرب ، ولم يملك الصهيونيون منها أكثر من ١,٩٧٥ دونماً . وكان بين ما يملكه العرب ١٢,٢٦١ دونماً ملكاً

خاصا ، والباقي، وهو ٣,٠٩١ دونما، ملكا مشاعاً لسكان القرية (ر : الأرض ، ملكية) .

وصل عدد سكان القرية في أواخر عهد الانتداب البريطاني إلى ٣,٨١٠ عملوا في الزراعة * ، ولا سيما زراعة الحمضيات * رما يتصل بها من قطاف وتعبئة ونعبئة وتجارة . وكانت بيوتها متجهة على خير نظام ، قديمها من السطوب وجديدها من الحجر والإسمنت . وقد تمّ في بيت دجن تطور عمراني زراعي سريع نتيجة ما أصاب أهلها من ثراء بسبب زراعة الحمضيات وتصديرها . وغدت هذه القرية أسبق قرى قضاء يافا في مجال التطور والتقدم .

أنشئت في القرية زمن الانتداب مدرسة ابتدائية للبنين ضمّت ٣٥٣ طالباً وتسعة معلمين . وقد ألحقت بها أرض مساحتها ١٥ دونماً لتدريب الطلاب على أساليب الزراعة العملية . وكانت هذه الأرض تروى من بئر أنيمت عليها مضخّة كهربائية . كذلك كان في القرية مدرسة للبنات ضمّت مائة طالبة وطالبتين تعلّمهن معلمتان .

احتل الصهيونيون هذه القرية في ٢٧ ـ ١٩٤٨/٤/٢٨ وأقاموا مكانها بعد ستة أشهر مستعمرة « بيت داجان » على بعد خمسة كيلومترات جنوبي شرق مدينة تل أبيب * .

المراجع :

ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ الكتاب المقدس : يش ١٥ : ١٤ .

بيت راح : ر : بيت بريح

بيت زور :

اسم كنعاني معناه بيت الرب شور (رب الجبال) ، أو بيت صور ، وكانت تقوم بمكان خربة الطيبة اليوم . وعرفت بيت زور في العهد الروماني باسم بيت سورا *Bath - Sura* .

اكتشف هذه البلدة الأب أبل *Abel* عام ١٩٢٤ . وفي العام نفسه قامت المدرسة الأثرية الأمريكية والمدرسة الأثرية الألمانية بدراسة للمنطقة فوصلتا إلى النتائج نفسها . وفي عام ١٩٢٨ بدأت المدرسة الأمريكية أعمال التنقيبات الأثرية في بيت زور برئاسة سيلرز *O. R. Sellers* .

يتبع التل الأثري الذي جرت التنقيبات الأثرية فيه بلدة حلحول * ، ولا يزيد ارتفاع هذا التل عن المناطق المجاورة على ٤م تقريباً ، وقد لوحظ أن المعماريّين في العهدين البرنزي والحربي استعملوا حجارة العمائر الأقدم عهداً ، مما أدّى إلى تخريب السويّات السكنية القديمة كسويات العهد الهلنستي وما قبله .

بلدة بيت زور ذات موقع استراتيجي عسكري ـ اقتصادي هام ، إذ تتوضع فوق قمة جبل يبلغ ارتفاعه حوالي ١,٠٠٠ م عن سطح البحر . وهي بذلك أعلى مدينة قديمة في فلسطين .

تم العثور في القسم الجنوبي الغربي من البلدة على جزء من سور كبير كمند يعود إلى أوائل العصر البرونزي الوسيط ويبلغ عرضه في بعض المناطق ٢,٥ م . وعثر كذلك على برج من العصر نفسه قريب من الكمال يزيد عرضه على ٥ م وطوله على ١٠م . أعيد بناء السور والبرج في أواخر العصر البرونزي الوسيط . وتعاصر هذه المنشآت المعمارية السوية *D* من تل بيت مرسيم ، وسوية تحوتمس الثالث في بيسان . ويبدو أن المدينة دمرت حوالي عام ١٥٠٠ ق.م. وبقيت خربة خلال العصر البرونزي الحديث . وفي هذه الفترة ، أي في العصر الحديدي المبكر كانت بيت زور زعيمة المدن الخمس عشرة ، ومن هنا جاء اهتمام الثوراتيين بالمدينة . وما أكد أهمية المدينة العسكرية أن التنقيبات الأثرية أماطت اللثام عن وجود ثلاث قلاع متعاقبة في وسطها : الأولى ذات سور مصمت من الخارج تبلغ سماكته ١,٥ م . وقد دمرت هذه القلعة الكنعانية كلياً قبل قيام القلعة الثانية التي هي أكبر حجماً من الأولى . أما القلعة الثالثة فهي أصغر القلعتين . وتشير المكتشفات الأثرية في هذا الموقع إلى أن المدينة اضطلعت بدور هام خلال العهد الهلنستي إبان الثورة المكابية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
— Albright W.F.: **The Archaeology of Palestine,** London. 1960.
— Olmstead. A.T.: **History of Palestine and Syria,** New York 1939.
— Sellers O.R. and Albright W.F.: **BASOR,** 43,Octob. 1931.
— Sellers O.R.: **The citadel of Beth-Zur,** 1933.

بيت سَاحور (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة كيلومتر واحد من مدينة بيت

لحم * ، ويكاد العمران يتصل بينهما ، ولولا وجود نواة قديمة للبلدة لعدّت ضاحية من ضواحي بيت لحم . تحدها شمالاً خربة أم العصافير وخربة لوقا ، ومن الشرق قريتا زعترة وابن عبيد .وأما من الجنوب فتحدها خربة بصّة الرومانية . وتسمى بيت ساحور أيضاً « بلدة الرعاة» لأن الرعاة الذين بشروا بميلاد المسيح سكنوا من هذه البلدة .

مناخها معتدل بوجه عام ، ويميل إلى البرودة شتاء . وتراوح متوسطات درجات الحرارة ما بين ١٠° شتاء و ٢٥° صيفاً . وتقع بيت ساحور في ظل المطر إذ تحجب مرتفعات بيت لحم الأمطار عنها . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي تهطل على البلدة نحو ٣٧٥,٦ مم في حين يصل المتوسط في بيت لحم إلى ٤٢٤,٤ مم ، وفي بيت جالا * إلى ٥١٥,١ مم . وتتغير كمية الأمطار من سنة إلى أخرى مما يترك آثاراً سيئة على المحاصيل الزراعية في بعض السنوات .

تبلغ مساحة بيت ساحور ٣٠٠ دونم منها ١٢٨ دونماً للبلدة القديمة . وتقوم نواة البلدة على ربوة تتدرج في الارتفاع من حقل الرعاة تجاه مرتفعات بيت لحم فيما يعرف باسم أقدام الجبال حيث تتلاصق مساكن البلدة القديمةفلا يفصل بينها سوى أزقة ضيقة تتقطعها الى حارات صغيرة . وقليلاً ترتفع المباني في الجزء القديم من البلدة عن طبقتين . وكان هذا التجمع المتلاصق من الساكنين في الماضي يخدم غرضين : الأول دفاعي في زمن الفوضى واضطراب الأمن ، والثاني اقتصادي لاستغلال أكبر مساحة ممكنة من الأرض الصالحة للزراعة .

أما البلدة الحديثة فقد اتجهت نحوالشرق على محورين رئيسين : الأول محور جنوبي شرقي باسم شارع سطيح ، والثاني محور شمالي شرقي باسم شارع الرعاة . وعلى طرفي كل منهما قامت البنايات الحديثة من الحجر الكلسي النقي . وتشير هذه المباني الجميلة إلى مدى تأثير البيئة في نمط مساكن المدينة ، وإلى نمى أصحابها .

نما عدد سكان بيت ساحور بمعدلات مرتفعة نسبياً خلال هذا القرن . ففي عام ١٩٢٢ كان مجموع سكانها ١,٥١٠ نسمات،وزاد عددهم إلى ١,٩٤٢ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٢,٧٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وإلى ٥,٢١٢ عام ١٩٥٢ . وقد تضاعف عدد السكان بعد عام ١٩٤٨ مباشرة بسبب تدفق اللاجئين على المدينة . وفي تعداد عام ١٩٦١ وصل عدد السكان إلى ٥,٣١٦ نسمة يكوّنون ٨٨٦ أسرة . وقدر عددهم وفقاً للمسح الذي أجرته البلدية لمساكن المدينة سنة ١٩٧٥ بنحو ٨,٠٢٨ نسمة .

وكشف المسح أيضاً عن وجود٨٠جهاز هاتف في المدينةبالإضافةإلى ٧٦٨ ثلاجة و ٥٣٠ غسالة و ٥٦٠ جهاز تلفزيون و ١٥٩ سيارة خاصة . وفي المدينة مدرستان ثانويتان إحداهما للبنين والثانية للبنات وعدد من المدارس الإعدادية والابتدائية ورياض الأطفال . وبها أيضاً ثلاث مدارس أهلية .

تعتمد القاعدة الاقتصادية للمدينة على الزراعة * بشكل رئيس ، فالمساحة المزروعة تبلغ ٦,٩٤٥ دونماً منها ٥٦٠ دونماً لشجرة الزيتون * . وتتقاسم المساحة الباقية كل من أشجار العنب * (١,٣٩٩ شجرة) واللوز (٦,٩٦٥ شجرة) مع الحبوب* والخضر * . وتؤلف الصناعات اليدوية والصناعات السياحية مصدر دخل أساسياً للمشتغلين بها (ز : السياحة) . وأهم هذه الصناعات صناعة الصدف والحفر على خشب الزيتون تليها في الأهمية أعمال التطريز وأشغال الإبرة .

أما في مجال الصناعة الآلية فتحتل شركة البلاستيك المركز الأول ، وتعد من أقوى الشركات في الوطن العربي . ويوجد في المدينة بعض أنوال النسيج الآلية الحديثة .

وقد بيّن مسح عام ١٩٧٥ للقوى البشرية ذات النشاط الاقتصادي أن هناك ٢٣٠ عاملاً يشتغلون في الأعمال الزراعية ، و ١٣٩ شخصاً يشتغلون في الأعمال التجارية و١,١٨٠ عاملاً فنياً وعادياً يشتغلون في الصناعة * والمحارف المختلفة ، و٤٧٨ شخصاً يعملون موظفين في الخدمات العامة والمؤسسات .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ إحصاءات دار البلدية في بيت ساحور لعام ١٩٧٥ .

بيت سُوريك (معركة ـ) :

بيت سوريك قرية عربية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس * وتشرف على طريق المواصلات الرئيس بين السهل الساحلي * ومدينة القدس ، وتبعد عن هذا الطريق حوالي كيلومترين ونصف الكيلومتر .

خطط مجاهدو منطقة القدس لقطع طريق المواصلات بين الساحل والقدس ، خاصة وأن في القدس حوالي مائة ألف من السكان اليهود . وقد بنت قوات جيش الجهاد المقدس * عبد القادر الحسيني * العيون لجمع المعلومات عن أنشطة الصهيونيين العسكرية وحركة قوافلهم فتلقى نبأ يفيد أن الصهيونيين سيرسلون إلى مدينة القدس في ١٩٤٨/١/١٩ قافلة كبيرة من السيارات بينها

عدد كبير من سيارات النقل حاملة مواد التموين ، وستكون محروسة بقوات صهيونية وبريطانية .

فور ورود هذا النبأ عقد عبد القادر الحسيني اجتماعا حضره نائبه كامل عريقات وإبراهيم أبو دية * وقادة قطاعات قرى سديروت * والقسطل * وقالونيا * وصوبا * ، وتم وضع خطة لتدمير القافلة والمؤن التي تتولى حراستها ، وجرى توزيع الواجبات على المجتمعين فقرر الحسيني أن يتولى بنفسه قيادة الهجوم ، وكلف نائبه كامل عريقات باتخاذ التدابير لحشد القوات والإجراءات اللازمة بساعده في ذلك إبراهيم أبو دية . واجتمع إلى جانب قوات جيش الجهاد المقدس عدد من أهالي بيت سوريك والقرى المجاورة ، ونجدة قدمت من مدينة جنين * بقيادة المجاهد فوزي جرار .

كانت الخطة تقضي بتوزيع القوات على جانبي الطريق ، وأن تقوم مجموعة التدمير بقيادة فوزي القطب بزرع الألغام ليلاً في

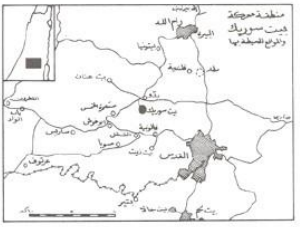

أماكن معينة من الطريق (ر : التدمير العربية ـ قرقة) . ومع فجر يوم ١٩٤٨/١/١٩ أقام الحسيني ونائبه مقر القيادة في قرية بيت عنان القريبة من بيت سوريك . وبعد أن تم نصب الكمين حسب الخطة المرسومة علم الحسيني وصحبه أن القافلة الصهيونية تجتاز ممر باب الواد باتجاه القدس فانتقل الجميع إلى قرية بيت سوريك ، وطلب القائد من نائبه كامل عريقات أن يتوجه إلى مركز الكمين المنصوب للقافلة ، وكان فيه إبراهيم أبو دية وعدد من المسلحين وفوزي القطب وأفراد مجموعة التدمير .

شعر الصهيونيون في مستعمرة الدليب قرب أبو غوش ، ومستعمرة الخمس ، والقوة البريطانية في معسكر الرادار بوجود المجاهدين في المنطقة فأخذوا يطلقون النار عليهم .

عندما وصل كامل عريقات إلى المرتفعات القريبة من الطريق وجد عبد القادر الحسيني قد سبقه إلى هناك والتف حوله المجاهدون . وعند الظهر وصلت القافلة إلى مكان الكمين فأصدر الحسيني الأمر بالهجوم ، وانقض ومعه كامل عريقات ومجموعة من المجاهدين على القافلة من الجهة الشمالية للطريق بينما انقض إبراهيم أبو دية ورجاله من الناحية الجنوبية ، وانطلقت مجموعة التدمير تفجر الألغام ، ووقعت معركة ضارية لمدة ساعة ، وأخذ الصهيونيون يتركون السيارات ويفرون باتجاه مستعمرة الخمس . وانتهت المعركة بتدمير القافلة وقتل عدد غير قليل من الصهيونيين والجنود الإنكليز الذين كانوا يتولون حراستها وفرار من بقي منهم على قيد الحياة .

تعقب المجاهدون فلول العدو باتجاه مستعمرة الخمس ، فتصدت لهم قوة كبيرة من الإنكليز جاءت لنجدة القافلة ، وعندئذ رأى الحسيني تجنب الصدام مع القوة البريطانية مكتفيا بالنصر الذي حققه حسب الخطة المرسومة وهو تدمير القافلة فأصدر الأمر لقوات المجاهدين بالعودة إلى قرية بيت سوريك . ثم رجع زمن معه من القادة في مساء اليوم نفسه إلى مقر القيادة العامة في بيرزيت * .

خسر الجانب العربي في هذه المعركة سبعة شهداء ، وغنم المجاهدون كميات كبيرة من الذخيرة و١٢ بندقية وأربعة رشاشات جديدة بالإضافة إلى حمولة القافلة .

كانت معركة بيت سوريك نموذجا لشجاعة المجاهدين وبطولاتهم ، ولنجدة أبناء القرى واندفاعهم ، وللتنظيم في القتال وتنفيذ الأوامر . وقد برزت مواهب القائد عبد القادر الحسيني وأركانه في التخطيط والقيادة بشكل واضح ، مما أدى إلى تحقيق النصر في المعركة وتحقيق الهدف الذي سعى المجاهدون إلى بلوغه .

المرجع :

ـ أمين أبو الشعرة : مجاهد من أبوديس ، عمان ١٩٧٥ .

بيت سُوسين (قرية ـ) :

قد تكون كلمة سوسين تحريفا لكلمة « ذوذا » السريانية التي تعني الدينار أو الدرهم ، أو تصحيفا لكلمة « ساسا » التي تعني العث والأرضة .

تقع هذه القرية العربية في جنوب شرق الرملة * ، وغرب القدس * . وتبعد عن الأولى ١٨ كم منها ١٦ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى والباقي غير معبد . وتبعد عن الثانية ٢٦ كم منها ٢٤ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى والباقي غير معبد . وعلو بعد ٢,٥ كم شمالي القرية تتفرع الطريق المعبدة القادمة من القدس إلى فرعين يتجه الأول إلى الرملة ، ويتجه الثاني إلى غزة * . وحدود أراضي القرية الشرقية والجنوبية جزء من الحدود بين لوائي القدس واللد .

أنشئت بيت سوسين في القسم الغربي من جبال القدس * فوق جبل صغير يرتفع ٣١٠ م عن سطح البحر ، ويمر وادي طاحون بشمال القرية على بعد ٢ كم ، وهو أحد الروافد العليا للوادي الكبير . وتبدأ من غربها وجنوبها أودية ترفد وادي الصرار - رويين. ويوجد ينبوعان وبئر للماء في « بيارات الأفندي » الواقعة في شمال غرب القرية ، وتقع بئر الحوّارة في جنوبها الغربي .

انقسمت القرية قسمين : الأول ، وهو الأكبر ، يمتد بصورة عامة من الشمال إلى الجنوب ، والثاني يقع في جنوب غرب الأول على بعد ٢٥٠ م ، ويضربه جامع الشيخ عيد . وفي عام ١٩٣١ كان في القرية ١٤ مسكنا حجريا . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٨ دونمات ، ومساحة الأراضي التابعة لها ٦,٤٨١ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا .

كان في القرية ٤٧ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ، وارتفع عددهم إلى ٧٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ٢١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ .

لم يكن في القرية أي نوع من الخدمات . وقد استخدم السكان مياه ينبوع البلدة الوحيد في الشرب والأغراض المنزلية . واعتمدوا على الزراعة * وتربية المواشي في معيشتهم . وأهم منزروعاتهم الحبوب * . وزرعم أن التربة * السائدة هي التربة الحمراء « التيرا روزا» الصالحة لزراعة الأشجار المثمرة فقد كانت القرية مغيرة بهذه الأشجار . ففي عام ١٩٤٣ كان هناك دونمان فقط مزروعان زيتونا * .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ . وفي عام ١٩٥٠ أسس صهيونيون هاجر معظمهم من اليمن موشاف « تاعوز » على بعد كيلومتر جنوب غرب موقع القرية . وقد بلغ عدد سكان هذا الموشاف ٣٠٤ نسمات في عام ١٩٥٠ ، وارتفع عددهم إلى ٤١٠ نسمات في عام ١٩٦١ ، لكنه انخفض إلى ٣٨٥ نسمة في عام ١٩٧٠ .

المراجع :

- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجلون .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

بيت شَنَّة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجنوب الشرقي من مدينة الرملة * . وهي على مسافة نحو ٥ كم من قرية القباب * الواقعة على طريق القدس ـ يافا . وتتصل بهذه الطريق بدرب ضيق . وتتصل بدروب غير ممهدة مع القرى العربية المجاورة مثل سليت * برفلية * والكَنيسة * وعنابة * وعمواس * .

نشأت قرية بيت شنّة فوق ربوة ترتفع نحو ٢٣٠ م عن سطح البحر ، وذلك في منطقة الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله . وتحتوي القرية على بعض الآثار التي تدل على أن رقعتها كانت معمورة . وتألفت بيت شنّة من عدد قليل من البيوت المبنية من اللبن والحجر والملاصقة فوق رقعة أرضية صغيرة المساحة . وقد اتخذ مخططها شكل الهلال أو القوس . ويوجد في طرفها الشمالي خربة شنان ، وملعم الشيخ الشّاوي ، بالإضافة إلى موقع حربة أم الصور . وكانت القرية تخلو من المرافق العامة والخدمات وتعتمد على القرى المجاورة في الحصول على حاجاتها ، وفي تسويق منتجاتها الزراعية .

بلغت مساحة أراضيها نحو ٣,٦١٧ دونما جميعها ملك لأهل القرية . وتتفاوت أراضيها الزراعية بين منبسطة ومتموجة ، وهي أراض بعلية تعتمد على الأمطار . وتتركز المزارع وبساتين الأشجار المثمرة في الجهات الشمالية الشرقية والغربية والجنوبية الغربية من القرية . وتزرع الحبوب * والخضر * في البقاع السهلية نسبيا في حين تنتشر الأشجار فوق البطاح المتموجة وعلى سفوح منحدرات التلال . وأهم ما تنتجه الزيتون * والعنب * والتين والموز والتفاح . وتستغل بعض أراضيها الوعرة في رعي المواشي .

كان عدد سكان بيت شنّة قليلا في أوائل عهد الانتداب ، وقد وصل العدد عام ١٩٤٥ إلى نحو ٢١٠ نسمات . وفي عام ١٩٤٨ قام الصهيونيون بالاعتداء على القرية وطردوا سكانها منها ودمّروها .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- خريطة فلسطين) مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الله .

بيت شيمش (مستعمرة ـ) :

مستعمرة زراعية صهيونية أقيمت على أراضي قرية دير أيـان * العربية بالقرب من خربة جنعر في قضاء القدس . تقع في غرب الجنوب الغربي للقدس * ، ويمر بطرفها الشمالي خط سكة حديد القدس ـ يافا على حين تمر من طرفها الغربي طريق فرعية تصل بيت جبرين * جنوبا بطريق القدس ـ يافا شمالا .

نشأت المستعمرة فوق تل الرميلة ، وهـو أحـد التـلال التي تمثل أقـدام المنحدرات الغربية لمرتفعات القدس . وتطل على وادي الصرار الذي يمر بطرفها الشمالي مكوّنا خانقا عميقا . لذا فإن موقعها وموضعها يحققان أغراضا إستراتيجية تتمثل في الحماية وسهولة الـدفـاع عن المستعمـرة من جهـة ، وفي حماية ممر القدس ـ يافا الطبيعي الإستراتيجي من جهة ثانية .

تحيط بالمستعمرة أراض متموجة أحياناً ووعرة أحيانا أخرى . وتهطل عليها أمطار كافية لنمو الأعشاب الطبيعية والأشجار المثمرة . وتتناثر قطع من الحجارة في تربتها الزراعية التي نجحت فيها زراعة الزيتون * . وتوجد حول المستعمرة بعض الآبار * القليلة التي تستعمل مياهها لأغراض الشرب والصناعة *

تتبع المستعمرة حاليا مقـاطعة القدس . وهي مركز تجاري للمستعمرات المجاورة ، ومركز إداري يساهم في تقديم الخدمات للمستعمرات الأخرى ففيها دائرة للبريد ومستشفى ، وتم ربطها بشبكة الهاتف العامة . وفيها المؤسسات الاجتماعية والمالية والتعليمية ، بالإضافة إلى المكتبات وبعض دور السينما .

وهي مركز صناعي وعسكري ، ففيها مصانع لإنتاج المحركات والآلات والأدوات الكهربائية ، ومصانع الغزل والنسيج والأدوات المنزلية والسراويات والإسمنت والدراجات والأفران وصقل الماس والطباعة والزجاج ، وفيها معسكر للجيش الإسرائيلي .

بلغ عدد سكان بيت شيمش من ٢١٠ نسمات عـام ١٩٥٠ إلى ٧,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦١ ، وإلى ١٠,١٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ ، ووصل عددهم إلى ١١,٤٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ .

المراجع :

ـ أيس صـايغ : بلدانيـة فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيـروت ١٩٦٨ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

ـ مكتب الإحصاء الإسرائيلي : نشرة إحصائية عن سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .

بيت طيما (قرية ـ) :

قرية عـربية تقع على مسـافة ٣٢ كم إلى الشمـال الشرقي من مدينة غزة * . ترتبط بكل من طريقي غزة ـ المجدل وكوكبا ـ بريم الرئيسيتين بطرق ثانوية . وهي تبعـد كيلومترين إلى الجنـوب الغربي من كوكبا * ونحـو ثلاث كيلومتـرات إلى الشمـال الغـربي من حليقات * وقرابة أربعة كيلومترات إلى الشرق من الجيّة *

نشأت بيت طيما فوق رقعة منبسطة من الـهـضـل السـاحلي * الجنـوبي عـلى ارتفاع ٧٥ م عن سطح البحر . وتقوم على ضفة ثنية واد جاف يتجه نحو الشمال الغربي من بيت طيما وينتهي قبل أن يصل إلى البحر المتوسط في منطقة منخفضة نسبيا إلى الشمـال الشرقي من الجيّة . وكانت بيت طيما تتألف من مجموعات بيوت يفصل بين كل مجموعة وأخرى منها بعض الشوارع أو المساحات الفضاء . ويدل هـذا الوضع على أن الكتلة الكبيرة في القرية تمثل النواة الرئيسة لها . وهي تضم إلى جانب المباني السكنية عـددا من الدكاكين والمرافق العامة . أما الكتل الثانوية الأخرى فإنها تمثل تطور نمو القرية العمراني ، إذ كانت كل فترة نمو عمراني تشهد إنشاء جزء أو بعض أجزاء من القرية . ويتجه الامتداد العمراني للقرية نحو الشمال الغربي والجنوب الغربي ، وقد بلغت مساحتها ٦٠ دونما ، وكانت القرية تشتمل على جامع في الجزء الشمالي منها إلى جانب المدرسة الابتدائية التي أنشئت عام ١٩٤٦ في مركز متوسط بين قرى بيت طيما وكوكبا وحليقات .

تقوم بيت طيما فوق بقعة أثرية ، وهي تضم رفات مجاهـدين استشهدوا في الحروب الصليبية . وتقوم بجوارها خـرائب أثريـة كخربة بيت سمعان وخربة ساما ، الأمر الذي يدل على أن منطقة بيت طيما كانت مأهولة بالسكن والعمران قـديمـا (ز : الحـرب والأماكن الأثرية) .

بلغت مساحة أراضي بيت طيما ١١,٠٣٢ دونما منها ٢٣٩ دونما للطرق * والأردية ، ولا يملك الصهيونيون منها شيئا . وأهم ما

كان يشتغل به السكان الزراعة * ، إذ كانوا يزرعون الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وتعتمد الزراعة على الأمطار لأن المياه الجوفية ضعيفة والآبار قليلة لا تكفي لري الأراضي الزراعة . ويبلغ عمق البئر في القرية ٦٣ م . وكانت زراعة الأشجار المثمرة كالعنب * واللوز والتين والمشمش وغيرها تتركز في الجزء الشمالي من أراضي القرية مع وجود هذه الأشجار أيضا في مساحات صغيرة في الجزءين الشرقي والجنوبي .

بلغ عدد سكان بيت عطاب طبقا في عام ١٩٢٢ نحو ٦٠٦ نسمات ، وازداد إلى ٧٦٢ نسمة في عام ١٩٣١ . وكان هؤلاء يقيمون في ١٥٧ بيتا . وقدر عدد سكانها في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٠٦٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ تشرد هؤلاء السكان من ديارهم على يد المحتلين الصهيونيين الذين دمّروا القرية واستغلوا أراضيها في الزراعة واستخراج النفط * من حقل حليقات .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة بربر .

بيت عطّاب (قرية ـ) :

قرية عربية تبعد مسافة ٢٣ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس * . وتربطها طريق معظمها معبد بمدينة القدس . وتمر طريق بيت جبرين ـ القدس الرئيسة المعبدة على بعد ٣ كم إلى الجنوب منها ، وتربطها طريق معبدة فرعية بتلك الطريق الرئيسة ، وتربطها طرق فرعية معبدة أيضاً بقرى سفلى * وعلاّر * وكفر سوم ورأس أبو عمار * ودير أبان * ودير (دار) الشيخ * ودير الهوا * .

نشأت قرية بيت عطاب فوق أحد جبال القدس * ، وكانت معروفة باسمها الحالي في العصور الوسطى . وترتفع ٦٥٠ م عن سطح البحر . وترتفع الأرض إلى الشرق منها مباشرة وتتجاوز ٧٠٠ م عن سطح البحر . وتنحدر أرضها تدريجيا نحو الغرب حيث يجري وادي المغارة متجها نحو الغرب ليرفد وادي صليخ . وتحيط بالقرية ينابيع مياه قوية يستفيد السكان منها لأغراض الشرب وري مزارعهم ، لكن تجمع مياه العيون في مستنقعات صغيرة كان من أسباب تكاثر الحشرات وتفشي بعض الأمراض .

بنيت معظم بيوت القرية من الحجر واللبن ، واتخذ مخططها في الجزء القديم منها شكلا دائريا . لكن نموها الصراني جهة الجنوب الغربي بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية سفلى المجاورة جعل مخططها يتخذ شكلا قوسيا . وبلغت مساحتها ١٤ دونما في عام ١٩٤٥ . وكانت بيت عطاب تفتقر إلى المرافق والخدمات العامة . وهي موقع أثري يحتوي على بقايا حصن قديم . وتشرب القرية من مياه ثلاثة ينابيع هي عين الماجور وعين الخنازير وعين البركة .

تبلغ مساحة أراضي بيت عطاب ٨,٧٥٧ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا . وكان سكان بيت عطاب يمتلكون إلى جانب أراضي قريتهم أراضي واسعة في المنطقة السهلية الساحلية ، تستغل في زراعة الحبوب . في حين استصوا أراضي قريتهم في زراعة الحبوب * وأشجار الزيتون * والعنب * والفواكه الأخرى ، واعتنوا بتربية المواشي . وكانت في أراضيهم غابة حرجية واسعة للحكومة . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والينابيع .

كان عدد سكان بيت عطاب عام ١٩٢٢ نحو ٥٠٤ نسمات ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ٦٠٦ نسمات كانوا يقيمون في ١٨٧ دونما . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٥٤٠ نسمة . وخلال حرب ١٩٤٨ * استولى الصهيونيون على بيت عطاب وطردوا سكانها العرب منها ، ودمروا بيوتها ، ثم أقاموا مستعمرة « برجيورا » شرقيها ، ومستعمرة « تس هاريم » شماليها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت عفّا (قرية ـ) :

تقع شمال شرقي غزة * بنحو ٣٦ كم ، وشمال غربي الفالوجة * بنحو ٥ كم ، وهي إلى الشمال من طريق الفالوجة ـ المجدل بنحو ٢ كم ، لذا فإن موقعها أقل أهمية من موقع قرى الخط الرئيس كالفالوجة وعراق سويدان * .

بنيت القرية فوق جزء من علوة صغيرة مستوية مؤلفة من رمال ذات ملاط كلسي عائدة لتكوينات الكركار الرباعية تضم أيضاً فوقها قرية عراق سويدان ، وترتفع نحو ٩٠ م عن سطح البحر . وتحيط بها الآبار القديمة .

امتدت القرية على مساحة ٢٦ دونماً ، وبلغت مساحة اراضيها ٥,٨٠٨ دونمات . وليس لها إلا مياه الأمطار التي يبلغ معدلها السنوي ٤٠٠مم لزراعة الحبوب والعنب * . ثما عدد سكانها من ٤٢٢ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٧٠٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وكانت الزراعة * هي الحرفة الرئيسة للسكان تليها حرفة الرعي * . وقد عاش قسم من السكان من تربية المواشي في مراعي منطقة عجّس بين قريتي بيت عفا وكوكبا * .

كانت الفالوجة المركز الرئيس الذي تعتمد عليه بيت عفا كغيرها من القرى المجاورة بعد غزة والمجدل . وقد هجّر الصهيونيون أهلها عنها في حرب ١٩٤٨ * ودمروها وأقاموا عل أراضيها مستعمرة « بدناتان » التي غرسوا فيها أشجار الفواكه ، ولا سيما الحمضيات * التي تعتمد على مياه مشروع نهر الأردن المجرورة بالأنابيب .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٩٦ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة بير .

بيت فار (قرية ـ) : ر : خربة بيت فار (قرية ـ)

بيت فالط :

مدينة فلسطينية قديمة يعود تاريخها إلى العصر الكنعاني ورد ذكرها في العهد القديم (يشوع ١٥ : ٢٧) ولم يعرف مكانها حتى اليوم . قام فلندرز بتري بمطابقتها خطأ مع تل الفارعة في منطقة بير السبع * الواقع إلى الشرق من غزة * على بعد ٢٤ كم ، وعلى مسافة ٣٠ كم من مدينة بير السبع . فأجرى تنقيبات أثرية باسم المدرسة الأثرية البريطانية بمصر في الفترة ما بين ١٩٢٧ و ١٩٢٩ ونشر نتائج تنقيباته في كتاب عنوانه « بيت فالط ١ ـ *Beth Pelet* I » . وتبعه بعد ذلك ماكدونالد وزملاؤه . إلا أن أولبرايت لم يقبل تلك المطابقة وطابق تل الفارعة مع مدينة شاروهين القديمة ، وقد قبل معظم العلماء الباحثين في الآثار الفلسطينية اليوم مطابقة أولبرايت هذه . ويذكر فيليب حتي أن بيت فالط تقع إلى الجنوب الشرقي من بير السبع في خربة المشاش اليوم حيث عثر على غطاء تابوت من الحزف عليه صورة لأحد أسياد الفلسطيين * بذمبه وشعر مجدول . ويذكر صاحب قاموس الكتاب المقدّس أن بيت فالط هي الكسيفة الحالية قرب الحورة . وأخيراً يرى بعض الباحثين أن بيت فالط ربما تكون تل السقاطي ، وعليه يظل موقع بيت فالط مجهولاً حتى يأتي التنقيب الأثري بالخبر اليقين .

المراجع :

- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٩٩ .
- جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
- Abel, F.M.: **Geographie de la Palestine** 1-2 Paris 1933-1938.
- Louis Pirrot: **Supplément de la Bible**, Paris 1939.
- Macdonald, E., Starkey J.L. and Harding, L.: **Beth Pelet II**, London 1932.
- Petrie Flinders: **Beth Pelet I**, London 1930.

بيت لاهْيا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على بعد ٧ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من غزة * . وهي في أقصى الطرف الشمالي لقطاع غزة ، ويمر كل من خط سكة حديد رفح - حيفا والطريق الساحلية الرئيسة المعبدة على مسافة ٤ كم شرقها . وترتبطها طريق فرعية بالطريق الساحلية المؤدية إلى غزة جنوباً ، وإلى حيفا * شمالاً . وترتبطها ايضاً طرق فرعية أخرى بقرى بيت حانون وجباليا والنزلة ، وبمدينة غزة نفسها .

قامت بيت لاهيا فوق رقعة رملية من أرض السهل الساحلي * الجنوبي تعلو سطح البحر بنحو ٥٥م . وتحيط بها الكثبان الرملية من جميع جهاتها لذا تعرضت لزحف الرمال إلى المنازل والمزارع والشوارع فاضطر كثير من الأهالي لإعادة بناء بيوتهم من جديد . وتتألف بيوت لاهيا من اللبن والإسمنت ، ويتخذ مخططها شكل المستطيل الذي تنمو البلدة وفقاً له من الشرق إلى الغرب . كانت مساحتها ١٨ دونماً في أواخر فترة الانتداب . لكنها ازدادت كثيراً بعد عام ١٩٤٨ بفعل الزيادة

السكانية الناتجة عن هجرة بعض اللاجئين إليها واستقرارهم فيها . وقد واكب الزيادة السكانية نمو عمراني آخذ إلى امتداد المباني فوق مساحة تزيد على ١٥٠ دونماً عام ١٩٨٠ . وقد استقر بعض المزارعين من أهالي بيت لاهيا في ضاحية جديدة إلى الشمال الغربي من البلدة تعرف باسم السُّفينة . وتتألف هذه الضاحية من بيوت بناها أصحابها في مزارع الأشجار المثمرة فوق التلال الرملية غرباً .

تشتمل بيت لاهيا بالإضافة إلى مبانيها السكنية على بعض المحلات التجارية ، وعلى مدارس ابتدائية وإعدادية لأبناء الأهالي الأصليين واللاجئين . وتشتمل أيضاً على مسجدين يضم الكبير منهما مقام الشيخ سليم أبو مسلم . وحول البلدة بعض البقاع التي تضم رفات المجاهدين الأوائل . وفي البلدة قطع أعمدة وتيجان أعمدة ، مما يدل على أنها كانت عامرة في القديم ، كما أن فيها آبار مياه للشرب يراوح عمقها بين ١٠ و٢٠ م . وتوجد في أراضيها خربة تل الذهب وخربة السّحلية الأثريتان .

تبلغ مساحة أراضي بيت لاهيا ٣٨,٣٧٦ دونماً منها ٢٨٧ دونماً للطرق * والأودية . ومعظم أراضيها الزراعية ذات تربة رملية ، وتزرع فيها الأشجار المثمرة كالتفاح والجميز والعنب * والتين والمشمش والخوخ . وفي التربة الطفلية تزرع الحمضيات * والحبوب * بأنواعها وكذلك الخضر * . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والآبار التي حفرت في السنوات الأخيرة لري المساحات المستصلحة من الأراضي الرملية . وفي عهد الإدارة المصرية لقطاع غزة * ساهم « مشروع عامر » لاستصلاح الأراضي الرملية واستغلالها في الزراعة بقسط وافر في الاستفادة من أراضي الدولة الرملية بين بيت لاهيا وشاطىء البحر المتوسط . وتوسعت مساحة الأرض الزراعية المخصصة للتفاح والخضيات ، ويعدّ التفاح من أجود المحاصيل التي تنتجها بيت لاهيا ، وقد اكتسب شهرة في أسواق قطاع غزة . ويستفيد بعض الأهالي من شجرة السمبوط التي تنمو حول بيت لاهيا في صناعة السلال ، كذلك يصنعون الأقفاص وأنواعاً كثيرة من الأوعية من نبات الحلفاء الذي ينمو في المنطقة .

بلغ عدد سكان بيت لاهيا من ٨٧١ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١,١٣٣ نسمة عام ١٩٣١ ، وكان لهؤلاء آنذاك ٢٢٣ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٧٠٠ نسمة وازداد في عام ١٩٦٣ إلى ٢,٩٦٦ نسمة . ويقدر عددهم حالياً بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة .

بيت لحم (مدينة ـ) :

من أعرق المدن الفلسطينية يرتبط تاريخها بتاريخ الشعب الفلسطيني وأماكنه .

تقع المدينة على جبل يرتفع قرابة ٧٨٠ م عن سطح البحر في الجزء الجنوبي من سلسلة جبال القدس * ، وعلى مسافة تزيد قليلاً على ١٠ كم جنوبي مدينة القدس * .

تشكل مدينة بيت لحم مع مستوطنتي بيت جالا * وبيت ساحور * تجمعاً عمرانياً ثلاثياً ، فالواحدة لا تبعد عن الأخرى سوى ٢ ـ ٣ كم ، فبيت جالا تقع شمالي غرب بيت لحم ، وبيت ساحور شرقيها .

مناخ المدينة معتدل البرودة شتاء ، فمتوسط درجة الحرارة في شهر كانون الثاني يتراوح بين ٨° و١٠° . أما الصيف فلطيف جاف ،

ويبلغ معدل درجات الحرارة في شهر تموز ما بين ٢٣° و٢٥° . تسقط الأمطار في فصل الشتاء ، ويصل عدد الأيام الممطرة الى ما بين ٤٠ و٥٥ يوماً ، ومتوسط كمية الأمطار السنوية نحو ٦٠٠ مم (ر : المناخ) .

قدر عدد سكان المدينة عام ١٩٧٨ بنحو ٣٤ ألفاً فيهم قرابة ٩ آلاف نسمة من اللاجئين الفلسطينيين . وكان للأحداث السياسية والآلام التي تعرض لها الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ دور في تطور عدد سكان المدينة ، وبعد أن كان عدد سكان المدينة عام ١٩٤٧ قرابة ٨,٠٠٠ نسمة قفز عام ١٩٤٩ إلى ١٤ ألفاً ، إذ لجأ الآلاف من أبناء فلسطين وسكنوا مخيمات ثلاثة بالقرب من المدينة ، أكبرها مخيم الدهيشة ولا يزال هؤلاء اللاجئون يعيشون في هذه المخيمات في ظروف سكنية قاسية ، إذ التمركز السكاني الشديد على مساحات ضيقة من الأرض ، والخدمات الضرورية متواضعة جداً .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة غزة .

وهناك عامل سكاني آخر تتميز به مدينة بيت لحم هو الهجرة إلى الخارج - ولا سيما إلى الأمريكتين - التي تأخذ عادة طابع الهجرة الدائمة . وقد بدأت هذه الهجرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأخذت تتسع في بداية القرن العشرين . وتعود هذه الهجرة إلى أسباب عدة أهمها السعي إلى العيش في ظروف أفضل نتيجة التصور القديم عن ثروات الأمريكتين . وكان لعوامل الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي أيضاً دورها في هذا المجال . ويقدّر عدد من يعود إلى أصل تلحمي في الأمريكتين حالياً بما يزيد على ٥٥ ألفاً .

آ - لمحة تاريخية : بيت لحم مدينة قديمة في التاريخ سُكنت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م. وتذكر ألواح تل العمارنة التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد مدينة جنوبي القدس تسمى بيت إيلو لاهاما *Bit Ilu Lahama* أي بيت الإله لاحاما أو لاخاما . وهذا الإله هو إله القوت والطعام عند الكنعانيين . والأرجح أن اسم المدينة الحالي مشتق من اسم هذا الإله . وربما كان سبب جعل المدينة بيتاً للإله لاحاما أنها كانت تقع في منطقة خصبة ترعى فيها الأغنام والمواشي وتنتشر فيها حقول القمح * والشعير والكروم والزيتون . ومن المعروف أيضاً أن كلمة بيت لحم تعني بالآرامية بيت الخبز . وفي هذا أيضاً إشارة إلى خصب الأرض المحيطة بالمدينة . ولبيت لحم اسم قديم آخر هو افراته أو افرات ، وهي كلمة آرامية كذلك معناها الخصب والإثمار ، وبذلك يلتقي اسما المدينة عند معنى الخصب .

غزت القبائل اليهودية هذه المدينة الكنعانية واستقرت فيها بعد الكنعانيين . ويروى أن يعقوب * عليه السلام جاء إلى المدينة من بيت ايل وهو في طريقه إلى الخليل ، وقد اضطر للتوقف فيها لأن زوجته راحيل جاءها المخاض عندما تمامّت ودفنها في مكان قريب من بيت لحم يعرف اليوم بقبة راحيل .

وفي أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد تغلّب الفلسطينيون على الملك اليهودي شاؤول وقتلوه وأقاموا في بيت لحم فترة من الزمن إلى أن تغلب عليهم الملك داود .

وفي بيت لحم ولد الملك داود . ويروي سفر راعوث أحد أسفار العهد القديم قصة راعوث الموآبية التي انتقلت بعد وفاة زوجها مع حماتها نعاومي إلى بيت لحم حيث تزوجت الثري اليهودي بحلون وولدت له عبيد *Obed* ، وهو كما قيل جد داود . وبذلك جعلت راعوث غير اليهودية جدة الملك داود . والواقع أن هذه القصة هي إضافة متأخرة إلى أسفار العهد القديم ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد ، وكان القصد منها تصحيح الصورة الانعزالية لليهود خاصة بعد عودتهم من السبي البابلي في القرن السادس ، وهي من الأساطير .

استمدت بيت لحم أهميتها الكبرى وشهرتها في العالم من ميلاد السيد المسيح فيها . ويروي إنجيل لوقا (٢ : ١ - ٢٠) أن مريم ويوسف النجار ذهبا إلى بيت لحم ليسجلا اسميهما في الاكتتاب (الإحصاء) العام بناء على أمر أغسطس قيصر . وقد ولدت مريم السيد المسيح وهي هناك . وذكر الدعاية المسيحي يوستين مارتير *Justin Martyre* الذي كتب بعد سنة ١٥٥ م أن مريم ولدت السيد المسيح ووضعته في مذود في مغارة قريبة جداً من القرية .

أخمد جيش الإمبراطور الروماني هادريان ثورة اليهود بقيادة باركوخبا *Bar Kokhba* ، وهدم المدينة وأقام فيها حامية رومانية . ثم أمر الإمبراطور ببناء معبد للإله أدونيس فوق المغارة التي ذكر أن السيد المسيح ولد فيها .

وفي حوالي سنة ٣٣٠م بنى الإمبراطور قسطنطين الروماني كنيسة فوق المغارة دعيت بكنيسة القديسة مريم. والمشهور أن الذي بنى هذه الكنيسة هو القديسة هيلانة أم قسطنطين ، وذلك بين سنتي ٣٢٦ و٣٣٣م . وفي سنة ٣٨٦م حلّ في بيت لحم القديس جيروم * وترجم فيها العهد القديم إلى اللغة اللاتينية . وبقيت الكنيسة حتى عام ٥٢٩م حين هدمها السامريون عندما ثاروا على الدولة الرومانية ، فأعاد بناءها الإمبراطور جوستنيان بشكلها الحالي تقريباً وأصبحت تدعى كنيسة المهد .

ويروى أن الفرس عندما احتلوا فلسطين سنة ٦١٤م لم يمسّوا الكنيسة بأذى لأنهم رأوا على واجهتها الصورة المصنوعة من الفسيفساء التي تمثل سجود المجوس بملابسهم الفارسية أمام السيد المسيح .

وعندما فتح المسلمون القدس سنة ١٥هـ / ٦٣٦م أظهروا الاحترام لمهد عيسى عليه السلام . ويذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب * زار بيت لحم سنة الفتح وأعطى أماناً لأهلها وحضرته الصلاة وهو في كنيسة المهد فصلى داخل الكنيسة عند الحنيّة القبلية ، وكتب عمر للبطرك سجلاً ألاّ يصلي في هذا الموضع من المسلمين إلاّ رجل واحد بعد رجل (رَ : ابلياء ، عهد) . ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويفضلون إلى تلك الحنية ويصلون فيها . ومن دلائل تعظيم المسلمين لكنيسة المهد أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام . وقد ظل معظم سكان بيت لحم من النصارى على دينهم بعد الفتح . وتما يذكر أن الحاكم بأمر الله الفاطمي لمّا أمر بهدم الكنائس المسيحية سنة ١٠٠٩ م لم يهدم كنيسة المهد . وقد وصف القس اركولفوس *Arculfus* بيت لحم في القرن السابع

الميلادي (حوالي ٦٧٠) فقال إنه كان للمدينة آنذاك سور منخفض لا أبراج فيه .

وفي سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م دخل الصليبيون مدينة بيت لحم بقيادة تنكريد *Tancred* . وفي السنة التالية (١١٠٠م) توج بلدوين الأول *Baldwin I* فيها ملكاً على القدس . وأصبحت بيت لحم أبرشية سنة ١١١٠م . وأعاد الصليبيون تعمير المدينة ، وأضافوا إلى كنيسة المهد ديراً على النمط الفوطي ، وبنوا حصناً فيها ، وأقاموا عمائر مختلفة حول الكنيسة . وفي أثناء حكم الصليبيين لم يكن اليهود يجرؤون على العيش في بيت لحم .

ولما انتصر صلاح الدين على الصليبيين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م عادت بيت لحم إلى حكم أهل البلاد ، لكنها ما لبثت أن سلمت إلى الصليبيين ثانية سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م بموجب اتفاقية عقدت بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فريدريك . وفي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤ م تمكن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل من استعادة بيت لحم بمساعدة الخوارزميين .

وفي عصر المماليك * زار بيت لحم أو وصفها عدد من الكتاب والرحالة المسلمين منهم الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م وياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م الذي ذكر أنها كانت عامرة حافلة فيها سوق ومزارات ، والقزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م ، وابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م والظاهري المتوفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م . ومعظم هؤلاء ذكروا أن بها جذع النخلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (سورة مريم آية ٢٥) .

وحدثت في آخر العهد المملوكي سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م فتنة في البلاد أسفرت عن هدم حصن المدينة المنيع وتخريب أسوارها . وفي سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م استولى العثمانيون على بيت لحم وبقي المسيحيون فيها يتمتعون بحريتهم الدينية . وقدر الرحالة الفرنسي فولني *Volney* عدد سكانها في القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) بستمائة شخص ، وقال : " إن المسيحيين في بيت لحم يعيشون في سلام ووئام مع مواطنيهم المسلمين . وجميعهم من الحزب اليمني ، والفلسطينيون حزبان يمنيون وقيسيون " .

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر (الحادي عشر والثاني عشر للهجرة) حدثت نزاعات بين طائفتي الروم الأرثوذكس واللاتين حول ملكية الأماكن المقدسة في بيت لحم ومنها ما حدث سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م . وعندها أصدرت الحكومة العثمانية أمراً حددت فيه ما خص كلا من الطائفتين ، وفاز الأرثوذكس بمعظم الأماكن .

استمرت الخصومات في القرن التاسع عشر (الثالث عشر للهجرة) . وفي عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م اختفت النجمة الفضية المثبتة في مغارة المهد وقد كتب عليها باللاتينية " هنا ولد المسيح من العذراء مريم " . وكانت سرقة النجمة عاملاً هاماً في الأزمة الدولية التي أدت إلى حرب القرم (١٨٥٤م - ١٨٥٦م) بين روسيا من جهة والدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى . وانتهت الحرب بانتصار العثمانيين وحلفائهم ، وسمح للاتين بعد ذلك بأن يضعوا يدهم على قسم من كنيسة المهد . وقسمت الكنيسة بين الروم الأرثوذكس واللاتين والأرمن . وما زال هذا الوضع قائماً حتى الآن .

وفي عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م أثناء حكم مصر القصير لفلسطين دمّر إبراهيم باشا الحي الإسلامي في بيت لحم إثر الثورة التي اشتعلت ضد المصريين في المدينة (ر : الحكم المصري) .

وفي عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م دخلت بيت لحم وفلسطين كلها تحت الحكم البريطاني الذي استمر حتى سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م . وفي هذه الفترة كانت بيت لحم من مراكز الثورة الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني . وكان مركز الشرطة الإنكليزي فيها هدفاً لهجمات الثوار الفلسطينيين في أعوام الثورات المتكررة ضد الاستعمار البريطاني وحليفته الصهيونية .

وبعد نكبة عام ١٩٤٨ دخل المصريون قطاع الخليل وبيت لحم ، ثم انسحبوا منه في أيار عام ١٩٤٩ . واستقر الحكم بعد ذلك في بيت لحم وفي الضفة الغربية كلها للأردن حتى حرب ١٩٦٧ " عندما وقعت بيت لحم والضفة الغربية كلها تحت الاحتلال الإسرائيلي .

ب - التطور السكاني والعمراني : كانت بيت لحم في العصور القديمة قرية متواضعة تكتنفها الأودية العميقة من جهاتها الثلاث . وقد اشتهرت كمركز تجاري في العهد الرومان لقيامها على الطريق التجارية التي تربط بين البحر الأحمر وبلاد الشام. ووصلت شهرتها إلى الذروة نتيجة لبلاد المسيح فيها . وفي القرن الخامس عشر الميلادي كانت بيت لحم محاطة بالأسوار ، واشتملت في القرن التاسع عشر على المدارس والكنائس والأديرة والمساجد والمشاغل الصناعية ، وقدر عدد سكانها في أواخر ذلك القرن بنحو ١٠,٠٠٠ نسمة . وفي أوائل القرن العشرين قدر عددهم بنحو ١٢,٠٠٠ نسمة .

أخذ عدد سكان بيت لحم يتناقص خلال الحرب العالمية الأولى بسبب الحرب والأمراض والمجاعات والهجرة . ففي عام ١٩٢٢ أصبح عددهم ٦,٦٥٨ نسمة . ولكنه أخذ يتزايد ببطء شديد فما بعد ليصل عام ١٩٣١ إلى قرابة ٦,٨١٤ نسمة ، عدا سكان الضواحي الذين قدر عددهم آنذاك بنحو ٥٠٦ نسمات . وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد سكان بيت لحم بنحو ٨,٨٢٠ نسمة . وبالرغم من

بطء النمو السكاني أثناء فترة الانتداب البريطاني. شهدت المدينة نمواً عمرانياً أشد بسبب تدفق رؤوس الأموال من المغتربين من أبناء بيت لحم. وقد استمر معظمها في إنشاء المباني السكنية العصرية، والمصانع المختلفة، والمحلات التجارية. ومما يدل على ذلك زيادة عدد بيوت المدينة من ١,٥٠٦ بيوت عام ١٩٣١ إلى ٢,٠٠٠ بيت عام ١٩٤٥. كذلك توسعت رقعة المدينة بفعل امتدادها العمراني، وأصبحت مساحتها ١,٦٩٤ دونماً في عام ١٩٤٥.

وفي الفترة التالية لعام ١٩٤٨ تطورت أحوال بيت لحم، وزاد عدد سكانها نتيجة تدفق اللاجئين الفلسطينيين إليها. وانعكس الأمر على زيادة بيوتها. ففي عام ١٩٦١ بلغ مجموع سكانها ٢٢,٤٥٣ نسمة يقيمون في ٣,٠٥٥ بيتاً. وأخذت المدينة بعدئذٍ تنمو حتى قدر عدد السكان في عام ١٩٦٦ بنحو ٢٤,٠٠٠ نسمة يقيمون في نحو ٣,٥١٠ بيتاً. وقد أدّى الاحتلال (الإسرائيلي) للمدينة عام ١٩٦٧ إلى انكماش عدد سكانها في نهاية العام إلى ١٦,٣١٣ نسمة. وبعد أن استقرت الأوضاع نسبياً في المدينة أخذ عدد السكان يرتفع تدريجياً حتى عاد إلى ما كان عليه قبل الاحتلال. ووصل عام ١٩٨٠ إلى ٢٥,٠٠٠ نسمة. وأخذت المدينة تتوسع عمرانياً، لا سيما بمحاذاة طريق القدس ـ الخليل.

جـ ـ الحياة الاقتصادية:

١) السياحة: ساهم كون بيت لحم مسقطاً لرأس السيد المسيح في أن يكون لعامل السياحة * وما يرتبط بها الدور الأساسي في اقتصاد المدينة التي تحولت إلى محج للسياح على مدار السنة. وعلى الرغم من أن المدينة تفتقر إلى الفنادق السياحية الكبرى فإن الجوانب الأخرى السياحية فيها متطورة، وأهمها تطور صناعة الأراضي المقدسة من خشب الزيتون والصدف والنحاس * والتطريز *. وقد دخلت هذه الصناعة في القرن الثاني عشر الميلادي. فأتقنها أهل المدينة. وأصبحت مصدر الرزق الرئيس لمعظم بيوتها، ثم أخذت تتطور بدخول الآلة إليها.

وصناعة النحف الخشبية من أقدم الصناعات في المدينة. ففي المدينة نواية ٨٠ متجرة تقوم بتصنيع النحف الخشبية. لكن هذه الصناعة واجهت بعد الاحتلال الصهيوني الكثير من الصعوبات، ولا سيما صعوبة تأمين خشب الزيتون الذي كان يستورد قبل الاحتلال من سورية لأن الخشب المحلي لا يكفي. وقد أدّى ذلك إلى التوجه إلى صناعة الصدف. ومعظم المتاجر صغيرة الحجم، عدا أربع منها كبيرة نسبياً، وتنتج وحدها قرابة ٢٠٪ من الإنتاج العام.

أما صناعة الصدف فيبلغ عدد المعامل فيها ٥٠ معملاً معظمها حرفي صغير الحجم، عدا معملين كبيرين يقدمان قرابة

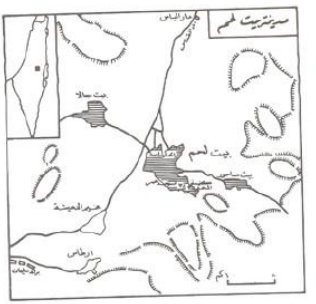

٣٠٪ من إنتاج الصدف العام. ويستخدم في هذه الصناعة الصدف الخام المستورد من الخارج. ويعمل في صناعة الصدف قرابة ٨٠٠ شخص معظمهم من أصحاب المعامل الصغيرة.

ويشكل هذان الفرعان الدخل الرئيس للمدينة، فالصدف وحده يقدم أكثر من نصف دخل المدينة الصناعي. ويذهب ٧٠٪ من إنتاج الخشب والصدف للتصدير إلى الخارج في حين يباع الباقي للسياح في السوق المحلية. وفي بيت لحم أكثر من ٤٥ محلاً تجارياً لبيع تحف الأراضي المقدسة.

والتطريز يدوي تقوم به نساء المطلة على قطع صغيرة، أو على الثياب النسائية. وتشتهر منطقة بيت لحم بجمال أشكال التطريز. وقد تطورت في المدة الأخيرة في مدينة بيت لحم صناعة التحف المعدنية النحاسية، وأقيم فيها معملان آليان لإنتاج هذه التحف.

٢) الصناعة: مدينة بيت لحم ثاني مدينة في الضفة الغربية بحجم إنتاجها الصناعي بعد نابلس *. وقد تطورت فيها فروع صناعية متعددة أهمها وأقدمها صناعة النسيج *. وهي تساهم بسد حاجة السكان. ويبلغ عدد معامل النسيج بمختلف أنواعه ٢٧ معملاً ذات أحجام مختلفة. وهي تقوم بإنتاج أنواع كثيرة من الأقمشة، خصوصاً أقمشة الفرش والأقمشة الخشنة والناشف. يضاف إلى ذلك عشرة معامل «للتريكو» تنتج مختلف الألبسة الصوفية وهناك ثلاثة مصانع للجوارب، وتسعة معامل لإنتاج الألبسة الداخلية. ومعظم هذه المعامل صغيرة الحجم يعمل في كل منها أقل من خمسة عمال، لكن هذا لم يمنع وجود معامل متوسطة

الحجم يعمل في كل منها ما بين ٤٠ و ٥٠ عاملاً . وتستورد هذه المعامل المواد اللازمة لصناعتها من الخارج .

وتتطور في المدينة صناعة المكرونة (ز : المواد الغذائية ، صناعة) ، ويقوم المصنعان اللذان يعمل في كل منهما قرابة ٢٠ ـ ٢٥ عاملاً بتزويد الضفة الغربية بهذه المنتجات .

كذلك تنمو في بيت لحم صناعات أخرى أهمها صناعة الأثاث المعدني التي تتم في معملين اثنين . وظهر في هذا المجال مصنعان لأثاث الألمنيوم . ويتم في المدينة إنتاج السخانات الشمسية في مصنع كبير يزوّد الضفة بأكملها بالسخانات الشمسية . وفي المدينة مصنع مسامير وبراغي ، ومعمل لإنتاج هوائيات التلفزيونات ، ومعمل آخر للأسلاك المعدنية ، ومصنع للمحوّلات والأدوات الكهربائية .

وفي مجال الصناعة الكيميائية " هناك معملان لإنتاج الدهانات ومعمل لإنتاج حُصُر اللدائن (البلاستيك) " ومعامل أخرى لأدوات التجميل ، وللصابون " ولمواد التنظيف ولمبيدات الحشرات .

وفي المدينة قرابة ١٩ مقلع حجارة ومكسرة ، ونحو ١١ معملاً للبلاط تزود المنطقة بما تحتاج إليه من هذه المواد .

٣) الزراعة : ليس للزراعة في حياة بيت لحم ما للصناعة " من أثر ، وذلك لأسباب كثيرة أهمها طبيعة الأراضي الجبلية للمدينة التي تحدّ من تنوّع الإنتاج الزراعي ، وشيوع الملكية الزراعية الصغيرة التي تحدّ من الاستثمار الشامل والآلي للزراعة ، يضاف إلى ذلك العراقيل التي وضعها الاحتلال الصهيوني في وجه الزراعة والتي أدّت إلى تحوّل الأيدي العاملة إلى العمل الصناعي .

والزراعة في أراضي المدينة بعلية . وأهم المنتجات الزراعية هي الشجرية من زيتون وعنب " ولوزيات ، يضاف إلى ذلك بعض الخضر الصيفية . ويتركز في المنطقة من الحبوب القمح والشعير وبعض البقول .

أما الثروة الحرجية في المنطقة فبسيطة . وقد عانت من الاستعمال الجائر في سنوات الحرب العالمية الأولى . ولا توجد الأحراج الآن إلاّ في بقع متفرقة حول الأديرة وبعض مناطق التحريج .

د ـ البناء والمباني الأثرية : في المدينة طرازان معماريان مختلفان ، الأول قديم في البلدة القديمة حيث القباب والجدران السميكة المصنوعة من الحجر الكلسي ، والأبواب والشبابيك على شكل الأقواس . وتتصف هذه البنايات بعضها ببعض مقسمة البلدة القديمة إلى حارات متراصّة ذات شوارع ضيقة . وكان هذا هو الشكل الأمثل لتأمين الدفاع عن المدينة والأحياء تذبياً . أما الطراز الثاني فهو الطراز الحديث في مناطق السكن الجديدة . ويتكون البناء فيه من الحجر المنحوت من الخارج والإسمنت من الداخل . والشبابيك والأبواب مستطيلة الشكل ، والسقف مسطح . وشكل البناء السائد هو البيوت المستقلة ذات الطبقة الواحدة . وقد بدأ حديثاً بناء عمارات من طبقات متعددة .

وبيت لحم وضواحيها غنية بالآثار وأهم هذه الآثار المعمارية كنيسة المهد أقدم كنيسة في العالم .

هـ ـ المستوى الثقافي : نالت بيت لحم قسطاً وافراً من التعليم منذ زمن بعيد ، إذ أقيمت أولى المدارس فيها منذ أكثر من ١٠٠ عام . ويعود ذلك إلى الطابع الديني الغالب على المدينة الذي أدّى إلى وجود الإرساليات والأديرة التي أقامت المدارس الخاصة من زمن بعيد . وقد وصل عدد طلبة المدارس فيها عام ١٩٧٨ إلى ٨،٣٠٠ طالب ، أو ما يزيد على ٣٤٪ من سكان المدينة . ويدرس هؤلاء في ٢١ مدرسة . أما القفزة الرئيسة في التطور التعليمي في المدينة فكانت افتتاح جامعة بيت لحم " عام ١٩٧٣ ، وقد بلغ عدد طلابها عام ١٩٧٨ نحو ٧٥٠ طالباً يدرسون في كلية العلوم (أقسام الكيمياء والرياضيات والأحياء)، وفي كلية الآداب (أقسام اللغة العربية واللغة الانكليزية وعلم الاجتماع وعلم النفس والخدمة الاجتماعية) ، وكلية التمريض ، وكلية المعلمين ، ومعهد الفنادق . وعدد المدرّسين في الجامعة ٦٤ مدرساً ، ويطبق فيها نظام الساعات المعتمدة . وتساهم جامعة بيت لحم مع غيرها من المؤسسات التعليمية العالية في الضفة والقطاع بإعداد المتعلمين اللازمين للبلاد ، وهي بذلك تحدّ من عملية إفراغ الأراضي الفلسطينية منهم .

و ـ الخدمات الصحية : وهي متطورة في المدينة بشكل عام . وبيت لحم من أقدم المدن الفلسطينية التي وجدت فيها المشافي . ففي المدينة ٣ مستشفيات يصل عدد الأسرّة فيها إلى ٢٣١ سريراً ، ويعمل فيها ٢٨ طبيباً يضاف إليهم ١٩ طبيباً هُم عياداتهم الخاصة و٨ صيدليات .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ مرجرج الدومينكاني : بلداية فلسطين العربية ، بيروت ١٩٤٨ .
ـ وليد مصطفى : مدينة بيت لحم ـ دراسة إقليمية ، دمشق ١٩٩٥ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .
ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ .

— **Encyclopedia Britannica.**
— Hamilton R.W.: **The Church of the Nativity - Bethlehem,** Jerusalem 1947.
— Perowne, S.: **Jerusalem and Bethlehem,** Lordon 1965.

بيت لحم (جامعة ـ) :

أنشئت جامعة بيت لحم عام ١٩٧٣ . وكان تأسيسها استجابة من الفاتيكان * لحاجات أبناء الضفة الغربية ، وتعبيراً عن الوقوف إلى جانبهم ورغبة في مساعدتهم في محنتهم . فقد أراد الفاتيكان أن يساهم في إيقاف هجرة الشباب الذين لا تتاح لهم فرص التعليم العالي على أرضهم المحتلة .

جاء في أول كتاب نشرته جامعة بيت لحم عن أهدافها ما يلي :

" إن هدف جامعة بيت لحم في أوسع المعاني هو خدمة السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بحيث تكون مركزاً للتعليم والرقي ، والمحافظة على المعرفة ونشرها واستعمالها . إن أعظم مطمح للجامعة هو إشباع العقل البشري بالمعرفة على أساس من التفاهم والرؤية الأخلاقية والمثاوى العظيمة التي تجلّها العالم فاطبة أعظم إجلال .

" وتهدف الجامعة ، على وجه تحدد ، إلى تزويد الضفة الغربية وقطاع غزة بمركز للدراسات العليا يسهل الوصول إليه بالنسبة للطلبة الناشئين ، معقد الآمال ، مما يتيح لهم الحصول على التعليم العالي بمستويات جيدة بدون الحاجة إلى السفر للخارج . كما أن من أهداف الجامعة وصل الأجيال الناشئة بتراثنا وحضارتنا الزاهية التي ينبغي الحرص عليها والارتباط بالماضي المشرق الوضاء . فنحن أمة ماضيها العريق ، وليس الحاضر إلاّ امتداداً للماضي وطريقاً للمستقبل "

تقع جامعة بيت لحم على القمة الشمالية من المدينة حيث كانت مدرسة ثانوية للفرير سابقاً ، وهي على بعد ثمانية كيلومترات جنوب القدس * . وقد استعمل البناء القديم من مدرسة الفرير للإدارات ولكلية الآداب ، وأنشىء مبنى جديد لكلية العلوم ، ومبنى آخر للمكتبة التي تحوي حتى الآن مئة ألف كتاب . لكنها ما زالت تعاني نقصاً في الكتب العربية لصعوبة وصول هذه الكتب إلى الجامعة . وقد أصبح الفيو ليكون مدرسة فندقية تعدّ الطلاب مدة ثلاث سنوات للقيام بمختلف الخدمات الفندقية .

تضم جامعة بيت لحم الآن كلية الآداب ، وكلية إدارة الأعمال ، وكلية العلوم ، ومعهد إدارة الفنادق . وفي كلية الآداب قسم اللغة العربية وقسم اللغة الإنكليزية وقسم العلوم الاجتماعية . وفي كلية العلوم قسم الرياضيات وقسم الفيزياء وقسم الأحياء وقسم الكيمياء وقسم التمريض . ومن المواضيع العامة الأخرى التي توفر الجامعة دراستها أيضاً : الدراسات الثقافة والتربية واللغة الفرنسية واللغة الإيطالية واللغة الألمانية واللغة الإسبانية واللغة العبرية والتاريخ والعلوم السياسية والفلسفة واللاهوت وعلم المكتبات والموسيقى والفن . وفي جميع الأقسام المذكورة تمنح الجامعة درجة « البكالوريوس » بعد أربع سنوات دراسة . وتقسم السنة إلى فصلين ، ويتبع في كل فصل نظام الساعات المعتمدة . ونظام القبول في الجامعة يشبه نظام القبول في الجامعات الأردنية ؛ فيقبل الطالب إذا كان حاصلاً على شهادة الدراسة الثانوية العامة الأردنية أو ما يعادلها بناء على معادلة تصدر من وزارة التربية والتعليم الأردنية . وقد أعدت وزارة التربية والتعليم الأردنية تصادق على شهادات الجامعة بعد انضمامها إلى اتحاد الجامعات العربية .

عدد طلابها محصور لضيق الأمكنة ، ولسياسة الجامعة التي ترى أن تتقدم ببطء ريثما تصوغ تقاليدها . وقد بلغ عدد الطلاب في العام الدراسي ١٩٨٢/١٩٨١ ألفا وستي طالب وطالبة موزعين على مختلف الكليات والأقسام . وفي تخطيط الجامعة أن تبقى جامعة صغيرة الحجم للتنسيق والتعاون مع سائر الجامعات في الضفة الغربية ذات الإمكانات ، والمدعوة لخدمة قطاع أكبر من أبناء الضفة . وبلغ عدد المعلمين فيها هذا العام ١٢٠ معلماً ومعلمة متفرغاً وغير متفرغ .

يترأس الجامعة الآن (١٩٨٠) الأب الدكتور ميشيل صباح من كهنة الطريركية اللاتينية العاملين في فلسطين وشرق الأردن ، وهو من الناصرة * فلسطيني الأصل والنشأة . ويشترك في إدارة الجامعة معه مجموعة من رهبان الفرير الذين أوفدهم الفاتيكان لتأسيس الجامعة وإدارتها بالتعاون مع أبناء الضفة الغربية أنفسهم ، ويجلس أمناء يتكون من رؤساء بلديات بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وعدد من رجال العلم في منطقة بيت لحم .

بلغ عدد خريجي الجامعة حتى الآن خمسة أفواج و١٤٦ طالبا وطالبة . وقد عمل ٧٠٪ منهم في الضفة الغربية ، ومعظمهم في مجال التعليم . و٣٠٪ منهم تركوا البلاد لمتابعة التعليم العالي أو للعمل . و٢٠٪ من هؤلاء يعملون في البلاد العربية ، وهما ما زالوا مرتبطين بالوطن يعودون إليه دائما .

وفي الجامعة ناد للخريجين يحاول أن يوثق اتصالاتهم بجميع الخريجين ليوجّههم إلى خدمة الوطن والأمانة له . وفي الجامعة أيضا مجلس للطلبة يتم انتخاب أعضائه كل سنة ، ربه يتم تنسيق العمل والتعاون مع إدارة الجامعة .

بيت لحم (سجن ـ) : ز : السجون الإسرائيلية

بيت لحم (مذبحة ـ) :

في ٦/١/١٩٥٢ ، ليلة ذكرى ميلاد السيد المسيح عند الطوائف المسيحية الشرقية ، نسفت دورية إسرائيلية مؤلفة من

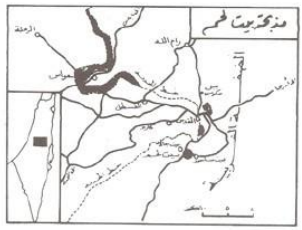

ثلاثين جنديا منزلا قريبا من قرية بيت جالا " على بعد ٢ كم من بيت لحم ". وأدّى ذلك إلى استشهاد صاحب المنزل وزوجته .

في الوقت نفسه اقتربت دورية أخرى من منزل آخر على بعد كيلومتر واحد شماليّ بيت لحم قريبا من دير الروم الأرثوذوكس في مار إلياس وأطلقت هذه الدورية النار على المنزل وقذفته بالقنابل اليدوية ، فاستشهد صاحبه وزوجته وطفلان من أطفاله ، وجرح طفلان آخران .

ودخلت دورية إسرائيلية ثالثة في الليلة ذاتها الأرض المجردة من السلاح في قطاع اللطرون ، واجتازت ثلاثة كيلومترات إلى أن أصبحت على بعد خمسمائة متر من قرية عمواس * ، فأمطرتها ببيران غزيرة . وجرح بنتيجة ذلك قائد الحرس الوطني .

المراجع :

ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ على مصر ، القاهرة ١٩٥٧
ـ علي محمد علي وإبراهيم الحمصاني : إسرائيل قاعدة عدوانية ، القاهرة ١٩٦٤ .

بيت لِقْيا (العدوان الإسرائيلي على ـ) :

تقع قرية بيت لقيا جنوب غربي مدينة رام الله * ، وقد تعرضت لعدوان شنته القوات العسكرية الإسرائيلية النظامية في ١٩٥٤/٩/١ .

ففي الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم تحركت قوة عسكرية إسرائيلية تقدر بكتيبة مشاة معززة بوحدات مهندسين عسكريين واجتازت خط الهدنة مع الأردن ، ثم توزعت على أقسام ثلاثة : كلف القسم الأول مهمة قطع الطريق الممتدة بين قريتي دير قديس وبيت سيرا لمنع وصول النجدات عبره في حين تولى القسم الثاني مهمة مماثلة على طريق بيت سيرا وبيت نوبا *، أما القسم الثالث وهو الأكبر حجما وقوة فقد اتجه نحو قرية بيت لقيا نفسها .

بدأ الهجوم بقصف القرية بعنف فهب المسلحون من السكان بالتعاون مع حرس القرية للدفاع وتصدوا للمهاجمين وحاصروا معركة عنيفة رغم قلة عددهم . وقد عززتهم دورية من الجيش الأردني كانت على مقربة من المنطقة ، مما زاد في شدة المقاومة . واتسع نطاق المعركة حتى شمل الأراضي الواقعة بين وادي الملوك وبيت نوبا وبيت لقيا .

ومع احتدام القتال ووصول أنبائه إلى القرى المجاورة تحركت قوة من الجيش الأردني نحو ساحة المعركة عبر طريق بيت عور التحتا ـ بيت لقيا ولكن قائد الهجوم الإسرائيلي الذي كان قد توقع مثل هذا الموقف عمل مسبقا على قطع هذه الطريق بالألغام ، ووضع الكمائن في نقاط مختلفة منها ، لذلك ما إن وصلت سيارات القوة العسكرية الأردنية إلى موقع الكمين الأول حتى انفجر لغم أدى إلى انقلابها ، ففقز منها الجنود تلقفتهم نيران عناصر الكمين ، مما أدى إلى استشهاد وجرح عدد منهم . ولم تتمكن باقي القوة من متابعة مسيرها بسبب اشتباكها مع الكمائن المنتشرة في المنطقة التي استفادت من الظلام للاختفاء .

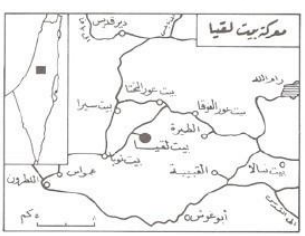

تابعت القوة الإسرائيلية مهاجمة بيت لقيا ، ولم يكن في القرية ما يكفي من الرجال والسلاح والذخائر لصدّ مثل هذا الهجوم الكبير المنظم . وعلى الرغم من ذلك استمرت عمليات المقاومة العنيفة ولم يتمكن المعتدون من الاستيلاء على القرية . ولما طال أمد القتال أصدرت القيادة الإسرائيلية أمرا لقوتها بالتراجع إلى قواعدها .

أدّى حرس القرية وسكانها بدفاعهم المستميت دورا هاما في الحد من مدى الأضرار التي كان يمكن أن تنزل بالقرية .

وفي اليوم التالي قام مراقبو الأمم المتحدة بالتحقيق في الحادث ، وحاولوا متابعة عملهم واستكمال تحرياتهم داخل الأراضي المحتلة ، ولكن السلطات الإسرائيلية منعتهم ذلك مدعية أن من قام بالعملية هم حرس المستعمرات الحدودية لا الجيش النظامي ، رغم أن الأدلة كانت تثبت أن المعتدين كانوا قوة عسكرية نظامية .

ودعا رئيس لجنة الهدنة الأردنية ـ الإسرائيلية المشتركة إلى اجتماع لبحث العدوان إلا أن (إسرائيل) لم ترسل ممثلاً لها لحضوره ليقينها بأن التحقيق سيدينها .

المراجع :

ـ علي محمد علي وإبراهيم الخصاص : إسرائيل قاعدة عدوانية ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ على مصر ، القاهرة ١٩٥٧ .

بيت ليد (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة ١٨ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طولكرم * . وتربطها بها طريق معبدة غير قرى سفارين وشونة * ، وتربطها طرق معبدة فرعية أخرى بقرى رامين ودير شرف وكفر قدوم وكور وكفر البلد .

تقوم بيت ليد فوق قمة تلّ عند الأقدام الغربية لجبال نابلس * يرتفع نحو ٤٣٥ م عن سطح البحر . وينحدر تل بيت ليد انحداراً شديداً نحو الجنوب حيث تنتشر التربة السمراء والتربة البنية الحمراء في الجهة الجنوبية من التل ، في حين ينحدر انحداراً تدريجياً في الجهتين الشمالية الغربية والشمالية حيث تنتشر التربة البيضاء (رَ : التربة) . ويمتد جبل القمدة في الجهة الشمالية الغربية ، وجبل رأس الشامي في الجهة الشمالية من البلدة ، في حين يمتد جبل رأس الصعيدي (٤٣٨ م) في الجهة الشرقية . وسطح الأرض في بيت ليد نفسها مغطى بتربة سمراء .

تتألف البلدة من بيوت مبنية بالحجر والإسمنت ، وهي مكتظة في شكلها العام ، وبخاصة المباني القديمة التي لا يفصل بينها في وسط البلدة سوى أزقة ذات شكل دائري أو شبه دائري . لذا فإن مخطط البلدة دائري شعاعي تتقاطع فيه الشوارع الضيقة المتفرعة من وسط البلدة نحو أطرافها مع الأزقة التي تسير دائرية في الوسط .

وقد غطت المباني سطح التل ومنحدراته ، وزحفت في امتدادها العمراني لتسلق سفوح بعض الجبال المحيطة شمل بيت ليد كالسفوح الجنوبية الشرقية لجبل القمدة ، والسفوح الغربية لجبل رأس الصعيدي . ويسير النمو العمراني للبلدة حالياً على شكل محاور بمحاذاة الطرق المتفرعة من بيت ليد ، وبخاصة في الجهة الغربية على جانبي طريق سفارين حيث تكاد مباني كل من بيت ليد وسفارين تلتحم بعضها مع بعض . وقد ازدادت مساحة البلدة نتيجة هذا النمو العمراني من ٢٢ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ١٥٠ دونماً عام ١٩٨٠ .

لبيت ليد مجلس قروي يشرف على إدارة البلدة وتنظيم شؤونها ، وقد زوّد البلدة بالكهرباء ووفر لها المرافق والخدمات العامة . وتتركز المحلات التجارية في كل من الحي الشرقي والحي الغربي . تشتمل البلدة على مسجد واحد وثلاث مدارس للبنين والبنات لمختلف المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . ويعتمد السكان في شربهم على مياه الأمطار التي تجمع في آبار خاصة . وفي البلدة ثلاث معاصر حديثة للزيتون ومحلان للحدادة . وتحتوي بيت ليد على بعض الآثار في الجهتين الجنوبية الغربية والشرقية .

تبلغ مساحة أراضي بيت ليد ١٦,٧٥٣ دونماً ، وتتزرع فيها مختلف أنواع المحاصيل الزراعية من حبوب * وأشجار مثمرة . وتشتهر سفوح جبل القمدة وجبل رأس الشامي الشرقية والغربية بأشجار الزيتون * واللوز والتين . وتتوكز أشجار الزيتون في الأراضي الممتدة بين بيت ليد وسفارين ، وتنمو أشجار الزيتون والتفاح والبرقوق والعنب * فوق قمة جبل رأس الصعيدي . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية . وتصدر كميات من التين واللوز والزيت والزيتون إلى مدينتي نابلس * وطولكرم . وهناك عدد قليل جداً من الأهالي يعملون في تربية الماشية .

كان يقيم في بيت ليد عام ١٩٢٢ نحو ٦٥٣ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٧٣٨ نسمة سكنوا في ١٧١ بيتاً . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٩٦٠ نسمة ، في حين وصل عددهم وفقاً لتعداد عام ١٩٦١ إلى ١,٨٠٧ نسمات ، وفيهم عدد من الذين هاجروا من خربة بيت ليد * في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ . ويقدر عدد السكان عام ١٩٨٠ بنحو ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .

بيت محْسير (قرية ـ) :

قرية عربية تبعد ٢٦ كم إلى الغرب من مدينة القدس * . وتصلها طريق ممهدة بكل من طريقي القدس ـ باب الواد ، وبيت جبرين ـ باب الواد ، وتبعد عن الأولى ٥ كم تقريبا ، وعن الثانية ٣ كم تقريبا . وهناك طرق ممهدة أخرى تربطها بقرى ساريس * وكسلة * واشوع * وعسلين * ودير أيوب * والمطرون وبيت سوسين * .

نشأت بيت محسير فوق رقعة عالية نسبيا من جبال القدس * ترتفع نحو ٥٧٥ ـ ٦٠٠ م عن سطح البحر ، وتبدأ منها المحاري العليا لبعض الأودية مثل أودية المشاعل والشفقان وسهلة المتجهة في اتجاهها نحو الشمال الغربي لتردف وادي علمي الذي تسير فيه طريق القدس ـ يافا . وهنالك وادي الغراب الذي يبدأ من جنوب بيت محسير متجها نحو الجنوب ليردف وادي الشرع أحد روافد وادي الصرار .

بنيت بيوتها من الحجر واللبن ، واتخذ مخططها شكل شبه المنحرف وتتلاصق البيوت في تجمعات تمثل الأحياء الأربعة في القرية . ويخترق وسط القرية شارع رئيس من الشرق إلى الغرب على جانبيه المحلات التجارية وبعض المرافق العامة الأخرى كمسجد القرية ومدرستها الابتدائية . ويوجد مقام الشيخ احمد العجمي إلى الشرق من بيت محسير . وقد امتدت المباني في نموها العمراني على شكل محاور بمحاذاة الطرق المفرعة من القرية والمؤدية إلى القرى المجاورة ، وبخاصة الطريق المؤدية إلى قرية ساريس على طريق القدس ـ يافا . وقد أدى النمو العمراني إلى اتساع مساحة القرية حتى بلغت قرابة ٧٧ دونما .

مساحة أراضي بيت محسير ١٦,٢٦٨ دونما منها ٤٠ دونما للطرق * . وجميع هذه الأراضي ملك للعرب . وقد استثمرت أراضي القرية في زراعة الحبوب * والأشجار المثمرة ، ولا سيما الزيتون * والعنب * والفواكه الأخرى . وتنمو الأحراج الطبيعية بجوار القرية . مما زاد في جمال المنطقة المحيطة بها . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار .

كان في بيت محسير عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٦٧ نسمة ، وازداد العدد في عام ١٩٣١ إلى ١,٩٢٠ نسمة كانوا يقيمون في ٤٤٥ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٢,٤٠٠ نسمة .

اعتدى الصهيونيون على بيت محسير في عام ١٩٤٨ وطردوا سكانها الآمنين منها ودمروا بيوتهم . ثم أقاموا مستعمرة « بيت مئير » على أراضيها في عام ١٩٥٠ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ . بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت نَبالا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسافة ١٥ كم شمالي شرق الرملة * ، وعلى بعد نحو ١١ كم شمالي شرق اللد * أيضا . يتميز موقعها بأهميته لسهولة اتصالها بالمدن المجاورة كاللد والرملة بطريق ممهدة رئيسة . ومي تقع أيضا على مفترق الطريقين المعبدتين الرئيستين المؤديتين إلى الشمال نحو يافا * وحيفا * . وقد أقامت سلطة الانتداب البريطاني بالقرب من نقطة تقاطع هاتين الطريقين معسكراً للجيش البريطاني . ويرتبط خط سكة حديد رفح ـ حيفا بوصلة فرعية مع بيت نبالا ، مما يزيد في أهمية موقع القرية . وهناك دروب ممهدة تصل بيت نبالا بقرى دير طريف * وبدرس والحديثة * وجنداس .

نشأت قرية بيت نبالا فوق رقعة منبسطة في الطرف الشرقي للسهل الساحلي * الأوسط ترتفع ١٠٠ م عن سطح البحر . وتنحصر بين وادي شاعين جنوبا واحد روافده شمالا ، لذا فإن النمو العمراني لبيت نبالا كان يتجه نحو الغرب والشرق بعد أن وصل امتداد القرية شمالا وجنوبا إلى ضفتي الواديين . واتخذ مخطط القرية التنظيمي شكل المستطيل تعامد فيه الشارعان الرئيسان وسط القرية ، وتوازت بقية الشوارع الأخرى مع هذين الشارعين الممتدين إلى أطراف القرية . اشتمل وسط بيت نبالا على سوق صغيرة تضم بعض المحلات التجارية ، إلى جانب مسجد القرية ومدرستها الابتدائية التي تأسست عام ١٩٢١ . وفي أواخر فترة الانتداب وصلت مساحة بيت نبالا إلى ١٢٣ دونما معظمها بيوت القرية التي شيدت باللبن والحجر .

كانت مساحة أراضي بيت نبالا ١٥,٠٥١ دونما ، وجميعها ملك لأهلها العرب ، منها ٤٦٨ دونما للطرق " والأودية . وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها التي تنتمي إلى تربة البحر المتوسط الطفلية الحمراء (ر : التربة) ، وبتوافر المياه الجوفية فيها . وتزرع فيها معظم المحاصيل الزراعية من حبوب " وخضر " وأشجار مثمرة . وشغلت أشجار الزيتون " أكبر مساحة في الأرض الزراعية (٢,٦٨٠ دونما) ، تلاها في ذلك القمح " والحمضيات " (٢٢٦ دونما) ثم العنب" والذين وغيرها . واعتمدت الزراعة " على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية ، بالإضافة إلى مياه الآبار " التي تروي البساتين . وأحاطت المزارع بالقرية من معظم جهاتها باستثناء الجهة الغربية والجنوبية الغربية .

بلغ عدد سكان بيت نبالا في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٢٤ نسمة ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ١,٧٥٨ نسمة كانوا يقيمون في ٤٧١ بيتا ، وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,٣١٠ نسمات . وفي عام ١٩٤٨ تام الصهيونيون باحتلال بيت نبالا وأجلوا سكانها منها ودمروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة اللد .

بيت نَتّيف (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمالي غرب مدينة الخليل " بين صوريف " وزكريا " . وتبعد كيلومترا إلى الشمال من طريق بيت جبرين ـ بيت خم المعبدة . وترسطها طرق معهدة بمحجور " وزكريا وجرش " وعلار " وصوريف وبيت نوبا" وبيت عطاب " ودير أبان " .

نشأت بيت نتّيف في رقعة جبلية من جبال الخليل " ترتفع ٤٢٥ م عن سطح البحر . وتبدأ المجاري العليا لوادي بولس والسمط من طرفيها الشمالي والجنوبي على التوالي ، ثم يتجه وادي بولس شمالا ليرفد وادي الصرار ، ويتجه وادي السمط غربا ليرفد وادي زكريا . تألفت مباني القرية من الحجر ، واتخذ تخططها شكل النجمة فامتدت القرية في جهات متعددة عبر تلوها العمراني ، ولا سيما نحو الجنوب والشمال والغرب . وتتكون القرية من أحياء شبه منفصلة ، ومن شبكة شوارع واسعة نسبيا . وفيها جامع ومدرسة ابتدائية ومقامات أهمها مقام الشيخ إبراهيم . وتشتمل أيضاً على بعض الدكاكين في كل حي من أحيائها . ويشرب الأهالي من مياه ثلاث آبار في أطراف القرية .

وتحتوي بيت نتّيف على آثار متنوعة ، وهي محاطة بالخرب الأثرية مثل أم الروس والتي بولس والبرج والعبد والشيخ غازي والنباتة غرابة وأم الذياب وزانوح (ر : الخرب والأماكن الأثرية) .

مساحة أراضي بيت نتّيف ٤٤,٥٨٧ دونما كانت تزرع فيها الحبوب والخضر والأشجار المثمرة كالعنب " والزيتون " . واعتمدت الزراعة " على مياه الأمطار . وتنمو بعض الأشجار الحرجية والشجيرات والأعشاب الطبيعية في الأراضي المرتفعة والوعرة ، وكانت تستغل لرعي المواشي .

ارتفع عدد سكان بيت نتّيف من ١,١١٢ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٢,١٥٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون بيت نتّيف وطردوا سكانها العرب منها ودمروها ، ثم أقاموا على أنقاضها في عام ١٩٤٩ مستعمرة « نتيف هـ لامـ ده » . وفي عام ١٩٥٠ أقاموا مستعمرة « زانوح » على موقع خربة زانوح . وفي عام ١٩٥٨ أقاموا مستعمرة « افيعزر » على أراضي بيت نتّيف أيضا .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عيّور .

بيت نُقُوبا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٣ كم إلى غرب الشمال الغربي من مدينة القدس " على الجانب الشمالي من طريق القدس ـ يافا الرئيسة المعبدة . وترتبطها طرق مهدة بقرى بيت سوريك والقسطل " وأبو غوش وصوبا " وخربة العمور " .

نشأت بيت نقّوبا فوق الأقدام الجنوبية لجبل باطن السيّدة (٨٨٠ م) أحد جبال القدس " . وترتفع نحو ٦٧٥ م عن سطح البحر . ويمر وادي الخراب ، وهو المجرى الأعلى لوادي كسلا ، بشرقها في حين يجري وادي بيت نقّوبا غربيها منحدرا نحو الجنوب ليرفد وادي الغدير .

بيت معظم بيوتها من الحجر ، واتخذ مخططها شكلا مستطيلا ، واتجه نموها العمراني من الشمال إلى الجنوب . وبالرغم من امتدادها النسبي لم تتجاوز مساحتها ٩ دونمات في عام ١٩٤٥ . وضمت القرية بعض البيوت والدكاكين ، وكان أهلها يشربون من مياه عين الماصي في طرفها الشرقي . وتناثرت حول القرية بعض الخرب مثل خربة المران وخربة الراس .

تبلغ مساحة أراضي بيت نقوبا ٢,٩٧٩ دونما منها ٧٠ دونما للطرق * و٩٥١ دونما امتلكها الصهيونيون . وتوجد في أراضيها بساتين العنب * والزيتون * التي يتركز معظمها في الجهة الغربية وفي قبعان الأودية حيث تُروى من مياه العيون . وتنمو النباتات الطبيعية * على سفوح المنحدرات الجبلية .

كان في بيت نقوبا عام ١٩٢٢ نحو ١٢٠ نسمة زادوا في عام ١٩٣١ إلى ١٧٧ نسمة كانوا يقيمون في ٤١ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قُدر عددهم بنحو ٢٤٠ نسمة .

اعتدى الصهيونيون على القرية في عام ١٩٤٨ واحتلوها وطردوا سكانها منها ودمروا بيوتهم ، وأقاموا في عام ١٩٤٩ مستعمرة « بيت نقوفا » على أنقاض القرية العربية .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت نُوبا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الرملة * . ضُمت إداريا إلى قضاء رام الله بالضفة الغربية بعد أن نجت مع ١٤ قرية عربية أخرى من الاحتلال الإسرائيلي في مرحلة الاغتصاب الأولى عام ١٩٤٨ .

كانت بيت نوبا في العهد الروماني قرية من أعمال اللد اسمها بيت عنابة ، ودعتها المصادر الإفرنجية « بيت نوبي » . يتميز موقعها الجغرافي بأهميته الإستراتيجية منذ العصور التاريخية القديمة ، وذلك لإشراف القرية على طريق القدس ـ يافا . فهي ترتفع نحو ٢٥٠ م عن سطح البحر ، وقد شيد الصليبيون فيها حصنا لتأمين طريق الحجاج بين يافا والقدس . وأقام ريتشارد قلب الأسد معسكرا لجيشه فيها . وكان صلاح الدين الأيوبي * يحرص على النزول في بيت نوبا أثناء تنقلاته إلى القدس للوقوف على الأعمال الدفاعية التي يقوم بها رجاله ضد الصليبيين . ونعدّ منطقة بيت نوبا البوابة الشمالية الغربية للقدس تحميها من أخطار المعتدين . وكان للجيش الأردني بعض النقاط الدفاعية في المنطقة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ . وبعد أن احتلت (إسرائيل) الضفة الغربية عام ١٩٦٧ طردت سكان بيت نوبا من قريتهم ودمرتها تدميرا كاملا لإقامة معسكرات للجيش الإسرائيلي فيها .

نشأت بيت نوبا فوق الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله . وكانت بيوتها الندمجة مبنية من الطوب واللحجر . وقد تطور نموها العمراني بعد الحرب العالمية الأولى فتوسعت القرية بمبانيها فوق رقعة بلغت مساحتها في أواخر عهد الانتداب نحو ٧٤ دونما ،

واستوعبت أكثر من ٣٠٠ منزل . ثم امتدت بيت نوبا فوق أكثر من ١٠٠ دونم قبل تدمير (إسرائيل) إياها . وزاد عدد سكانها من ٨٣٩ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٩٤٤ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ١,٢٤٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وإلى ١,٣٥٠ نسمة عام ١٩٦١ . ويعود سكانها في أصولهم إلى الأكراد الذين نزلوا فلسطين خلال الحروب الصليبية . وقد ضمت بيت نوبا مسجدا ومدرسة ابتدائية للبنين بلغ عدد طلابها في العام الدراسي ١٩٦٧/٦٦ نحو ١٧٢ طالبا ، ثم مدرسة ابتدائية أخرى للإناث ضمت في العام المذكور ١١١ طالبة .

بلغت مساحة أراضي بيت نوبا وعجنجول * التابعة لها ١١,٤٠٠ دونم منها ١٨ دونما للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون منها شيئا . وكانت هذه الأراضي تزرع حبوبا * وبقولا وأشجارا مثمرة ، وبخاصة أشجار الزيتون * التي شغلت مساحة

٤٦٤ دونما . وكان أهالي بيت نوبا يشربون من بئر قديمة عمقها نحو ٧٠ م بالإضافة إلى بعض الآبار التي تجمع فيها مياه الأمطار . وتحيط بالقرية خربة أثرية ذات أهمية تاريخية إلى جانب الآثار الموجودة في بيت نوبا نفسها (ز : الخرب والأماكن الأثرية) .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- الوقائع الفلسطينية : ١٤٩٩ ، ١٦١٢ .
- مجلة العربي : العدد ١٨٣ ، الكويت .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : الناصر صلاح الدين ، القاهرة ١٩٦٥ .

بيت يريح :

أو بيت راح ، بلدة قديمة في فلسطين كانت تقوم في بقعة خربة الكرك اليوم ، تقع على المنحدر الجنوبي لبحيرة طبرية * عند خروج نهر الأردن * منها وهي تتبع قضاء طبرية ، تبلغ مساحة تلّها الأثري حوالي هكتارين . تعود تاريخيا إلى الدور الحجري النحاسي المتأخر (حوالي ٣٢٠٠ ق.م .) عرفت في العهد الكلاسيكي (اليوناني الروماني) باسم فيلوتيريا *Philoteria* ، وهي معروفة بفخارها المتميز بأنه مدهون باللون الأحمر أو الأسود ، وفي بعض الأحيان مزخرف . ويذهب بعضهم إلى القول إن أسلوب هذه الزخارف ربما أدخله شعب جديد قدم إلى المنطقة حوالي ٢٥٠٠ ق.م. .

جرت تنقيبات أثرية في هذا المكان في الفترة ما بين ١٩٤٤ و ١٩٤٦ فأثبتت وجود بيوت سكنية دائرية ، ومجموعة من الكسر الفخارية ذات اللون الرمادي والأسود المصقول والأصداف من الدور الحجري النحاسي المتأخر (ز : العصور القديمة) . كذلك أمكن التعرف على سويات من العصر البرونزي المبكر I (السوية الثانية) والعصر البرونزي المبكر II (من السوية الثالثة) والعصر البرونزي المبكر III (من السوية الرابعة) . وتعتبر هذه الفترة أطول الفترات في بيت يريح ، ويعود إليها فخار خربة الكرك المشهور . هُجر المكان بعدئذ ولم يتم استيطانه مجددا إلا في العصر الهلنستي * . ومن مخلفات هذا العصر بقايا شارع مع عدد من الأبنية . وقد لاحظ المنقبون وجود طبقات من الحصى التي تخللها الفيضانات عادة تراوح سماكتها بين ٥ و ١٠ سم . ويبدو أن السكان كانوا يهجرون المدينة عند كل فيضان ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى المكان من جديد . واتخذ الرومان بعد العصر الهلنستي المكان معسكرا ، وأقيمت في العهد البيزنطي المبكر بعض الحمامات . كذلك استوطن العرب الموقع في فتراتهم المبكرة .

أقام الصهيونيون اليوم في المكان مدرسة زراعية وسركزا للنافيا ومؤسسة بحوث .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ق١ ، وج ٦، ق ٢، بيروت ١٩٧٣ و١٩٧٤ .
- أنيس صايغ : يلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ - ١٩٦٧ ، بيروت ١٩٦٨ .
- Baramki : D.C.: **The Art and Architecture of Ancient Palestine**, Beirut 1969.
- **Illustrated Dictionary of Archaeology**, London 1977.

بيتـــار : ز : المنظمة الصهيونية الجديدة

بيتُـونْيـا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على بعد نحو ٣ كم إلى الجنوب الغربي من رام الله * . وتمر طريق رام الله ـ غزة بطرفها الشرقي ، وترتبط بالقرى المجاورة بطرق فرعية .

نشأت بتونيا فوق رقعة جبلية من مرتفعات رام الله تعلو ٨٠٠ م عن سطح البحر . وتبدأ إلى الغرب منها المجاري العليا لوادي الملاقي الذي يتجه نحو الغرب . وتتألف البلدة من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت والطوب . وتتخذ مخططها الشكل الدائري أو شبه الدائري الشعاعي الذي تتفرع فيه الشوارع من قلب البلدة ملتقية مع الشوارع الدائرة حول وسطها . وتشتمل البلدة على محلات تجارية وبعض المرافق العامة ، فيها جامع قديم أدخل عليه كثير من التحسين والترميم ، وفيها من المزارات مقام السيدة نفيسة داخل أحد مساجد البلدة ، وفيها مقام

أبي زيتون داخل مسجد أقيم على جبل عال في الجهة الغربية من البلدة . وتضم بيتونيا مدرستين للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ، والبلدة موقع أثري يحتوي على بناء متهدم من القرون الوسطى ، وعلى أرض مرصوفة بالفسيفساء ، وعلى مغاور ، وبرك ، وصهاريج منقورة في الصخر ، ومعصرة زيتون ، وقطع أعمدة وغيرها (ر : الحرب والأماكن الأثرية) .

امتدت البلدة في توسع عمراني واضح خلال السنوات الثلاثين الأخيرة فازدادت مساحتها من ٧٧ دونما في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٣٠٠ دونم في عام ١٩٨٠ . ويأخذ نمو البلدة اتجاها شماليا غربيا ـ جنوبيا شرقيا ، لكن بعض الأهالي أقاموا لهم بيوتا متناثرة وسط بساتينهم في الجهتين الشمالية والجنوبية من البلدة .

تبلغ مساحة أراضي بيتونيا ٢٣,٣٦٦ دونما منها ١٢٥ دونما للطرق * و٩٠ دونما تملكها الصهيونيون . وتحيط الأراضي الزراعية بالبلدة ، وتزرع فيها الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة التي تحتل مساحة كبيرة من هذه الأراضي ، وفي مقدمتها أشجار الزيتون * التي تشغل أكثر من ٢,٥٠٠ دونم ، تليها أشجار التين والعنب * والتفاح وغيرها من الفواكه . ويعتمد السكان في الشرب والزراعة على الأمطار . كذلك يستفاد من مياه الينابيع والآبار . وتوجد نحو سبعة ينابيع في أطراف البلدة ، أشهرها عين جريوت ذات المياه المتدفقة العزيزة .

بلغ عدد سكان بيتونيا في عام ١٩٢٢ نحو ٩٤٨ نسمة ،وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٢١٣ نسمة كانوا يقيمون في ٢٧٧ بيتا . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٤٩٠ نسمة . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٢,٢١٦ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٥,٠٠٠ نسمة . ويهاجر بعض شباب البلدة إلى أمريكا للعمل فيها ، ويقيم معظمهم في مدينة شيكاغو .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بيدس : ر : خليل إبراهيم بيدس
ر : يوسف بيدس

بئر : ر : الآبار

بير حيل : ر : غزة (وادي ـ)

بير زيت (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة ١١ كم إلى الشمال من رام الله " ، وهي عقدة مواصلات هامة ، إذ ترتبط بمدينتي نابلس* ورام الله بطرق معبدة من الدرجة الأولى ، وترتبط بالقرى العربية المجاورة بطرق ثانوية معبدة .

أقيمت بير زيت فوق رقعة متموجة من الأرض الجبلية المرتفعات رام الله تعلو نحو ٧٧٥م عن سطح البحر . وقد أنشأتها جماعات من العرب قدموا من مناطق الكرك والقدس وغزة. وقد أقام هؤلاء في بداية الأمر في موقع خربة بير زيت على رأس جبل يرتفع ٨١٨م عن سطح البحر ، ثم انتقلوا إلى موضع بير زيت الحالي ، وأقاموا بيوتهم وسط بساتين أشجار الزيتون * حيث قامت صناعة زيت الزيتون التي أعطت البلدة اسمها الحالي . وقد بنى الصليبيون قلعة حصينة هدم في خربة بير زيت لا تزال آثارها ماثلة إلى اليوم ، بالإضافة إلى المخلفات الأثرية في الخربة كالجدران والعقود المتهدمة والصهاريج والمدافن المنقورة في الصخر (ر : الحرب والأماكن الأثرية) .

تتألف بير زيت من بيوت حجرية تجمع في طرازها بين القديم التقليدي والحديث العصري . ويتخذ مخطط البلدة شكل المستطيل ، ويشتمل على شبكة شوارع مستقيمة ومعبدة . ويتجه النمو العمراني لبير زيت نحو الغرب بصفة عامة . وقد توسعت البلدة خلال السنوات الأخيرة ، وامتدت مبانيها فوق رقعة واسعة تتجاوز مساحتها ٨٠٠ دونم . وساهم في عمرانها أبناؤها المغتربون الذين يرسلون الأموال إلى ذويهم ، كما ساهم وجود جامعة بيرزيت * في ازدهار الحركة العمرانية والثقافية والتعليمية في البلدة . وقد تأسست كلية بيرزيت الوطنية في عام ١٩٢٤ ، وكانت النواة لجامعة بيرزيت الحالية ، وهي عضو في اتحاد الجامعات العربية .

لبير زيت بلدية تدير شؤونها ، وتوفر المرافق والخدمات العامة لها كالكهرباء والمياه والعيادات الصحية . وفيها مساجد وكنائس وجمعيات خيرية . وتشرب البلدة من ثلاثة ينابيع للمياه في جنوبها وشمالها وعلى بعد يراوح بين ١٥٠ و ٣٠٠م منها . فيها مدارس لكلا الجنسين لجميع المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . وقد تأسست أول مدرسة للذكور في بير زيت في أواخر القرن الماضي .

ويتميز سكان البلدة بارتفاع مستواهم التعليمي ، إذ بلغت نسبة المتعلمين فيها ٩٠٪ بين الذكور ، و ٥٠٪ بين الإناث .

تملك بير زيت أرضاً مساحتها ١٤،٠٨٨ دونماً ، ويزرع في أراضيها بعض أصناف المحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وتشغل أشجار الزيتون أكبر مساحة بين الأراضي الزراعية ، تليها في ذلك كروم العنب * وبساتين الفواكه ، كاللوز والخوخ والمشمش . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار ، وعلى مياه الينابيع . ففي أراضي البلدة ينابيع كثيرة يعتمد عليها تعتمد مياهها في ري بساتين الخضر والأشجار المثمرة .

كان عدد سكان بير زيت في عام ١٩٢٢ نحو ٨٩٦ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١،٢٣٣ نسمة كانوا يقيمون في ٢٥١ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١،٥٦٠ نسمة . وفي تعداد عام ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣،٢٥٣ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٧،٠٠٠ نسمة . ويعمل هؤلاء السكان في حرف متعددة كالزراعة * والتجارة * والخدمات والبناء والصناعة * . وفيها بعض الصناعات الخفيفة كالغزل والنسيج * والتطريز * والصابون * والزيوت والمشروبات الروحية والمطاحن والمربيات والفواكه المجففة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بيرزيت (جامعة ـ) :

أسستها سنة ١٩٢٤ نبيهة ناصر . وكانت أول أمرها مدرسة ابتدائية صغيرة هدفها توفير وسائل التعليم لأبناء بير زيت * والقرى المجاورة في وقت انعدمت فيه المدارس في تلك المنطقة . واستخدمت المؤسسة بيت والدها مقراً للمدرسة . وفي عام ١٩٣٠ تحولت المدرسة إلى ثانوية ، وكانت تعرف باسم مدرسة « بئر زيت العليا » .

في عام ١٩٤٢ أطلق على المدرسة اسم « كلية بير زيت » . وفي عام ١٩٥١ بدأت هذه الكلية تدرس فوق المستوى الثانوي حتى عام ١٩٥٣ حين أضيف إليها أول صف جامعي بفرعيه العلمي والأدبي . وبقي موسى ناصر الذي يعزو إليه الفضل في تطوير الكلية رئيساً لها حتى وفاته عام ١٩٧١ . ثم تولى رئاستها الدكتور حنا ناصر .

وبإضافة الصف الجامعي الثاني أصبح بإمكان خرّيجي القسم الجامعي من الكلية الانتقال مباشرة إلى الصفوف العليا في عدد من الجامعات العربية والأجنبية .

ومنذ عام ١٩٦١ عمدت الكلية إلى الغاء الصفوف الابتدائية والإعدادية والثانوية بصورة تدريجية إلى أن تم إلغاء آخر صف ثانوي في نهاية العام الدراسي ١٩٦٦ / ١٩٦٧ ، واقتصر التعليم حينذاك على الصفين الجامعيين الأول والثاني ، أي على المرحلة الجامعية المتوسطة .

وبعد نكسة حزيران ١٩٦٧ قامت الكلية بإجراء دراسات مطوّلة أقرّت على أثرها في حزيران ١٩٧٢ برنامج التوسع لأربع سنوات جامعية ، بحيث يضاف الصف الجامعي الثالث في عام ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ، والصف الجامعي الرابع في عام ١٩٧٥ / ١٩٧٦ . وبافتتاح الصف الجامعي الرابع تحول اسم الكلية رسمياً إلى « جامعة بير زيت » .

تضم الجامعة كليتين للعلوم والآداب . وتؤدي الدراسة فيها إلى الشهادة الجامعية المتوسطة ، وإلى شهادة البكالوريوس في العلوم مع تخصص في الرياضيات ، أو الفيزياء والكيمياء ، وإلى شهادة بكالوريوس في الآداب مع تخصص في اللغة الإنكليزية ، أو إدارة الأعمال والاقتصاد ، أو علم الاجتماع .

وبإمكان الطالب بالإضافة إلى ذلك الحصول على شهادة التربية مع تخصص التدريس في الصفوف الثانوية .

يشرف على الجامعة مجلس أمناء مستقل يقرر سياستها ويتحمل مسؤولياتها .

وتعتمد الجامعة شروطاً معينة للقبول ونظام الدراسة والامتحان . وتتبع نظام التعليم الحر الذي يتيح للطالب فرصة اختيار المواد التي يدرسها بغض النظر عن الفترة التي أخذت فيها .

يشتمل العام الدراسي على ٣٢ أسبوعاً دراسياً ، ويقسم إلى فصلين مستقلين كل منهما ١٦ أسبوعاً بما في ذلك أسبوع الامتحانات النهائية .

ويُصنّف الطلبة المسجلون رسمياً في الجامعة في أربعة مستويات ، ويعتبر الطالب في مستوى السنة الأولى لدى التحاقه بالجامعة بعد تخرجه من مدرسة ثانوية ، وفي مستوى السنة الثانية إذا أتمّ ٢٥ ساعة معتمدة ، وفي مستوى السنة الثالثة إذا أتمّ ٦٠ ساعة معتمدة ، وفيها جميع المواد المقررة من مستوى السنة الأولى ،

وفي مستوى السنة الرابعة إذا أتم ٩٠ ساعة معتمدة ، وفيها جميع المواد المقررة من مستوى السنة الثانية .

تنفق الجامعة سنوياً لتعليم الطالب الواحد قرابة ٣٠٠ دينار في الوقت الحاضر . لكن رسوم التعليم المقررة لا تتجاوز ٤٠٪ من هذه النفقة . وتقوم الجامعة ، وبمساهمة عدد من الجمعيات والمؤسسات والأفراد في الوطن العربي وخارجه ، بتقديم المساعدة لأكبر عدد ممكن من الطلبة عن طريق الإعفاءات من الرسوم ، أو منح العمل ، أو القروض ، منح الدراسة التشجيعية .

تحتوي مكتبة الجامعة على ٢٥,٠٠٠ مجلد تقريباً منها ١٧,٠٠٠ مجلد باللغة الإنكليزية و ٨,٠٠٠ مجلد باللغة العربية . وتشمل هذه الأرقام ما يزيد على ١,٦٠٠ مرجع . وتشترك الجامعة في نحو ١٢٠ دورية باللغة الإنكليزية و ٥٠ دورية باللغة العربية ، وتزداد مجموعة الكتب بمعدل ألفي مجلد سنوياً في الوقت الحاضر .

أقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني في ١٩٧٩/٥/٢ على إغلاق الجامعة وإبعاد رئيسها عن الأرض المحتلة ، واعتقال عدد من أساتذتها وطلابها للموقف الوطني من الاحتلال ومشاريعه ، وعلى رأسها مشروع ما يسمى « بالإدارة الذاتية » . وقد قوبل هذا الإجراء باستنكار رسمي وشعبي داخل الأرض المحتلة وخارجها ، مما اضطر سلطات الاحتلال إلى الإعلان عن إعادة افتتاح الجامعة في أوائل تموز ١٩٧٩ .

المرجع :

ـ اتحاد الجامعات العربية : دليل الجامعات العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

بير سالم (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد قرابة ٤ كم إلى الغرب من الرملة * . وتبعد المسافة نفسها عن مستعمرة نس تسيونا * (وادي حنين *) . تصلها طريق ثانوية بكل من الرملة ووادي حنين ، وتصلها طريق ثانوية أخرى بطريق الرملة ـ يافا الرئيسة المعبدة . ويمر خط سكة حديد القنطرة ـ حيفا على بعد كيلومتر واحد إلى الشمال منها .

أقيمت بير سالم فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي * الأوسط على ارتفاع ٧٥م عن سطح البحر . وتألفت من بيوت مبنية بالإسمنت واللبن متجمعة في مخطط مستطيل الشكل يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويشتمل على شبكة شوارع وأزقة ضيقة بالإضافة إلى طريق الرملة ـ وادي حنين الذي كان الشارع الرئيس في القرية . وكانت القرية شبه خالية من المرافق والخدمات العامة ، وتشرب من بئر للمياه إلى جانب بعض الآبار * الأخرى المحيطة بها التي كانت مياهها تستعمل للشرب والري .

تبلغ مساحة أراضي بير سالم من الدونمات ٣,٤٠١ منها ١١٣ دونماً للطرق * والسكك الحديدية * والأودية . وتتميز هذه الأراضي بخصب تربتها وبتوافر المياه الجوفية فيها . لذا تجحت زراعة الحمضيات * والزيتون * فيها إلى جانب زراعة الحبوب * والخضر * . وكانت الزراعة * تعتمد على مياه الأمطار والآبار . وقد أحاطت بساتين الأشجار المثمرة بالقرية من جميع جهاتها باستثناء الجهة الشمالية . واعتنى السكان بتربية المواشي إلى جانب اهتمامهم بالزراعة .

بلغ عدد سكان بير سالم نحو ٤١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ ، وكان هؤلاء يقيمون في أكثر من ١٠٠ بيت . وفي عام ١٩٤٨ تعرضت القرية لاعتداء الصهيونيين الذين طردوا سكانها ودمروا بيوتهم . وكان الصهيونيون قد أقاموا مستعمرتي « بير يعقوب ونس تسيونا » على أراضي بير سالم في عهد الانتداب البريطاني . وقد امتدت مستعمرة نس تسيونا * (وادي حنين) خلال نموها العمراني بعد عام ١٩٤٨ فوق أنقاض بير سالم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

بيـــر السبـــع (مدينـــة ـــ) :

مدينة عربية من مدن اللواء الجنوبي لفلسطين ، وهي قاعدة قضاء بير السبع وعاصمة النقب * .

مرت بالمدينة منذ نشأتها أحداث كثيرة ، وتأصل سكانها ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني ، واشتركوا في جميع الثورات ، وسقط منهم الشهداء . وقد وقفوا عام ١٩٤٨ في وجه القوات الإسرائيلية محاولين منعها من احتلال المدينة والتقدم جنوبا في النقب . لكن القوات الصهيونية تغلبت على المقاومة العربية ، واحتلت بير السبع في ١٩٤٨/١٠/٢١ ، وطردت سكانها العرب ،

واحت مكانهم مهاجرين يهودا (ر : بير السبع ، معركة ـ) .

أ ـ الإطار الطبيعي لمدينة بير السبع :

١) الموقع الجغرافي : تقع مدينة بير السبع في النقب الشمالي ، وتكاد تكون في منتصف المسافة بين البحر الميت " شرقا والبحر المتوسط غربا . وهي تتوسط قاعدة المثلث الصحراوي للنقب ، إذ تبعد نحو ٧٥ كم غربي البحر الميت ، ونحو ٨٥ كم شرقي البحر المتوسط . اكتسب موقعها أهمية خاصة لأنه يربط بيئات ثلاثا هي : البيئة الصحراوية جنوبا ، والبيئة الجبلية شمالا بشرق ، والبيئة السهلية الساحلية شمالا بغرب . ومن الطبيعي أن تلتقي في هذا الموقع منتجات هذه البيئات ، وأن يصبح سوقا رائجة يؤمها البدو والحضر على حد سواء .

وتعد بير السبع مدينة الحافة الصحراوية التي يجتمع عليها موقعها الهامشي أن تستقطب أعدادا كبيرة من البدو للاستيطان فيها . كما أن موقعها جذب أعدادا من تجار الخليل " وغزة " للإقامة فيها . وفي هذه الحالات كلها ساعدت الطرق " البرية التي تربط بير السبع بالمواقع الأخرى على استمرار الاستيطان البشري في المدينة وزيادة الحركة التجارية فيها .

وقد زادت أهمية موقع بير السبع في العصور الحديثة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، فالمدينة تعد بحق البوابة الجنوبية لفلسطين من جهة النقب ، والبوابة الشمالية للنقب ، والبوابة الشرقية لسيناء .

ففي الحروب العربية ـ الإسرائيلية التي نشبت منذ عام ١٩٤٨ كانت بير السبع بموقعها الاستراتيجي الهام محط أنظار الجيوش المتحاربة . وقد حرص الجيش المصري عام ١٩٤٨ على السيطرة على بير السبع للتحكم في صحراء النقب (ر : حرب ١٩٤٨) ، ثم تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال بير السبع وانطلقت منها لاحتلال النقب بكامله . وفي حروب ١٩٥٦ " و١٩٦٧ " و١٩٧٣ " كانت مدينة بير السبع قاعدة انطلاق الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة وسيناء وقناة السويس ، لذا اهتمت (إسرائيل) بربط المدينة بجميع جهات فلسطين بمختلف طرق المواصلات .

وهكذا أصبحت بير السبع عقدة مواصلات هامة منذ عام ١٩٤٨ ، تربطها بجميع أجزاء فلسطين شبكة مواصلات كثيفة ، فالطرق المعبدة من الدرجة الأولى تربطها بممدن السهل الساحلي في الشمال والغرب مثل حيفا " (٢٠٠ كم) ويافا " ـ تل أبيب " (١٠٧ كم) وأسدود " والمجدل " (عسقلان) وغزة (٦٥ كم) . كما تربطها أيضا بالمدن الجبلية في الشمال والشرق مثل الخليل والقدس " (٨٥ كم) ونابلس " (١٥٠ كم) ، وبالمدن الصحراوية في الشرق والجنوب والغرب مثل عراد وأسدوم وديمونا " وإيلات "

والعوجاء وغيرها ، وتنتهي في بير السبع السكة الحديدية التي تصلها بمحطة المعاني الواقعة على خط بافا ـ القدس الحديدي . وتم سنة ١٩٦٥ تمديد هذا الخط الحديدي من بير السبع إلى ديمونا ، وإلى حقول الفوسفات " في النقب . وقد أقيم في بير السبع مطار حربي ، وفي بير السبع أكبر وأهم محطات الضخ على خط النفط " بين إيلات وحيفا . وبعد عام ١٩٦٧ أصبحت بير السبع أحد الممرات الرئيسة التي يعبرها المسافرون العرب بين الضفة الغربية وقطاع غزة .

٢) معالم سطح الأرض في إقليم بير السبع : يقع إقليم بير السبع في الجزء الأعلى من حوض تصريف وادي غزة الذي يتألف من أودية الشريعة والشلالة وبير السبع . وتقوم مدينة بير السبع على الضفة اليمنى (الشمالية) لوادي بير السبع فوق رقعة منسطة من الأرض تـرتفع في المتوسط نحو ٢٣٦ م عن سطح البحر . وإلى الشرق قليلا من بير السبع يلتقي رافدا وادي بير السبع ، وهما وادي الخليل ووادي المشاش القادمان من مرتفعات الخليل وعراد . وتوجد في بعض هذه الأودية الجافة ينابيع ماء أو آبار تعرف باسماء مختلفة كالعدّ والعين والمشاش وغيرها (ر : عيون الماء) .

وإقليم بير السبع منخفض ينحدر شكل المثلث الذي توازي قاعدته شاطىء البحر المتوسط في الغرب ، ويتوغل رأسه كإسفين بين مرتفعات النقب والخليل في الشرق . وتنحدر الأرض بصفة عامة من الشرق إلى الغرب ، وتتجه مجاري الأودية وفقا لهذا الانحدار في طريقها نحو البحر المتوسط . لذا تتفاوت ارتفاعات الأرض في الإقليم فتصل إلى ٥٠٠ م عن سطح البحر في الجزء الشرقي ، في حين تحوم حول ٢٥٠ م بجوار مدينة بير السبع ، وتهبط إلى ارتفاعات تتراوح بين ٥٠ و١٠٠ م في الجزء الغربي .

وتتوافر مقومات الخصب في تربة إقليم بير السبع التي تتألف من ترسبات من طبقات اللوس يصل لحنها إلى ٣٠ م ، لكنها تفتقر إلى المواد العضوية وإلى الرطوبة ، وهذا يقلل إنتاجها الزراعي . وتؤثر الخواص الميكانيكية لهذه التربة في عملية الانجراف السطحي ، وفي تكوين الأراضي الرديئة ذات السطوح الوعرة . وفي الإقليم شبكة من الأخاديد ينتهي بعضها ببعض فتكوّن أودية ذات مجار أكثر عمقا واتساعا .

وعندما تجف تربة اللوس خلال الصيف تتكمش وتتشقق وتتفكك ذراتها بسبب ارتفاع الحرارة . ولما كانت هذه الذرات ناعمة خفيفة فإن الرياح ترفعها وتطيرها في زوابع ترابية معروفة في هذا الفصل . وتمتد الكثبان الرملية فوق مساحات واسعة تقدر بنحو ٥٠٠ كم٢ في القسمين الغربي والجنوبي من إقليم بير السبع ، أي زهاء ثلث سطح أرض الإقليم .

٣) المناخ والمياه : مناخ " مدينة بير السبع شبه صحراوي بصفة

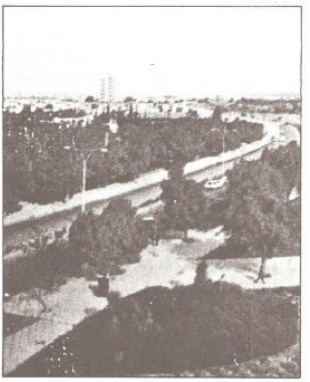

عامة ، وهو جزء من المناخ السائد في النقب الشمالي . أما القسم الجنوبي من إقليم بير السبع فإن مناخه صحراوي قاريّ متطرف ، أي أنه حار صيفا بارد شتاء . ويصل المدى الحراري في بير السبع إلى ١٥° خلال شهري أيار وحزيران ، الأمر الذي يؤكد صفة تطرّف المناخ . ويراوح متوسط درجات الحرارة ما بين ١٢° في شهر كانون الثاني و٣٣,٧ في نهاية شهر آب . وأدنى درجة حرارة سجلت في بير السبع كانت ١° في نهاية كانون الثاني ١٩٢٥ .

تهب على بير السبع صيفا رياح جنوبية غربية وغربية أثناء الصباح ، وتتحول الرياح إلى شمالية غربية بعد الظهر ، ثم تتحول إلى جنوبية شرقية أثناء الليل . أما في الشتاء فإن اتجاهات الرياح تكون غير منتظمة ، وتحمل الرياح الشرقية أو الجنوبية الشرقية كميات عظيمة من الغبار . ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة النسبية في بير السبع ٥٨٪ ، وتتفاوت المعدلات الشهرية ما بين ٤١٪ في نيسان و٧٣٪ في أيار .

بلغ متوسط كمية الأمطار السنوية بين عامي ١٩٢٠ و١٩٦٥ نحو ١٩٥ مم . وتراوحت هذه الكمية ما بين نهاية صغرى مقدارها ٤٢ مم ، ونهاية عظمى مقدارها ٣٣٩ مم خلال الفترة نفسها ، أي أن مدى التغير في كمية الأمطار بلغ ١٥٢٪ ، وهي نسبة مرتفعة في فلسطين . أما معامل التغير فإنه وصل إلى ٣٥ . ويبلغ عدد الأيام المطيرة في بير السبع نحو ٣٣ يوماً في السنة . وتهطل نصف كمية الأمطار السنوية في شهري كانون الأول وكانون الثاني ، وثلث كمية الأمطار السنوية في شهري تشرين الثاني وشباط ، أي أن ٨٠٪ من مجموع كمية الأمطار السنوية تهطل خلال هذه الشهور الأربعة . وقد هطلت كمية أمطار مقدارها ٦٤ مم (ثلث مجموع الأمطار) خلال ٢٤ ساعة بتاريخ ١٩٢٤/١٢/٥ .

ونظرا لقلة كمية الأمطار التي تهطل على إقليم بير السبع وعدم كفايتها للزراعة * فإن الحاجة ماسة للمياه الجوفية إلى جانب المياه السطحية المتمثلة في فيضانات الأودية الجافة . وقد كان في بير السبع أربع آبار عامة يشرف عليها المجلس البلدي وتصل مياهها إلى البيوت . كما اشتملت المدينة على آبار أخرى يمتلك ٢٥ منها بعض المواطنين . غير أن مياه الآبار لم تكن كافية لسد حاجات السكان المتزايدة أثناء فترة الانتداب ، لذا عدل الخبراء آنذاك عن فكرة حفر الآبار ، وأخذوا يميلون إلى إنشاء السدود كالسد الذي تمّ تشييده في وادي أبي سمرة .

ب ـ نشأة بير السبع وتطور نموها السكاني والعمراني :

١) الكنعانيون : كان الكنعانيون أول من عُرف من سكان المنطقة ، والراجح أنهم أطلقوا على مدينتهم هذا الاسم لوجود سبع آبار قديمة بها . وتشير أسفار العهد القديم إلى أنها كانت مأهولة حينما كان إبراهيم الخليل * يجوب بقطعانه هذه البلاد ، وأن خلافا نشب بينه وبين أبي مالك زعيم سكان بير السبع حول بئر ماء ، مما اضطر إبراهيم إلى أن يقدم سبع نعاج تعويضا لأبي مالك ، فدعي ذلك الموضع بير السبع .

اكتساب بير السبع في تاريخها الموغل في القدم ما اكتساب غيرها من بلاد فلسطين ، وخضعت للأمم التي استولت على هذه البلاد من أشوريين وبابليين وفرس ويونان ومصريين وسواهم .

وقد أصبحت مجمعات الغزاة على أرض كنعان أهلها الكنعانيين مما أدى إلى خضوعهم لقبائل عربية أخرى كالعموريين * الذين امتد نفوذهم إلى تل عراد وتل الملح في قضاء بير السبع ، وكانوا من ألد أعداء بني إسرائيل .

٢) في عهد الفلسطينيين * : استوطن الفلسطينيون جنوب فلسطين قبل قدوم بني إسرائيل إليها ، وكانت بير السبع قد شهدت صراع الفلسطينيين من الغرب والسامعين من الجنوب والشرق ، والإسرائيليين من الشمال . وكانت الحرب بين هذه الأقوام سجالاً لم تكن الإسرائيليون خلالها من بسط نفوذهم على بير السبع التي كانت أقصى حدود (الدولة اليهودية) في جنوب فلسطين ، وكان يفال عن حدود هذه الدولة من دان إلى بير السبع .

٣) في عهد الأنباط والرومان : وقد ازدهرت مدينة بير السبع ومنطقتها في عهدي الأنباط * والرومان حين كانت ممرا حيويا لتجارة

العالم تعبره القوافل العربية حاملة خيرات الهند وإفريقية إلى مصر وغيرها من مدن الساحل الفلسطيني ، مما أدى إلى إنشاء سلسلة من المدن والمحطات التجارية مثل عبدة والعوجاء، والخلصة ورحبية وغيرها .

امتد سلطان دولة الأنباط العربية من خليج العقبة * حتى حدود مصر وشواطىء البحر المتوسط . وحوالي القرن الرابع قبل الميلاد بلغ نفوذ الأنباط سيناء وجنوبي سورية والعراق ، وظلت دولتهم قائمة حتى دخلت في حوزة الرومان في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٦ م) .

وكانت بير السبع في العهد الروماني قرية كبيرة تقيم بها حامية عسكرية . وحينما انتشرت المسيحية * في فلسطين جعلت بير السبع أسقفية . وأنشأ الرومان كنائس بير السبع وسبسطية ، وأقاموا الكثير من الأبنية والإصلاحات العمرانية منها حصون الحفير وكرنب ، وعبّدوا الطرق ، وحفروا المهاريج وأقاموا السدود ، وغرسوا الأشجار ، واسترضوا القبائل العربية في المنطقة ، وحالفوهم ، ومنحوهم الألقاب والرتب لمساعدتهم في حفظ الأمن .

وقد أثرى سكان بير السبع وما حولها لوقوع بلادهم في ملتقى طرق تجارية كان من أبرزها :

١) طريق العقبة - بير السبع وفرعه بالكنتلا وبير بيرين والعوجاء والخلصة وبير السبع ، ومنها تتجه غرباً * وشمالاً إلى الخليل * .

٢) طريق العقبة - عين غضيان - البتراء - ميّة عوض - عبدة - الخلصة - بير السبع .

٣) طريق بير السبع - عين حصب * مارة بكرنب ، وتستمر الطريق من عين حصب في سيرها الجنوبي عبر وادي غزة حتى تصل إلى ميّة عوض .

ولا ريب في أن مرور القوافل التجارية في منطقة بير السبع ، وما تحققه لأهلها من أرباح ، وإقامة السدود والصهاريج في البلاد ، كل ذلك حفز بعض السكان على الاستقرار وإقامة المدن العامرة بالأسواق ، وزراعة مختلف المزروعات والأشجار .

وكان العرب قبل الإسلام يرتادون هذه المنطقة ، وقد توطنتها قبائل منهم كنخم * وجذام * ، وكانت غزة على عهد الروم مدينة فاخرة ريفعة عامرة زاهرة تقصدها قريش في رحلة الصيف التجارية وتألف ضواحيها وخصبها ، وإلى عهد قريب كانت قبائل بير السبع تعرف بعربان غزة .

٤) في الحكم العربي : في القرن السابع الميلادي فتح المسلمون فلسطين ، وعرفت لديهم بير السبع بأنها بلدة عمرو بن العاص * لاتخاذه قصر عجلان في قضائها مقراً له حينما اعتزل عمل مصر في عهد عثمان بن عفان . ولا شك في أن بير السبع كانت مدينة عامرة ، ولولا ذلك ما اتخذها - وهو من أعظم القادة - دار إقامة . وتذكر الروايات أنه انطلق من بير السبع ليلحق بمعاوية بن أبي سفيان * في خلافة علي بن أبي طالب .

وكانت بير السبع من مدن فلسطين المعروفة على عهد بني أمية، وقيل إن سليمان بن عبد الملك كان يقيم بها حينما جاءته الخلافة . وذكر أن والي فلسطين سعيد بن عبد الملك الذي عرف بحسن سيرته كان نازلا بمدينة بير السبع عندما بلغته أخبار مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م .

٥) أيام الصليبيين : تضافرت في العصور التالية عدة أسباب أضعفت شأن مدينة بير السبع . ومن أبرزها تحول طرق التجارة عنها ، والقحط الذي عمّ قضاءها ، لذلك لم تكن المدينة ذات شأن في الحروب الصليبية ، ولذا استولى الصليبيون على بيت جبرين * ظنّوها بير السبع ، ولم يتقدم هؤلاء كثيرا في جنوب فلسطين ، وما إن حلّ القرن الخامس عشر الميلادي حتى كان سكان مدينة بير السبع قد هجروها فأصبحت خرابا ليس لها ذكر .

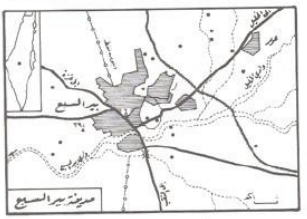

٦) في العهد العثماني : أعاد العثمانيون في العهد الحديث بناء مدينة بير السبع (١٣١٩هـ/١٩٠٠م) على بعد ثلاثة أميال للغرب الجنوبي من موقعها القديم . وهدفوا من وراء ذلك أن يثبتوا وجودهم بالقرب من الحدود المصرية التي كانت المفاوضات دائرة بشأنها آنذاك ، هذا إلى جانب رغبتهم في حفظ الأمن بين القبائل المتنازعة . كذلك أراد الأتراك أن تكون مدينة بير السبع عاملا هاما في توطين البدو وجمع الضرائب التي كانت تذهب هدرا قبل ذلك ، فأنشأوا المدينة وجعلوها مركز قضاء، بير السبع وأتبعوا قائمقامها لمتصرفية القدس (ر : الإدارة) .

وقد عمدت الحكومة في سبيل تحقيق سياستها إلى شراء ما يقرب من ألف دونم ووهبتها المجلس البلدي على أن يبيع منها من شاء التوطن من سكان المدن المجاورة ، كما وهبت كل من أراد التوطن

من بدو القضاء دوماً واحداً عل أن يبني له سكنا يقيم فيه . ولاستكمال إدارة القضاء ألفت الحكومة مجلسين جعلت أحدهما للإدارة والآخر للبلدية ، وأنشأت دارا للحكومة وثكنة للجنود ، وكلفت مهندسين رسم خريطة للمدينة وفق الطراز الهندسي الحديث ، فقسمت بموجب ذلك إلى بقع متساوية يفصل بين البقعة والأخرى شارع فسيح .

ساعدت إجراءات الحكومة في نمو المدينة ، وازداد عدد سكانها من أفراد القبائل وعرب المدن الأخرى ، فبلغ عدد سكانها عام ١٩٠٢ نحو ٣٠٠ نسمة ، وأصبح في عام ١٩١٢ نحو ٨٠٠ نسمة وفي عام ١٩١٥ نحو ألف نسمة . وقررت الحكومة إعلاء لدرجتها جعلها مركزاً لمحافظ المتصرف ، ثم لم تلبث أن أعادتها قائمقامية كما كانت إثر إعلان الدستور عام ١٩٠٨ .

ومن أبرز حكام قضاء بير السبع العثمانيين القائمقام آصف بك الدمشقي الذي شهدت مدينة بير السبع في عهده حركة عمرانية واسعة منها تشييد دار للبلدية الحدث بعدئذ منزلا للحكام ، وسحب المياه من بئر النشل وتوزيعها على المدينة وأطرافها . وتمّ إنشاء جامع في غاية الإتقان الهندسي ـ حوّله الصهيونيون فيما بعد متحفاً ـ وجلبت حجارة مئذنته من خربة الخلصة . وأقيمت مدرسة ذات طبقتين لأبناء البدو ، ومطحنة ، وسلك للمخابرات البرقية ، ودار للبريد ، وغرست أعداد كبيرة من الأشجار .

وحينما اندلعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) زاد اهتمام الأتراك بمدينة بير السبع لأهمية موقعها في جنوب البلاد فاتخذت قاعدة للجيوش العثمانية المتجهة إلى قناة السويس . وأضيف إلى المدينة كثير من الأبنية ، وأنشئت مخازن محطة سكة الحديد التي ربطت بير السبع بمحطة وادي الصرار على خط حديد يافا ـ القدس ، وامتدت السكة الحديدية من بير السبع إلى قلب سيناء ، وعبدت الطرق بينها وبين الخليل والعوجا ، وأضيئت في تلك الفترة بالكهرباء .

٧) في عهد الانتداب البريطاني : نشطت خطط الأتراك أمام هجوم الجيش البريطاني الذي احتل بير السبع في ١٩١٧/١٠/٣١ ، وأقام الجيش البريطاني في هجومه على فلسطين خطّاً حديدياً يربط بير السبع برفح * ، لكنه لم يلبث أن نزع سنة ١٩٢٧ . وكان الخط الحديدي بين بير السبع ومحطة وادي الصرار قد نزع قبل ذلك .

وقد اتسمت المدينة في عهد الانتداب ، وبلغ عدد سكانها وفقا لتعداد عام ١٩٢٢ نحو ٢,٣٥٦ نسمة ، ووصل عددهم في تعداد ١٩٣١ إلى ٢,٩٥٩ نسمة . وقدر عدد سكان المدينة في عام ١٩٤٥ بنحو ٥,٥٧٠ نسمة ، ونقص عددهم في عام ١٩٤٨ إلى ٢٠٠ نسمة نتيجة لتهجير معظم سكان المدينة منها إثر الحرب العربية ـ الإسرائيلية .

بلغت مساحة المدينة في أواخر عهد الانتداب البريطاني نحو ٣,٨٩٠ دونما ، أي ما يقرب من ٤ كم٢ . وقد اشتملت معظم هذه المساحة عل مبان سكنية ، وعل وسط المدينة التجاري (قلب المدينة) وما فيه من أسواق ومحاكم للعشائر ومكتبة للصلح ودار للبلدية وناد للموظفين ومستشفى ومستوصف ومدرستين ابتدائيتين للذكور والإناث ، وضمت أيضاً مسجدين وكنيستين .

٨) في ظل الاحتلال الإسرائيلي : كان يوم ١٩٤٨/١٠/٢١ يوما أسود في تاريخ بير السبع ، إذ تمكن الصهيونيون من احتلال المدينة وطرد سكانها العرب منها وإحلال مهاجرين صهيونيين محلهم . وقد سكن المهاجرون الأوائل في البيوت العربية المهجورة . وبلغ عدد سكان المدينة في نهاية عام ١٩٤٩ نحو ١,٨٠٠ نسمة ، وما لبث العدد أن ازداد بسرعة في نهاية عام ١٩٥٠ إلى ٨,٣٠٠ نسمة ، ووصل في عام ١٩٥٦ إلى ٢٥,٥٠٠ نسمة ، وإلى ٤٣,٥١٦ نسمة عام ١٩٦١ ، وإلى ٧٤,٥٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ وإلى ٩٠,٤٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ .

ومن الطبيعي أن تتوسع بير السبع وتمتد في نموها العمراني أفقيا وعمودياً لنمو عدد سكانها السريع . فتضاعفت مساحة أراضي المدينة بعد أن أنشئت ضواح كبيرة تمتد من الشمال والشمال الغربي ، وبلغت هذه المساحة نحو ٤٨,٠٠٠ دونم في عام ١٩٦٧ . وأصبحت المدينة القديمة كجزيرة في وسط هذه المدينة الحديثة . وأنشئت منطقة صناعية امتدت نحو الشرق ، وشيدت العمارات السكنية ذات الطبقات الكثيرة لمواجهة الطلب المتزايد للمساكن . ويمكن القول إن المخطط الهيكلي لمدينة بير السبع يتخذ شكل المستطيل ، وتتعامد معظم شوارع المدينة في خطوط مستقيمة تحف بها أشجار الزينة من الجانبين . وتوجد الأحياء الغنية ذات البيوت العصرية في الجهتين الشمالية والشمالية الغربية من المدينة ، أي على طول محاور الطرق الرئيسة المؤدية إلى الفلوجة شمالا ، وإلى غزة شمالا بغرب .

جـ ـ التركيب الوظيفي لبير السبع :

١) الوظيفة التجارية : كانت بير السبع محطة للقوافل التجارية في العصور القديمة ، وبخاصة في عهدي الأنباط والرومان . وازدهرت الحركة التجارية فيها خلال العصر الأموي . وفي مطلع القرن الحالي استقرّ فيها عدد من التجار العرب من المدن والقرى المجاورة في إقليمي السهول الساحلية والمرتفعات الجبلية ، وبلغ عدد الحوانيت فيها آنذاك نحو ١٥ دكانا . وفي فترة الانتداب اهتمت بلدية بير السبع بإنشاء الوسط التجاري في قلب المدينة فشيدت المحلات التجارية على طول جانبي الشارع الرئيس فيها . وقد اعتاد أبناء العشائر المحيطة بالمدينة أن يؤموا أسواق بير السبع يوميا ليبيعوا

مواشيهم ومنتجاتها المختلفة من شعر وأصواف وجلود ولحوم وألبان ، ويشتروا ما يلزمهم من حبوب وسكر وأرز وشاي وأقمشة وملبوسات وعباءات وأدوات زراعية .

وبالإضافة إلى وسط المدينة التجاري كانت تقام كل إثنين سوق عظيمة في الطرف الشرقي من بير السبع يقصدها البدو من جميع أنحاء القضاء . وقد أطلق على هذه السوق اسم سوق الخلال نسبة إلى المواشي المعروضة فيها . وتعد بير السبع أهم مراكز تجميع الشعير في فلسطين وإعداده للتصدير إلى بريطانيا عن طريق ميناء غزة .

٢) الوظيفة الزراعية والرعوية : كان البدو الذين استقروا في المدينة في مطلع هذا القرن يمارسون الزراعة إلى جانب تربية المواشي . وتكاد الزراعة تنحصر في المحاصيل الحقلية كالشعير ، وهو أهم المحاصيل ، والقمح "والذرة والعدس والفول والكرسنّة . وفي السنوات الأخيرة من فترة الانتداب البريطاني زرعت أشجار الفاكهة في مئات الدونمات حول بير السبع كالعنب " والتفاح والمشمش واللوز والتين والرمان والبرتقال واليطيخ ، كذلك زرعت بعض أصناف الخضر كالبندورة والبامية والقثائيات .

واعتمد جزء من السكان في معيشتهم على الرعي وتربية المواشي . وأهم المواشي الإبل التي استخدمت في حراثة الأرض ونقل المحاصيل الزراعية والمتاع ، وبلغ عددها في لواء بير السبع عام ١٩٤٣ نحو ١٣,٧٨٤ رأساً ، وبلغ عدد الماعز والغنم في السنة نفسها نحو ٧٠ ألف رأس وعدد البقر نحو ١٠ آلاف رأس . هذا عدا الطيور الداجنة التي ترى في البيوت كالدجاج (٥١,٢٠٠) والبط والأوز والديوك الرومية (٥٥٠) . وكانت المواشي تعتمد في غذائها على المراعي الطبيعية المتوافرة في الإقليم عملاية على المزروعات العلفية .

٣) الوظيفة الصناعية : انحصرت صناعات مدينة بير السبع على الصناعات التقليدية الخفيفة كالصناعات الغذائية والنسيجية (ر : النسيج ، صناعة ، والمواد الغذائية ، صناعة) . وأهم هذه الصناعات طحن الحبوب (الدقيق)، والخبز ، والحلويات ، والسمن ، والجبن ، والغزل ، ونسج بيوت الشعر والعباءات من شعر الماعز ، والأصواف ، ودباغة الجلود ، والمنتجات الجلدية ، والحدادة ، والنجارة ، والأدوات الزراعية والمنزلية البسيطة .

وأهم صناعات بير السبع بعد عام ١٩٤٨ السيراميك ، والأدوات الصحية ، والسطوب ، والمبيدات الحشرية ، والكيميائيات "، والبروميد ، والمنسوجات ، وطحن الحبوب ، ومواد البناء ، والأملاس " ، والصناعات المعدنية . ولا تزال بير السبع مركزاً تسويقياً هاماً للبدو والمقيمين حولها وفي إقليمها ، وكذلك لسكان بعض المستعمرات اليهودية في النقب الشمالي .

٤) الوظيفة التعليمية والثقافية : كان في بير السبع مدرستان للحكومة أثناء فترة الانتداب ، الأولى للبنين والثانية للإناث . وهناك روضة أطفال تدير شؤونها لجنة خاصة من الأهالي . وتستقبل هذه المدارس إلى جانب أبناء المدينة أبناء العشائر بعد أن ينهوا المرحلة الابتدائية في مدرسة عشيرتهم . وقد بلغ مجموع التلاميذ الملتحقين بمدرسة ذكور بير السبع الثانوية عام ١٩٤٧/٤٨ ٥٨٠ طالباً يعلمهم ١٧ معلماً . وقد استعملت المدرسة على حديقة مساحتها ٧ دونمات لتدريب التلاميذ على الأعمال الزراعية ، كذلك شيدت في المدرسة غرفة خاصة للأعمال اليدوية والنجارة ، وكان يتبعها منزل خصص لإقامة التلاميذ البدو كان فيه ١٠٠ تلميذ في العام الدراسي ١٩٤٧/٤٦ . وضمت المدرسة مكتبة بلغ عدد ما فيها من الكتب عام ١٩٤٧ نحو ١,٤٥٥ كتاباً في مختلف العلوم والفنون .

ومدرسة الأيتام ابتدائية كاملة تأسست في بداية عهد الانتداب وضمت ٣٠٠ تلميذة في العام الدراسي ١٩٤٨/٤٧ تعلمهن ٩ معلمات ، وضمت مكتبة فيها ٦٥١ كتاباً . أما روضة الأطفال فإنها ضمت في العام الدراسي نفسه ٩٠ طفلاً وطفلة تعلمهم معلمتان .

وتجدر الإشارة إلى أن رغبة قبائل بير السبع في تعليم أبنائها كانت كبيرة جداً ، وكانت المدارس تعجز عن استيعاب كثير من المتقدمين إليها ، وبلغ ما أنفقته بلدية بير السبع وسكانها على مدرستي صديقيهم في العام الدراسي ١٩٤٧/٤٦ نحو ٤,٣٠٦ ج . ف منها ٣,٦٦٩ ج . ف . تكاليف إقامة الأبنية الجديدة .

وتضم المدينة اليوم عدداً من المدارس والمعاهد العلمية كمعهد النقب للبحوث والدراسات المتعلقة بالمنطقة الجافة الذي يجري تجارب على طرق تحلية المياه المالحة ، وعلى طرق الاستفادة من استغلال الطاقة الشمسية والمطر الاصطناعي وتكييف النباتات مع ظروف الجفاف . وهناك معهد بيولوجي لدراسة حياة النباتات في الصحراء علاوة على جامعة النقب التي افتتحت عام ١٩٧٠ . وفي بير السبع متحف تابع للبلدية .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
ـ عارف العارف : تاريخ بير السبع وقبائلها ، القدس ١٩٣٤ .
ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ .
ـ محمد النحال : جغرافية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ أحمد أبو خوصة : بير السبع والحياة البدوية ، عمان ١٩٧٩ .

ـ عبد المنعم ماجد : الأطلس التاريخي للعهد الإسلامي ، القاهرة .
ـ الكتاب المقدس : أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، الإصحاح الحادي والعشرون من سفر التكوين .

بير السبع (جبـال ـ) : ر : النقب

بير السبع (سجـن) : ر : السجون الإسرائيلية

بير السبع (معركة ـ ١٩٣٦) : ر : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

بير السبع (معركة ـ ١٩٤٨) :

عندما أعلن الإنكليز عزمهم على الانسحاب من فلسطين في منتصف أيار ١٩٤٨ تشكلت في بير السبع * حامية للدفاع عنها مؤلفة من أفراد الشرطة المحلية والهجّانة (نحو ٦٠ رجلاً) وعدد من المناضلين والشباب المتطوعين من أبناء المدينة من البدو . وتولى قيادة هؤلاء جميعاً عبد الله أبو ستة . وكان في حوزة هذه الحامية ٢٠٠ بندقية ، و٤ أجهزة لاسلكية ، و١٤ هاتفاً ميدانياً ، وبعض الأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة ، وعدد من الألغام ، وبضع مئات من القنابل اليدوية . وقد استطاع مناضلو المدينة في حدود إمكاناتهم أن يقوموا بنشاط قتالي جيد ، فكانوا يعترضون قوافل السيارات الصهيونية المحروسة ، ويتصدون لجماعات الصهيونيين المسلحين ، بل إنهم بعد مهاجمة قافلة صهيونية متجهة إلى مستعمرة « بيت ايشل » قاموا بمحاصرة المستعمرة نفسها .

لجأ الصهيونيون فور انسحاب القوات البريطانية من منطقة بير السبع في ١٩٤٨/٥/١٤ إلى بسط سيطرتهم على المناطق والطرق الهامة من الناحية العسكرية . وقام العرب بالمقابل بدعم حامية المدينة بعدد من المتطوعين المصريين والليبيين (٥٠ ـ ٨٠ متطوعاً بينهم ١٢ ضابطاً) . وفي ١٩٤٨/٥/١٨ دخلت قطاع بير السبع كتيبة مشاة مصرية بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز . لكن لم يجر تعاون أو تنسيق بين هذه القوة وحامية المدينة . ولم تلبث القيادة العامة المصرية أن سحبت معظم القوة المصرية وبعض الأسلحة معتذرة بأن الوضع العسكري العام يتطلب ذلك . وقد أصبح الدفاع عن المدينة بهذا هزيلاً جداً ، إذ لم يبق فيها سوى مدفعين من عيار ٦ أرطال ، ومدفع واحد من عيار ٣ بوصات ، وبعض المدافع من عيار بوصتين . إلى جانب ذلك أخطأ المدافعون حين حفروا الخنادق قريباً من الأبنية وتركوا المناطق الخالية المترامية الأطراف التي تحيط بالمدينة .

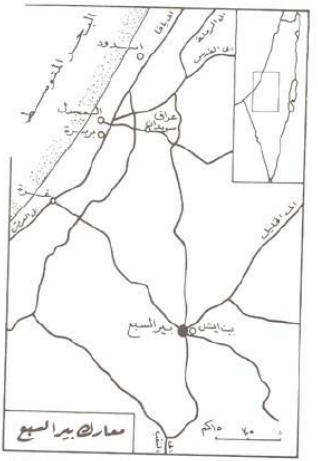

بدأت معارك النقب في ١٩٤٨/١٠/١٤ ، واحتل الجيش الإسرائيلي أسدود * والمجدل * وعراق سويدان * وبرسبة * وتوقف على أبواب عزة * . وفي ١٩٤٨/١٠/١٨ شنّ هجومه على بير السبع ، فطلب قائد حاميتها النجدة السريعة من القيادة المصرية فلم تنجده ، بل طلبت منه أن يرسل إليها بعض الأسلحة التي ما زالت تحت تصرفه لحاجتها إليها ، وفي الوقت الذي لم يزد عدد أفراد حامية بير السبع عن ٢١٦ مقاتلاً من مناضلي المدينة أو المتطوعين وممن تبقى من القوة المصرية بأسلحتهم القليلة وذخيرتهم المحدودة كان الجيش الإسرائيلي يملك الطائرات ويهاجم بخمسة آلاف مقاتل مزودين بالعربات المصفحة والمدافع الثقيلة والأسلحة المتنوعة .

بدأت معركة المدينة بقصف جوي دام من ١٠/١٨ إلى ليلة ١٩٤٨/١٠/٢١ دون أن يكون لدى المدافعين عن المدينة مدافع مضادة للطائرات . وقد نجم عن ذلك تدمير عشرة منازل وقتل سبعة أشخاص وإحداث ذعر في المدينة .

في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩٤٨/١٠/٢٠ مهّدت المدفعية للهجوم البري ، ثم انطلقت طلائع القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وتبعتها القوات المحمولة لتطبق على المدينة من الشمال

والشمال الغربي ، وتندفع إلى داخلها في الساعة الواحدة والنصف من اليوم التالي (١٩٤٨/١٠/٢١) . وأخذت هذه القوات المهاجمة تحتل أحياء المدينة وتنتقل من شارع إلى آخر إلى أن استطاعت صباح ١٠/٢١ تمشيط من تبقى من أفراد الحامية العربية في مركز الشرطة . وقد استسلم هؤلاء المدافعون الذين لم يتجاوز عددهم ٥٣ مقاتلاً مصرياً وسودانياً وفلسطينياً ، ورفضوا الاستسلام على الرغم من موقفهم العسكري الضعيف . وقد دار قتال ضار بينهم وبين القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وأصيب خزان الماء في المركز بقذيفة مباشرة فانهار وتدفقت مياهه على المدافعين ، فانتقلوا إلى أسفل الماء يقاتلون إلى أن انتهت مقاومتهم فاحتل الإسرائيليون المركز في الساعة التاسعة إلاّ ربعاً من صباح ١٩٤٨/١٠/٢١ ، وبذلك تم احتلال مدينة بير السبع كلها .

المراجع :

- عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، بيروت ١٩٥٦ .
- حسين أبو النمل : قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧ : تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية ، بيروت ١٩٧٩ .
- عبد الله التل : كارثة فلسطين ، القاهرة ١٩٥٩ .
- محمد فيصل عبد المنعم : فلسطين والغزو الصهيوني ، القاهرة ١٩٧٠ .

بير مُعين (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في شرق الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * . وتبعد إلى الغرب من طريق رام الله ـ الرملة مسافة ٣ كم تقريباً . وترتبط بقرية بيتُ سيرا الواقعة على هذه الطريق بدرب ضيق . وترتبطها دروب أخرى بالقرى المجاورة كالبرج * وصفا * وبرقيلة * وبيت شنّة * وسليت * .

نشأت قرية بير معين فوق رقعة متموجة ترتفع نحو ٢٢٥م عن سطح البحر في أقصى الطرف الشرقي للسهل الساحلي * الأوسط ضمن المنطقة الانتقالية التي تمثل الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله . ببيوتها مبنية باللّبن والحجر ، واتخذ مخططها شكل المستطيل في القسم الشمالي ، وشكل الدائرة في القسم الجنوبي . وكان يخترق القرية درب مهد يفصل بين القسمين . وفي أواخر عهد الانتداب توسعت القرية عبر نموها العمراني الذي اتجه نحو الشمال الغربي وأصبحت مساحتها ٩ دونمات . وقد اشتملت القرية على بئر ماء للشرب قديمة أحدث القرية منها اسمها ، وعلى مدرسة ابتدائية تأسست في عام ١٩٣٤ وكانت ملاصقة للمسجد . وفيها أيضاً مقامات بعض الصالحين .

بلغت مساحة أراضي بير معين ٩,٣١٩ دونماً جيمعها ملك لأهلها العرب . وأراضيها ذات أنواع جيدة من التربة * ، وتتوافر فيها المياه الجوفية ، الأمر الذي يرفع من إنتاجيتها الزراعية . وتحيط الأرض الزراعية بالقرية ، وتزرع فيها أنواع الحبوب * والخضر * الشتوية والصيفية ، وتوجد بساتين الأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون * (١٤٦ دونماً) والعنب * والتين واللوز والخروب ، في الجهة الجنوبية الشرقية من بير معين بالإضافة إلى مساحات صغيرة في الجهتين الشمالية والشمالية الغربية .

بلغ عدد سكان بير معين في عام ١٩٢٢ نحو ٢٨٩ نسمة وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٣٥٥ نسمة كانوا يقيمون في ٨٥ بيتاً ، وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ٥١٠ نسمات . وفي عام ١٩٤٨ تعرضت القرية لعدوان الصهيونيين الذين طردوا سكانها ودمّروها .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بيرسون (مشروع ـ) :

كان المجتمع الدولي يحاول من خلال المداولات الحادة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في شباط سنة ١٩٥٧ الضغط على (إسرائيل) لانسحاب من الأراضي الفلسطينية والمصرية التي احتلتها أثناء العدوان الثلاثي على مصر (ر : حرب ١٩٥٦) . وفي الوقت الذي كان فيه الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور وحكومته يمارسان الضغط على (إسرائيل) للانسحاب تقدمت الوفود الآسيوية ـ الإفريقية العربية وغير العربية في الجمعية العامة عن طريق الدكتور شارل مالك وزير الخارجية اللبنانية آنذاك بمشروع يقضي بفرض عقوبات تحظر بموجبها جميع أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية والمالية على (إسرائيل) لإجبارها على الانسحاب من الأراضي العربية . غير أن الحكومة الكندية التي كانت تقود مجموعة من الدول غير المؤيدة للمشروع المذكور تقدمت بواسطة وزير خارجيتها لبستر بيرسون بمشروع قصدت منه تحقيق

تسوية بين موقف الحلف الإسرائيلي ـ البريطاني ـ الفرنسي من جهة ، وموقف الدول الأخرى المؤيدة لمبدأ انسحاب (إسرائيل) وفرض العقوبات عليها من أجل إنجاز ذلك الانسحاب من جهة أخرى .

وقد رجّه ليستر بيرسون نداء إلى الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢٦ أثناء مداولات الجمعية العامة يدعوها فيه إلى وضع « تسوية دائمة للنزاع العربي ـ الإسرائيلي » . وبعد أن أكد وزير الخارجية الكندي أن الأمم المتحدة قد « وصلت إلى نقطة اللاعودة » ، وأنه بات من غير الممكن إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها قبل الهجوم الثلاثي على مصر ، تقدم بخطة من أربع نقاط هي :

أ ـ تتعهد كل من مصر (وإسرائيل) بمراعاة بنود اتفاقية الهدنة الدائمة * الموقّعة بينهما عام ١٩٤٩ مراعاة دقيقة حازمة .

ب ـ يقوم الأمين العام للأمم المتحدة مع قائد قوات الطوارىء التابعة للمنظمة الدولية باتخاذ الترتيبات اللازمة مع الحكومات المعنية لتوزيع تلك القوات على خط الهدنة لتمكينها من :

١) القيام بأداء بعض واجبات هيئة الرقابة الدولية التابعة للأمم المتحدة .

٢) المساعدة في منع الغارات وما يعقبها من ردود فعل انتقامية قد تصدر عن هذا الفريق أو ذاك عبر خطوط الهدنة .

٣) المحافظة على الأوضاع السلمية على طرفي خطوط الهدنة .

جـ ـ توافق الجهات المعنية على حق المرور البري عبر مضائق تيران ، وتؤكد التزامها بعدم إنكار هذا الحق ، وتتخلى عن ادعاء أي من حقوق المتحاربين *Belligerents' Rights* . ويجب أن يتبع انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة شرم الشيخ دخول قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة إليها « للحفاظ على الأوضاع السلمية ومنع النزاع » وفقاً للأهداف التي حددتها الجمعية العامة لقوات الطوارىء .

د ـ تقيم منظمة الأمم المتحدة إدارة مدنية في قطاع غزة بالتعاون مع مصر و (إسرائيل) .

وبيّن ليستر بيرسون أن مسألة توفير الأمن على طرفي خطوط الهدنة هي من أعقد القضايا وأكثرها حساسية . ولذلك فإن من واجب الجمعية العامة العمل على توفير وجود فعّال للأمم المتحدة في قطاع غزة بعد إنجاز الانسحاب الإسرائيلي منه حتى لا تستخدم المنطقة قاعدة للغارات ضد (إسرائيل) . وعلى حكومة مصر ألا تتوقع عودة قواتها إلى القطاع ، ولا بد بالتالي من دخول قوات الطوارىء إليه فور انسحاب (إسرائيل) منه .

وعلى الرغم من أن وزير الخارجية الكندي كان مقتنعاً بأن اتفاقية الهدنة تعطي مصر حقوقاً قانونية في الإدارة المدنية للقطاع فقد كان يرى أن أسباباً عملية وأخرى واقعية تفرض ، على حد زعمه ، الاستعاضة عن الإدارة المصرية بإدارة تابعة للأمم المتحدة لأن أي انسحاب إسرائيلي سريع في ظل الأوضاع المتفجرة التي يعيشها القطاع مثل احتمال تعطل عمل وكالة هيئة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين وتشغيلهم * (الأونروا) واحتمال اندلاع أعمال عنف ضد (إسرائيل) يجعل عودة الإدارة المصرية إلى القطاع أمراً أمراً غير ممكن . وعليه لا مناص من تفاوض ممثلي مصر و (إسرائيل) بإسهام ممثلي الأمم المتحدة الفعّال من أجل تأسيس إدارة قوية تابعة للمنظمة الدولية تقوم بتعزيز التطور الاقتصادي والرفاه الاجتماعي ، وتحافظ على القانون والنظام في القطاع . كذلك أكد بيرسون أن الأونروا بالإضافة إلى هيئات المساعدة الفنية التابعة للأمم المتحدة والأمانة العامة للهيئة الدولية قادرة على توفير تلك الإدارة الذاتية البديلة . ولضمان ذلك اقترح تعيام الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين مفوض للمنظمة الدولية في غزة يقوم ، بالتعاون مع قائد قوات الطوارىء والمفوض العام للأونروا ، وبالتشاور مع ممثلي مصر و (إسرائيل) واللاجئين وغيرهم من قادة العرب المحليين ، بوضع خطة للاستعاضة عن الإدارة المدنية الإسرائيلية بإدارة تعالة تابعة لمنظمة الأمم المتحدة . وإذا ما تم ذلك يمكن ، كما أكد وزير الخارجية الكندي ، إنجاز انسحاب إسرائيلي سريع ومنظم يضمن المحافظة على مصالح سكان القطاع ومصالح كل من مصر و (إسرائيل) .

وجدير بالذكر أن مشروع وزير الخارجية الكندي الذي كان يرمي في الحقيقة إلى تأخير الانسحاب الإسرائيلي وإفساد اتفاق الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على اتخاذ عقوبات ضد (إسرائيل) لم يحظ بأي اهتمام داخل الأمم المتحدة ، ولم يشر إليه أي من الوفود خلال المناقشات اللاحقة .

المراجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ ليلى سليم القاضي : تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٥ ـ ١٩٧٢ ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٢ ، حزيران ، بيروت ١٩٧٣ .

— Keesings Contemporary Archives 1957 - 58.

بيرم (رباط ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

البـيـرة (مـدينة ـ) :

مدينة عربية قديمة في قضاء رام الله بالضفة الغربية تقع على بعد ١٦ كم شمال القدس * . يبلغ ارتفاعها ٨٨٤م عن سطح البحر . وتحضنها جبال القدس * ، إذ يحيط بها من الشرق مرتفع الشيخ نجم (٩٠٧م) ، ومن الشمال الشرقي مرتفع الشيخ شيبان (٨٩٣م) ومن الشمال الغربي مرتفع الشيخ يوسف (٨٠٠م) ومرتفع الشيخ عبد الله (٩٠٨م) .

تعود المدينة بتاريخها إلى العرب الكنعانيين * ، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن بلدة ليسان أو بيت ليساوات ، بمعنى بيت اللبوة ، كانت تقوم على بقعتها . ثم أقيمت على الموقع مدينة بيت برئى بمعنى بيت خليلتي . إلا أن القول المعوّل عليه هو أن مدينة البيرة بنت مكان مدينة بيثروت الكنعانية ، ومعناها : آبار . ولم تكن التربة * الطينية ومصادر الماء ، على أهميتها ، الدوافع الوحيدة المقررة لنشأة مدينة البيرة ، بل إن عوامل الدفاع والحماية كانت عوامل هامة في نشأتها أيضاً .

حملت هذه المدينة أيام الحكم الروماني اسم بيريا ، وكانت من أعمال القدس آنذاك ، ثم حرّف هذا الاسم إلى البيرة . وقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية « البيرة اسم لعدّة أماكن تقوم في النواحي التي يتكلم فيها بالآرامية "، ذلك أن البيرة هي ترجمة للفظ الآرامي (بيرتا) ، أي القلعة أو الحصن » .

يحيط بهذه المدينة تلال * تعلوها خرائب منها خربة التل ، وخربة دير شباب ، وخربة قصر الطريز ، وخربة كفر مر ، وخربة سويكة ، وخربة عطار ، وأهمها خربة حيّان على مسافة ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من قرية بيتين الواقعة إلى الشمال الشرقي من البيرة . وهناك عدد من المغاور كمغارة المقصورة ، ومغارة الواد ، ومغارة وقف الجامع . وتدل هذه الخرائب على أن إعمار ظهر المدينة قديم .

وينتشر بين هذه الخرائب والتلال عدد كبير من الينابيع (ز : عيون الماء) يعود وجودها إلى طبيعة الصخور * الكلسية المنفذة وإلى الأمطار التي تتلقاها المنطقة بسبب عامل التضاريس . ولعل هذه الينابيع هي التي جذبت البشر إليها فأقاموا مراكز سكن . أهم هذه الينابيع نبع الشيخ عمر الذي يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة البيرة . والآبار * التي تتجمع فيها مياه الأمطار دور في إرواء المدينة .

تتألف البيرة من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت ، ويتخذ مخططها التنظيمي شكل المستطيل ، إذ تتكون المدينة من شبكة شوارع مستقيمة شبه متعامدة . ويبدو من دراسة المخطط أن المدينة تتجه في نموها العمراني نحو الشمال ونحو الجنوب على شكل محورين من المباني المحاذية لكل من طريقي رام الله * ـ نابلس * ورام الله ـ القدس . وقد امتدت المدينة بفعل توسعها العمراني وازدادت مساحتها من ٩٦٧ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ١,٥٠٠ دونم في الوقت الحاضر . وتبلغ مساحة الأراضي التابعة للبيرة ٢٢,٠٤٥ دونماً منها ١٥٢ دونماً للطرق . وتتوافر في البيرة المرافق والخدمات العامة كالأسواق التجارية والمدارس والعيادات الصحية والماء والكهرباء والمواصلات . وتشرف بلدية البيرة على إدارة شؤون المدينة وتوفير مختلف الخدمات المطلوبة لها .

سكان المدينة عرب بلغ عددهم عام ١٩١٢ نحو ١,٠٠٠ نسمة ، وارتفع في عام ١٩٢٢ إلى ١,٤٧٩ نسمة ، وفي عام ١٩٣١ إلى ٢,٢٩٢ نسمة . أما في عام ١٩٤٥ فقد قدر عددهم بنحو ٢,٦٤٠ نسمة ، ووصل عددهم في عام ١٩٦١ إلى ١٤,٥١٠ نسمات يؤلفون ٢,٧٠٠ أسرة ويقيمون في ١,٨٢٩ بناء . ويقدر عدد سكان البيرة عام ١٩٨٠ بأكثر من ٢٥ ألف نسمة .

يتميز سكان المدينة بإقبالهم على التعليم ، ففي عام ١٩٦٧ كان في المدينة خمس مدارس للذكور (ابتدائية وإعدادية وثانوية) ، كما أن المرأة في هذه المدينة تتجه نحو التعليم بشكل ملموس ، ففي المدينة خمس مدارس للإناث (ابتدائية وإعدادية وثانوية) ومدرستان مختلطتان ، وفيها مدرسة للمكفوفين ، كما تكثر رياض الأطفال في البيرة وتعود بالدرجة الأولى إلى نشاط الاتحاد النسائي .

الموارد الاقتصادية للمدينة متعددة منها الزراعي ، والصناعي ، والتجاري ، إلا أن أصلها واحد ، وهو الزراعة * التي تلعب دوراً هاماً في حياة سكان المدينة ، خاصة أن الوعي الزراعي منتشر بين السكان . ويلاحظ تقدم مستويات الفن الزراعي بانتشار البساتين ذات الخيازة الصغيرة التي تحتلها طبيعة المنحدرات ومقتضيات العمل اليدوي الكثيف ، وتتركّبها عراقة التقاليد الزراعية والمدراية الموارثة . وتؤمن هذه البساتين غذاء

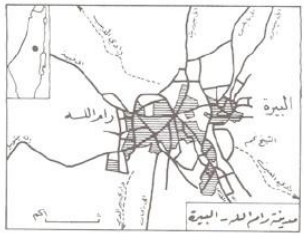

للسكان ومتنفساً لهم ، كما تقوم عليها صناعة التجفيف ، فتصدّر المدينة كميات من الفواكه المجففة إلى المناطق المحيطة بها ، وتساعد الظروف الملائمة من مناخ وتربة على ازدهار الزراعة ، وهذا شأن مدن وقرى الضفة الغربية عامة ، إذ كانت تسهم خلال الستينات في اقتصاد الأردن بنحو ٨٠٪ من إنتاج الزيتون * ، و ٦٥٪ من إنتاج الخضر والفاكهة . وتقوم الزراعة في البيرة بالدرجة الأولى على جهود الفلاحين ، إلا أن الآلة الحديثة بدأت تنتشر . وتلعب مياه الآبار دوراً هاماً في ذلك ، إذ يقيم القادرون المزارع أينما اكتشف خزان جوفي .

أهم المحاصيل الزراعية الحبوب * وذلك لتأمين الاكتفاء الذاتي لسكان المدينة . ويصدر منها القليل . وهناك زراعة الخضر * التي يتصف انتاجها باستقرار نسبي بفضل اعتماده على الري .

وتكثر في البيرة الأشجار المثمرة وفي طليعتها أشجار الزيتون التي تعتبر الشجرة الأولى في محيط المدينة . وهناك أشجار التين والعنب * . ولشجرة الزيتون أهمية كبرى في اقتصاد سكان المدينة ، إذ تقوم على الزيتون صناعة عصر الزيتون التي تنشأ لها مجمع صناعي بسيط قائم على الإنتاج المحدود . وتنتشر في المدينة إضافة إلى صناعة الزيتون ، بنوعيها التقليدي المتوارث والحديث ، صناعات خفيفة وحرف تقليدية كالصناعة النسيجية (النول) (ز : النسيج ، صناعة) . وقد بدأت هذه الصناعة تتراجع . وهناك الصناعات التقليدية الأخرى المعروفة في شتى المدن العربية القديمة ، وقد بقي هذا النمط من الصناعات التقليدية مسيطراً على النشاط الحرفي حتى عهد قريب . أما الصناعة * الحديثة فقد بدأت تنتشر ، وهي في تطور مستمر ، ولكن نصيبها بسيط في الدخل ، فالبيرة لا ترتكز على قاعدة صناعية هامة ، ونصيبها بسيط في إجمالي الدخل القومي ، وتقتصر معظم صناعاتها على الحرف اليدوية ومنتجاتها .

وقد تأثرت الزراعة بضيق المساحات الأرضية المستوية الصالحة للزراعة الناجم عن شدة تحدد المرتفعات ، وفقر التربة المأكلة ، والموارد الأرضية المزيلة .

من ناحية أخرى اكتسبت البيرة شهرة واسعة كمصيف ، فقد منحتها الطبيعة صناعة هامة هي صناعة السياحة (ز : السياحة) ، وذلك لارتفاعها ولطف هوائها . وهنالك أيضاً صناعة التحف الخشبية وتطعيمها بالصدف . ويعمل السكان على تطوير هذه الصناعة بشكل مستمر . وللدخل السياحي أهمية كبرى في اقتصاد سكان المدينة ، فكان يؤمها قبل صيف عام ١٩٦٧ سيّاح من دول الخليج فضلاً عن الحجاج . غير أن انقطاع سبل السياح بعد عام ١٩٦٧ أصاب اقتصاد هذا المركز بضربة قاصمة . ويحاول السكان الآن استئناف النشاط السياحي الذي مارسوه سنين طويلة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله

البيرة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمال مدينة بيسان * ، وفي الشمال الغربي من قرية كوكب الهوا * ، وتتصلها بهما طريق معبدة ترعية . وتتصلها طرق نهيدة فرعية بقرى دنة * وكفرة * وجوّل * وخربة أم صابونة . ويمر بجنوبها مباشرة خط أنابيب النفط الذي كان قبل عام ١٩٤٨ ينقل النفط العراقي لتكريره في مصفاة النفط في حيفا .

أقيمت قرية البيرة فوق أنقاض مرتفعات الجليل الأدنى المطلة على غور بيسان . وترتفع نحو ١٦٠م عن سطح البحر . وتشرف على وادي البيرة * الذي يجري إلى الشمال منها منحدراً من مرتفعات الجليل وهابطاً إلى غور بيسان ليرفد في النهاية نهر الأردن * . وتكثر المياه في وادي البيرة وتستغل في أغراض الري والشرب .

بنيت معظم بيوت البيرة من الحجارة ، واتخذ مخططها شكلاً مستطيلاً ، إذ امتدت القرية القديمة أول الأمر نحو الشمال والجنوب ، ثم أخذ نموها يسير في محورين تحاذاة الطريقين المؤديين

إلى قرية وادي البيرة في الشرق . وقد بلغت مساحة البيرة في عام ١٩٤٥ نحو ٥٢ دونماً . وكانت تمتد عبر تموها العمراني فوق بقعة أثرية تحتوي على أنقاض قرية قديمة . وباستثناء بعض الدكاكين الصغيرة فإن البيرة كانت شبه خالية من المرافق والخدمات العامة ، ولذا اعتمد سكانها على مدينة بيسان المجاورة كمركز تسويقي وإداري .

لقرية البيرة أراض مساحتها ٦،٨٦٦ دونماً منها ٩٦ دونماً للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون منها شيئاً . وكانت تستغل في زراعة الحبوب * وبعض أنواع الخضر * والأشجار المثمرة . وقد شغلت أشجار الزيتون * أكبر مساحة بين المحاصيل الزراعية . وإلى جانب الزراعة كانت مهنة الرعي * معتمدة على الأعشاب الطبيعية فوق أقدام الجبال . وكانت الزراعة * تعتمد على مياه الأمطار والينابيع ذات المياه الغزيرة والعذبة .

كان في البيرة نحو ٢٠٠ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وازداد عدد سكانها إلى ٢٢٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ٢٦٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وكان هؤلاء السكان يقيمون في نحو ٦٥ بيتاً عام ١٩٤٥ . وقد طردهم الصهيونيون من ديارهم وهدموا بيوتهم خلال حرب ١٩٤٨ * .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ . بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحة أم قيس .

البيـرَة (وادي ـ) :

وادي فلسطيني يرفد نهر الأردن * حاملاً إليه مياه الأمطار وسيول المرتفعات الواقعة شرق الناصرة * ومضية كفركنّا . وهو واد سيلي تجري فيه المياه في فصل الأمطار عدا جزء قصير منه يقع شرق وجنوب شرق جبل طابور (الطور) * تغذّيه مجموعة من الينابيع تجعله مستمر الجريان مسافة لا تتجاوز ٥ ـ ٦ كم يعود بعدها سيلاً فصلياً لا يصل منه إلى مصبّه سوى خيط مائي صغير .

تظهر بدايات وادي البيرة على شكل شعاب صغيرة شرق مدينة الناصرة وبمرتفعاتها من علو يراوح بين ٣٢٠ و٤٥٠م عن سطح البحر . وتتجه جنوباً ثم جنوباً شرقياً فشرقاً ليطوّق جبل الطور من أطرافه الجنوبية ماراً بأطراف سهل مرج ابن عامر * في منطقة اكسال . ويعرف الوادي هنا باسم وادي الطور ، أو طابور أحياناً . ويتلقى وادي البيرة جنوب شرق الجبل المذكور رافداً هاماً يحمل إليه مياه منطقة غرب الصبيح ومياه عدة ينابيع منبثقة عند الحضيض الشرقي لجبل الطور . وينابع الوادي سيره نحو الجنوب

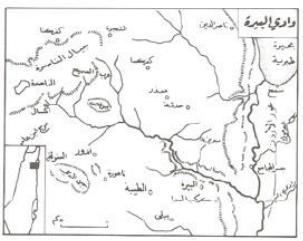

الشرقي متعمقاً في الضخور على امتداد خط صدع واضح المعالم يفصل بين صخور النيوجين الرسوبية وصخور الرباعي البركانية ـ الاندفاعية . وبعد قطع الوادي نحو ١٨ كم من بدايته يصبح مجراه تحت مستوى سطح البحر ، ويتعمق في وادي ضيق متعرج ذي محور جنوبي شرقي ، ثم يعود ويتخذ له عموراً شرقياً ـ جنوبياً شرقياً مساراً خط صدع آخر له المحور نفسه . ويمر الوادي شمال قرية البيرة * وكوكب الهوا * ، ويخرج من التلال * والمرتفعات المطلة على غور الأردن عند نقطة تعرف باسم الطاقة ليمر بعدها مسافة ٣ كم في منبسطات أرض الغور * ، ثم يصبّ في نهر الأردن على ارتفاع ٢٢٥م دون مستوى سطح البحر جنوب جسر المجامع * مقابل مصب وادي العرب القادم من مرتفعات شرقي الأردن بعد أن يكون قد قطع نحو ٤٠ كم .

تختلف أمطار حوض وادي البيرة في مجراه الأعلى عنها في المجرى

الأدنى . ففي حين تحوم كميانها السنوية في المرتفعات الغربية وأعالي الوادي حول ٤٠٠ ـ ٥٥٠ مم تنخفض في المحور الأدنى والمنخفضات الغورية إلى ٣٠٠ ـ ٣٥٠ مم . وفي الحالتين تسمح هذه الكميات من الأمطار بممارسة أعمال الزراعة * البعلية * فتزرع الحبوب بأنواعها المختلفة في أراضي القرى المنتشرة في حوض الوادي ، وتسمح كذلك بتربية الحيوانات في المراعي والأحراج المنتشرة في المجرى الأعلى والأوسط . أما زراعة الخضر والأشجار المثمرة فترتبط بالأجزاء التي تتوافر فيها مياه الري من الينابيع أو من مجرى الوادي المستمر الجريان حول جبل الطور وجنوبه الشرقي . وقد أقيمت عدة طواحين تعمل بقوة المياه في أجزاء متفرقة من الوادي .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الناصرة والجمعة
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

البيرو : ر : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

بيروت (مطار ـ) :

ر : الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت

بيروت (جمعية ـ الإصلاحية) :

رَ : اللامركزية الإدارية (حزب ـ العثماني)

بيروت (مؤتمر ـ ١٩٣٩) :

إمعاناً من الحكومة البريطانية في التهرب بوعودها لعرب فلسطين دعت في تشرين الثاني ١٩٣٨ إلى عقد مؤتمر في لندن للبحث في مستقبل فلسطين (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) . وحتى يتمكن الشعب الفلسطيني من اختيار ممثليه في هذا المؤتمر طالب بإطلاق سراح الزعماء المنفيين، كما أعرب عن ثقته بالحاج محمد أمين الحسيني * مفتي فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا * وردفائه .

أظهر الإنكليز مواقفهم على تلك المطالب فأعلنوا إطلاق سراح المنفيين ، لكنهم حظروا عليهم دخول فلسطين . وإزاء هذا الموقف اجتمع في مقر المفتي ببيروت من ١٢ إلى ١٩٣٩/١/١٥ الزعماء الفلسطينيون وأعضاء اللجنة العربية العليا وقرروا الموافقة مبدئياً على حضور المؤتمر . وبالرغم من أن المجتمعين كانوا لا يثقون بريطانيا ووعودها فقد أرادوا أن يعروا بمواقفهم على حضور المؤتمر عن أملهم في أن تكون الحكومة البريطانية جادة في إيجاد حل نهائي يكفل السلام ، ويعيد الطمأنينة إلى فلسطين ، ويضمن مطالب العرب المقررة في ميثاقهم القومي وهي : وحدة البلاد العربية واستقلالها ، ومقاومة الاستعمار بكل صيغه وأشكاله ، وإقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة .

تقرر أن تكوّن اللجنة العربية العليا بجميع أعضائها وفداً برئاسة المفتي . كما تقرر أيضاً أن تأخذ اللجنة على عاتقها مهمة أية مفاوضات حول فلسطين في الحاضر والمستقبل . وخُوّل الوفد أيضاً التنسيق مع ممثلي الحكومات العربية الذين قررت بريطانيا دعوتهم إلى المؤتمر . وتمّ أيضاً تسمية الأعضاء الذين سينوبون عن الوفد أثناء المحادثات مع الجانب البريطاني وهم : جمال الحسيني * ، وعوني عبد الهادي * ، ود. حسين فخري الخالدي * ، وألفرد روك * ، وموسى العلمي ، وأمين التميمي * ، وجورج أنطونيوس * ، ويكون الأخير سكرتيراً للوفد وفؤاد سابا مساعداً له .

المراجع :

ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، صيدا وبيروت ١٩٥٩ و ١٩٦٠ .
ـ خيرية قاسمية (إعداد) : عون عبد الهادي ، أوراق خاصة ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

بِيْرِيَا (قرية ـ) :

قرية عربية في ظاهر مدينة صفد * الشمالي . قامت على بقعة « بيري » الرومانية . وتفصل القرية عن مدينة صفد أراض زراعية مشجرة تخترقها طريق رئيسة تصل بين صفد والمدن والقرى الواقعة إلى الغرب منها . وتقع غربي بيريا قرية عين الزيتون * .

أقيمت هذه القرية الصغيرة على ارتفاع ٩٥٠م عن سطح البحر فوق السفوح الجنوبية لأحد التلال المرتفعة شمالي مدينة صفد بين جبل كنعان في الشرق وجبل صفد في الغرب . وتنفرج سفوح تلك التلال باتجاه الجنوب الشرقي حيث امتدت القرية

في حين حال الارتفاع الشديد والمنحدرات الوعرة دون امتداد القرية في الاتجاه الشمالي . ولم تتعد مساحة القرية ٢٥ دونماً .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للقرية ٥،٤٧٩ دونماً . يقع معظم الأراضي الزراعية في بيريا في المنطقة الجنوبية الشرقية من القرية ، وقد غرس الزيتون * في جزء منها مساحته ٣٠ دونماً ، وغرست أشجار الفاكهة في أجزاء أخرى . وتوجد بعض ينابيع الماء بجوار القرية كان يشرب منها السكان ويروون منها أحياناً بعض المزروعات . وقد عمل معظم سكان القرية في الزراعة * ، وكانوا يسوّقون إنتاجهم في مدينة صفد .

بلغ عدد سكان بيريا ١٢٨ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وارتفع إلى ١٦٠ نسمة في عام ١٩٣١ كانوا يقطنون في ٣٨ مسكناً . وقدر عددهم بنحو ٢٤٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وكان هؤلاء السكان يعتمدون على مدينة صفد في الحصول على الخدمات اللازمة لهم .

أقام الصهيونيون في أراضي بيريا عام ١٩٤٥ قلعة سموها « بيريا » ، ودمّروا القرية العربية في عام ١٩٤٨وشتتوا سكانها .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
– خريطة فلسطين . مقياس ١ : ١٠٠،٠٠٠ ، لوحة صفد .

بيرَيْن (قرية –) :

قرية عربية تقع إلى جنوب الجنوب الغربي لبير السبع * . كانت في عهد الأنباط * والرومان محطة على طرق القوافل التجارية التي تمر بفلسطين الجنوبية بين العقبة وبير السبع ، وكانت جماعات البدو المتجولين تسلك هذه الطرق مارة بالكنتلا وبيرين والعوجاء والخلصة وتتجه من بير السبع غرباً نحو غزة* ، وشمالاً نحو الخليل * .

نشأت بيرين منذ القديم غرب وادي بيرين أحد روافد وادي العوجاء الذي ينحدر نحو الشمال الغربي ليدخل سيناء ويتصل بوادي العريش . وكانت بيرين مدينة مزدهرة في العهد الروماني . ويذكر بعض الدارسين أن تسميتها جاءت من وجود بئرين للمياه في هذا الموقع في حين يعتقد آخرون أن القرية نسبت إلى قبيلة بيرين العربية التي نزلت هذه الديار قبل الإسلام .

وتحتوي بيرين على آثار متعددة لأبنية ولدوائر من الحجارة ، ولرجم من الصوان ،وعلى شقف فخار وبركة ماء من عهد الرومان . ولا شك في أن وجود المياه الجوفية في منطقة بيرين هو الذي ساعد على إعمار المنطقة واتخاذها محطة للقوافل وللجيوش .

ظلت بيرين طوال العهد الإسلامي محطة للقوافل التجارية . وبمراً لقبائل البدو المتجولة ما بين النقب * وسيناء . ومنذ أوائل القرن الحالي استقر بعض أفراد البدو من قبيلة العزازمة في هذا الموقع الأثري وأنشأوا فيه بيوتاً من اللَّبن إلى جانب بيوت الشعر . وقد جمعوا بين حرفتي الرعي * والزراعة * ، أو بين حياة البداوة والاستقرار . وأهم ما أنتجه هؤلاء الحبوب والبطيخ والشمام والقثاء ومنتجات الألبان . وفي عام ١٩٤٨ طمع الصهيونيون في هذا الموقع الحيوي الإستراتيجي فاعتدوا على القرية وطردوا سكانها ودمروا بيوتهم وأقاموا مستعمرة « عزوز » على أراضي بيرين عام ١٩٥٦ .

ونظراً لقرب بيرين من العوجاء ومن الحدود المصرية – الفلسطينية استخدمت نقطة انطلاق لتحرك القوات الصهيونية لاحتلال لم رشرش على خليج العقبة في عام ١٩٤٨ (ر : حرب ١٩٤٨) ، وللاعتداء على القوات المصرية المرابطة في موقع الصبحة بسيناء عام ١٩٥٥ ، وللتحرك لمهاجمة مصر خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ (ر : حرب ١٩٥٦) وخلال حرب ١٩٦٧ * وحرب ١٩٧٣ * .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٠٠،٠٠٠ .

بيسـان (مدينة –) :

مدينة عربية من أقدم مدن فلسطين وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي في ١٩٤٨/٥/١٢ (ر : بيسان ، معركة – ١٩٤٨) .

أ- الموقع : ساهم الموقع الجغرافي لبيسان مساهمة كبيرة في نشأتها الأولى لأنها نشأت فوق أقدام الحافة الغربية للغور * ، وفي سهل بيسان الذي يعدّ حلقة وصل بين وادي الأردن شرقاً وسهل مرج ابن عامر * غرباً . وتشرف المدينة على ممرّ ووادي جالود * إحدى البوابات الطبيعية الشرقية لسهل مرج ابن عامر ، وتشرف أيضاً على الأجزاء الشمالية من وادي الأردن . ولا غرابة إذا ارتبطت بيسان بشبكة هامة من طرق المواصلات . وقد جذب موقعها الأنظار فكانت محطة تتجمع فيها القوافل التي تسير بين الشام

ومصر . وكانت معبرا للغزوات الحربية بينهما أيضا . وكثيرا ما تعرضت لهجمات البدو المستمرة من الشرق . وكانت تتصدّى فيه الهجمات من خلال موقعها كحارس على خط الدفاع الأول عن المناطق الزراعية الخصيبة في سهل مرج ابن عامر والسهل الساحل لفلسطين . واستطاعت بيسان بمرور الزمن أن تغري كثيرا من التجار والغزاة بالاستقرار فيها .

وإذا كانت الطرق * قد ساهمت في نشأة بيسان الأولى فإن المدينة اصبحت فيما بعد مسايرة رئيساً في جذب الطرق إليها . وغدت متصلة بالأقاليم المجاورة بشبكة حيوية من الطرق الهامة . فالطريق المعبدة التي تسير بمحاذاة الغور الغربية تربط بيسان بطبرية * على بعد ٣٨ كم في الشمال . وتصلها بالقدس * في الجنوب طريق أخرى تمر بأريحا * طولها ١٢٧ كم . وتخرج من بيسان طريق معبدة ثالثة تسير في سهل مرج ابن عامر إلى العفولة * على بعد ٢٧ كم وتمتد حتى حيفا * على بعد ٧١ كم . وتتفرع منها طريقان إحداهما تسير نحو الشمال إلى الناصرة * (٤١ كم) ، والثانية تتجه نحو الجنوب إلى جنين * (٣٣ كم) ، وإلى نابلس * (٧٦ كم) . وتتصل بيسان بالأردن وسورية بطرق معبدة تتجه شرقا لتقطع نهر الأردن * عند جسر الشيخ حسين (٧,٥ كم) وجسر دامية في الجنوب (٥١ كم) وجسر المجامع شمالا (١٧ كم) . وتقع بيسان عند الكيلومتر ٥٩ من خط سكة حديد حيفا ـ درعا ، ويبدأ الخط الحديدي تتصل بيسان بسمخ * على الشاطىء الجنوبي الشرقي لبحيرة طبرية * (٢٧ كم) ومن ثم تتصل بدرعا ودمشق .

طرأ تحوّل على التوجه الجغرافي لحركة المواصلات بين بيسان والمناطق المجاورة إثر حرب ١٩٤٨ * ، إذ لم يعد موقع بيسان الجغرافي موقعا مركزيا متوسطا كما كان في السابق ، بل أصبح موقعا هامشياً تقريباً بعد استيلاء الصهيونيين عليها وتعيين خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ (ز : الهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل ، اتفاقية) .

ب ـ الموضع : يجمع الموضع الحالي لبيسان بين مواضع قديمة وأخرى حديثة . أما المواضع القديمة فتتمثل في الخرائب القديمة التي تشتمل عليها بعض التلال المحيطة ببيسان . ففي الجهة الشمالية من بيسان يوجد تل الحصن (ـ ١٧٥ م) ، وتل المصطبة (ـ ١٥٠ م) . وفي الجهة الشمالية الغربية يحيط بالمدينة تل الحسر (ـ ١٢٠ م) ، وتل بصول (ـ ١١٠ م) ، وتل نوميس (ـ ١١٠ م) . وتل الزهرة (ـ ٩٥ م) . وتشتمل هذه الخرائب على بقايا الأبنية السكنية والمقابر وأماكن العبادة والمسارح والمدافن والأسوار .

أما الموضع الحديث للمدينة فإنه يقوم أيضاً على هضبة صغيرة (ـ ١٥٠ م) تمتد في الغور جنوبي نهر جالود . وتجدر الإشارة إلى أن الموضعين القديم والحديث لبيسان يقومان على تلال من الأرض ترتفع عمّا حولها من الأراضي المنبسطة داخل غور بيسان . ويعود السبب في ذلك إلى الرغبة في تحاشي أخطار فيضان نهر جالود والابتعاد عن المستنقعات * من جهة ، وإلى استغلال الأراضي المنبسطة في الزراعة من جهة أخرى . ولعل انتقال الموضع من الشمال إلى الجنوب استهدف في الأصل درء أخطار الفيضانات والأوبئة عن المدينة ، والاستفادة من الأراضي الغورية المجاورة لنهر جالود وفتوانه في الزراعة .

نشأت بيسان فوق موضعها الحديث نسبيا في أوائل القرن التاسع عشر . واقتصرت أماكن مبانيها في بداية الأمر على سطح هضبة بيسان التي تقل أحد المدرجات البحيرية للبحيرة الأردنية القديمة . ثم امتد موضع بيسان نتيجة تطور نموها العمراني بعدئذ فضم أجزاء من أقدام الحافة الغربية للغور وأجزاء من أراضي الغور المنبسطة . وتنحدر أرض بيسان بصفة عامة من الغرب إلى الشرق ، ويجري نهر جالود أحد روافد نهر الأردن شمالي بيسان ، ويمرّ بين تلّي الحصن والمصطبة ، كما أنه يحدّي بعض برك الأسماك * بالمياه تفرع له نهر من جنوب بيسان . وتكثر العيون المائية (ز : عيون الماء) حول المدينة ، وهي تساهم مع مياه نهر جالود وفروعه في ري الأراضي الزراعية المجاورة .

جـ ـ المناخ * : يتأثر مناخ بيسان بموقع المدينة في الغور حيث تنخفض أكثر من ١٥٠ م عن سطح البحر . ويتأثر أيضاً بمواجهة بيسان لفتحة سهل مرج ابن عامر الطبيعية تتصلها مؤثرات البحر

المتوسط . يبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في بيسان نحو ٢١ ، ويبلغ معدل الرطوبة النسبية نحو ٥٨٪ . وتخفف نسبة الرطوبة القليلة من حدة ارتفاع درجة الحرارة ، ولا سيما في فصل الصيف عندما يرتفع متوسط درجة الحرارة العظمى إلى ٢٩° ، ويتدنى معدل الرطوبة النسبية إلى ما يقرب من ٥٠٪ . أما في الشتاء فإن متوسط درجة الحرارة الصغرى يبلغ نحو ١٤° ، وقد تهبط أدنى درجة حرارة في شهر كانون الثاني إلى الصفر ، مما يضرّ بالمحاصيل الزراعية .

بلغ متوسط كمية الأمطار السنوية الهاطلة على بيسان بين عامي ١٩٠١ و١٩٤٠ نحو ٣٠٥ مم . وتكفي هذه الكمية من الأمطار لقيام الزراعة * في إقليم بيسان لولا أنها غير منتظمة . ففي موسم ١٩٢٧/١٩٢٨ كانت كمية الأمطار ١٤٩,٥ مم ، وارتفعت إلى ٥١٤,٤ مم في موسم ١٩٤٢/١٩٤٣ . ويسبب هذا التغير قلما مستمرا عند مزارعي المنطقة . لكن اعتماد مساحات واسعة من الأراضي الزراعية على الري يخفف من وطأة المشكلة .

وتتأثر مدينة بيسان باندفاع الرياح القادمة من الغرب نحوها ، ويسبب هذا الاندفاع من المرتفعات نحو المدينة انضغاط الهواء ، وارتفاع درجة حرارة الجو ، وإثارة الروابع والأتربة ، خاصة بعد الظهر حين تكون الأنسام القادمة من البحر المتوسط قد وصلت إلى منطقة غور بيسان . وتتأثر المدينة أيضاً ببعض الموجات الحارّة في فصل الربيع عندما تهب عليها رياح جنوبية شرقية محملة بالأتربة . أما الموجات الباردة فإنها تحدث أحيانا نتيجة هبوب رياح شمالية باردة .

د ـ النشأة والتدرج : يرجع شأن بيسان إلى عصور ما قبل التاريخ ، أي إلى أكثر من ستة آلاف سنة قبل الميلاد (رَ : العصور القديمة) . عثر في العهود الكنعانية اسم بيت شان ، وقد يعني هذا الاسم بيت الإله شان أو بيت السكون ، وقد أخذ اليهود من الكنعانيين التسمية . وبيسان ذات أهمية تجارية وعسكرية وزراعية لموقعها على الطريق العام الذي يصلها بشرق الأردن وحوران ودمشق ، ولوجودها في غور خصب تتوفر فيه المياه ، ويزرع فيه النخيل والقطن والحبوب وغيرها .

استولى المصريون على بيت شان حوالي عام ١٤٧٩ ق.م. بقيادة تحتمس الثالث * ، وبقيت في قبضتهم ردحا طويلا من الزمن حتى أيام رعمسيس الثالث عام ١١٩٨ ق.م. ولم يستطع اليهود ضمّها رغم محاولاتهم المتكررة . وعلى أسوارها سمّر الفلسطيّون * جسد شاول وأولاده بعد قتلهم عام ١٠٠٤ ق . م . في معركة جلبوع التي حدثت بين الفلسطين واليهود . أطلق اليونانيون على بيسان اسم مدينة السكيثيين *Schythopolis* لأن (السكيث) احتلوها حوالي عام ٦٠٠ ق . م . واستوطنوها ، وهم قبائل من الفرسان المحاربين الذين قدموا من الشمال واستعملهم الفرس الأخمينيون في حروبهم بعد إخضاعهم . وفي العصر الهلنستي * كانت بيسان (سكيثوبولس) من أهم المدن الفلسطينية التي انتشرت بها المدنية اليونانية . وفي العهد الروماني استمرت أهمية بيسان فكانت زعيمة المدن العشر* (ديكابولس)، وأصبحت مركزا تجاريا هاما تمرّ القوافل التجارية بنها في طريقها إلى الأردن . ولا تزال شواهد هذا الازدهار ماثلة في بيسان حيث توجد بقايا مدرج روماني قائمة في تل الحصن ، ولا تزال قناطر الجسر الروماني فوق سيل الجالود (نهر جالود *) .وأصبحت بيسان في العهد البيزنطي عام ٣٢٥ م ، مركزاً لأبرشية كان لممثلها في مجمع نيقية الديني دور بارز . ومن آثار هذا العهد التي لا تزال قائمة دير يتألف من ثلاث غرف .

وبيسان من أوائل المدن الهامة التي فتحها العرب .

ففي أواخر عام ١٣هـ/٦٣٤م حاصر المدينة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة* وفتحاها صلحا. وفي رواية أن شرحبيل هو الذي فتحها وحده بعد أن حاصرها أياماً، ولمّا خرج بعض من فيها لقتال المسلمين قاتلهم وهزمهم ففتحت أبوابها لفرسان المسلمين . وكان لصلح بيسان طابع خاص ، فبالإضافة إلى فرض الجزية على رؤوس أهلها والعين (المحصول) على الأرض كان المسلمون يشاطرون أهلها المنازل فيجتمع أهلها في نصف المدينة ويترك النصف الآخر للمسلمين ، كذلك حدد موضع المسجد للمسلمين .

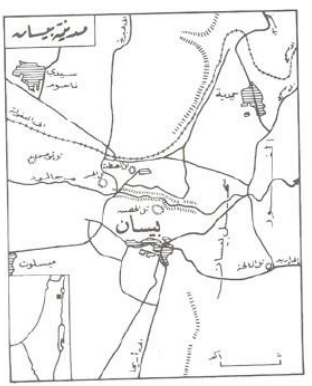

ومثل ذلك كان من شروط صلح المسلمين في دمشق . وقد بقيت لبيسان شهرة خاصة في تاريخ المسلمين بسبب وجود قبر الصحابي الكبير أبي عبيدة بن الجرّاح قائد فتوح الشام فيها ، وربما يكون فيها أيضا قبر شرحبيل بن حسنة ، ركلاهما توفي في طاعون عمواس المشهور في ١٨هـ/٦٣٩م . تردّد ذكر بيسان على لسان كثير من الجغرافيين العرب نظراً لأهميتها فذكرها ابن خرداذبه في كتابه « المسالك والممالك » بقوله : « كورة من كور الأردن ، وهي على الطريق المؤدية من دمشق إلى الرملة ، تقع بين طبرية والمحون » . وذكرها المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » فقال : « بيسان على النهر كثيرة النخل ، وأرزاز فلسطين والأردن منها ، غزيرة المياه رحبة ، إلاّ أن ماءها ثقيل » . ووصفها الوزير الفقيه أبو عبيد بن عبد العزيز البكري الأندلسي (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤ م) بقوله « بيسان موضعان أحدهما بالشام تنسب إليها الخمر الطيبة ، والثانية بالحجاز » . ويذكرها ياقوت في معجمه « بيسان مدينة بالأردن بالغور الشامي ، ويقال هي لسان الأرض ، وهي بين حوران وفلسطين ، وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة ، وهي عين فيها مليحة يسيرة » .

وتحدث عنها الإدريسي (المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٥ م) بقوله : « أما بيسان فمدينة صغيرة جداً بها نخل كثير ، وبنيت فيها الساقان التي تعمل منه الحصر السافانية ، ولا يوجد ناتئه إلاّ بها وليس في سائر الشام نمي ء منه » .

أما الهروي (المتوفى سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠ م) فيقول : « مدينة بيسان قيل بها جامع بنسب إلى عمر بن الخطاب " ، وبها عين الفلوس قيل هي من جملة العيون الأربع » .

عندما تعرضت بلاد المشرق العربي إلى الهجمة الصليبية خضعت بيسان للإفرنج (رَ : الفرنجة) بعد اختلالهم مدينة القدس . ولكن استطاع العرب استردادها بعد معركة حطين " عام ٥٨٣هـ/١١٨٧ م . وفي عام ٦١٢هـ/١٢١٧ م أعاد الإفرنج احتلال بيسان مرة ثانية (رَ : الفرنجة) .

ومن الحوادث الهامة التي ارتبطت بيسان بها في العهد المملوكي أنه بعد موقعة عين جالوت " تتبع الجنود المنتصرة أثر التتار " حتى تلاقوا بهم مرة أخرى في بيسان فكانت موقعة دموية قتل فيها الكثير من التتار وغنم المنتصرون غنائم وافرة . ومنها أن معركة كبيرة حدثت بين المماليك " بقيادة جان بردي الغزالي والجيش العثماني بقيادة سنان باشا انتهت بانكسار المماليك وسقوط بيسان ومنطقتها بأيدي العثمانيين . وفي عام ١٨١٢ م مرّ الرحالة بوركهارت بمدينة بيسان ووصفها بما يلي : « إن بيسان تقع على أرض مرتفعة من الجانب الغربي من النهر حيث تنحدر سلسلة الجبال المتاخمة للوادي إلى حدّ كبير وتكوّن أرضا مرتفعة مكشوفة تماما . كانت المدينة القديمة تروى من نهر يدعى الآن ماء بيسان ، وهو يجري في فروع مختلفة باتجاه السهل . تمتد حرائب بيسان إلى مدى واسع والبلدة على طول ضفاف الجدول وفي الأودية التي تشكلها فروعه المتعددة . تضم قرية بيسان الحالية سبعين بيتا أو ثمانين وسكانها في حالة بؤس شديد وذلك بسبب تعرضهم لأعمال السلب التي يقوم بها عرب الغور رغم أن السكان يدفعون لهم إتاوة فاحشة » .

يبدو أن بيسان عادت إلى الانتعاش والاتساع مرّة أخرى في الربع الأول من القرن العشرين ، ويقول صاحب كتاب « ولاية بيروت » عن بيسان في الفترة ما بين ١٩١٤ و١٩١٨ : " يقدّر عدد بيوت بيسان بحوالي ٦٠٠ بيت منها عشرون أو خمسة وعشرون للمسيحيين ، و١٥ لليهود فقط ، والباقي للمسلمين " .

هـ ـ التنقيبات الأثرية : هنالك بعض المواقع الأثرية بالقرب من بيسان منها تل الجسر ، وخان الأحمر ، وتل المصطبة ، وتل الحصن وهو موقع بيسان القديمة (رَ : الحروب والأماكن الأثرية) . وقد كانت التنقيبات الأثرية في تل الحصن من أوائل التنقيبات الأثرية بفلسطين . تولت هذه التنقيبات جامعة بنسلفانيا . وقد بدأت في عام ١٩٢٢ واستمرت حتى عام ١٩٣٣ ، وكانت على فترتين ، الفترة الأولى من ١٩٢٢ ـ ١٩٢٦ بإشراف فيشر ومشاركة آلن رو والفترة الثانية من ١٩٢٧ ـ ١٩٣٣ وكانت بإشراف آلن رو أولا ، ومنذ عام ١٩٣٠ بإشراف فيتزجيرالد ، وقد تركز جزء كبير من التنقيبات الأثرية في البداية على قمة التل ، إذ تبيّن أنها تضم معابد منذ العصر البرونزي الوسيط (رَ : العصور القديمة) حتى العصر البيزنطي . وعثر في السويات السبع الأولى التي تمّ الكشف عنها في الفترة الأولى من التنقيبات على أربعة معابد كنعانية معاصرة لحكم أمينوفيس الثالث وسيتي الأول ورعمسيس الثاني والثالث ، ومثل كنيسة بيزنطية . أمكن من خلال فصل التنقيبات الأثرية تمييز ثماني عشرة سوية عثر فيها على الكثير من اللقى الأثرية إلى جانب المنشآت المعمارية .

من هذه اللقى ختم بابلي أسطواني عليه كتابة مسمارية ، ونصب من الحجر الأبيض يمثل الرب رشف ، ونصب بازلتي يمثل صراعا بين الأسد والليبوة ، ونموذج لبيت طيني وتوابيت فخارية ومداق من كل العصور ، وعثر بين أنقاض الكنيسة على حليّ ذهبية مختلفة منها سلسلة وصفائح وأساور ، ومنها مبخرة من البرونز و١٠ قطع نقود . وعليه يمكن القول انه من خلال التنقيبات الأثرية أمكن التعرف على أن بيسان سكنت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد حتى العهد العربي (رَ : الحروب والأماكن الأثرية) .

ز ـ بيسان الحديثة : تطورت بيسان بعد أن مدّ عام ١٩٠٥ خط سكة حديد حيفا ـ درعا الذي يمر من شمال المدينة (ر : السكك الحديدية) . ومسار تمو السكان جنبا إلى جنب مع نموّ العمران ، فقد زاد عدد السكان نتيجة لاستقرار بعض البدو والتجار في المدينة ، إلى جانب الزيادة الطبيعية للسكان الأصليين ، ووصل في عام ١٩١٤ إلى أكثر من ١,٠٠٠ نسمة . أما العمران فنيا بسبب اهتمام المسؤولين الأتراك قبل الحرب العالمية الأولى بتنظيم سوق المدينة ومبانيها ، وقدّر مجموع بيوت بيسان خلال الحرب المذكورة بنحو ٦٠٠ بيت . وجنح امتداد المباني للابتعاد قليلا عن نهر جالود وفروعه والاقتراب من أراضي الغور .

بدأت المدينة تزدهر في عهد الانتداب البريطاني لأهمية موقعها وموضعها ولاختيارها مركزا إداريا لقضاء بيسان . وعُجِّل ذلك في ازدياد سكان المدينة من ١,٩١٤ نسمة (منهم ٤١ يهوديا فقط) عام ١٩٢٢ إلى ٣,١٠١ نسمة (منهم ٨٨ يهوديا) عام ١٩٣١ ، وإلى ٥,١٨٠ نسمة (منهم ٢٠ يهوديا فقط) عام ١٩٤٥ . وتطورت المدينة عمرانيا نتيجة إنشاء بلدية فيها ، وقام المجلس البلدي بتعبيد شوارع بيسان ، وغرس فيها أشجار الكينا ، وحفف الكثير من مستنقعاتها ليدرأ أخطار مرض الملاريا . ومما يؤكد اهتمام المجلس البلدي بتطوير بيسان زيادة نفقات البلدية من ١,٦٥٣ جنيهاً فلسطينيا عام ١٩٢٧ إلى ٨,٠٧٦ ج. ف. عام ١٩٤٤ ، وزيادة عدد رخص البناء الممنوحة للسكان من ٤٣ رخصة بناء عام ١٩٣٢ إلى ٦٢ رخصة عام ١٩٤٠ .

وقيم في بيسان مستوصف بلغ عدد الذين تردّدوا عليه للعلاج عام ١٩٤٤ نحو ٦,٧٧١ شخصا منهم ١,٢١٨ مصابا بالملاريا ، و١,٨٧٣ مصابا بأمراض العيون . ونجدر الإشارة إلى أن المستشفيات الواسعة والمناخ الحار السائد في بيسان ، وهبوب العواصف الترابية على المدينة بعد الظهر في كثير من أيام السنة ، كانت الأسباب الرئيسة لانتشار مرض الملاريا وأمراض العيون .

تطور التعليم في بيسان فبلغ عدد طلاب مدارس الحكومة في العام الدراسي ١٩٤٢/١٩٤٣ نحو ٣٦٦ طالبا ، وعدد الطالبات ٢١٣ طالبة .

كان يوم ١٩٤٨/٥/١٢ يوما أسود في حياة بيسان عندما استولى الصهيونيون على المدينة وطردوا سكانها العرب الآمنين من ديارهم . وظلّت بيسان مدينة مهجورة طول عام كامل قامت سلطات الاحتلال خلاله بتدميرها وهدم بيوتها ، ثم أعادت بناء المدينة بعد أن غيّرت معالمها الأثرية والتاريخية ، ووطنت مئات العائلات الصهيونية فيها . وقد زاد عدد السكان الصهيونيين فيها من ١,٢٠٠ صهيوني عام ١٩٥٠ إلى ١٠,٠٥٠ عام ١٩٦١ ، وإلى ١٢,٨٠٠ في عام ١٩٦٦ ، وإلى ١٣,٥٠٠ عام ١٩٦٨ . أحدث تغير من السكان منذ بداية السبعينات يهاجرون من المدينة لسوء الأحوال الاقتصادية فيها . ونصف سكان بيسان حاليا هم صهيونيون مهاجرون من شمال إفريقيا معظمهم من مصر والمغرب ونحو ٣٠٪ من السكان صهيونيون قدموا من أقطار عربية وإسلامية كإيران والعراق وتركيا . أما باقي الصهيونيين فقد قدموا من أوربا أو ولدوا في فلسطين .

أنشئت في مدينة بيسان عام ١٩٦٣ مشاريع لجذب السائحين إليها ، فأقيم متحف للآثار ، وأعيد بناء المدرج الروماني القديم ، وأنشئت برك لتربية الأسماك في الجهتين الغربية والشرقية من المدينة تستمد مياهها من أحد فروع نهر جالود المارة بجنوب المدينة . وفي بيسان مولّد كهربائي ، ومضخة مياه رئيسة ، ومصانع للمنسوج والمعادن واللدائن (البلاستيك) ومصفى الألماس والآلات الكهربائية . بالإضافة إلى مطار صغير على بعد ٣ كم شمالي بيسان .

ز ـ وظائف بيسان : كانت الوظيفة الحربية داعي وجود بيسان القديمة التي قامت في موضع تل الحصن ، ثم أضيفت إليها الوظيفتان التجارية والزراعية في العهدين الروماني والإسلامي . وفي عهد الانتداب البريطاني كانت بيسان تجمع بين الوظائف الإدارية والتعليمية والزراعية والتجارية والصناعية ، وبقيت على هذه الحال في عهد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة .

١) الوظيفة الإدارية : كانت بيسان مركزا لناحية من نواحي قضاء جنين في زمن الأتراك ، ثم جُعلت مركزاً لقضاء من أقضية لواء نابلس في أوائل العهد البريطاني ، وبعد قليل أُلحقت بلواء الخليل (ر : الإدارة) . وقد ضمّ قضاء بيسان في أواخر الانتداب البريطاني مدينة بيسان وثلاثين قرية ، وفيها مضارب القبائل . وكان سكان القضاء الذين قدّر عددهم بنحو ٢٣,٥٩٠ نسمة في عام ١٩٤٥ يعتمدون على مدينة بيسان كمركز إداري يشتمل على مختلف الدوائر الحكومية المختصة .

٢) الوظيفة التعليمية : ضمّت بيسان مدرستين للبنين والبنات، وفي عام ١٩٤٥/١٩٤٦ أحدث في مدرسة البنين صف ثانوي زراعي أول . وكان الطلبة يفدون على هاتين المدرستين من القرى المجاورة .

٣) الوظيفة الزراعية : كانت بيسان مدينة زراعية في الدرجة الأولى لوقوعها في قلب سهل بيسان حيث تتوافر المياه وتتبسط الأرض وتخصب التربة . وكانت أهم المحاصيل الزراعية في قضاء بيسان عام ١٩٤٤ الحنطة (٢,٢١٤ طنا) ، والشعير (٢,٣٩٤ طنا) ، والعدس (١٨٥ طنا) ، والفول (٦٥ طنا) ، والحمّص

(٦٨ طنا) ، والذرة (٣١٤ طنا) ، والسمسم (٢٧٨ طنا) ، والزيتون * (١٢٠ طنا) ، والبطيخ (٢٢٣ طنا) ، والعنب * (٩٢٨ طنا) ، والخضر * (٧,٥٣٢ طنا) . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة الأراضي الزراعية المغروسة حمضيات * حول بيسان ١,٦١٧ دونما ، وأراضي الموز * ٤٨ دونما .

٤) الوظيفة التجارية : شجع الموقع الجغرافي لبيسان عند نقطة انقطاع بيئة غوريرة في الشرق وجلية في الغرب على ممارسة التجارة . وزاد في أهمية الوظيفة التجارية إنشاء محطة السكة الحديدية في الطرف الشمالي من بيسان ، ومرور الطرق المعبدة الرئيسة من قلب المدينة . وتجدر الإشارة إلى أن الطريق الطولية لوادي الأردن تتقاطع مع الطريق العرضية التي تربط وادي الأردن بالسهل الساحلي بشكل متعامد في قلب بيسان حيث تمتد السوق الرئيسة للمدينة .

وكانت سوق بيسان تعجّ بالحركة التجارية ، ويجد فيها سكان القرى المجاورة جميع ما يطلبون ، ويبيعون فيها ما يجلبونه معهم من منتجات زراعية وحيوانية . إنّ سهولة المواصلات ، وارتباط بيسان بهذه القرى من جهة ، وبالمناطق المجاورة في الجليل وسهل مرج ابن عامر وجنين من جهة ثانية ، جعلا التجارة مزدهرة ، وأعطيا بعدا اقتصاديا هاما لبيسان .

٥) الوظيفة الصناعية : اقتصرت الصناعة * في بيسان على الصناعات التقليدية الخفيفة كمنتجات الألبان ، وطحن الحبوب ، وعصر الزيتون ، والتمر ، والحصير ، والشعر ، والوبر ، والصوف ، وتجفيف الفواكه . ثم تطورت الصناعة حاليا إلى صناعات النسيج * واللدائن * (البلاستيك) والمعادن * والآلات الكهربائية .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- محمود العابدي : الحفريات الأثرية في فلسطين خلال المدة الواقعة بين ١٩٠٠ و١٩٥٩ ، عمان ١٩٦٢ .
- أحد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٣ .
- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
- ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - لبنان وسورية وفلسطين ، دمشق ١٩٦٣ .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مصر ١٩٠٦ .
- صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، مصر ١٩٥٤ .
- أحد عطية : القاموس الإسلامي ، مصر ١٩٦٣ .
- الهروي : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، دمشق ١٩٥٣ .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .
- بركهارت ، وياد توديتش : رحلات بيرتهارت ، ج٢ (مترجم) ، عمان ١٩٩١ .
- قسطنطين خار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .
- التميمي والكاتب : ولاية بيروت - القسم الجنوبي ، بيروت ١٣٣٥هـ .
- الوقائع الفلسطينية : العدد الممتاز ١٣٧٥ ، الملحق رقم ٢ ، القدس ١٩٤٤/١١/٢٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحتا بيسان وزرعين .
- البلاذري : فتوح البلدان ، ١٩٥٩ .
- Albright W.F.: **The Archaeology of Palestine**, London 1960.
- Barrois, A.G.: **Manuel D'Archeologie Biblique**, T.I. Paris 1939.
- **Encyclopedia Britanaica** (Beth-Shan) 1970.
- **Ency. de L'Islam** (art Baisan et I ed.
- **Illustrated Dictionary of Archaeology** 1977.
- Le Strange: **Palestine under the Moslems**, London 1980.
- Olmstead, A.T.: **History of Palestine and Syria**, New York 1939.
- Rowe A.: **Beth-Shan Topography and History**, Philadelphia 1930.

بيسان (عملية - ١٩٧٤) :

واحدة من العمليات الانتحارية التي نفّذتها الثورة الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة . ففي ١٩٧٤/١١/١٩ قامت مجموعة الشهيد صقر عبد العزيز من قوات الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * بتنفيذ عملية الشهيدة منتهى الحواري التي استشهدت

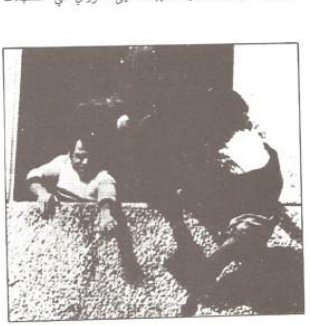

تحت جنازير الدبابات الإسرائيلية في مدينة جنين * بالضفة الغربية المحتلة .

اقتحمت المجموعة مبنى يقطنه ضباط من الاستخبارات الإسرائيلية مع عائلاتهم في مدينة بيسان " جنوبي بحيرة طبرية " ، واحتجزت من فيه رهائن ، وطالبت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بإطلاق سراح ١٤ مناضلاً من السجون الإسرائيلية " مقابل حياة الرهائن .

وعلى أثر اقتحام المبنى أطلقت صفارات الإنذار وهرع الإسرائيليون إلى الملاجىء ، وأغلقت المدارس ، وتوقف العمل في المدينة .

وجرياً على عادة السلطات الإسرائيلية برفض مطالب الفدائيين قامت القوات الإسرائيلية بتعزيز قواتها في المدينة ، وشنّت هجوماً على المبنى ، ودارت معركة عنيفة مع الفدائيين الذين نفذوا إنذارهم وفجّروا أنفسهم مع الرهائن بعد أن نفدت ذخائرهم .

أسفرت عملية بيسان عن مقتل وجرح الرهائن الإسرائيليين ، واعترفت السلطات الإسرائيلية بمقتل ثلاثة رهائن وجرح ١٩ آخرين . واستشهد الفدائيون الثلاثة .

وإثر انتهاء العملية أقدمت السلطات الاسرائيلية على رمي جثث الفدائيين إلى الشارع العام أمام المبنى حيث تظاهر الإسرائيليون وصمدوا إلى احراق جثث الفدائيين وتقطيعها بالسكاكين وركلها بالأقدام .

وقد عرض التلفزيون البريطاني نبأ عن عملية إحراق جثث الفدائيين أثار استياء شديداً لدى ملايين المشاهدين . كذلك تم عرض الفيلم في التلفزيون السويسري الذي أوقف عرض الفيلم بعد ست دقائق من بدايته بناء على طلب المشاهدين لأنه يذكّر بجرائم النازية .

المراجع :

– اليوميات الفلسطينية : المجلد ٢٠ ، بيروت .
– « الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤ » ، بيروت .

بيسان (معركة – ١٩٤٨) :

تنفيذاً للخطة دال " التي وضعتها قيادة الهاغاناه " وتبنتها الوكالة اليهودية " بدأت القوات الصهيونية منذ أوائل شهر نيسان ١٩٤٨ تنفيذ عمليات هجومية بهدف احتلال أكبر عدد ممكن من القرى والمدن العربية قبل جلاء القوات البريطانية عن فلسطين ، وذلك لتحسين مواقعها ، ولبسط سيطرتها على أكبر مساحة ممكنة من فلسطين بالإضافة إلى متابعة الضغط على العرب لإجبارهم على النزوح عن فلسطين . وضمن إطار هذه الخطة شنت قوات الهاغاناه هجوماً قوياً على بيسان " فجر يوم ١٩٤٨/٥/١ .

بدأت العملية بأن تسللت قوة من ٣٠٠ مقاتل من رجال الهاغاناه تحت جنح الظلام وانقضت فجأة على تل الحصن القريب من بيسان واحتلته في الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل . ومن هناك أخذت تقصف بيسان بالقنابل تمهيداً للهجوم الذي بدأ مع فجر ١٩٤٨/٥/١٢ .

وكانت حامية بيسان العربية مؤلفة من خمسة وسبعين أردنياً وحوالي مائة فلسطيني بقيادة توفيق التهنموني . ولم يكن بين أيديهم من السلاح سوى البنادق العادية وعدد غير كثير من الذخيرة . وما إن بدأ القصف على البلدة حتى هب المناضلون للدفاع عنها وتمكنوا من التصدي للموجة الأولى من الهجوم بنجاح . ولكن الصهيونيين كرروا الهجوم من اتجاهات مختلفة وبكثافة كبيرة بالإضافة إلى كونهم مسلحين بالبنادق الآلية والرشاشات تدعمهم نيران مدافع الهاون . واستمرت المعركة ثلاث ساعات كاملة نفدت بعدها ذخيرة المناضلين فدخل الصهيونيون البلدة ، وسقطت بيسان بأيديهم فقاموا فوراً بجمع أسلحة المناضلين وبحكمون سيطرتهم على البلدة .

وقد أبلغ قائد الهجوم سكان بيسان أن بإمكانهم البقاء في منازلهم وبلدتهم على ألاّ يبدوا أي مقاومة . فبقي سكانها جميعاً متمسكين بأرضهم . وبعد شهر واحد طُلب من الجميع مغادرة البلدة خلال فترة قصيرة من الزمن ، فنزح بعض السكان عنها فوراً في حين أصرّ عدد كبير من السكان على البقاء فوضعتهم السلطات الصهيونية في عربات نقل حملتهم بقوة السلاح إلى الحدود السورية .

المرجع :

– عارف العارف . النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .

بيسان (واقعة –) : ر : نحل (واقعة –)

البيساني : ر : عبد الرحيم بن علي

بَيْسَمُون (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في سهل الحولة * في الشمال الشرقي من مدينة صفد * على حافة مستنقعات * الحولة الغربية ، وفي ظاهر قرية الملاحة * الشمالي، وعلى بعد ٣ كم إلى الجنوب من قرية جاحولا * . تمر إلى الغرب منها طريق طبرية ـ المطلة التي تتفرع منها طريق ثانوية غير معبدة إلى الشمال من قرية عرب زبيد ، وثم بقرية الملاحة ثم بيسمون لتعود وتلتقي مرة أخرى بالطريق الرئيسة المذكورة .

أقيمت القرية على السفح الجنوبي لتل يرتفع ٧٥ م عن سطح البحر . وتوجد بعض الينابيع والعيون إلى الغرب من القرية ، وتمر بظاهرها الشرقي وادي عمروس الذي كان ينتهي في بحيرة الحولة * . امتدت مباني القرية على طول الطريق التي تربطها بالطريق الرئيسة باتجاه شمالي غربي ـ جنوبي شرقي ، ومبانيها مبعثرة غير منتظمة ، وتجمع بعضها حول نبع للماء جنوبي القرية .

مساحة الأراضي التابعة للقرية ٢,١٠٢ دونماً منها ٤٥ دونماً للطرق * والأودية . وقد غرست أشجار الخضيات * في بعض الأراضي في ظاهر القرية الشمالي . وتحيط أراضي امتياز الحولة والملاحة وعرب زبيد والنبي يوشع * وأراضي خربة الهراوي * بأراضي بيسمون .

يرجع سكان القرية في أصولهم إلى عرب الحمدون ، وقد بلغ عددهم ٤١ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وارتفع هذا العدد إلى ٥٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وكانوا يقطنون آنذاك في ١١ مسكناً . ثم انخفض هذا العدد إلى ٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . ونشئت سكان القرية بعد تدمير الصهيونيين قريتهم في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الحولة .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة صفد .

البيـــض : ز : الطيـــور الأليـفة

بيغـن (مشـروع ـ) : ز : كـاب ديفيد

بيڤن (مشـروع ـ) :

بينما كانت المفاوضات جارية مع اللجنة العربية العليا لفلسطين * والوكالة اليهودية * في إنكلترا في إطار مؤتمر لندن * تقدم الوفد البريطاني في ١٩٤٧/٢/٧ بوثيقة فيها مقترحات جديدة ضمن ما عرف بمشروع بيڤن وزير الخارجية العمالي .

تحدث المشروع عن فشل بريطانيا في محاولتها خلق التعاون بين اليهود والعرب ، واعترف بأن الوقت قد حان للبدء بإقامة حكم ذاتي . وقد مثل المشروع آخر محاولة لإطالة أمد الحكم البريطاني عن فلسطين . وهو يقوم على وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية لمدة خمسة أعوام لإعدادها للاستقلال في دولة موحدة ذات حكومة مركزية . ويزاول السكان خلال المدة المذكورة نوعاً من الحكم الذاتي في مناطق تحدد حسب أكثرية العرب أو اليهود فيها . أما بالنسبة إلى الأقليات في هذه المناطق المحددة فيضمن المندوب السامي البريطاني لها حرية العبادة واتباع محاكم منفصلة للأحوال الشخصية ، وإقامة معاهد تعليمية خاصة واستعمال اللغة القومية والتمثيل في المجالس المحلية التشريعية والحصول على حصة مناسبة في الوظائف العامة . وتترك إقرار نقل الملكية الزراعية إلى السلطات المحلية .

وحدد المشروع حجم الهجرة اليهودية بمائة ألف شخص في سنتين ، ثم تتوقف بعد ذلك على « قدرة الاستيعاب الاقتصادية » التي يقررها المندوب السامي بالتشاور مع المجلس الاستشاري . وفي حال تعذر الاتفاق تقرر السلطة هيئة تحكيم تعيّنها الأمم المتحدة . أما هذا المجلس الاستشاري فيؤلف من ممثلين عرب ويهود، على أن تبقى السلطة التشريعية والتنفيذية العليا بيد المندوب السامي . وينتخب بعد أربع سنوات مجلس تأسيسي . وإذا توصلت الأكثرية العربية والأكثرية اليهودية في المجلس إلى اتفاق تتخذ الخطوات لإقامة دولة مستقلة ، وإلاّ يحال الأمر إلى مجلس الوصاية في الأمم المتحدة .

رفض الجانب العربي المشروع لتضمنه تقسيم فلسطين إلى مناطق عربية ويهودية ، ولسماحه لمائة ألف يهودي مهاجر بالدخول دون وضع حد للهجرة في المستقبل . أما الوكالة اليهودية فقد رفضت المشروع أيضاً لأنه لم يتضمن صراحة إقامة دولة يهودية ، ولأنه يقضي بحل الوكالة اليهودية . وتقدم موشي شرتوك عن الوكالة بمقترحات مقابلة تتضمن إعلان إقامة دولة يهودية في « منطقة كافية » من فلسطين ، لأن المناطق المخصصة لليهود حسب مخطط الحكم الذاتي الإقليمي غير كافية للتوسع المستقبل .

كان يئس متأثراً إلى درجة كبيرة بالحالة الاقتصادية لبريطانيا ، وقلقاً مما يسمى « الخطر السوفييتي » ، وكان يشعر أن نجاح بلاده في التغلب على كلتا المعضلتين يعتمد على الهيمنة على الشرق الأوسط وبخاصة ، ولن يمكن ذلك بدون حل القضية الفلسطينية بشكل يقبله العرب . وهكذا بذل ما بوسعه لإقناع الوفد العربي بقبول المشروع ، أو المساومة حوله ، ولكن بدون طائل . وأسر الوفد العربي على إعلان فلسطين دولة عربية . واضطر بيڤن إلى الإعلان في ١٤ شباط عن فشله في تحقيق المشروع وعزمه على إحالة القضية إلى الأمم المتحدة بدون أية توصية من جانب الحكومة البريطانية .

المراجع :

— **British Proposals Submitted to the London Conference.** 7 February 1947. cmd 7044.

— Jorin ,R. and Hadawi, S.: **Palestine Diary.** Beirut 1970.

بيكـــا : ر : الجمعية اليهودية للاستعمار في فلسطين

بيكر وهيرزا (مشروع ـ) :

ر : الأردن (استثمار مياه نهر ـ وروافده)

بيـــل (لجنة ـ) :

عينت الحكومة البريطانية لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل *Peel* في آب ١٩٣٦ مهمتها التحقيق في :

١) أسباب الاضطرابات الأساسية التي نشبت في فلسطين في أواسط شهر نيسان ١٩٣٦ .

٢) كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين " بالنسبة إلى التزامات بريطانيا نحو كل من العرب واليهود .

٣) تقديم توصيات لإزالة الظلامات المشروعة يقدمها اليهود أو العرب عن طريقة تنفيذ الانتداب .

يتضح من ترجمة حياة أعضاء اللجنة، وعددهم ستة ، أنها كانت رفيعة المنزلة بالمقارنة مع لجان التحقيق السابقة . فرئيس اللجنة اللورد بيل في السبعين من عمره ينتمي إلى أسرة سياسية بارزة ، وهو حفيد أحد رؤساء وزراء بريطانيا في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر . وكان اللورد بيل قد شغل منصب وزير الهند . أما نائب الرئيس وهو السير هوراس رمبولد فكان سفيراً سابقاً ومندوباً سامياً في إستانبول بعد الحرب العالمية الأولى ورئيساً للوفد البريطاني في مؤتمر لوزان الثاني . وأهم الأعضاء الآخرين الأستاذ رغنالد كوبلاند أستاذ التاريخ الاستعماري في جامعة أكسفورد آنئذ .

وصلت لجنة بيل الملكية إلى فلسطين في ١٩٣٦/١١/١٢ ، واستمرت في تحقيقاتها لمدة ستة أشهر وقدمت تقريرها في ١٩٣٧/٧/٧ ، وقد نشرته الحكومة البريطانية في ٤٠٤ صفحات .

عقدت اللجنة ستة وأربعين اجتماعاً منها واحد وثلاثون اجتماعاً علنياً ، واستمعت إلى أربعين شاهداً يهودياً بينهم حاييم وايزمن . وقد قاطع العرب اللجنة في بداية الأمر ، ثم حضر للشهادة أمامها في ١٩٣٧/١/٢٢ الحاج محمد أمين الحسيني * مفتي فلسطين مع سكرتير اللجنة العربية العليا لفلسطين * وتسعة من أعضائها وأربعة عشر عربياً آخرين . وكان شهادة جورج أنطونيوس * من أبرز وأقوى الشهادات العربية . وقد طالب الجانب العربي بالتخلي عن فكرة إقامة الوطن اليهودي في فلسطين .

قالت اللجنة في تقريرها النهائي إنه تشكل لديها الاقتناع الكامل بأن أسباب الاضطرابات الأساسية هي :

١) رغبة العرب في الاستقلال القومي .

٢) كراهيتهم وخوفهم من تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

٣) عدم تكافؤ الفرص بين العرب واليهود في عرض قضيتهم أمام الحكومة والبرلمان والرأي العام في بريطانيا .

٤) الخبرة اليهودية واستمرار ثراء اليهود للأراضي العربية .

٥) شك العرب في قدرة ورغبة الحكومة البريطانية في تنفيذ وعودها .

وقد انتهت اللجنة الى تعذر منح المطلب الرئيس لكل طرف بصورة مشروعة . واعترفت بتذرع عرب فلسطين على حكم أنفسهم مثل عرب العراق أو سورية ، وبقدرة اليهود على حكم أنفسهم مثل أية طائفة منظمة أو مثقفة في أوربا أو في أي مكان آخر . ولكن

العرب واليهود ،ولا يمكن إنهاء الانتداب من دون مخالفة التزاماته العامة والخاصة لأن ما تضمنه الانتداب من التزام عام بتمكين الشعوب الموضوعة تحت إدارة الدولة المنتدبة من " الوقوف على أقدامهم " من دون مساعدة لم ينفذ ، كذلك لم يكن ممكناً تنفيذ المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين " بوضع البلاد تحت ظروف سياسية وإدارية واقتصادية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي " لأن الالتزامات التي فرضها الانتداب على الدولة المنتدبة متناقضة ولا يمكن التوفيق بينها .

توصلت اللجنة إلى وجوب أخذ الاعتبارات السياسية والاجتماعية والنفسية وقابلية الاستيعاب الاقتصادي بعين الاعتبار عندما تقرر نسبة الهجرة . واقترحت إذا استمر الانتداب تحديد الهجرة بإثني عشر ألف مهاجر سنوياً خلال الخمس سنوات التالية كحد أقصى .

وذهبت اللجنة إلى أن الاحتفاظ بالانتداب يعني استمرار التذمر والاضطراب إلى أجل غير مسمى . ولذلك أوصت بأن تتخذ الحكومة البريطانية الخطوات اللازمة لإنهاء الانتداب وتقسيم البلاد بشكل يقيم دولة يهودية في الشمال والغرب ، ويضم الأراضي الباقية إلى شرقي الأردن لأنه من غير المعقول في نظرها أن تختار بريطانيا تسليم ٤٠٠,٠٠٠ يهودي ممن سهلت دخولهم إلى فلسطين ، ووافقت على ذلك عصبة الأمم * ، إلى العرب وتسليم مليون عربي تقريباً إلى اليهود .

اعتقدت اللجنة أن تقسيم البلاد يتطلب من العرب واليهود التضحية ببعض أمالهم ، ولكنه يمنح الطرفين فوائد جوهرية . وقد عددت الفوائد التي سيجنيها العرب من مشروع التقسيم كما يلي :

١) نيل العرب استقلالهم القومي .

٢) زوال خوفهم من اكتساح اليهود لهم ، وتحررهم من احتمال خضوعهم النهائي للحكم اليهودي .

٣) تعيين حدود الوطن القومي اليهودي ووضع انتداب جديد لحماية الأماكن المقدسة بضمانة عصبة الأمم .

٤) تلقي الدولة العربية إعانة مالية من الدولة اليهودية ومنحة من الخزينة البريطانية .

أما فوائد التقسيم لليهود في تقدير اللجنة فهي :

١) ضمان إنشاء الوطن القومي اليهودي وتحرير اليهود من احتمال خضوعهم للحكم العربي .

٢) امتلاك الدولة اليهودية حرية تحرير نسبة هجرة اليهود إليها حسب إمكانية استيعابها .

قدمت اللجنة خريطة اقترحت فيها إعطاء الدولة اليهودية جميع منطقة الجليل وسهل مرج ابن عامر * وسهل ساڤور * حتى نقطة تقع

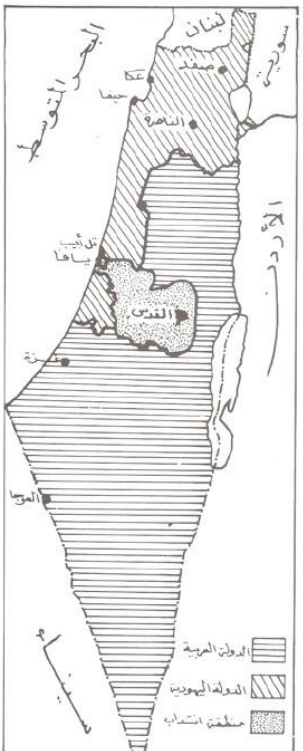

اللجنة رأت أن اجتماع العرب واليهود تحت الانتداب جعل الاستقلال غير عملي لكليهما ، فالانتداب هو الذي خلق العداء بين

على بعد عشرة أميال من رحيوت *، وتوحيد القسم الأكبر من فلسطين جنوبي وشرقي هذا الخط مع شرق الأردن ، وتبقى القدس * وبيت لحم * والناصرة * تحت الانتداب البريطاني مع ممر يصل القدس بالبحر عند يافا * .

في ١٩٣٧/٧/٧ أصدرت الحكومة البريطانية بياناً قالت فيه إن خطة التقسيم على الأسس التي اقترحتها اللجنة الملكية تمثل أفضل حل للعقدة وأكثرها أملاً بالقبول . ووعدت الحكومة بالمضي في الإجراءات اللازمة لتنفيذ المشروع، وأعلنت أنها تنوي أن تسمح بدخول عدد لا يتجاوز ثمانية آلاف مهاجر يهودي خلال الأشهر الثمانية التي تبتدىء بآب ١٩٣٧ وتنتهي بآذار ١٩٣٨ . وبينت أن الدولة العربية ستتلقى مساعدة مالية وافرة من الحكومة البريطانية والدولة اليهودية .

انعقد المؤتمر الصهيوني * العشرون في زوريخ (٣ - ١٩٣٧/٨/١٧) فأعلن على رفض ما قالته لجنة بيل من أن الانتداب غير عملي ،وعلى رفض الحدود التي اقترحتها اللجنة ، ولكنه انقسم في موضوع التقسيم نفسه . وقد خوّل المؤتمر لجنته التنفيذية الدخول في مفاوضات للتحقق من خطة التقسيم التي ستعرضها الدولة المنتدبة ، على أن تحيل اللجنة التنفيذية الخطة المقترحة إلى مؤتمر منتخب جديد لدراستها وإصدار قرار بشأنها .

وقد اجتمع مجلس الوكالة اليهودية * بعد المؤتمر الصهيوني مباشرة ، وأوصى لجنته التنفيذية بتوصيات مشابهة . وأضاف قراراً يطالب الحكومة البريطانية بدعوة مؤتمر يضم يهود وعرب فلسطين للبحث عن تسوية سلمية لفلسطين غير مقسمة على أساس تصريح بلفور (ز : بلفور ، وعد) والانتداب .

استقبل عرب فلسطين اقتراح التقسيم بعداء شديد . وفي ١٩٣٧/٩/٨ عقد مؤتمر في بلودان حضره ٤٠٠ مندوب وقرر المؤتمر أن فلسطين جزء من الوطن العربي ولا يمكن التنازل عن أي جزء منها . وقال المؤتمر إن على بريطانيا أن تختار بين صداقة العرب وصداقة اليهود (ز : بلودان ، مؤتمر ١٩٣٧) .

درست لجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الأمم تقرير بيل في آب ١٩٣٧ فرأت أن نظام الانتداب الحاضر أصبح غير عملي تقريباً بعدما وصفته لجنة بيل الملكية بقولها إنه قام على تصور خاطىء ، ولا يمكن التوفيق بين التزامات بريطانيا نحو اليهود والتزاماتها نحو العرب . واقترحت لجنة الانتدابات تخويل الحكومة البريطانية البحث في إمكانية إيجاد حل إقليمي جديد ، واعتبرت تأسيس دولتين مستقلتين عملاً غير حكيم قبل مضي فترة أخرى من إدارة الانتداب . وفي حال الموافقة على سياسة التقسيم أوصت اللجنة أن تبقى الدولتان العربية واليهودية تحت نظام انتداب انتقالي ، إما بشكل دولتين منفصلتين ، أو بشكل اتحاد مؤقت ، إلى أن تبرهنا على قدرتهما على حكم نفسيهما بنفسيهما . وانتهت اللجنة إلى أنه يشترط في أي حال كيما يكون مقبولاً ألاّ يؤدي إلى حرمان العرب إلاّ من أقل عدد ممكن من الأمكنة التي يعلقون عليها أهمية خاصة .

وأثناء دراسة لجنة الانتدابات المذكورة تقرير لجنة بيل تقدم إليها وفد فلسطيني مؤلف من عوني عبد الهادي * وعادل أرسلان ورجال الحسيني * عارضاً موقف الشعب الفلسطيني الذي يرفض أية صيغة تهدف إلى تقسيم فلسطين ويدعو إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة وحكومة وطنية تكون مسؤولة أمام مجلس تمثيلي .

وفي ١٩٣٧/٩/١٦ اتخذ مجلس عصبة الأمم قراراً بتخويل بريطانيا تهيئة خطة مفصلة لتقسيم فلسطين ، وأجّل بحث جوهر الاقتراح الجديد إلى حين تقديم هذه الخطة .

المراجع :

- فاضل حسين (مترجم) : تاريخ فلسطين السياسي تحت الانتداب البريطاني ، بغداد ١٩٥٦ .
- خيرية قاسمية (إعداد) : عوني عبد الهادي ، أوراق خاصة ، بيروت ١٩٧٤ .
- **Report of Palestine Royal Commssion (Peel Report)** British Blue Book, Cmd 5479of 1937.
- Royal Institute of International Affairs: **Great Britain and Palestine 1915 - 1945,** London 1976.

البيلو :

الأحرف الأولى من الكلمات العبرية التي ترجمتها " هلموا يا بيت يعقوب لنسلك في نور الرب " وقد وردت في العهد القديم في (سفر أشعيا ٢/ ٥) . ويطلق على رجال هذه الحركة اسم البيلويين نسبة إلى « بيلو » ، وهي حركة هجرة كان معظم أعضائها من طلاب الجامعات اليهود في روسيا الذين تركوا مقاعد الدراسة وانصرفوا إلى الدعوة للهجرة إلى فلسطين بدوافع شتى جعلوا في طليعتها " حب صهيون " . وخلاصة آرائهم هي " أن استيطان أرض إسرائيل (فلسطين) هو الخطوة الأولى لبعث أمتنا ، وكل (العناصر) الجيدة من أبناء شعبنا ملزمة من الآن فصاعدا بالتضحية بكل ما لديها في سبيل ذلك . . إن هذا الأمر صعب جدا ، ولكنه عظيم جدا . فلا تعلقوا آمالكم على تقدم أوربا ومدنيتها " .

تأسست حركة البيلو في روسيا عام ١٨٨٢ بعد الاضطرابات

التي ولعت ضد اليهود سنة ١٨٨١ ، ودعت إلى العودة " إلى فلسطين والاستيطان فيها " . ومن الأهداف المعلنة لحركة البيلو " بعث سياسي - اقتصادي وقومي - روحي للشعب العبري في سورية وأرض إسرائيل "وإحياء اللغة العبرية والتحقيق الذاتي . وقد انضم إلى الحركة ٥٠٠ عضو معظمهم من المثقفين اليهود من أنصار الحركة الاشتراكية في روسيا . وأقام «البيلويم» فروعا لتنظيمهم في أماكن مختلفة من روسيا وأنشأوا لهم مركزاً في خاركوف نقلوه إلى موسكو ، ثم إلى مدينة أوديسا ، وذلك لتسهيل هجرتهم إلى فلسطين عن طريق تركيا . وقد وصل ١٥ ممثلا للحركة إلى القسطنطينية يطلبون المون من لورانس أوليفانت ، وهو صحفي بريطاني يعدّ من أوائل من نادوا بالصهيونية فقد نشر في سنة ١٨٨٠ كتابا بعنوان " أرض جلعاد " دعا فيه إلى إقامة دولة يهودية شرقي نهر الأردن . وافتتح البيلويم مكتبا خاصا بهم في فلسطين ليحصلوا على موافقة السلطات التركية على تأسيس مستعمرة لهم في فلسطين . ووصلت أول مجموعة من أعضاء البيلو (تضم ١٤ شخصا بينهم فتاة) إلى شواطىء فلسطين في ١٨٨٢/٧/٦ لإقامة مستعمرة زراعية على أسس تعاونية . ثم لحق بهم سنة ١٨٨٤ قرابة ٣٤ عضوا (بينهم ٤ سيدات) . ويطلق على هجرة هؤلاء البيلويم الثمانية والأربعين في تاريخ الحركة الصهيونية اسم " الهجرة الأولى " . وقد عمل أوائل البيلويم الذين وصلوا إلى فلسطين في البداية عمّالا في المدرسة الزراعية " مكفيه يسرائيل " ، ثم في مستعمرة ريشون لتسيون * ، وتجحوا سنة ١٨٨٤ في وضع حجر الأساس لمستعمرة جديدة لكنهم واجهوا مشكلات كثيرة جهلهم بالعمل الزراعي ، ولعدم اعتيادهم الجو ، وكانوا يتخلون عن مشاريعهم لولا مساعدات عائلة روتشيلد . وقد بقي في فلسطين نحو عشرين فقط من أعضاء الحركة ، وذلك بسبب الضائقة الاقتصادية ،وانعدام العمل ، والأجور المتدنية ، والأمراض والوضع الاجتماعي في اليشوف * اليهودي القديم في فلسطين ، وعجز " أحياء صهيون " * عن تقديم يد العون لليلويم ، والخلافات بين أعضاء الحركة أنفسهم .

وعلى الرغم من قلة من بقي من البيلويم ومن انضم إليهم في فلسطين فقد تحولوا هناك إلى عنصر ثائر ومهيج لباقي المستوطنين نظرا لتشديدهم على فكرة " البعث القومي والهجرة " وحياة العمل المنتج في فلسطين ، مما دفعهم إلى صدام دائم مع المسؤولين عن تنظيم عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين . كما أن اليهود الأرثوذكس في القدس لم يرحبوا بأعضاء البيلو ، بل رأوا فيهم عامل إقلاق فناصبوهم العداء كما وقفت السلطات التركية ضد هؤلاء المستوطنين وحرست هجرة اليهود الروس وشراء الأراضي في فلسطين لكن البيلويم تحايلوا على ذلك برشوا الموظفين الأتراك وتسجيل الأراضي بأسماء يهود من أوربا الشرقية

وقد حدثت صدامات بين البيلويم وأفراد الهجرة اليهودية الثانية الذين سموا بالرواد لأن البيلويم كانوا يشكلون اليشوف القديم ، ولم يكن من الممكن أن يستوعبوا هؤلاء القادمين الجدد بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة في المستعمرات التي أقامتها الهجرة الأولى . وقد رفضوا تشغيلهم في هذه المستعمرات لقلة خبرتهم ، ولرخص أجور العمال الزراعيين العرب ، وبذلك كان "الرواد" ضيوفا غير مرغوب فيهم بالنسبة إلى المستوطنين القدامى . وقد تمخضت عن هذا الدعوة إلى العمل العبري التي نادى بها الرواد ، بحيث أصبحت هذه الدعوة تعبر عن مصلحة معيشية لهؤلاء المهاجرين الجدد. ثم أعقبتها الدعوة إلى شعاري : احتلال العمل واحتلال الأرض .

على أية حال كانت حركة "بيلو" أول تنظيم شكّل حركة إقليمية في روسيا نادت بفكرة هجرة جماعية منظمة ، وسعت إلى تشكيل حركة قومية واسعة ، وفرضت على أعضائها واجب الهجرة إلى فلسطين ، كما كانت أول حركة عملت على هجرة مجموعة منظمة بغرض الاستيطان الزراعي .

المراجع :

- صبري جريس : تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٧ .
- أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، بيروت ١٩٦٨ .
- عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

البيمارستانات :

« البيمارستان » هو المستشفى في لغة العصور العربية الوسطى . وقد كان في فلسطين حتى نهاية العهد المملوكي ثماني بيمارستانات : القاطمي والصلاحي في القدس * ، وستة بيمارستانات أخرى في صفد * والخليل * وعكا * والرملة * وغزة * ونابلس * .

١) البيمارستان القاطمي في القدس : هو على الأرجح أول بيمارستان بني في فلسطين . وقد ورد ذكره في كتاب سفر نامة للرّحالة الفارسي ناصر خسرو على الوجه التالي : " وفي بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه الكثيرين العلاج والدواء ، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف . وهذا المستشفى ومسجد الجمعة يقعان على حافة وادي جهنم " .

أما تاريخ هذا النص فهو الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ/ ١٦ آذار ١٠٤٧م . ولم يعرف حتى الان اسم بانيه أو سنة بنائه ، لكن يرجّح أنه بني في الزمن نفسه الذي بنيت فيه دار العلم الفاطمية في القدس ، أي حوالي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩ م، في أيام الحاكم بأمر الله ، وقبل عامرا ما يقرب من قرن إلى أن احتلّ الإفرنج مدينة القدس عام ٤٩٢ هـ/١٠٩٩ م .

٢) البيمارستان الصلاحي في القدس : هو من مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي *، وقد جاء عنه في كتاب «الأنس الجليل» لمجير الدين العليمي الحنبلي ما يلي : " وجعل الكنيسة المجاورة لدار الإستبار بقرب قمامة (كنيسة القيامة *) بيمارستاناً للمرضى ووقف عليه مواضع ، ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير ، وفوّض النظر والقضاء في هذا الوقف إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع ابن تميم المشهور بابن شدّاد . لعلمه بكفايته " . وجاء في كتاب « سيرة صلاح الدين » لابن شداد ما يلي : " وأمرني السلطان بالمقام في القدس الشريف لعمارة بيمارستان أنشأه فيه ، وإدارة المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عوده . وسار من القدس الشريف ضحوة نهار الخميس في سادس شوال ٥٨٨ هـ (١٥ تشرين الأول ١١٩٢م .)" . وكان السلطان قد أنشأ هذا البيمارستان سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م عندما فتح القدس ، وكان واحداً من عدة مؤسسات علمية وخيرية أنشأها صلاح الدين في المدينة وفي الديار المقدسة . وكان من أوائل القائمين عليه يثعموب بن صفلاب * النصراني المقدسي الشرقي الملكي (توفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) ، ورشيد الدين الصوري (توفي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤٢م) . ويقول بعضهم إن هذا البيمارستان لم يعمّر طويلاً ، وإنه اندثر نهائيا في العام ٦٦٣هـ/١٢٥٨م . لكن عارف العارف * ، استنادا إلى سجلات المحكمة الشرعية بالقدس ، يجزم أنه استمر حتى القرن الثامن عشر .

٣) البيمارستان الصلاحي في عكا : أنشأه السلطان صلاح الدين . جاء في « الأنس الجليل » ما يأتي : " ورتب أحوال عكا وأمورها ، ووقف نصف دار الإستبار رباطاً للصوفية ونصفها مدرسة للفقهاء ، وجعل دار الأسقف بيمارستاناً للضعفاء " .

٤) البيمارستان المنصوري في الخليل : من أوقاف السلطان المنصور قلاوون بن عبد الله *، وقد عمّره في سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م. على حد قول العليمي .

٥) بيمارستان غزة : من أوقاف الأمير سنجر بن عبد الله الجاولي ، وقد استثنيه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بغزة سنة ٧١١هـ/١٣١١ م . وكان هذا البيمارستان جزءا من نشاطه العمراني في تلك المدينة .

٦) بيمارستان الرملة : من أوقاف ناظر الجيش فخر الدين محمد ابن فضل الله القبطي . وقد بنى هذا الناظر المملوكي الشهير عدة مساجد ، واتصل بخدمة الناصر محمد بن قلاوون ، وتوفي في رجب سنة ٧٣٢ هـ/ نيسان ١٣٣٢م .

٧) بيمارستان نابلس : بناه فخر الدين القبطي أيضا .

٨) بيمارستان تنكز في صفد : أنشأ هذا البيمارستان الأمير المملوكي الكبير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكانت وفاة الأمير تنكز في سنة ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م .

هذه بيمارستانات فلسطين المذكورة في المصادر المتوفرة ، وقد كان عددها كبيرا إذا ما قورن بعدد البيمارستانات في سائر بلاد الشام . ويبدو أن هذه المؤسسات كانت جزءاً أساسياً من تنظيمات الدولة . وكانت تهدف إلى غرض عام هو مداواة الجنود والجرحى والعناية بهم ، خصوصا في العصر الأيوبي*، إذ أن قسما كبيرا منها أسس إما من مال القدية وإما من بيت المال .

ولا يعرف إلاّ القليل عمّا آلت إليه هذه البيمارستانات فيما بعد. كما لا يعرف إلاّ اليسير عن دقائق أمورها وأوقافها وأحوال القائمين عليها . وقد أصبح البيمارستان في العهد العثماني على ما يبدو مختصا بالأمراض العقلية دون سواها ، بالرغم من أن علم الطب ظلّ مزدهرا في فلسطين حتى القرن الثامن عشر على الأقل .

المراجع :

- مجير الدين العليمي الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
- ابن شدّاد : سيرة صلاح الدين ، القاهرة ١٩٢٧ .
- الفقطي : تاريخ أخبار الحكماء ، القاهرة ١٩٠٨ .
- أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق ١٩٣٩ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٦٥ - ١٩٧٦ .
- عارف العارف : المفصّل في تاريخ القدس ، القدس ١٩٦١ .
- أحمد سامح الخالدي : المعاهد المصرية في بيت المقدس ، القدس ١٩٤٦ .
- Dunlop D.M. : «Bimaristan», Encyclopedia of Islam, New Edition.

ت

التـــات : ر : الشركس

التـافلاّني : ر : محمد بن التافلاني

التأليف (حركة ـ المعاصرة) :

شهدت فلسطين في العصر الحديث حركة تأليف أغنت المكتبة العربية والإنسانية في مختلف فروع المعرفة .

ولا بدّ لمن يرصد حركة التأليف في فلسطين من استعراض نتاج القطر في مجالات التأليف المختلفة مراعيا الناحية الزمنية ما أمكن حتى ترتسم صورة منسقة لهذه الحركة . لذا سيكون الحديث متصلاً بمجالات التأليف الرئيسة كاللغة ، والأدب ، والفنون ، والعلوم الإنسانية من فلسفة واجتماع وعلم نفس وتاريخ وجغرافية وعلوم سياسية، وكذلك الاقتصاد والتربية والعلوم التطبيقية .

أ ـ الدراسات اللغوية : نشط اللغويون في وضع مؤلفات في تعليم اللغة ، وفي رصد ظواهرها ، فوضع خليل بيدس * « الكافي في الصرف » (١٩٢٥) ، وه نحن واللغة » ، وا مجموعة أحاديث لغوية » . ومن كتب خليل السكاكيني * اللغوية « وعليه قبّل » (١٩٤٣) في النحو ، واهتم الأب أوغسطين مرمرجي بالساميات ، ومن كتبه « المعجمية العربية على ضوء الثنائية السامية » (١٩٣٧) وه هل العربية منطقية ؟ مباحث في الثنائية » (١٩٤٧) . ووضع محمد إسعاف النشاشيبي * « كلمة في اللغة العربية » (١٩٢٥) ، وكتب وديع البستاني * دراسة لغوية صرفية عنوانها « رسالة في الألف والهمزة والباء » . ووضع محمد العدناني * « الإعراب » في خمسة أجزاء (١٩٥٦) ، وه النحو البسيط » (١٩٤٦) ، وه معجم الأخطاء الشائعة » (١٩٧٢) ، وجمع حسن الكرمي ما أذاعه من « قول على قول » في خمسة أجزاء صدرت بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٥ . وللأب بولس سويد دراسات منها « التعريب ـ نظرات ونماذج » ، وه اسم الفاعل » في العامية والفصحى . ولفؤاد حنا ترزي « الاشتقاق ، دراسة لغوية » ، ولريحي كمال « التضاد في ضوء اللغات السامية ، دراسة مقارنة » (١٩٧٢) .

وللدكتور محمود الغول « المصادر العربية الإسلامية ونقوش الجزيرة قبل الإسلام : دراسة مقارنة بالمصادر الإسلامية على ضوء النقوش » . وللدكتور نايف خرما « أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة » (١٩٧٨) . ولنفر من الباحثين اهتمام باللهجات المحلية من مثل الدكاترة : ألبرت بطرس ، وماجد فرحان سعيد ، ورعيد الله الدنان . وثمة باحثون أسهموا بوضع معجمات بلغات مختلفة منهم الدكتور بندلي صليبا الجوزي * الذي وضع « القاموس الروسي

العربي » في جزءين . ولألب أوغسطين مرمرجي « المعجم الثنائي ـ الألسني ـ السامي » ، وه معجميات ـ عربية ـ سامية » (١٩٥٠) . ووضع الأب أسطفان يوسف سالم « معجم الثقافة اليونانية الرومانية » بالاشتراك مع حمود الغول . ووضع ريحي كمال للطلاب والمثرهمين « المعجم الحديث ، عبري ـ عربي » (١٩٧٥) . ولحسن الكرمي « المنار » ، معجم إنكليزي ـ عربي (١٩٧٠) ، واهتم فلسطين ثيودوري بالمعاجم العربية ـ الإنكليزية فوضع « الفريد في المصطلحات الحديثة » (١٩٦٠) ، وه المعجم التجاري الاقتصادي » ، وه القريد في المصطلحات الصحفية والسياسية والدبلوماسية » (١٩٦٩) . وفي السنوات العشر الماضية قام بدراسة واسعة تتصل بالمعاجم العربية منذ نشأتها إلى اليوم ، وكذلك فعل أحمد شفيق الخطيب .

ب ـ الدراسات الأدبية : احتلت الدراسات الأدبية والنقدية مكانها في النتاج الأدبي ، فقد بدأ التأليف فيها على استحياء ، ثم أخذت تترسخ بالتدريج .

كتب درويش الدباغ « كشكول الدرويش » حول الأدب ، وصنّف إبراهيم الدباغ « الشعراء قديما وحديثا في اليزك » . ومن إسهام حبيب الخوري كتابان حول العلقات ، ومن كتب وديع البستاني « عمر الخيام » وهو دراسة للرباعيات ومراجعها . ولمحمد إسعاف النشاشيبي مؤلفات عدة منها « مجموعة النشاشيبي » (١٩٢٨) ، ومن تصانيف فؤاد حنا ترزي « مسلم ابن الوليد ـ صريع الغواني » ، ولحمود سيف الدين الإيراني * « في الأدب والحياة » في ثلاثة أجزاء . واختار نجاتي صدقي مختارات من القصص الروسي والإسباني والصيني عدا دراسات لأعلام القصة مثل بوشكين وتشيخوف وغوركي (من ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧) . وكتب عبد الكريم الكرمي * (أبو سلمى) سيرتي أحمد شاكر الكرمي * (١٩٦٤) والشيخ سعيد الكرمي * (١٩٧٣) . وثمة أعلام رسخوا أقدامهم في التعليم الأكاديمي والبحث العلمي أسهموا في وضع كتب الأدب والنقد من أمثال الدكتور إسحق موسى الحسيني ، وله « ابن قتيبة » بالإنكليزية (١٩٥٠) ، وه الأدب العربي المعاصر » (١٩٦٣) ، وه النقد الأدبي المعاصر » (١٩٦٣) . وقد أغنى إحسان عباس المكتبة العربية تأليفا وتحقيقا . ومن كتبه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » (١٩٧١) ، وه تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين » (١٩٦٢) ، وه تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة » (١٩٦٠) ، وه بدر شاكر السياب ـ دراسة في حياته وشعره » (١٩٦٩) ، « والأدب العربي في المهجر » (١٩٥٧) ، وه ملامح يونانية في الأدب العربي » (١٩٧٨) . ومن أبحاث محمد يوسف نجم « القصة في الأدب العربي الحديث » ، وه الأدب العربي في المهجر » (١٩٥٧) . ولمحمود السمرة « مقالات في النقد الأدبي » (١٩٥٩) ، وه أدباء معاصرون من الغرب » (١٩٦٢) ، وه القاضي الجرجاني » (١٩٦٦) ، وه في النقد الأدبي » (١٩٧٤) . وكتب هاشم ياغي « النقد الأدبي الحديث في لبنان » في جزءين (١٩٦٨) ، وه القصة القصيرة في فلسطين والأردن ١٨٥٠ ـ ١٩٦٥ » . وكتب موسى الخوري « مقدمة في النقد الأدبي » ، وه النقد الأدبي الحديث في فلسطين » (١٩٦٠) ، وه النقد الأدبي في إنكلترا » (١٩٦٦) . ومن كتب عبد الرحمن ياغي « حياة القيروان » (١٩٦١) وه حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة » ، (١٩٦٨) وه الجهود الروائية من البستاني إلى نجيب محفوظ » (١٩٧٤) وه الجهود المسرحية » (١٩٨٠) . وألف محمود إبراهيم « صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيراني » (١٩٧١) ، وه أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم » (١٩٧٤) . كما ألف حسام الخطيب « الرواية السورية من مرحلة النهوض » (١٩٧٥) ، وه سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية » (١٩٧٣) . وكتب كامل السوافيري « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » (١٩٦٤) ، وه الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر » (١٩٧٣) . وكتب عبد الرحمن الكيالي « الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين » (١٩٧٥) ، وحسين عطوان « الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي » (١٩٧٤) ، وه الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول » (١٩٧٢) . ولعبد المجيد المحتسب « نقائض جرير والأخطل » (١٩٧٢) ، ولعبد الجليل عبد المهدي « الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى » (١٩٨٠) ، ولبوسف بكار « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » (١٩٧١) ، وه بناء القصيدة العربية » (١٩٧٩) .

وأصدر نصرة عبد الرحمن « الصورة الفنية في الشعر الجاهلي » . وألف عفيف عبد الرحمن « الجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري » (١٩٨١) . وألف واصف أبو الشباب « صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة » ، وأحمد أبو مطر « الرواية في الأدب الفلسطيني » (١٩٨٠) . ولصالح أبو أصبع « فلسطين في الرواية العربية » (١٩٧٥) ، ولإبراهيم السعافين « مدرسة الإحياء والتراث » (١٩٨١)و « تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام » (١٩٨٠) .

جـ ـ التأليف في التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسة : لقيت هذه الدراسات الإنسانية اهتماما من الباحثين الفلسطينيين ، وخاصة ما يتصل بالقضية الفلسطينية ، إذ انصبّ جلّ اهتمامهم ـ بعد تكشف الخطط الصهيونية الاستعمارية ـ على تاريخ فلسطين

وجغرافيتها ، وعلى طبيعة القضية بعامة . والذي يلاحظ ما كتب الدارسون يجد أن القضية الفلسطينية درست في إطار قضايا الأمة العربية ومشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والقانونية .

ويعدُّ روحي الخالدي * رائد البحث التاريخي في فلسطين ، فمن مؤلفاته : « تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوغو » (١٩٠٤) وه رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي » وه في أقسام العالم الإسلامي » (١٨٩٦) وه المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الأولى إلى الربع الثاني من القرن الثامن عشر » (١٨٩٧) وه الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة » (١٩٠٩) .

وكتب نجيب نصار * « الصهيونية » ، وه القضية الفلسطينية » . وأسهم بنديلي صليبا الجزري في البحث التاريخي ، ومن مؤلفاته : « أصل سكان سورية وفلسطين المسيحيين » ، وه جبل لبنان ، تاريخه وحالته الحاضرة » ، وه العلاقات الأنكلو مصرية » (١٩٣٠) . وكتب خليل بيدس « تاريخ روسيا القديم » (١٨٩٨) ، وه الدولة الإسلامية » (١٩١٢) ، وه أمم البلقان » (١٩١٤) ، وه تاريخ القدس » (١٩٢٢) . وكتب أنطون شكري لورنس « تاريخ فلسطين من أقدم الأزمنة إلى يومنا هذا » (١٩٣٤) ، وه عظماء الماضي » (١٩٣٦) . ومن أشهر المؤرخين الفلسطينيين وأغزرهم إنتاجا محمد عزة دروزة ، إذ اقتربت مؤلفاته من الخمسين أرّخت للأمة العربية والإسلامية منذ القديم حتى العصر الحديث ، وقدم عددا من الدراسات العربية والإسلامية ، وخصّ اليهود بدراسات عميقة ، ونالت القضية الفلسطينية منه اهتماما خاصا . فمن كتبه « مشاكل العالم العربي » (١٩٥٢) وه تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» (١٩٦٩) ، وه تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأطوار » وهو في سبعة أجزاء (١٩٥٩ - ١٩٦٤) ، وه مأساة فلسطين » (١٩٦٠) ، وه قصة الغزو الفلسطينية » (١٩٦٩) ، وه في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية ومن يحي نكبتها وسبل معالجتها » (١٩٧٣) ، وه حول الحركة العربية الحديثة » في ستة أجزاء (١٩٥٠ - ١٩٥٢) . وعرف عبد الله مخلص * بتأريخه لعدد من المدن الفلسطينية مثل الخليل * وصفد * وبيت لحم * . وأرّخ أحمد سامح الخالدي * لعدد من النواحي الهامة ، ومن كتبه « أهل العلم بين مصر وفلسطين » (١٩٤٦) ، وه رجال الحكم والإدارة في فلسطين - من عهد الخلفاء الراشدين إلى القرن الرابع عشر الهجري » ، وه العرب والحضارة الحديثة » (١٩٤٦) ، وه رحلات أهل العلم والحكم في ريف فلسطين » (١٩٦٨) ، ومن مخطوطاته « تاريخ بيت المقدس » . وأسهم رفيق التميمي * بجهد طيب في التأريخ ، وله « تاريخ ولاية بيروت » ، في جزءين ، وه التاريخ العمومي » في ثمانية اجزاء ، وه الحروب الصليبية » (١٩٤٥) . ويعدُّ عارف العارف * من مؤرخي فلسطين المرموقين ، فمن مؤلفاته : « القضاء بين البدو » (١٩٣٣) ، وه تاريخ بير السبع وقبائلها » (١٩٣٤) ، وه تاريخ غزة » (١٩٤٣) ، وه الموجز في تاريخ عسقلان » (١٩٤٣) ، وه تاريخ الحرم القدسي» (١٩٤٧) ، وه الموجز في تاريخ القدس» (١٩٥١) ، وه النكبة » في سبعة أجزاء (١٩٥٦ - ١٩٦١) ، وه المفصل في تاريخ القدس » (١٩٦١) . وشارك محمد علي الطاهر * صاحب جريدة « الشورى » بكتابات حول العالم الإسلامي وقضية فلسطين منها « نظرات الشورى » (١٩٣٢) ، وه أوراق مجموعة» (١٩٤٨) .

وألف وديع البستاني « الانتداب الفلسطيني باطل وبحل » (١٩٣٦) . ولفرانك تشارلز السكران كتب قيّمة في القانون والسياسة والقضية الفلسطينية منها « أحجية فلسطين » (١٩٤٨) الذي يؤرخ لفلسطين منذ القديم حتى ١٩٤٨ ، وه أمريكا والصهيونية والعرب »(١٩٦٦)وه القدس لمن ؟» (١٩٦٨) . وكتب سليم شحادة * « الحرب العالمية الأولى » (١٩١٧) ، وه فلسطين وتجديد حياتها » محرّر مع حنا صلاح . وكتب موسى العلمي « عبرة فلسطين » (١٩٤٧) ، وشارك عيسى السفري بكتاب « فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية » (١٩٣٧) ، وهو سجل حافل بدقائق القضية الفلسطينية في عشرين عاما . ولعزة طوس مخطوط ضخم عنوانه : « انطباعاتي عن القضية الفلسطينية » يتضمن تجربته الطويلة في الحقل الفلسطيني السياسي صدر الجزء الأول بعنوان « الفلسطينيون » (١٩٨٣) . وعُرف سعيد الصباغ * باهتماماته التاريخية والجغرافية ، فمن تصنيفاته : « جغرافية سورية العمومية » ، وه تاريخ سورية المصور » ، وه الدنيات القديمة وتاريخ سورية وفلسطين » ، وه الأطلس العربي العام » ، ومعظمها كتب مدرسية .

وبذل مصطفى مراد الدباغ جهداً كبيرا في تاريخ فلسطين وجغرافيتها بخاصة ، فمن كتبه « بلادنا فلسطين » في ثمانية مجلدات (١٩٤٧ - ١٩٦٦) بعضها في أكثر من جزء ، وهو من أهم المراجع العامة في جغرافية فلسطين وتاريخها . وله « الموجز في تاريخ فلسطين » (١٩٥٦) ، وه التاريخ القديم للوطن العربي » (١٩٥١) ، وه الجزيرة العربية » وهو جزءان (١٩٦٢) ، وه قطر ماضيها وحاضرها » (١٩٦١) . وكتب نقولا الدر * « هكذا ضاعت وهكذا تعود » (١٩٦٣) . ولعمر الصالح البرغوثي * وخليل طوطح* مؤلف عنوانه « تاريخ فلسطين » (١٩٢٢) . ومن دراسات توفيق كنعان * « قضية عرب فلسطين » بالإنكليزية

(١٩٣٦) ، و« الصراع في أرض السلام » (١٩٣٨) ، و« العاديات في جنوب الجزيرة العربية » (١٩٣٨) . ويعد هتري كتن من أعلام دارسي القضية الفلسطينية ، ومن كتبه : « نهب الأرض المقدسة » (١٩٥٥) و« أبعاد القضية الفلسطينية » (١٩٦٧) ، « وفلسطين وطريق السلام » (١٩٧٠) . وأثرم زعيم من مؤرخي القضية المرموقين عرف بمؤلفه « القضية الفلسطينية » (١٩٥٦) ، واشترك مع درويش المقدادي * بكتاب « تاريخنا » (١٩٣٥) . ويعد أميل الغوري من المراجع الأساسية في القضية الفلسطينية ، فمن مؤلفاته « المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين » (١٩٥٥) و« حركة القومية العربية ومعركة القناة » (١٩٥٧) ، و« ملحمة الفداء الفلسطيني - جهاد الفلسطينيين ضد الاستعمار والحركة اليهودية من ١٩١٨ - ١٩٤٨ » (١٩٦٨) ، و« دور التبشير في خدمة الاستعمار والصهيونية » (١٩٧٠) ، و« فلسطين عبر سنين عاما » (جزءان ١٩٧٢ و١٩٧٤) . ولإحسان النمر اهتمام بالتأريخ الإسلامي ، وله في التاريخ الحديث « تاريخ جبل نابلس والبلقاء » و« نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني» (١٩٧٥) . وعالج شكري المهتدي موضوع « سقوط مملكة القدس اللاتينية » بالإنكليزية (١٩٢٦) . ويعد سامي هداوي من المتخصصين في القضية ، ومن مؤلفاته التي وضع معظمها بالإنكليزية : « فلسطين : الميراث الضائع » (١٩٦٣) ، و« الحصاد المرّ» حول القضية الفلسطينية من ١٩١٨ - ١٩٦٨ ، و« الفكرة الفلسطينية» (جزءان ١٩٧٠) ، و« المشكلة الفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة» (١٩٦٥) ، و«ملكية وتصنيف الأراضي في فلسطين » (١٩٥٧) ، و« الأقلية العربية في إسرائيل » (١٩٥٩) ، و« ملفّ القضية الفلسطينية في الإعلام العربي» (١٩٧٠) .

ويعدّ أحمد الشقيري * من أقوى الأصوات التي تحدثت عن القضايا العربية والفلسطينية ، ومن كتبه « فلسطين على منبر الأمم المتحدة » (١٩٦٢) ، و« مشروع الدولة العربية المتحدة » (١٩٦٧) ، و« أربعون عاما في الحياة العربية والدولية » (١٩٦٩) ، و« المياه الإقليمية في القانون الدولي » (بالإنكليزية) ، و« العربية ١٩٦٧ » ، و« حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء » (١٩٧٠) . ولمحمد أديب العامري * « القدس العربية » (١٩٧١) ، و« عروبة فلسطين في التاريخ » (١٩٧٢) يفنّد المزاعم الصهيونية . ويعد محمود العابدي * من أغزر المؤرخين إنتاجا ، فمن مؤلفاته التاريخية والأثرية : « القصور الأموية » (١٩٥٨) و« ساحة بيت المقدس» (١٩٦٩) ، و« عمّان ماضيها وحاضرها » (١٩٧١) ، و« الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن » (١٩٧٣) . واهتم ديتري برامكي بالتاريخ والآثار ومن مؤلفاته : « الطريق إلى البتراء » ، و« الفن والآثار في فلسطين الحديثة » (١٩٧٠) . وللشيخ عبد الحميد السائح اهتمام بالقدس خاصة ، ومن مؤلفاته « ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى » (١٩٧٠) . وكتب إسحق موسى الحسيني « الإخوان المسلمون » (١٩٥٢) ، « مذبحة بيت المقدس » (١٩٦٧) .

ولنقولا زياده مؤلفات تاريخية قيّمة منها : « رواد الشرق العربي في العصور الوسطى » (١٩٤٣) ، و« أبعاد التاريخ اللبناني الحديث » (١٩٧٢) .

وقد وضع أنيس صايغ دراسات تاريخية وسياسية عميقة منها « لبنان الطائفي » (١٩٥٧) ، و« الأسطول الأموي في البحر الأبيض المتوسط » (١٩٥٦) ، و« الهاشميون وقضية فلسطين » (١٩٦٦) ، و« فلسطين والقومية العربية » (١٩٦٦) ، و« ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية وإسرائيل » (١٩٦٧) ، و« المستعمرات الإسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧ » (١٩٦٩) . ويشارك عبد اللطيف الطيباوي في مجالات مختلفة ، ومن مؤلفاته : « المصالح البريطانية في فلسطين ١٨٠٠ - ١٩٠١» (١٩٦١) ، و« المصالح الأمريكية في سورية ١٨٠٠ - ١٩٠١ » (١٩٦٦) ، و« محاضرات في تاريخ العرب والإسلام » (جزءان ١٩٦٣ - ١٩٦٤) ، و« القدس : مكانتها في الإسلام والتاريخ العربي » . وأسهم خيري حماد * ، عدا ترجماته ، بعدد من المؤلفات حول التاريخ العربي الحديث والقضية الفلسطينية ، منها : « قضايانا في الأمم المتحدة » (١٩٦٢) و« أبعاد المعركة مع إسرائيل والاستعمار » (١٩٦٧) ، و« الصهيونية : جذورها وأهدافها » (١٩٦٨) . ولبطرس خمّار « الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية » (١٩٦٤) ، و« موسوعة فلسطين الجغرافية » (١٩٦٩) . ولفايز صايغ * « رسالة المفكر العربي » (١٩٥٥) ، و« الاستعمار الصهيوني في فلسطين » (١٩٦٥) ، و« الدبلوماسية الصهيونية » (١٩٦٧) ، وكان من أول وأكبر الباحثين في القضية الفلسطينية والمدافعين عن الحق العربي في فلسطين . وتناول يوسف هيكل القضايا القانونية والفلسطينية ، فمن مؤلفاته : « نحو الوحدة العربية» (١٩٤٢) ، و« القضية الفلسطينية » (١٩٣٦ ، ١٩٣٧) .

واهتمّ أميل توما بالسياسة والفكر ، ومن كتبه « العرب والتطور التاريخي في الشرق الأوسط » (١٩٦٢) ، و« متون عامة على الحركة القومية في قطاع » (١٩٧٨) . واهتم عبد الله الريماوي * بالكتابات القومية ، فمن مؤلفاته : « المنطق الثوري للحركة العربية الحديثة » (١٩٦٠) ، و« الحركة العربية الواحدة » (١٩٦٣) ، و« الإقليمية الجديدة » ، ١٩٧٠) . وفي هذا المجال كتب المحكم

دروزة « مع القومية » (١٩٥٧) ، وه الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية » (١٩٦٠) ، ولناجي علوش « الثورى العربي المعاصر » ، وه في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة » (١٩٦٣) .

ومن المؤرخين محمود زايد ، وقد كتب « التغير السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة » (١٩٦٨) ، وه أبعاد القضية الفلسطينية» (١٩٧٠) . ومنهم أحمد مصطفى أبو حاكمه ، وله : « تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة » (١٩٦٧) . ولخالد بعباع دراسات إعلامية فلسطينية وعربية منها : « البحث عن الإنصاف» (١٩٥٦) ويدور موضوعه حول اللاجئين الفلسطينيين ، وه عدم الانحياز كمبدأ دبلوماسي وعقائدي» (١٩٦٩) ، وه المحترفون السياسيون وقضية فلسطين » (١٩٦٢) . ولعميد الإمام « الصلح مع إسرائيل » (١٩٥٤) .

ومن آثار أنيس القاسم « معنى الحرية في العالم العربي » (١٩٥٤) ، وه نحن والفاتيكان وإسرائيل » (١٩٦٦) . ومن المشتغلين بالسياسة وبقضية فلسطين هشام شرابي ومن مؤلفاته : « السياسة والحكم في الشرق الأوسط في القرن العشرين » (١٩٦٢) ، وه القومية والثورة في العالم العربي » (١٩٦٧) ، وه المقاومة الفلسطينية في وجه إسرائيل وأمريكا » (١٩٦٩) ، وه الفدائيون الفلسطينيون » (١٩٧٠) . ومن مؤلفات أسعد عبد الرحمن « المساعدات الأمريكية والألمانية الغربية لإسرائيل » (١٩٦٦) ، وه التسلل الإسرائيلي في آسيا » (١٩٦٧) ، وه المنظمة الصهيونية ، تنظيمها وأهدافها » .

ومن الباحثين في هذا المجال عبد الوهاب الكيالي * ، ومن مؤلفاته : « تاريخ فلسطين الحديث » (١٩٧٠) ، وه الكيسوتر » (١٩٦٦) وأسهم أحمد صدقي الدجاني في الدراسات التاريخية العربية والفلسطينية ، ومن كتبه : « أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر» وه الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر » وه الحركة السنوسية ، نشأتها وتطورها في القرن التاسع عشر » (١٩٦٤) ، وه من المقاومة إلى الثورة الشعبية في فلسطين » (١٩٦٩) . ويعد صبري جريس من الباحثين في قضايا الأرض المحتلة وله : « الحريات الديمقراطية في إسرائيل » ، وه العرب في إسرائيل » (١٩٦٧) ، وه المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون» (١٩٦٨) .

وثمة مؤرخون ومشتغلون بالكتابات السياسية هم أثرهم في الحياة الثقافية منهم برهان غزال وسليمان بشير وشكري التاجي الفاروقي وصبحي ياسين وعبد القادر ياسين ووليد قمحاوي وعمران عارف نعوار [عمران شهيد] وعادل سماوة وعيسى نخلة وبسيم القاسم وغيرهم .

وثمة دراسات جغرافية من روادها وصفي العنبتاوي ومحمود العابدي وسعيد الصباغ انتهت إلى أيدي باحثين أكاديميين ومتخصصين منهم حسن عبد القادر صالح ، وله دراسات حول غور الأردن ، ومن مؤلفاته : « مدينة عمان » (١٩٨٠) ، وه أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين » (١٩٧٣) ، وه إنتاج الغذاء في الأردن » (١٩٧٥) ، وه مشكلات الغذاء في العالم والوطن العربي » (١٩٧٣) . وكتب محمد علي الفرا « مناهج البحث في الجغرافيا وبالوسائل الكمية » (١٩٧٣) ، وه مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي » (١٩٧٩) . وثمة دراسات إقليمية وضعها وليد مصطفى وكمال عبد الفتاح وغيرهما تدرس المدن وتبين أسماء المواقع في الأراضي المحتلة .

د ـ الدراسات الاقتصادية والإدارية والقانونية : نالت هذه الدراسات أهمية كبرى ، وارتبطت في كثير من الأحيان بالقضايا السياسية الملحّة . ويعد نقولا الحموري من أوائل الاقتصاديين السياسيين في فلسطين ، إذ أصبح مرافقا للمالية العامة في روسيا في أوائل هذا القرن ، وقد أسهم علي طاهر الدجاني بمؤلفاته ومنها : « الاقتصاد العربي » (١٩٥٨) كذلك أسهم موسى يونس الحسيني بجهد كبير في البحث الاقتصادي ومن مؤلفاته : « النظرية الحديثة في السياسة المالية » ؛ وتخصص صلاح الدين السباغ في الاقتصاد والقانون ، ومن مؤلفاته : « السيادة العربية على خليج العقبة ومضائق تيران » . ويعد فؤاد صالح سابا من أبرز العاملين في الاقتصاد والمحاسبة ، ومن مؤلفاته : « النهضة الاقتصادية في الشرق الأدنى » (١٩٣٤) ، وه ضريبة الدخل وقضاياها في فلسطين » (١٩٤٧) . وأسهم علي رشيد شعث بكتاب « المدير العربي والخطر الإسرائيلي » (١٩٦٦) . ويعد نبيل شعث من المختصين في مجال الإدارة ومن مؤلفاته : « الإستراتيجية والإدارة العليا » (١٩٦٧) . ومن الاقتصاديين عصام عاشور الذي ألف : « النقد والائتمان في البلاد العربية » (١٩٦١) ، ومحمد صقر ، وله : « دور الاقتصاد الإسلامي في إحداث نهضة معاصرة » ، وه التجارة الخارجية لإسرائيل : حجمها ـ تركيبها ـ اتجاهاتها ـ وسياستها » (١٩٧١) . وكذلك برهان الدجاني ويوسف صايغ ويوسف شبل وادموند عصفور وشارل عيساوي . وثمة دارسات لفيصل مراد وياسم فارس وغيرهما في مجال الإدارة والاقتصاد . وقد أسهم معدي بسيسو في القانون ومجالاته ، ومن مؤلفاته : « موجز علم المالية والتشريع المالي » (١٩٥٠) ، وه تاريخ المذاهب الاقتصادية » (١٩٦٤) ، وه المصطلحات الحقوقية » (١٩٦٢) ، وه إسرائيل جناية وخيانة » (١٩٦٥) .

هـ ـ دراسات في التربية والاجتماع وعلم النفس : نشطت

جهود التربويين منذ فترة مبكرة من تاريخ فلسطين تنظيرا وتطبيقا في سبيل خدمة العلوم المختلفة ، ومن أجل فهم أوسع للعملية التربوية حتى حققت جهود التربويين أصالة وخبرة . فقد عُرف المعلم وهبة الله صروف بمؤلفاته التربوية اللاهوتية واللغوية . ومن رواد التربية الكبار خليل السكاكيني الذي أسهم في تدريس اللغة العربية تنظيرا وتطبيقا ، ومن مؤلفاته : « الجديد في اللغة العربية » في أربعة أجزاء (١٩٢٤ - ١٩٣٣) . ولجورج حنا سكسك محاولات في هذا المجال . ومن المربّين الرواد أحمد سامح الخالدي الذي أسهم بجهوده في حقل التربية والتعليم في فلسطين ، ومن كتبه « إدارة الصفوف » (١٩٢٨) ، و« أركان التدريس » (١٩٣٤) ،و« طرق التدريس المثلى » (١٩٣٧) . وخليل بيدس رائد كبير ألف في الحساب والقراءة والصرف ، ومن كتبه « العدد الثمين في تربية البنين » (١٨٩٨) ، و« مرآة المعلمين » (١٨٩٨) . وكتب مصطفى مراد الدباغ « مدرسة القرية » . ومن التربويين البارزين جورج شهلا ، ومن مؤلفاته : « الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية » (١٩٦٥) ، و« الموجز في تاريخ التربية » (١٩٦٥) . وخليل طوطح من أوائل الكتّاب التربويين وخاصة كتابه « التربية عند العرب». ولأحمد خليفة « التربية وأساليبها العملية». ولعبد اللطيف الطيباوي : « التعليم العربي في فلسطين في عهد الانتداب » و« التربية الإسلامية : أصولها وتحديثها في أنظمة التعليم العربية » (١٩٧٢) ، ولمحمود العابدي « كُنّاشة معلم » (١٩٧٢) .

ولإسحق الحسيني « رأي في تدريس اللغة العربية» (١٩٣٧) و« أساليب تدريس اللغة العربية» (١٩٤٧) ، ولفؤاد حنا ترزي « الوسائل السمعية والبصرية المساعدة في تعليم اللغة العربية » ، ولجبرائيل كاتول « الإدارة التربوية » (١٩٦٦) ، ولسيف الدين الكيلاني « دراسة مقارنة لنظم التفتيش في الأردن وأستراليا ونيوزيلندة » ، ولفوزي الكيالي « المرشد الحديث في أصول تدريس الرياضيات » (١٩٥٤) . ولعبد الحميد ياسين * جهد كبير في مجال التربية ، وله « رسالة التربية الحديثة » (١٩٧٥) .

ولعبد القادر يوسف « مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية » (١٩٦٢) ، و« التربية والمجتمع » (١٩٦٤) ، ولخسي الأشهب « عرض عام لوضع التعليم في المملكة الأردنية الهاشمية » (١٩٦٢) ، ولإسحق أحمد نرحان اهتمام كبير بقضايا التربية ومشكلاتها، ومن كتبه « العلم والإيمان » (١٩٧٢) ، و« التربية الإسلامية : أهدافها وسماتها وتجديدات العصر لها » . ولعبد الرحمن عدس « مبادىء الإحصاء في التربية وعلم النفس » (١٩٧٣) ، ولهاني عبد الرحمن « مقدمة إلى الانثربولوجية التربوية» ، و« علم الإنسان التربوي » (١٩٧٤) ، ولعبد الرحمن صالح عبد الله « دور التربية العملية في إعداد المعلمين » (١٩٧٥)، ولإنطوان زحلان « العلوم والتعليم العالي في إسرائيل » (١٩٧٠) ، ولصالح عبد الله سرية * (تعليم العرب في إسرائيل) (١٩٧٣) . فضلا عمّا كتبه كل من سعود الجلاد وفسطندي نقولا وعمر الشيخ وسيع أبو لبدة ونايف خرما وعبد الملك الناشف وغيرهم .

وأسهمت طائفة من المربّين في وضع كتب مدرسية لمختلف مراحل التعليم العام ، ففي مجال اللغة والأدب هناك أسماء مربين أعلام منهم : المعلم وهبة الله صروف ، وخليل بيدس ، وجريس خوري ، وخليل السكاكيني ، وبندلي صليبا الجوزي ، وجورج حنا سكسك ، وإسحق موسى الحسيني ، والمطران جبرائيل أبو سعدى ، وعبد الرحمن بشناق ، ومحمود سيف الدين الإيراني ، وسيف الدين الكيالي ، وفايز علي الغول ، وجميل سعيد ، وراضي عبد الهادي ، وعبد الرحمن الكيالي ، ومحمد محمود نجم ، وشريف النشاشيبي ، وعبد الرؤوف المصري ، وإلياس دانيال وغيرهم . ومن الذين أسهموا في مجال العلوم الاجتماعية والدينية : رفيق التميمي ، وخليل طوطح ، وجورج شهلا ، ومصطفى مراد الدباغ ، وأحمد خليفة ، وأكرم زعيتر ، ودرويش المقدادي ، ووصفي العنبتاوي ، وسعيد الصباغ ، وموسى الغول ، وعباس الأكرد ، ومحمد حسين ، وعبد الرحيم مرعب ، ومحمود العابدي ، وراضي عبد الهادي ، وعبد الحميد السائح ، وغيرهم . وفي مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية أسهم عدد من المربين منهم : خليل بيدس ، وصبي رشيد شمعة، ومحمد أديب العامري ، وفوزي الكيالي ، وزهير الكرمي ، وأحمد سعيدان ، وأحمد طوقان ، وإسحاق نرحان ، وسواهم

وقد نشطت حركة التأليف في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ؛ فلسليم شحادة اهتمام بارز بعلم النفس ، ومن كتبه : « دراسات في السلوك البشري » . ومن المشتغلين بهذه الدراسات باسم فارس ، وله « مصادر العلوم الاجتماعية في الشرق الأوسط » (١٩٣٤) . واهتم سعدي بسيسو بالدراسات النفسية والاجتماعية ، ومن مؤلفاته « مبادىء علم النفس الجنائي » (١٩٤٩) ، و« الوجيز في المجتمع العربي » (١٩٦٢) . ومن مؤلفات ليفون ملكيان : « التباعد الاجتماعي والتغير الحضاري في الشرق الأوسط». وهشام شرابي « مقدمة في دراسة المجتمع العربي » ، ولمحمد ربيع « هجرة الكفايات العلمية » (١٩٧٢) ، ولإسحق القطب « دراسة ميدانية في بعض الاتجاهات نحو تنظيم قرية مصرية » (١٩٧٢) ، وليوسف النجار « دراسات في المنطق

والفلسفة وعلم الاجتماع ، ومنها « مبادىء في علم الاجتماع » . ويعدّ فهمي جدعان من أبرز المشتغلين بالفلسفة في العالم العربي ، ومن كتبه « أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث» (١٩٧٨) .

و ـ الدراسات الإسلامية : ثمة علماء ذاعت شهرتهم أسهموا في الدراسات الإسلامية ، منهم : الشيخ عيسى منون الذي شغل منصب عميد كلية الشريعة في الجامع الأزهر ، وله « محاضرات في التوحيد وأصول الفقه » ، والشيخ يوسف النبهاني * ، وله « خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام » ، والشيخ سليم اليعقوبي* ، وله « حكمة الإسلام » (١٩٠٧) ، ومحمد إسعاف النشاشيبي ، وله « الإسلام الصحيح » (١٩٣٥) ، والشيخ منيب هاشم ، وله « حيد الآثار في تنوير الأبصار » ، والشيخ محيي الدين الملاح ، وله « عمدة الحاكم ومن يترد للمحاكم » في القضاء . ولروحي الخالدي « رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي ولي أقسام العالم الإسلامي » (١٨٩٦) ، ولمحمد عزة دروزة عدد من الدراسات الإسلامية ، منها « التفسير الحديث » (في اثني عشر جزءاً ١٩٦١ ـ ١٩٦٤) ، وه الدستور القرآني في شؤون الحياة » (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) ، وه القرآن واليهود » (١٩٤٩) ، وه القرآن والضمان الاجتماعي » (١٩٥١) . ومن العلماء البارزين الشيخ عبد الحميد السائح ، وله « التضامن الاجتماعي في الإسلام » (١٩٤١) ، والشيخ عبد الله عوشة ، وله « الاجتهاد والتقليد » ، وه فلسفة الحريات في الإسلام » (١٩٥٣) ، والشيخ عبد الله القلقيلي ، ومن كتبه « الفتاوى الأردنية » (١٩٦٩) . والشيخ حسن خير الدين فتيان ، والشيخ حسن الدجاني ، والشيخ تقي الدين النبهاني* ، والشيخ عبد العزيز الخياط ومن كتبه « الشركات في الشريعة الاسلامية والمؤيدات التشريعية : نظرية العقوبات » (١٩٧٤) ، والشيخ عادل الشريف والشيخ أسعد بيوض التميمي ، والشيخ عز الدين التميمي .

وثمة حركة نشطة في التأليف يسهم فيها عدد من الباحثين الجامعيين من أمثال عبد الله عزام ، وعبد المجيد المحتسب ، ومحمد عبد القادر أبو فارس ، وكامل سلامة الدقس ، ومحمد سليم الأشقر ، ومحمد نعيم ياسين ، وغيرهم . وقبل دراستهم إلى العمق ، وإلى الإفادة من العلوم الإنسانية والمعارف المختلفة في فهم جوانب الدراسة وإثرائها .

ز ـ العلوم الطبيعية والتطبيقية : أسهم أبناء فلسطين في رفد الحركة العلمية في ميدان التربية والتعليم والبحث والتأليف ، ففي ميدان الزراعة نشط عدد من الباحثين منهم علي نصوح الطاهر ومن كتبه « شجر الزيتون» (١٩٤٧) . ولسعيد التاجي الفاروقي « الوضع الزراعي العام في البلاد العربية » (١٩٥٤) . ولعدنان عبد السلام عرفات وماري سوداح وخليل قعبور دراسات زراعية متخصصة إلى جانب الباحثين الجامعيين الذين يشغلون مناصب في مراكز البحث العلمي والجامعات والمعاهد .

وفي ميدان الفيزياء أسهم انطوان زحلان بعدد من الأبحاث الفيزياتية بالإنكليزية . ويعد قدري حافظ طوقان * من أبرز الرياضيين في العالم العربي ومن مؤلفاته « ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات » (١٩٥٨) . وقد اهتم أحمد سعيدان بدراسات الرياضيات عند العرب وتحقيق مؤلفاتهم ، ومن كتبه : «تطور الرياضيات الهندية العربية » (١٩٦٦) . ويعد علي نايفة من علماء الرياضيات والهندسة المعروفين في العالم .

وفي مجال الهندسة المعمارية برز عدد من المهندسين ، ومنهم رائف نجم ، وله « المواصفات العامة للأبنية » . وفي مجال الكيمياء برز عادل جرار ، ومن كتبه « النطاط » (١٩٨٠) . ولإبراهيم أبو يمن اهتمام واسع بالعلوم الحياتية ، وخاصة علم الحشرات وتطبيقاته العملية .

وثمة جيل ينتشر في المعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي في مجال الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الحياتية والهندسة والصيدلة والعلوم الطبية يدفعون ببحوثهم وتأليفاتهم ، ويحاولون أن يضعوها موضع التطبيق ، فضلا عن التأليف في العلوم العسكرية وما كتبه في هذا الميدان محمد إبراهيم الشاعر « الهندسة العسكرية المصورة » (١٩٥٤) ، وه الألغام والمصائد والمتفجرات » (١٩٥١) .

وثمة اهتمام بالدراسات الفولكلورية ، والفنون ، والصحافة ، وعلم المكتبات والتوثيق ، حتى لم يبق مجال من مجالات المعرفة لم يحظ باهتمام المؤلفين والباحثين الفلسطينيين .

المراجع :

ـ ادهم الجندي : أعلام الأدب والفن ، دمشق ١٩٥٤ .
ـ عرفان أبو حمد : أعلام من أرض السلام ، حيفا ١٩٧٩ .
ـ محمود الأخرس : البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ، عمان ١٩٧٢ .
ـ محمود الأخرس: البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ ، عمان ١٩٧٦ .
ـ يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسات الأدبية ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة ، بيروت ١٩٦٨ .

تامي (حزب ـ) :

رَ : العنصرية والصهيونية

التـــأمين (شركة ـ العربية المحدودة) :

تأسست في القدس * في ١٩٤٤/٩/١ للقيام بجميع أصناف الضمان والتأمين على الحياة والحريق والحوادث البحرية والحوادث الجسدية وتعويض العمال والأمراض والعطل وولاية المتوفين والسرقات والنهب والاختلاسات وغيرها . وكان رأس مالها المصرح به في بادىء أمرها مائة ألف جنيه فلسطيني .

أنشئت هذه الشركة النوعية المتخصصة لتسد حاجة عربية ملحة في حقل خدمات التأمين في وقت لم يكن فيه في المنطقة العربية سوى شركة التأمين المصرية في القاهرة ، ولتكون واسطة من وسائط تمويل المشروعات الاقتصادية المختلفة ، مما يدل على حيوية الجهد الاقتصادي العربي في فلسطين .

وقد أقبل أصحاب الأعمال العرب في فلسطين على الإسهام في تأسيسها ، وبلغ عددهم ثلاثين مؤسسا . وأسهم معهم في ذلك بعض رجال الأعمال من سورية ولبنان .

لم تدم أعمال الشركة طويلا في القدس ، إذ اضطرت إثر حرب ١٩٤٨ * إلى نقل مقرها إلى بيروت . ولا تزال الشركة تعمل في مقرها في بيروت .

التبخُّـر :

رَ : المناخ

تبرئة اليهود من دم المسيح (وثيقة ـ) :

رَ : الفاتيكـــان

تُبصَر (قريـــة) :

تعرف أيضا باسم خربة عزّون . وتقع هذه القرية العربية إلى الجنوب الغربي من طولكرم * في أقصى الجنوب الغربي لقضاء طولكرم بالقرب من الحدود الإدارية لقضاء يافا بين قلقيلية * وقرية الحرم * (سيدنا علي) ، وتبعد عن الأولى نحو ٩ كم وعن الثانية نحو ٧ كم . وتبعد غربي طريق يافا ـ حيفا الرئيسة المعبدة أقل من كيلومتر . وتصلها طرق فرعية بالقرى العربية والمستعمرات الصهيونية المجاورة .

نشأت تبصر فوق رقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي * الشمالي . وترتفع ٥٠ م عن سطح البحر . يبدأ المجرى الأعلى لوادي الحيل من طرفها الغربي . كانت بيوتها مبنية من اللبن والإسمنت ، وتتخذ مخططها شكل المستطيل الذي يمتد طوله من الشمال إلى الجنوب . وقد بنى السكان فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، وأقيم فيها أيضا مسجد إلى جانب بعض الدكاكين التجارية . ويشرب سكانها من مياه الآبار . وتحتوي تبصر على آثار أسس بناء وبئر وقطع أرض مرصوفة بالفسيفساء ومدافن (رَ : الحرب والأماكن الأثرية) . وقد وصلت مساحتها في عام ١٩٤٥ إلى ٢٩ دونما .

مساحة أراضي تبصر ٥,٢٢٨ دونما منها ١٦٨ دونما للطرق * والأودية ، و٢,٨٠٧ دونمات تسربت إلى الصهيونيين . ويزرع في هذه الأراضي الحبوب * والبقول والبطيخ والقثاء ، وغرس البرتقال في مساحة ٢,٤١٣ دونما منها ١,٦٩١ غرسها الصهيونيون ، وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والآبار * الكثيرة التي حفرت لري بساتين الحمضيات * .

في عام ١٩٤٨ تعرضت تبصر لهجوم صهيوني فدافع أهلها عنها ، لكن الصهيونيين تمكنوا في النهاية من دخول القرية وطرد سكانها العرب منها ، ثم أزالوا معالمها لتتوسع مستعمرة « رعنانة » * الواقعة جنوبي تبصر على حساب أراضيها .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الطيرة .

التبـــغ (صناعة ـ) :

رَ : الصناعة
رَ : المواد الغذائية (صناعة ـ)

التتـــار :

تعرضت فلسطين أيام المماليك * لخطر التتار مرتين . كانت الأولى في بداية دولة المماليك البحرية (٦٤٨ ـ ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠ ـ

١٣٨٢ م) إذ اجتاح هولاكو بعساكره بلاد الشام واستولى على دمشق سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م . ولم تنج فلسطين التي تحتل القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام من هذا الغزو ، وعانت مدن الخليل * وبيت جبرين * وغزة * أعمال السلب والنهب والقتل والتدمير من الغارات التترية .

وعلى أرض فلسطين ، في عين جالوت*، كانت المعركة الفاصلة بين جيوش الدولة المملوكية الناشئة بقيادة السلطان سيف الدين قطز * العزّي (٦٥٧ ـ ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٨ ـ ١٢٥٩ م) وجيوش التتار بقيادة « كيتغاوين » ، انتهت بانتصار المماليك على التتار في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م . وطاردت جيوش المسلمين التتار حتى بيسان * ، وبذلك تلاشت أحلام هولاكو في الاستيلاء على مصر وبلاد الشام .

وظلت المناوشات بين الطرفين قائمة بعد معركة عين جالوت * ، وبلغت أشدها في أيام سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية ٦٩٨ ـ ٧٠٧ هـ/١٢٩٨ ـ ١٣٠٨ م) إذ استولت قوات غازان التتاري على دمشق ، واجتاحت منطقة الأغوار ونهبت القدس * وغزة .

وكانت المرة الثانية التي هدد الخطر التتاري فيها الدولة المملوكية ، وأصابت آثاره فلسطين ، أيام سلطنة الملك الظاهر برقوق بن أنص الثانية (٧٩٢ ـ ٨٠١ هـ/١٣٨٩ ـ ١٣٩٨ م) ، وهو من سلاطين دولة المماليك البرجية (٧٨٤ ـ ٩٢٢هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧ م). فقد هدّد تيمورلنك بلاد الشام عام ٧٩٦هـ/١٣٩٤ م ، وأرسل السلطان برقوق العساكر إلى حلب للتصدي لخطر التتار ، وكان بين أمراء العسكر نائب غزة ونائب صفد . لكن تيمورلنك لم يقدم على لقاء الجيش المملوكي هذه المرة . ثم عاد إلى تهديد بلاد الشام عام ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م بعد وفاة برقوق في أيام ابنه السلطان فرج (٨٠١ ـ ٨٠٨ هـ/١٣٩٨ ـ ١٤٠٥ م) . وقد وجه السلطان فرج نواب النيابات الشامية ، وفيهم نائبا غزة وصفد ، لمواجهة تيمورلنك عند حلب . وكان شملهم متفرقا ، ورأيهم مختلفا ، فأتاح ذلك الفرصة للتتار أن يجتاحوا حلب ويأسروا النوّاب بعد أن طلبوا الأمان .

ولمّا خرج السلطان فرج بنفسه للقاء التتار هزم جيشه عند دمشق ، فتراجع تاركا هذه المدينة لقمة سائغة للتتار. وهرب الناس من دمشق وطرابلس وحماة وصفد * والقدس والرملة * وغزة من وجه تيمورلنك إلى مصر وتشردوا في البلاد .

المراجع :

ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .
ـ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٧٢ .
ـ ابن عربشاه : عجائب المقدور في أخبار تيمور ، القاهرة ١٨٨٧ .

التجـــارة :

أ ـ نبذة تاريخية : التجارة قطاع اقتصادي مرتبط بقطاعي الانتاج الرئيسيين الزراعة * والصناعة * . وقد تمّ التبادل التجاري منذ العصور القديمة * بين فلسطين ومراكز الحضارات القديمة كالعراق شرقا ، ومصر جنوبا بغرب ، وسورية شمالا ، والحجاز واليمن جنوبا . وكانت فلسطين بالإضافة إلى تجارتها مع الأقطار العربية المجاورة تعد جسر عبور صاخبا لمرور التجارة ، إذ كان القوافلة * يستوردون الأخشاب من الفينيقيين * في شمالي فلسطين ، ويصدرون إليها العاج وريش النعام والأدوات المختلفة . وظل السبئيون والمعينيون يتاجرون مع بلاد الشام مدة طويلة ، ويعتقد أنهم بنوا مدينة غزة * القديمة وبعض المدن الأخرى في فلسطين .

في العصور الوسطى ازدهرت الحركة التجارية في فلسطين لأنها كانت واقعة على طريق التجارة العالمية بين الشرق الأقصى وجنوب آسيا من جهة ، وأوربا من جهة ثانية (ر : الطرق) . وازدهرت الموانىء الفلسطينية على البحر المتوسط وعلى خليج العقبة * لازدياد حركة التجارة عبرها. وقد اشتغل العرب في شبه الجزيرة العربية بالتجارة ، وكانت قوافلهم تسير ما بين الشام واليمن في رحلتي الشتاء والصيف . ومما يؤكد ذلك أن هاشم بن عبد مناف جد الرسول محمد (ص) مات في الطريق وهو عائد بتجارته من الشام إلى الحجاز ودفن في مدينة غزة . كما أن الرسول (ص) كان يعمل في التجارة بين الشام والحجاز . وقد عرف عن الخليفة عثمان بن عفان أنه كان من كبار التجار في الحجاز ، وأن قوافله التجارية كانت تسير بين الشام والحجاز عن طريق فلسطين .

وفي العصور الحديثة ازدهرت التجارة في فلسطين طوال العهد العثماني وامتدت إلى أوربا من جهة ، وإلى الولايات العثمانية المجاورة من جهة ثانية . وكانت هذه الفترة امتدادا لفترة حكم الصليبيين لفلسطين واحتكارهم التجارة بين الشرق العربي وأوربا . وقد كان لفلسطين في عهد الفرنجة * دور هام ، وكانت حلقة وصل تجارية بين المنطقة العربية وأوربا . ثم جاء الاستعمار الأوربي للمنطقة العربية لتصبح فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ومن بعده تحت السيطرة الصهيونية . فارتبطت التجارة ببريطانيا طوال فترة الانتداب مثلما ارتبطت فيما بعد بالكيان الصهيوني .

ب ـ مجال التجارة : تبرز أهمية فلسطين كطريق للتجارة بالنسبة

إلى الطرق التجارية الأخرى حين يُدرس المجال الذي يمكن أن تمتد في نطاقه خدمات فلسطين التجارية ، نهو مجال متوسط . ولموقع فلسطين الجغرافي الفضل الأكبر في جعل الطرق كلها تؤدي إلى فلسطين . إذ إن فلسطين تقع عند ملتقى ثلاث قارات هي : آسيا وأوربا وإفريقيا . وتربط بمجالها بين أقاليم مختلفة في الظروف الطبيعية ، فهي تصل بين آسيا الموسمية الحارة وإفريقيا المدارية الحارة من جهة ، وبين مناطق البحر المتوسط المعتدلة الدفيئة ومناطق غرب أوربا المعتدلة الباردة من جهة ثانية . وبعبارة أخرى تصل فلسطين بين الجنوب السامي ذي الثقافة والتقدم العلمي القليلين ، وذي الإنتاج الكبير من المواد الخام ، والشمال المتقدم في ثقافته وعلمه ، وصاحب الإنتاج الصناعي الكبير . ومن الطبيعي إذن أن يتم تبادل هذه الأفكار والمنتجات المختلفة التي تفيض عن حاجة أصحابها من سكان هذه الأقاليم فتنشط التجارة وتزداد حركتها في إطار من التعاون الدولي .

ولا تقتصر هذه القواعد على رواج التجارة الخارجية لفلسطين فحسب ، بل تنطبق هذه القواعد على التجارة الداخلية أيضاً . لأن فلسطين تشتمل على أقاليم طبيعية متفاوتة في خصائصها بالرغم من صغر مساحة البلاد . فهناك إقليم السهول الساحلية والداخلية ، وإقليم المرتفعات الجبلية ، وإقليم وادي الأردن ، وإقليم النقب الصحراوي . ولكل إقليم خصائصه المتميزة وإنتاجه المختلف . وتتحرك فوائض الإنتاج في كل إقليم نحو الأقاليم الأخرى على شكل تجارة داخلية . وسيجري الحديث أولاً عن التجارة الداخلية لفلسطين ، وهي تعبير حقيقي عن اقتصاديات البلاد ، ثم عن التجارة الخارجية التي هي وجه من أوجه العلاقات الاقتصادية بين فلسطين والعالم الخارجي .

جـ ـ التجارة الداخلية : هي المبادلات التي تتم بين فوائض البيئات الداخلية المتفاوتة في فلسطين . وتنقل هذه الفوائض بوسائل النقل المختلفة من مناطق الإنتاج إلى مناطق التسويق . وفي فلسطين البيئات التالية :

١) البيئة الساحلية : هي وجه فلسطين الذي يطل على العالم الخارجي عبر موانيء متعددة على البحر المتوسط وخليج العقبة . وهي الظهير الخلفي القريب والمباشر لهذه الموانيء .

وللبيئة الساحلية بالإضافة إلى هذه المهمة الأساسية مهمة أخرى هي تزويد هذه الموانيء بما يفيض عن حاجة سكانها من منتجات محلية لتصديرها إلى خارج البلاد من جهة ، ولتزويد أسواق البيئات الداخلية الأخرى بهذه المنتجات المحلية الفائضة من جهة ثانية . وتأتي الحمضيات * على رأس المنتجات التي تفيض عن حاجة سكان هذه البيئة الساحلية . ويتم تصدير القسم الأكبر منها إلى الخارج في حين يباع الباقي في الأسواق المحلية داخل فلسطين . وهناك سلع زراعية أخرى تباع في الأسواق المحلية كأصناف الخضر * والفواكه والأسماك * من شواطىء البحر المتوسط ، والمنتجات الصناعية المحلية التي تصنع في بعض المدن مثل الإسمنت ومنتجات النفط المكرر والغزل والنسيج * والأقمشة والملبوسات والفخار * والمواد الغذائية * والصابون * وغيرها .

٢) البيئة الجبلية : هذه البيئة فقيرة الإنتاج نسبيا . فهي تكفي حاجة سكانها من مشتقات الألبان مثلا ، وتباع بعض المواد التي تفيض عن حاجة سكانها في الأسواق المحلية داخل فلسطين ، ويصدر قسم منها إلى الخارج مثل الزيتون * والخضر وبعض أصناف الفواكه وبعض المنتجات الصناعية كزيت الزيتون (رَ : الزيوت النباتية ، صناعة) ، والصابون ، وأحجار البناء ، والسمن النباتي ، والحلويات ، والصناعات السياحية والخشبية . لكن أسواق هذه البيئة تستورد كثيرا من فائض البيئات الأخرى ، ومن خارج البلاد .

٣) البيئة الغورية : إذا كانت البيئتان الساحلية والجبلية تنتجان غلات منطقة البحر المتوسط ذات المناخ * المعتدل الدافيء فإن البيئة الغورية ، لانخفاضها دون مستوى سطح البحر ، تنتج غلات المنطقة المدارية الحارة كالموز * والحمضيات وجميع أصناف الخضر والحبوب * وغيرها ، وتنتج أيضاً بعض المنتجات الحيوانية كمشتقات الألبان مثلا . ونظرا لقلة عدد السكان المقيمين في وادي الأردن فإن كثيرا من منتجاته تفيض عن حاجة السكان وتباع في الأسواق المحلية ، أو تصدر إلى الخارج ، مثل الحمضيات ، والموز ، وأصناف الخضر ، ومنتجات الألبان .

وتجدر الإشارة إلى أن موعد نضج المحاصيل الزراعية في الأغوار يأتي مبكرا عن موعد نضج المحاصيل الزراعية في البيئات المجاورة الأخرى ، الأمر الذي يجعل هذه المحاصيل تطرح في الأسواق قبل أن تطرح المحاصيل القادمة من البيئات الأخرى فتكسب أسعارا مناسبة في غياب منافسة المحاصيل الأخرى لها في الأسواق المحلية . وتعد هذه الظاهرة ميزة فريدة بالنسبة إلى الأسواق المحلية في فلسطين من حيث ضمان توافر السلع الزراعية فيها على مدار السنة .

٤) البيئة الصحراوية : تشغل هذه البيئة قرابة نصف مساحة فلسطين ، ويقع معظمها في صحراء النقب * . وتتميز عن بقية البيئات الأخرى بأنها بيئة رعوية في الدرجة الأولى (رَ : الرعي) ، لذا فالمنتجات الحيوانية من حليب ولبن وزبدة وسمن وجبن وجلود وصوف وشعر وبيض وحوم وغيرها هي أهم ما تعطيه . والشعير محصول رئيس ، ويزرع في مساحات صغيرة من النقب ، لكن

إنتاجه فيفيض عن حاجة سكان الإقليم ويصدر إلى الأسواق المحلية والخارجية (رَ : الحبوب) . ويزاول بعض البدو صناعات خفيفة لبيعها في الأسواق المحلية مثل صناعة البسط (المزاود) والغزل ونسج بيوت الشعر (الخيام) . وقد خصصت أماكن في كثير من أسواق المدن والقرى الكبيرة المجاورة للنقب لبيع وشراء الحيوانات ، وكثيرا ما يستبدل أفراد البدو بما ينتجونه في بيوتهم الصحراوية بعض المنتجات الزراعية في أسواق القرى الزراعية ، وذلك بطريقة المقايضة . ويبيعون منتجاتهم الحيوانية في الأسواق المجاورة ، ويقومون بشراء حاجاتهم المنزلية من هذه الأسواق نقدا كالمواد الغذائية (السكر والدقيق والأرز) والمواد الصناعية الأخرى (الأقمشة والملبوسات والأحذية والأدوات المنزلية) .

بالإضافة إلى الحركة التجارية التي تمارس يوميا في أسواق المدن والقرى تخصص كل مدينة أو قرية تقريباً يوماً واحداً في الأسبوع تقيم فيه سوقاً يتجمع فيها التجار والمواطنون من المدينة نفسها بالإضافة إلى القادمين من المدن والقرى الأخرى المجاورة ليتبادل هؤلاء جميعا مختلف السلع المعروضة .

د ـ التجارة الخارجية : يمس قبل الحديث عن حجم التجارة الخارجية وتركيبها وتوزيعها الجغرافي دراسة أبرز العوامل المؤثرة في هذا القطاع الهام من اقتصاد فلسطين ، وذلك من ناحيتي التكوين والتوجه الجغرافي ، أو العلاقات المكانية .

( ) التكوين : يبرز في هذه الناحية عاملان أساسيان هما العامل الطبيعي المتمثل في الموارد الطبيعية ، والعامل البشري المتمثل في الموارد البشرية والاقتصادية . ثم يأتي النظام السياسي ليحدد مقدار تأثيركل عامل ومدى فاعليته في إيجاد المقومات الرئيسة للتجارة الخارجية . ولا بد أيضا من إضافة أثر التطورات السياسية التي مرت بها فلسطين منذ مطلع القرن الحالي حتى اليوم .

إن مساحة فلسطين وما تشتمل عليه من مصادر طبيعية قليلة يؤثران حتما في قلة ما يمكن أن تنتجه من مواد خام (رَ : المعادن) . لذلك إذا استثنيت بعض الخامات الزراعية الصناعية التي تدخل في تجارة الصادرات كالحمضيات والفوسفات * والبوتاس فإن معظم المواد الخام تدخل في تجارة الواردات . وتجدر الإشارة إلى أن الإنتاج الزراعي والغابي والحيواني والسمكي والمعدني لا يكفي حاجة السكان ، وبالتالي يصبح الاعتماد على الاستيراد من الخارج أمرا ضروريا . وإذا أخذ الإنتاج الزراعي مثالا لمعرفة درجة دفع عجلة التجارة الخارجية تبين أن مجموعة من عوامل البيئة الطبيعية تتحكم فيه ، وتحدد أقصى اتساع للرقعة الزراعية ، وتحدد إنتاج الغلات المزروعة (رَ : الزراعة) . ولهذا تضطر فلسطين إلى استيراد نوعين من المنتجات الزراعية : النوع الأول ينمو في ظروف خاصة لا تتوافر في فلسطين كالبن والشاي والتوابل والأرز والقطن وغيرها . والنوع الثاني ينمو في فلسطين ، ولكن الإنتاج المحلي منه لا يكفي حاجة السكان مثل الحبوب عامة ، والقمح * خاصة .

أما الإنتاج الصناعي فإنه يدخل في تجارة كل من الواردات والصادرات ، ذلك لأن الصناعة بصفة عامة تعتمد على استيراد الخامات والآلات والتجهيزات الإنتاجية اللازمة لها من جهة ، ولأن صغر حجم السوق المحلية يفرض من جهة أخرى الاعتماد على تصدير المنتجات الصناعية المحلية إلى الخارج (رَ : الصناعة) .

أدى تطور نمو السكان بمعدلات مرتفعة خلال القرن الحالي إلى حدوث ضغط سكاني على موارد فلسطين ، ودعا إلى بذل الجهود لمضاعفة معدلات النمو الاقتصادي في المجالات الزراعية والصناعية (رَ : السكان) . وبالرغم من هذه الجهود التي بذلت وتبذل داخل فلسطين فقد عجزت معدلات النمو الاقتصادي عن مواكبة معدلات النمو السكاني ، وبالتالي عجزت معدلات نمو تجارة الصادرات عن مواكبة معدلات نمو تجارة الواردات ، الأمر الذي أوجد عجزا مستمراً في الموازين التجارية لكل من العرب واليهوديين . وأثر ذلك أيضا في ازدياد العجز في موازين المدفوعات لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة والمنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ . وأصبح من الضروري الاعتماد على المساعدات الخارجية ، وعلى أموال المغتربين العرب الذين يعملون خارج فلسطين ، وعلى تأدية الخدمات خارج فلسطين . وجميعها صادرات غير منظورة تعمل على تغطية بعض العجز في موازين التجارة والمدفوعات .

ولا بد من الإشارة إلى أثر النظام السياسي لسلطة الانتداب البريطاني ، ومن بعدها أثر السياسة الاستعمارية الصهيونية التي تطبقها سلطة الاحتلال الصهيوني على المناطق العربية المحتلة في التجارة الخارجية لفلسطين . فهناك تطابق كبير بين السياستين الاستعماريتين ، إذ قامتا على أساس تسخير المواد الخام التي تنتجها فلسطين لخدمة الاستعمار بحيث يتم ربطها بأسواق كل من بريطانيا (سابقا) والكيان الصهيوني (فيما بعد) . ففي الماضي شجعت سلطة الانتداب على التوسع في استعمال الأرض الفلسطينية للأغراض الزراعية ، وركزت على الحبوب والحمضيات لتعتمد غالبية عرب فلسطين على الزراعة في معيشتها ، ولتتحول فلسطين إلى سوق مفتوحة أمام المنتجات الصناعية البريطانية . وقامت بعض الشركات التجارية البريطانية الكبرى ، مثل شركة ستيل ، باحتكار شراء الحبوب من المزارعين العرب بأثمان بخسة خلال الحرب العالمية الثانية ، وتخزينها بغرض تموين القوات البريطانية في فلسطين . واحتكرت بريطانيا أيضاً تسويق الحمضيات لنفسها ، وحدّت من تصديرها إلى غيرها من الدول

الأخرى ، وذلك للتحكم في المزارعين العرب باستخدام الحصصيات سلاحا ضدهم في الوقت المناسب .

أما الكيان الصهيوني فإنه يعمل على مصادرة الأراضي العربية الزراعية للتضييق على السكان العرب وإجبارهم على الهجرة إلى خارج فلسطين . ونتج عن تطبيق هذه السياسة انخفاض ملموس في نسبة الإنتاج الزراعي من مجموع الإنتاج المحلي العربي . ففي الضفة الغربية انخفض هذا الانتاج من ٤٦٪ عام ١٩٦٦ إلى ٢٣٪ عام ١٩٨٠ ، وفي قطاع غزة انخفض هذا الإنتاج من ٥٢٪ عام ١٩٦٦ إلى ٣٥٪ عام ١٩٨٠ . واستطاع الكيان الصهيوني أن يربط هذا الإنتاج على الرغم من انخفاضه باقتصاده، وذلك بتنفيذه سياسة الدمج الاقتصادي التي ترمي إلى الاستفادة من الإنتاج العربي موادخاماً للصناعات الصهيونية، ومن السوق العربية قوة شرائية للمنتجات الصناعية الصهيونية .

وقد تضرر الكثير من أصحاب العمل والتجار العرب نتيجة للوضع الاقتصادي السيء في الكيان الصهيوني ، ونتيجة لسياسة الضرائب الإضافية التي أدت في أحيان كثيرة إلى إغلاق هذه المحلات والمؤسسات الإنتاجية . وأصبح السكان العرب في الضفة والقطاع مستهلكين للبضائع الصهيونية التي تشكل حالياً ٢٠٪ من مجموع صادرات الكيان الصهيوني إلى العالم الخارجي . ونجم عن إغراق الأسواق المحلية في الضفة والقطاع بالبضائع والسلع الصهيونية تضرر القطاع الزراعي العربي ، وهجرة نحو ٣٥٪ من العاملين الزراعيين العرب أراضيهم ، والاتجاه إلى العمل في القطاعات الاقتصادية الصهيونية . ولا شك أن انخفاض الانتاج الزراعي والصناعي العربي بسبب سياسة سلطة الاحتلال الصهيوني أدّى إلى كساد عام في التجارة العربية بسبب التقييدات المفروضة على الاقتصاد العربي المرتبط باقتصاد الكيان الصهيوني .

٢) التوجه الجغرافي أو العلاقات المكانية : تتأثر تجارة فلسطين الخارجية بمجموعتين من العوامل الطبيعية والبشرية . ويأتي الموقع الجغرافي على رأس العوامل الطبيعية التي وجهت تجارة فلسطين في الماضي وتوجهها في الحاضر . ففي الماضي كانت التجارة الخارجية أيام المماليك * تجارة عبور ، فكانت فلسطين تستورد من الشرق الأقصى التوابل والليمان والطيب عن طريق المحيط الهندي ثم تنتقل هذه المستوردات عبر الموانيء الفلسطينية إلى أوربا . وفي عهد الانتداب البريطاني أيضا كان لموانيء فلسطين دور هام في خدمة تجارة فلسطين الخارجية مع الدول الأوربية عامة وبريطانيا بخاصة إضافة إلى خدمتها تجارة كل من الأردن والعراق مع دول أوربا . ونجح الموقع المركزي لفلسطين في وسط الوطن العربي على تنشيط حركة التجارة بين فلسطين وجاراتها من الدول العربية .

وقد طرأت تغييرات على الأهمية النسبية لموقع فلسطين بعد عام ١٩٤٨ ، إذ جدّت أمور أثرت في تطور التوجه الجغرافي للتجارة الخارجية . ففيام الكيان الصهيوني على جزء كبير من الأرض الفلسطينية بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ، واحتلال هذا الكيان الغاصب جميع الأرض الفلسطينية عام ١٩٦٧ ، أديا إلى إغلاق الموانيء الفلسطينية في وجه التجارة العربية الخارجية بعد أن طبقت سياسة المقاطعة العربية للكيان الصهيوني . وخلال الفترة الأولى (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ارتبطت تجارة الضفة الغربية بتجارة المملكة الأردنية الهاشمية في حين ارتبطت تجارة قطاع غزة بصورة غير مباشرة بتجارة مصر الخارجية . ومنذ عام ١٩٦٧ أخذ الكيان الصهيوني يطبق سياسة الدمج الاقتصادي بين اقتصاد المناطق العربية المحتلة واقتصاده ، مما يؤدي إلى ربط التجارة الخارجية العربية بتجارته بصورة غير مباشرة .

ومنذ أوائل الخمسينات افتتح الأردن ميناء العقبة وأصبحت تجارة الضفة الغربية تستفيد من هذا الميناء الجديد إضافة إلى استفادتها من ميناء بيروت اللبناني عن طريق سورية . وكان ميناء غزة يخدم تجارة قطاع غزة مع العالم الخارجي مع استفادة القطاع من ميناء بيروت أيضا . أما الكيان الصهيوني فإنه بدأ يستغل ميناء إيلات * في تجارته الخارجية على خليج العقبة منذ عام ١٩٥٦ بالإضافة إلى استفادته من الموانيء الفلسطينية على البحر المتوسط . وهذا يعني أن إنشاء كل من ميناء العقبة وميناء إيلات على رأس خليج العقبة أعطى بعدا جديدا لتجارة فلسطين فأصبحت على صلة بشرقي إفريقية وجنوبي آسيا والشرق الأقصى ، إلى جانب صلتها الأولى بأنظار البحر المتوسط وأوربا .

أثر الاحتلال الصهيوني لفلسطين عام ١٩٤٨ في ارتفاع تكاليف التجارة الخارجية للأردن عامة ، وللضفة الغربية خاصة ، مما أدى إلى ارتفاع أسعار السلع المستوردة ، وبالتالي إلى ارتفاع تكاليف المعيشة . فالمسافة بين القدس * ويافا * لا تزيد على ٤٠ كم في حين أن المسافة بين القدس وبيروت (بعد أن احتلت هذه مكانة حيفا)* أصبحت عشرة أمثال مسافة القدس - يافا . واستبدلت بالمسافة بين عمان وحيفا ، والبالغة ٢٥٠ كم ، طريق طويلة تزيد على ٣٥٠ كم ، وهي المسافة بين عمان وكل من ميناءي بيروت والعقبة . ورغم أن النفقات كانت كبيرة على تجارة الأردن عامةفقد كانت أكبر على تجارة الضفة الغربية . ففي بعض المناطق قرب خط الهدنة ازدادت المسافة التي تفصل بينها وبين أقرب الموانيء المفتوحة لها من ٤٠ كم إلى ٥٠٠ كم .

وإذا كان التغير النسبي لأهمية الموقع من فترة لأخرى يؤثر في التوجه الجغرافي للتجارة الخارجية فإن التطورات الاقتصادية التي شهدتها فلسطين أثرت في هذا التوجه المتغير للتجارة . وتبرز هنا آثار الاحتلال البريطاني لفلسطين ، ومن بعده الاحتلال الصهيوني ، في السيطرة على الاقتصاد الفلسطيني الذي تعدّ التجارة الخارجية جوهره الحقيقي . وقد ظلت فلسطين سنين طويلة مرتبطة بمجموعة دول

الكتلة الغربية في تجارتها الخارجية . ومنذ عام ١٩٥٦ أخذت إلى جانب ذلك تتعامل مع دول الكتلة الشرقية ودول عدم الانحياز ، واتجهت تجارة قطاع غزة أيضا بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ إلى دول الكتلة الشرقية بتشجيع من الإدارة المصرية للقطاع آنذاك من جهة ، وبسبب التسهيلات المقدمة من الدول الشرقية من جهة ثانية . ووجدت تجارة فلسطين لها أسواقا جديدة في دول عدم الانحياز ، وبخاصة بعض دول آسيا . وكانت العلاقات التجارية بين قطاع غزة ومصر قوية جدا ، بل إن مصر قدمت كثيرا من التسهيلات والمساعدات التي تكفل ضمان بقاء الحركة التجارية مزدهرة في القطاع .

وواجه المزارعون وأصحاب المصانع في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٦٧ مشكلة تسويق منتجاتهم . فالكيان الصهيوني يستورد من الضفة والقطاع بعض الإنتاج الذي يحتاج إليه لصناعاته فحسب ، ويتخلى عن العرب ولا يساعدهم في تسويق منتجاتهم التي لا يحتاج إليها خشية منافستها منتجاته في الأسواق العالمية . لكن الدول العربية والإسلامية لم تتخل عن مسؤوليتها إزاء سكان المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، فقد أخذت تستورد الكثير من إنتاج الضفة والقطاع ، وسهّل الاردن عملية مرور البضائع القادمة من الضفة والقطاع في أراضيه متجهة نحو البلدان العربية المجاورة (ر : الجسور المفتوحة) . وبالرغم من ذلك فإن منتجي الحمضيات والمصدرين والعاملين في حقل الحمضيات يشكون كساد الأسواق في بعض السنوات . وتشير الأرقام إلى أن مجموع إنتاج قطاع غزة من الحمضيات بلغ في موسم ٨٢/٨١ نحو ٢٠٠ ألف طن . ويذكر أن الدول الشرقية ـ وبخاصة بولغوسلافيا ـ التي تستورد ٢٩٪ من إنتاج القطاع ، لم تتعاقد لاستيراد الحمضيات في هذا الموسم ، وأن الدول العربية التي اعتادت شراء حمضيات القطاع لم تبد أي رغبة في الشراء في ذلك العام .

٣) حجم التجارة الخارجية وتركيبها :

(١) النصف الأول من القرن الحالي : قدرت تجارة فلسطين الخارجية في عام ١٩١٣ بنحو ٢.٧٥ مليون جنيه فلسطيني ، وكانت هذه التجارة مقسمة بالتساوي بين الصادرات والواردات . وفي عام ١٩٣٧ بلغت هذه التجارة ٢١,٢٥ مليون ج . ف ، أي زادت ثمانية أمثال ما كانت عليه . ولكن التوازن بين الصادرات والواردات احتل اختلالاً كبيراً فكانت قيمة الواردات أكثر من ١٥ مليون ج . ف في حين بلغت قيمة الصادرات ٥,٨ مليون ج . ف . وتُعزى أسباب نمو التجارة في فترة الانتداب البريطاني عما كانت عليه في أواخر العهد العثماني إلى الزيادة الكبيرة في عدد السكان ، وإلى ارتفاع مستوى معيشتهم وما تبع ذلك من زيادة كبيرة في الاستهلاك والانتاج . وقد تحسنت طرق المواصلات على أثر مد الخط الحديدي إلى مصر (ر : السكك الحديدية) ، وفتح الطريق الصحراوي إلى العراق عبر الأردن ، وإنشاء ميناءي حيفا ويافا ، ومد الطرق البعيدة ، وإيصال خط أنابيب النفط العراقي إلى حيفا . وكان لطرق المواصلات أثر هام في تنشيط الحركة التجارية بين موانىء فلسطين وظهيرها من جهة ، وبينها وبين العالم الخارجي من جهة ثانية (ر : الطرق) . وجاءت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وما رافقها من استيراد رؤوس أموال كثيرة ، جاءت كلها تقريبا على شكل سلع تجارية ورُوجت الحركة التجارية خلال فترة الانتداب ، وتكتلت الصهيونية من تأسيس الشركات والجمعيات والمؤسسات الإنتاجية ، ومنها الشركات التجارية .

يتحليل أرقام التجارة الخارجية لفلسطين عام ١٩٣٧ يتضح التركيب السلعي لهذه التجارة . ويمكن تقسيم الواردات إلى ثلاث مجموعات كبرى هي :

ـ السلع اللازمة لاستثمار الثروة الطبيعية ، وتشمل أدوات البناء والآلات الصناعية والزراعية ووسائط النقل .

ـ المواد الأولية اللازمة للصناعة كالمحاصيل الصناعية والأخشاب والمعادن وغيرها .

ـ مواد الاستهلاك المحلي ، وهذه إما غذائية ، وإما مواد مصنوعة . ويكوّن هذا القسم أهم ركن من أركان الواردات كلها . فقد بلغت قيمة المواد الغذائية المستوردة في تلك السنة أربعة ملايين جنيه فلسطيني ، والمواد المصنوعة صنعا كاملا أو نصف مصنوعة عشرة ملايين ج . ف .

أما الصادرات فأهمها كلها الحمضيات ، وتبلغ قرابة ٨٤٪ من المجموع الكلي . ثم تأتي بعد ذلك مقادير قليلة من المواد الأولية كالجلود وأمعاء الماشية والصوف الخام ، وقيمتها ٦,٥٪ من المجموع . وأخيرا المواد المصنعة كالمستحضرات الكيميائية ومنها البروم والبوتاس والصابون ، وبعض العقاقير الطبية ، والعطور ، وقليل من الملابس الجاهزة ، وغزل القطن والخيوط ، وقيمتها كلها ٩,٥٪ .

ويلاحظ من تحليل أرقام التجارة أن الميزان التجاري سلبي ، وقد بلغ معدل العجز السنوي فيه قبل الحرب العالمية الثانية نحو عشرة ملايين ج . ف ، أو ضعف الصادرات كلها . وكان هذا العجز الكبير يُغطى بالصادرات غير المنظورة كرؤوس الأموال الواردة مع المهاجرين الصهيونيين ، أو التي ترسلها إلى فلسطين المؤسسات والجمعيات الصهيونية ، وما كان ينفقه السياح والحجاج داخل فلسطين ، ودخل الأوقاف الإسلامية والمسيحية ، ومستوردات شركة

النفط العراقية ، ونفقات جيش الاحتلال البريطاني ، إلى غير ذلك مما لا يظهر له مقابل في جداول الصادرات .

ويلاحظ أيضا أن قيمة البضائع المستوردة بقصد استغلال موارد الثروة الطبيعية كانت كبيرة بلغت ثلث قيمة الواردات كلها . من جهة ثانية اعتمدت تجارة الصادرات إلى حد كبير على سلعة واحدة وسوق واحدة . فأكثر من ٨٠٪ من هذه التجارة كان قائما على الحمضيات ، وكانت ثلاثة أرباع كمية الحمضيات تصدر إلى السوق الإنكليزية .

ويتبين من استعراض التوزيع الجغرافي لتجارة فلسطين الخارجية أثناء فترة الانتداب أن بريطانيا احتلت المركز الأول في تجارة فلسطين . لكن ألمانيا أخذت تحتل مركزا ممتازا في السوق الفلسطينية بعد عام ١٩٣٦ عندما زادت صادراتها إلى فلسطين على الصادرات الإنكليزية . وتُفسر هذه الظاهرة بهجرة الصهيونيين من ألمانيا إلى فلسطين ، ومنعهم من نقل أموالهم التي استبدلت بها آلات ومهمات صناعية تمّ تصديرها إلى فلسطين (ز : النازية والصهيونية) . وأتت سورية في المرتبة الثالثة بعد ألمانيا وإنكلترا في تجارة الواردات الفلسطينية ، إذ كانت فلسطين تستورد من سورية المواد الغذائية كالخضر والبيض والدجاج والماشية . واستوردت فلسطين الأحشاب من رومانيا ، والآلات الزراعية من الولايات المتحدة ، والجلود وبذرة القطن من مصر ، والأسماك والبيض والمواشي الحية من العراق .

أما صادرات فلسطين فكان أكثرها يتجه إلى بريطانيا . وقد نشطت التجارة الفلسطينية مع البلدان العربية المجاورة خلال فترة الحرب العالمية الثانية في حين كانت هذه التجارة في الفترة التي سبقت الحرب والفترة التي تلتها ضعيفة جدا ، وذلك لتشابه المنتجات الفلسطينية ومنتجات جاراتها . وقد ساعد إنشاء ميناء حيفا وتجهيزه بأحدث المنشآت ، وفتح الطريق الصحراوية إلى العراق على تنشيط تجارة العبور (الترانزيت) إلى سورية والعراق .

(٢) النصف الثاني من القرن الحالي : ــ الضفة الغربية للاردن : تفقد الضفة الغربية بعد نكبة عام ١٩٤٨ قسما هاما من مواردها وقدراتها الاقتصادية داخل فلسطين المحتلة . فقد كانت الضفة الغربية تستكمل جزءاً كبيراً من احتياجاتها الإنتاجية والاستهلاكية من باقي أجزاء فلسطين ، وعن طريق موانئها ومرافقها العامة ، وكان اقتصادها يرتبط بعلاقات متعددة بالاقتصاد الفلسطيني العام سواء في سد احتياجات سكانها أو في كونه مصدر دخل جزء كبير منهم . ومنذ عام ١٩٥٠ ارتبط اقتصاد الضفة الغربية باقتصاد الأردن ، وأصبحت تجارتها جزءا من التجارة الخارجية للاردن حتى عام ١٩٦٧ .

بلغ عدد سكان الضفة الغربية في عام ١٩٥٢ نحو ٩٤٧ ألف نسمة منهم ٢٠٤ آلاف من اللاجئين ، أو ما نسبته ٢٧,٥٪ من مجموع السكان . وقد ضغط هذا العدد الكبير من السكان على موارد الضفة ، الأمر الذي نتج عنه نزوح أعداد منهم إلى الضفة الشرقية وبلدان الخليج العربي لتخفيف هذا الضغط . وقد استمر هذا النزوح طوعيا حتى عام ١٩٦٧ عندما نزح عدد كبير منهم قسريا على أثر حرب ١٩٦٧ * .

بلغ مجموع ذوي النشاط الاقتصادي من سكان الضفة الغربية وفقا لتعداد ١٩٦١ نحو ١٧٢,١٣٧ نسمة منهم ١٣,٩٠٤ نسمات يعملون في قطاع التجارة ، أو ما نسبته ٨٪ من مجموع القوى البشرية العاملة . ووفقا لهذا التعداد بلغت نسبة العاملين في قطاع التجارة ٤٪ من مجموع القوى العاملة في لواء الخليل ، ونحو ٧,٧٪ في لواء القدس ، و٧,٥٪ في لواء نابلس . وصل مستوى المدن في الضفة الغربية بلغت نسبة العاملين في التجارة في مدينة الخليل * نحو ١٦٪ من مجموع العاملين فيها . وبلغت نسبتهم في مدينة القدس ١٥٪ ، وفي مدينة نابلس نحو ٢٠٪ ، وفي مدن بيت لحم * وبيت جالا * وبيت ساحور * نحو ٩,٥٪ ، وفي مدينتي رام الله * والبيرة * نحو ١٢,٧٪ ، وفي مدينة طولكرم * نحو ٧,٦٪ .

وتعاني تجارة الضفة الغربية عجزاً واضحاً ومستمراً في ميزانها بسبب تفوق قيمة المستوردات على قيمة الصادرات . ولا تختلف الضفة الغربية عن الأردن في السمات العامة لتجارتها ، فهي تستورد المواد الغذائية ، والمنتجات الصناعية والنفطية ، والأقمشة والمنسوجات والأخشاب والجلود والآلات والأدوات الكهربائية والورق وغيرها . وأهم صادراتها الزيتون ، وزيت الزيتون ، وبعض الفواكه كالعنب * والبطيخ والخضيات ، والزيب والزيوت النباتية ، وأصناف الخضر كالبندورة ، وبعض المواد الكيميائية كالصابون والزجاج ، وأنواع من أحجار البناء .

ويُسدّ العجز في الميزان التجاري بالأموال التي يرسلها المغتربون من أبناء الضفة إلى ذويهم ، وأموال الصمود التي تقدمها بعض البلدان العربية النفطية ، وعائدات السياحة وزيارة الأماكن المقدسة ، وتبرعات وكالة غوث اللاجئين (ز : وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى) .

وتتجه صادرات الضفة الغربية نحو الأردن ، وفلسطين المحتلة (إسرائيل) ، والعراق ، وإيران ، وسورية ، وبعض أقطار أوربا الغربية ، وأوربا الشرقية . وتستورد الضفة من فلسطين المحتلة (إسرائيل) وبعض الأقطار الأوربية معظم السلع التي تحتاج إليها .

ــ قطاع غزة : منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وقطاع غزة يعاني من عجز في الميزان التجاري ، وذلك لقلة ما يصدّر وكثرة ما يستورد

من سلع استهلاكية . ولولا ما يرسله المغتربون إلى ذويهم في القطاع ، وما يرد إلى القطاع من مساعدات وكالة غوث اللاجئين ، لأصبح العجز في ميزان المدفوعات غير محتمل . وقد تضاعف حجم التجارة الخارجية للقطاع عدة مرات بين عامي ١٩٥١ و١٩٦٦ . ففي حين كان حجم التجارة نحو ١,٢ مليون جنيه مصري عام ١٩٥١ وصل إلى نحو ٤ ملايين ج . م . في عام ١٩٦٦ . ويعود السبب في ذلك إلى ازدياد عدد سكان القطاع ، وإلى تحسن مستوياتهم المعيشية ، وإلى التوسع في زراعة الخضر والأشجار المثمرة ، ولا سيما الحمضيات التي تشغل معظم مساحة الأرض المزروعة .

وخلال فترة الإدارة المصرية للقطاع كانت مصر تحدّ من استيراد الكماليات من الخارج إليها ، وتسمح بهذا الاستيراد لقطاع غزة فيتسرّب إلى مصر عن طريق السياح المصريين والمسافرين من القطاع إلى مصر كثير من هذه الكماليات . وقد ساعدت هذه السياسة على انتعاش الحركة التجارية في قطاع غزة وازدهرت تجارة القطاع مع مصر بالدرجة الأولى ، ومع الأقطار الاشتراكية بالدرجة الثانية ، ومع الأقطار العربية والأقطار الرأسمالية بالدرجة الثالثة .

وقد ازدادت قيمة الواردات بشكل مستمر منذ عام ١٩٦٠ بعد أن سمحت الإدارة المصرية في القطاع للتجّار باستيراد السلع من الخارج بدون تحويل عملة ، وذلك حرصا على جذب رؤوس الأموال التي يملكها بعض التجار في الخارج إلى قطاع غزة . وبالإضافة إلى ذلك كانت قيمة الصادرات تغطي أكثر من خمس قيمة الواردات . وبلغ متوسط نفقات وكالة غوث اللاجئين في القطاع ثلاثة أرباع مليون ج.م. سنويا ، وبلغت الإعانة السنوية للقطاع من وزارة الحربية المصرية نحو ٤٠٠ ألف ج.م. هذا عدا المساعدات الخارجية للقطاع . وقد أثر وجود قوات الطوارىء الدولية واستئجارها المنازل وتشغيل العمال والموظفين من أبناء القطاع في ترويج الحركة التجارية ، الأمر الذي ساعد على سد العجز التجاري للقطاع .

ويتضح من النظر إلى تطور واردات القطاع من السلع أن الواردات بعامة ازدادت ولا سيما واردات القطن الخام والغزل والصوف الخام وشعر المعز والملابس والآقمشة والآلات الميكانيكية ومواد البناء والحديد المبروم والألواح المعدنية والأخشاب والزجاج والورق والإسمنت والأدوات الصحية والأسمدة والأدوات الزراعية والكهربائية والمنزلية والأدوية والمواد التموينية كالدقيق والسكر والأرز واللبن والشاي والزيوت ومنتجات الألبان والخضر واللحوم والمواشي الحية وغيرها . ولم يتناقص سوى استيراد السجاير بسبب التوسع في زراعة الدخان والاعتماد على الانتاج المحلي .

أما عن تطور صادرات القطاع من السلع التجارية فيمكن القول إن صادرات الحمضيات ازدادت كميتها وقيمتها النقدية ، كما ازدادت صادرات القطاع من بذور الخروع بعد التوسع في زراعة أشجاره . وتقتصر صادرات القطاع على أنواع قليلة من السلع كالحمضيات والبطيخ والعنب والتفاح واللوز والبلح والجوافة والحديد والنحاس الخردة والأكياس والأقمشة القطنية المحلية والبسط والسجاد والفخار والبراميل المعدنية .

وارتبطت تجارة القطاع الخارجية بعد عام ١٩٦٧ بتجارة الكيان الصهيوني مثلما ارتبطت به تجارة الضفة الغربية أيضا ، حتى إن خمس صادرات الكيان الصهيوني تتجه إلى الضفة والقطاع . ويصدر القطاع ما يفيض عن حاجة سكانه من المنتجات إلى الكيان الصهيوني وإلى مصر والأردن وبعض الأقطار العربية الأخرى . ويصدر القطاع جزءاً من الحمضيات عن طريق الأردن إلى أقطار الخليج العربي والعراق وإيران ، وجزءاً آخر عن طريق ميناءي غزة وأسدود* إلى بولونيا وبعض الأقطار الأوربية الأخرى . والجدير بالذكر أن الضفة الغربية وقطاع غزة يستقبلان سنويا ما معدله أكثر من نصف مليون سائح يساهمون في ترويج الحركة التجارية في المناطق المحتلة ١٩٦٧ .

ـ الكيان الصهيوني : تميزت التجارة الخارجية للكيان الصهيوني خلال الأعوام الثلاثين الماضية ببعض المظاهر الهامة . فقد تزايدت أهمية قطاع التجارة بالنسبة إلى الاقتصاد الصهيوني ، وارتفعت نسبة الواردات والصادرات من السلع والخدمات . وبالرغم من سرعة النمو الذي حدث في كل من الصادرات والواردات كان معدل نمو الصادرات أكبر بكثير من معدل نمو الواردات . وازدادت أهمية تجارة (إسرائيل) من الخدمات ـ التجارة غير المنظورة ـ سواء بالنسبة إلى الصادرات أو إلى الواردات .

وحدث تغيّر هيكلي ملموس بالنسبة إلى مركز صادرات الكيان الصهيوني ، إذ تناقصت نسبة الصادرات الزراعية عامة ، ونسبة صادرات الحمضيات بخاصة ، وتزايدت نسبة الصادرات الصناعية . واعتمدت الصادرات على التنويع بدلا من التركيز على محصول زراعي واحد أو مادة صناعية واحدة .

وحدث أيضاً تغيّر هيكلي كبير في تركيب الواردات السلعية ، إذ هبطت نسبة الواردات الاستهلاكية هبوطاً شديداً وزادت نسبة الواردات الأولية زيادة كبيرة ، مع ثبات نسبي في واردات الوقود والسلع الاستثمارية .

لكن الفجوة بين الصادرات والواردات ظلت على حالها . ويظهر ذلك في كبر العجز في كل من ميزان الحساب الجاري (السلع والخدمات) وفي الميزان التجاري . كذلك تواجه التجارة الخارجية

منافسة قوية في الأسواق الخارجية ، مما يعرقل نمو حجم الصادرات وحرمان الكيان الصهيوني من أسواق طبيعية في الدول العربية بسبب المقاطعة الاقتصادية العربية إياه .

ويوضح استعراض التوزع الجغرافي لتجارة الكيان الصهيوني الخارجية خلال الأعوام الثلاثين الماضية أن هذا الكيان يتاجر مع مجموعة كبيرة من دول العالم الرأسمالية والاشتراكية المتقدمة منها والنامية ، وأن معظم تجارته يتركز في الدول الصناعية كبلدان السوق الأوربية المشتركة ومنطقة التجارة الأوربية الحرة والولايات المتحدة وكندا . وتؤلف تجارته مع الدول الإفريقية والآسيوية نسبة ضئيلة من مجموع تجارته العالمية . وقد ازداد حجم التجارة الخارجية للكيان مع الضفة الغربية وقطاع غزة بعد عام ١٩٦٧ .

وتأتي معظم واردات الكيان الصهيوني من الدول الصناعية ، ولا سيما الدول الأوربية ودول أمريكا الشمالية . وقد ازدادت واردات الكيان من الضفة الغربية وقطاع غزة ومصر في السنوات القليلة الماضية . وما زالت وارداته من دول أمريكا اللاتينية والدول الآسيوية والإفريقية ضئيلة . وتأتي معظم واردات الكيان الصهيوني من المواد الأولية والسلع الاستثمارية والمعدات الأخرى من الدول الصناعية في أمريكا الشمالية وأوربا . ويستورد من المجموعة الأوربية القسم الأعظم من السلع الاستهلاكية التي يحتاج اليها . أما وارداته من الولايات المتحدة فهي بالدرجة الأولى مواد أولية وأسلحة ، ثم سلع استثمارية ، في حين يتضاءل نصيب السلع الاستهلاكية المستوردة من السوق الأمريكية . ويستورد الكيان من اليابان السلع الاستثمارية ، ومن البلدان النامية المواد الأولية .

المراجع :

ـ سعيد حادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٨ .
ـ عبد المطلب أبو حجلة : دوافع وآثار الهجرة العربية في إسرائيل ، عمان ١٩٨٠ .
ـ فؤاد حمدي بسيسو : تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الإسرائيلي ، عمان ١٩٧١ .
ـ منظمة التحرير الفلسطينية : أوضاع الضفة الغربية المكانية بعد حرب ١٩٦٧ ، النشرة الكاملة للأمم المتحدة ، عمان ١٩٧٦ .
ـ محمد أحمد صقر : التجارة الخارجية لإسرائيل ، عمان ١٩٧١ .
ـ يوسف عجي : المظهر الجغرافي لمشكلة فلسطين ، الاسكندرية ١٩١٨ .

التجارة العربية (غرفة ـ) :

على أثر الاحتلال البريطاني لفلسطين ، ومواقفة عصبة الأمم " على صك الانتداب " عام ١٩٢٢ ، أنشئت في القدس غرفة تجارية باسم غرفة تجارة القدس ترأسها بريطاني ، وضمت أقلية عددية من التجار وأصحاب الأعمال العرب . ولم يكن منتظراً من هذه الغرفة المشتركة ، بسبب طبيعة تشكيلها ، تقديم أية خدمات تذكر للوسط التجاري العربي ، أو التحسس بنبضة العرب الاقتصادية ، أو التجاوب مع قضاياهم الوطنية . وكان لا بد لهذا الوضع من نهاية ، فما إن أعلن الإضراب العام سنة ١٩٣٦ حتى نهض أصحاب الأعمال العرب في المدينة المقدسة بإنشاء غرفة التجارة العربية بالقدس متخذين مقرها في شارع مأمن الله .

قامت الغرفة بنشاطات واسعة ، بجمعها شتات أصحاب العمل العرب ، وإصدارها دليلاً باللغتين العربية والإنكليزية عن التجارة والزراعة والصناعة العربية في فلسطين . كما عملت الغرفة على تمثيل الاقتصاد العربي الفلسطيني لدى الحكومة المنتدبة وفي الأوساط العربية ، وشجعت على إنشاء غرف تجارية عربية في حيفا " وغزة " والخليل " وطولكرم " ونابلس " وجنين " وسائر المدن الفلسطينية . وشارك أعضاء مجالس إدارة هذه الغرفة في الحركة الوطنية الفلسطينية ، وزج بعضهم في المعتقلات ، ومنهم رئيسها الشيخ عبد الباري بركاته .

وعملت الغرفة على عقد المؤتمرات التجارية العربية في فلسطين ، والاتصال بغرف التجارة في البلاد العربية ، ولعبت دوراً كبيراً في تنمية الجهد الاقتصادي العربي وإبراز شخصيته ومكانته ، وتعاونت في عقد أول مؤتمر للغرف العربية في مدينة يافا .

توقفت الغرفة عن العمل توقفاً كاملاً ، واحتل الغزاة الصهيونيون مكاتبها في حرب ١٩٤٨ " . ثم أعيد إنشاؤها في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٨ في البلدة القديمة في القدس بقرار من الحاكم العسكري آنذاك أحمد حلمي عبد الباقي " بعد اجتماعه بالتجار في مقره بدار المجلس الإسلامي الأعلى " . ولا تزال الغرفة قائمة بأعمالها حتى الآن .

وكان للغرفة في البلدة القديمة بالقدس دور في إعادة تجميع الفعاليات الاقتصادية ، وخاصة مشاكل التموين والنقل والإنارة الكهربائية التي حدثت بعد وقوع محطة التوليد العامة في الجهة الغربية من القدس تحت سيطرة الكيان الصهيوني . وقد ساعد قيام الغرفة على إنعاش أحياء الاقتصادية واجتذاب المستثمرين إلى المدينة ، ومباشرة أعمال البناء والعمران .

وكانت غرفة التجارة العربية في القدس في طليعة الغرف التجارية العربية التي شاركت في إنشاء اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية " لدى إعلان تأسيسه في الإسكندرية في شهر أيار ١٩٥١ .

ولا يزال للغرفة نشاطها ركيزتها في القطاع الشرقي من مدينة القدس رغم مضايقات السلطات الإسرائيلية لها وعزلها عن

الغرف العربية في الضفة الغربية وغزة ومن سائر الغرف التجارية العربية .

التجارة الوطنية الاقتصادية (شركة ــ) :

رَ : الإخاء والعفاف (جمعية ــ)

التحالف الإسرائيلي العالمي : رَ : الألبانس

تحتمس الثالث (١٤٥٠ ـ ١٤٢٥ ق.م. تقريباً) :

ملك من ملوك مصر الفرعونيين ، وقائد حربي ، وإداري ، وسياسي ممتاز . وقد واجه في بداية حكمه مؤامرة من بعض الممالك الفلسطينية والسورية ، وهناك تسجيلات مفصلة عن حملته عام ١٤٧٩ ق.م. وأهمها ما دار في موقعة تل المتسلم (مجدو *) .

وهو أول من أخذ أبناء الأمراء الفلسطينيين إلى مصر في الحملة السادسة . وقد بلغ عددهم ستة وثلاثين رجلاً تقريباً ، تربّوا على مائدة فرعون ، فلمّا عادوا وحكموا بلادهم لم يسوا فضل مصر فكانوا يستنجدون بها إذا ما تعرّضت بعض المدن الفلسطينية لأخطار التمرّد ، كما وضح ذلك من رسائل العمارنة التي وجّهوها إلى امنحتب الثالث وامنحتب الرابع (أخناتون *) .

وقد أحضر تحتمس الثالث إلى حملته الثالثة بعض فسائل الأشجار والأزهار الآسيوية وغرسها في مصر ، ولعله أحضر أيضاً بعض الطيور والحيوانات التي كانت في فلسطين وسورية . ومن ذلك على سبيل المثال الدجاج والرمّان . وقد نقشت على أحد جدران معبد الكرنك رسوم ما يقرب من ١٧٥ نباتاً .

يقول واحد من الكتاب الرافقين له : " كانت بساتينهم زاهرة بالفواكه ، ووجدنا نبيذهم في أوان كثيرة كالماء ، وحبوبهم في الأجران بعد أن تمّ درسها ، وكانت أكثر من رمال الشاطىء " . ويدل هذا على وفرة المحاصيل في فلسطين وسورية .

المراجع :

ــ عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ١٩٦٦ .

— Gardiner, A.H.: **Egypt of The Pharaohs**, London: 1961.

التحرر الوطني (عصبة ــ) :

تنظيم شيوعي فلسطيني ضم عناصر اليسار من المثقفين والعمال العرب ومنتدياتهم السياسية التي تأسست في خريف ١٩٤٣ ، كالعصبة العربية ضد الفاشية ، ونادي شعاع الأمل ، ونادي الشعب . وكان المرر الرئيس لالتقاء هذه النوادي العربية هو ارتداد الشيوعيين اليهود ، وقبولهم المشروع الصهيوني حول الوطن القومي اليهودي ، وما نجم عن ذلك من انقسام في الحزب الشيوعي الفلسطيني * عام ١٩٤٣ .

أسفر الالتقاء المذكور عن تشكيل عصبة التحرر الوطني التي أصدرت بيانها الأول في شباط ١٩٤٤ ، وتضمن ميثاقها وأسماء أعضاء لجنتها المركزية . كما أصدرت صحيفة « الاتحاد » لتكون ناطقة باسمها . وتألف الميثاق من برامج سياسية واقتصادية واجتماعية وبنية العصبة وهيكلها التنظيمي .

قالت العصبة في برنامجها السياسي إن القضية الفلسطينية هي قضية شعب يناضل من أجل استقلاله الوطني وتحرره من نير السيطرة الاستعمارية . وفي المذكرة التي رفعتها بتاريخ ١٩٤٥/١٠/١٠ إلى رئيس الوزراء البريطاني أشارت إلى أن القضية الفلسطينية قد نجمت عن " السياسة العدوانية التي انتهجتها الحكومة البريطانية مدة حكمها في فلسطين من الأيام الأولى حتى الآن . فهذه السياسة تركت للصهيونية المجال أمامها رحباً لتنمية قواها الاعتدائية وتوليد مراكزها الهجومية في فلسطين . ذلك كله يهدد وطننا اليوم بالدم والدموع " .

وقد تصدت العصبة للمحاولات التي قامت بها القوى الامبريالية والصهيونية لإقناع الرأي العام العالمي بأن قضية فلسطين " هي قضية هجرة يهودية ، أو إنقاذ هذه الهجرة " ، وأشارت إلى أن قضية فلسطين هي مثل قضية كل بلد مُستعمَر قضية الاستقلال والتحرر من نفوذ أجنبي استعماري ، وأكدت أن السكان العرب في فلسطين لن يأمنوا شر الهجرة الصهيونية " ما دامت مقدرات هذه الهجرة في غير أيديهم " ، على اعتبار أن الهجرة الصهيونية * " سلاح الصهيونية * كلها هي من وراء ستار ، الاستعمار في بلدنا " .

وقد أكدت العصبة بأن الحل الوحيد لقضية فلسطين يكمن في إشاعة الديمقراطية وإعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره بنفسه . وفي هذا السياق كشفت العصبة القناع عن الوجه الحقيقي للحركة الصهيونية ، وفنّدت مزاعم الصهيونيين بأنها " حركة تحرر وطني " وأثبتت أنها " من النوع الرجعي الاحتلالي ، فهي لا تطالب باستقلال فلسطين أبدا " .

حاولت عصبة التحرر الوطني ، وعلى الرغم من اتساع النفوذ الصهيوني بين اليهود في فلسطين ، أن ترسم حدوداً فاصلة بين الصهيونية والسكان اليهود في فلسطين . فقد أصرّت على ضرورة التمييز بين الصهيونية والسكان اليهود ، وأكّدت أن الصهيونية تتعارض مع مصالح اليهود أنفسهم ، وأن الحركة الصهيونية هي في الأساس حركة البورجوازية اليهودية الكبيرة المتواطئة مع

الامبريالية ، والساعية إلى تسخير جماهير اليهود داخل فلسطين وخارجها في خدمة مصالحها الطبقية .

استمرت العصبة تعمل لبرنامجها السياسي المذكور حتى صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ (رَ : تقسيم فلسطين) الذي أحدث انشقاقاً فيها . فلقد وضع الموقف من قرار التقسيم ، ثم ما أعقبه من تطورات على الساحة الفلسطينية ، قيادة العصبة ومواقفها أمام امتحان تاريخي ، فكان من نتيجة ذلك اعتزال بعض قادتها العمل السياسي ، وانضمام قيادة العصبة في الوطن المحتل وتنظيماتها إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي (١٩٤٨) ، في حين وضعت قيادة العصبة في الضفة الغربية برنامجاً سياسياً جديداً ، وغيّرت اسمها إلى الحزب الشيوعي الأردني (١٩٥٢) ضامّة اليها الحلقات الماركسية في شرقي الأردن .

المراجع :

ـ سميح سمارة : العمل الشيوعي في فلسطين ، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ موسى خليل : الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩١٩ ـ ١٩٤٨، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٣٩ ، تشرين الثاني ١٩٧٤ ، بيروت .

ـ عصبة التحرر الوطني : الميثاق الوطني ، جريدة الاتحاد (١٩٤٤ ـ ١٩٤٧) .

ـ ماهر الشريف : عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين (١٩١٣ ـ ١٩٤٨) ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ١٠٨ ، تشرين الثاني ١٩٨٠ ، بيروت .

ـ محمد حافظ يعقوب : من تاريخ الحركة الثورية في فلسطين : عصبة التحرر الوطني ومنتصف الأربعينات ، مجلة دراسات عربية العدد ٩، تشرين الثاني ١٩٧٢ ، بيروت .

التحرير : رَ : جيش التحرير الفلسطيني
رَ : طلائع حرب التحرير الشعبية
رَ : منظمة التحرير الفلسطينية
رَ : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة

التحرير الشعبية (قوات ـ) :

رَ : جيش التحرير الفلسطيني

التحرير العربية (جبهة ـ) :

١ـ الظروف التاريخية للنشأة : أنشئت جبهة التحرير العربية بمبادرة من حزب البعث . وكانت ولادتها نقلة نوعية في مستوى النضال سواء أكان ذلك على صعيد المقاومة الفلسطينية أم على صعيد نضال حزب البعث العربي الاشتراكي من أجل القضية الفلسطينية . ولا يمكن الحديث عن نشأة الجبهة وتطوّرها ما لم توضّح العلاقة الخاصة التي ربطت حزب البعث المتبنّي للإيديولوجية القومية بالنضال الفلسطيني .

يعدّ البعث القضية الفلسطينية قضية العرب المركزية الأولى ، وأخطر المشكلات التي تواجههم في حياتهم القومية . وقد ربط بين أهدافه القومية، الوحدة والحرية والاشتراكية، والقضية الفلسطينية مؤكداً أن " فلسطين هي خلاصة القضية العربية " .

واعتماداً على هذه النظرة أكّد ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث منذ عام ١٩٤٦ ضرورة تبنّي استراتيجية الكفاح الشعبي المسلح فقال: " فلسطين لن تحرّرها الحكومات العربية وإنما العمل الشعبي المسلح " . ومن هذا المنطلق قرر مجلس الحزب في تشرين الثاني ١٩٤٧ فتح باب التطوع للقتال في فلسطين ، وشكّل الحزب « مكتب فلسطين الدائم » ، وأعلن في عام ١٩٤٨ تشكيل « كتيبة البعث » التي اشترك فيها قياديو الحزب وأعضاؤه وأنصاره وقد خاضت الكتيبة من المعارك إلى جانب قوات جيش الانقاذ " ، واستشهد عدد من أفرادها من بينهم مأمون البيطار وعمد جديد وفتحي الأتاسي ومحمد صفا .

وعلى الرغم من تنبّه حزب البعث إلى أهمية الكفاح المسلح لتحرير فلسطين لم ينس العلاقة الوثيقة بين تحرير فلسطين والأوضاع الداخلية للأمة العربية ، وأن هذا التحرير يتطلب إسقاط الأنظمة الفاسدة التي سببت ضياع فلسطين . لذلك خاض الحزب المعارك ضد هذه الأنظمة ، وربط جميع ألوان نضاله السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالنضال من أجل تحرير فلسطين قضية الأمة العربية الأساسية . فقد وقف يعارض البيان الثلاثي * الصادر عام ١٩٥٠ ، وحارب مشروع جونستون لتقسيم مياه الأردن بين العرب والصهيونيين (رَ : الأردن ، استثمار مياه نهر ـ وروافده) ومشروع دالاس * عام ١٩٥٠ ، وقاوم مختلف المحاولات الاستعمارية المشبوهة الهادفة إلى طمس القضية الفلسطينية وتثبيت الاحتلال الصهيوني .

عاد الحزب في أواخر الخمسينات إلى الحديث عن الحاجة إلى تبنّي استراتيجية الكفاح المسلّح ، فدعا عام ١٩٥٩ ، عبر فرعه في لبنان، إلى تشكيل جيش تحرير شعبي لأبناء فلسطين ، ورفع في مطلع الستينات أول مذكرة إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب بشأن إقامة « جبهة تحرير فلسطين » . وأوصى في مقررات مؤتمره القومي الرابع عام ١٩٦٠ بالعمل على تكوين جبهة شعبية تضم مختلف القوى الفلسطينية لرفع مستوى النضال مع العدو الصهيوني .

وأوصى في مؤتمره الخامس بإنشاء منظمة فدائية يقودها البعثيون ، وتم إنشاء هذه المنظمة عام ١٩٦١ ، وأشرف عليها خالد البشرطي * عضو القيادة القومية للحزب . وقد أعدّت هذه المنظمة مجموعات مقاتلة ، ونفّذت عدداً من عمليات الاستطلاع وبعض عمليات القتال داخل الأرض المحتلة . لكن الظروف التي رافقت مسيرة الحزب إثر استلامه السلطة في كل من العراق وسورية حالت دون المضيّ في هذا المشروع .

وعندما أعلنت حركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) انطلاقة الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ أسرع البعثيون بقرار من قيادة الحزب إلى المشاركة فيها والالتحاق بصفوف الحركة الجديدة ، وكان من أبرزهم جلال كعوش * الذي قتل في السجون اللبنانية في مطلع ١٩٦٦ . لكن سرعان ما اكتشف الحزب الخطر الكبير المحدق بالثورة الفلسطينية بسبب الطرح القطري وعدم إدراك العلاقة بين الوحدة وتحرير فلسطين ، وأن فلسطين طريق الوحدة ، والوحدة طريق فلسطين ، وأن الفصل بينهما يسيء اليهما . ولم يكن هذا يعني إهمال حاجة العمل الفلسطيني في بداية انطلاقته المسلّحة إلى ابراز الشخصية الفلسطينية لانتزاع القضية من زوايا النسيان ، ومن وصاية الأنظمة ، على ألاّ يؤدي ذلك إلى التوقع القطري وإلى الانغلاق والابتعاد عن القضية العربية ، وإلى الوقوع في خطأ مساواة الأنظمة المتآمرة على فلسطين بالجماهير التوّاقة الى تحريرها .

ورجد الحزب أن لا بدّ من وجود تنظيم فدائي على الساحة الفلسطينية يترجم مواقف الحزب المبدئية واستراتيجيته بالنسبة إلى القضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني فأعلن في مؤتمره القومي التاسع (شباط ١٩٦٨) ضرورة إنشاء منظمة فدائية باسم « جبهة التحرير العربية » .

وقد جاء استلام حزب البعث السلطة في العراق في ١٧ ـ ٣٠ تموز من العام نفسه فرصة لإقامة قواعد الإمداد والتدريب الأولى للجبهة .

وقد أعلنت ولادة جبهة التحرير العربية في ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٨ جبهة فدائية فلسطينية تتبنّى الكفاح المسلح أسلوباً في النضال ، والإيديولوجية القومية الاشتراكية فكراً ومنهجاً . وبدأ مقاتلو الجبهة نشاطهم المسلّح من الساحة الأردنية ، وقاموا بكثير من عمليات الاستطلاع ، وكانت العملية الفدائية الأولى ليلة السابع من نيسان ١٩٦٩ ، وقد جعل هذا التاريخ ذكرى إطلاق الرصاصة الأولى للجبهة .

ب ـ الخط الفكري والأهداف النضالية : على الرغم من أن جبهة التحرير العربية وُلدت بمبادرة من حزب البعث فإنها ليست منظمة فدائية تابعة للحزب ، أو امتداداً مسلحاً للبعث داخل الثور الفلسطينية ، وليست التنظيم الفلسطيني للحزب . فالجبهة كما يصفها الأستاذ ميشيل عفلق هي " الحزب بإرادته في الانبعاث من جديد في إرادة التصحيح الشامل العميق في أوضاعه " . ومذا يعني أن تبنّي الجبهة للإيديولوجية القومية الشورية والتزامها نظرية الثورة العربية فكراً ومنهجاً واستراتيجية ليسا تبنياً والتزاماً جامدين سلبيين ففكر الحزب وتنظيمه ينبغي أن يولدا من جديد في الجبهة ، وستكتشف توجهات الحزب بالممارسة في هذا العمل الشعبي المسلح .

والجبهة التحرير العربية منظمة فدائية ذات طابع جبهوي ، وتركيب قومي ، وفكر ثوري . أما الطابع الجبهوي فقد فرضته حاجة الأمة إلى تجميع قواها ، وإلى وضع حد للانقسام بين القوى الوطنية ، للاستفادة من طاقات الأمة وإفساح المجال لمشاركة جميع القوى في الكفاح المسلّح . فالجبهة مفتوحة بفكرها وتنظيمها لكل من يختار طريق الكفاح المسلّح طريقاً وحيداً لتحرير فلسطين ومجابهة التحديات الإمبريالية وردّ الغزاة عن الوطن العربي .

والتركيب القومي هو وحده الذي يضمن اشتراك الجماهير العربية في المعركة ، ويؤكد وحدة النضال العربي على أرض فلسطين . المعركة معركة عربية ، لذا يجب أن تكون أداتها عربية . وتحرير فلسطين يرتبط ارتباطاً دقيقاً بالوحدة العربية ، لذا يجب أن تكون أداة التحرير قادرة على أن تصنع الوحدة ، وهي تحرير فلسطين . ومن هنا كانت الجبهة تنظيماً قومياً يضم مقاتلين عرباً من جميع أنحاء الوطن العربي .

والفكر الثوري لجبهة التحرير العربية هو فكر الحركة العربية الثورية الذي تحرك في بداية الأربعينات مدركاً الترابط العضوي بين النضال القومي والنضال الاشتراكي والنضال التحرري . فالصفات القومية والاشتراكية والديمقراطية هي الصفات الأساسية للكفاح الشعبي المسلّح القادر على تمثيل وجود الأمة العربية في فلسطين . فمن شأن قومية الكفاح الشعبي المسلّح أن تؤمّن امتداد الوعي بالخطر الصهيوني والاستعماري الذي يهدد وجود الأمة العربية إلى جميع أجزاء هذه الأمة ، ويؤكد بيان الجبهة السياسي أن توجّه العرب نحو فلسطين يصنع الوحدة ، وهو تحرّر فلسطين ، وأنه بقدر ما تعيد الوحدة إلى فلسطين حريتها تعيد فلسطين إلى العرب وحدتهم .

أما اشتراكية هذا الكفاح المسلح فهي وحدها القادرة على تعبئة جماهير الشعب العربي الكادحة تعبئة ثورية ، ورفع مستوى وعيها وتنظيمها وكفاءاتها ، عازلة بذلك جميع الطبقات والمؤسسات والأنظمة المرتبطة تاريخياً بمصالح الاستعمار ووجوده السياسي

والاقتصادي والمتضررة من الجو الثوري الذي يولّده الكفاح المسلّح في فلسطين . فالاشتراكية كما يؤكّد بيان الجبهة السياسي هي ضمان بقاء القيادة في يد الجماهير الكادحة صاحبة النفس الأطول والمصلحة الأبقى في إيصال الكفاح إلى مستوى الحرب الشعبية .

ويشير بيان جبهة التحرير العربية السياسي إلى أن ديمقراطية الكفاح المسلح تجعله وثيق الصلة بعقل الشعب وسروحه ، وتحميه من أمراض الوصاية والتحلّل من المبادىء والقيم الثورية وتمدّه بروح السلامة والصراحة في علاقة القيادات بالقواعد ، وتخلق لكل فرد مكاناً في المعركة .

وترى الجبهة ، استناداً الى النظرة القومية ، وانطلاقاً من الالتزام بفكر الثورة العربية ، أنه لا يمكن النظر إلى الواقع الفلسطيني على أنه واقع متميز من حيث النسوع من الوقائع العربي . فالقضية الفلسطينية هي جزء من الأزمة العامة التي تعاني منها الأمة العربية . وعلى الرغم من اتسام هذه القضية بسمة خاصة ترجع إلى طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الخاصة ، واختلافه عن الاستعمار العسكري والاقتصادي في باقي أجزاء الوطن العربي ، على الرغم من ذلك تظل الأرضية الحضارية التي ترسيت فوقها هذه السمة الخاصة جزءاً من الواقع العام للأمة ، أي أن القانون العام للثورة العربية ينطبق عليها .

إن العامل الخاص في القضية الفلسطينية هو الخلق مشكلة الوجود القومي شكلاً حاداً ومعقداً بسبب محاولة إلغاء هذا الوجود وإحلال كيان غريب محلّه . لكن هذا العامل الخاص مرهون بقيام ثورة عربية قادرة على تحريك عوامل الصراع الطبقي وزيادة قوة الدفع الوحدوي ضمن استراتيجية نضالية تستند إلى الكفاح الشعبي المسلح أسلوباً وحيداً لها .

وكلما نجح العدو في اقتطاع أراض جديدة في الوطن العربي، كما حدث بعد حرب ١٩٦٧ * ، فقد هذا العامل الخاص في القضية الفلسطينية صفته . لذلك ربطت الجبهة ، منذ البداية ، مستقبل فلسطين بمستقبل الأمة العربية مؤمنة أن معركة التحرير هي معركة الأمة العربية كلها ، لا معركة مجموعة أقطار ، أو معركة قطر وحده .. وأكّدت أيضاً أن تصاعد حدّة المواجهة بين جماهير الأمة العربية وأعدائها على أرض فلسطين يزيد طابعَ المعركة القومي والطبقي ترسّخاً وعمقاً . يقول ميشيل عفلق : " قضية فلسطين ليس لها حل خاص ، إنها خلاصة القضية العربية في محنتها الحاضرة مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ، فحلاجها هو نفس علاج المجتمع العربي، هو بتحرير الأكثرية الساحقة من أبناء شعبنا في وطننا العربي الكبير من الاستغلال والاستثمار وتوحيد نضاله ، أي ان القضية الفلسطينية هي خلاصة القضية العربية المتمثلة بتحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحّد ضمن دولة واحدة تكون فلسطين جزءا أصيلاً منها ، على أن تتعايش فيها مختلف الأقليات والطوائف الدينية في وضع ديمقراطي " .

هذا رفضت الجبهة ، ورفضت ، أي حل سياسي للصراع العربي - الصهيوني يؤدي إلى تثبيت الكيان الصهيوني الغاصب وإلى وأد النضال العربي لأن وجود الكيان الصهيوني استعماراً استيطانياً فوق أرض فلسطين يستهدف الأمة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ويشكل نقلة كبيرة في المشاريع الاستعمارية حيال الوطن العربي . فهذا الوجود يهدف إلى ضرب الوحدة ، والتخيّر ، وجميع حالات التقدم في الأمة العربية ، أي يهدف إلى الإبقاء على أوضاع التخلف والتجزئة والاستغلال فيها. تدل على ذلك نظرية « الأمن الصهيوني » التي تمتد إلى أي نطر عربي يحاول اللحاق بركب الحضارة، ويهدد وجود الاستعمار ، وتبرهن عليه تلك الصلة الوثيقة بين الكيان الصهيوني والإمبريالية الأمريكية ، فالأول قاعدة متقدمة لهذه الإمبريالية ، بل للعالم الرأسمالي كله .

لذلك كله رفضت الجبهة جميع المشاريع السياسية التي رأت فيها « تصفية » للقضية الفلسطينية مثل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ومشروع روجرز * ، ومؤتمر جنيف ، وتفاهمات كامب ديفيد * ، ومبادرة بريجنيف * .

ان جبهة التحرير العربية تؤمن أنها تعبير عن حاجة الثورة العربية إلى اعتماد الكفاح الشعبي المسلّح ، وتعبير عن حاجة الثورة الفلسطينية إلى الأمن القومي الذي تحمله الثورة العربية الأم . وترى أن ولادة الجبهة جاءت سداً « للنقص القومي » في العمل الفدائي الذي كانت تشكو منه جميع فصائل الثورة الفلسطينية ، سواء أكانت يمينية أم يسارية ، فلسطينية المنشأ أم قومية ، وأنه لا بد من زيادة تلاحم قوى المقاومة والقوى الشعبية العربية التي لا تتناقض مصالحها مع تعاظم الثورة ضد العدو الصهيوني الإمبريالي . لقد رأت الجبهة أن معظم الأشكال التنظيمية لفصائل الثورة الفلسطينية تتخذ أشكالاً قطرية لم تتعدّ في أحسن الحالات إطار الساحة الفلسطينية الأردنية فدخلت ساحة العمل سعياً إلى تعميق النهج القومي لحركة الثورة الفلسطينية ، وإلى تدارك النقص وسدّ الثغرة التي نفذت منها القوى المعادية لخلق الثغرات الإقليمية والقطرية بين العرب الفلسطينيين والجماهير العربية .

جـ - المواقف النضالية : منذ تاريخ ميلاد الجبهة وإطلاق الرصاصة الأولى ليلة السابع من نيسان ١٩٦٩ أخذت عملياتها العسكرية تتتابع ، لكن قيادة الجبهة اتخذت قراراً بعدم الإعلان عن أي من عمليات الجبهة . وظلت العمليات تجري بصمت حتى تاريخ ١٩٦٩/٨/٣١ حين نشرت الجبهة بيانها السياسي ، وأرفقت به

بلاغاً عن أربعين عملية عسكرية نفذتها منذ السابع من نيسان على الجبهات الأردنية والسورية واللبنانية .

عملت الجبهة خلال وجودها في الأردن على تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة ، وقامت بدورها في مناضلة العدو الصهيوني ، ونفذت في السنة الأولى لتأسيسها أكثر من ٦٠٠ عملية داخل الأرض المحتلة ، واشتركت في مقاومة المؤامرات على الثورة الفلسطينية ، وقدّمت في سبيل ذلك كله الكثير من الشهداء العرب من مختلف الأقطار . ثم أخذت الجبهة ترسّخ وجودها في الساحة اللبنانية فأقامت بعض القواعد في الجنوب اللبناني ،وأتبعتها بقواعد ومراكز في بقية المناطق ولا سيما المخيمات الفلسطينية .

رفضت الجبهة في البداية ، بسبب فهمها الخاص للنضال من أجل فلسطين ، أن تشارك في المجلس الوطني الفلسطيني * لمنظمة التحرير الفلسطينية * بوّفد عامل لأنها رأت هذا المجلس " إطاراً لمنظمة قطرية ، بينما تركيب الجبهة قومي " ، وشاركت بوفد مراقب " للاطلاع على تطور العمل الفلسطيني في إطار المنظمة ، ولرغبتها في الوقوف موقفاً إيجابياً من محاولات بعض حركات المقاومة الرامية إلى تطوير المنظمة باتجاه تحقيق الوحدة الوطنية " . وعندما أعلنت صيغة الكفاح المسلح فهلت الجبهة أربعة شهور قبل أن تشارك في هذه الصيغة " باعتبارها تشكل أرضية مشتركة يقف عليها المقاتلون " . ووافقت الجبهة عام ١٩٧٠ على صيغة « القيادة الموحّدة » التي أصبحت فيما بعد « اللجنة المركزية » ، واشترطت إنشاء مجلس وطني للثورة يكون المرجع الأخير للقيادة الموحّدة . وعلى الرغم من تقدم هذه الصيغة الأخيرة على صيغة الكفاح المسلح ، ظلت ، في نظر الجبهة ، تعاني وجود ثغرات كثيرة ، دفعت قيادة الجبهة في ١٩٧٠/١٢/٦ إلى تقديم مذكرة إلى منظمات المقاومة ضمّنتها ما أخذها على صيغة القيادة الموحّدة ، ومقترحاتها لتعزيز الوحدة الوطنية .

في ذلك الوقت كانت الجبهة تخوض معركة المقاومة الفلسطينية في الساحة الأردنية ، وتشارك في لبنان بمقاتليها ، وبمناضلين من الحزب في معركة صمود الثورة الفلسطينية . فكان لها دور بارز في أحداث نيسان ١٩٦٩ التي انتهت إلى توقيع اتفاقية القاهرة بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، وفي معارك التصدّي للعدو الصهيوني في جنوب لبنان ، وسقط للجبهة عدد من الشهداء .

في أعقاب أحداث أيلول ١٩٧٠ وخروج الثورة الفلسطينية من الأردن قبلت جبهة التحرير العربية دخول المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة التنفيذية التي انبثقت من المجلس المنعقد في القاهرة في تموز ١٩٧١ . وجاءت مشاركتها بعد الأحداث التي أبرزت الحاجة إلى مشاركة القوى القومية في حماية الثورة . وقد كانت مسألة الوحدة الوطنية في هذه المرحلة في مقدّمة نضال الجبهة، فدأبت وسائل إعلامها على الدعوة إلى ترسيخ هذه الوحدة ، ورفعت الجبهة المذكرات إلى مختلف الهيئات الفلسطينية حول هذه المسألة ، منها مذكراتها إلى المجلس الوطني في شباط ١٩٧١ ، وتموز ١٩٧١ ، وكانون الثاني ١٩٧٢ . وكان إصرار الجبهة على الوحدة الوطنية يعود إلى إيمانها بأن تحقيقها ، وتشكيل «جبهة تحرير فلسطينية» تؤدي فيها كل فئة عربية مخلصة أو انتماؤها القومي دورها في النضال من أجل فلسطين ، سيكون الضمانة الوحيدة لوضع جميع الطاقات في خدمة هدف التحرير .

وفي الوقت نفسه كانت الجبهة تعمل من أجل تطوير تركيبها الداخلي وفاعليتها النضالية، فعقدت في آب ١٩٧٢ المؤتمر التأسيسي الأول الذي تمثلت فيه جميع القطاعات النضالية . وناقش المؤتمر التقارير المقدمة من قيادة الجبهة ، وانتخب لجنة مركزية جديدة ضمت عدداً من المقاتلين في القواعد ، وعدداً من المؤسسين الأوائل . وقد أعطى المؤتمر دفعاً جديداً للجبهة ، فزادت قوتها داخل الساحة الفلسطينية وبرزت الجبهة في المؤسسات الموحّدة للثورة الفلسطينية .

لعبت جبهة التحرير العربية والحزب في لبنان ، بالتلاحم مع الفصائل الأخرى ، دوراً بارزاً في أحداث لبنان عام ١٩٧٣ التي أعقبت اغتيال قادة المقاومة الثلاثة (الشهداء كمال ناصر * وكمال عدوان * ومحمد يوسف النجار *) ، والمعارك بين السلطة اللبنانية وقوات المقاومة التي انتهت بتوقيع « بروتوكول ملكارت » . واستطاعت من خلال امتدادها الجماهيري بين الفلسطينيين واللبنانيين أن تكون همزة وصل بين الطرفين في النضال الوطني والقومي المشترك ضد المؤامرة على الثورة .

وشاركت الجبهة بمقاتليها وأعضاء تنظيماتها الشعبية بصورة فعالة إبان حرب ١٩٧٣ * مع العدوّ الصهيوني . ولما رأت الجبهة أن هذه الحرب قد وظفتها بعض الأطراف العربية لتحقيق مزيد من التخاذل ، ولقبول الحلول الاستسلامية ، تحركت للعمل وساهمت في تشكيل « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية» التي ضمت ثلاثة تنظيمات فلسطينية إضافة إليها . وقد انطلقت في ذلك من شعورها بالخطر المحدق بالقضية الفلسطينية ، ومن فهمها الثوري للنضال ، ومن التزامها بالموقف المبدئي للحزب من الحلول الاستسلامية .

وكان لجبهة التحرير العربية دور بارز في أحداث لبنان الدامية التي فجرها في ١٩٧٥/٤/١٣ كمين عين الرمانة لسيارة الركوب العائدة إلى مخيم تل الزعتر ، وراح ضحيته عدد من أفراد جبهة التحرير العربية بالإضافة إلى عدد آخر من المدنيين وأفراد التنظيمات

الأخرى . وقد شاركت الجبهة في المعارك القتالية وقدمت مئات الشهداء ، وفي المعارك السياسية فكان لها دائماً موقفها الواضح النسجم مع التزامها بالمبادىء القومية للثورة وبأهداف النضال من أجل تحرير فلسطين .

وفي الوقت الذي كانت الجبهة تتصدّى فيه مع غيرها من الفصائل الفلسطينية والأطراف الوطنية اللبنانية لأعداء الثورة داخل لبنان كانت تشارك إلى جانبهم أيضاً في المعارك مع العدو الصهيوني وعملائه في الجنوب اللبناني ، خلال معارك آذار ١٩٧٨ ، وخلال الهجمات الأخرى المتواصلة التي تلتها في الطيبة وكفركلا والقاسمية والعيشية وغيرها .

ولم يمنع ذلك كله جبهة التحرير العربية من متابعة كفاحها المسلّح داخل الأراضي المحتلة ، فقامت بعمليات كثيرة ، وارتفت فيها من حيث النوع وقوة التأثير ، ونفّذ مقاتلوها عدداً من العمليات الانتحارية مثل عملية مستعمرة كفار يوفال * التي جرت صباح ١٩٧٥/٦/١٥ ، وعملية اقتحام كيبوتز كفار جلعادي * في الجليل الأعلى بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ ، وعملية طبريا بالقرب من مستعمرة أسدوه يعقوب جنوبي بحيرة طبرية بتاريخ ١٩٧٧/٨/٤ ، وعملية اقتحام مستعمرة مسكاف عام ليلة ١٩٨٠/٤/٧ ، ومحاولة اغتيال أريئيل شارون وزير الزراعة الصهيوني (آنذاك) والمسؤول عن عمليات الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة في منتصف تموز ١٩٨٠ ، والكمين الذي نصبته قوات الداخل في جبهة التحرير العربية ليلة ١٩٧٩/٨/٥ وانتهى إلى تدمير سيارة عسكرية وأخرى مجنزرة وقتل جنود الدورية عدا واحداً أسرته قوات الجبهة .

وقد دلّت مشاركة مقاتلين من أقطار عربية مختلفة في العمليات القتالية للجبهة على أن معركة فلسطين هي معركة الأمة العربية كلها من المحيط إلى الخليج ، وعلى أن المواجهة مع العدو الصهيوني مواجهة قومية شاملة ، العرب جميعهم مسؤولون عنها . كما ان استشهاد مقاتل تركي في عملية كفار يوفال ، ومقاتل باكستاني في عملية مسكاف عام ، دليل يؤكد أن الصراع مع الكيان الصهيوني يحظى بدعم قوى التحرر العالمية ، ولا سيما شعوب العالم الثالث التي تخوض نضالاً متواصلاً مع الهيمنة الإمبريالية ، ومع محاولات السيطرة الأجنبية على مقدّراتها .

وعلى الرغم من حرص جبهة التحرير العربية على صيغة « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » وافقت أوائل ١٩٨١ على وقف العمل بهذه الصيغة بسبب التطورات السياسية على الساحتين العربية والفلسطينية بعد زيارة السادات للقدس ، واتفاقيات كامب ديفيد ، وبسبب التباين في بعض وجهات النظر إلى طبيعة المرحلة ، وما استدعى ذلك من حاجة الى توحيد الصف الفلسطيني والعربي ، والوقوف على أرض موقف فلسطيني مشترك في مواجهة التحديات المطروحة بروح جديدة وانفتاح جديد .

وأخيراً حاولت الجبهة جهدها أن تتجنب المزالق والانحرافات مستندة إلى نظرتها القومية وإلى فهمها الثوري التاريخي لأهمية الوحدة العربية في نضال الأمة العربية وفي النضال الفلسطيني بخاصة . وسعت إلى أن تكون أمينة لمبادىء حركة الثورة العربية ، ومخلصة لأهداف النضال العربي والجبهة على الرغم من جميع الصعوبات ، ومتمسكة بإصرار بأهدافها وأطروحاتها واستراتيجيتها النضالية المسلّحة حتى تتهيأ الظروف الملائمة لتطبيقها بتفاعل النضال الفلسطيني والنضال العربي إلى مستويات متقدمة تمكّن من تطبيق شعار « ثورة حتى التحرير » ، تحرير فلسطين بكاملها ، وتحرير الوطن العربي كله من جميع أشكال السيطرة الأجنبية حتى تصبح الطريق سالكة لبناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحّد .

التحرير الفلسطينية (جبهة ــ) :

ر : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ر : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ القيادة العامة

التحصينات (خطوط ــ الإسرائيلية) :

مرت عملية تحصين الخطوط بالنسبة (لإسرائيل) بمراحل عدة . فمنذ أن بدأت الصهيونية * العالمية بإرسال الدفعات الأولى من الصهيونيين الغزاة إلى فلسطين شعرت بالحاجة إلى حمايتهم من أصحاب الأرض فجعلتهم في مستعمرات خاصة بهم ، ودربتهم على القتال ، وحصنت المستعمرات لتكون قادرة على الصمود تجاه الهجمات العربية المحتملة . وعندما أصبح للصهيونية العالمية ، فيما بعد ، قوات مسلحة سرية في فلسطين تم توزيع هذه القوات على المستعمرات للدفاع عنها ، وللانطلاق منها ، عندما يحين الوقت ، للاعتداء على القرى العربية المجاورة . لذلك نجد أن انتقاء مواقع المستعمرات كان مدروساً تكتيكياً واستراتيجياً ليخدم الأمن المباشر للصهيونيين المقيمين في فلسطين ، ثم ليؤمن السيطرة على كافة الأراضي الفلسطينية عندما يحين الوقت المناسب . وقد بلغ عدد المستعمرات قبل حرب ١٩٤٨ * حوالي ٢٩٧ بين كيبوتز * وموشاف * . واعتبرت الصهيونية فلسطين كلها وحدة دفاعية واحدة ، ولذلك روعي في توزيع المستعمرات أن تشكل فيما بينها خطوطاً دفاعية متتالية بهدف فصل المناطق العربية بعضها عن

بعض وصد الهجمات العربية وامتصاصها والاحتفاظ بالطرق صالحة للحركة . ولتكون قاعدة انطلاق للهجمات الصهيونية المقبلة .

بعد أن توقف إطلاق النار في حرب ١٩٤٨ وتم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الدائمة بين الأردن وسورية ولبنان ومصر وبين (إسرائيل) * عام ١٩٤٩ وأصبح للكيان الصهيوني خطوط محددة تفصل المنطقة المحتلة عن المنطقة غير المحتلة من فلسطين وعن الدول العربية الأخرى بدأت مرحلة جديدة من عمليات التحصين . فقد وجدت القيادة الإسرائيلية أن أعداء الكيان الصهيوني يحيطون به من جميع الحدود البرية ، وأن جميع الاتجاهات مهددة بالخطر على طول خطوط الهدنة التي يستحيل تحصينها بكاملها إذ يبلغ طولها نحو ١,٠٠٠ كم ، في حين يضيق خصر الكيان حتى يبلغ ١٤ كم ، وذلك بالإضافة إلى حد بحري يبلغ طوله ٢٥٠ كم .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى لا تعتبر القيادة الإسرائيلية خطوط الهدنة حدودا (للدولة) بل خطوطا مؤقتة ومرحلية على

التحصينات الإسرائيلية في سيناء

طريق بلوغ الحدود النهائية لإسرائيل الكبرى (ز: التوسعية الصهيونية) . لهذا فقد كان طبيعيا أن تقيم القيادة العسكرية شبكات جديدة من المستعمرات على طول خطوط الهدنة وفي العمق لتكون مستندا للانطلاق إلى هجوم عدواني جديد .

وبدأت المستعمرات تتكاثر على الحدود مع الدول العربية موزعة على محاور الطرق المؤدية إلى فلسطين المحتلة ، أو مقامة على نقاط مسيطرة على الأراضي المحيطة بها ، وهي تتعاون فيما بينها بالنيران وبمناورة القوات .

وقد هدفت (إسرائيل) من هذه المستعمرات إلى التصدي لأي هجوم عربي ، وامتصاص قوته ، وإجبار القوات العربية على خوض معارك حصار طويلة الأمد تبطىء الهجوم وتكسر حدته ، مما يتيح للاحتياطات الإسرائيلية التحرك والتدخل في الاتجاهات الملائمة لها . ويفيد هذا الأسلوب في توفير القوات إذ يستفيد من السكان المحليين في كل مستعمرة في الدفاع عنها بعد تدريبهم . كما روعي أن تكون هذه المستعمرات قادرة على الصمود تجاه القصف المدفعي والجوي وفي وجه حصار طويل الأمد ، ولذلك حُصّنت جيدا ، وحفرت فيها الخنادق وأقيمت الملاجىء اللازمة ، وبنيت فيها أبراج المراقبة ، ومواضع رمي محصنة ومشرفة على طرق الاقتراب منها ، وزودت بالأسلحة المناسبة ، وجهزت بالمستودعات اللازمة للمواد التموينية ، وبالذخائر والمرافق الطبية .

ويؤمن هذا الأسلوب في التحصين إمكانية حشد القوات الإسرائيلية في هذه المستعمرات القريبة من الحدود للانطلاق منها إلى الهجوم مباشرة ، أي أن تكون المستعمرات الحدودية قاعدة انطلاق للهجمات الإسرائيلية المفاجئة تحقيقا لمبدأ القتال بضرورة نقل المعركة إلى أرض الخصم فور بدئها .

على أثر عدوان حزيران ١٩٦٧ (ز : حرب ١٩٦٧) حصل تبدل كبير في المعطيات السابقة ، فخطوط وقف إطلاق النار أصبحت أقصر مما كانت عليه ، وغدت تستند إلى موانع طبيعية أفضل (قناة السويس ، مرتفعات الجولان * ، نهر الأردن *) . ولم يتم التوقيع على اتفاقيات هدنة جديدة وإنما جرى الاتفاق على وقف إطلاق النار . وأدركت (إسرائيل) أن العرب يستعدون لاستعادة أراضيهم المحتلة وحقوقهم المغتصبة ، وأن المناطق المحتلة توسعت كثيرا وزاد معها تعداد السكان العرب فيها ، مما يتطلب اتخاذ تدابير خاصة للسيطرة عليهم ، ويستدعي وجود قوات عسكرية دائمة داخل الأرض المحتلة . وحتى لا تحتفظ القيادة العسكرية بعدد كبير من المجندين في الخدمة لمواجهة متطلبات الوضع الجديد الناتج من اتساع رقعة الاحتلال لجأت إلى أسلوب آخر للتحصين هو مزيج من الدفاع الثابت والتحرك ، فأنشأت خطوطا دفاعية على خطوط وقف إطلاق النار مع سورية ومصر ، في حين اعتمدت أسلوب إقامة المستعمرات الدفاعية في الضفة الغربية ، مع إقامة مستعمرات دفاعية في هضبة الجولان وسيناء على المحاور الرئيسة والمواقع المشرفة على المناطق الصالحة لتحرك القوات .

تميزت الخطوط الدفاعية الجديدة بأنها مؤلفة من نقاط استناد قوية قادرة على تحمل القصف الجوي والمدفعي ، وموزعة على النقاط المشرفة على محاور التحرك ، تحيط بكل منها خنادق معقدة وحقول من الألغام المضادة للأشخاص وللدبابات وعدة صفوف من الأسلاك الشائكة ، ومزودة بأسلحة مضادة للدبابات ، وفي كل نقطة أماكن للراحة ومخازن للذخيرة والمؤن تساعدها على الصمود في وضع الحصار . وقد روعي في توزيع هذه النقاط المحصنة أن تكون متعاونة بالنيران بشكل فعّال ، بالإضافة إلى مناطب رمي أقيمت في الفُرَج الفاصلة بين كل نقطتين ، وتحتل الدبابات هذه المناطب عندما يلوح الخطر .

اعتقدت القيادة الإسرائيلية أن خطاً دفاعياً واحداً كاف للتصدي لأي هجوم عربي واقتحامه ، وللصمود فترة كافية تسمح للقوات الجوية بالتدخل ، وللقوات المدرعة بشن الهجمات المضادة .

وقد استفادت القيادة الإسرائيلية على الجبهة المصرية من وجود قناة السويس كفاصل بين خط الدفاع والقوات المصرية وركزت اهتمامها على السيطرة التامة على هذا الممر المائي ، في حين أنشأت أمام الخط الدفاعي في مرتفعات الجولان خندقا مضادا للدبابات وعدة حقول ألغام متتالية بالعمق وعدة صفوف من الأسلاك الشائكة تشكل منطقة أمان للخط الدفاعي نفسه .

ويعتبر « خط بارليف » نموذجاً لهذا النظام الدفاعي الذي أقامته القيادة الإسرائيلية . وهو ترتيب دفاعي أقامته القيادة المذكورة على امتداد قناة السويس لمنع أية محاولة مصرية لعبور القناة إلى الضفة الشرقية أو اعاقتها .

وقد بدأت عملية إنشائه في المراحل الأولى من حرب الاستنزاف المصرية ـ الإسرائيلية * عام ١٩٦٩ ليخفف قدر الإمكان من الخسائر البشرية . ثم تطورت أعمال التحصين فيه حتى أصبح خطا دفاعيا متكاملا بشكل مع قناة السويس عائقا هاما تجاه أي هجوم مصري .

أخذ هذا الخط اسمه من اسم رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك الجنرال حاييم بارليف . ويمتد من جنوب بور سعيد بعشرة كيلومترات حتى لسان بور توفيق جنوبي السويس . ويرتكز حده الأمامي على القناة مباشرة . ومن المعروف أن على الضفة الشرقية للقناة ساترا ترابيا شكلته عمليات حفر القناة وتطهيرها ، ويتراوح ارتفاعه بين ٦ و١٠ أمتار ، وقد استغله العدو الإسرائيلي وزاده ارتفاعا حتى بلغ ٢٥ مترا في بعض القطاعات . كما حفر في باطنه مواقع لوحداته تطل على القناة عبر فتحات خاصة للمراقبة والرمي في كافة الاتجاهات ، ويختلف أنواع الأسلحة .

ويتكون خط بارليف من ٣٢ موقعا حصينا ، ويضم ٣١ نقطة كل منها منشأة هندسية مؤلفة من عدة طبقات ، تغوص في باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر . وتضم كل طبقة عدة غرف من الإسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية . وتفصل بين كل طبقة وأخرى طبقة سمكها متران من القضبان الحديدية والإسمنت المسلح والحجارة . وقد أقيمت هذه المواقع في جوف الساتر الترابي الذي أزاحه العدو غربا حتى لامس حافة القناة بزاوية ميل تزيد عن ٤٥ درجة .

وفي كل موقع أماكن لمبيت الجنود وراحتهم توفر لهم الوقاية ضد كافة أنواع النيران الثقيلة عدا الذرية ، كما تؤمن لهم أسباب الترفيه والإعاشة والتخزين التي تكفي المدافعين لمدة طويلة من الحصار . والملاجىء مجهزة للوقاية من الأسلحة الكيماوية والغازات ، وتتوفر فيها وسائل التهوية والإضاءة والتدفئة والاتصال الهاتفي . وفي كل موقع طبيب مزود بوسائل الإسعاف الأولي ، وأماكن للاستحمام بالماء الساخنة والباردة ، ومطابخ وصالة عرض أفلام سينمائية إلى آخر ما هنالك من وسائل العيش والراحة .

وتخرج من كل موقع أنابيب تخرق بطن الساتر الترابي لتلامس صفحة الماء في قناة السويس ، وهي متصلة بخزانات وقود خاصة مقامة خلف الساتر تقذف وقودها في حال اقتحام المصريين للقناة وتلهب سطح القناة لترتفع درجة حرارة مياهها إلى ٧٥° .

وتتصل المواقع بعضها ببعض بخنادق مواصلات عميقة مدعمة بالصفائح المعدنية وبالأوتاد . وتتماون المواقع ، فيما بينها ، في تغطية الفرجات والمساحات الفاصلة بينها ، وذلك بالنيران المتقاطعة التي تتم إدارتها والتنسيق بينها بواسطة شبكة اتصال هاتفية ولاسلكية .

وقد أحيطت المواقع بعدة نطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للأفراد وللدبابات بلغ عرضها ٢٠٠ م . وهذا بالإضافة إلى الشراك الخداعية التي تغطي سفوح الساتر الترابي وقمته .

أنفقت القيادة الإسرائيلية على إنشاء هذا الخط ٢٣٨ مليون دولار ، وأملت منه أن يتمكن من وقف الهجوم المصري مدة كافية تسمح للقوات الجوية بالتدخل ، ولاحتياطي المدرعات الضربة المحتشدة في العمق بالتحرك وشن الهجمات المعاكسة .

وقد أحاط الإسرائيليون خط بارليف طوال السنوات التي سبقت حرب تشرين الأول ١٩٧٣ (رَ : حرب ١٩٧٣) بهالة ضخمة من الدعاية ، وبالغوا في الحديث عن مناعته وقوة تحصينه وقدرته الدفاعية . وقد اشتهرت أسطورة خط بارليف ، بل فشل النظام الدفاعي الإسرائيلي كله في حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، إذ سرعان ما اخترقته القوات العربية على الجبهتين المصرية والسورية ولم تستطع القوات الإسرائيلية المدرعة الموجودة في العمق القريب من التصدي بفعالية للهجوم العربي . واصطدمت الطائرات الإسرائيلية بجدار من الصواريخ المضادة للطائرات ، لذلك أخذت القيادة الإسرائيلية مستفيدة من دروس هذه الحرب الأخيرة تعيد النظر في عمليات التحصين فزادت عدد الخطوط الدفاعية بدل الخط الواحد ، وكثفت عدد المواقع الحصنة في كل منها ، إذ وجدت أن الفرجات التي كانت تفصل بين الموقع والآخر يمكن المرور عبرها بعد تجميد الموقعين المجاورين . كما زادت الحواجز المضادة للدبابات ، سواء بزيادة عدد حقول الألغام أو بزيادة الخنادق

المضادة ، وكذلك زادت القدرة النارية في كل موقع خاصة نيران الأسلحة المضادة للدبابات .

ويبدو أن القيادة العسكرية الإسرائيلية تبنت إثر حرب تشرين ١٩٧٣ حالة مركّبة من الدفاع الثابت والدفاع المتحرك في الجبهة السورية . فقد أقامت خطوطاً دفاعية قوية وعميقة مكونة من نقاط محصنة وخنادق وطرق ممهدة ومنشآت تموين وإمداد ومراكز اتصالات وحقول ألغام وحواجز مضادة للدبابات ، وهذه كلها من سمات الدفاع الثابت . إلاّ أن هذه الخطوط لا تستوعب إلاّ جزءاً من القوات في الوقت الذي تتجمع خلفها مجموعات قوات متتالية متحركة ومعززة وقادرة على المناورة والتحرك إلى الاتجاه الذي يمارس المهاجم عليه الضغط الأعظم (أي في اتجاه الضربة الرئيسة العربية) ، مع السماح للقوات المدافعة بعدم التقيد بالمحافظة على كل شبر من الأرض آذا وجدت أن الانسحاب التكتيكي أكثر فائدة ، وهذه من صفات الدفاع المتحرك .

المراجع :

ـ حسن البدري وطه المجذوب وضياء الدين زهدي : حرب رمضان ، القاهرة ١٩٧٤ .

ـ الموسوعة العسكرية : بيروت ١٩٧٧ .

تحليـــة الميـــاه :

تم في عام ١٩٦٤ توقيع اتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني لدراسة وسائل تحلية مياه البحر واستعمالها للري وتوليد الطاقة الكهربائية . وقد وقع الاتفاق في شهر حزيران أثناء زيارة ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) آنذاك لواشنطن واجتماعه مع الرئيس الأمريكي لندون جونسون .

وقد صدر بعد انتهاء المحادثات بيان مشترك عبّر عن أمل الحكومتين في التعاون الوثيق بينهما عن طريق القيام بدراسات فنية مشتركة لتحلية مياه البحر واستغلالها في ري الأراضي الزراعية ، وفي المجالات الصناعية في فلسطين المحتلة .

وبعد مضي زمن على هذا البيان المشترك صدر عن الفنّيين العاملين في المشروع تصريح يوفّر بعض المعلومات عن محطة التحلية التي ستعمل بالطاقة النووية ، ومن قدرتها المقترحة . وقد اتضح أن طاقتها تحلية ٨٠ ـ ١٦٥ مليون غالون من مياه البحر يومياً ، وتوليد طاقة كهربائية مقدارها ١٥٠ ـ ٢٠٠ ميغاواط . وتحدّد عام ١٩٧١ موعداً لبدء تنفيذ المشروع المشار إليه . وقد أبرزت الأوساط العلمية الإسرائيلية أهمية هذا المشروع ، وأظهرت أن قيمته الحيوية والاقتصادية بالنسبة إلى الاقتصاد الإسرائيلي لا تقل عن قيمة السد العالي في أسوان بالنسبة إلى الاقتصاد المصري .

وتم في عام ١٩٦٩ توقيع اتفاقية أخرى بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني تمنح فيها الولايات المتحدة هذا الكيان مبلغ ٥٨ مليون دولار منها ٤٠ مليوناً هبة و١٨ مليوناً قرضا طويل الأجل . وقد حدث ذلك بعد أن جرى تعديل الصيغة الأصلية للمشروع بسبب ارتفاع تكاليف أنشاء محطة كبيرة قادرة على تحلية تلك الكمية الضخمة من المياه التي حددها اتفاق عام ١٩٦٤ .

لكن الولايات المتحدة عدلت عن تقديم الهبة التي اتفق عليها في عام ١٩٦٩ لاقتناعها بعدم جدوى المشروع الجديد من الناحية الاقتصادية . لهذا انصرفت حكومة الكيان الصهيوني إلى إنشاء بعض محطات التحلية الصغيرة الحجم غربي النقب تستطيع توفير المياه للمستعمرات والمصانع المجاورة . ولا تتعدّى طاقة هذه المحطات مليوني متر مكعب سنوياً .

ويمكن القول أخيراً إن مشروع تحلية مياه البحر الذي سعت حكومة الكيان الصهيوني إلى تحقيقه قد أخفق إذا ما قورن ما حُقق بحجم الطموح الإسرائيلي ، وبحجم المشروع الأصلي الذي كان هذا الكيان الصهيوني يرغب في تنفيذه .

التخطـــيط (مركز ـ) :

اسمه الرسمي هو مركز التخطيط لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويعرف أيضاً باسم مركز التخطيط الفلسطيني . وهو إحدى المؤسسات العاملة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية * ، يتبع مباشرة رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الذي يعين المدير العام ويكلفه المهام المطلوبة .

قرر المجلس الوطني الفلسطيني * في دورته الرابعة في القاهرة (تموز ١٩٦٧) " إيجاد إدارة تخطيط مركزي للإعلام تنبثق عنها الأساليب والمحتويات التي تستعملها وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية والرسمية والشعبية " . وعاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة في القاهرة (شباط ١٩٦٩) إلى " التأكيد على ما ورد في قرارات الدورة الرابعة للمجلس الوطني بما يتعلق بمركز التخطيط وزيادة الاهتمام به ودعمه والاستفادة من أعماله " .

وبذلك تكون الضرورات التي ترتبت على توسع نشاط منظمة التحرير في مجال الإعلام أساساً هي التي دفعت إلى تشكيل مركز التخطيط (الدورة الرابعة) ، ويكون اتساع نشاط مركز التخطيط المذكور خارج نطاق الإعلام ، والحاجة إلى أعماله ، والتفاف المفكرين الفلسطينيين من حوله كفئاة للمساهمة في النضال

الفلسطيني هي التي بلورت الشكل والمهام الموكولة إلى هذا المركز ، والتأكيد على الاهتمام به (الدورة السادسة) . ومنذ ذلك الوقت تطور عمل وبنية مركز التخطيط إلى شكله الحالي .

يتكون مركز التخطيط من أقسام عدة بعضها دائم ، وهي : القسم السياسي ، قسم الأرض المحتلة ، القسم التقني ، المكتبة والمعلومات ، القسم التربوي والاجتماعي ، قسم المؤتمرات الدولية ، قسم الإدارة والسكرتارية ، ووحدة النسخ والطباعة . ويتبع المركز المعهدُ الفلسطيني للتنمية الإدارية الذي بدأ كقسم للتدريب الإداري وتطور إلى معهد يدرب ويشرف على تدريب موظفي منظمة التحرير الفلسطينية على أعمال الإدارة الحديثة . ومنذ عامين استحدث المركز قسما للدراسات الاستراتيجية لمتابعة تطور الأفكار الاستراتيجية عالميا . والقسم يصدر نشرة شهرية محدودة التداول بعنوان شؤون استراتيجية وهي تتضمن عروضاً للمفاهيم الاستراتيجية الدولية الجديدة ومناقشة لها .

ويعتمد مركز التخطيط أسلوب تكوين فرق عمل تكون أشبه بأقسام مؤقتة لمهام معينة تحددها اللجنة التنفيذية أو تتطلبها الظروف . وتتشكل فرق العمل هذه من عدد من العاملين المتفرغين في المركز وعدد مناسب من غير المتفرغين أو المتطوعين من خارجه حسب الحاجة .

العاملون في مركز التخطيط متفرغون كليا أو جزئيا . وهم إما متعاقدون أو معينون على الملاك المالي للمنظمة . ولكن المركز يستعين بأعمال الكثيرين من خارجه بالمكافأة أو بالتطوع . ويضم المركز باحثين وعاملين من أنحاء الوطن العربي كافة ، ويستعين أحيانا بخبرة أصدقاء فلسطين من غير العرب .

يقوم مركز التخطيط بمعاونة القيادة الفلسطينية فيما يطلب منه من أوراق عمل وخطط قصيرة ومتوسطة وطويلة الأمد في المجالات التي تطلبها القيادة والدوائر والمؤسسات والأجهزة العاملة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية . وليس للمركز دور تنفيذي إلاّ فيما يتعلق بمراحل التدريب الأولى عند بدء تنفيذ خطة ما ، أو عندما تكلفه القيادة بالاشتراك للمتابعة وتقويم الخطة ، أو عند مشاركة بعض أعضاء المركز في التنفيذ بتكليف من رئاسة اللجنة التنفيذية .

وفي سبيل تحقيق ذلك يقوم المركز بالمهام والواجبات والمسؤوليات التالية أساسا : إعداد الدراسات لتقدير الموقف السياسي عربيا ودوليا ، وما تحتاجه هذه الدراسات من متابعة أخبارية وبحثية للمنشورات والدوريات والكتب من المصادر المعنية . كذلك يتابع المركز تطور استراتيجيات الدول المختلفة فيما يتعلق بالشرق الأوسط وقضية فلسطين بوجه خاص.

كما يقوم بمتابعة شؤون العدو وتطوره السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والفكري ، وإعداد التوصيات والخطط اللازمة لمواجهة هذه التغيرات ، وذلك بالتنسيق مع دائرة شؤون الوطن المحتل والأجهزة الفلسطينية العاملة في هذا المجال .

ويقوم القسم التقني العسكري بمتابعة شؤون العدو العسكرية ، ومتابعة الدراسات والأخبار العسكرية العالمية ، ويصدر تقريرا يتضمن المعلومات العسكرية اللازمة للمقاتلين حول الأسلحة التي يستعملونها أو التي يستعملها العدو . كل ذلك في إطار تطويع المستحدثات العسكرية لأسلوب حرب الشعب ، وتطوير تكتيكات هذا الأسلوب .

وقد ساهم مركز التخطيط منذ السنوات الأولى لتشكيله في وضع خطط وتوجهات سياسة الإعلام الفلسطينية ، وبوجه خاص على الساحة الدولية .

ويشارك في عمليات التخطيط التربوي ، وما يتعلق بالمؤسسات التعليمية الفلسطينية ، وفلسفة مناهج التعليم فيها . وقد أصدر المركز في ١٩٧٢ ميثاقا في هذا الشأن بعد دراسات وبحوث مطولة قام بها الكثير من الباحثين والتربويين الفلسطينيين والعرب .

ويساهم المركز في إعداد وتقديم الدراسات والبحوث اللازمة للمشاركة في المؤتمرات العربية والدولية الشعبية والرسمية المختلفة ، ويجمع البيانات والمعلومات عن هذه المؤتمرات وينسّقها بالتعاون مع الدوائر المختصة في منظمة التحرير . ويعد أوراق العمل الخاصة بكل مؤتمر . ويشارك أعضاؤه أحيانا في الوفود الممثلة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويمثل المركز في مختلف المجالس العليا الاستشارية في منظمة التحرير .

التخطيط التربوي لأبناء فلسطين (مجلس ــ) :

رَ : الشؤون التربوية لأبناء فلسطين (مجلس ــ)

التخنيون (معهد ــ) :

معهد الهندسة التطبيقية ، أو المعهد التكنولوجي الإسرائيلي . وهو أقدم مؤسسات التعليم العالي في الكيان الصهيوني ، وقد بدأ عام ١٩٢٤ على شكل مدرسة عليا ، ثم أخذ يتوسع تدريجياً . وبدأ منذ عام ١٩٥٢ يمنح درجات الماجستير والدكتوراه بالإضافة إلى درجة البكالوريوس . وفي عام ١٩٥٣ نقل التخنيون من موقعه القديم في وسط مدينة حيفا " إلى مبانيه الجديدة التي تبلغ رقعة الأراضي التي أقيمت عليها فوق جبل الكرمل " ٣٠٠ فدان وتعرف باسم مدينة التخنيون .

يضم التخنيون حالياً كليات : هندسة الطيران ، والهندسة الزراعية ، والعمارة وتخطيط المدن ، والهندسة الكيميائية والكيمياء ، والهندسة المدنية ، والهندسة الكهربائية ، والهندسة الصناعية والإدارة ، وهندسة المعادن ، والرياضيات ، والهندسة الميكانيكية ، والميكانيك ، والهندسة النووية والفيزياء ، وتدريب المعلمين . وقد ألحقت به وحدات تضم مؤسسات التخنيون للبحث والتطوير . وهناك أقسام للبحوث في جميع كليات التخنيون . وتشمل الأبحاث عدة مجالات مثل إزالة ملوحة المياه ، والألكترونيات الطبية ، والإنشاءات ، والميكانيك الزراعي ، وأبحاث الطيران والهيدروليك .

في عام ١٩٧٣ كان السلك الأكاديمي في التخنيون يضم نحو ١,٥٠٠ أستاذ ومحاضر ، وبلغ عدد الطلاب نحو عشرة آلاف طالب . وكان التخنيون حتى عام ١٩٧٢ قد خرج نحو ١٢ ألف مهندس بدرجة بكالوريوس ، وحوالي ١,٩٠٠ مهندس بدرجة ماجستير ، و٤٩٠ بدرجة دكتوراه ، ونحو ٢,٥٠٠ حامل دبلوم في الهندسة .

والتخنيون هيئة مستقلة يديرها مجلس أمناء . أما هيئته التنفيذية فمكونة من رئيس يعينه مجلس الأمناء ، ومجلس يجتمع مرة كل شهر . ويشرف عليه من الناحية العلمية الرئيس ونوابه وهيئة الأساتذة الحاصلين على درجة الأستاذية وممثلون عن هيئة التدريس .

في عام ١٩٧٣ كانت ميزانية التخنيون ١٠٠ مليون ليرة إسرائيلية تساهم الوكالة اليهودية * والحكومة الإسرائيلية بحوالي ٦٥٪ منها والباقي من المنح والرسوم والأبحاث .

ويقدم التخنيون خدمات واستشارات علمية تقنية للمؤسسات الصناعية من خلال معاهد الأبحاث الصناعية ومؤسسة الأبحاث والتطوير التابعة له .

التدمير (فرقة ـ العربية) :

في يوم ١٩٤٨/٣/١٨ حاول ستة من الفدائيين العرب من سكان القدس نسف فندق عدن اليهودي الكائن في أقصى حي بن يهودا من جهة الغرب فتصدى لهم رجال الجيش البريطاني وأحبطوا مسعاهم فعادوا مع الأغنام .

وتكريماً لروح الفداء التي تمثلت في هؤلاء الرجال ، قام عبد

القادر الحسيني * ، قائد قوات الجهاد المقدس * ، بتأليف « فرقة التدمير العربية » ، وكان نواتها هؤلاء الرجال الستة . ثم انضم إليهم رجال آخرون يتسمون بالجرأة والتضحية . وتولى قيادة فرقة التدمير فوزي القطب وهو من مواليد القدس الذين شاركوا في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * . وقد بلغ عدد أعضاء فرقة التدمير ٢٥ مناضلاً جاؤوا من مختلف مدن وقرى فلسطين ، وبخاصة من القدس * ، والخليل * ، ونابلس * ، وعكا * ، وغيرها . وكان بينهم رجال من الشام والمغرب .

كان لفرقة التدمير هذه الدور الأكبر في أعمال النسف والتدمير التي وقعت في القدس بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ (ر : تقسيم فلسطين) ، وأهمها نسف شارع هاسوليل والبالستين بوست * ، ومستعمرة مكور حاييم (١٩٤٨/٣/١٣) ، وحي مونتفيوري * ، وقافلة كفار عصيون في معركة الدهيشة * ، وطريق القسطل (١٩٤٨/٤/٥) ، وقافلة هاداساه * ، ومستعمرة النبي يعقوب (١٩٤٨/٥/١٧) .

كما قامت الفرقة ببث الألغام حول سور القدس القديمة لصد الهجوم الصهيوني على باب الخليل وباب النبي داود يومي ١٦ و ١٧/٥/١٩٤٨ . وقامت أيضاً بنسف السكة الحديدية بين القدس ويافا عدة مرات . وكان لها دور بارز في سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة يوم ١٩٤٨/٥/٢٨ بالتعاون مع الجيش الأردني وقوات الجهاد المقدس .

المرجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .

التراث الفلسطيني :
رَ : المعرض الدائم للتراث الفلسطيني

التربة :

التربة هي السطح العلوي المؤلف من المواد الناعمة المفتتة للقشرة الأرضية في أجزائها اليابسة . ولما كانت عوامل تكوين التربة متنوعة وكثيرة ، فيها الصخور * والمياه والمناخ * والمواد العضوية ، فإن تربة فلسطين متنوعة تنوعاً كبيراً على الرغم من صغر مساحة البلاد نظراً لتنوع صخورها واختلاف أجزائها المتفرقة في أوضاعها المناخية ـ المائية (رَ : الأرض ، أصناف) . وتؤثر الأوضاع التضريسية في أنواع التربة من حيث كونها موضعية أو منقولة ، ومن حيث كونها سميكة أو رقيقة ، وكذلك من حيث كونها معرضة للتعرية والتخريب أو محميّة مستقرة .

يتم تكوين التربة باجتماع العوامل الفيزيائية والكيميائية في عملية تفتيت مواد الطبقة العليا من صخور القشرة الأرضية إلى أجزاء صغيرة وناعمة مؤلفة من مواد معدنية وعضوية معقدة المزيج . والتربة قسمان : تربة سطحية تنمو فيها المحاصيل الزراعية وتتوغل فيها جذور النباتات لامتصاص غذائها منها ، وتعرف بالتربة الزراعية أيضاً . وتربة سفلية تحت الأولى وأقل منها غنى بالمواد والكائنات العضوية . ويختلف سمك التربة بين عدة سنتمترات وعدة أمتار .

والصخور هي العامل الأساسي في نشأة التربة وتكوينها وتنوّعها . لذلك فإن النظر إلى خريطة فلسطين الجيولوجية ـ الصخرية يبيّن تعدّد أصناف التربة بحسب تنوّع الصخور في مناطق القطر المختلفة . ففي الأشرطة والمنخفضات الساحلية ، وفي السهول والأحواض الداخلية كسهل مرج ابن عامر * مثلاً ، وكذلك في أرض غور الأردن ووادي (رَ : الغور) ، تشكلت ترب ذات أصول رسوبية محمولة ومنقولة إليها من المرتفعات المجاورة لها بالسيول ومياه الأمطار والأنهار ، أي بالمياه الجارية دائمة كانت أو مؤقتة . وتقوم تلك المياه بغسل المرتفعات ومنحدراتها من المواد المفتتة الناعمة ، وتحملها ثم ترسبها في الأراضي الواطئة والضعيفة الانحدار . وتغطي مياه البحر المتوسط وحركات أمواجه وتياراته الساحلية تربة السهل الساحلي * بمواد متجددة مما تحمله إلى سواحل فلسطين من كميات المواد الناعمة التي يقذف بها نهر النيل إلى البحر المتوسط . وفي فلسطين أيضاً أصول صخرية من منشأ بحيري داخلي كما هي الحال في توضعات بحيرة اللسان القديمة التي يتألف معظمها من صخور مارنية تغطي مساحات واسعة من غور الأردن ووادييه بين بحيرة طبرية * وجنوب البحر الميت * . وتعدّ أصناف التربة في هذه السهول والمنخفضات ، وفيها بطون الأودية وقيعان الأبعار ، من أجود بقاع فلسطين الصالحة لزراعة شتّى أنواع الخضر * والفواكه ، خاصة أن الشروط الضرورية الأخرى لازدهار هذا النوع من الزراعة ، كالماء الكافي والحرارات المناسبة ، متوافرة في معظم المناطق المذكورة (رَ : الزراعة) .

أما في المرتفعات الهضبية والجبلية في مناطق الجليل * والكرمل * وكتلة جبال فلسطين الوسطى التي تضم جبال نابلس * والقدس * والخليل * ، وفي مرتفعات جنوب فلسطين أو النقب * ، فإن أصناف التربة كثيرة نتيجة تنوع الصخور الأم المكوّنة لها . وبالرغم من ذلك يمكن الحكم بتشابه وتقارب شروط تكوين التربة في جبال فلسطين الوسطى ومعظم جبال الكرمل والجليل ، بل وفي أجزاء هامة من النقب حيث تتألف معظم الصخور الأم المنتجة للتربة من

الراسب الطفالي في بير السبع

الكلس أو الحوّار ، وهما من الصخور الفحمائية التي تقدم تربة غنية بالمواد الكلسية عادة (رَ : الصخور) ، وتقدم تربة ناتجة عن عملية التحلل الكارستي في الصخور الكلسية .

وقد أثّر عاملان طبيعيان آخران في تنوع تربة فلسطين ، أولهما الرياح التي حملت مواد ناعمة من خارج فلسطين ، ولا سيما من سيناء ، ووضعتها في النقب على شكل غطاء واسع من تربة اللوس . وثانيهما النشاط الاندفاعي البركاني الذي حمل إلى سطح الأرض نوعاً من الصخور الاندفاعية القادمة من باطن الأرض ، ويغلب عليها البازلت الذي يعطي بعد تحلله وتفتته تربة خصبة وجيدة في مناطق انتشاره ، خاصة في شمال فلسطين والجليل . وهضاب فلسطين وجبالها ، فيما عدا جنوب فلسطين الجاف ، هي موطن زراعة الأشجار المثمرة ، كالزيتون * والتين والعنب * واللوزيات والتفاحيات ، إلى جانب زراعة الحبوب التي تعتمد على ريّ الأمطار .

ودور المناخ في توزيع أصناف التربة واضح ، إذ يلاحظ الارتباط الوثيق بين توزيع الأمطار ، وإلى حدّ ما الحرارات ، وانتشار أنواع الترب . فالجنوب الفلسطيني الجاف مكان انتشار المساحات الواسعة من التربة الرملية الصحراوية واللوس ، ويتفق ذلك مع معدل الأمطار السنوية المنخفض (٥٠ - ١٥٠ مم) والفروق الحرارية العالية والتبخر المرتفع . في حين تنتشر مجموعة التربة الحمراء (أو الوردية) والصفراء في المناطق الرطبة من سفوح جبال القدس ونابلس والجليل حيث تتجاوز الأمطار السنوية ٦٠٠ مم . وتظهر حقيقة دور الصخور وعناصر المناخ في تكوين وتوزيع التربة في دراسة أصناف التربة وخواصها في فلسطين .

أ. أصناف التربة : بالرغم من تعدد تصنيفات الترب والأسس المعتمدة فيها فإن أجودها هو التصنيف القائم على الأسس المناخية دون إهمال الصخور الأم والعناصر العضوية المكونة لمواد التربة . ويمكن تصنيف ترب فلسطين ، على الرغم من كثرة أنواعها ، إلى زمرتين أساسيتين مع زمرتين ثانويتين . وهذه الزمر الأربع هي : ترب المناطق الجافة ، وتتبعها ترب المناطق شبه الجافة ، وترب المناطق الرطبة ، وتتبعها ترب المناطق شبه الرطبة . أما تصنيفها في بعض المراجع إلى زمرة ترب البحر المتوسط وزمرة ترب المناطق الجافة فلا يخرج عملياً عن مبادىء التصنيف الأول إلاّ من حيث المنهج والمعالجة . والتصنيف الأول المعتمد في هذا البحث أبسط وأبعد عن التعقيد الاختصاصي .

١) ترب المناطق الجافة وشبه الجافة : تعرف هذه الترب أيضاً بالترب الصحراوية والسهبية في مختلف أنحاء الجنوب الفلسطيني من برّية الخليل ومنطقة بير السبع ومنطقة غزة حتى خليج العقبة * . فالترب الصحراوية تغطي النقب كله حيث تنطلب شيئاً فشيئاً إلى ترب سهبية (شبه جافة) باتجاه مناطق الخليل وبير السبع وغزة في الشمال .

وبالرغم من تنوع هذه المجموعة حسب تنوع الصخور الأم المشتقة منها والمتكونة عليها فإنها تشترك في كثير من الخصائص والميزات ، إذ تغلب عليها الألوان الفاتحة الصفراء والرمادية والبنية الفاتحة ، ومساكتها قليلة نسبياً بصورة عامة ، باستثناء الترب المتقولة بالرياح من نموذج تربة اللوس أو الكثبان الرملية .

وهي ترب فقيرة ضعيفة الإنتاج ، أو غير صالحة للزراعة نتيجة رقتها وافتقارها إلى العناصر الضرورية للزراعة ، ولا سيما العناصر العضوية ، إلى جانب دخول نسب متفاوتة من الأملاح في تركيبها . يضاف إلى ذلك كله ظروف مناخية قاسية متطرفة من حيث الحرارة العالية ، والتبخر المرتفع ، وندرة الأمطار ، وانعدام المياه اللازمة للأعمال الزراعية . لذا فإن العمل الزراعي في هذه المناطق يتطلب جهوداً كبيرة لاستصلاح التربة وجرّ المياه إليها . فهذه المناطق هي بقاع الرعي * المتجول المعتمد على غطاء عشبي مزيل . وأقسام هذه الزمرة :

(١) تربة الحماد : تنتشر هذه التربة في جنوب النقب وهضابه الوسطى والأجزاء المرتفعة منه ، وفي السهول الجنوبية والشرقية من النقب ، وفي أجزاء فلسطين السايرة لوادي عربة * . وقد تكونت تربة الحماد على قاعدة من الصخور الصلدة الكلسية والدولوميتية والحوّارية والصوانية ، خاصة في الأجزاء العالية من النقب وهضابه ومرتفعاته . أما في السهول الجنوبية والشرقية فقد تكونت تربة الحماد على أنقاض ومجروفات حجرية وحصوية هبطت من المرتفعات والسفوح المشرفة على السهول . وفي كلتا المنطقتين لا تتجاوز السماكات ٨٠ سم في حين تراوح السماكة المتوسطة لتربة الحماد بين ١٥ و ٤٠ سم بصورة عامة . أما لونها فالغالب أن يكون الأصفر والبني الفاتح الباهت . وتتكون تربة الحماد من تربة ناعمة غنيّة بقطع حجرية ، لكنها تتميز بغطاء حجري كثيف نسبياً ، مما دعا العلماء إلى تسمية الحماد « الصحراء الحجرية » . وليس لهذه التربة قيمة زراعية إلاّ في الأجزاء السهلية إذا تمّ التخلص من نسبة الأملاح العالية فيها .

(٢) تربة اللوس : وهي تربة منقولة بالرياح في الدرجة الأولى ، وبإلياه الجارية (أمطار - سيول) بدرجة قليلة جداً . ويتمّ النقل من مصادر وأماكن بعيدة (نقل ريحي) ، أو قريبة (نقل مائي) . وهي تربة غبارية ناعمة دقيقة القوام ذات سماكات كبيرة تتجاوز بضعة أمتار في كثير من المناطق . ولونها أصفر أو أصفر - بني باهت . وقد يختلط الغبار الناعم في اللوس الصرف بالرمل ، أو قد تصبح بنيته خشنة قليلاً في بقاع متفرقة من أراضي اللوس الفلسطيني . وأهم مناطق انتشار اللوس هي شمال وشمال غرب النقب باتجاه مناطق بير السبع وغزة . وتراوح نسبة الأحماض في اللوس الصرف بين ٢٠ و ٣٠٪ ، ونسبة المواد العضوية بين ٠,٣ و ١,٢٪ ، في حين تصحح نسبة الأحماض ١ - ٦٪ ، والمواد العضوية ٠,١ - ٠,٣٪ في اللوس المختلط بالرمال . وتصلح هذه التربة لبعض الزراعات الزّويّة ، ولاسيما الشعير ، ويعتقد أن اللوس في فلسطين حديث التكوين لا يتعدّى عمره ٣ - ٤ آلاف سنة مضت .

(٣) التربة الرملية وكثبان الرمال : تجاور تربة اللوس التربة الرملية في كثير من بقاع النقب الشمالي مع سيطرة الكثبان الرملية في البقاع الشمالية الغربية من النقب وباتجاه الحدود الفلسطينية مع سيناء جنوب وجنوب غرب منطقة بير السبع ، حيث تغطي مساحات كبيرة . وتتكون هذه التربة من ذرّات الرمال التي حملتها

الرياح من البقاع المجاورة مكوّنة أغشية وكثباناً رملية طغت على أراضي اللوس وغيرها من الترب الصحراوية في هذه المناطق .

وهي تربة قليلة الأحماض (٢ ـ ٥٪) تنعدم فيها المواد العضوية تقريباً ، وهي عميقة وسميكة بصورة عامة ، لونها أصفر ضارب للحمرة نتيجة تكون أكاسيد الحديد على حبيبات الرمل السيليكية . وهذه التربة منفذة للمياه تندر أو تنعدم فيها الأملاح ، لذا فإن تسرب الماء فيها كبير ، وهي مهيأة في الظروف المناخية التي تسود فيها لانتشار ظاهرة الخاصة الشمرية (أي صعود المياه نحو السطح في أنابيب شعرية) . وتفتقر هذه التربة إلى المواد الضرورية للزراعة ، لكنها تصلح لغرس الأشجار التي تضرب بجذورها عميقاً للوصول إلى الرطوبة والماء .

(٤) التربة الصحراوية اللحقية واللحقية الخشنة : وهي تربة نقلتها المياه الجارية (الأمطار أو السيول) وحملتها من المناطق المرتفعة إلى أقدامها في وسط وجنوب النقب وفي بزّة الخليل . واللحقيات الخشنة مكونة على الغالب من أنقاض وأحجار مع تربة ناعمة ذات ملوحة مرتفعة تجعلها غير صالحة للزراعة . أما التربة الصحراوية اللحقية فموادها ناعمة تكونت في معظمها على ترسبات مارنية تعرف بترسبات اللسان البحيرية (نسبة إلى شبه جزيرة اللسان في البحر الميت ، وبحيرة اللسان القديمة) . وتنتشر هذه التربة في وادي الأردن الأدنى ووادي عربة الشمالي جنوب البحر الميت . وإمكانيات الزراعة في هذه التربة جيدة ، خاصة إذا توافرت المياه للري . وواحة أريحا خير مثال على ذلك .

(٥) التربة البنية ـ الحطامية : تنتشر هذه التربة في بقاع متفرقة من شمال النقب ووسطه ، وتؤلف أيضاً شريطاً متقطعاً على السفوح الشرقية لجبال الخليل والقدس . وهي تربة بنية فاتحة تكونت على صخور كلسية وحوارية ، ومارنية حوارية شبه قاسية ، يختلط بها غبار صحراوي محمول بالرياح . سماكتها قليلة تراوح بين ٢٠ و ٥٠ سم ، قوامها رملي ـ طيني غني بالحصى والأحجار الصغيرة ، ونسبة المواد العضوية فيها بين ٠,٢ و ١٪ ، وملوحتها متوسطة أو عالية ، وتصلح للزراعة المحدودة بعد استصلاحها .

أما ما تبقى من البقاع الجافة وشبه الجافة من فلسطين فسود في السطوح الصخرية العارية من غطاء التربة ، أو المغطاة بحطام الصخور والشظايا والأحجار ، مما يجعلها غير صالحة للزراعة ، أو لنمو غطاء نباتي طبيعي ذي أهمية اقتصادية تذكر .

٢) ترب المناطق الرطبة وشبه الرطبة : تنتشر مجموعة هذه الترب في الأجزاء الشمالية والوسطى الواقعة شمال النقب ومنطقة بير السبع وغزة وبرّية الخليل . وإذا استثنيت المساحات الصخرية العارية من الغطاء الترابي في الجبال والمرتفعات فإن معظم ترب هذه المجموعة صالحة للزراعة ، بشكل أو بآخر ، وبدرجات متفاوتة في الإنتاج والخصب . ونظراً لتأثر هذه الترب الشديد بالمناخ المتوسطي وعناصره فإنها تدعى ترب البحر المتوسط أيضاً ، وتشبه في خصائصها ترب البلدان المشرقة على البحر المتوسط بصورة عامة ، مع ملاحظة أثر موقع فلسطين * شرقي حوض البحر المذكور في تكوين بعض الصفات الخاصة . وأنواع هذه الترب هي :

(١) تربة الكركار ، أو التربة الرملية ـ البنية المحمّرة : يطغى على تكوينها الكلس والرمل . وهي تربة عميقة بنية حمراء يرجع أصلها إلى الكثبان الرملية القديمة المثبتة على شكل أشرطة طويلة على امتداد السهل الساحلي المشرف على البحر المتوسط من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب ، ولا سيما جنوب سارونة . وتعيق تربة الكركار أعمال الزراعة إذا اقتربت من السطح ، وتصبح جيدة للزراعة ، ولا سيما لغرس أشجار الحمضيات * إذا أصبحت عميقة . ويتبع هذه التربة نوع آخر مساير لها هو التربة الرملية البنية ـ الحمراء المتحللة والمثبتة أصلاً من تربة الكركار أو من الكثبان الرملية الحديثة المنتشرة على الساحل الفلسطيني . وتعدّ هذه التربة من أجود أنواع التربة للزراعة الحمضيات في فلسطين رغم ما يدخلها من ملوحة في بعض الحالات .

وتحتوي التربة الرملية البنية ـ الحمراء المتحللة في كثير من مناطق انتشارها على طبقة من التربة الطينية المتماسكة التي تتكون على عمق قليل ، وتؤثر في زراعة الحمضيات ، وتعرف في فلسطين باسم « التربة النزازة » ، وتصبح كتيمة مع الزمن .

ويرافق هذه المجموعة من الترب الساحلية ، وباتجاه الساحل والبحر ، أشرطة من الكثبان الرملية الحديثة الثابتة (أو المثبتة بالنباتات) والمتنقلة . وهي تربة من أصل رملي قارّي (داخلي) أو بحري المصدر تصل سماكتها إلى بضعة أمتار ، وتصلح لزراعة المحاصيل المرويّة ، وتنتشر على شكل أشرطة طويلة مسايرة للبحر على طول الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط .

(٢) التربة اللحقية : تنتشر في السهول والأحواض المنخفضة الداخلية كسهل مرج ابن عامر وسهل البطوف * ، وفي الأشرطة المحيطة بهوامش جبال الجليل ونابلس والقدس والخليل (أي الجبال الوسطى) . وينتشر نوع خاص من هذه التربة هو التربة اللحقية البنية (فيرتيسول) في السهول المذكورة وسهل الحولة * . وهي ، أي تربة الفيرتيسول ، تربة بنية عميقة ناعمة القوام قامت على أرضية لحقية ـ غضارية ، لذا فإنها تتشقق عندما تجفّ بعد رطوبة سابقة . وهي تربة ذات إنتاج جيد بصورة عامة .

أما التربة اللحقية المنتشرة في المواقع المذكورة ، عدا سهل الحولة ، فمكونة من لحفيات وطمي أحدث عمراً ، بسماكات كبيرة

نسبياً ، ولون يميل إلى البني . وتتصف بالعمق وبالقوام الناعم الغضاري الطفلي . وهي ذات خصب وإنتاج عاليين .

والترب اللحقية من بقاع فلسطين الهامة للزراعة تتجدد قوتها وطاقاتها الإنتاجية بتجدد عناصرها وموادها المكونة لها ، وذلك نتيجة نقل السيول والأمطار والمياه الجارية للمواد اللحقية الناعمة من المرتفعات المحيطة أو المطلة على السهول والمنخفضات في كل سنة . وتتعرض الأجزاء المنخفضة لتشكل المستنقعات * والبرك المائية المؤقتة إذا لم يحسن صرف مياهها بسبب قلة نفوذية هذه الترب التي يدخل الغضار في تكوينها .

وتلحق بقائمة التربة اللحقية التربة السهية البنية المغطية لمساحات من السهول الجنوبية شرقي غزة * . وهذه التربة عميقة نسبياً يغلب عليها الغضار والطين ، وهي جيدة الإنتاج والخصب بصورة عامة . وقد تكونت على قاعدة من مواد لحقية متماسكة وشبه متصلة لقدم ترسبها . وهذا ما يميزها من نوعَيْ الترب اللحقية المذكورين أعلاه .

(٣) التربة الغضية ـ اللحقية : تربة بنية ، وبنيّة فاتحة عميقة وجيدة الإنتاج ، تنتشر في التلال * والسفوح القليلة الانحدار على امتداد أقدام الجبال الوسطى في فلسطين (نابلس ـ القدس وإلى حد ما جبال الخليل) ، وأندام جبال الخليل ، كما تنتشر في الأحواض والمنخفضات الضيقة الشريطية المحصورة بين الجبال . وتتنوع الزراعات في هذه التربة . ويرجع خصبها إلى غناها بمواد مختلفة المصادر لأنها تكونت من حفريات وبحيرات وأنفاس قادمة من الجبال ، وكانت تؤلف ترباً جبلية كتربة التيرا روزا ، والتربة الغابية البنية المتوسطة ، والتربة البازلتية ، وتربة الرندزينا . لذا فإن هذه التربة مزيج من التربة الناعمة الدقيقة القوام والخصبة والأحجار الصغيرة المؤلِّفة (ذات الحافات الحادة) .

(٤) تربة التيرا روزا : وترجمتها العربية (التربة الوردية أو القرمزية) . وهي تربة ذات لون أحمر ـ بني قليلة السماكة أو رقيقة جداً وأقل من ٥٠ سم) في معظم المناطق ، تنتشر على السطوح والمنحدرات المناسبة من جبال فلسطين الوسطى ، وجبال الجليل والكرمل ، وترافق الصخور المكونة من الحجر الكلسي والدولوميت المنتشرة في الكتل الجبلية المذكورة . وتتكون التيرا روزا في الدرجة الأولى نتيجة تحلل الصخور الكلسية بالعمليات الكارستية ، ثم نتيجة تحلل بقايا الصخور الكلسية والدولوميتية في التربة نفسها فيما بعد . وتعدّ هذه التربة من ترب البحر المتوسط المعروفة للعلاقة الوثيقة القائمة بين نوع الصخر المكوّن لها والمناخ المتوسطي الجبلي ـ الرطب المساعد على تكوينها . وهي تربة خصبة جيدة الإنتاج . وتنمو في الأقسام الرطيبة منها الأحراج المتوسطية والأعشاب (رَ : النباتات الطبيعية) .

(٥) التربة الغابية البنية المتوسطية : تنتشر في مرتفعات فلسطين الوسطى والشمالية حيث تتوافر الرطوبة والأمطار الكافية لتكوين هذه التربة . وهي ذات لون بني داكن ، قوامها دقيق ـ ناعم يعمق يتراوح بين ٤٠ و ٦٠ سم ، وهي خصبة جيدة الإنتاج ، والأقسام الرقيقة منها غنيّة بالغطاء العشبي والمراعي .

تكونت هذه التربة على قاعدة من الصخور الكلسية والكونغلوميرا ، وبشكل خاص على نوع من الصخر الكلسي المعروف في فلسطين باسم « ناري » ، وهو نشرة كلسية تغطي بقاعاً متفرقة من المناطق الجبلية وسفوحها . وترتفع نسبة المواد العضوية في هذه التربة حتى تصل إلى ١٢٪ ، ولا تقل عن ٣٪ .

(٦) تربة الرندزينا : تسمية بولونية تطلق على نوع من الترب يتشكل من الصخور المارنية بالدرجة الأولى ، ومن الصخور الحوارية أو الكلسية ـ الحوارية بالدرجة الثانية . وتربة الرندزينا في فلسطين معروفة في نطاقين : الأول في المرتفعات ، ولا سيما في جبال الجليل وسلسلة جبال فلسطين الوسطى ، والثاني في غور وادي الأردن . ففي المرتفعات تكوّنت هذه التربة على الصخور الحوارية والمارنية ـ الحوارية بسماكات تتراوح بين ٤٠ و ٧٥ سم ، ولونها بين الرمادي الفاتح والبني الفاتح ، وهي غنيّة بالمواد الكلسية ، لكنها ذات مواد عضوية قليلة ، إلاّ إذا كانت داكنة اللون وسميكة نسبياً . وهي تربة جيدة صالحة لزراعة الحبوب والمحاصيل المشابهة .

أما في غور الأردن فأرضية تربة الرندزينا هي مارن توضّعات اللسان البحيرية لبحيرة الغور القديمة . وهي رمادية فاتحة أيضاً وعميقة جيدة الانتاج . لكنها قد تكون ذات أملاح مرتفعة تؤثر في قدرة إنتاجها أو تعرقل الأعمال الزراعية . أما المواد المعدنية فيها فتتراوح بين ١ و٣٪ .

(٧) تربة البازالت البنيّة : تنتشر في شمال فلسطين ، ولا سيما في الأجزاء الشرقية من مرتفعات الجليل الأعلى والأدنى ، وحيث الصخور البازالتية ـ البركانية على شكل أغشية وموائد متخلفة عن مساحات أوسع . ولونها بني داكن ، وهي رقيقة لا يتجاوز عمقها ٥٠ سم إلاّ فيما ندر . خصبها قليل بصورة عامة ، وتتراوح المواد العضوية في هذه التربة بين ١ و٢٪ .

(٨) تربة اللِّيث : تربة قليلة المساحة والانتشار ينحصر وجودها في منطقة سهل الحولة ، وفي منطقة المستنقعات والبحيرة السابقة . تكونت من بقايا نباتية مستنقعية متفسخة ومتحللة . وهذه التربة ذات لون أسود وبني ـ أسود لا تصلح للزراعة ، لكنها تصلح مادة محسنة لأنواع الترب الأخرى . وهي تربة سميكة يتراوح عمقها بين ١ و ٨م .

يلاحظ مما مضى أن الأراضي ذات التربة الجيدة والمصنفة في المرتبة الأولى هي مناطق السهول الساحلية والداخلية ، وبصورة

سمة خاصة الفاصلة بين جبال الجليل وسلسلة جبال فلسطين الوسطى والأغوار الشمالية ، وهي مناطق الاستيطان الصهيوني في فلسطين .

لمراجع :

- الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس : ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .
- خريطة ترب فلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .
—Reifenberg, A.: **The Soils of Palestine**, London 1947.

التربة الأرغونية ، الأوحدية ، تركان خاتون ، الجالقية ، السعدية ، الطشتمرية ، الكيلانية ، الملك حسام الدين ، بركة خان .

رَ : القدس (المياني الأثرية والتاريخية في ـ)

تَرْبيخا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة عكا * ، على طريق رأس الناقورة ـ البصة ـ جسر بنات يعقوب (نهر الأردن *) . وعلى مقربة منها مزرعتان تابعتان لها هما صروح والنبي روبين * المجاورتان للحدود اللبنانية ، والمتاخمتان لقرية شيحين اللبنانية . وقد كانت تربيخا من أعمال قضاء صور في العهد العثماني ، وظلت تابعة للبنان إلى أن ألحقت بفلسطين بعد تعديل الحدود عام ١٩٢٣ . وتربط تربيخا ببعض القرى القريبة مثل ترشيحا * ودير القاسي * طرق ترابية .

أرض القرية جبلية ترتفع عن سطح البحر ٤٠٠م وتتخللها عدة أودية ، وبعض البقاع السهلية . أكثر تربتها ، ولا سيما في الأودية ، تربة حتّية يغلب عليها اللون الأحمر . ومصادر مياه القرية عيون ماء قريبة أهمها عين شنّا وعين الظهور وعين أم قيس وعين إقرت ، وعدة برك أشهرها بركة السفرجل وبركة الرمد وبركة المرج وبركة ريشا . كذلك من مصادر المياه مجموعة آبار قديمة العهد توجد بالقرب منها منطقة تعرف باسم المغارة ، وهي مجمع آبار المياه في القرية .

بلغت مساحة القرية ١١٢ دونماً . وكانت منازلها مجمعة حول بركة ماء ، ثم بدأت تمتد من الغرب إلى الشرق على طول طريق الناقورة ـ جسر بنات يعقوب . بيوت القرية حجرية تقليدية مسقوفة بالخشب والتراب . وقد أخذت البيوت الحديثة من طبقة أو طبقتين تظهر في القرية في أواخر عهدها .

كانت مساحة الأراضي التابعة لتربيخا ١٨,٤٥١ دونماً منها ١٤,٦٢٨ دونماً أراض غير زراعية ومراع ، و٣,٨٢٣ دونماً أراض زراعية خصص معظمها للحبوب * ، وقليل منها للزيتون * . وقد أخذت القرية في أواخر عهد الانتداب تعتمد كثيراً على زراعة التبغ ، وأصبح تبغها يضاهي التبغ التركي بجودته . كذلك كثرت في أراضي تربيخا أشجار التين وكروم العنب * . وكانت الأراضي أملاكاً خاصة ، عدا ٦,٠١٥ دونماً كانت مشاعاً بين أهل القرية (رَ : الأرض ، ملكية) . ولم يتمكن الصهيونيون من امتلاك شيء من أراضي تربيخا .

لم يتجاوز عدد سكان القرية أواخر عهد الانتداب البريطاني ألف نسمة عمل معظمهم في الزراعة * وتربية الماشية وكانوا في الغالب أصحاب الأرض والمواشي . وكان في القرية مسجدان ومدرسة ابتدائية حتى الصف السادس ضمّت ١٢٠ تلميذاً ومعلمَيْن . كما كان في القرية مركز جمرك ومركز شرطة لمراقبة الحدود المتاخمة . وقد أسست في القرية عام ١٩٤٥ جمعية الإصلاح الثقافية لرفع مستوى القرية الاجتماعي والثقافي ، وتحسين أوضاعها الصحية . وكان يحيط بالقرية ما لا يقل عن عشر خرب . وقد وجدت فيها آثار معصرة للزيت وصهريج ومدافن مقبورة في الصخر مع أغطيتها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

دمر الصهيونيون تربيخا عام ١٩٤٨ بعد أن أجبروا سكانها على الجلاء عنها إلى القرى المجاورة ، ثم إلى لبنان . وقد أقاموا مكانها مستعمرة « شوميراه » .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- أنيس صايغ : بدائية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

التربيـــة والتعليـــم :

يرجع تنظيم التعليم في فلسطين إلى قانون التعليم العثماني الصادر سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩ م . وقد ترسخ نظام التعليم في قانون سنة ١٩١٣ الذي وضع لتقوية إشراف الدولة على المدارس . وعلى الرغم من ذلك ظلت غالبية المؤسسات التعليمية في متصرفية القدس بيد الإرساليات الأجنبية بعيداً عن رقابة الدولة .

قسم قانون التعليم العثماني المدارس إلى قسمين : عمومية وخصوصية . وقد وضع نظام المدارس الحكومية العامة حسب النموذج الفرنسي ، وكان التعليم مجانياً وإلزامياً (نظرياً) ، وكان التعليم الديني أساساً فيه ، واللغة التركية لغة التعليم . وأهمل النظام العثماني تعليم البنات على الاغلب .

وقد أدخلت بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ تعديلات على القانون شملت المناهج والطرق الإدارية المتبعة . وأدرجت في المناهج بالإضافة إلى تعليم القرآن واللغة التركية والتاريخ مواد مبادىء الصحة والموسيقى والطبيعيات والرياضيات ، كما أن لغة التعليم في هذه المدارس تحولت من اللغة التركية إلى اللغة العربية . وكان لهذا التغيير أثر في جعل المدارس مراكز لبث الوعي الوطني .

أما الدراسة في المدارس العمومية (الحكومية) فكانت تتكون من أربع مراحل :

١) ابتدائية دنيا (صبيانية) التعليم فيها إجباري مجاني ، ويستغرق أربع سنوات (من ٧ - ١١ للاولاد ومن ٦ - ١٠ للبنات) . وكانت كل قرية كبيرة أو مجموعة قرى صغيرة متجاورة تحتوي على مدرسة من هذا النوع .

٢) ابتدائية عليا (رشدية) . مدة التعليم فيها أربع سنوات ، والتعليم فيها أيضا مجاني . وقد وجدت هذه المدارس في المدن الصغيرة نسبياً .

٣) مدارس ثانوية دنيا (إعدادية) . مجانية ، ومدة التعليم فيها ثلاث سنوات . وكان في فلسطين ثلاث من هذه المدارس في القدس * ونابلس * وعكا * .

٤) مدارس ثانوية عليا (سلطانية) . مدة التعليم فيها ثلاث سنوات ، وكان في فلسطين مدرسة واحدة من هذا النوع في القدس . والدراسة في هذه المرحلة ليست مجانية ، إلاّ أن السلطات كانت تقوم بدفع الأقساط عن الطلاب الفقراء . وتضم هذه المرحلة قسماً داخلياً اختيارياً يعيش الطلبة فيه .

وقد وجدت إلى جانب هذه المدارس الحكومية العامة مدارس الإرساليات الأجنبية التي كانت تتفوق على سابقاتها في الجوانب العلمية وفي اهتمامها باللغة العربية بعض الاهتمام . يضاف إلى ذلك بعض المدارس اليهودية التي كانت تديرها هيئات أجنبية كالأليانس * وتعلم أطفال اليهود بلغة بلد المنشأ ، ومدارس ابتدائية في المستعمرات الصهيونية تابعة لجمعية الاستعمار اليهودي * ، وتعلم بالعبرية . وقد كوّنت هذه المدارس الأخيرة نواة شبكة المدارس العبرية العامة التي ستظهر فيما بعد .

تطرق القانون إلى التعليم في المدارس الخصوصية ، سواء أكانت وطنية تشرف عليها هيئة أو جماعة محلية أم أجنبية تشرف عليها مصالح أجنبية . وقد ألزم قانون التعليم المدارس الخصوصية التقيد ببرامج التعليم المتبعة في المدارس الحكومية العمومية فيما يتعلق بالمناهج التربوية ومقتضيات تأهيل المعلمين .

وعهد القانون إلى مجلس عال مسؤولية مراقبة التعليم في أنحاء الدولة بشكل عام . أما المسؤولية المحلية فقد أحيلت إلى مجلس إقليمي مدني يتكون من أعيان المنطقة ، ويقوم بمراقبة المناهج ، ومؤهلات المعلمين ، وميزانية المدارس ، وعقد الامتحانات العامة ، ومنح الشهادات .

أ - نظام التعليم أيام الإدارة العسكرية البريطانية (١٩١٧ - ١٩٢٠) : أهمل وضع المدارس الحكومية نتيجة هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى ، وأغلق معظم المدارس الخاصة المحلية والأجنبية أبوابه ، ولا سيما المدارس التي يملكها رعايا دول معادية لبريطانيا كألمانيا والنمسا .

ولقد استندت الحاجة إلى إعادة الخدمات التعليمية بعد احتلال القدس خاصة في نهاية عام ١٩١٧ ، فوافقت السلطات العسكرية البريطانية على إعادة فتح المدارس الخاصة المحلية والأجنبية عدا تلك التي يملكها رعايا الدول المعادية .

تولت سلطات الاحتلال البريطاني مسؤولية التعليم وخلفت في ذلك الحكم التركي وورثت عنه ما كان موجودا من مدارس وأجهزة ونظام. وقد تركت معظم ما كان موجوداً على حاله التي كان عليها قبل الحرب . وكان أبرز ما أحدثته من تغييرات إحلال اللغة العربية محل اللغة التركية في المدارس الحكومية ، وإدخال الإنكليزية في مرحلة معينة من مدارس المدن ، وفتح كليتين للتدريب : واحدة للمعلمين وأخرى للمعلمات ، لإيجاد ملاكات (كوادر) من المعلمين والمعلمات نادرة على التعليم باللغة العربية .

وقد بدأت آلية التعليم أيام الإدارة العسكرية بجهاز إداري صغير مسؤول عن إعادة بناء التعليم ، وتنظيم ما ورثته عن الأتراك وتحسينه ، وتكييفه والظروف الجديدة . وكانت نواة ذلك مدارس الحكومة في المدن ، مع عدد من مدارس القرى ، ومعظم المدارس الخاصة . وقد بلغت موازنة التعليم في العام الدراسي ١٩١٩/١٩٢٠ مبلغ ٥٣,٠٠٠ جنيه .

وأبرز ما تميز به جهاز الإدارة في هذه المرحلة أنه كان كثير التغيير ، فقد تناقل مسؤولية التعليم خلال هذا الزمن القصير ثلاثة مسؤولين كان أولهم الماجور ولنامز الخبير في شؤون الخدمة المدنية في الهند ، ثم الماجور تامعان المنتدب من وزارة التعليم المصرية ، وأخيرا مساعده ليخ .

ب - نظام التعليم أيام الإدارة المدنية للانتداب البريطاني (١٩٢٠ - ١٩٤٧) : نصت المادة الخامسة عشرة من صك

الانتداب على : " ألّا تحرم أي طائفة كانت من حق صيانة مدارسها الخاصة لتعليم أبنائها بلغتها الخاصة ، وألّا ينتقص من هذا الحق ما دام ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الإدارة " .

وكان هذه المادة أثرها الكبير في صياغة السياسة التعليمية في فلسطين سنة ١٩٢٠ إلى جانب الواقع المفروض المووث من قبل . وقد تأكدت غاية المادة ١٥ من صك الانتداب في المادة ٢٢ التي قضت بأن تكون اللغة العربية والعبرية ، كالإنكليزية، لغتين رسميتين .

وعندما حلّت الإدارة البريطانية المدنية محل الإدارة العسكرية وجدت أمامها نوعين من المدارس :

١) المدارس الحكومية العامة : وقد كانت مفتوحة ـ نظريا ـ لجميع الأطفال . لكن كون اللغة العربية هي لغة التعليم فيها جعل هذه المدارس مقصورة على الأطفال العرب . في حين أخذت تتنشر بالمقابل شبكة من المدارس اليهودية العامة التي تتلقى من سلطات الحكم معونات سنوية، لكن الذي يديرها هو المجلس العام للجماعة اليهودية في فلسطين (فعاد ليومي *Vaad Leumi*) .

وهكذا انقسم نظام المدارس العامة إلى قسمين : مدارس عربية عمومية ، ومدارس عبرية عمومية .

٢) المدارس الخاصة : ومنها مدارس عربية محلية تنشئها الهيئات أو يقوم بتأسيسها الأفراد . وهي على الغالب ابتدائية محدودة ضعيفة . ومنها مدارس أجنبية ، أو ما كان يسمى « مدارس مختلطة » لأنها كانت تجمع مزيجاً من العرب واليهود ، وإن كانت نسبة اليهود ضئيلة . وكانت هذه المدارس ذات مستوى تعليمي عال ، وتضم في الغالب صفوفا ثانوية .

وتعد المدارس اليهودية كلها مدارس خاصة ، سواء أكانت مدارس عمومية أم مدارس مزراحية لليهود الشرقيين ، أو مدارس اتحاد العمال اليهود المهنية ، لأن إشراف دائرة المعارف عليها كان إشرافا بسيطا يكاد يكون معدوما .

جـ ـ دائرة المعارف الفلسطينية : ولدت دائرة المعارف الفلسطينية نعلا في خريف ١٩٢٠ في القدس . وقد تولى رئاستها مدير جديد مع بداية الحكم المدني .

كانت مهمة الدائرة : " الإشراف ـ بالدرجة الأولى ـ على التعليم بوجه عام ، وتقديم المشورة إلى السلطات الحكومية المركزية والمناطق الإدارية ، وتفتيش التعليم الحكومي وغير الحكومي ، وتوزيع المساعدات والمنح ، وجمع المعلومات الإحصائية ومقارنتها ، والإشراف على الامتحانات وتوجيهها وإدارتها . وهي أيضا تدير وتموّل ، عن طريق سندات الحكومة العامة ، مدارس النظام العربي العام المعروفة بمدارس الحكومة ، وتوظف المعلمين . وهي أخيرا تشرف ، بالتفتيش وغيره ، على نظام المدارس اليهودي العام ، وتخصص له مساعدات ومنحا من الإيرادات العامة " .

وقد تم تنظيم شؤون التعليم ، وتحديد سلطات دائرة المعارف وتفسير مختلف الاصطلاحات ، وتصنيف المدارس وتسجيلها وشروطها الصحية ، وتعيين المفتشين ، وتفتيش المدارس ، وتسجيل المعلمين والترخيص لهم ، والمخالفات والعقوبات وإغلاق المدارس ، وإنشاء هيئات المعارف المحلية في مناطق البلديات ، وغير ذلك من الأحكام المتفرقة ، تمّ في قانون المعارف الذي صدر في ١٩٣٣/١/٢ .

١) الجهاز التنفيذي المركزي : يقف على رأس دائرة المعارف في القدس مدير ونائب مدير بريطانيان يتبعهما موظفون مساعدون .

(١) المدير : مسؤول بريطاني يجمع السلطات بمركزية شديدة . فهو المشرّع ، ووزير التعليم ، وسلطة التعليم المحلية ، أي أنه كل شيء . فهو الذي يسيّر سياسة التعليم ، ويعيّن ويفصل المدرسين ، ويوجّه المناهج الدراسية ، ويقول الكلمة الأخيرة في جميع الأمور الفنية الاختصاصية .

(٢) نائب المدير : بريطاني كان الواسطة التي تنتقل عبرها أوامر المدير وتعليماته .

(٣) المدير المساعد : كان تعيين جورج أنطونيوس * في أوائل سنة ١٩٢١ مديرا مساعدا بداية إشراك العنصر العربي في إدارة التعليم . لكن هذه المشاركة العربية في السياسة التعليمية والإدارة على المستوى العالي انتهت باستقالة أنطونيوس في أوائل الثلاثينات . فحلّ محله مدير مساعد بريطاني ، فأصبحت السلطة التنفيذية العليا في دائرة المعارف بريطانية صرفاً: المدير ، فنائب المدير ، والمدير المساعد .

وقد استمر هذا الوضع حتى أواخر الثلاثينات تقريبا عندما أعاد البريطانيون التمثيل العربي إلى دائرة المعارف وسط ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * استرضاء للعرب ، فعيّنوا مديرين مساعدين عربيّين نائبين لنائب المدير البريطاني ، أحدهما للشؤون الإدارية ، والآخر للشؤون العلمية الفنية .

تبع تعيين المساعدين العربيين تعيين مساعد يهودي ، ومدير مساعد بريطاني للتعليم الفني ، ومديرة مساعدة بريطانية لتعليم البنات في الأربعينات ، فأصبح عدد المديرين المساعدين ستة كانوا مسؤولين أمام نائب المدير البريطاني ، ومن خلاله أمام المدير . وقد ضمت الدائرة المركزية في السنة الأخيرة في عهد الانتداب سبعة

موظفين كباراً بدرجة مدير مساعد ، أربعة بريطانيين ، وعربيين ، وواحداً يهودياً .

٢) جهاز التفتيش : كان جهاز التفتيش سنة ١٩٢٠ ناشئاً لا يتعدّى مفتشين مركزيين ، وأربعة من مفتشي المناطق . ثم زاد عدد مفتشي المركز وتشعّبت مهامهم .

وقد أشرف على جهاز التفتيش خلال السنوات القليلة الأولى من عمره جورج أنطونيوس المدير المساعد العربي . ثم تولى الإشراف عليه مدير مساعد بريطاني . وعاد أواخر الثلاثينات إلى الإشراف العربي .

ويضم جهاز التفتيش نوعين من المفتشين : مفتشين مركزيين ومفتشي مناطق :

(١) المفتشون المركزيون : هم أصحاب الاختصاص والمهام المحددة الموجودون في الدائرة المركزية في القدس . وقد كان لتعيين مديرَيْن عربيّين مساعدين (إداري وفني) أواخر الثلاثينات أثره في انقسام التفتيش المركزي إلى تفتيش إداري محض يتولاه مفتشون مختصون في الأمور الإدارية ، وتفتيش فني اختصاصي يتولاه مفتشون مختصون في أنواع العلوم المختلفة ، يقومون بزيارة المدارس ، ويفتشون المعلمين التابعين لاختصاصهم ، ويكتبون التقارير للمدير العام ، ويقدمون ـ أحياناً ـ المشورة في قضايا المناهج والكتب المدرسية والامتحانات . وقد يجمع بعض المفتشين المركزيين التفتيش الإداري والتفتيش الفني ، ويوزعون أوقاتهم بين الدائرة المركزية وزيارات المدارس في مختلف المناطق . وقد بلغ عدد المفتشين المركزيين في آخر سنة دراسية في عهد الانتداب ٣٠ مفتشاً بينهم ٢١ عربياً و٦ يهود و٣ بريطانيين .

ينقسم التفتيش المركزي الفني إلى عدة أقسام :

ـ قسم تعليم البنات : وقد أوجدته الإدارة العسكرية البريطانية سنة ١٩١٨ ، وتولت الإشراف عليه في البداية مفتشة بريطانية جمعت مسؤولية التفتيش والاستشارة إلى مسؤولية إدارة كلية تدريب البنات (المعلمات) . ثم فصلت الإدارة عن التفتيش في أواخر الثلاثينات ، وتولت المهمتين بريطانيتان . وقد عينت خلال الأربعينات مديرة إنكليزية مساعدة مسؤولة عن تعليم البنات إلى جانب القمشة الفنية .

ـ قسم تعليم العربية والدين : كانت الحاجة ماسة إلى هذا القسم بسبب إحلال اللغة العربية في التعليم محل التركية . وكان البريطانيون يسعون ، من أجل غاياتهم السياسية ، ليؤكدوا للسكان أن الإدارة البريطانية لم تهمل الأساس الديني والأخلاقي للتعليم .

ـ التعليم الزراعي : كان إدخال التعليم الزراعي شيئاً جديداً في عهد الانتداب ، وقد توسع القسم وغدا مؤلفاً من ثلاثة مفتشين مشرفين على التعليم الزراعي ، وجميعهم عرب . وكان رئيسهم مسؤولاً أحياناً عن تدريب المعلمين الريفيين .

ـ التعليم الفني (المهني) : جاء متأخراً سنة ١٩٣٠ ، وأشرف عليه بريطاني . ولم يكن التعليم الفني مستقلاً في مدارس خاصة به ، بل كان تدريباً يدوياً يعلّم في المدارس العامة للبنين . وقد ارتقى منصب المشرف على التعليم الفني إلى مرتبة مدير مساعد خلال الأربعينات . وكانت هناك مدرسة تجارية واحدة فقط في أواخر الانتداب .

ـ قسم اللغة الإنكليزية : وهي اللغة الأجنبية الرحيدة في مدارس الحكومة ، ولها أهميتها الثقافية والاجتماعية الخاصة . وقد تولى تفتيش اللغة الإنكليزية وتدريب معلميها العرب بريطانيون من كبار موظفي دائرة المعارف . وظل هذا التفتيش وقفاً على البريطانيين . لكن عيّن في السنوات الأخيرة القليلة من عهد الانتداب مفتش عربي مساعد للمرحلة الابتدائية .

ـ قسم الاجتماعيات : التاريخ مادة هامة سياسيا واجتماعيا ، وكان أمر تدريسها موضوعا من مواضيع النزاع بين الدائرة والمجتمع العربي . وقد تولى تفتيش هذه المادة بريطانيون ، ثم رفع عربي إلى منصب مفتش مركزي أو مسؤول عن الاجتماعيات .

ـ التعليم اليهودي : عين في سنة ١٩٢٩ أول مفتش يهودي في دائرة المعارف المركزية لكتابة التقارير عن المدارس اليهودية المستقلة . ثم أخذ عدد المفتشين اليهود يتكاثر في الدائرة حتى وصل إلى ستة مفتشين في آخر سنوات الانتداب . وكان قد عين في سنة ١٩٤٤ مدير مساعد يهودي .

(٢) مفتشو المناطق : كانت فلسطين أيام الانتداب البريطاني تقسم إلى أربع مناطق تعليمية هي :

ـ منطقة القدس : وتضم القدس والخليل * ورام الله * وبيت لحم * وأريحا * ، ومركزها القدس .

ـ المنطقة الجنوبية : وتضم غزة * ويافا * والرملة * وبير السبع * ومركزها يافا .

ـ منطقة السامرة : تتألف من أقضية نابلس وجنين * وطولكرم * ، ومركزها نابلس .

ـ منطقة الخليل : وتشمل حيفا * وعكا والناصرة * وطبرية * وبيسان * وصفد * ، ومركزها حيفا .

وكان لكل منطقة تعليمية مفتش منطقة هو ، نظريا وعمليا ، مدير محلي للمدارس في الغالب . فهو يجمع مهمتي الإدارة والتفتيش ، وينبع لإشراف مدير دائرة المعارف . وكان مسؤولا مسؤولية مباشرة عن جميع مدارس الحكومة في منطقته ، ومسؤولا عن جهاز الموظفين ، وتزويد الكتب ، والنظام ، وشؤون الطلاب .

وكان على اتصال بالسلطات الحكومية الاخرى في المنطقة . وهو في منطقته المحور المركزي لكل نشاط تعليمي محلي تعتمد المنطقة على قيادته في كل ما يتعلق بمشاريع تطوير المدارس .

ويقوم مفتش المنطقة ، إلى جانب تلك المهمة الإدارية ، بالتفتيش الفني على المعلمين ، ويقدم التقارير إلى المدير العام . كذلك يفتش المدارس الخاصة التي تتلقى منحا من الدولة ، أو تطلبها ، ويقدم عنها تقاريره .

وقد دعمت المهام الإدارية الكثيرة مفتشي المناطق إلى تخصيص معظم جهودهم للجوانب الإدارية على حساب الجوانب الفنية . وقد كان إلى جانبهم مفتشون مساعدون مسؤولون عن تفتيش مدارس القرى .

٣) الجهاز الإداري : تضم دائرة المعارف المركزية في القدس مجموعة من المكاتب والأقسام تتولى الأعمال الإدارية المكتبية . وكان رئيس هذا الجهاز موظفا عربيا خلال السنوات العشر الأولى من تأسيس الدائرة ، ثم آلت رئاسة الجهاز الإداري إلى موظف بريطاني بقية سنوات الانتداب .

وقد ضمت الدائرة المركزية سبعة أقسام إدارية هي : قسم التسجيل ، وقسم الحسابات ، وقسم المستودعات والمخازن (كتب ، وأثاث مدرسي . .) ، والمكتبة ، وقسم الترجمة ، وقسم الإحصاء ، وقسم الآلة الكاتبة (باللغات الرسمية الثلاث آنئذ) .

يتبين مما مضى الهيكل العام لإدارة التعليم في فلسطين أيام الانتداب . وقد كان هذا الهيكل ، رغم تماسكه الظاهري ، ضعيفا كثير العيوب . وأول هذه العيوب وأبرزها يرجع إلى وجود الانتداب وغايته . فقد كانت نصوص عهد الانتداب التي وضعت لخدمة الصهيونية وأهدافها مسؤولة عن الفرضى الإدارية التعليمية ، وعن ازدواجية التعليم في فلسطين أيام الانتداب . وكانت إدارة المعارف " البريطانية " محابية ففي حين كانت تدير التعليم العربي إدارة مباشرة صارمة كان نظام التعليم العبري مستقلا بنفسه إلى درجة كبيرة ، ولم تكن سلطة إدارة المعارف عليه تتعدى " شروط التعليم العمومية " .

كانت ميزانية التعليم من جهة أخرى قليلة جدا لا تسد حاجة العرب إلى تعليم أولادهم ولا تتيح فرص التعليم للكثير من أطفالهم . ولم تتعدُ موازنة التعليم في أول السنوات الدراسية أيام الإدارة المدنية (١٩٢٠/١٩٢١) مبلغ ٧٨,٠٠٠ جنيه . وكانت نسبة ما ينفق على التعليم قليلة جدا بالقياس إلى مجموع النفقات الأخرى ، ولا سيما نفقات الأمن العام . بل إن معدلها السنوي أخذ بالهبوط منذ العام الدراسي ١٩٣٤/١٩٣٥ كما يدل الجدول المرفق :

	١٩٣١	١٩٣٢/٣٣	١٩٣٣/٣٤	١٩٣٤/٣٥	١٩٣٥/٣٦
	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
مجموع المصروفات	٢,٣٧٤,٤٦٧	٢,٥١٦,٣٩٤	٢,٧٠٤,٨٥٦	٣,٢٣٠,٠١٠	٤,٢٣٦,٢٠٢
البوليس والسجون	٤٦٩,٥١٦	٤٧٥,٠٤٢	٤٨٦,٦٠٥	٥٠٦,٧١٢	٥٢٧,٤٦٧
الأشغال العامة	٣٣٤,٣٥٣	٣١٧,٤٠١	٣٧٣,٢٢٤	٥٤٠,٦٩٧	٩٩١,٨٢٤
دائرة الصحة	١٠٥,٩١٨	١١١,٠٥٢	١٣٥,٨٣٨	١٦٦,٣١١	١٩٤,٦٣٢
	١٤٦,٩٨٨	١٥٩,٥٢٠	١٧٩,٦٣٥	٢٠١,٤٩٨	٢٢١,٠٨٧
النسبة المئوية لما ينفق على المعارف	٪٦,١٩	٪٦,٣٤	٪٦,٦٤	٪٦,٢٤	٪٥,٢٢
					٦,٠٩٩,٩٩٧
					٧٤٤,٤٥٥
					١,١٠٥,٧٨٣
					٢٠٤,٣٥٦
					٢٤٣,٢٦٥
					٪٣,٩٩

وإلى جانب هذه العيوب العامة كان هناك خلل في بنية دائرة المعارف ذاتها . فقد كان مدير الدائرة البريطاني يمثل قمة الرئاسة الأوتوقراطية المركزية . وقد حاولت سلطات الانتداب التخفيف من ذلك فعهدت في سنة ١٩٤٧ إلى مفتش عربي مركزي أول يكثير من المسؤوليات . لكن لم تظهر نتائج التجربة ، فسرعان ما أعلن انتهاء الانتداب .

أما المجموعة التي كان يترأسها هذا المدير الحريص على تنفيذ التعليمات والأوامر فهي مجموعة أفراد غير متناسقين أو متعاونين . وقد كان الصدام دائما بين الشخصيات العربية والبريطانية في دائرة المعارف المركزية ، ولا سيما في جهاز التفتيش . يضاف إلى ذلك أن أجهزة الدائرة كانت تفتقر إلى المختصين . فهي إلى نقصان بعض الخدمات الثانوية الهامة لم تضم إليها خبيرا في علم النفس مؤهلاً لتقديم النصح والمشورة إلى المناهج وقواعد الامتحانات وغير ذلك . كذلك افتقرت الدائرة إلى خبراء في الإحصاء . وكان الذين يقومون بكتابة الجداول الإحصائية أفرادا غير متخصصين يكتفون بسرد الأرقام دون تحليل واستخلاص نتائج . وكانت الدائرة فقيرة في حقل النشاط العلمي لم تطبع شيئاً من الدراسات سوى ما كان يشارك فيه بعض موظفيها من تحرير مواد في مجلة كلية المعلمين .

د ـ مراحل الدراسة : كانت الدراسة زمن الانتداب البريطاني تبدأ في صف بستان الأطفال ومدته سنة واحدة ، ثم تتدرج إلى المرحلة الابتدائية ومدتها سبع سنوات ، ثم الثانوية ومدتها أربع سنوات . وكان عدد الطلبة الذين يتممون المراحل الدراسية جميعها صغيراً جدا . ويعد إنهاء المرحلة الثانوية يلتحق بعض الطلاب بأحد المعاهد العالية ، وهي اثنان للبنين واثنان للبنات . أما معهدا البنين فهما : الكلية العربية * والمدرسة الرشدية * . ومعهدا البنات هما : كلية المعلمات في القدس ، ومركز تدريب المعلمات الريفي في رام الله .

أشرفت دائرة المعارف أيضاً على معاهد مهنية مختلفة كمدرسة خضوري الزراعية التي يلتحق بها الطلبة عند إنهاء الصف الثاني الثانوي ، ومدرسة حيفا الصناعية التي يلتحق بها الطلاب بعد إنهاء المرحلة الابتدائية . وكانت دائرة المعارف ، بالإضافة إلى ذلك ، تشرف في أواخر عهد الانتداب على معهد الحقوق في القدس ، ومدة الدراسة فيه خمس سنوات ،ويلتحق الطلاب به بعد إنهاء المرحلة الثانوية.

كان القسم الأكبر من الطلبة العرب في مدارس الحكومة من تلاميذ المرحلة الابتدائية . ففي السنة الدراسية ١٩٤٥/١٩٤٦ بلغ عدد الطلاب العرب في المدارس الحكومية ٨٢,٧٧٥ طالبا منهم ٨٠,٩٠١ في المدارس الابتدائية ، أي أن نسبتهم ٩٧,٨٪ من المجموع . وسبب ذلك أنه لم يكن في فلسطين زمن الانتداب البريطاني إلاّ ثلاث مدارس ثانوية كاملة للطلاب ، وهي الكلية العربية ، والمدرسة الرشدية في القدس ، والمدرسة العامرية في يافا . وقد أصبحت هذه الأخيرة ثانوية كاملة سنة ١٩٤٦ . وإلى جانب ذلك ثلاث عشرة مدرسة حكومية ثانوية غير كاملة تصل فقط إلى الصف الثاني الثانوي ، منها عشر للذكور .

وكانت إمكانية إتمام المرحلة الثانوية بين البنات معدومة تقريبا ، فلم يكن في فلسطين إلاّ ثلاث مدارس لتعليم البنات حتى مستوى الصف الثاني الثانوي في القدس ويافا ونابلس .

١) المدارس الابتدائية الحكومية : كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية سبع سنوات تقسم إلى مرحلتين : خمس أولى ، ثم سنتين أخيرتين . وكانت دائرة المعارف تدّعي كاذبةً أنها تسعى إلى إزالة الأمية بين الفلسطينيين العرب عن طريق فتح أكبر عدد ممكن من المدارس الابتدائية الدنيا . لكن الميزانية التي أعدت لذلك جعلت الأمر مستحيلا . إذ لم يكن هناك صفوف كافية لاستيعاب جميع الأطفال الذين يبلغون مرحلة الدراسة الابتدائية . وفي سنة ١٩٤٦ بلغت نسبة التلاميذ الذين تمكّنوا من الالتحاق بالسنة الابتدائية الأولى ٦٠٪ .

أما إمكانية الدراسة في السنتين الأخيرتين الابتدائيتين فكانت قليلة . وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية القروية في فلسطين سنة ١٩٤٦ نحو ٣٧٤ مدرسة منها ١١٤ مدرسة فقط ضمت هذين الصفين الأخيرين من التعليم الابتدائي .

وكانت مناهج التعليم في المدارس الابتدائية تقصد إلى إزالة الأمية عن طريق الإلمام بأصول اللغة العربية والحساب والصحة والتاريخ والجغرافية والتدريب العملي والتربية البدنية واللغة الإنكليزية .

أما مناهج اللغة العربية فكان يتدرج من المحادثة والقراءة إلى الكتابة ، ثم دراسة القواعد والإنشاء والشعر . وقررت بالإضافة إلى الكتب المقررة كتب إضافية ، ولا سيما في القراءة ، لتنمية المقدرة على الفهم والاستيعاب السريع . أما اللغة الإنكليزية فتبدأ في السنة الرابعة . وكان منهاج دراستها يتضمن المحادثة ، فالقراءة ، ثم القواعد . وكان التشديد أكثر على الكتابة والقراءة ، ولهذا كان المتخرج من المدارس الحكومية يقرأ اللغة الإنكليزية ويكتبها بمهارة تزيد كثيرا عن تمكنه من تكلمها .

وكانت دراسة الحساب تتدرج من الدراسة الشفوية إلى الكتابة ، ومن البسيط إلى المعقد ، ومن المبادىء الأساسية الأربعة (الجمع والطرح والضرب والقسمة) إلى دراسة الكسور والنسبة المئوية . وقد تضمن المنهاج في السنتين الأخيرتين الابتدائيتين أصول الجبر والهندسة والمثلثات .

أما دراسة العلوم فتبدأ في السنة الثانية . والقصد منها لفت نظر الطلاب إلى البيئة ومحتوياتها الطبيعية وإلغاء قسوة الملاحظة والتفكير عندهم . وكان المنهاج يقضي الإلمام بالبيئة المحلية وما فيها من حيوانات ونباتات ومعادن وصناعات : وقد خصصت السنتان الأخيرتان لدراسة مبادىء الصحة والجسم الإنساني .

وكانت مادتا التاريخ والجغرافية موحدتين ، ويتعلق منهاجاهما بجغرافية وتاريخ فلسطين بخاصة ، والبلاد العربية بعامة . وكانت مادة الديانة الإسلامية إجبارية ، ويتضمن منهجها دراسة حياة الرسول عليه السلام ، ثم مبادىء الديانة . وقد سمح للطلاب المسيحيين بدراسة أصول الديانة المسيحية .

أما عدد الحصص الأسبوعية المخصصة لكل مادة فكان كالجدول رقم (١)

٢) المدارس الثانوية الحكومية : مدة التعليم الثانوي في المدارس الحكومية أربع سنوات بعد إتمام المرحلة الابتدائية . وكان هناك خمسة معاهد ثانوية : ثلاثة للطلاب واثنان للطالبات . وكان التعليم الثانوي في فلسطين محدوداً ، فالمدارس قليلة ، وانتقاء العدد الذي يحق له متابعة الدراسة بعد المرحلة الابتدائية عسير ، لذلك كان هناك انتقاء آخر بعد إتمام الصف الثاني الثانوي ، فلم يكن يتاح المجال للالتحاق بالسنة الثانوية الثالثة في الكلية العربية أو الرشيدية أو دار المعلمات إلا لطالبين أو ثلاثة من كل صف . وقد ضمت هذه المعاهد أقساماً داخلية تمكنها من قبول الطلاب من مختلف أنحاء فلسطين .

أما المناهج في المدارس الثانوية فكانت تعد الطلبة لاجتياز فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية (المتريكولايشن *Matriculation*) وكانت مدة الحصة الدراسية ٤٥ دقيقة ، والحد الأعلى للحصص الأسبوعية ٣٩ حصة . وكان المنهاج مقسماً إلى قسمين : أدبي وعلمي . وقد وزعت الحصص على نحو الجدول رقم (٢)

وقد كان منهاج المدارس الثانوية يعدّ الطلاب والطالبات لاجتياز الفحص الثانوي الفلسطيني (متريكولايشن) ، ولذا أنشئت تلك المناهج تبعاً لمتطلبات الشهادة الثانوية . وقسمت العملية حسب مقتضيات الشهادة المذكورة إلى الأقسام التالية :

(١) اللغات الرئيسة : لغة إنكليزية ـ أ ـ ، أو لغة عربية ـ أ ـ ، أو لغة عبرية ـ أ ـ (يدل الحرف ـ أ ـ على أن اللغة التي يتقدم الطالب للالتحاق فيها هي لغته القومية) .

(٢) الرياضيات العامة .

(٣) التاريخ العام .

(٤) اللغات الإضافية : لغة عربية ـ ب ـ ، أو لغة إنكليزية ـ ب ـ ، أو لغة عبرية ـ ب ـ (يدل الحرف ب على أن اللغة ليست لغة الطالب القومية) أو لغة أرمنية ، أو فرنسية ، أو ألمانية ، أو إيطالية ، أو لاتينية ، أو يونانية .

(٥) طبيعيات عامة وطبيعيات خاصة : وكان يدخل ضمن هذه المجموعة الكيمياء ، والنبات ، والحيوان ، والجغرافية ، والإدارة المنزلية والتدريب (للبنات) ، والتاريخ الإضافي .

(٦) الديانة : الإسلامية ، والمسيحية ، واليهودية .

وكان على الطالب المتقدم للحصول على الشهادة الثانوية أن ينجح في موضوع واحد من الأقسام الخمسة ، وفي موضوع سادس مختار من القسمين الرابع والخامس .

٣) التعليم المهني والزراعي : كان التعليم المهني في فلسطين محصوراً في مدرسة واحدة هي مدرسة حيفا الصناعية . وقد تم تزويد المدرسة بجميع المعدات والأبنية اللازمة سنة ١٩٣٦ . ولكن الثورة في تلك السنة أدت إلى احتلال الجيش البريطاني بناية المدرسة حتى ١٩٤٥ حين نقلت المدرسة إلى أبنيتها الخاصة .

كان طلاب المدرسة الصناعية يدفعون رسماً رمزياً قدره ١٢ جنيها فلسطينيا كل سنة مقابل الدراسة والمسكن والمآكل . وتضمن برنامج الدراسة اللغة العربية والإنكليزية بالإضافة إلى نظريات الصناعة والتجارة والرسم الميكانيكي وأصول التجارة والحدادة وتصليح الآلات والاعتناء بالسيارات . وكانت الدراسة تستغرق ثلاث سنوات ، وعلى الطلبة قبل الالتحاق بالمدرسة الصناعية إتمام المرحلة الابتدائية الدراسية .

أما عدد الحصص الأسبوعية فكان ٤٥ حصة خصص منها للمواضيع الصناعية العملية ١٨ حصة في السنة الأولى و٢٧ حصة في السنة الثانية و٣٣ حصة في السنة الثالثة . وكانت بقية الحصص مخصصة للمواضيع العلمية .

وجاء في تقدير دائرة المعارف الفلسطينية أن ثلث الطلبة الذين تخرجوا من المدرسة اشتغلوا في مصفاة البترول في حيفا ، والثلث الآخر في دائرة الأشغال العامة في مدن مختلفة ، والتحق الثلث الأخير بوظائف في دائرة المعارف أو في الهيئات الخاصة .

أما التعليم الزراعي فكان مقصوراً على مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم التي تشرف عليها دائرة الزراعة الفلسطينية ، لكن الإشراف عليها نقل إلى دائرة المعارف سنة ١٩٤٤ . وقد حل بالمدرسة الزراعية ما حل بمدرسة الصناعة في حيفا ، إذ احتل الجيش البريطاني أبنيتها طوال سني الثورة والحرب العالمية الثانية .

أتيحت الدراسة في مدرسة خضوري الزراعية للطلبة العرب الذين أتموا السنة الثانية الثانوية . ومدة الدراسة فيها سنتان . غير أن

جدول رقم (١)

الموضوع	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	الصف السادس	الصف السابع
اللغة العربية	١٤	١١	١٢	٨	٨	٨	٨
اللغة الإنكليزية	–	–	–	٨	٨	٨	٨
الحساب	٥	٥	٥	٥	٥	٦	٦
الصحة	–	٣	٣	٢	٢	٢	٢
الديانة	٥	٥	٥	٤	٤	٣	٣
التاريخ والجغرافية	٢	٢	٣	٤	٤	٤	٤
العلوم	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
الرسم	٢	٢	٢	١	١	١	١
التربية البدنية	–	–	٣	١	١	١	١
المجموع	٣٠	٣٠	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥

جدول رقم (٢)

الموضوع	الصف الأول الثانوي	الثاني الثانوي	الثالث الثانوي		الرابع الثانوي	
			الأدبي	العلمي	الأدبي	العلمي
الديانة	١	١	٢	٢	٢	٢
اللغة العربية	٧	٧	٥	٥	٥	٥
اللغة الإنكليزية	٨	٨	٨	٨	٨	٨
الرياضيات العامة	–	–	٥	٥	٤	٤
الحساب	٢	٢	–	–	–	–
الهندسة	٢	٢	–	–	–	–
الجبر	٣	٣	–	–	–	–
الرياضيات الإضافية	–	–	–	٥	–	٥
الطبيعيات	٣	٣	٥	٥	٥	٥
الكيمياء	١	١	–	٣	–	٣
النبات	١	–	–	–	–	–
الحيوان	–	١	–	–	–	–
اللغة اللاتينية واليونانية	–	–	٤	–	٤	–
التاريخ	٣	٣	٣	٣	٤	٤
الجغرافية	٢	٢	٣	–	٣	–
الرسم	١	١	–	–	–	–
التدريب البدني	١	١	–	–	–	–
التدريب اليدوي	–	–	٢	٢	٢	٢
الاستعداد	–	–	٢	١	٢*	١
المجموع	٣٥	٣٥	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩

تعديلات أجريت على المنهاج سنة ١٩٤٥ فزادت سنوات الدراسة سنة ثالثة . وقد خصصت تلك السنة للتدريب على أصول تعليم المنهاج الزراعي في مدارس الحكومة القروية .

وضم منهاج الصف الأول الزراعي دراسة النبات والحيوان والكيمياء، وتربية الحيوانات والطيور ومبادىء الزراعة . أما الصف الثاني فكان لدراسة الصناعات الزراعية والتربة وتحضيرها وطرق الري المختلفة . وأعدت السنة الثالثة لتدريب المعلمين الزراعيين وتلقينهم أصول التربية وعلم النفس ووسائل تعليم الزراعة ومناهجها ، خصوصا في المدارس الابتدائية .

٤) المدارس الخاصة : انقسمت المدارس الخاصة (غير الحكومة) في فلسطين إلى قسمين : مدارس أجنبية ، ومدارس وطنية . أما الأجنبية فقد أنشأتها مؤسسات دينية مسيحية . وأشرفت على المدارس الوطنية هيئات عربية فلسطينية . وكان كلا النوعين ، الوطني والأجنبي ، يتبع بشكل عام منهاج دائرة المعارف الفلسطينية ، وتقسيماتها . وكانت معظم المدارس الوطنية الأهلية تؤهل الطلاب لتقديم فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية . أما الأجنبية فكانت تؤهل الطلاب لفحص الثانوية الفلسطينية وفحص جامعة لندن (لندن متريكولیشن) .

وأهم المدارس الأجنبية مدرسة الفرندز للذكور وللإناث ، وكلتاهما في مدينة رام الله ، وكانت على الرغم من استقلالها تتبعان إشراف هيئة واحدة . ومنهاج التدريس في كلتا المدرستين هو منهاج التعليم الفلسطيني ، إلّا أن لغة التدريس في المرحلة الثانوية كانت اللغة الإنكليزية . أما الخريجون والخريجات فكانوا كثيرا ما يتممون دراستهم العالية في الجامعات الأمريكية ، ولا سيما الجامعة الأمريكية في بيروت .

ومن المدارس الأجنبية مدرسة تراسنطا للذكور في القدس . وكانت هيئة الإخوان الفرنسيكان الأمريكية تشرف عليها . وقد ضمت المدرسة صف بستان أطفال وسبعة صفوف ابتدائية وأربعة ثانوية . وكان التعليم فيها باللغة العربية في المرحلة الابتدائية ، وباللغة الإنكليزية في المرحلة الثانوية .ومنهاج التعليم فيها هو المنهاج الحكومي ، وإن كانت المدرسة ، بالإضافة إلى ذلك ، تتيح للطلاب فرصة دراسة اللغتين الفرنسية والعبرية . وكان الطلاب عند تخرجهم يتقدمون إما لفحص الدراسة الثانوية الفلسطينية وإما لفحص جامعة لندن .

وقد برز من المدارس الوطنية الأهلية مدرسة النجاح * الوطنية في نابلس ، ومدرسة روضة المعارف الوطنية * في القدس . وكانت كلتا المدرستين تتبع منهاج دائرة المعارف ، ويتقدم الخريجون بعد إنهاء المرحلتين الابتدائية والثانوية إلى فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية . وكان المعهدان يهتمان اهتماما خاصا بتدريس اللغة والتاريخ العربيين والديانة الإسلامية . كما اشتهرت بين مدارس القدس كلٍّ من مدرستي النهضة والأمة وتميزتا بمستواهما العلمي والوطني .

المراجع :

ـ يعقوب المودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ جبرائيل كاتول : التعليم في فلسطين ، الأبحاث ، ١٩٥٠ .
ـ عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ، القاهرة ١٩٦٢ .
ـ حولية الثقافة العربية : المجلد ٢ ، ١٩٤٩ .
— Abcarius, M.E: **Palestine Through the Fog of Propaganda,** London 1946.
— Antonius, G.: **The Arab Awakening,** New York 1965.
— Beck, C.: (Editor): **Perspectives on World Education** , Milwaki 1970.
— Farrel W.J.: **Education in Palestine : General Survey 1936-1945,** Jerusalem 1945.
— Goversment of Palestine : **A survery of Palestine,** Jerusalem 1946.
— Mathews, R. and Akrawi, M.: **Education in the Arab Countries of the Near East,** Washington 1949.
— Palestine, Department of Education, **Annual Reports.**
— **The Political History of Palestine Under the British Administration,** Jerusalem 1947.
— Tibawi, A.L. : **Arab Education in Mandatory Palestine,** London 1951.

الترجمة والمترجمون :

أسهم الفلسطينيون بنصيب طيب في الترجمة منذ وقت مبكر من النهضة العربية المعاصرة . وقد بدأوا نشاطهم في هذا الميدان منذ سنة ١٨٦٠ ، ومن بين الترجمات ما قام به يوسف دياس اليافي حول كتاب « مرشد الأولاد » لفرنسيسكو سواليوس .

وأخذ هذا النشاط يتقدم بتقدم المجتمع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رغم المعوّقات الاستعمارية وغيرها . نعرّب بندلي صليبا الجوزي * كتاب « الأمومة عند العرب » عن اللغة الألمانية وطبعه في قازان سنة ١٩٠٢ .

ونشأ مناخ ملائم للترجمة في فلسطين حين أخذت الصحف العربية فيها بالظهور . ولعل من بين هذه الصحف التي أسهمت في تنشيط الترجمة مجلة « النفائس العصرية » لخليل بيدس * الذي بذل جهدا كبيرا في الترجمة عن اللغة الروسية . فقد ترجم عنها ما لا

يقل عن أربعة كتب في سنتي ١٨٩٨ و١٨٩٩ ، وما لا يقل عن ستة كتب ما بين سنة ١٩٠٨ و١٩١٩ هـذا إلى جانب كثير من الروايات القصيرة التي كان ينشرها في أعداد مجلته . وقد انضم إلى خليل بيدس آخرون شرحوا عن الروسية ونشروا ما ترجموه أحيانا في مجلته " النفائس العصرية " ، مثل أنطون بلاّن أحد أساتذة المدرسة الروسية في الناصرة الذي نقل روايه « في سبيل الحب» سنة ١٩١٢ ، وحكايات قصيرة منها « سياحة في عالم الخيال » ، وخواطر من كتاب « طريق الخيال » لتولستوي وغيرها . ومثل سليمان بولس ، وإبراهيم جابر ، وعبد الكريم سمعان ، ولطف الله الخوري صرّاف ، والسيدة كاثوم عودة ، وفارس نوفلا مدور .

وكما كانت مجلة « النفائس العصرية » بيئة منشطة للترجمة عن الروسية بسبب ثقافة صاحبها وبعض رفاقه كانت مدرسة « سيمنار» الروسية للطلاب في الناصرة ، ومدرسة السيمنار الروسية للطالبات في بيت جالا بيتين منشطتين في هذا الميدان (رَ : الإرساليات الروسية ، مدارس). إذ قام بعض طلاب المدرستين المذكورتين بترجمة حكايات عن الروسية ونشروها في مجلة النفائس العصرية . ومن الذين ترجموا بكثرة عن الروسية كذلك سليم قبعين ونجاتي صدقي . فقد كان سليم قبعين من أوائل خريجي مدرسة السيمنار الروسية في الناصرة سنة ١٩٠٨ ، وكان له نشاط خصب في الصحافة المصرية ، وشارك في إنشاء عدد من الصحف هناك ، وكتب في عدد من صحف مصر ، وعرّف القراء العرب بكبار الكتّاب الروس أمثال تورغنيف ، وسوشكين ، ومكسيم غوركي ، وتولستوي وغيرهم . وقد ترجم عن الروسية « حكم النبي محمد » ، وكتاب « محكمة جهنم » لتولستوي ، و« أنشودة الحكم » لتورغنيف ، وكتبا متعددة أخرى .

أما نجاتي صدقي فقد سافر إلى موسكو ودرس بجامعتها وحصل على بكالوريوس في الاقتصاد السياسي منها ، فأتاحت له ثقافته هذه الأسباب الملائمة للترجمة عن الروسية والتعريف بكتاب روس مشهورين ، وبجوانب بارزة من الأدب الروسي ، فنقل عن الروسية ومصادرها الأصلية نقلا دقيقا بلغة عربية صافية . وقد أتى ميخائيل نعيمة على صنيعه في كتابه عن « بوشكين » الشاعر الروسي الذي نشره في سلسلة اقرأ (١٩٤٥) . وكان عمله عن تشيكوف الذي أصدره أيضاً في سلسلة اقرأ (١٩٤٧) من الأعمال التي حافظ فيها على روح المؤلف ومزاجه وتعابيره بحرية صافية دقيقة .

ولم يقتصر أثر مجلة النفائس العصرية ، وما أتاحته من مناخ ملائم للترجمة ، على النقل من اللغة الروسية بل تعدّاه إلى النقل من اللغة الألمانية كذلك . فقد ترجم جبران مطر عن الألمانية القصص والحكايات . وشارك في النقل من الألمانية بندلي الجوزي ، وإلياس نصر الله حدّاد الذي ترجم رواية « نائل الحكيم » للكاتب الألماني لسنغ وطبعها في مطبعة الأيتام في القدس .

وقد أتاحت الظروف للطائفة الأرثوذكسية في القدس الاتصال باللغة اليونانية ، وكان لجرجي حنا السكسك جهد في هذا الميدان . واتصل توفيق اليازجي في يافا باليونانية الحديثة وترجم للشاعر اليوناني يوانس بولیتي قصيدته « الخمرة المزوجة » .

وكان من الطبيعي أن تكون لفلسطين صلة باللغة التركية . وقد ترجم عبد الله مخلص * كتاب نامق كمال « سيرة الفاتح السلطان محمد الثاني » بعربية صافية ، وعرّب حسن صدقي الدجاني * رواية « حذار » الاجتماعية عن التركية ، ونقل عارف العزوني إلى العربية « تراتنا بابو » من رسائل شاب حبشي إلى زوجته) وهي للشاعر التركي الكبير ناظم حكمت .

وقد عرف أبناء هذا القطر اللغة الفرنسية . وممن نقلوا من الفرنسية عادل جبر * الذي ترجم بحثا لماكس نوردو بعنوان « روح القومية » . ونقل إسحق موسى الحسيني والأب أسطفان سالم الفرنسيسي كتاب « فن إنشاد الشعر العربي » وطبعاه بمطبعة الآباء الفرنسيين بالقدس سنة ١٩٤٥ .

ولعل في طليعة المترجمين الأصلاء في النهضة العربية عامة والثقافة الفلسطينية خاصة عادل زعيتر * الذي نقل عن الفرنسية ما يزيد على سبعة وثلاثين كتابا من أمهات الكتب في الثقافة الفرنسية ، وذلك بلغة عربية صافية ناصعة دقيقة .

أما الترجمة عن الإنكليزية فكان لها نصيب أوفر بسبب الاستعمار الإنكليزي المباشر لهذا القطر . وقد أتيح لهذه الثقافة المهمة أعداد كبيرة من المترجمين نهَضوا على المهمّة .

ومن المبكرين في الترجمة عن الإنكليزية إبراهيم حنا وروز حسّون وبولس صدقي من القدس .

ومن أبرز الذين عرفوا في هذا الميدان : توفيق زيدق ، وأحمد سامح الخالدي * ، ووديع البستاني * وأحمد سامح الخالدي * ، وعجاج نويهض * ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وسليم سلامة ، وأميل بيدس ، وسميرة عزام * ، وعمر الديراوي أبو حجلة ، وإحسان عبّاس ، ونقولا زياده، وبرهان الدجاني ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، وعبد الرحمن بياتي ، وإبراهيم ميخائيل عودة ، وإبراهيم مطر ، وأنيس صايغ ، وعبد الملك الناشف ، ومحمود السمرة ، ونجي علوش ، وعمر يحيى ، وبكر عبّاس ، ومحمود زايد ، وخيري حمّاد * الذي كان أكثر المترجمين عدد كتب ، إذ بلغ عدد ما ترجمه ٥٠ كتابا عن الإنكليزية والفرنسية في السياسة والأدب والفلسفة والاستشراق والاقتصاد . ومن الكتب التي ترجمها مما له علاقة بالعرب وقضيتهم : ثورة الجزائر لجين غيلسبي (١٩٦١) ، معركة البترول لأستانتون هوب (١٩٦٢) ، اليهودي العالمي لهنري

فورد (١٩٦٨) ، الفتوحات العربية الكبرى لغلوب بانسا (١٩٦٣) ، الإمبراطورية العربية الكبرى لغلوب بانسا (١٩٦٧) ، الاستعمار الجديد لكوامي نكروما (١٩٦٧) ، العرب ، تاريخهم ، ومستقبلهم لجاك بيرك ، وثورة التصحيح في مصر .

والذي يتتبع نشاط هؤلاء الأعلام البارزين السابقين يجد أن ترجماتهم شملت ميادين متعددة في عالم الثقافة ، فتوفيق زيق مثلا ترجم مقالات وقصصاً لمجلة الفانوس العصرية ، وترجم كتاب « الحرية والمعيشة » لصحفي أمريكي ، وكتاب «ميزان النفس» الذي نشر فصولا منه في « معرض أقلام الزهرة » ، وكتاب « حديث المائدة » للكاتب الاجتماعي الشهير دوزن . وكان يغار على لغة الترجمة ويتشدد في مستواها . وترجم أحمد شاكر الكرمي سنة ١٩٢١ في ، الكرمليات » بعض شعر الشاعر الإنكليزي شلي ، وترجم أيضاً كتاباً للكاتب الفرنسي برنارديدوسان بيير عن الإنكليزية بعنوان « الفلسفة الشرقية أو نادي سوارت» ، ثم ترجم قصة « ما أخلاه » لجي دي موباسان عن الإنكليزية ، كما نقل عن الإنكليزية ، أسطورة العمل والموت والمرض » للكاتب الروسي تولستوي . ونقل عن مارك توين « أسطورة الزهرة ـ فينوس » ، وعرّب رواية « بي ، أو الخريف والربيع » للشاعر الإنكليزي بوب ، ونشرها تباعا في مجلة الرابطة الأدبية بدمشق عام ١٩٢١ ، وعرّب قصة « خالد » للروائي الأمريكي المشهور ماريون كرولود .

أما وديع البستاني فكان له إسهام كبير في الترجمة عن الإنكليزية والهندية . وله مجموعة كبيرة من الكتب في القضايا السياسية والأبحاث الاجتماعية والشعر والأدب ، وفي مقدمة ديوانه « الفلسطينيات » قائمة بها .

ويعدّ أحمد سامح الخالدي من أشهر الذين عنوا بالنقل عن الإنكليزية في ميدان التربية والتعليم وعلم النفس وإدارة الصفوف . وقد اشتهرت كتبه في هذا المجال في فلسطين والأقطار العربية أيضا .

وترجم عجاج نويهض عن الإنكليزية « حاضر العالم الإسلامي » ، وكتاب « النظام السياسي ـ نظرياته وأشكاله » ، الذي صدر في القدس سنة ١٩٣٩ .

أما جبرا إبراهيم جبرا فله ترجمات معروفة في عالم الأدب الصرف . وقد اشتهرت ترجماته بين المثقفين الفلسطينيين والعرب . وترجم أبين أبو لمعر عن الإيطالية « جحيم دانتي » سنة ١٩٣٨ . ويطول الحديث عن المترجمين الآخرين الذين ورد ذكرهم قبل قليل ، وخاصة إذا عرفنا مثلا أن سليم سلامة نقل عن الإنكليزية ما لا يقل عن سبعة وعشرين كتابا ، وأن أميل بيدس نقل ما لا يقل عن أربعة وعشرين كتابا ، وأن عمر الديراوي نقل ما لا يقل عن سبعة عشر كتابا .

ويتبيّن لمن يتتبع حركة الترجمة في فلسطين أن المبادرات الفردية ليست قليلة في هذا المجال ، لكن العين لا تخطىء أيضا ارتباط بعض المؤسسات بالترجمة وأثرها في كثرة عدد الكتب المترجمة . فالمجلات أو المؤسسات الصحفية ، وبعض دور النشر مثل مؤسسة فرانكلين ، اضطلعت بدور في ترجمة الكتب ، مما يدل على أن الذي يريد أن يخطط لتنشيط الترجمة ينبغي له أن يفكر في ربط هذا النشاط بمؤسسات تطلب ألوانا من المترجمات في فترات زمنية معينة .

ولا بد أخيرا من الإشارة إلى أعداد الباحثين والكتّاب والعلماء والدارسين الذين قصدوا الجامعات ودور العلم في البلدان الأوربية والأمريكية ، ونهلوا من ينابيعها ، ثم عادوا إلى الجامعات والمؤسسات المتعددة في العالم العربي وأخذوا ينقلون ما تعلموه باللغة الإنكليزية وغيرها من اللغات إلى اللغة العربية ، وعدد هؤلاء الفلسطينيين ليس قليلا ونشاطهم كبير .

المراجع :

ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ عرفان سعيد أبو حد الهواري : أعلام من أرض السلام ، شفا عمرو ١٩٧٩ .
ـ محمود الأعرس : البيلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ، عمان ١٩٧٢ .
ـ عيسى الناعوري : لقاءات في خمس جامات ، عمان ١٩٧٢ .
ـ ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، القاهرة ١٩٥٧ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

ترشيحا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة ٢٧ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا * . تربطها طرق معبدة بكل من عكا ونهاريا * ومعليا والرامة وصفيض وسمسم * والجش وسحماتا * والكابري * .

أقيمت ترشيحا في الجزء الشرقي من جبل الشيخ علي أبو سعد أحد جبال الجليل * الغربي . وترتفع أكثر من ٥٠٠ م عن سطح البحر . ويتخذ مخططها شكلاً مستطيلا امتدت البلدة وفقا له في الجهتين الشرقية والغربية بحيث بلغت مساحتها في عام ١٩٤٥ نحو ٢٧٩ دونما . وقد بنيت معظم مبانيها بالحجر . وكانت تشتمل على عدد من المرافق

والخدمات العامة كالمحلات التجارية والمساجد والمدارس والعيادات الصحية . وهي من أهم قرى قضاء عكا في عهد الانتداب البريطاني ، إذ ضمت آنذاك مسجدين ومدرستين ابتدائيتين للبنين والبنات ، وكانت تقام فيها سوق أسبوعية يؤمها سكان القرى المجاورة . وكان فيها مجلس محلي يشرف على إدارتها وتنظيم شؤونها ، وقد بلغت وارداته في عام ١٩٤٤ نحو ١,٣٧٦ جنيهاً فلسطينياً ، ونفقاته نحو ٢,٠٧٦ ج . ف . وخلال حرب ١٩٤٨ * دمر الصهيونيون معظم ترشيحا بقنابل طائراتهم ومدافعهم نهاجر عدد كبير من سكانها العرب وبقي القليلون صامدين بالرغم من الاحتلال الصهيوني لها . وقد أنشأ الصهيونيون مستعمرة « معونا» ملاصقة لبلدة ترشيحا العربية وفي طرفها الشمالي . ويطلق حاليا على الاثنتين اسم (معونا ترشيحا) .

تبلغ مساحة أراضي ترشيحا والكابري معاً ٤٧,٤٢٨ دونما منها ٩٠ دونما تسربت للصهيونيين . وتزرع الحبوب * في المنخفضات وبطون الأودية ، والأشجار المثمرة على المرتفعات . وتشغل أشجار الزيتون * أكبر مساحة بين الأشجار المثمرة ، إذ غرس منها أثناء فترة الانتداب ما مساحته ٤,٠٤٧ دونما . بذلك تكون ترشيحا ثالثة قرى قضاء عكا غرسا للزيتون . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار . ويستغل الصهيونيون القيمون في معونا الملاصقة لترشيحا جزءاً من أراضي ترشيحا في الزراعة المختلطة .وتنمو الشجيرات والأعشاب الطبيعية فوق قمم الجبال ومنحدراتها التي لا تصلح للزراعة .

كان في ترشيحا عام ١٩٢٢ نحو ١,٨٨٠ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢,٥٢٢ نسمة كانوا يقيمون في ٥٨٤ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٣,٨٣٠ نسمة . ولكن عددهم انكمش إلى ٦٣٩ نسمة في عام ١٩٤٩ نتيجة هجرة غالبية السكان إثر حرب ١٩٤٨ . وفي عام ١٩٦١ بلغ عدد السكان العرب ١,١٥٠ نسمة في ترشيحا ، ووصل عددهم مع السكان الصهيونيين في معونة ترشيحا في نهاية عام ١٩٧٣ إلى نحو ٥,٤٥٠ نسمة .

تقوم قرية ترشيحا على موقع أثري يضم مدافن مقطوعة في الصخر وصهاريج للمياه ، وبالقرب منها عدة خرائب منها : خربة روبسات وخربة جدين وخربة جمتون وخربة عليا وخربة شخبا ، وفي سنة ١٩٣١ أجرت دائرة الآثار الفلسطينية تنقيبات أثرية في القبور المقطوعة في الصخر ، ونعود إلى القرن الرابع الميلادي . وقد عثر فيها على خواتم وأقراط وأختام مسطحة وقمائم (ز : الحرب والأماكن الأثرية) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة بنت جبيل .
ـ خوري وطوطح : جغرافية فلسطين ، القدس ١٩٢٣ .
ـ عيسى السري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٠ .

تَرْشيحـا (عملية ـ) :

في الذكرى السادسة والعشرين لاغتصاب فلسطين وقيام الكيان الصهيوني نفذت المقاومة الفلسطينية واحدة من عملياتها الانتحارية داخل فلسطين المحتلة رغم كل إجراءات الأمن التي اتخذتها السلطات الإسرائيلية لمواجهة أية عمليات فدائية .

في فجر ١٥/٥/١٩٧٤ قامت وحدة الشهيد كمال ناصر من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * باقتحام مدرسة معالوت في ترشيحا * شمال فلسطين ، وكانت تضم نحو مائة من الطلاب الثانويين الإسرائيليين الذين كانوا يشاركون في برنامج لوزارة الدفاع الإسرائيلية للالتحاق بوحدات الجيش الإسرائيلي ، واحتجزت الطلاب رهائن .

تقدم الفدائيون بطلب إطلاق سراح ٢٦ معتقلا في السجون الإسرائيلية * مقابل حياة الرهائن . ووجهوا بيانا إلى سكان معالوت حددوا فيه أهداف العملية . وأمهلوا السلطات الإسرائيلية فترة

زمنية قصيرة لتنفيذ مطالبهم وإلاّ فإنهم سيعمدون إلى تفجير المبنى . وطلبوا من سفراء رومانيا وفرنسا وبلجيكا ومندوب الصليب الأحمر الدولي التوسّط لإطلاق سراح المناضلين المعتقلين . وبيّنوا لهم أنهم سيفرجون عن نصف الرهائن بعد وصول المناضلين الذين سيفرج عنهم إلى مطار دمشق ، ثم ينتقل الفدائيون والسفراء ومندوب الصليب الأحمر وبقية الرهائن إلى أحد المطارات حيث يتم الإفراج عن النصف الآخر من الرهائن بعد صعود الجميع إلى الطائرة ، ويبقى مع الفدائيين السفراء ومندوب الصليب الأحمر حتى وصول الطائرة إلى دمشق .

تظاهرت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بقبول مطالب الفدائيين ، وفي الوقت ذاته أعدّت خطة لاقتحام المدرسة . وبدأ الهجوم الإسرائيلي في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر قبل

انتهاء الموعد المحدد بنصف ساعة فقط ودارت معركة عنيفة بين الفدائيين والقوات الإسرائيلية أقدم الفدائيون في إثر نفاد ذخائرهم على تفجير المبنى .

أسفرت عملية معالوت عن استشهاد الفدائيين الثلاثة أفراد الوحدة الانتحارية ومقتل ٢٧ من الرهائن وجرح الباقين . وقد اعترفت غولدا مائير رئيسة الحكومة الإسرائيلية آنذاك في بيان لها عن العملية أمام الكنيست * بمقتل ٢٤ وجرح الكثيرين .

المراجع :

ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧١ : بيروت ١٩٧٩ .
ـ شؤون فلسطينية : العددان ٣٤/٣٥ ، ١٩٧٤ .

تَرْقُومْيَا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد نحو ١٢ كم إلى الشمال الغربي من الخليل * . وتمر بها طريق الخليل ـ إذنا المعبدة ، كما تمر على بعد كيلومتر واحد إلى الشمال منها طريق الخليل ـ بيت جبرين المعبدة ، وتصلها طريق معبدة بقرية بيت أولا الواقعة إلى الشمال الشرقي منها .

نشأت ترقوميا على أنقاض موقع قرية « يفتاح » العربية الكنعانية . وفي العهد الروماني عرفت باسم « تريكوماس » من أعمال بيت جبرين * . وتترتفع قرابة ٥٠٠ م عن سطح البحر ، وتقوم على بقعة مرتفعة ومنبسطة بعض الشيء ، وتنحدر أرضها نحو الشمال الغربي لتشرف على وادي زيتا العميق المتسع الممتدّ مسافة كيلومتر إلى الشمال من البلدة ، وتسير بمحاذاة طرفه الطريق المؤدية إلى بيت جبرين . ويجري إلى الشرق من البلدة وادي القف ووادي القصب رافدا وادي زيتا .

يبوت ترقوميا مبنية من الطين أو الإسمنت أو الحجر . ويتخذ مخططها التنظيمي شكل المستطيل ، ويتجه النمو العمراني في امتداد جنوبي غربي ـ شمالي شرقي . وتنتشر بعض المحلات التجارية بين أحياء البلدة التي تضم أيضا ثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات . وفي ترقوميا مسجد قديم تم ترميمه في عام ١٩٣٩ . وفيها مزار يحمل اسم الشيخ قيس ، ويعتقد أنه ضريح أحد الصحابة الذين استشهدوا في صدر الإسلام ، وقد أقيم على هذا المزار مسجد صغير . وتشرب البلدة من مياه الأمطار ، ومن مياه الآبار * والينابيع المجاورة . ونتج عن التوسع العمراني للبلدة ازدياد مساحتها من ١٥٢ دونما عام ١٩٤٥ إلى نحو ٣٠٠ دونم سنة ١٩٨٠ .

تبلغ مساحة أراضي ترقوميا ٢١,١٨٨ دونما منها ١٠ دونمات للطرق * والأودية . وتنتج أراضيها الزراعية مختلف أنواع المحاصيل الزراعية من حبوب * وخضر * وأشجار مثمرة . وأهم محاصيلها الزيتون * الذي تحيط أشجاره بالبلدة من جميع جهاتها ، والعنب * والتين واللوز والتفاح والمشمش والبرتوق . وتنمو أشجار الحراج الطبيعية من بلوط وبطم وسنديان فوق التلال الممتدة إلى الغرب من ترقوميا (رَ : النباتات الطبيعية) . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار ، وتوجد بعض الينابيع والآبار في الأراضي الممتدة جنوبي البلدة .

بلغ عدد سكان ترقوميا في عام ١٩٢٢ نحو ٩٧٦ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,١٧٣ نسمة بلبيمرن في ٢٢٥ بيتا . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٥٥٠ نسمة . ووصل عددهم حسب تعداد ١٩٦١ إلى ٢,٦٥١ نسمة . ويقدر عددهم عام ١٩٨٠ بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة . ويعود أكثر هؤلاء السكان في أصولهم إلى مصر والأردن والخليل .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل .

تركيـا الفتـاة (جمعية ـ) :

رَ : الاتحاد والترقي (جمعية ـ)

التسليـح (مؤتمـر) : رَ : نابلس (مؤتمر ـ ١٩٣١)

تشرشـل (كتاب ـ الأبيض) :

أدرك الفلسطينيون مدى خطورة وعد بلفور * على مستقبلهم . وتعزز هذا الشعور بتدفق المهاجرين الصهيونيين وابتياعهم الأراضي في كل مكان وطرد الفلاحين العرب من مزارعهم . وانفجر هذا الشعور بشكل عنيف في عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ (رَ : ثورة ١٩٢٠) . وتوجّه ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات آنئذ عام ١٩٢١ في زيارة الى مصر وفلسطين اطلع خلالها على المشكلة ميدانيا ، واستمع إلى آراء الوفد العربي برئاسة موسى كاظم

الحسيني * الذي طالب بإلغاء وعد بلفور كليا . وبعد عودة تشرشل إلى لندن بشهر اندلعت موجة جديدة من العنف أدت إلى مزيد من الضحايا . وفي آب ١٩٢١ حضر وفد عربي إلى لندن وقابل الوزير البريطاني ملحا على إلغاء وعد بلفور .

ورغم تعاطف تشرشل مع الصهيونية فإنه لم يكن قد لعب أي دور يذكر في إصدار وعد بلفور ، ولم يبد اهتماما كبيرا بقضايا الوطن العربي . وعندما جرى نقل انتداب فلسطين إلى وزارته كان جاهلاً تفاصيل المشكلة . ولكن ذلك لم يحل دون إدراكه كنه النزاع وصعوباته . ورغم ما أبداه من تبسيط للموضوع واستخفاف بمخاوف العرب التي لم يجد مسوغا لها فإن الكتاب الأبيض الذي أصدره في هذا الشأن ظل من أهم الوثائق وأخطرها بالنسبة للتطورات اللاحقة .

وافق البرلمان البريطاني على الكتاب بتاريخ ١٩٢٢/٦/٦ ، وفيه شرحت وزارة المستعمرات سياسة بريطانيا في فلسطين وتفسيرها لوعد بلفور . واعتمادا على حرفية النص بيّنت الوزارة أن الغرض ليس تحويل جميع فلسطين إلى وطن يهودي بل إقامة هذا الوطن في جزء منها ، على ألا يؤدي ذلك إلى إخضاع السكان العرب أو اختفاء اللغة أو الثقافة العربية . ونفى الكتاب تصريح وايزمن بالعزم على " أن تكون فلسطين يهودية كما تكون أمريكا أمريكية وإنكلترا إنكليزية " . ونفى الكتاب الأبيض حجة العرب بتعهدات إنكلترا إلى الشريف حسين ، وأصر على أن فلسطين قد استثنيت من التعهدات بناء على الفقرة الواردة في رسالة مكماهون إلى الحسين بتاريخ ١٩١٥/١٠/٢٤ التي أشارت إلى الجهة الواقعة غربي دمشق (ر : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) .

ووعد تشرشل في الكتاب الأبيض بإقامة حكم ذاتي يتم تحقيقه بعد مرحلة تدار فيها البلاد عن طريق مجلس تشريعي يتألف من تسعة أعضاء عرب مسلمين وثلاثة عرب مسيحيين وثلاثة يهود ينتخبون جميعا ، ثم من أحد عشر عضوا رسميا تعينهم السلطة التنفيذية . وأكد الكتاب تمسك إنكلترا بوعد بلفور ، وبأن وجود الشعب اليهودي في فلسطين يقوم على حق ، وليس من باب المنّة . وحرصا على عدم الإساءة إلى حقوق السكان غير اليهود قيدت الهجرة " بقدرة البلاد الاقتصادية في الفترة المقبلة على استيعاب المهاجرين الجدد " ، وهي القاعدة التي أصبحت الأساس الذي تذرعت به حكومة الانتداب في استقبال المهاجرين ، والنقطة التي دارت حولها الخصومات العنيفة بين السكان العرب والصهيونيين حتى آخر يوم من الحكم البريطاني .

قبلت المنظمة الصهيونية * الكتاب الأبيض بالنظر لتأكيده وعد بلفور وحق اليهود في الهجرة إلى فلسطين وإقامة وطنهم القومي فيه . أما الجانب العربي الذي كان مصرًّا على ضرورة إلغاء وعد بلفور وعدم الاعتراف بالسياسة القائمة عليه وإيقاف الهجرة اليهودية فقد وجد من واجبه رفض الكتاب الأبيض رفضاً كليا ، واعتبر فكرة المجلس التشريعي ذريعة ماكرة للحصول على اعتراف العرب بالانتداب وبوعد بلفور وبجميع القرارات والسياسات التي تتبنّاها الإدارة البريطانية عن طريق هذا المجلس الذي تكون فيه أصوات الممثلين الرسميين واليهود أكثر من أصوات الممثلين العرب . ولوحظ كذلك أن ربط الهجرة بالقدرة الاقتصادية للبلاد ، وعدم حرمان السكان الأصليين من أعمالهم الحالية فقط يعنيان في الواقع تقليصا لاشتراطات وعد بلفور وصك الانتداب التي أكدت على مراعاة الحقوق المدنية بصورتها المطلقة ، لا الاقتصادية فقط .

المراجع :

ـ حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، القاهرة ١٩٧٠ .

— **Command Paper** No. 1700, 1922.

— Jeffries, J.: **Palestine the Reality,** London 1939.

— Royal Institue of International Affairs: Great Britain and Palestine ,**Information Papers** No 20.

— Sykes, C.: **Cross Roads to Israel,** London 1965.

التشهير : ر : مناهضة التشهير (رابطة ـ) :

تشيكوسلوفاكيا : ر : أوربا الشرقية (دول ـ)

تشيلي : ر : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

التضاريس : ر : البنية والبناء الجيولوجي

التضامن الآسيوي ـ الإفريقي (منظمة ـ) :

انطلقت فكرة التضامن الإفريقي ـ الآسيوي من مؤتمر باندونغ (١٩٥٥) عندما أدركت الدول الآسيوية والإفريقية أهمية توحيد جهودها للتصدي للمشكلات التي تواجهها . وابتداء من هذا المؤتمر أخذت قضية فلسطين تحظى بدعم الشعوب الإفريقية والآسيوية ، إذ أقر المؤتمر " تأييد مبادىء حقوق الإنسان ومبدأ تقرير المصير للشعوب والأمم " . وبالتالي أقر تأييد حقوق شعب فلسطين

العربي ، فجاء في القرار " نظراً لحالة التوتر القائمة في الشرق الأوسط بسبب الحالة في فلسطين ، ونظراً إلى ما ينطوي عليه ذلك من خطر على السلام العالمي يعلن المؤتمر الآسيوي ـ الإفريقي تأييده الكامل لحقوق شعب فلسطين العربي ، ويدعو إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تحقق تسوية سلمية لمسألة فلسطين " .

وقد تبلور التعاون الإفريقي ـ الآسيوي بصورة منظمة عبر منظمة التضامن الآسيوي ـ الإفريقي التي ظهرت للوجود بعد فترة وجيزة من مؤتمر باندونغ . فحين تعرّضت مصر للعدوان الثلاثي (ر : حرب ١٩٥٦) انعقد المؤتمر الاشتراكي الآسيوي في بومبي بالهند في تشرين الثاني ١٩٥٦ ، وأعلن منديريو ٢٣ دولة آسيوية حضرت هذا المؤتمر استنكارهم للعدوان . ثم اجتمعت اللجنة العامة للتضامن الآسيوي في ١٩٥٦/١٢/٢٩ وتقرر فيها أن تتحول حركة التضامن الآسيوي إلى حركة تضامن آسيوي ـ إفريقي .

انعقد أول مؤتمر لحركة التضامن الآسيوي ـ الإفريقي بجامعة القاهرة في الفترة من ١٩٥٧/١٢/٢٦ إلى ١٩٥٨/١/١ . وحضر هذا المؤتمر ١٥٠ مندوبا يمثلون ٤٨ شعبا من شعوب القارتين . واهتم المؤتمر بالتقرير الذي قدمه الوفد الفلسطيني وعرض فيه نواحي القضية الفلسطينية ، وأبرز فيه بوضوح حقيقة (إسرائيل) وطبيعتها الاستعمارية العدوانية العنصرية التوسعية ودورها الذي تلعبه في مقاومة التحرر والتقدم وفي تهديد الأمن والسلام في هذه المنطقة . وأعلن المؤتمر تبنّيه لهذا التقرير المقدم من الوفد الفلسطيني ، وأكد حقوق العرب في فلسطين ، وأعلن عطفه على اللاجئين ، وأيّد جميع حقوقهم ، وطالب بعودتهم إلى وطنهم . وعُقد في القاهرة " مؤتمر الشباب الإفريقي ـ الآسيوي " بين ٢ و١٩٥٨/٢/٨ . وناشد المؤتمر شباب إفريقيا وآسيا أن يحمل الحكومات الإفريقية والآسيوية وغيرها على مساعدة حركات الكفاح الوطني في أقطار القارتين بمختلف الوسائل والطرق ، وعلى رأس هذه الأقطار فلسطين .

انعقد المؤتمر الثاني لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية في كوناكري عاصمة غينيا بين ١١ و١٩٦٠/٤/١٥ ، وحضر هذا المؤتمر ٧٠ وفدا يمثلون شعوب القارتين . وقد شكّل المؤتمر لجنة خاصة لدراسة القضية الفلسطينية لأنها ـ كما ذكر المؤتمر في قراراته ـ قضية فريدة في نوعها ، ومأساة من أكبر المآسي الإنسانية . وأشار المؤتمر في قراره بشأن فلسطين إلى أن (إسرائيل) خلقت في هذا المكان لتكون نقطة ارتكاز لمهاجمة حركات التحرر لاعضائها من جديد . ولذلك اتخذ المؤتمر قرارات قوية بتأييد جميع الحقوق الثابتة لشعب فلسطين وفي مقدمتها حقه الكامل في العودة إلى وطنه كما أمرت بذلك منظمة الأمم المتحدة . وأوصى المؤتمر شعوب العالم كلها بالاعتراف بكيان شعب فلسطين على أنه الممثل الوحيد لفلسطين . وأكد القرارات التي اتخذها المؤتمر الأول للتضامن الإفريقي ـ الآسيوي بخصوص فلسطين . وطالب المؤتمر منظمة الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها بشأن فلسطين ، وإرغام (إسرائيل) على الانصياع لهذه القرارات .

وعقد المؤتمر الثالث لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية في تانزانيا (١٩٦٣) . وحضره ٦٠ وفدا من الأعضاء في منظمة التضامن الآسيوي ـ الإفريقي ، ونحو ٤٠ وفدا بصفة مراقب . واتخذ المؤتمر قرارا خاصا بقضية فلسطين ورد فيه : " وفلسطين التي أوجد فيها الاستعمار رأس حربة استعمارية أسماها إسرائيل " .

وإذا كان عام ١٩٦٤ قد تميز منذ بدايته بتحرك القضية الفلسطينية على المستوى الجماعي العربي لأول مرة منذ نكبة ١٩٤٨ ، وذلك من خلال مقررات مؤتمر القمة العربي الأول الصادرة في ١٩٦٤/١/١٧ ، فإن هذه المقررات قد أكدت لأول مرة اتفاق الرأي لدى رؤساء الدول العربية ومنوكها على أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه دول القارتين آسيا وإفريقيا ، سلبا أو إيجابا ، بالنسبة إلى الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وإذا كانت هذه المقررات قد ذهبت إلى أن العرب في موقفهم الدفاعي العادل سيتضامنون علاقاتهم السياسية والاقتصادية بمختلف الدول " على أساس مواقفها من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية في العالم العربي " فإن المقررات المذكورة قد توجهت إلى الدول الإفريقية والآسيوية ، وهي التي " آمنت بمبادئ باندونغ وارتبطت الإفريقية منها بميثاق أديس أبابا ، رضخت بالكثير في محاربة الاستعمار وكافحت التمييز العنصري ، وتعرضت ولا تزال تتعرض للاخطار والمطامع الاستعمارية والصهيونية وخاصة في إفريقيا " ، توجهت إليها بالأمل في أن " تقدم صادق التأييد والعون للعرب في نضالهم العادل " (ر : القمة العربية ، مؤتمرات) .

ولقد تضمنت تلك المقررات ترحيب الرؤساء والملوك العرب بميثاق الوحدة الإفريقية الذي وجدوا فيه " أملاً جديدا للسلام والحرية والمساواة في إفريقيا والعالم . كما أكدوا تصميمهم على دعم التعاون الآسيوي ـ الإفريقي الذي بدأ خاصة منذ مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ " . وقد كان مجلس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية أول من استجاب لهذا النداء فوجّه من مكان انعقاده في الجزائر في ١٩٦٤/٢/٢٧ نداء إلى شعوب القارتين وإلى عمال العالم أجمع " لتأييد شعب فلسطين في قضيته الكبرى ونضاله الباسل من أجل حقوقه المشروعة " . وأعلن المجلس أنه أصبح من المؤكد لدى جميع شعوب آسيا وإفريقيا ، وعلى كافة المستويات ، " أن إسرائيل هي

قاعدة للاستعمار بشتى أنواعه ، وأنه من الواجب اتخاذ إجراءات حاسمة للحدّ من نشاطها " .

إذا كانت المواقف الجماعية للعالم الإفريقي ـ الآسيوي بالنسبة إلى قضية فلسطين قد برزت عام ١٩٦٤ خلال المؤتمر الثاني لدول عدم الانحياز الذي عقد في القاهرة من ٥ ـ ١٠/١١/١٩٦٤ فإن هذه المواقف قد برزت عام ١٩٦٥ من خلال المؤتمرات غير الرسمية التي عقدت في أماكن مختلفة من القارتين ، وفي أكثر من مجال :

١) فقد جاء في البيان الختامي للمؤتمر الإسلامي العالمي السادس الذي عقد في مقديشو (عاصمة الصومال) في ٢/١/١٩٦٥ شجب للصهيونية العالمية و(إسرائيل) وما قامت به بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى " من سلخ أعز بقعة مقدسة من العالم الإسلامي " . كما تضمن مطالبة العالم الإسلامي بالوقوف صفا واحدا لاستعادة فلسطين .

٢) وتضمن البيان الذي صدر بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر الاقتصادي الإفريقي ـ الآسيوي في مدينة الجزائر في ٢٧/٢/١٩٦٥ تأييد المؤتمر " الذي لا يتزعزع للشعب الفلسطيني في كفاحه العادل ضد إسرائيل أداة الاستعمار ، ومن أجل عودة اللاجئين العرب إلى وطنهم " .

٣) وقرر المؤتمر الآسيوي ـ الإفريقي الإسلامي الذي عقد في جاكرتا بأندونيسيا من ٤ إلى ١٠/٣/١٩٦٥ بحضور ممثلين عن المنظمات الإسلامية في ٣٥ دولة أن على جميع الأقطار الإسلامية والمسلمين في كل مكان تقديم العون المعنوي لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، واعتبار يوم ١٥ أيار من كل عام يوم احتجاج ضد إنشاء (إسرائيل) بواسطة الاستعمار .

٤) وفي ٢٦/٣/١٩٦٥ أصدرت الأمانة العامة لمؤتمر الصحافيين الإفريقيين والآسيويين في جاكرتا بيانا بمناسبة الكشف عن صفقة السلاح الألمانية الغربية (لإسرائيل) أعلنت فيه أن هذه الأسلحة ليست في حقيقتها غير عدوان أمريكي وألماني سافر على البلاد العربية لأنها تدعم الاحتلال الإسرائيلي وتقوّيه ضد العرب أصحاب الحق المشروع في فلسطين . ودعت الأمانة في بيانها كافة الصحافيين الشرفاء في العالم " لمؤازرة الشعب العربي ضد المؤامرات الأمريكية والألمانية والإسرائيلية ، ومشاركته في فضح خطة الاستعمار الرامية إلى إثارة الشغب وروح الحرب في الشرق الأوسط وفي الوطن العربي بشكل خاص " .

٥) ووجه المؤتمر الدولي للمعلمين المنعقد في مدينة الجزائر في بيانه الصادر في ختام اجتماعاته في ١٦/٤/١٩٦٥ نداء إلى منظمات التعليم في سائر أنحاء العالم لتنظيم حملة تضامن لدعم الكفاح ضد الصهيونية المناصرة للامبريالية والمعادية لتقدم الإنسانية . وطالب بالإسراع بإعادة اللاجئين العرب الفلسطينيين إلى وطنهم وتعويضهم عن الخسائر التي تكبدوها .

٦) وجاء في بيان أصدرته أمانة منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية في ٢٤/٤/١٩٦٥ بمناسبة تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه : إن قضية فلسطين ليست قضية لاجئين ، بل هي قضية اغتصاب وطن بجريمة صهيونية استعمارية ، وإن من حق الشعب العربي الفلسطيني أن يكافح من أجل استعادة وطنه كاملا .

٧) واتخذ مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني المنعقد في القاهرة خلال شهر أيار ١٩٦٥ بحضور ممثلي ٣٥ دولة من دول آسيا وإفريقيا وأوربا قرارا في ١٦/٥/١٩٦٥ أعلن فيه " باسم المسلمين جميعا ، استنكاره الشديد لموقف حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية من قضية فلسطين واعترافها بحكومة إسرائيل " . ودعا الدول الإسلامية إلى أن تقف من قضية فلسطين " الموقف الذي يحتمه الدين عليها ، وأن تؤيد الدول العربية في قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية " .

وتضمنت قرارات المؤتمر الرابع لتضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية المنعقد في ونيا في غانا (١٦/٥/١٩٦٥) تأكيد المؤتمر لجميع القرارات السابقة التي أصدرتها مؤتمرات تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية بتأييد حقوق الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه ، واعتبار (إسرائيل) قاعدة عدوانية للاستعمار القديم والجديد تهدد تقدم وأمن وسلامة الشرق الأوسط والسلام العالمي . كما دان المؤتمر الذي حضرته وفود من ٧٠ دولة قيام (إسرائيل) في الجزء المحتل من فلسطين العربية ، وأعلن تأييده لمنظمة التحرير الفلسطينية في كفاحها العادل لتحرير فلسطين . ويعد أن أعلن المؤتمر استنكاره ومقاومته للهجرة اليهودية الجماعية إلى (إسرائيل) ناشد الهيئات الوطنية في القارتين مكافحة التسلل الصهيوني إليها ، والضغط على حكوماتها لإلغاء الاتفاقات المعقودة بينها وبين (إسرائيل) ، ومقاطعة (إسرائيل) سياسيا واقتصاديا ، والعمل على طردها من الأمم المتحدة . كما أعلن أن قضية فلسطين لا تحل إلا ضمن المخطط العام لتصفية الاستعمار .

وانعقد مؤتمر الكتّاب الإفريقيين والآسيويين في بكين يوم ٩/٧/١٩٦٦ ، وأصدر قرارا خاصا بفلسطين جاء فيه :

" نحن كتاب إفريقيا وآسيا إيمانا منا بحق الشعوب في الحرية والاستقلال ، وحق تقرير المصير ، ووفاء منا للمبادىء الثورية في هذا المؤتمر ، وهي وحدة الهدف ووحدة المصير بالنسبة للشعوب في كفاحها المشترك ضد الاستعمار والامبريالية ، فإن المؤتمر :

" ١) يعتبر الصهيونية حركة استعمارية بطبيعتها ونشأتها ،

عدوانية في أهدافها عنصرية في بنيانها فاشية في أساليبها ووسائلها .

" ٢) يعتبر ما يسمى إسرائيل قاعدة استعمارية وأداة طيّعة في يد الاستعمار يستخدمها لأغراض العدوان ومن أجل أغراض التسلل الاستعماري الاقتصادي والسياسي والثقافي إلى أقطار القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية . ويعتبر إسرائيل والحالة هذه أداة لتهديد السلم والأمن العالمي وعاملا عائقا للتقدم والتطور في المنطقة

"٣) يشجب الحركة الصهيونية والوجود الإسرائيلي في الجزء المحتل من فلسطين .

" ٤) يعتبر حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير وطنه امتدادا لحقه الطبيعي في الدفاع عن النفس وتقرير المصير .

" ٥) يطلب قطع جميع العلاقات السياسية مع إسرائيل ، ويطلب مقاطعتها اقتصاديا وثقافيا وطردها من المنظمات الدولية . ويطلب بصورة خاصة من جميع الكتّاب الثوريين والأحزاب والهيئات التقدمية أن يضاعفوا جهدهم لمقاومة التسلل الصهيوني إلى أقطارهم ومن أجل إلغاء الاتفاقات المعقودة بين بلادهم وإسرائيل .

" ٦) يشجب مؤامرة أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية التي تستهدف دعم إسرائيل وحمايتها وتزويدها بالأسلحة الفتاكة للاعتداء على العرب ولتدعيم من حريتهم ووحدة بلادهم .

" ٧) يشجب بشدة الهجرة المتدفقة إلى فلسطين المحتلة ، تلك الهجرة التي تنظمها الاستعمار والصهيونية من أجل دعم الاحتلال الصهيوني لفلسطين وأهدافه العدوانية .

" ٨) يحذر مما يبدى من المساعدات الفنية والاقتصادية التي تقدمها إسرائيل ، ويعتبرها صورة مبطنة للامبريالية الأمريكية والاستعمار الجديد .

" ٩) يناشد جميع الهيئات والمنظمات الوطنية والدول المتحررة أن تقدم العون المادي والمالي لشعب فلسطين في نضاله ضد الصهيونية والاستعمار .

" ١٠) يطالب بوجوب تصفية إسرائيل ككيان استعماري يعتمد إعتمادا كليا على الامبريالية العالمية.

" ١١) يشجب بعنف وشدة المساعدة الإستراتيجية التي تقدمها إسرائيل إلى بعض الحكومات العميلة في إفريقيا من أجل قمع الحركات التحررية في أقطارها ، وفي مقدمتها الكونغو ليوبولدفيل (زمبي زائير في الوقت الحاضر) .

" ١٢) يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية في نضالها من أجل تحرير فلسطين " .

كانت منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية ، ومقرها القاهرة ، تدين (إسرائيل) في مختلف المؤتمرات التي نظمتها واشترك فيها السياسيون والمحامون والكتّاب وغيرهم . وتمشيا مع هذا الخط السياسي تبنّت هذه المنظمة التي تضم ٥٠ دولة في ١٩٦٧/٧/٣ مشروع قرار من ١٥ نقطة يشجب العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية ويطالب بدفع تعويضات للعرب عن خسائرهم في الحرب .

ولمناسبة ذكرى مرور عامين على العدوان الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧ * أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة تضامن شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية يوم ١٩٦٩/٥/٢٩ في هافانا نداء إلى القوى الثورية والدول الاشتراكية وحكومات الدول الآسيوية والإفريقية لتأييد الشعوب العربية ، بما في ذلك الشعب الفلسطيني ، ضد العدوان الإسرائيلي وزيادة دعمهم وتأكيد تضامنهم مع شعب فلسطين في نضاله البطولي من أجل تحرير وطنه ، ودعم المنظمات الفلسطينية ومدّها بكل ما تحتاج إليه من دعم مادي وأدبي .

وفي ١٩٧١/٦/٢٤ صدر بيان عن اجتماع الدورة العاشرة للجنة التنفيذية لمنظمة تضامن الشّعوب الإفريقية ـ الآسيوية في دمشق . وقد شجب البيان العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية في حزيران ١٩٦٧ ، وطالب بانسحاب القوات الإسرائيلية الكامل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها في ذلك العدوان ، ردا ان مبدأ ضم الأراضي بالقوة . كما شجب البيان كلا من (إسرائيل) وحكومي أفريقيا وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٦٤٩ الذي صدر في ١٩٧٠/١١/٣٠ وشجب تلك الدولتين اللتين تنكرتا لحق تقرير المصير بالنسبة إلى الشعوب ، وخصوصا الشعب العربي الفلسطيني وشعب جنوبي إفريقيا . واعترف البيان بشرعية المقاومة الفلسطينية ضد (إسرائيل)، وشجب كلا من حكومتي الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية لمساندتهما ودعمهما (لإسرائيل) بالمال والسلاح ، مما مكنها من التوسع على حساب الشعب العربي . وطالب البيان كلا من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بتنفيذ قراراتهما بشأن إيفاد ممثل للأمين العام للأمم المتحدة ولجنة دولية للتحقيق في معاملة (إسرائيل) لسكان الأراضي العربية المحتلة ، واستقصاء أحوال السجناء العرب في سجون (إسرائيل) . وقد حذر البيان شعوب آسيا وإفريقيا والحركات التحررية فيها ، وخصوصا حركات العمال ومنظماتهم ، من التغلغل الأمريكي والاستعمار الجديد بواسطة (إسرائيل) تحت ستار الإغراء بالمساعدات .

وعقد في القاهرة بين ١٠ و١٩٧٢/١/١٣ المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية ، ومثلت الوفود العاملة والمراقبة التي حضرت المؤتمر القوى المناهضة للامبريالية ، وفيها وفد

اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد تضمنت قرارات اللجان المختصة ، وخاصة لجنة الشرق الأوسط ولجنة الاستعمار الجديد واللجنة الاقتصادية ، وكذلك في البيان الختامي ، قسطا كبيرا من شجب العدوان الإسرائيلي وإدانة التعاون الأمبريالي ـ الصهيوني ومن تأييد قضية التحرير والكفاح المسلح وحق تقرير المصير .

ولكن الوفد الفلسطيني لم يستطع أن يستبعد من القرار ٢ للجنة الشرق الأوسط حول العدوان الإسرائيلي على الشعوب العربية الفقرة التي أشارت إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على الشكل التالي : " وإن منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية تزيد جهود الدول العربية الرامية إلى إيجاد تسوية لأزمة الشرق الأوسط على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ بكافة بنوده . كما ترحب المنظمة بالمقترحات البناءة التي تقدمت بها جمهورية مصر العربية وعدد من الدول العربية الأخرى بهدف البحث عن وسائل سياسية لحل الصراع ، وهي المقترحات التي أيدتها غالبية دول العالم والمجتمع الدولي " .

وشارك وفد الثورة الفلسطينية في مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية الذي انعقد في عدن بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢٤ ، وأكد خلاله تلاحم الثورة مع قوى التحرر العربية والعالمية ، ونادى بسقوط المحاولات الاستسلامية لفرض التسويات في المنطقة ، وطالب بمواصلة حرب التحرير الشعبية لتحقيق أهداف الثورة الفلسطينية .

وفي ١٩٧٥/٩/١٩ انعقد في موسكو المجلس الثاني عشر لمنظمة التضامن الإفريقي ـ الآسيوي ، وأصدر قرارا خاصا بفلسطين أكد فيه : "ضرورة مواصلة النضال بلا هوادة من أجل تحرير كامل الأراضي العربية المحتلة ، وتحقيق الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني كما أقرتها مبادىء ومواثيق الأمم المتحدة ، بما فيها حقه في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره بحرية على أرضه وإقامة دولته الوطنية المستقلة ، باعتبار ذلك شرطا أساسيا لتحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط " .

ودعا المجلس إلى " زيادة دعم كفاح الشعب العربي الفلسطيني المسلح والسياسي بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بكل وسائل الدعم السياسية والمادية والعملية في كل المجالات " . وأعلن أنه " يدين كل محاولة للتراجع في هذا المجال ، ويشجب الاجتماع محاولات ضرب الثورة الفلسطينية ، وخاصة التآمر الإجرامي الذي تتعرض له من قبل القوى الرجعية في لبنان " . وأعلن أنه يشجب " الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الشعب اللبناني والشعب العربي الفلسطيني داخل الأراضي اللبنانية وفي الأراضي المحتلة ، كما يدين سياسة الاضطهاد والعنصرية وتهويد الأراضي العربية التي تمارسها سلطات العدوان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة ، ويدعو كافة القوى الديمقراطية في العالم إلى التضامن مع الآلاف المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، والعمل من أجل الإفراج الفوري عنهم " .

وأعلن المجلس " تضامنه مع النضال المتنامي لشعب فلسطين العربي وطليعته النضالية منظمة التحرير الفلسطينية المعترف بها دوليا على نطاق واسع ، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين ، الأمر الذي تم تسجيله في قرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط ، وقرار الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٢٣٧ لعام ١٩٧٤ ، وقرارات رؤساء دول منظمة الوحدة الإفريقية ، واجتماع لبيا لوزراء خارجية البلدان غير المنحازة ، وقرار المؤتمر الثاني والستين للاتحاد البرلماني الدولي *" .

المراجع :

ـ شوقي الجمال : التضامن الآسيوي ـ الإفريقي وأثره في القضايا العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، بيروت .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية ، بيروت .

التضامن العربي (ميثاق ـ) :

لم يمنع ظهور جامعة الدول العربية قيام خلافات بين الدول الأعضاء فيها . وكان ذلك أحد الأسباب التي كانت وراء عقد لقاءات عربية على مستوى القمة (ر : القمة العربية ، مؤتمرات) لتصفية الخلافات ، ووضع أسس عمل المستقبل ـ سواء أكانت هذه الأسس اقتصادية أم ثقافية أم عسكرية ـ على شكل اتفاقيات جماعية أو شبه جماعية . ولعل أبرز مثل على ذلك اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي لعام ١٩٥٠ وفيها نص صريح على تضامن الدول الأعضاء في الدفاع عن أي بلد عربي يتعرض لأي عدوان خارجي .

كان مؤتمر قمة الدار البيضاء في عام ١٩٦٥ من أبرز مؤتمرات القمة العربية * ، إذ انعقد في جو سادت فيه خلافات حادة كان لا بد من التصدّي لها . وقد تمخض هذا المؤتمر عن " ميثاق التضامن العربي " . وهو لفظ استخدم رسميا لأول مرة في هذا المؤتمر .

وحدد مستقبل العلاقات بين الدول الاعضاء في الجامعة العربية ورسم طريقها .

أقر مؤتمر القمة ميثاق التضامن العربي يوم ١٩٦٥/٩/١٨ ، وفيه التزم ملوك ورؤساء الدول العربية بأمور أهمها :

١) العمل على تحقيق التضامن في معالجة القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين .

٢) احترام سيادة كل من الدول العربية ، ومراعاة النظم السائدة فيها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية ، والحفاظ على ترابها الوطني ضد كل محاولة استعمارية .

٣) مراعاة قواعد المجتمع السياسي وآدابه وفقا لمبادىء القانون والعرف الدوليين .

٤) استخدام الصحف والإذاعات وسواها من أجهزة الإعلام لخدمة القضية العربية ، ووقف حملات التشكيك والهاترة عن طريق الصحافة والإذاعة وغيرها من وسائل النشر .

٥) سن التشريعات اللازمة لتحريم أي قول أو عمل يخرج عن حدود النقاش الموضوعي والنقد البناء ويكون من شأنه الإساءة إلى العلاقات بين الدول العربية والتعرض بطريق مباشر أو غير مباشر بالتجريح لرؤساء الدول العربية .

لم يفلح هذا الميثاق في تحقيق الغاية المنشودة منه وكان أن تعطلت مؤتمرات القمة حتى وقوع حرب ١٩٦٧ * .

التطريز (صناعة ــ) :

التطريز صناعة حرفية فلسطينية عريقة تعتمد اعتمادا كبيراً على الأيدي النسائية الخبيرة في الريف وفي بعض مدن فلسطين حيث يتوارث إتقان هذه الصناعة الدقيقة في الأسرة من جيل إلى آخر .

وتلاقي صناعة التطريز في السنوات الأخيرة بعض التأخر لانصراف قسم كبير من النساء ولا سيما نساء الجيل الجديد عن لبس الملابس الشعبية .

يتميز التطريز الفلسطيني بدقته المتناهية واعتماده المطلق على العمل اليدوي . وتستخدم المرأة في تطريزها خيوط الحرير الملونة ، فترسم بها أشكالا متعددة متناسقة ، ولا سيما على صدر الثوب وكميه وأطرافه .

تختلف أشكال التطريز وأساليبه وأماكن كثافته على الثوب من منطقة إلى أخرى . وبذلك تتميز ثياب منطقة من أخرى بأسلوب التطريز وشكله . وأبرز المناطق التي ذاعت شهرتها في أعمال التطريز مناطق بيت لحم * ورام الله * والبيرة * وبيت دجن * .

تتعرض هذه الصناعة التقليدية المتوارثة ، في ظل الاحتلال الصهيوني ، إلى استغلال بشع ، إذ تقوم دور الأزياء الإسرائيلية باستخدام الأيدي الماهرة الرخيصة للمرأة الفلسطينية في تطريز ملابس خاصة بها ، ثم تصدرها إلى الخارج على أنها أزياء إسرائيلية شعبية فتجني بذلك الأرباح المعنوية والمادية الطائلة .

تطوير الاستيطان في فلسطين (صندوق ــ) :

ر : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين

التعامرة (وادي ــ) :

ر : المشاش (وادي ــ) :

تعاون القرى (جمعية ــ) :

جمعية أنشئت في قرية إجزم * (قضاء حيفا) بهدف اجتماعي اقتصادي سياسي . لكن إنشاءها كان انشقاقا جديدا عن الخط الرئيس للحركة الوطنية الفلسطينية الذي كانت تمثله اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني * السادس (١٩٢٣) ، وكان أحد مظاهر تنافس الزعامات السياسية .

عقد اجتماع الجمعية التأسيسية لجمعية تعاون القرى في إجزم يوم ١٩٢٤/٧/١ وضم الكثيرين من آل الماضي ، والشيخ أسعد الشقيري * ، ونجيب نصار * ، وإبراهيم سليم النجار وغيرهم . ونصت فيه الموافقة على قانون الجمعية . وقد جاء في بعض مواده :

١) " إن الجمعية تبذل جهدها لإزالة الضغائن والأحقاد بين أهل القرى ، ولمنع وقوع الجرائم بإصلاح ذات البين ، وإزالة الخلاف بواسطة المحكمين ، وترقية الزراعة * ، وتنشيط غرس الأشجار ،

وحفظ الحقوق الاقتصادية العامة للأهالي ، مع حفز الزرّاع على المحافظة على شعائر دينهم ومعابدهم وأوقافهم ومصالحهم المليّة الخاصة والعامة وأحكامهم المدنية " .

٢) "كل ما كان عقبة في سبيل أهل القرى مانعاً لمرئيّ زراعتهم ومكاسبهم وأصول تعلّمهم وعقائدهم ، وضلاً بمنافعهم ومضراً بحقوقهم الوطنية والسياسية ، وكل معاملة غير متناسبة مع أمزجتهم ومسلكهم وتقاليدهم وعاداتهم المألوفة ، تسعى الجمعية بالوسائط المشروعة لإزالته ودفع المضار عن الأهلين " .

٣) " مبدأ الجمعية السياسي وآمالها تتلخص بالسعي لتأمين الاستقلال والوحدة العربية . وهذا فهي لا تقبل بوعد بلفور* والتجزئة وحرمان البلاد من الحكم الذاتي " .

٤) " إن الجمعية مستقلة في مقاصدها وسائر معاملاتها ، وليست تحت تأثير حزب أو جمعية ما " .

صادقت الحكومة على قانون الجمعية الأساسي بعد أيام . لكن إنشاء الجمعية لم يضعف التأثير الذي كانت تحظى به اللجنة التنفيذية . ولم يكن لنشاط جمعية تعاون القرى دور ملموس على الصعيدين الاقتصادي والسياسي .

المراجع :

ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ مجلة الزهرة ، العدد ٣ ، سنة ٤ ، تموز ١٩٢٤ ، حيفا .
ـ جريدة الجزيرة ، ١٩٢٤/٧/٢٤ ، يافا .

تعزيز التفاهم العربي ـ البريطاني (مجلس ـ) :

كان من نتائج حرب ١٩٦٧ * أن تجسّد مدى تخبط العرب في مجال الإعلام ، وإهمالهم له ، ووقوعهم فيه بأخطاء جوهرية ساهمت في النكسة وضاعفت من وقعها . وقورن ذلك بصورة متباينة جدا مع الجهود التي بذلتها الأوساط الصهيونية في تسخير الإعلام لمسخ القضية العربية وطمسها . وانتب بعض الإنكليز المؤيدين للعرب إلى هذا الموقف في بريطانيا فقرروا إنشاء مؤسسة تتولى تقديم وجهات النظر العربية إلى الجمهور البريطاني مع كل ما يتصل بالوطن العربي من حضارة وقضايا معاصرة . وتم ذلك في حزيران ١٩٦٧ بتأسيس " مجلس تعزيز التفاهم العربي ـ البريطاني " بمساعي إليزابيث كولارد ، وإيان غلمور ، وكولن جاكسن ، ومايكل آدمز ، وهيو موريس ، وودرين انغرامز ، ودنيس ولز ، وأنطوني نانتع ، وكريستوفر ميهيو . وفي البيان الافتتاحي للمجلس أوضح مؤسسوه موقفهم بقولهم : " إننا نتعاطف مع أماني وإنجازات وحقوق الشعوب العربية ، ولا سيما عرب فلسطين الذين تولت بريطانيا مسؤولية حكمهم حتى ١٩٤٨ والذين يجب ألا نضيع قضيتهم بانعدام الدفاع عنها " .

ومنا إن شرع المجلس بنشاطه لتنوير الجمهور البريطاني بالقضايا العربية حتى هوجم من قبل الأوساط الصهيونية وأصدقائها ، واتهم بعض أعضائه بمعاداة السامية . واستعرض مايكل آدمز وكريستوفر ميهيو المصاعب التي جابهها أعضاء المجلس في كتاب عنوانه " لا تنشرها " .

ويمكن اعتبار مهام المجلس سريعا من الإعلام والعلاقات العامة ، فهو يمارس نشاطه بواسطة الاتصالات الشخصية ، وتنظيم الوسائل والتسهيلات والقيام بالنشر والكتابة ، وإلقاء المحاضرات ، وتنظيم الندوات . ومن النشاطات الاعتيادية المحاضرات التي يقدمها المجلس في قاعات البرلمان البريطاني وفيها عرّف الجمهور البريطاني بعدد من أنصار قضية فلسطين ، ومن الزعماء العرب . ويصدر المجلس نشرة إخبارية دورية للأعضاء ، ويحتفظ بأسماء فريق من المحاضرين لإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات حيثما طلب منه ذلك . وله مكتبة متخصصة بشؤون الشرق الأوسط مع مكتب للمعلومات والاستفسارات .

في تموز ١٩٦٩ وضع دستور مكتوب للمجلس نص على انتخاب لجنة عامة من ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة سنتين . وتعين اللجنة مديري المجلس وأعضاء اللجنة التنفيذية . وبرز من بين هؤلاء لعدة سنوات جون رودي كمدير للإدارة يرجع إليه كثير من نشاطات وتوجهات المجلس . وقدر عدد الأعضاء بنحو ألف شخص .

لا يمثل هذا المجلس وجهة نظر حزبية معينة ، ولهذا يشارك في رئاسته (عام ١٩٨٠) دينس ولتر من حزب المحافظين ، وديفيد وتكنز من حزب العمال . وكذلك يضم المجلس على أنه لا يمثل جانبا عربيا معينا ، ولا يناصر دولة عربية ضد أخرى . ولعل هذا أحد أسباب التركيز على القضية الفلسطينية التي يتفق عليها العرب . ولكن الملحوظ أن المجلس يعارض بجلاء العمليات " الإرهابية " من الجانبين ، ويميل إلى التركيز على النضال السلمي والدبلوماسي دون أن يعارض النشاط الفدائي الميداني .

لعب المجلس دورا منذ ١٩٧٢ في الدعوة للتقارب بين الدول العربية وأوربا الغربية ، والتأكيد على سلاح النفط . وسعى إلى إقامة منظمة (يورابيا *Eurabia*) الإعلامية لتغطي أوربا الغربية ، وجمعية

التعاون الأوربي ـ العربي التي تضم نحو ٣٠٠ نائب في برلمانات دول السوق المشتركة .

يقوم المجلس أيضا بدور استشاري في مساعدة السفارات العربية والمسؤولين العرب في مجال الإعلام ، وتبني بعض المشاريع الإعلامية والخيرية والتنموية لإدامة الوجود العربي في المناطق المحتلة وتعزيزه . وربما يدخل في هذا النطاق بصورة غير رسمية بعض النصح الدبلوماسي والسياسي بشأن القضية الفلسطينية .

ولا شك في أن المجلس سدّ فراغا كبيراً في الإعلام العربي . ولكن بعض العناصر اليسارية تتخذ موقفا متحفظا من المجلس . ويقوم النقد هنا على أن المجلس يمثل المدرسة القديمة وينزعه أشخاص فيهم من يتصل ماضيه بماضي الامبراطورية ، ويعتمد في نشاطه على العمل في المحافل العليا من المجتمع ويفتقر إلى الروح الجماهيرية . والحقيقة هي أن المجلس لم يستطع التغلغل بين الأوساط الجامعية أو النقابية رغم محاولته ذلك .

المراجع :

— **CAA BU's Tenth Anniversay,** Arab British Centre.

— Mayhew. C. and Adams. M.: **Publish it Not,** London 1975.

التعويضات الألمانية لإسرائيل : ز : ألمانيا الاتحادية

تعويضات اللاجئين الفلسطينيين (مشاريع ـ) :

تعود جذور مشروعات التعويضات الخاصة باللاجئين الفلسطينيين إلى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد صدر أول قرار للجمعية بهذا الشأن في ١٩٤٨/١٢/١١ ، وهو القرار رقم ١٩٤ الذي نص على إقامة لجنة التوفيق الدولية * . وذكرت الفقرة ١١ من القرار المذكور أن الجمعية العامة " تقرر وجوب السماح لمن يرغب من اللاجئين في العودة إلى بيوتهم في أقرب وقت ممكن والعيش بسلام مع جيرانهم ، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يختارون عدم العودة إلى بيوتهم وعن كل خسارة أو ضرر بالممتلكات عندما يكون من الواجب وفقا لمبادىء القانون الدولي والإنصاف أن يعوض عن تلك الخسارة أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة .

" وتصدر (الجمعية العامة) تعليماتها إلى لجنة التوفيق بتسهيل إعادة اللاجئين إلى وطنهم وإعادة توطينهم وإعادة تأهيلهم الاقتصادي الاجتماعي ، وكذلك دفع التعويضات ، وبالمحافظة على الاتصال الوثيق مع مدير وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين * ومن خلاله مع الهيئات والوكالات المناسبة في منظمة الأمم المتحدة " .

وفي ١٩٥١/٨/١٠ دعت لجنة التوفيق حكومات كل من (إسرائيل) ومصر والأردن ولبنان وسورية إلى إرسال ممثلين إلى مؤتمر باريس الذي عقد في ١٩٥١/٩/١٣ وتقدّم فيه رئيس اللجنة بمذكرة إلى الوفود العربية وانوفد الإسرائيلي ، كل على حدة ، شرح فيها أهداف اللجنة من مباحثات المؤتمر ، ومن بينها : " تسوية حقوق الأشخاص وأوضاعهم ، خاصة فيما يتعلق بإعادة توطين اللاجئين ودفع التعويضات عن الخسائر الناجمة عن القتال " .

وبعد أن تشاورت الوفود العربية مع حكوماتها وافقت في ١٧ أيلول على مذكرة رئيس لجنة التوفيق ، ولكنها أصرّت على إعادة اللاجئين كشرط أساسي لأية تسوية . وعلى أثر ذلك تقدمت لجنة التوفيق بمشروع للتسوية اقترحت فيه من جملة ما اقترحت : " قبول الحكومة الإسرائيلية دفع تعويضات عن الممتلكات التي يتركها اللاجئون الذين لا يعودون . ويكون التعويض مبلغا يقدر على أساس القيمة التي توصل إليها مكتب اللجنة للاجئين ، وأن توضع خطة للدفع تأخذ بعين الاعتبار قدرات الحكومة الإسرائيلية على ذلك . توضع هذه الخطة من قبل لجنة خاصة من الخبراء الاقتصاديين والماليين يتم تعيينها من قبل الأمم المتحدة " .

وفي ١٩٥٥/٨/٢٦ أدلى جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الحين بتصريح حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط اعتُبر مشروعا أمريكيا حول اللاجئين وتضمن أحد بنوده : وضع حد لبؤس مليون لاجيء من الفلسطينيين المقتلعين من أرضهم مما يستدعي تأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة إلى وطنهم الأول ضمن حدود الممكن وتوطينهم في المناطق العربية التي يوجدون فيها . ومن أجل تحقيق التوطين اقترح دالاس استصلاح المزيد من الأراضي بحيث يتمكن اللاجئون من الاستقرار والعمل عليها . واقترح ، لتحقيق هذه الأفكار ، على (إسرائيل) دفع تعويضات للاجئين يتم تمويلها بقرض دولي تشارك فيه الولايات المتحدة بصورة أساسية ، وتساهم في إقامة مشاريع الري ، وتحقيق التنمية المائية في المنطقة مما سيساعد مباشرة على إعادة توطين اللاجئين (ز : دالاس ، مشروع) .

وفي ١٩٥٥/١١/٩ أعلن أنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا عن مشروع حلّ النزاع العربي ـ الإسرائيلي . ووعد إيدن ، في حال تحقيق مثل هذه التسوية ، بتقديم مساعدات مالية وغير مالية تساهم فيها دول أخرى لحل مشكلة اللاجئين (ز : إيدن ، مشروع) .

وفي ١٩٥٥/١١/٢١ قام وزير الخارجية الإسرائيلي موشيه شاريت بزيارة للولايات المتحدة ، وأعلن مقترحات إسرائيلية لتحقيق تسوية سلمية للنزاع . ومما تضمنته مقترحاته ، كما نشرت في واشنطن في ١٩٥٥/١٢/١٩ ، استعداد (إسرائيل) لجمع الأموال اللازمة من أجل التعويض على اللاجئين ، وقبولها القرض الذي عرضته الولايات المتحدة للمساهمة في إعادة إسكانهم وتوطينهم . إلاّ أن (إسرائيل) مصرة على ضرورة توطين اللاجئين في الدول العربية .

وفي ١٩٦٢/١٠/٢ اقترح جوزيف جونسون مشروعا مؤلفا من عدة بنود يقول بعضها :

١) يعطى كل رب أسرة من اللاجئين فرصة للاختيار الحر - بمعزل عن أي ضغط من أي مصدر كان - بين العودة إلى فلسطين والتعويض .

٢) ينبغي أن يكون لكل لاجيء علم تام (أولاً) بطبيعة الفرص المتاحة له للاندماج في حياة المجتمع الإسرائيلي إنْ هو اختار العودة ، و(ثانيا) بكمية التعويضات التي سيتلقاها إن هو اختار البقاء حيث هو .

٣) يتم حساب التعويضات على أساس قيمة الممتلكات كما كانت في فلسطين عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ مضافا إليها العوائد المستحقة .

٤) تقوم الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة - وفيها (إسرائيل) - بالإسهام في توفير الأموال اللازمة لدفع التعويضات .

٥) يستفيد اللاجئون الذين لم تكن لهم أية ممتلكات في فلسطين من تعويض مالي مقطوع للمساعدة على الاندماج في المجتمع الذي يختارون التوطن فيه . ويتم دفع هذه التعويضات من خلال الأمم المتحدة التي ستقوم بدور الوسيط والعازل بين الأطراف المعنية إلى أن تنتهي عملية التوطين (رَ : جونسون ، مشروع جوزيف) .

وقد رفضت (إسرائيل) بلسان وزيرة خارجيتها غولدا مائير في تشرين الثاني ١٩٦٢ اقتراحات جونسون ، وأكدت من جديد القرار الذي اتخذته الكنيست * في تشرين الثاني ١٩٦١ والقائل باستحالة عودة اللاجئين إلى (إسرائيل) لأن الحل الوحيد لمشكلتهم هو توطينهم في الدول العربية .

بعد مضي أشهر على فشل مشروع جونسون تحركت الدبلوماسية الأمريكية من جديد ، ولكن هذه المرة من خلال لجنة التوفيق الدولية . ففي ١٩٦٣/١١/٢٠ تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار أمام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة يدعو لجنة التوفيق للاستمرار في مساعيها من أجل تنفيذ نص الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (د - ٣) ، هي الفقرة التي تخيّر اللاجئين بين العودة والتعويض .

قامت لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين خلال سنة ١٩٦٤ بإبلاغ الجمعية العامة للأمم المتحدة أنها أنجزت برنامجها الخاص بحصر وتثمين الأملاك العربية في (إسرائيل) استجابة لتكليف الجمعية العامة في قرار لها بتاريخ ١٩٥٠/١٢/١٤ تطلب فيه من اللجنة أن تتخذ الخطوات التي تراها ضرورية « لتقدير التعويضات التي يجب دفعها إلى السكان العرب الذين نزحوا عن ممتلكاتهم في فلسطين بعد انتهاء حكم الانتداب البريطاني » . وأوضحت اللجنة في دراستها الأسلوب الذي اتبع في حصر الأملاك العربية ، وأشارت إلى أن الأراضي التي هي في حوزة (إسرائيل) بموجب اتفاقية الهدنة تشكل حوالي ٣٠ مليون دونم ، وأن حوالي نصف الأراضي التي تقع خارج منطقة النقب قد جرت تسويتها بموجب قانون تسوية الأراضي . وقد شمل حصر الأراضي المنطقة الحرام في منطقة القدس - الرملة والمناطق المجردة من السلاح في المنطقة الشمالية وبير السبع . وقد تلت عملية حصر الأراضي عملية تثمين هذه الأراضي على أساس الأسعار التي كانت سائدة في السوق الحرة في ١٩٤٧/١١/٢٩ . وحرصت اللجنة على أن تكون عملية تثمين الأراضي متناسقة بحيث لا تتفاوت أسعار الأراضي المتشابهة والموجودة في نفس المنطقة تفاوتا كبيرا .

وقد بعثت الهيئة العربية العليا لفلسطين * إلى الدول العربية في ١٩٦٤/١١/٢١ مذكرة تتعلق بلجنة التوفيق وتقاديها في التحيز ضد العرب . وأشارت هذه المذكرة إلى البيان الذي أصدرته لجنة التوفيق في ١٩٦٤/١١/١٢ حول أملاك العرب في (إسرائيل) ، والذي دلّ على تصميم هذه اللجنة على المضيّ في محاولاتها لتنفيذ خطة تصفية قضية فلسطين كما رسمتها الدول الاستعمارية والصهيونية العالمية ، ودلّ أيضا على تخطّي الدول العربية وتجاهل وجود الشعب العربي الفلسطيني كمجموع ، والاتصال بالفلسطينيين كأفراد ، بشأن ممتلكاتهم في فلسطين المحتلة وطيمة هذه الممتلكات .

وفي ١٩٦٥/٥/١٧ عرض ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) مشروعاً في الكنيست لتحقيق السلام بين العرب (وإسرائيل) تحدث عن " توجيه جزء من الموارد الضخمة للمنطقة باتجاه إعادة توطين اللاجئين ودمجهم في بيئتهم الوطنية الطبيعية أي الدول العربية ، وعن أن إسرائيل على استعداد للمساهمة المالية مع الدول الكبرى في عملية توطينهم باعتبارها الحل الوحيد الذي يناسب مصالحهم الأساسية والحقيقية ويناسب المصالح الإسرائيلية أيضاً " .

ونظرت اللجنة السياسية الخاصة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٦٧ في ثلاثة مشاريع قرارات :

١) مشروع القرار الذي قدمته الولايات المتحدة ووافقت عليه اللجنة السياسية الخاصة بأكثرية ٩٩ صوتا ضد لا شيء واستنكاف دولتين هما الكونغو برازافيل (وإسرائيل) . ويقول أحد بنود هذا القرار : " إن الجمعية العامة تلاحظ بأسف شديد أنه لم ينفذ شيء من مقررات الأمم المتحدة ، لا حول إعادة اللاجئين ولا حول دفع التعويضات الخاصة بهم ، هي من حقهم وفقا لمقررات الأمم المتحدة الفقرة ١١ من القرار رقم ١٩٤ (الدورة - ٣) بالإضافة إلى أنه لم يتم تسجيل أي تقدم لا في حق ترحيلهم وإعادتهم إلى بلادهم ، ولا فيما يتعلق بدفع التعويضات لهم ، هذا الأمر الذي جددت الأمم المتحدة إصرارها عليه في القرار رقم ٥١٣ (الدورة - ٦) حول وضع اللاجئين الذي يثير قلقا بالغا لمنظمة الأمم المتحدة " .

٢) مشروع قرار تقدمت به ١٩ دولة ووافقت عليه اللجنة السياسية بأكثرية ١٠٢ ضد لا شيء وامتناع دولة واحدة عن التصويت . ويطلب هذا المشروع تقديم المساعدة إلى الأشخاص الذين تشردوا بسبب القتال الأخير في المنطقة ، وبحث الحكومات والمنظمات والأشخاص على التبرع لهذا الهدف .

٣) مشروع قرار تقدمت به إلى اللجنة السياسية خمس دول ، وطلب من الأمين العام " أن تُتخذ جميع الخطوات لتعيين قيّم لحراسة وإدارة ممتلكات العرب في إسرائيل ، واستلام موارد تلك الممتلكات بالنيابة عن أصحابها الحقيقيين " .

وعندما عرضت مشاريع القرارات الثلاثة المذكورة على الجمعية العامة وافقت هذه الأخيرة على مشروعي القرارين الأول والثاني ، وأجّلت النظر في مشروع القرار الثالث بناء على اقتراح تقدمت به نيجيريا .

وفي ١٩٦٩/١٢/٩ عرض وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية على الاتحاد السوفيتي مقترحات أمريكية تضمنت دعوة لإعطاء اللاجئين حق الاختيار بين العودة على أساس نسبة مئوية سنوية متفق عليها وبين التوطين خارج (إسرائيل) مع التعويض .

غير أن الحكومة الإسرائيلية أعلنت في ١٩٦٩/١٢/٢٢ رفضها لمقترحات روجرز . وقالت غولدا مائير في خطاب أمام الكنيست في ١٩٦٩/١٢/٢٩ إن المقترحات الأمريكية تشكل خطرا كبيرا على وجود (إسرائيل) لأن ما جاء فيها بخصوص الحدود وعودة اللاجئين يهدد أمن البلاد .

وفي ١٩٧٠/١/١٢ أعلن الاتحاد السوفيتي رفضه للمقترحات الأمريكية لأنها متحيزة (لإسرائيل) ، وطلب عوضا عن ذلك أن تنفذ (إسرائيل) بكل قرارات هيئة الأمم المتحدة بالنسبة إلى قضية اللاجئين الفلسطينيين .

وفي ١٩٧١/٢/٨ تقدم غونار يارينغ وسيط الأمم المتحدة بمقترحات عبر مذكرات متشابهة وجهها إلى مصر (وإسرائيل) تضمنت شروط اتفاقية سلام مع (إسرائيل) . وقد ردت (إسرائيل) على مذكرة يارينغ ، وذكرت أن اتفاقية سلام بين البلدين يجب أن تتضمن ، بين ما تتضمن ، استعداد (إسرائيل) للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : (١) دفع تعويضات مقابل الأراضي والممتلكات المهجورة (٢) المشاركة في وضع خطة لتأهيل اللاجئين في المنطقة . وعندما يتم الاتفاق على واجبات الطرفين نحو قضية اللاجئين لن يكون أي طرف من الطرفين مرتبطا بأية التزامات تجاه الطرف الآخر تتعارض مع سيادته .

ويعد أن كانت (إسرائيل) تربط دفع التعويضات للنازحين العرب بمشروعات توطينهم في البلاد العربية أخذت تربط بين دفع التعويضات للنازحين العرب ودفع التعويض لمن اسمتهم « اللاجئين اليهود » ، أي اليهود الذين كانوا يعيشون في الدول العربية ، ودفعتهم الحركة الصهيونية للهجرة إلى (إسرائيل) .

ففي شهر تموز ١٩٧١ طرح يغال آلون وزير خارجية (إسرائيل) مشروعا سمي " مشروع آلون " * تطرق فيه إلى اقتراح لحل مشكلة اللاجئين ، وعدّ الدول العربية هي المسؤولة عن نشوء مشكلة اللاجئين وقال " إن إسرائيل وحدها لا تستطيع حل المشكلة بأسرها ، أو الجزء الأكبر منها ، من النواحي الاقتصادية والديموغرافية . فنحن استوعبنا لاجئين يهودا من البلاد العربية وما تبقى من يهود أوربا (٥٠٠) وهذا ينطوي على ظاهرة تبادل سكان بالعدد نفسه تقريبا ، وعلى أساس إنهي وتؤمي ، كما جرى في مناطق عديدة من العالم في أعقاب حرب أو اتفاق . ربما أن معظم اللاجئين كانوا خاضعين للسيادة العربية ، لم نستطع المساهمة في حل المشكلة بأكثر من انتهاج سياسة جمع شمل العائلات نظريا وعمليا من جهة ، والإعلان عن استعدادنا للمساهمة في التمويل والمساعدات التقنية لحل المشكلة في البلاد العربية من جهة أخرى" .

وفي المؤتمر الثاني عشر لحزب حيروت * في كانون الثاني ١٩٧٥ قدم مناحيم بيغن مشروعا خاصا بالتسوية نص أحد بنوده على ما يلي : " تبذل الجهود لإيجاد حل متفق عليه لقضية اللاجئين العرب وممتلكاتهم ، ولمسألة ممتلكات اللاجئين اليهود الذين تركوا الدول العربية وهاجروا إلى إسرائيل " .

وقد طرح موشيه زانبار حاكم (مصرف إسرائيل) السابق تصورا إسرائيليا لحل مشكلة النازحين العرب قال فيه :

" وفي صدد التعويضات لنا نحن أيضا مطاليب عادلة

وحقوق مشروعة كثيرة . لماذا لا تذكر في معاهدة السلام الثنائية مسؤولية مصر عن الأملاك اليهودية التي تركت في مصر ، أو على الأقل الأملاك العائدة لمواطني إسرائيل ؟" .

وجاء في اقتراح زانبار أيضا أنه " يجب أن تكون التسوية المتعلقة بالممتلكات المتروكة والتعويض عنها جزءاً لا يتجزأ من أية معاهدة سلمية . ويجب أن تحدد التسوية بصراحة مبلغ التعويض الشامل الصافي الذي ستدفعه إسرائيل ، وطريقة الدفع من جهة ، ووسائل معالجة طلبات التعويضات الشخصية من جهة أخرى . وينبغي أن تضمن المعاهدة السلمية إعفاء إسرائيل من أية مطالب شخصية بالتعويضات ، بما في ذلك تلك المستندة إلى قرارات الأمم المتحدة . على ألا يكون هذا البند نافذ المفعول إلا بعد أن توقع مصر والأردن على الأقل معاهدة السلام معا ، وأن توافق الولايات المتحدة على ضمان البند الذي يعفينا من المزيد من طلبات التعويضات ، باستثناء تلك التي ستتعهد بدفعها ضمن إطار معاهدة السلام " .

المراجع :

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، بيروت .
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٧٢ ، بيروت .
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : مشاريع التسوية الإسرائيلية ١٩٦٧ - ١٩٧٨ ، بيروت ١٩٧٨ .
- ليل سليم القاضي : تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي - الإسرائيلي ١٩٤٨ -١٩٧٢، مجلة شؤون فلسطينية ، حزيران ١٩٧٣ ، العدد ٢٢ ، بيروت

التفاهم (مؤتمر ـ) :

تعدّدت الانشقاقات الحزبية عن اللجنة التنفيذية (الحزب الوطني * وحزب الزراع *) وتعذّر اجتماع المؤتمر العربي الفلسطيني * السابع فجرت محاولات لرأب الصدع مهّد لها بيان نشره جمال الحسيني * سكرتير اللجنة التنفيذية ، باسمه الشخصي ، في ١٥/١٠/١٩٢٤ ، واستهله بآلاية الكريمة : " قل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله " ، وطلب فيه من المخلصين من دعاة الأحزاب ، أو من الذين ضلّلوا بالانخراط في الأحزاب ، الرجوع إلى " الوحدة المقدسة" ، لأن فلسطين وهي في حرب " حياة أمة أو موتها " في حاجة إلى رصّ الصفوف ، والمؤتمر (المؤتمر العربي الفلسطيني السابع) يجب أن " تدخل إليه الأمة كحزب واحد " هو حزب اللجنة التنفيذية ، لأن خصوم الحركة الوطنية اتخذوا من تعدد الأحزاب سلاحاً لضرب الحركة .

واقترح جمال الحسيني على اللجنة التنفيذية أن تدعو أعضاء من الحزب الوطني وحزب الزراع لتقرر معهم تعيين مكان وموعد المؤتمر الفلسطيني السابع ، ثم تنحل الأحزاب وتبقى اللجنة التنفيذية إلى موعد انعقاد المؤتمر ، وفيه تنتخب لجنة جديدة .

وقد استجاب الحزب الوطني للاقتراح ، وقبلت اللجنة التنفيذية استجابته ، وعقد اجتماع مشترك بدون شروط مسبقة في فندق « ماجستيك » في القدس (٣٠ / ١١ ـ ١٩٢٤/١٢/٤) . وتوصل المجتمعون الى وضع « قرار تفاهم » يتم بموجبه تشكيل « هيئة مركزية » من ثمانية أعضاء ، أربعة من اللجنة التنفيذية وأربعة من الحزب الوطني وكتلة حزب الزراع وجمعية نعاون القرى* وجمعية الشبيبة الإسلامية . ومهمة هذه الهيئة الدعوة إلى عقد المؤتمر الفلسطيني السابع ، وتحديد طريقة انتخاب المندوبين وشروطه ودوائره ، وعدد المندوبين .

لم تبد اللجنة التنفيذية رأيها في « قرار التفاهم » وتركت الأمر لاجتماع عقد في نابلس يومي ١٨ و ١٩/١٢/١٩٢٤ . وقد أطلق عليه اسم مؤتمر التفاهم واشترك فيه ٣١ مندوباً من عشر مدن فلسطينية .

أصدر المؤتمر قراراً بيّن فيه أن المشتركين وجدوا بالإجماع أن كثيراً من مواد « قرار التفاهم » الذي توصل إليه المجتمعون في القدس في ١٩٢٤/١٢/٤ غامض او غير قابل للتطبيق ، ولا سيما المتعلق بإجراء الانتخابات وتشكيل اللجنة المركزية واللجان الفرعية وما ينشأ عن ذلك من مشكلات . ورأت الوفود ـ تجنّباً لرفض « قرار التفاهم » أو لتعديل بعض ما فيه مما يؤدي إلى اتساع شقة الخلاف ـ أن تشير على اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السادس أن تستخدم صلاحياتها المعطاة لها من المؤتمر السادس ، وتدعو الأحزاب والهيئات المعارضة كي تنتدب خمسة من أعضائها لينضموا إلى اللجنة التنفيذية ، ويشتركوا في الأعمال الوطنية التي تقوم بها ، إلى أن ينعقد المؤتمر العربي الفلسطيني السابع ، على أن تلغى الأحزاب فوراً . وتهيّء اللجنة التنفيذية ، بعد اشتراك المعارضة فيها ، الخطط الإيجابية وكل ما يلزم لعقد المؤتمر السابع . وقرر مؤتمر التفاهم أنه " إذا لم توافق الهيئات المعارضة على هذا الاقتراح فإن وفود البلاد تلقي تبعة بقاء الانقسام والشغب على تلك الهيئات ، وتشير على اللجنة التنفيذية بالسير في أعمالها " .

كان قرار مؤتمر التفاهم في نابلس أشبه بقرار ثقة بالتجنة التنفيذية ، وكان يمكن ـ لو استجابت له المعارضة ـ أن يؤدي الى وقف الانشقاقات الحزبية ودعم الوحدة في الحركة الوطنية . لكن

المعارضة بزعامة الحزب الوطني رفضت مؤتمر التفاهم ، ودارت معركة صحفية مضادّة عن طريق أسئلة مفتوحة وجهها الحزب الوطني إلى رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم الحسيني * ، وأجاب عليها الأخير بما يشعر برغبة اللجنة في الاتفاق .

استغل هربرت صموئيل التذوب السامي البريطاني موقف الحزب الوطني للادعاء بتشتت الآراء في فلسطين واختلافها ، وللزعم بأن الأحزاب ، وإن كانت تعارض الصهيونية ، توافق على التعاون مع سلطات الانتداب مخالفة بذلك اللجنة التنفيذية التي تعارض وجدها السياسة المتبعة في فلسطين .

وقد أسفر موقف المعارضة عن زيادة التأييد للجنة التنفيذية ، وإرسال العرائض الوطنية التي تنبرّأ من الحزب الوطني ، وقيام حملة صحفية ضد راغب النشاشيبي * رئيس بلدية القدس آنذاك الذي عدّ العقل المدبّر في كتلة المعارضة .

المراجع :

– كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

– جرائد : فلسطين (يافا) ، الفتوى (القاهرة) ، المقطم (القاهرة) ، البرميل (حيفا) ، ألف باء (دمشق) .

التقاليد الشعبية : رَ : العادات والتقاليد الشعبية

التقدم (حزب ـ) : رَ : المؤتمر السوري العام

تقرير : رَ : ستوكلند
رَ : سيسون
رَ : فرنش
رَ : كوينج
رَ : مجلس الأطلسي الأمريكي

تقرير المصير (حق ـ) :

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم ١٨١ (الدورة ٢) بتقسيم فلسطين * حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، إذ لم تحترم رغبة هذا الشعب الواضحة والصريحة في أن يتم إنهاء الانتداب البريطاني على وطنه بإقامة دولته المستقلة ، وجنحت خطأ إلى التوصية بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية ، وإنشاء نظام خاص لمدينة القدس .

ومضت الأمم المتحدة تغض الطرف عن حقوق الشعب الفلسطيني ، ومنها حقه في تقرير المصير ، حين تغاضت عن ابتلاع (الدولة اليهودية) التي أوصت بإنشائها لمزيد من الأراضي المخصصة للدولة العربية ، وإخراج سكانها منها بالقوة لينضموا إلى من سبقهم من « المخرجين » في ثنايا اللجوء في الأقطار المجاورة ، أو المشردين في كل حدب وصوب . كل ما فعلته الأمم المتحدة ممثلة في جمعيتها العامة كان اكتفاءها بالتوصية في قرارها رقم ١٩٤ الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ " بوجوب السماح بالعودة ، في أقرب وقت ممكن ، للاّجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم ، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر يكون من الواجب ، وفقا لمبادىء القانون الدولي والإنصاف ، أن يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة " . وأبت الجمعية العامة مذئذ على توكيد هذا الحق في العودة أو التعويض سنويا (رَ : العودة ، حق) .

وفي حين كرست الأمم المتحدة وجود (الدولة اليهودية) المؤسسة تحت اسم (دولة إسرائيل) بنموها في عضويتها عام ١٩٤٩ (رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية ـ) عاملت الشعب الفلسطيني المشرد على أنه مجموعة لاجئين لا حق لهم سوى في العودة أو التعويض ووفق شروط مبهمة ، ودون أن يكون هذا الحق مدعوماً بأي تصرف يوحي بتصميم الأمم المتحدة على إنفاذه . كل ما فعلته الجمعية العامة لهؤلاء اللاجئين العرب الفلسطينيين هو إنشاء صندوق خاص بإغاثتهم (القرار ٢١٢ تاريخ ١٩٤٨/١١/١٩) ثم بدلت به وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى * (القرار ٣٠٢ تاريخ ١٩٤٩/١٢/٨) .

وهكذا انحسرت قضية شعب بأسره فغدت مشكلة لاجئين فحسب ، وطويت قضية فلسطين من جداول أعمال المنظمة الدولية ليحلّ محلها موضوع مناقشة التقرير السنوي للمفوض العام للوكالة المذكورة . ومع أن هذه المناقشة السنوية كانت تطور في الجمعية العامة لتصب على ظلامة الشعب الفلسطيني وحقوقه الأساسية ومنها حقه في تقرير مصيره فإن حصيلة المناقشات كانت لا تتعدى التصديق على تقرير المفوض العام ، وتوكيد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة أو التعويض (رَ : فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، قضية ـ) .

من جهة أخرى شهدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجنتها

الثالثة والرابعة ، منذ مطلع الخمسينات وحتى منتصف الستينات ، مناقشات مستمرة حادة حول المركز القانوني " لتقرير المصير " ومضمونه ، وتحديد الجماعات البشرية التي يحق لها ممارسته وأساليب هذه الممارسة . ذلك أن النص على تقرير المصير ورد عامّاً وغير متّفق على طبيعته وحدوده في مادتين من مواد ميثاق الأمم المتحدة : المادة ١ (٢) والمادة ٥٥ ، وذلك بناء على اقتراح سوفييتي قدم لأول مرة في مشاورات الأربعة الكبار السابقة لمؤتمر سان فرنسيسكو سنة ١٩٤٥ . وتدل محاضر المؤتمر على أن مندوبي الدول الخمسين المشتركة فيه الذين أجمعوا على إدخال « تقرير المصير » في هذه الوثيقة القانونية التي تعدّ بحق دستور العلاقات الدولية في عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يكونوا متفقين على قيمته القانونية (هل هو حق أو مبدأ) ، ولا على مضمونه ، ولا على ما يتبع ذلك من آثار . ولا أدل على ذلك من التفاوت البيّن بين النصين الإنكليزي والفرنسي للمادتين اللتين نصّتا عليه . ففي حين اكتفى النص الإنكليزي بالإشارة إليه على أنه مبدأ *Principle* ذهب النص الفرنسي ـ وهو مكافىء للنص الإنكليزي في القيمة القانونية ـ إلى الإشارة بأنه حق *Droit* .

مع مطلع الخمسينات ، وفي سياق المعركة التي شنتها الدول لصرى ودول المجموعة الاشتراكية على الدول الاستعمارية التي تكتت من التمييز في الميثاق بين نوعين من المستعمرات : الأقاليم الموضوعة تحت الوصاية (وكانت تؤلف أقلية المستعمرات) ، والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي (وكانت تؤلف أغلبية المستعمرات) ، حتى إن الميثاق جعل الاستقلال أو الحكم الذاتي الهدف الذي تسعى الأمم المتحدة إلى تحقيقه للفئة الأولى ، في حين اكتفى بالحكم الذاتي هدفا نهائيا للفئة الثانية ، في سياق هذه المعركة ، وفي عام ١٩٥٠ على وجه التحديد ، لجأ المناضلون ضد الاستعمار إلى « تقرير المصير » من أجل التعويض عما أخفق الميثاق في النص عليه في الفصل الحادي عشر الخاص بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي . وكانت حجة هؤلاء أنه ما دام تقرير المصير حقا للشعوب جميعا بدون استثناء فإن شعوب الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي تستطيع ، من خلال ممارستها لهذا الحق ، اختيار الاستقلال كواحد من المراتر القانونية التي تصل إليها عندما تتحرر من الاستعمار . وكان أول من استخدم هذه الحجة وطرحها في ميدان المعركة مع الاستعمار في الأمم المتحدة مندوبا السعودية وأفغانستان . غير إن إثارة موضوع تقرير المصير على هذا النحو أثار من جديد الجدل الحاد الذي شهدته جلسات سان فرنسيسكو حول حق أصبح تقرير المصير سادة قائمة بذاتها استنفرت الوفود في الجمعية العامة وبجنتيها الثالثة والرابعة نيفا وعشر سنوات ، إلى أن تمكنت أغلبية الدول ـ وخاصة بعد انضمام المزيد من الدول الحديثة الاستقلال إلى عضوية المنظمة الدولية ـ تمكنت من استصدار مجموعة متلاحقة من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة كان من أهمها القرار التاريخي رقم ١٥١٤ (الدورة ـ ١٥) الصادر في ١٩٦٠/١٢/١٤ والخاص بمنح الاستقلال للشعوب والأقاليم المستعمرة . والقرار رقم ٢٦٢٥ (الدورة ـ ٢٥) الصادر في ١٩٧٠/١١/٢٤ المتضمن مبادىء القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودّية والتعاون بين الدول وفق أحكام ميثاق الأمم المتحدة والذي أقر بتفصيل وإسهاب مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها من بين هذه المبادىء . كذلك فإن الاتفاقيتين الخاصتين بحقوق الإنسان اللتين أوصت الجمعية العامة بإبرامهما عام ١٩٦٦ تتصدرهما مادة واحدة في المعنى (المادة الأولى) عن حق تقرير المصير . ويمكن إجمال ما تمخضت عنه الأمم المتحدة حول تقرير المصير بالآتي :

١) تقرير المصير ليس مجرد مبدأ سياسي يجوز إهماله ، وإنما هو حق قانوني ، بل واحد من أهم حقوق الإنسان ، وواحد من قواعد القانون الدولي اللازمة للتعاون بين الدول وقيام علاقات ودية بينها . وفوق هذا قمة اتجاه فقهي متصاعد لاعتبار مبدأ حق تقرير المصير من النظام العام الدولي *Jus Cogens* .

٢) تقرير المصير حق لجميع الشعوب على الإطلاق ، وفيها شعوب الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والمشمولة بالوصاية .

٣) كلمة الشعب هنا تعني مجموعة الأفراد الذين يقطنون إقليما محددا ، أي سكان الدول ، أو سكان الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي ، أو سكان الأقاليم المشمولة بالوصاية ، أو سكان المستعمرات الأخرى التي ترفض الدول المستعمرة إدخالها في الفئتين السابقتين (كشعوب المستعمرات البرتغالية وزيمبابوي سابقا ، وشعب ناميبيا) . وحق تقرير المصير هو حق أغلبية السكان ، لا حق الأقلية . فهو لا يعني حق الأقليات في الانفصال عن البلد الأصلي .

٤) يعني حق تقرير المصير ـ بالنسبة إلى الشعوب المستعمرة ـ إما الاستقلال التاجز ، وإما الانضمام إلى الدولة الوصية ، وإما الانضمام إلى دولة مجاورة . أما بالنسبة إلى الشعوب عموما فيعني حق كل شعب في أن يقرر بحرية وبدون أي تدخل خارجي وضعه السياسي ، وأن يتابع تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . وعلى كل دولة واجب احترام هذا الحق تمشّيا مع نصوص الميثاق .

٥) يمارس حق تقرير المصير بالاستفتاء الشعبي المباشر ، وعلى أساس أن لكل إنسان صوتا واحداً . ويفضل أن يتم الاستفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة . غير أن شيئاً ما لا يمكن أن يحول بين الشعب

المعنيّ وممارسته حقه في تقرير المصير بالكفاح المسلح . وعمل الأمم المتحدة والدول الأعضاء تمشيا مع أهداف ومبادىء الأمم المتحدة أن تقدم للشعب المعني ما يحتاج إليه من مساعدة للوصول إلى حقه في تقرير مصيره .

ويلاحظ أن ممارسات الأمم المتحدة حول طبيعة تقرير المصير ومضمونه ليست ذات صفة إنشائية ، بل ذات صفة إظهارية وحسب . فالحق مقنّن بميثاق الأمم المتحدة . وما ممارسات الأمم المتحدة إلاّ تفريع وتفصيل لبدأ موجود ، لكنها تظهر بجلاء ووضوح مدى إهدار الأمم المتحدة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، حين استصدرت جمعيتها العامة قرار التقسيم ، ثم حين راحت في غيبوبة سياسية عن الشعب ذاته إغفالا وتجاهلا .

وقد كان على الأمم المتحدة أن تصحو من غيبوبتها السياسية هذه في أكثر من مناسبة لعل أبرزها حرب ١٩٦٧ * التي أدّت إلى ابتلاع (إسرائيل) ما كان قد تبقى من فلسطين بحدودها الدولية (الضفة الغربية وقطاع غزة) ، واقتلاع مئات الألوف من سكانها والإمعان في معاملة من لم يهجّر منهم معاملة دائما المجتمع الدولي أكثر من مرة . غير أن شيئا من هذا لم يحصل . وعلى العكس فقد عجز الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ اكتفى بتنويه الحاجة إلى " تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين " . ويلاحظ أن كلمة لاجئين وردت مطلقة دون تخصيص ، مما حفز (إسرائيل) وأنصارها على الزعم أن المقصود هنا هو اللاجئون العرب الفلسطينيون ، وكذلك اللاجئون من اليهود الذين تركوا الأقطار العربية في أعقاب إقامة (إسرائيل) ، مع أن المقارنة غير ممكنة بين من هاجر ومن هُجّر . فمعظم يهود البلاد العربية تركوا أقطارهم طوعا ، ولُحت تأثير الدعاوة الصهيونية ، أما الفلسطينيون فقد هُجّروا من بلدهم بالإكراه والعنف (رَ : إخراج الفلسطينيين من ديارهم ، ١٩٤٨) .

واستمر شعب فلسطين وحقوقه الوطنية الثابتة غائبين عن قرارات الأمم المتحدة حتى أواخر الستينات . لكن بداية التحول ظهرت في عام ١٩٦٩ . ويعود الفضل الأول في هذا التحول إلى اشتداد وتصاعد صمود الشعب الفلسطيني وكفاحه المسلح للاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، سواء داخل الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ، أو تلك المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وضرب الأهداف الصهيونية في فلسطين وخارجها . فهذه المقاومة الفلسطينية المسلحة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية * بدأت تشد اهتمام الرأي العام العالمي في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل في عدد من الدول الأوربية ، وتظهر أن الشعب الفلسطيني الذي زعمت غولدا مائير يوما أنها لم تسمع به أصلا ، موجود في كل مكان ، ومستعد للفداء من أجل استرجاع حقوقه الوطنية الثابتة .

في العاشر من كانون الأول ١٩٦٩ ، وبعد مناقشة أوضاع الفلسطينيين من خلال تقرير المفوض العام لوكالة الإغاثة (الأونروا) ، أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٥٣٥ / أ ، ب ، جـ (الدورة ـ ٢٤) بعنوان " الأسف لعدم تنفيذ قرار عودة اللاجئين أو التعويض عليهم ، وتأكيد الحقوق الثابتة لسكان فلسطين ، ولفت نظر مجلس الأمن إلى السياسة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ، وتمديد ولاية الأونروا " . وقد لاحظت الجمعية العامة في هذا القرار ، مع الأسف الشديد ، أنه لم تتم إعادة اللاجئين إلى ديارهم أو تعويضهم حسب ما نصت عليه قراراتها السابقة ، وأن حالة اللاجئين لذلك لا تزال مدعاة للقلق الشديد . وأكدت الجمعية العامة في القسم (ب) من هذا القرار أن " مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم الثابتة المقررة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان " . وانتهت الجمعية العامة في هذا القسم من القرار إلى أن تؤكد من جديد حقوق شعب فلسطين الثابتة ، وتنفت نظر مجلس الأمن إلى الحالة الخطيرة الناشئة عن سياسة (إسرائيل) وممارساتها في الأقاليم المحتلة ، وعن رفض (إسرائيل) تنفيذ القرارات الصادرة عن الجمعية العامة عبر السنوات الطوال المنصرمة .

صحيح أن هذا القرار صدر في سياق مناقشة تقرير المفوض العام للأونروا ، وأنه استخدم في غير موضع كلمة « اللاجئين » ، إلاّ أنه تميّز بأمرين : أولهما أنه تحدث عن أن مشكلة هؤلاء اللاجئين ناشئة أساسا عن إنكار حقوقهم المقررة في الميثاق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، ومن بينها حق تقرير المصير . وثانيهما أنه استخدم لأول مرة عبارة « حقوق شعب فلسطين الثابتة » أي أنه أقر للفلسطينيين بصفة الشعب بعدما ظلوا خلال نحو عقدين من الزمن يوصفون باللاجئين .

ومع نهاية عام ١٩٧٠ تحركت الجمعية العامة للأمم المتحدة خطوة أخرى في الطريق الصحيح من خلال مناقشاتها حقوق شعب فلسطين ، واستصدارها القرارات ٢٦٢٨ ، ٢٦٤٩ ، ٢٦٧٢ (الدورة ـ ٢٥) . في هذه المرة لم تكتف الجمعية العامة باعترافها بالفلسطينيين شعباً ، بل اعترفت أيضاً بحق هذا الشعب في تقرير مصيره . ولعل القسم (جـ) من القرار ٢٦٧٢ هو الأكثر أهمية وتكاملا في هذا السبيل . وينص هذا القسم على ما يلي :

" ان الجمعية العامة ،

" إذ تدرك أن مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم الثابتة المقررة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ،

" وإذ تذكر قرارها ٢٥٣٥ ب (الدورة ـ ٢٤) . . . الذي أكدت فيه من جديد حقوق شعب فلسطين الثابتة .

" وإذ تضع نصب عينيها مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق وحقها في تقرير المصير المكرس في المادتين ١ و٥٥ من ميثاق الأمم المتحدة ، والمفاد تأكيده لآخر مرة في الإعلان الخاص بمبادىء القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الأمم المتحدة:

" ١) تعترف لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق وبحق تقرير المصير وفقا لميثاق الأمم المتحدة ،

" ٢) وتعلن أن الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين الثابتة هو عنصر لا غنى عنه في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط " .

وهكذا حاولت الجمعية العامة ، لأول مرة في تاريخها ، أن تترجم مفهومها لحقوق الفلسطينيين بطريقة لا تدع مجالا للّبس . فالفلسطينيون شعب بالمعنى القانوني للكلمة أنكرت حقوقه الثابتة حتى غدا لاجئا . وبالتالي يقضي إنصافه بالعودة إلى الاعتراف به كما هو أصلا شعباً له من الحقوق ما لغيره من الشعوب ، ومن هذه الحقوق حق تقرير المصير بكل أبعاده ومضامينه . وبدون احترام هذه الحقوق للشعب الفلسطيني لا يمكن إقامة سلم عادل ودائم في المنطقة . أي أن مشكلة الشعب الفلسطيني هي جوهر النزاع في الشرق الأوسط .

صحيح أن هذا القسم من القرار ٢٦٧٢ اتخذ بأكثرية ضئيلة ، إذ صوّتت معه سبع وأربعون دولة في حين عارضته اثنتان وعشرون دولة ، وامتنعت خمسون دولة عن التصويت ، إلاّ أنه يعدّ نقطة تحول جوهرية في نظرة الأمم المتحدة ، ممثلة في جمعيتها العامة ، تجاه الشعب الفلسطيني .

أما القرار ٢٧٨٧ (الدورة ـ ٢٦) الصادر في ١٩٧١/١٢/٦ ، فقد سارت فيه الجمعية العامة باتجاه توكيد شرعية النضال من أجل تقرير المصير للشعوب الواقعة تحت حكم استعماري وأجنبي ، ومنها الشعب الفلسطيني . كما أعرب القرار رقم ٢٧٩٢ /د (الدورة ـ ٢٦) الصادر في ١٩٧١/١٢/٦ عن قلق الجمعية العامة البالغ لعدم السماح لشعب فلسطين بالتمتع بحقوقه الثابتة وبحقه في تقرير مصيره . وتكرر موقف الجمعية العامة نفسه ، وبلهجة أشد قنبلاً في قرارها رقم ٢٩٦٣/هـ (الدورة ـ ٢٧) الصادر في ١٩٧٢/١٢/١٣ وبالقرار رقم ٣٠٨٩/ج رد (الدورة ـ ٢٨) الصادر في ١٩٧٣/١٢/٧ . ويلاحظ أن نسبة الدول المؤيدة لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره كانت تتزايد عبر السنين ، فقد صوّت إلى جانب القرار الأخير ٨٧ دولة ولم تعارضه سوى ست دول ، في حين امتنعت ٣٣ دولة عن التصويت .

على أن أكثر التطورات أهمية في موقف الأمم المتحدة تجاه الشعب الفلسطيني جاءت في أعمال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة حين بدأت آثار حرب ١٩٧٣ * تأخذ أبعادها السياسية والمالية والنفطية . فقد رأت الجمعية العامة في القرار رقم ٣٢١٠ (د ـ ٢٩) الصادر في ١٩٧٤/١٠/١٤ أن " الشعب الفلسطيني هو الطرف الأساسي المعني بقضية فلسطين . لذلك قررت دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للشعب الفلسطيني إلى الاشتراك في مداولات الجمعية العامة بشأن قضية فلسطين " . وقد صوتت ١٠٥ دول إلى جانب هذا القرار ، ولم تعارضه إلاّ أربع دول فقط هي إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبوليفيا والدومنكان ، في حين امتنعت عشرون دولة عن التصويت .

ولما كان قد تم في هذه الدورة إدراج قضية فلسطين بنداً مستقلاً على جدول أعمال الجمعية العامة لأول مرة منذ أواخر الأربعينات فقد فتحت ملفات القضية كاملة وبصورة مباشرة وجدية بمشاركة وفد يمثل الشعب الفلسطيني ، وباعتراف الأمم المتحدة ذاتها . وتمخضت هذه الدورة عن مجموعة من القرارات أهمها من غير شك القرار رقم ٣٢٣٦ الصادر في ١٩٧٤/١١/٢٢ بأغلبية ٨٩ صوتا مقابل ٨ أصوات وامتناع ٣٧ . ويحمل هذا القرار التاريخي عنوان « قرار حقوق الشعب الفلسطيني » . وهو القاعدة التي تنطلق منها مطالبة الجمعية العامة لقضية الشعب الفلسطيني برمتها في تقرير مصيره . وتقول بعض فقراته التنفيذية :

" إن الجمعية العامة . . .

" ١ ـ تؤكد من جديد حقوق الشعب الفلسطيني الثابتة في فلسطين وخصوصا :

أ ـ الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي .

ب ـ الحق في الاستقلال والسيادة الوطنيين .

" ٢ ـ وتؤكد من جديد أيضا حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا عنها واقتلعوا منها ، وتطالب بإعادتهم .

" ٣ ـ وتشدد على أن الاحترام الكلي لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة هذه ، وإحقاق هذه الحقوق ، لمران لا غنى عنهما لحل قضية فلسطين .

" ٤ ـ وتعترف بأن الشعب الفلسطيني طرف رئيسي في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط .

" ٥ ـ وتعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقا لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه .

" ٦ ـ وتناشد جميع الدول والمنظمات الدولية أن تمد يد دعمها الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترداد حقوقه وفقا للميثاق .

" ٧ ـ وتطلب إلى الأمين العام أن يقيم اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية في كل الشؤون المتعلقة بقضية فلسطين "

وبموجب القرار ٣٢٣٧ (الدورة ـ ٢٩) الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ منحت منظمة التحرير الفلسطينية مركز المراقب الدائم في دورات الجمعية العامة وجميع المؤتمرات التي تعقد تحت إشراف الأمم المتحدة أو أي من وكالاتها المتخصصة . وهي صفة لم

يسبق أن منحت لأي من حركات التحرر الوطنية في تاريخ الأمم المتحدة .

وفي الدورة الثلاثين خطت الجمعية العامة خطوة أبعد باتخاذها سلسلة من القرارات أهمها القرار ٣٣٧٦ (الدورة ـ ٣٠) تاريخ ١٠/١١/١٩٧٥ . وفيه دعت الجمعية العامة ، من خلال إعادة تأكيد قرارها رقم ٣٢٣٦ السابق ، دعت منظمة التحرير الفلسطينية كممثل لشعب فلسطين إلى الاشتراك في جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الأوسط التي تعقد تحت إشراف الأمم المتحدة، على قدم المساواة مع الأطراف الأخرى . وفي الدورة ذاتها أعربت الجمعية العامة عن قلقها البالغ بسبب عدم تحقيق أي تقدم باتجاه الأهداف المذكورة في القرار ٣٢٣٦ ، وقررت تأليف لجنة من عشرين من الدول الأعضاء للبحث في ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة وفق أحكام القرار ٣٢٣٦ (٢٩) . وقد بدأت اللجنة المذكورة أعمالها ، وهي تقدم تقارير سنوية إلى الجمعية العامة التي تكرر سنويا التأكيد على مضمون القرار ٣٢٣٦ . وفي الدورة الرابعة والثلاثين المنعقدة عام ١٩٧٩ رفضت الجمعية العامة اعتماد ما جاء في اتفاقيات كامب ديفيد " ومعاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية " حول حقوق الشعب الفلسطيني ، وأعادت تؤكيد قرارها ٣٢٣٦ (٢٩) .

وفي ١٥/١٢/١٩٨٠ أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ١٦٩/٣٥ وقد استذكرت فيه جميع قراراتها السابقة حول حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ولاحظت بقلق شديد عدم امتثال (إسرائيل) هذه القرارات وبالتالي عدم تحقيق حل عادل لمشكلة فلسطين لأن هذه المشكلة ما زالت تؤدي إلى تفاقم النزاع في الشرق الأوسط الذي تمثل لبه ، وإلى تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر ، ولأن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ (١٩٦٧) لا يؤمن مستقبل الشعب الفلسطيني وحقوقه غير القابلة للتصرف التي يمثل تحقيقها شرطا لا بد منه لإيجاد حل عادل لقضية فلسطين .

وأكدت الجمعية العامة في هذا القرار توصيات اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف التي اعتمدتها الجمعية في دورتها الحادية والثلاثين ، وقد ورد في هذه التوصيات ما يلي بالنسبة لحله في تقرير المصير :

" أ ـ أن يضع مجلس الأمن جدولاً زمنيا لانسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي انسحابا كاملا من المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ .

" ب ـ قد يحتاج مجلس الأمن إلى توفير قوات مؤقتة لصيانة السلم بقصد تيسير عملية الانسحاب .

" ج ـ أن يطلب مجلس الأمن إلى إسرائيل أن تمتنع عن إنشاء مستعمرات جديدة ، وأن تنسحب خلال هذه الفترة من المستعمرات المنشأة منذ عام ١٩٦٧ ، وذلك مع وجوب الإبقاء على الممتلكات العربية وكل المرافق الأساسية في المناطق سليمة من غير مساس .

" د ـ أن يطلب إلى إسرائيل أن تمتثل امتثالا كاملا لأحكام اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب لعام ١٩٤٩ ، وأن تعلن ، ريثما يتم انسحابها العاجل من هذه الأراضي ، اعترافها بانطباق هذه الاتفاقية .

" هـ ـ أن تسلم الأمم المتحدة الأراضي التي ينمّ الجلاء عنها وجميع الممتلكات والمرافق فيها سليمة بغير مساس ، فتقوم بعد ذلك ، بالتعاون مع جامعة الدول العربية ، بتسليم هذه المناطق التي تم الجلاء عنها إلى منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلة الشعب الفلسطيني .

" و ـ أن تساعد الأمم المتحدة ، إذا اقتضى الأمر ، في إقامة خطوط مواصلات بين غزة والضفة الغربية .

"ز ـ أن تقوم الأمم المتحدة ، بمجرد إنشاء الكيان الفلسطيني المستقل ، وبالتعاون مع الدول المعنية مباشرة ومع الكيان الفلسطيني ، ومع مراعاة قرار الجمعية العامة ٢٣٧٥/ ٣٠ ، باتخاذ ترتيبات أخرى من أجل إعمال حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف إعمالا كاملا ، وحل المشكلات العالقة ، وإقامة سلم عادل ودائم في المنطقة وفقا لجميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بذلك .

" ح ـ أن تقدم الأمم المتحدة المساعدة الاقتصادية والتقنية اللازمة لدعم الكيان الفلسطيني " .

ولا تزال قضية فلسطين ، كبند مستقل ، تدرج سنويا على جدول أعمال الأمم المتحدة .

أما مجلس الأمن فقد درس قضية فلسطين من خلال تقارير لجنة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة .

جلي مما تقدم ولا سيما مما ورد في القرار ٣٢٣٦ (٢٩) أن الأكثرية الساحقة للمجتمع الدولي تمثلا في الجمعية العامة للأمم المتحدة تعترف بما يلي :

١) الفلسطينيون شعب كامل متكامل كما هو مقصود بالتعريف الوارد في الفقرة الثانية من المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة ، وليسوا مجرد أعداد من اللاجئين يتمتّعون بحق محدّد في العودة أو التعويض .

٢) الفلسطينيون شعب له قضية مشروعة يدافع عنها ويناضل من أجلها ، وله حقوق ثابتة مثله في ذلك مثل الشعوب الأخرى .

٣) من بين الحقوق الثابتة التي يقر المجتمع الدولي بها للفلسطينيين حقا العودة وتقرير المصير .

٤) الفلسطينيون كشعب له حقوقه الثابتة بما فيها حقا العودة وتقرير المصير يملكون جميع الوسائل المشروعة لإحقاق حقوقهم ، بما في ذلك الكفاح الوطني السياسي والعسكري وسواهما إذا أخفقت الوسائل الأخرى . وأي إجراء يتخذ لمنع الفلسطينيين من ممارستهم تلك مُنَدِّد به دوليا من قبل الأمم المتحدة التي تلتزم، منظمة ودولاً أعضاء ، بإعطاء الفلسطينيين جميع العون اللازم للوصول إلى حقوقهم الثابتة (الفقرة ٥ و٦ من القرار ٣٢٣٦) .

٥) الفلسطينيون ممثلين بمنظمة التحرير الفلسطينية هم الطرف الأساسي في النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، وبدون اشتراكهم التام والحر لن يكون هناك سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط . إذن فالمسألةالفلسطينية هي جوهر النزاع في هذا المنطقة .

ويلاحظ أن الجمعية العامة تحدثت في قرارها ٣٢٣٦ (٢٩) عن التعويض بديلاً للعودة ، وأصرت على العودة حقاً غير قابل للتصرف . وهذا الإصرار ينسجم مع طبيعة الأشياء ، فما دام الشعب الفلسطيني صاحب الحق في تقرير مصيره ، وما دامت أغلبية هذا الشعب تعيش خارج حدود إقليمه (فلسطين) ، فلا بد له من العودة إلى دياره حتى يتمكن من ممارسة حقه في تقرير المصير الذي حددت ممارسات الأمم المتحدة مضمونه ، وهو بإيجاز حق الشعب المعني في " أن يقرر بحرية ودون أي تدخل أجنبي وضعه السياسي ، وأن يتابع تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي " . وبالنسبة إلى الشعب الفلسطيني حدد القرار ٣٢٣٦ جانبا متميزا من مضمون حق تقرير المصير وهو الاستقلال والسيادة . غير أن الجمعية العامة ما زالت إلى هذا اليوم تقع في تناقض أساسي ، إذ إنها تعود أثناء اعتماد تقرير المؤتمر العام للأونروا إلى توكيد نص المادة ١١ من قرارها ١٩٤ (الدورة الثالثة) الذي يعالج مشكلة الفلسطينيين كلاجئين لهم الحق في العودة والتعويض .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي ، بيروت .

— Muhammad Aziz Shukri: **The Concept of Self Determination in the United Nations** 1965.

— Muhammad Aziz Shukri: **Self Determination . And the Palestinians,** Paper Presented to the « **Colloque Palestinien** » Brussels 1976.

التقسيم (لجنة ـ الفنية) : ر : رود هيد (لجنة ـ)

تقسيم فلسطين :

أ ـ لمحة تاريخية : نشأت فكرة تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ ، وكانت لجنة بيل * أول من اقترحها . وقد جاء في تقريرها المؤرخ في ١٩٣٧/٧/٧ : " ما دام العرب يعتبرون اليهود غزاة دخلاء ، وما دام اليهود يرمون إلى التوسع على حساب العرب ، فالحل الوحيد هو الفصل بين الشعبين ، فتؤلف دولة يهودية في الأراضي التي يكوّن اليهود أكثرية سكانها ودولة عربية في المناطق الأخرى " . وتكررت فكرة التقسيم مرة أخرى ـ ولكن في صورة مختلفة ـ أثناء مؤتمر لندن الذي عقد من ١٩٤٦/١٠/٢ إلى ١٩٤٦/٩/١٠ (ر : لندن ، مؤتمر ١٩٤٦) ، إذ عرضت بريطانيا على العرب ما أسمته مشروع النظام الاتحادي ، أو مشروع موريسون * ، وهو تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية هي :

١) المنطقة اليهودية ، وتشمل معظم الأراضي التي حلّ فيها اليهود إلى وقت عرض المشروع ، وكذا مناطق كبيرة بين المستعمرات اليهودية وحولها .

٢) القدس ، وتشمل القدس * وبيت لحم * والأراضي القريبة منهما .

٣) النقب * .

٤) المنطقة العربية ، وتشمل ما تبقى من أراضي فلسطين وتمنح كل من المنطقة العربية واليهودية استقلالا ذاتيا .

لكن العرب رفضوا كلا المشروعين ووقفوا بقوة ضد مبدأ تقسيم فلسطين مهما كانت صوره . وحين أدركت بريطانيا * فشل مساعيها الرامية إلى التقسيم بموافقة العرب ، اتجهت منذ انتهاء مؤتمر لندن سنة ١٩٤٦ إلى أن يتم تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية فيها عن طريق منظمة الأمم المتحدة التي كان للولايات المتحدة الأمريكية * نفوذ كبير داخلها في ذلك الوقت . وكانت الحركة الصهيونية بدورها قد بدأت تركز نشاطاتها وضغوطها على الحكومة الأمريكية لإدراكها أنها القادرة على تمرير التقسيم في المنظمة الدولية الجديدة .

ب ـ عرض قضية فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة : في ١٩٤٧/٤/٢ طلبت بريطانيا دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد أول دورة استثنائية لها لمناقشة مشكلة فلسطين. وفي ١٩٤٧/٤/١٣ وافقت أكثرية الأعضاء على هذا الطلب رغم معارضة الدول العربية التي شعرت أن الاجتماع لا مفر منه تحاول أن تضمّن جدول أعمال الدورة الاستثنائية موضوعا إضافيا تقصد منه توسيع مجال البحث حتى يشمل موضوع انتهاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين. غير أن هذا الطلب رفض بحجة أن حكم مسبقا على موضوع البحث . وبعد مناقشات مطولة شارك فيها أمام

اللجنة الأولى ممثلو الهيئة العربية العليا لفلسطين * وممثلو الوكالة اليهودية * قررت الجمعية العامة في ١٩٤٧/٥/١٥ (القرار ١٠٦ - الدورة الاستثنائية الأولى) تأليف ما عرف باللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين * (انسكوب) . وقد تألفت هذه اللجنة من أستراليا وكندا * وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا والهند وإيران وهولندا * والبيرو والسويد وأوروغواي ويوغسلافيا * . وقد حدد القرار مهمة اللجنة على النحو التالي : " سيكون للجنة الخاصة أوسع السلطات في التأكد من الحقائق وتسجيلها ، وفي تحري جميع المسائل والقضايا المتعلقة بقضية فلسطين . . .

" على اللجنة الخاصة القيام بالتحقيقات في فلسطين ، وحيث ترى أن ذلك قد يكون مفيدا ، وتتلقى الشهادات الخطية والشفهية من السلطة المنتدبة ، وممثلي سكان فلسطين ، ومن الحكومات والمظمات والأفراد ، وتدرسها ، كما ترى ذلك ضروريا ، وكما تعتبره ملائماً في كل حالة " .

وطلب القرار من اللجنة أن تعد تقريرا للجمعية العامة ، وأن تقدم الاقتراحات التي تراها ملائمة لحلّ قضية فلسطين في موعد لا يتعدى ١٩٤٧/٩/١ . ولم يتضمن القرار أي إشارة إلى استقلال فلسطين ، مما أدى إلى احتجاج الوفود العربية ، ومنها وفد الهيئة العربية العليا لفلسطين .

جـ - تقرير اللجنة الخاصة : عقدت اللجنة بين ١٩٤٧/٥/٢٦ و١٩٤٧/٨/٣١ ١٦ اجتماعا عاما و٣٦ اجتماعا خاصا في « ليك سَكْسِسْ» والقدس وبيروت وجنيف استمعت خلالها لبيانات سلطات الانتداب ، وشهادات ممثلي العرب واليهود ، واطلعت على الوثائق التي قدّمها كل منهم . وقد بدا واضحا من المعلومات التي حصلت عليها اللجنة أن الفلسطينيين العرب يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان (رغم تدفق اليهود على فلسطين خلال فترة الانتداب) . فقد قررت اللجنة رسميا أن عدد السكان العرب يصل إلى ١،٣٧٠،٣٧٤ في مقابل ٦٠٨،٢٢٥ من اليهود (والواقع أن عدد السكان العرب كان أكثر وعدد اليهود أقل من ذلك) . كذلك بدا واضحا من تقرير اللجنة أن العرب يملكون ما يزيد على ٨٦٪ من أراضي فلسطين (والنسبة الحقيقية أكبر) وأنهم - بموجب حقهم الطبيعي القانوني في البلاد - تواقون إلى الحصول على الاستقلال الناجز في دولة فلسطينية تستوعب من فيها من يهود بحقوق والتزامات مساوية للسكان الآخرين . أما الصهيونيون فكانوا مصرّين على ترجمة وعد بلفور " إلى واقع يقضي بإقامة دولة يهودية في فلسطين دون أي اعتبار لحقوق أهلها الشرعيين متعللين لذلك بأباطيل بنوا قسما منها على أساطير تاريخية ، وقسما آخر على ما جاء في وعد بلفور وصك الانتداب على فلسطين * .

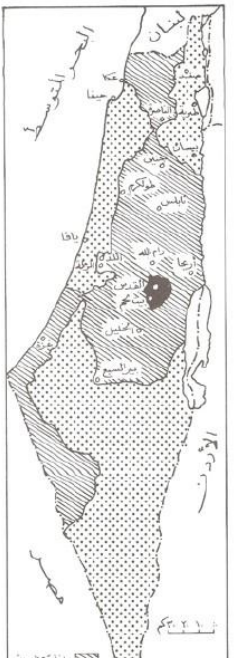

أمام هذا الواقع المادي البيّن في صالح القضية العربية ، والذي لم تملك اللجنة إلا أن تسجله في تقريرها (الوثيقة ٣٦٤/أ.ج ، ٤) كان عليها أن تصل إلى النتيجة المنطقية المنسجمة معه والتي عبرت عنها أقلية أعضائها . إلا أن أغلبية أعضاء اللجنة الذين لم يتم

اختيارهم عشوائيا اتجهت في مقترحاتها بطريقة تخالف تماما مسببات هذه المقترحات .

تضمن تقرير اللجنة الخاصة بفلسطين توصيات وافق عليها الأعضاء الأحد عشر بالإجماع ، وتقضي بضرورة إنهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال ، على أن تسبق ذلك مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة أثناءها مسؤولة أمام منظمة الأمم المتحدة ، مع بقاء الصبغة الدينية للأماكن المقدسة .

أما بعد ذلك فقد انقسمت اللجنة إلى أكثرية وأقلية تقدمت كل منهما مشروعا . وقد اقترح مشروع الأكثرية أن تقسم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ترتبطان فيما بينهما باتحاد اقتصادي . أما الدولة العربية فتتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي * الممتد من أسدود * في الجنوب إلى الحدود المصرية ، وتدخل في هذا منطقة الخليل وجبال القدس * وغور الأردن . وعلى هذا خصص للدولة العربية حوالي ٤٢,٨٨٪ من المساحة الكلية لفلسطين . أما سكانها فكانوا حوالي ٧٢٥,٠٠٠ عربي و١٠,٠٠٠ يهودي . في حين تضم الدولة اليهودية الجليل الشرقي وسرج ابن عامر * والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بير السبع بما فيها النقب ، أي أنه خصص لها ما يقرب من ٥٦,٧٤٪ من المساحة الكلية لفلسطين ، أما سكانها فكانوا حوالي ٤٩٨,٠٠٠ من اليهود و٤٩٧,٠٠٠ عربي . ويوجب هذا المشروع تُجعل للقدس كيان مستقل تخاضع لنظام دولي خاص ، وتتولى الأمم المتحدة إدارتها ، ويعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة . وتشمل مدينة القدس في وضعها المقترح " بلدية القدس الحالية مضافا إليها القرى والبلدان المجاورة حتى أبو ديس شرقا وبيت لحم جنوبا وعين كارم * غربا ، وتشمل معها المنطقة المبنية من قرية قالونيا * " . وكان في مدينة القدس ١٠٠ ألف يهودي و١٠٥ آلاف عربي .

واقترحت أقلية اللجنة التي ضمت مندوبي إيران والهند ويوغسلافيا أن تقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالا داخليا وتتألف منهما دولة اتحادية واحدة عاصمتها القدس . وقد امتنعت أستراليا عن دعم أي من هذين المشروعين لأنها شعرت " أن كليهما يضعف إمكان اتخاذ قرار عادل من قبل الجمعية العامة " .

د - الجمعية العامة كلجنة خاصة : في ١٩٤٧/٩/٣ جعلت الجمعية العامة نفسها لجنة خاصة لبحث كلا المشروعين . وقد مثلت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في هذه اللجنة التي عقدت ٣٤ اجتماعا بين ٢٥ أيلول و٢٥ تشرين الثاني . استمعت هذه اللجنة الخاصة مرة أخرى إلى أقوال الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية . وكان مجاميا الدفاع عن تقرير الأكثرية ممثلي غواتيمالا وأرغواي " وقد غُمرا كلاهما بالهدايا الصهيونية وليا بعد الإسرائيلية " . ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية حافظت على صمتها السياسي لبضعة أسابيع بعد تأليف اللجنة الخاصة إلا أنها كشفت القناع عن وجهها أخيرا ، كما سجل وزير دفاعها أنذل فورستال في مذكراته . وكان تصريح وزير الخارجية الأمريكية مارشال الذي أدلى به في ١٧ أيلول وقال فيه " إن الولايات المتحدة تولي أهمية كبرى لخطة التقسيم " ذا مغزى بالنسبة لما تبع ذلك . ففي ١١ تشرين الأول قام الممثل الأمريكي في اللجنة الخاصة بالإعلان رسميا عن دعم الولايات المتحدة خطة الأكثرية بالتقسيم ، وللهجرة اليهودية . وقد اتخذ الاتحاد السوفياتي * موقفا مماثلا بعد يومين فقط . وكان أحد شروط هذا القرار الأساسية أن يكون هناك اتحاد اقتصادي ضمن خطة التقسيم نظرا لأن ٦٠٪ من أحسن المناطق في فلسطين وهي المناطق التي أدرجتها الأكثرية في الدولة اليهودية المقترحة كانت ستصبح تحت حكم أقل من ثلث السكان (اليهود) .

بعد أن ناقشت الجمعية العامة ، بصفتها لجنة خاصة ، تقرير اللجنة التي أوصت أكثريتها بالتقسيم شكلت لجنتين فرعيتين ، أوكلت إلى إحداهما تقديم مشروع الأكثرية (أي التقسيم) ، وإلى الثانية تقديم تقرير عن مشروع الأقلية (أي الدولة الموحدة المستقلة) .

وقد قدمت اللجنة الفرعية الثانية تقريرا معللا يرفض مشروع التقسيم ضمنته ثلاثة مشاريع قرارات ، رفضتها الجمعية العامة ومضمون مشروع القرار الأول عدم تمتع الجمعية العامة بالسلطة القانونية التي تخولها تقسيم فلسطين . وأوصى المشروع الثاني بالتعاون الدولي لمعالجة مشكلة اللاجئين . ودعا المشروع الثالث إلى إنشاء دولة فلسطينية موحدة مستقلة .

وقد جاء في هذا التقرير ما يأتي :

" ينبغي النظر في مسألة تقسيم فلسطين في ضوء كل من أحكام الانتداب على فلسطين التي تفسرها المبادىء العامة الواردة في عهد عصبة الأمم * ، وأحكام ميثاق الأمم المتحدة . . . وبناء على ذلك فإن اقتراح الأكثرية في اللجنة الخاصة بضرورة تقسيم فلسطين ، بصرف النظر عن الاعتراضات السياسية والأدبية الأخرى التي قد وزنها ، يتعارض مع أحكام صك الانتداب المحددة ، وبعد انتهاكا مباشرا لمبادىء وأهداف عهد عصبة الأمم . ويتعارض الاقتراح أيضا مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، ولا تملك الأمم المتحدة أية وسيلة لتنفيذه . إن الأمم المتحدة ملزمة بموجب المادة الأولى من الميثاق بأن تعمل وفقا لمبادىء العدل والقانون الدولي ، وأن تحترم المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيره . . . ولا يمكن بأي حال اعتبار فرض التقسيم على

فلسطين ضد الرغبات الصريحة لأغلبية سكانها احتراما لأي مبدأ من مبادىء الميثاق المذكورة ، أو عملا بها " .

وقد قامت هذه اللجنة الفرعية التي درست توصية الأقلية بإقامة دولة اتحادية مستقلة بتلخيص مبرراتها في تقرير ورد فيه :

١) أن أي حل لفلسطين لا يمكن أن يعتبر حلا للمشكلة اليهودية بشكل عام .

٢) وأن التقسيم اقتراح غير عملي وغير ممكن التنفيذ ، ومن المستحيل أن يؤدي إلى قيام دولتين لهما القدرة على الاستمرار بشكل معقول .

٣) وأن المجتمع الدولي يخطىء خطأ جسيما إن لم يوجه كل جهوده نحو الحفاظ على وحدة فلسطين ، وأن تأييد الأمم المتحدة لتلك الوحدة سيكون ، في حد ذاته ، عاملا هاما لتشجيع التعاون بين الشعبين .

٤) " وأنه لا يمكن تصور أن تعتبر فلسطين بأي شكل من الأشكال وسيلة لحل مشكلة يهود العالم . فالمساحة ، والموارد المحدودة ، والمعارضة القوية والمستمرة من الشعب العربي الذي يشكل غالبية سكان البلاد ، عوامل تتعارض تعارضا مباشرا وقويا مع أي اقتراح كهذا " .

بعد أن استمعت اللجنة الخاصة للجمعية العامة إلى تقرير اللجنتين الفرعيتين ابتدأ التصويت على المقترحات التي كانت تمثل وجهة نظر العرب . ودعا الاقتراح الأول إلى دعوة محكمة العدل الدولية لكي تقرر صلاحية الأمم المتحدة لمعالجة موضوع فلسطين ، لكن الاقتراح رفض بأكثرية ٢٥ صوتا مقابل ١٨ وامتناع ١١ دولة عن التصويت . وبالعكس صوتت ٢١ دولة مقابل ٢٠ دولة على أن للأمم المتحدة صلاحية التوصية بتطبيق التقسيم دون حاجة إلى موافقة أكثرية شعب فلسطين . ومن الجدير بالملاحظة أن الأرجنتين واليونان وهايتي وليبيريا كانت من بين الدول التي دعمت وجهة نظر العرب حول كلا الاقتراحين ، ثم غيّرت معظمها مواقفها فيما بعد .

ودعا اقتراح ثالث إلى امتصاص اليهود الذين لا مأوى لهم من قبل الدول أعضاء الأمم المتحدة . وقد صوتت ١٦ دولة إلى جانب هذا القرار و ١٦ مثلها ضده وامتنع عن التصويت ٢٦ . وتراقع المندوبون العرب وأصدقاؤهم القلائل ضد التقسيم بكل ما أوتوا من حجج قانونية وسياسية وإنسانية ، لكن دفوعهم كلها وقعت على آذان صمّاء . فقد كانت الولايات المتحدة يدفع من الخزينة الصهيونية قد أبعدت أية فسحة لفرة الحجة . وهكذا ، في ١٩٤٧/١١/٢٥، وافقت اللجنة الخاصة على خطة التقسيم مع وحدة اقتصادية بين الدولتين : العربية واليهودية بأكثرية ٢٥ صوتا مقابل ١٣ صوتا وامتناع ١٧ . وقد اختلف مضمون هذا القرار عن خطة الأكثرية في اللجنة الخاصة بفلسطين بأنه انقص المنطقة المخصصة للدولة اليهودية بجعله يافا * وحوالي ٥٠٠ ألف فدان من منطقة النقب من حصة الدولة العربية . ورفع الأمر إلى الجمعية العامة التي تحتاج في اتخاذ مثل هذه القرارات لأغلبية ثلثي أعضائها الحاضرين والمشتركين في التصويت . ولما كانت الأغلبية التي أقر بها مشروع التقسيم في اللجنة الخاصة غير كافية لإقراره في الجمعية العامة فقد صعدت الولايات المتحدة الأمريكية وممها حليفتها الصهيونية العالمية حملاتها لكسب مزيد من الأصوات في الجمعية العامة مستخدمة في ذلك ما تهيأ لها من وسائل الترغيب والترهيب مع الدول الأعضاء أو ممثليها .

هـ ـ الجمعية العامة وتقسيم فلسطين : شعرت الوفود العربية ان عامل الزمن لا يسير لصالح القضية الفلسطينية فركزت جهودها على سرعة التصويت على مشروع قرار التقسيم أملا في إحباطه . وفي مساء ٢٦ تشرين الثاني كاد يحدث التصويت في الجمعية العامة فعلا ، ولو جرى يومها لسقط مشروع التقسيم حتما . لكن رئيس الجمعية العامة مندوب البرازيل أجل الجلسة بحجة ضيق الوقت وكثرة طالبي الكلام . وأبدى المندوبون العرب استعدادهم لسحب طلباتهم بالكلام من أجل التسريع في عملية التصويت ، لكن رئيس الجمعية العامة أصر على رفع الجلسة ربما تتجاوز الساعة السادسة والنصف مساء في حين كان أمرا عاديا أن تستمر جلسات الجمعية إلى ساعات متأخرة من الليل . وكان رئيس الجمعية ، كما سجل ممثل الفيليبين ، ينفذ دوره في لعبة تأجيل التصويت لكسب الأغلبية اللازمة لإقرار التقسيم تاما كما خطط له البيت الأبيض والحركة الصهيونية العالمية .

في وصف مساعي الحركة الصهيونية للضغط على الدول المعارضة للتقسيم لتغيير مواقفها كتب الصهيوني دافيد هوروفيتس يقول " بقيت فينا روح الكفاح ثابتة . اجتمعنا في مكاتب الوكالة وتشاورنا في الطرق والوسائل الكفيلة لتغيير مجرى الأحداث . وبدأ الصراع من جديد . دقت أجراس الهواتف بشكل محموم . أرسلت البرقيات إلى كل أنحاء العالم . أيقظنا أناسا من نومهم في منتصف الليالي وأرسلناهم في مهام غريبة . والأغرب من كل ذلك أنه ما من يهودي ذي نفوذ سواء أكان صهيونيا أم غير صهيوني رفض أن يعطينا العون في أي وقت كان ، فقد وضع الجميع إمكاناتهم ، صغيرة كانت أم كبيرة ، في خدمة المحاولات اليائسة لترجيح كفتنا " .

وقد تكشفت فيما بعد أسباب تغيير بعض الدول مواقفها وازدياد الأصوات الموالية للتقسيم خلال ثلاثة أيام فقط ، فقد أشار هوروفيتس إلى أهمية العسكر الأمريكي اللاتيني ووصف المحاولات التي جرت لدى هذه الدول بأنها كانت " ناجحة بشكل

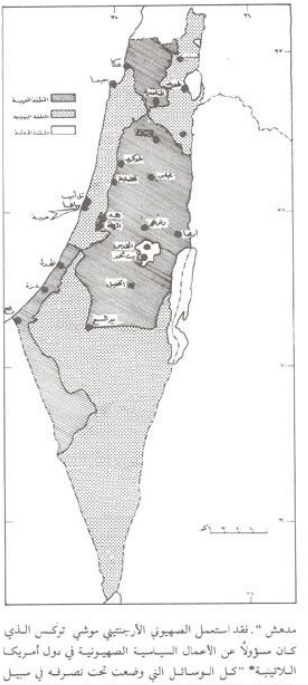

مدهش ". فقد استعمل الصهيوني الأرجنتيني موشي تركس الذي كان مسؤولاً عن الأعمال السياسية الصهيونية في دول أمريكا اللاتينية* "كل الوسائل التي وضعت تحت تصرفه في سبيل الإقناع" ، " وكان ناجحا وضليعا في استعمال وسائل عديدة ، كشرح المواقف ، والتقرب ، والضغط ، واستعمال السلطة . لقد التصق بالهاتف ليلا ونهارا يتكلم مع عواصم الجمهوريات في أمريكا اللاتينية ، بينما أرسل وسطاءه إلى قسم من هذه القارة ".وكان من بين أنشط الدعاة للقضية الصهيونية الكاردينال سيلمان رئيس أساقفة نيويورك للكاثوليك . كما تأكد أن جوسي فيجويرس ، وهو رئيس جمهورية سابق لكوستاريكا ومن أصل يهودي ، أعطى دفتر شيكات" على بياض " لشراء الضمائر . وفي الوقت نفسه استلمت زوجات ممثلي دول أمريكا اللاتينية هدايا كثيرة معظمها من الماس ومجوهرات الفرو الثمينة . وقد أعاد الممثل الكوبي المعارض لفكرة التقسيم معطف فرو قدم هدية إلى زوجه . وفي الوقت نفسه رفض هذا الممثل الروسي طلبات كثيرة بالتحدث لمصلحة الصهيونية . وقد أشار الممثل الكوبي نفسه فيما بعد إلى وجود هذه الضغوط ، وإلى أن صوت دوله هايتي جرى ضمانه عن طريق أدولف بيرل الذي وعد بإعطاء مساعدات اقتصادية أمريكية لهذه الدولة كي تصوت إلى صالح التقسيم ، وفعلا أعلن الممثل الهايتي الذي كان قد صوّت ضد التقسيم في اللجنة الخاصة أن حكومته أمرته بتغيير صوته لأسباب اقتصادية .

وهكذا تآزرت الولايات المتحدة الأمريكية كحكومة وكرسميين مع الحركة الصهيونية في شراء الضمائر والأصوات اللازمة لتمرير التقسيم . حدث ذلك متلاً مع غواتيمالا عن طريق روبرت ناثان رجل الأعمال الأمريكي الذي استخدم ، بعلم الحكومة الأمريكية ، نفوذه الاقتصادي لشراء صوت هذه الدولة . وحدث ذلك أيضا مع ليبيريا التي هُددت بالضغط عليها من شركة فايرستون إن هي لم تتحول من موقف الامتناع عن التصويت في هذه اللجنة الخاصة إلى موقف التأييد للتقسيم في الجمعية العامة . وحدث ذلك مع الفيليبين التي تعرض رئيس وفدها لضغوط حملته على ترك مقر الأمم المتحدة بعدما أعطى أوامره المشددة بالتصويت ضد التقسيم ، لكن رئيس جمهوريته ذاته تدخل وأمر وفده بالتصويت إلى جانب التقسيم . وثمة حالة أخرى كان لها أهمية خاصة نظراً للظروف التي أحاطت بها ، وهي السحب المفاجىء لأوراق اعتماد ممثل سيام ، فقد كان وضع هذا المندوب قلقا بسبب انقلاب وقع ضد حكومته ، غير أن الأمر ما كان يستدعي سحب أوراق اعتماده لولا أنه كان قد أعلن أنه سيصوّت ضد التقسيم . ولقد اعترف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هاري ترومان بمدور بلاده في شراء أصوات مؤيدي التقسيم في مذكراته . وقد أكد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية أنشذ روبرت لوفيت دور البيت الأبيض في الضغط على الدول لحملها على مجاراة التقسيم حين كتب " أنه لم يتعرض في حياته قط لمثل هذا الضغط الذي تعرض له خلال الأيام الثلاثة بدءاً من صباح الخميس وحتى مساء السبت " . وكان هربرت بايرد سوب وروبرت ناثان من بين أولئك الذين تدخلوا لديه . وأكد «سمنر ويلز» أن البيت الأبيض كان يلعب دورا مباشراً في الموضوع ، فقد استخدم ممثلين وسطاء للتأكد من ضمان الأكثرية اللازمة . ويؤكد دافيد هوروفيتس ذلك بصراحة مطلقة

حين يقول : " إن الولايات المتحدة استعملت تأثيرها في اللحظة الأخيرة . ويجب أن يعزى التصويت النهائي إلى هذه الحقيقة " .

كان يوم الخميس في ١٩٤٧/١١/٢٧ يوم عيد الشكر ، فلم تجتمع الجمعية العامة . وحين اجتمعت يوم الجمعة لم يتكلم أحد ، فاقترح السفير الفرنسي تأجيل الاجتماع ٢٤ ساعة لكي يعطي الوقت لمحاولات التوفيق . وجاء هذا التأجيل لمصلحة الصهيونية ، فما إن أطل يوم ١٩٤٧/١١/٢٩ حتى كانت الجهود المشبوهة قد أثمرت لصالح التقسيم . وشعر المندوبون العرب أن كفة الميزان رجحت ضدهم فحاولوا كسب الوقت لعل الأمور تتغير ، واقترحوا مشروعاً وسطاً يدعو لإنشاء دولة موحدة في فلسطين تقوم على نظام لا مركزي ، وتضمن حقوق الأقلية اليهودية . وقد طرح هذا المشروع صباح السبت ١٩٤٧/١١/٢٩ ، لكن مندوبي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معاً عارضا حتى مناقشة المشروع ، وأصرا على التصويت على مشروع التقسيم الذي فاز بأغلبية ٣٣ صوتاً مقابل ١٣ صوتاً وامتناع ١٠ أعضاء . وهكذا صدر القرار رقم ١٨١ (الدورة - ٢) الذي سجل بداية مأساة الشعب العربي الفلسطيني مع الأمم المتحدة .

و - التصويت : صوّت إلى جانب قرار التقسيم كل من : أستراليا ، بلجيكا ، بوليفيا ، البرازيل ، روسيا البيضاء ، كندا ، كوستاريكا ، تشيكوسلوفاكيا ، الدانمارك ، الدومينيكان ، إيكوادور ، فرنسا ، غواتيمالا ، هايتي ، إيسلندا ، ليبيريا ، لوكسمبورغ ، هولندا ، نيوزيلاندا ، نيكاراغوا ، النروج ، بنما ، بارغواي ، بيرو ، الفيليبين ، بولندا ، السويد ، أوكرانيا ، جنوب إفريقيا ، الاتحاد السوفيتي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، أورغواي ، فنزويلا .

وعارض قرار التقسيم كل من : أفغانستان ، كوبا * ، مصر ، اليونان ، الهند ، إيران ، العراق ، لبنان ، الباكستان * ، المملكة العربية السعودية ، سورية ، تركيا ، اليمن .

وامتنعت عن التصويت كل من : الأرجنتين ، تشيلي ، الصين ، كولومبيا ، السلفادور ، الحبشة ، هندوراس ، المكسيك ، إنكلترا ، يوغسلافيا .

ز - مضمون قرار التقسيم : عنوان القرار رقم ١٨١ (الدورة ٢) : " التوصية بخطة لتقسيم فلسطين " . وهو يقع في مقدمة وأربعة أجزاء على النحو التالي :

الجزء الأول ويتضمن دستور فلسطين وحكومتها المستقلة . وفيه نصوص حول إنهاء الانتداب ، والتقسيم ، والاستقلال ، والخطوات التمهيدية لهذا الاستقلال . وفي هذا الجزء فصل خاص بالأماكن المقدسة والأبنية والمواقع الدينية ، وفصل ثالث خاص

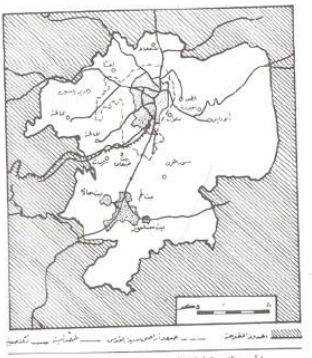

الحدود المقترحة لمنطقة القدس من قبل لجنة التقسيم ١٩٤٧ .

بالحقوق الدينية وحقوق الأقليات ، وفصل ثالث خاص بالمواطنة والاتفاقيات الدولية والالتزامات المالية ، وفصل رابع يتضمن أحكام الاتحاد الاقتصادي الفلسطيني بين الدولتين العربية واليهودية . ومجموع أحكام هذه الفصول يشكل هيكل التصريح الذي يفترض أن ترفعه الحكومة المؤقتة لكل من الدولتين إلى الأمم المتحدة قبل الاستقلال .

أما الجزء الثاني فيصف حدود الدولة العربية والدولة اليهودية . وقد رسمت هذه الحدود على خارطة اعتبرت الملحق أ للقرار .

أما الجزء الثالث من القرار ١٨١ فهو مخصص للوضع الاستثنائي لمدينة القدس من حيث نظامها الخاص ، وإدارتها ، وموظفوها واستقلالها المحلي ،والتنظيم التشريعي والقضائي فيها ، وربطها بالاتحاد الاقتصادي الفلسطيني ، وحرية العبور والزيارة ، وعلاقتها بالدولتين ، واللغات الرسمية فيها ، والمواطنة وامتيازاتها، ووضع الأماكن المقدسة فيها .

وجاء الجزء الرابع من القرار خاصاً بإنهاء الامتيازات التي يمكن أن تكون الدول الأجنبية قد تمتعت بها في فلسطين أثناء الحكم العثماني .

ح - قرار التقسيم والقانون الدولي : إن قرار الجمعية العامة ١٨١ بتقسيم فلسطين يتعارض مع أحكام القانون الدولي التي جاء بها ميثاق الأمم المتحدة للأسباب التالية :

١) فهو قد صدر بالمخالفة لواحد من أهم أهداف المنظمة الدولية ، أي حق الشعوب في تقرير مصيرها (المادة ١ ف ٢) لأن إعمال هذا الهدف كان يتطلب احترام رغبة أغلبية سكان فلسطين في تقرير مستقبل بلدهم .

٢) والقرار يفتقر من جهة أخرى إلى أي سند قانوني . فالجمعية العامة لا تملك سلطة التصرف بدون ضابط في شؤون الأقاليم الموضوعة تحت الانتداب ، وفلسطين منها . لأن ميثاق الأمم المتحدة أنشأ نظام الوصاية لكي يحل محل نظام الانتداب بموجب اتفاقات للوصاية تبرمها الأمم المتحدة مع الدول صاحبة الشأن . وقرر الميثاق أنه إلى حين وضع اتفاقات الوصاية يجب استمرار العمل بالاتفاقات الدولية القائمة . ومعنى هذا أن الجمعية العامة عند نظرها للمشكلة الفلسطينية كان عليها أن تدخل في مفاوضات لوضع فلسطين تحت الوصاية ، وأن تقرر إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين إذا كان قد حقق أغراضه في تهيئة الإقليم للاستقلال .

٣) ليس في ميثاق الأمم المتحدة ما يخول الجمعية العامة أو أية هيئة رئيسة أخرى في المنظمة الدولية تقسيم إقليم محدد دوليا خلافا لرغبة سكانه .

٤) إن قرار التقسيم ، استطرادا وجدلا ، يجافي العدالة من حيث توزيع الأراضي بين الدولتين وإمكانية حياة كل منهما . فقد منح الدولة اليهودية أجود الأراضي الفلسطينية ، وأعطاها السلطة السياسية على مساحة أكبر من المساحة التي خصصت للدولة العربية (١٢،٢٠٠ كم٢ في مقابل ١٤،٤٠٠كم٢ للدولة اليهودية) فضلا عن أن نصف سكان الدولة اليهودية تقريبا كانوا من العرب الذين يمتلكون ما يزيد على ثلثي ما في تلك الدولة من عقارات وأراض .

وإضافة إلى هذا كله يُعدّ قرار التقسيم في الفقه الدولي ـ وخاصة السائد حين صدوره ـ توصية غير ملزمة صدرت وفقا للمادة العاشرة من الميثاق . وهذه التوصية لا يمكنها ، بأي حال من الأحوال ، أن تمس الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني* ، ومن عجب أن (إسرائيل) وحلفاءها اذ يتمسكون بهذا القرار ـ التوصية ، ويضفون عليه صفة الإلزام القانوني المطلق ، لا يقيمون وزنا لأي من قرارات الجمعية العامة اللاحقة الخاصة بفلسطين وشعبها وحقوقه الثابتة مدعين أنها مجرد توصيات لا إلزام قانونياً لها .

المراجع :

ـ ريتشارد ب . ستيفنز : الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية ١٩٤٢ ـ ١٩٤٧ ، بيروت .
ـ محمد طلعة الغنيمي ومحمد سامي عبد الحميد : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الإسكندرية ١٩٦٧ .
ـ محمد حافظ غانم : العلاقات الدولية العربية ، القاهرة ١٩٦٥ .
ـ مصطفى عبد العزيز : التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .
ـ محاضر الدورة الاستثنائية الأولى للجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومحاضر اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين .
ـ محاضر الدورة الثانية للجمعية العامة للأمم المتحدة .

التقسيمات الإدارية : ز : الإدارة

تقي الدين الجمّاعيلي :

ز : عبد الغني بن عبد الواحد الجمّاعيلي

تقي الدين بن عبد القادر الغزّي (ـ ١٠١٠هـ) (ـ ١٦٠١م) :

التميمي ، الداري ، الغزّي ، المصري ، الحنفي . لم تفصّل المصادر في نشأته العلمية ، واكتفت بأنه أخذ عن كثير من علماء عصره ، ورحل في سبيل العلم إلى مختلف البلاد ، كرحيله الى بلاد الروم (تركيا) .

كان ذا دراية بالعلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والتاريخ ، وقد تولّى منصب القضاء* ، وله مصنفات تدل على سعة علمه .

ومن أحسن مصنفاته وأهمها : كتاب « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » ، وهو من خير الكتب في مجاله . وقد جمع فيه تراجم رجال المذهب الحنفي* حتى نهاية القرن العاشر الهجري ، ورتّبه على حروف المعجم . ومن كتبه حاشيةٌ على شرح بدر الدين ألفية والده ابن مالك . و« مختصر يتيمة الدهر للثعالبي » و « مختصر ذيل يتيمة الدهر » ، وتذكرته المعروفة بتذكرة تقي الدين التميمي ، و « السيف البراق في عنق الولد العاق » ضنّفه في ذم ابنه العاق .

تولّى تقي الدين القضاء بالجيزة ، وفوّه ، وقوينة . وقد ضاق بمنصب القضاء ، وله شعر في هذا المعنى .

يعدّ تقي الدين من متأدبي عصره . وله شعر رنان . وقد ذكر شيئاً من شعره في كتابه الطبقات السنية . وذكر الخفاجي والمحبي شيئاً منه . وكانت بينه وبين الخفاجي مراسلات . وكان الخفاجي قد سمع عليه مصنفاته .

تولى في مصر .

المراجع :

ـ الخفاجي : ريحانة الألباء ، القاهرة ١٢٧٣هـ .

– المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
– تقي الدين الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية .
– حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١ .
– عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٦١ .
– إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إستانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

تقي الدين النبهاني (١٩٠٩ ـ ١٩٧٩) :

مؤسس حزب التحرير الاسلامي ورئيسه ، ولد في قرية إجزم * قضاء حيفا ، وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة القرية ، وحفظ القرآن الكريم ومبادىء علوم الفقه واللغة العربية على يد والده الشيخ إبراهيم النبهاني ، ثم أوفده جده لأمه إلى مصر فالتحق بالجامع الأزهر وأتمّ فيه دراسته وحصل على شهادة العالمية . ثم انتسب إلى دار العلوم في القاهرة حيث استزاد من تحصيله العلمي ،وخاصة في اللغة العربية . بعد أن حصل على شهادتها العلمية عاد إلى فلسطين وبدأ حياته العلمية مدرّساً في حيفا * ، فالخليل * ، ثم التحق بسلك القضاء * الشرعي وتدرج في وظائفه الكتابية في المحاكم الشرعية في حيفا ، ويافا * ، والقدس * ، وعين قاضياً شرعياً في المحكمة الشرعية في بيسان * فالخليل ، فالرملة * واللد * ، وذلك حتى سنة ١٩٤٨ حين غادر الرملة واللد بعد نكبة ١٩٤٨ إلى بيروت واستقرت أسرته فيها . وعلى إثر إلحاق الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية عيّن مفوضاً في محكمة الاستئناف الشرعية في بيت المقدس ، ثم استقال من عمله في سلك القضاء الشرعي ، وعمل مدرّساً في الكلية الإسلامية في عمان .

عرف النبهاني باهتمامه بالشؤون العامة ، وقام سنة ١٩٥٢ بإنشاء حزب التحرير الذي يدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية وقيام الدولة الإسلامية . وتفرغ لقيادة هذا الحزب ، فاستقال من التعليم في الكلية الإسلامية ، وأخذ يتنقل بين الأردن وسورية ولبنان ، يحمل دعوة الحزب المذكور التي شملت هذه الأقطار وامتدت إلى عدة أقطار عربية وإسلامية أخرى .

وضع الشيخ تقي الدين النبهاني عدة كتب شرح فيها الأفكار الإسلامية التي تقوم عليها دعوة الحزب . وقد تبنى الحزب هذه الأفكار ، وأصبحت هذه الكتب تؤلف في مجموعها الثقافة العامة لحزب التحرير ، ومنها الكتب التالية : نظام الإسلام ، والنظام الاقتصادي في الإسلام ، والنظام الاجتماعي في الإسلام ، ونظام الحكم في الإسلام ، والدستور الإسلامي ، ونقطة الانطلاق ، والتكتل الحزبي ، ومفاهيم حزب التحرير ، بالإضافة الى كراسات ونشرات وأبحاث أخرى .

ظل الشيخ تقي الدين النبهاني يواصل دعوته التي تعرضت إلى كثير من المصاعب حتى توفي في مدينة بيروت ، ودفن فيها.

التكـايـا :

التكية هي الكلمة التركية المسايرة للخانقاه وللزاوية . لذلك فإن البحث عن التكايا في فلسطين يتناول الخوانق أو الزوايا التي أسسها العثمانيون فيها وأطلق عليها اسم تكايا ، وكذلك الزوايا التي غلب عليها اسم تكايا في العصر العثماني مع أنها أنشئت قبل ذلك العصر (ر : الخوانق والربط والزوايا) .

وكلمة « تكية » نفسها كلمة غامضة الأصل ، وفيها اجتهادات ؛ فبعضهم يرجعها إلى الفعل العربي « وكأ وانكأ » بمعنى : استند أو اعتمد ، خاصة أن من معاني كلمة « تكية » بالتركية الاتكاء والتوكؤ والاستناد إلى شيء للراحة والاسترخاء . ومن هنا تكون التكية بمعنى مكان الراحة والاعتكاف . من جهة أخرى يعتقد المستشرق الفرنسي كلمان هوار ان الكلمة أتت من « تكية » الفارسية بمعنى « جلْد » ، ويعيد إلى الأذهان أن شيوخ الزوايا الصوفية كانوا يجعلون جلد الحروف أو غيره من الحيوانات شعاراً لهم .

وعلى أية حال فإن الكلمة كانت تطلق عند العثمانيين على ثلاثة أشياء :

١) مقام أو مزار أحد الأولياء .
٢) زاوية أو خانقاه يقيم فيها الدراويش والصوفية .
٣) خان أو نزل لراحة الحجاج والمسافرين (مثل تكية السلطان سليم في دمشق) .

وكانت هذه المعاني جميعاً مستعملة في فلسطين ، ولكن المعنى الغالب هو المعنى الثاني ؛ وهو ان التكية مكان يقيم فيه الدراويش ، ويأكلون مجاناً ، ويقضون أوقاتهم في العبادة وفي الذكر الذي كثيراً ما كان يصحب بالرقص والموسيقى . وفي كثير من الأحيان تحدّد معنى التكية ، بحيث أصبحت التكية ، في المعنى الأكثر شيوعاً ، منشأة لتقديم الوجبات الشعبية المجّانية للفقراء والمجاورين ، وخاصة خَدَمة الأماكن المقدسة ، دون أن يكون لذلك علاقة مباشرة بالدراويش والصوفة .

كان عدد التكايا في فلسطين في العهد العثماني كبيراً ، حتى إن الرحالة التركي أوليا چلبي الذي زار فلسطين في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي قال إنه كان في القدس * تكايا

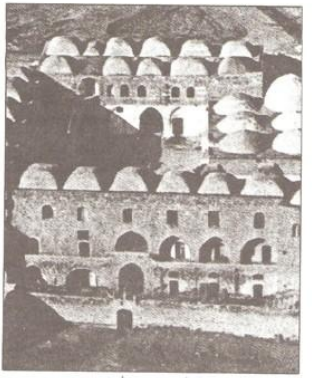

مقام النبي موسى قرب أريحا

لسبعين طريقة منها النكبلانية ، (الجيلانية) ، والبدوية ، والسعدية ، والرفاعية والمولوية . وكانت هذه الطرق نفسها منتشرة في السوقت نفسه في نابلس * والخليل * وغيرهما من المدن الفلسطينية . وفي الوقت الذي أخذت فيه المدارس تضمحل زمن العثمانيين بقيت الزوايا والتكايا وانتعشت ، وازداد عدد الصوفية والدراويش ، خاصة في نابلس والخليل والقدس . وابتداء من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وحتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كانت المناطق المجاورة للحرمين في القدس والخليل ملأى برجال الطرق الصوفية .

وبالرغم من أن أكثر ما كان يطلق عليه اسم «تكايا» زمن العثمانيين كان زوايا أو حوانق أسست قبل العصر العثماني فإن الفترة العثمانية في فلسطين شهدت نشوء تكايا كثيرة جديدة في القدس وجنين * ونابلس وغيرها . ومن أهم التكايا الجديدة التكايا التالية :

١) التكية المولوية : تقع هذه التكية بحارة السعدية في القدس . أنشأتها الدولة العثمانية لأتباع الطريقة المولوية التي كان بنو عثمان يؤيّدونها فانتشرت بسرعة . بناها قومندان القدس خداوند كاريك سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م . وكان تعيين شيخ التكية يأتي من الشيخ الأعلى للطريقة في قونية (الأناضول) . والتكية (الخانقاه ، الزاوية) مؤلفة من طبقتين كانت الأولى طابقين ، الطابق الأول كان كنيسة للصليبيين تدعى كنيسة القديسة أغنس *St. Agnès* حوّلها الأتراك إلى مسجد ، ثم بنوا فوقها طبقة ثانية . وبناؤها بناء جميل متواضع له مدخل ضيق وجدران بيضاء .

كان للتكية أملاك وأوقاف للإنفاق عليها اندثرت كلها، وتوفي قبل سنوات آخر شيخ من شيوخها ، وهو الشيخ عادل المولوي الطرابلسي الأصل .

والطريقة المولوية التي تبنّتها الدولة العثمانية أسسها جلال الدين الرومي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ / ١٢٠٧ - ١٢٧٣م) الشاعر الفارسي المشهور في قونية ببلاد الأناضول . وهي طريقة دراويش تمتاز برقص دائري مشهور وموسيقي . وكانت الطريقة موجودة في القدس قبل الاحتلال العثماني .

وقد ثبّت السلطان سليم ، عندما زار القدس ، رئيس الدراويش المولوية « أخفش زاده » في وظيفته ومنحه ٥٠٠ أقجة صدقات . وفي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كان في القدس عدد كبير من أتباع الطريقة المولوية ، وكان الواحد منهم يتقاضى ٥٠٠ أقجة . وقد زار التكية ووصفها سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م الشيخ عبد الغني النابلسي * المتصوف الشهير .

٢) تكية خاصكي سلطان : تقع في مدينة القدس في عقبة التكية المعروفة باسم عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية . أنشأتها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥١م ووقفت عليها أوقافاً كثيرة كانت منتشرة في سناجق القدس وغزة وصفد وصيدا . أشرف على بناء التكية الأمير بايرام جاويش بن مصطفى الذي أشرف على عمارة سور القدس . وكانت التكية من أهم المنشآت التي أقامها العثمانيون في فلسطين لمساعدة الفقراء وطلبة العلم في القدس ، وظلت حتى الستينات من القرن العشرين تقدم الطعام للفقراء .

٣) تكية فاطمة خاتون : فاطمة خاتون ابنة محمد بك ، وحفيدة السلطان قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك ، وزوجة لالا مصطفى باشا من رجالات العثمانيين . وقد بنت في جنين جامع جنين الكبير سنة ٩٧٤هـ وحبست عليه أوقافاً كثيرة . كما أقامت تكية بجانب الجامع تقدم الطعام والمأوى للأغراب والمسافرين . وألحقت بالجامع والتكية خاناً وعشرين دكاناً يصرف من ريعها على التكية والجامع ووجوه البر والإحسان . كما وقفت حصصها من أملاكها في صفد ودمشق وحمص وحماه وحلب .

وهاتان التكيتان ، أي تكية خاصكي سلطان وفاطمة خاتون ، لم تكونا للصوفية والدراويش بشكل خاص ، وإنما كانتا في الأساس لتقديم الطعام للمحتاجين والمسافرين .

أما المؤسسات (الزوايا او الخوانق او الربط او المقامات) السابقة للعصر العثماني التي اكتسبت اسم تكايا في هذا العصر ، أو كان وصف تكية يطلق عليها بين أوصاف أخرى ، فأشهرها التكايا التالية :

١) تكية سيدنا الخليل : كانت تسمى « سماط سيدنا الخليل » في عهد المماليك * وقبله . وقد أنشىء السماط (وهو ما يقدم عليه بالطعام ونحوه) منذ عهد قديم جداً ، وقد ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو (٤٣٨هـ / ١٠٣٦م) ونسب بدايته الى إبراهيم الخليل * عليه السلام . وقد وقف عليه حكام المماليك أوقافاً سنية ، وأُنفق في هذا العصر بالرباط المنصوري الذي عمّره السلطان المملوكي قلاوون بن عبد الله* (ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) .

وفي العصر العثماني أطلق على السماط اسم تكية سيدنا الخليل . وهي تعرف بهذا الاسم إلى الآن . ولا تزال التكية عامرة ، تقدم الخبز و« الدشيشة » للواردين والفقراء (رَ : الخليل ، الزوايا والتكايا والربط في ـ) .

٢) تكية النبي موسى : في أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بنى الظاهر بيبرس * مقام النبي موسى بين القدس وأريحا * . وقد أوجد مع المقام تكية على ظهرها غرف تشبه الخانات للنوم والإقامة خدمة لزوار النبي موسى . وكان هؤلاء الزوار يفدون في شهر نيسان من كل عام على وجه الخصوص . ووقف بيبرس الأوقاف التي تدرّ على التكية مبالغ كافية لإطعام حشد كبير من الزوّار طوال وجودهم هناك .

٣) تكية المغربي : هو اسم آخر للخانقاه الصلاحية * التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي * في حطّين . ورد ذكرها في رحلة أوليا چلبي السائح التركي في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وقال إنها دعيت بهذا الإسم نسبة إلى شيخ مغربي عيّنه صلاح الدين شيخاً لها .

٤) تكية عيون التجار : وهي خان صار يطلق عليه اسم تكية . ويضم الخان حصناً أيضاً . وهو يقع في خربة عيون التجار بقضاء طبرية . أقيم الخان سنة ٨٤٣هـ / ١٤٤٠م زمن المماليك الشراكسة ، ورمّمه وجدّده الوزير العثماني سنان باشا (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م) . وكان هذا الخان (التكية) يقع على الطريق بين دمشق وبيت المقدس من جهة ومصر من جهة أخرى . تحدث عنه عبد الغني النابلسي في الحضرة الأنسية فقال : " ثم سرنا (بعد زيارة المُنيّة على بحيرة طبرية) حتى أقبلنا على تكية عيون التجار قدخلنا التكية والجملة ، فعيون التجار منزل حسن يليق أن ينزل به عيون التجار . . . وفيه يفترق المسافر الذاهب إلى مصر جهة الغرب والذاهب إلى بيت المقدس " .

٥) التكية الدرويشية : تقع إلى الجنوب الشرقي من جامع النّبية بنابلس ، وفيها أضرحة أهمها ضريح الدرويش مراد الرومي . وقد زارها الشيخ عبد الغني النابلسي (١١٠١هـ / ١٦٨٩م) ، وقال :

" فيها ضريح شيخ الكمال ومعدن السلوك والحقيقة الدرويش مراد الرومي رحمه الله تعالى . فلما وصلنا إلى بيت فيه ذلك الضريح ، وعليه هيبة التقديس والتسبيح ، قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى هناك بالكتابة والتصريح ، ثم خرجنا إلى إيوان لطيف قبالة روض وريف وأشجار باسقة وورد يانع الغصون وعرايش عنب تطلّ من تحتها لتكوّن في المكان بركة لطيفة بها الماء يجري فياضا من تلك الخضرة الشريفة " .

توقفت التكية الآن وأصبحت مساكن لسدنتها من آل البسطامي بعد أن درست أوقافها .

٦) تكية السري السقطي : في جبل جرزيم غربي نابلس مقام للسري السقطي المتصوف المشهور المتوفى سنة ٢٥١ أو ٢٥٣هـ / ٨٦٥ أو ٨٦٧م ، وهو خال أبي القاسم الجنيد الصوفي المشهور وأستاذه . والسري السقطي مات ودفن في بغداد ، ولكنه نزل نابلس ونُبي له مقام فيها . وكان في هذا المقام في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي تكية وصفها الرحالة أوليا چلبي بأنها تكية كبيرة يجمى فيها شيخ الدراويش الذاكر مساء كل خميس ، ويراقق ذلك دق الطبول والدفوف حتى الصباح .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ محمود العابدي : الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .
ـ عارف العارف : المفصّل في تاريخ القدس ، القدس ١٩٦١ .
ـ عبد الغني النابلسي : الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، مصر ١٩٠٢ .
ـ إحسان النمر : المختصر من كتاب : الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، نابلس ١٩٧٢ .
ـ كامل العسلي : معاهد العلم في بيت المقدس ، عمان ١٩٨١ .
ـ ناصر خسرو : سفر نامة ، (مترجم) ، القاهرة ١٩٤٥ .
ـ إحسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبقاء، نابلس ١٩٦١ ـ ١٩٧٥ .

تـــل : ر : الجزر
ر : دامية
ر : الدوير
ر : عاصود
ر : عراد
ر : العمارنة
ر : القاضي
ر : قدح
ر : المتسلم
ر : وقاص

التـل (قـريـة ـ) : ر : النهر ـ التل (قرينا ـ)

تـل أبيـب (مدينـة ـ) :

يعني اسمها تل الربيع (أبيب كلمة عـبـريـة معنـاهـا في الأصـل السنبلة الخضراء ، ثم أصبح الربيع) ، نشأت على رقعة محدودة من التلال * الرملية المحصورة بين السهل الساحلي * والبحر المتوسط . وهي أكبر مدينة يهودية صرف في فلسطين ، وتلتصق بمدينة يافا * العربية .

تقع تل أبيب في منتصف السهل الســاحـلي لفلســطين ، وهي عقـده مـواصلات هـامـة للطرق البـريـة * والـسـكك الحـديـديـة * تتفـرع منهـا جميعها طرق معبدة وخطوط سكك حديدية نحو الشمـال والجنوب والشرق . ولها مطار صغير يدعى « سده دوف » يستقبل الطائرات التي تعمل على الخطوط الجوية الداخلية . ميناؤها صغير لضحالة مياه البحر أمامه ، وبعد خامس ميناء في فلسطين بعد حيفا * وأشدود * وإيلات * وعسقلان . ولما كانت منطقة تل أبيب ، بعد الغزوة الصهيونية ، تضم أكبر تجمع حضري في فلسـطين يشتمـل على نحو ثلث سكان البلاد ، وأعلى كثافة سكانية ، وأكبر وأطول شبكة مواصلات ، فإنها أصبحت تعد القلب الرئيس لفلسـطين ، مَنْ يسيطر عليها يتحكم في الطرق المؤدية إلى جميع أرجاء فلسطين .

انشئت تل أبيب في ١٩٠٩/٥/٣٠ من قبل جمعيتي « أحوزات بايت » و« تعلات بنيامين » كضاحية حدائق يهودية على منطقة كثبان رملية شمالي يافا . ثم تطورت على مراحل في صورة أحياء متباعدة . وكان عدد منازلها ٢٠٤ منازل في عام ١٩١٤ . وقد ظلت ضاحية تابعة لمدينة يافا حتى عام ١٩٢١ عـنـدمـا فصلت عن بلدية يـافـا وأصبح لها بلدية مستقلة . وفي ذلك العام كان مجموع بيوتها ٨٠٠ بيت ، وزاد عدد الأحياء السكنية فيها .

شهدت تل أبيب في عهد الانتداب البريطاني تطوراً كبيراً في نموها العمراني بسبب استمرار تزايد عدد سكانها نتيجة تدفق المهاجرين الصهيونيين عليها . فقد توسعت مساحة المدينة ، وانتشر عمرانها ، وزاد سكانها . ومما عددهم من ١,٩٤٠ نسمة عام ١٩١٨ إلى ٣٤,٢٠٠ نسمة عام ١٩٢٥ ، وإلى ٨٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٣٣ ، وإلى ٢٦٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ . وبعد عام ١٩٤٨ ضمت إليها مدينة يافا التي أخليت من معظم سكانها العرب خلال حرب ١٩٤٨ * . وقد أعيد تخطيط مدينتي تل أبيب ويافا على أساس أنهما مدينة واحدة . وتابعت تل أبيب نموها السريع بعدئذٍ فوصل عـدد سكـانها في عـام ١٩٥٦ إلى ٣٦٥,٠٠٠ نسمـة ، وإلى ٤٣٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٧ وإلى ٤٦٨,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ ، وقد تخطط لها كي تستوعب نحو نصف مليون نسمة في عام ١٩٨٢ .

من أشهر أحيائها رامات أفيف ، وكيرزون ، وتـهـالا ، وهاتيكفة ، وتل باروخ . ومن أشهر شوارعها شارع هايركـون ، وشارع أحادهاعام ، وشارع بولينار رونشيلد ، وشارع هـاكيريا . وفي تل أبيب وزارة الدفاع ، وإدارة المخابرات ، وإدارة الشرطة ، ووزارة الإسكان ، ووزارة الداخلية . وفيها قاعدة تموين وقود بحرية ، وقاعدة زوارق ، ورحبة تصليح ، ومطار ، وملاجىء

ضخمة مزودة بكيفيات الهواء والتدفئة المركزية . ومحطة لمراقبة الإشعاعات النووية .

وتساهم تل أبيب ، منذ الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم ، في تأدية وظائفها المتعددة كمركز إداري وتجاري وصناعي وثقافي . فهي مركز للخدمات والتجارة والأعمال المالية . أقيمت فيها أيام الانتداب دور الطباعة والنشر وبعض الصناعات الخفيفة كصناعة المنسوجات والمواد الاستهلاكية والمأكولات ، وكانت تضم ١٥٢ وحدة صناعية عام ١٩٢٦ ، و ١,٥٠٠ وحدة عام ١٩٣٣ ، ثم تضاعف العدد فوصل إلى ٣,٢٠٠ وحدة عام ١٩٤٣ ، وهو ما كان يعادل نصف الصناعات الصهيونية في فلسطين آنذاك . وتعد تل أبيب حالياً محور الاقتصاد في الكيان الصهيوني تتجمع فيها المصانع والمصارف والمتاجر . وتوجد فيها مصانع المنسوجات الحريرية ومعامل الجوارب والحلويات والمرطبات ومصانع اللفائف (السجاير) والألبسة الجاهزة والأحذية وقطع الأثاث وصفائه ، وهي عقدة مواصلات هامة تضم مركز شبكة الخطوط الحديدية ، إلى جانب كونها مركزاً علمياً وثقافياً فيه مكتب المطبوعات، ومركز المعلومات العلمية والتقنية ، ودائرة الارتباط العلمي ، ومعهد المعادن ، ومعهد الإشعاع والنظائر ، ومعهد العلوم الفضائية ، وجامعة تل أبيب ، وجامعة بارإيلان ، وعدد من المدارس الدينية العليا و ٤١٠ مدرسة أخرى . وفي تل أبيب ١٤ مستشفى ، و ١٥٠ متحفاً ، و ٤٠ داراً للسينما ، ومسرحان ، ومحطة إذاعة ، وعدد كبير من الفنادق والمراكز السياحية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ، ١٩٧٢ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ محمد إبراهيم الشاعر : جغرافية فلسطين العسكرية ، بيروت ١٩٧٠ .

تل التُرمُس (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمالي شرق غزة* قريبة من طريق غزة ـ القدس الرئيسة المارة بالمجدل* . وقد نشأت القرية منذ قرن من الزمان تقريبا فوق تل يرتفع زهاء ٧٠ م عن سطح البحر . وتمرّ بطرفها الجنوبي وادي بروسير الذي ينتهي في وادي صقرير . ويعود اسمها إلى كثرة الترمس الذي كان ينبت في أراضيها . وقد امتد عمران القرية شرقاً وغرباً على مساحة ٣٥ دونماً ، ومعظم مبانيها من اللّبن .

بلغت مساحة أراضي القرية ١١,٥٠٨ دونمات منها ١٦٠ دونماً للطرق* والأودية . وتوجد في أراضيها بعض الآثار القديمة . وقد تزايد عدد سكانها من ٣٨٤ نسمة سنة ١٩٢٢ إلى ٧٦٠ نسمة سنة ١٩٤٥ . وكان معظمهم يعتمد في معيشته على زراعة الحبوب* والخضيات* والخضر* .

طرد الصهيونيون سكان تل الترمس عام ١٩٤٨ ، ودمروها ، وأقاموا على أراضيها مستعمرة « تموريم » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين . مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

تل حاي (صندوق ـ) : رَ : المظمة الصهيونية الجديدة

تل السفر (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

تل الشمّام (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

تل الشّوك (قرية ـ) :

قرية عربية تقع غرب مدينة بيسان* على حدود قضاء جنين . وتربطها طريق فرعية معبدة بمدينة بيسان ، كما تربطها طرق فرعية تمهد بقرى الأشرفية* وفرونة* والسامرية* .

أقيمت قرية تل الشوك في أقصى الطرف الغربي من سهل بيسان قرب الحافة الغربية للسهل عند أقدام جبال نقّوعة . وتنخفض ١٠٠ م عن سطح البحر . وتوجد عيون المدوّع على بعد نصف كيلومتر جنوبي غرب القرية ، وتغذي مياهها وادي المدوّع أحد روافد وادي شوباش* الذي يرفد بدوره نهر الأردن* . وتل الشوك صغيرة المساحة اشتملت في عام ١٩٤٥ على ثلاثين بيتاً ينتظمها مخطط مستطيل . وكانت القرية شبه خالية

من المرافق والخدمات العامة . وقد ضمت تل أنقاض وعليه آثار أسس . وتوجد أمثال هذه الآثار في الجهتين الشمالية الشرقية والشرقية من القرية حيث يقع على التوالي تل الشمدين وتل الذهب . وتوجد بعض الآثار أيضاً في موقع عين المدوّع في الجهة الجنوبية الغربية ، وموقع عين العاصي في الجهة الشمالية (ر : الخرب والأماكن الأثرية) .

تشمل الشوك أراضي مساحتها ٣,٦٨٥ دونماً منها ٢٩٠ دونماً للطرق * والأودية ، و٣,١١٦ دونماً تسربت للصهيونيين . وتتميز أراضي تل الشوك بخصب تربتها وتوافر مياهها الجوفية ، لذا ازدهرت الزراعة * فيها ، وبخاصة الزراعة المرويّة التي تنتج الحبوب * والخضر * وأشجار الموز * والحمضيات * .

كان في تل الشوك ٥٨ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وانخفض عدد سكانها في عام ١٩٣١ إلى ٤١ نسمة ، ثم ازداد عددهم في عام ١٩٤٥ إلى ١٢٠ نسمة . وقد طرد الصهيونيون خلال حرب ١٩٤٨ * السكان العرب ، ودمروا بيوتهم ، واستولوا على ممتلكاتهم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحتا جنين ويافا ـ تل أبيب .

تل الصافي (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الشمال الغربي من مدينة الخليل * . وهي قريبة من حدود قضاءي غزة والرملة . وتبعد قرابة ١٠ كم إلى الجنوب الشرقي من القسطينة * التي تمر بها طريق غزة ـ جولس ـ القدس الرئيسة المعبدة . ويربطها درب تمهد بتلك الطريق الرئيسة ، كما تربطها دروب تمهدا أخرى بقرى مفلس * وعجّور * وبرقوسية * وبعلين * وتل الترمس * . وكان لموقعها شأن عظيم أثناء الحروب الصليبية .

نشأت قرية تل الصافي فوق أحد التلال التي تمثل الأقدام الغربية لمرتفعات الخليل . وتحيط بموضعها الذي يراوح ارتفاعه ما بين ١٥٠ و١٧٥م عن سطح البحر أودية هي الجاري العليا لوادي برسيا المتجه غرباً والمسار بقريبي تل الترمس والقسطينة . ويحف وادي عجور بالطرف الشمالي لتل الصافي ، في حين يجري وادي النار * في طرفها الغربي . تألفت تل الصافي من بيوت اللبن والحجر التي اتخذت في مخططها شكل النجمة ، فامتدت المباني في محاور بمحاذاة الدروب الخارجة من القرية . اشتملت القرية على خدمات ومرافق عامة كالسوق والمسجد وبئر الشرب ، ويوجد في طرفها الشرقي مقام الشيخ محمد ، كما توجد فيها آثار قلعة صليبية وجدران ومداقن ومغارة (ر : الخرب والأماكن الأثرية) . انجه نموها العمراني في الجهات الأربع ، حتى إن مساحتها وصلت إلى ٦٨ دونماً . وتحيط بها الخرائب الأثرية من جميع الجهات ، مثل خرائب نعدم وذكر وعطربة واسطاس والصافية والبطم .

بلغت مساحة أراضيها ٢٨,٩٢٥ دونماً منها ١١ دونماً للطرق * والأودية و ١,١٢٠ دونماً تسربت إلى الصهيونيين . وأراضيها الزراعية ذات سطح منبسط إلى متموج ، وتنتج مختلف أنواع الحبوب * وبعض أنواع الخضر * والأشجار المثمرة . وقد غرس الأهالي ٥٢١ دونماً بأشجار الزيتون * إلى جانب الأشجار المزروعة الأخرى كالعنب * والتين واللوز والتفاح وغيرها . وتتركز زراعة الفواكه في الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية من القرية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار ، وهي كافية لنمو المحاصيل الزراعية ، ولنمو الأعشاب الطبيعية التي ترعاها الأغنام والماعز .

بلغ عدد سكان تل الصافي في عام ١٩٢٢ نحو ٦٤٤ نسمة . وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٩٢٥ نسمة يقيمون في ٢٠٨ بيوت ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٢٩٠ نسمة .

احتل الصهيونيون قرية تل الصافي عام ١٩٤٨ ، ودمروها بعد أن طردوا سكانها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

التـــلال :

التلال في فلسطين تلال طبيعية وتلال اصطناعية تتوزع في أنحاء شتى من البلاد ، ولا سيما في تلك البقاع القليلة الارتفاع التي لا يزيد علوها على ٤٠٠ ـ ٥٠٠ م عن سطح البحر . لكن هناك تلالا في أجزاء تقع دون مستوى سطح البحر أيضا ، كما هي الحال في منطقة غور الأردن والأغوار الثانوية المتفرعة منه (رَ : الغور) .

والتل من الناحية الجغرافية يعني مرتفعات وعلوات قبابية أو مخروطية أو غير ذلك من الأشكال التي لا يتجاوز ارتفاعها عن سطح البحر أو السطح العام المحيط بها مقدار ٣٠٠ م على الأغلب ، وإن كان هناك من يرفع الرقم لأكثر من ذلك ، أما الارتفاع الأدنى فقد لا يزيد على بضعة أمتار . وقد يكون هذا المفهوم معنى نسبي ، فبعض الجبال تسمى تلالا ، كما هي الحال بالنسبة إلى تل عاصور * الواقع شمال ـ شمال شرق مدينة القدس * ، إذ تصل أعلى قمة فيه إلى ١٠٠١٦ م عن سطح البحر . كما يطلق على بعض الكثبان الرملية أو الرمل التي لا يزيد ارتفاعها عن ٢ ـ ٥ م اسم التلال أيضا في بعض أجزاء فلسطين .

من جهة ثانية لا بد من معرفة أن ما يميز التلال الاصطناعية من التلال الطبيعية هو أنها ، أي التلال الاصطناعية ، في أصولها ذات قاعدة طبيعية تلية قليلة العلو زادت أعمال الإنسان ومخلفاته الحضارية من ارتفاعها تراكم وتكدس الخرائب والأنقاض فوق التل (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

قدر عدد القرى التي كانت قائمة في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر بنحو ٧٠٠ قرية منها قرية ٦٠٠ قرية قامت ولمت أصلا فوق علوات أو مرتفعات معظمها تلال طبيعية أو تلال طبيعية ـ اصطناعية . وكان السبب في نشأة القرى فوق التلال والمرتفعات الأخرى الابتعاد عن السهول والمنخفضات لتوفير الأرض الزراعية والمرعى من جهة ، ولتجنب أخطار الفيضانات والمستنقعات * من جهة ثانية ، ولتأمين الحماية وسهولة الدفاع تجاه أي اعتداء على السكان من جهة ثالثة . لكن القرى والتجمعات السكانية الأخرى الأحدث لم تعد تتقيد بما تقدم من أسباب ، فانتشرت في السهول والمنخفضات ومن المدن الفلسطينية القديمة التي قامت على تلال : مجدو وأريحا * وجازر (تل الجزر) وبيسان * ولاخيش * (تل الدوير) ، وغزة * القديمة (تل العجول) ، وتل الحسي . ومن المدن التي قامت على مرتفعات جبلية : صفد * والناصرة * والقدس وبيت لحم * والخليل * وغيرها .

وقد دخلت كلمة « تل » العربية اللغات الأجنبية كمصطلح علمي يقصد به التل الأثري الاصطناعي . وجرت حفريات أثرية في الكثير من التلال الفلسطينية كشفت عن حضارات قديمة في البلاد .

أما التلال الطبيعية فهي أكثر انتشارا ، وتكثر في الشريط الساحلي ، أي في السهل الساحلي الفلسطيني * وسهل عكا * حتى حدود فلسطين مع لبنان . وتنتشر أيضاً في نطاق أقدام جبال فلسطين الوسطى وسفوحها الغربية ، وفي وادي الأردن والغور * ، ولا سيما في منطقة (الكنار) . وتوجد أيضا في القب * جنوبي فلسطين . وتختلف أشكال وبنية التلال في كل منطقة من المناطق الأربع المذكورة .

أ ـ تلال السهل الساحلي الفلسطيني : تمتاز تلال السهل الساحلي الفلسطيني بكونها رملية البنية والتركيب مؤلفة من كثبان ورواب رملية ثابتة قديمة ذات حبات وذرات رملية يربطها ملاط كلسي يمنع انتقالها مع الرياح . ويغلب اللون الأحمر على هذه الرمال ، وتعرف في فلسطين باسم الكركر أو الكركار (رَ : التربة) . والسائد في أشكال تلال الكركر الشكل الطولي المؤلف من سلاسل متوازية تتفق مع صور سير الساحل . وعدد هذه السلاسل ثلاث متتالية من الغرب باتجاه الداخل . ويرى بعض الباحثين أن هذه السلاسل التلية شواهد على تغيرات في مستوى البحار والمحيطات في الفترات الرباعية الجليدية والفترات الدافئة البينية (أي بين الفترات الجليدية الباردة) . وقد يصل ارتفاع بعض تلال الكركر إلى أكثر من ١٠٠ م ، ويراوح عرضها بين ٣٠٠ و٥٠٠ م ، أما أطوالها فقد تصل إلى أكثر من كيلومتر . ولولا قيام أنهار الساحل والأودية السيلية المنتهية في البحر المتوسط التي تمر خلال فتحات شقتها ضمن سلاسل الكركر لشكلت هذه التلال أشرطة مستمرة على طول الساحل دون انقطاع تقريبا . وتتقارب سلاسل الكركر بعضها من بعض مسافة بضع مئات الأمتار في الشمال ، ومسافة ١ ـ ٣ كم في سهل سارونة * ، و٤ ـ ٥ كم في الجنوب .

إلى جانب تلال الكركر الثابتة توجد في السهل الساحلي الفلسطيني ، قريبا من الساحل ، تلال رملية أخرى هي الكثبان الرملية الحديثة التكوين . وهي كثبان متنقلة تتحرك باتجاه الداخل ، لذا فإنها كثيرا ما تطغى على تلال الكركر وتغطيها ، وتزحف على السهول المنبسطة وتضر بالحقول والبساتين والمنشآت الاقتصادية والطرق * . وقد عمل الإنسان على تثبيت هذه الرمال بالنباتات ، وقام بتجفيف المستنقعات التي تتكون خلف تلال الكركر نتيجة تجمع مياه السيول والأنهار وعدم تمكنها من الوصول إلى البحر المتوسط .

ب ـ تلال أقدام الجبال : تنتشر هذه التلال عند نهايات السفوح الغربية لجبال فلسطين الوسطى (جبال الخليل * ، وجبال القدس * ـ رام الله ، وجبال نابلس *) ، ونطاق انتقالها بالهوامش الشرقية للسهل الساحلي الفلسطيني . وهي تلال متفرقة ذات أشكال متعددة وارتفاعات متفاوتة .

وهي من الناحية العددية أقل من تلال السهل الساحلي الفلسطيني ، لكنها أعلى منها بصورة عامة . ونشوء هذه التلال مرتبط بالأعمال الجيومورفولوجية ، أي أعمال الحتّ والحفر والتعرية في الصخور * ذات القساوات المتباينة . لذا تنتشر في الأماكن التي ترتفع فيها كثافة أودية شبكة مائية (نهرية دائمة أو سيلية مؤقتة) حيث تتعمق الأودية مكوّنة التلال في المساحات الواقعة بين الأودية ووراقدها . إن الارتفاع العام القليل (٣٠٠ ـ ٤٠٠ م) ، وطراوة الصخور على الغالب ، وانخفاض شدة انحدار السفوح والمجاري المائية الذي يقلل أعمال الحفر والتعمق ، كلها عوامل ساعدت على نشوء التلال في هذا النطاق الأرضي .

يتصل معظم هذه التلال بجسم أقدام الجبال ، وتتقدم نحو الغرب على شكل مهاميز تلّية ، استغل الإنسان موقعها وارتفاعها عا حولها فأقام قراه وتجمعاته السكانية الأخرى على قممها المطلّة على أراضي السهل الساحلي في الغرب .

جـ ـ تلال غور الأردن : تسقط السفوح الشرقية لجبال فلسطين على أرض الغور بانحدارات شديدة قاسية وعن ارتفاعات كبيرة نسبية لا تسمح بتكوين التلال إلاّ ما ندر . لكن أرض الغور نفسها مكوّنة من ترسبات بحيرية طرية من المارن والمواد الرخوة الأخرى ، تعرف بتكوينات اللسان (نسبة إلى شبه جزيرة اللسان في البحر الميت *) وتنصب على ستويات متدرجة فوق أرض زور نهر الأردن (أو سهله الفيضي) . وقد أثرت السيول والروافد الهابطة من الجبال ، الصابّة في نهر الأردن * في هذه الأراضي الطرية الصخور ، فتخددت تكوينات اللسان بشدة وتحزّزت إلى تلال محروطية لا حصر لها ، تعرف في غور الأردن باسم الكتار (جمع كتر) ، وتعني : سنام الجمل . وهي ما يعرف في الجغرافيا الطبيعية باسم الأراضي الرديئة . وتلال الكتار هذه صغيرة ، بيضاء اللون ، قليلة الارتفاع (١٥ ـ ٣٠ م) ، طرية المواد ، ذات مظهر جاف لانعدام الغطاء النباتي ، ولقلة الأمطار الهاطلة عليها (أقل من ٢٠٠ مم) .

د ـ تلال جنوب فلسطين : تتنوع تلال جنوب القطر فتشتمل على الأنواع السابقة إلى جانب التلال ذات المظهر الصحراوي الجاف ، والمعروفة بالقارات أو القور (جمع قارة) في المناطق العربية المشابهة . والقارة تل مرتفع عما حوله من أرض يغلب عليها الانبساط ، وجوانب القارة شديدة الانحدار ، وقمتها مستوية على شكل مائدة منفردة . وقد تكون القارة ذات شكل غريب يعرف بالتل القطري لكونه شبيها بنبات القطر العريض في الأعلى الضيق المختصر في القاعدة . والغالب على التلال القطرية والقارات كون أعاليها وسطوحها مؤلفة من طبقات صخرية قاسية دونها طبقات أقل قساوة أو طرية . كما هي الحال في التلال المنتشرة شمال غرب خليج العقبة * عند أقدام جبال النقب الجنوبي ، والمنتشرة في وسط النقب بين حوض وادي الدانا * ووادي جرافي * وتمتاز القارات بمواقعها القريبة من حافات جروف صخرية وأطراف هضاب كانت تتصل بها ثم انفصلت عنها نتيجة أعمال الحتّ والتعرية .

أما التلال الرملية ، وكذلك التلال الشبيهة بتلال الغور من نوع الكتار (الأراضي الرديئة) فتنتشر في شمال وشمال شرق النقب ، وغرب وجنوب غرب بئر السبع * ، وبشكل خاص جنوب غرب بئر السبع حيث تمتد مساحات واسعة من الأغشية الرملية أهمها رمال الخلصة . وتختلف التلال الرملية هنا عن تلال الكوكر بأنها أقل تماسكا ، ومحاورها تكاد تكون شرقية غربية ، وبأنها قليلة الثبات نسبيا . أما تلال الكتار فمشابهة لتيلالها في الغور مع اختلاف المادة المكوّنة لها هنا والمؤلفة من تربة اللوس المتصلبة المتماسكة التي حفرت فيها السيول والرياح مساراتها وخلفت وراءها تلال الكتار الطرية المواد .

وأخيرا فإن تلال أقدام الجبال في جنوب فلسطين متعددة ، وتؤلف مظهرا انتقاليا بين تلال أقدام السفوح الغربية لجبال فلسطين الوسطى الأنفة الذكر ، والتلال من نموذج القارات . وكثيرا ما يتداخل النموذجان على امتداد حضيض الكثير من الجبال والمرتفعات في النقب ، وعلى جوانب وادي عربة * الغربية .

وتكوّن التلال في فلسطين ، بأنواعها السابقة الذكر ، نطاقا انتقاليا بين تضاريس الجبال والهضاب من جهة ، والسهول والمنخفضات من جهة ثانية ، باستثناء التلال الرملية ذات الأصل الكثيبي بصورة خاصة . لذلك فإنها كانت بالغة الأهمية كمواقع لإقامة التجمعات السكانية القرى والمدن عليها منذ القدم وحتى مطلع القرن العشرين للأسباب التي وردت في بداية الحديث عن التلال .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٢٥٠,٠٠٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ١٠٠,٠٠٠ ، جمع اللوحات .
ـ خريطة فلسطين الجيولوجية : مقياس ١: ٢٥٠,٠٠٠ .

التلمود :

التلمود كلمة عبرانية تعني التعليم مشتقة من « التلمذة » . ويعتبر التلمود « السنّة » في الشريعة اليهودية ، أو التوراة الشفهية التي تعلق أو عمل بها كبار الأحبار . ويتضمن التلمود مجموعة من

القوانين والأحكام والوصايا السياسية والحقوقية والمدنية والدينية عند اليهود ، مع شروحها التي كان يتم تداولها بين رجال الدين وأتباعهم في بادئ الأمر مشافهة . وبعد أن تضخمت واتسع نطاقها بتزايد شروحها والإضافات عليها وأصبح من المتعذر الاعتماد على المشافهة قامت مجموعة من الأحبار اليهود بتدوينها فظهر التلمود .

ويعتقد معظم المؤرخين أن انهيار الكيان السياسي للطائفة اليهودية على يدي القائد الروماني تيتوس عام ٧٠ م ، قد أقنع اليهود بصواب فكرة الابتعاد عن ممارسة السياسة التي لا تجلب إلاّ الويلات ، ومحاولة التركيز على إنشاء رابطة فكرية أو دينية قوامها خواطر رجال الدين حول أمور الحياة المختلفة . وقد قام عدد من أحبار اليهود بكتابة هذه الخواطر لتصبح دستورا ينظّم لليهود حياتهم بعيدا عن أي تأثير خارجي . وقد أنكرت فئة من اليهود ، وهم القرّاؤون ، التلمود بعد كتابته ، في حين آمن معظم اليهود بما جاء فيه وادّعوا أن ما كتب في التلمود كان يوحى به ، وهؤلاء هم الرّبانيّون .

والتلمود اثنان : التلمود المقدسي ، أو الأورشليمي ، نسبة إلى بيت المقدس ، والتلمود البابلي نسبة إلى بابل . وقد وضع التلمود المقدسي حاخامون من بيت المقدس عرفوا باسم « أمورايم » ، أو المفسّرين ، في حين وضع التلمود البابلي كبير أحبار مدينة سوره قرب بغداد المدعو راشي أو رب اشي ، وأتمّه أحبار آخرون في أواخر القرن الخامس الميلادي . ويتضمن ستة وثلاثين مبحثا كتبت بالآرامية مع بعض الشروح بالعبرية وشغلت قرابة ٢,٩٤٧ صفحة . ويتميز بالرغم من قلة عدد مباحثه بالمقارنة مع التلمود المقدسي (٣٩ مبحثا) بأنه أوسع من التلمود المقدسي ، إذ يبلغ أربعة أضعافه ، وبأنه التلمود الأكثر انتشارا بين اليهود .

ويتكون التلمود من ستة أقسام تحتوي على ثلاثة وستين مبحثا ، وتضم في خمسمائة وأربعة وعشرين فصلا . وأسلوب الكتابة ـ رغم عبريته وصبغته الكنعانية ـ متأثر إلى حد كبير بأسلوب اللغة الآرامية * في الكتابة ، ويحتوي على الكثير من المفردات الآرامية واللاتينية والفارسية والإغريقية . وقد قسم التلمود إلى قسمين :

١) المشنا : وهي مجموعة قوانين اليهود السياسية والدينية والحقوقية . وتقسم المشنا بدورها إلى ستة أقسام هي : البذور ويتضمن قوانين الزراعة مبسوطة بقواعد عبادة الله . والفصول ويبحث في الأعياد اليهودية . والنساء وقد ذكرت فيه قوانين الزواج والطلاق والنذور والوصايا . والعقوبات وتشتمل على عموميات التشريعات المدنية والجزائية والإدارية الحكومية . والأمور المقدسة

Der Talmud
in seiner Wichtigkeit
dargestellt
von
A. Buchner,
Lehrer der hebräischen Sprache und der heiligen Schrift
an der Rabbinerschule zu Warschau.
שמי מאשרך מחזיק: (Jes. 3, 12)
Mein Volk, wo sind seine verführer hin
Zweiter Theil.
Warschau,
gedruckt in der Missions-Druckerei, Elisengasse Nr. 2440.
1860.

وهو بحث في القربين والتضحيات وهيكل بيت المقدس . والطهارة وهو بحث في الطهارة والنجاسة . وتنصف البحوث جميعها باستعراضها المبادىء العامة لكل قسم دون مناقشتها .

٢) الجمارا : وهو مجموعة شروح وحواش تبسط قواعد المشنا وترسم تطبيقها على حالات واقعية أو افتراضية لم يعالجها رجال الدين من قبل ، وتعرضها مصحوبة بأمثلة أو حكايات .

ومن الجلي أنه كان للتلمود الأثر الأكبر في بروز ظاهرة التعصب القومي لدى معظم اليهود الذين يفضّلون قراءته والإيمان به على التوراة * . فهو يقسم الناس إلى يهود وغير يهود . وفي حين يحرم التلمود إيذاء اليهودي، يعتبر سرقة أموال غير اليهود واغتصاب أملاكهم وأعراضهم وحيواناتهم حقا لليهودي وتقرّبا من الله .

ويشمل التلمود القديم طعنا في المسيحية * والمسيح . ومما يذكر عن السيد المسيح أنه كان يهوديا مرتدا كافرا ، وتعاليمه كفر صريح ، والمسيحيون كفرة مثله ، وأن أمه حملت به سفاحا من

جندي يدعى بندارا . وقد تنبّه أحبار اليهود الذين اجتمعوا عام ١٦٣١ م في بولونيا لخطورة هذا الموقف وقاموا بحذف الكلمات والعبارات التي تنال من السيد المسيح والمسيحية وتركوا مكانها فراغا واتفقوا على تلقينها مشافهة تلاميذ المدارس الدينية فقط . وقد بلغ من شدة تعلق غلاة اليهود بالتلمود أن جعلوا دراسة التوراة فضيلة لا يستحق اليهود عليها أية مكافأة ، أما من درس المشنا فإنه يستحق أن يكافأ ، في حين يحقق أعظم الفضائل من درس الجمارا .

تثبت النظرة العامة إلى التلمود تضمنه عددا هائلا من المغالطات ، ودعوته إلى الترفع القومي ، والتركيز على كون اليهود « شعب الله المختار » المساوي لرب العالمين الذي منح اليهود الدنيا وما عليها . ويزعم التلمود أن الله لا عمل له في الليل إلا قراءة التلمود مع الملائكة ، والإعلان عن ندمه ولومه لذاته عندما تغاضى عن هدم هيكل بيت المقدس . وفي الحديث عن الأرواح يزعم التلمود أن روح اليهودي جزء من روح الله ، وأن روح اليهودي الميت تشغل جسما آخر ، وأن اليهودي الذي يقتل يهوديا حطأ أو عن عمد تدخل روحه في حيوان أو نبات ثم تذهب إلى الجحيم وتعود لتدخل جسم حيوان آخر ، وبعدما أحد الوثنيين ، وبعد أن تتطهر تمرورها بكل تلك المراحل تعود إلى جسد أحد اليهود . والجنة في نظر التلمود مقصور دخولها على اليهود ، والنار مأوى لكل من عداهم من المسلمين الذين لا يغسلون إلاّ أيديهم وأرجلهم ، ومن المسيحيين الذين لا يغتنون . والخلاصة أن التلمود يمثّل تراثا يهوديا قوميا ودينيا .

وثمة عوامل جعلت اليهود يتمسكون بالتلمود، منها الهجوم الذي تعرّض له ، على مُر العصور ، من قبل الطوائف غير اليهودية ، ومنها الأوامر التي أصدرها الباباوات سنوات ١٣٢٠ م و١٤١٥ م و١٥٥٣ م بإحراق التلمود حتى قال أحد زعماء اليهود : " منذ أن ظهر التلمود إلى حيّز الوجود ـ وحتى قبل أن يوجد في شكل ملموس ـ جرت معاملته وكأنه أشبه ما يكون بالكائن البشري . فقد حرّم ، وسجن ، وأحرق مئات المرات . وتنافس الملوك والأباطرة والباباوات وأصدقاهم في إلقاء الحرم عليه ، وإستصدار الإرادات والبيانات لمصادرة هذا الكتاب العاثر الحظ بالجملة وإطعامه النار " وقد بذل اليهود جهودا جبارة في صيانة التلمود لأنه ، بجدليته الدقيقة ، يرضي حاجاتهم ونزعاتهم الفكرية والعاطفية والخيالية ، ولأنه يمثل عنصر وحدة ممتازاً بين اليهود المنتشرين في أنحاء العالم . وقد أضحت التعاليم التلمودية المعيار السائد والمقبول في كل ما يتعلق بحياة اليهود المادية والفكرية . جاء في الموسوعة اليهودية عن مكانة التلمود : " إبان انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود ، وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر، نظرت أكثريتهم الساحقة إلى التلمود على أنه السلطة العليا . حتى إن التوراة أنزلت إلى مرتبة ثانوية . والمعاهد اليهودية نذرت نفسها لدراسة التلمود دون منازع ، لدرجة أصبح « الدرس » معها مرادفا لدراسة التلمود "

المراجع :

ـ أسعد رزوق : التلمود والصهيونية ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ أوغست روهلنج : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، (مترجم) ، القاهرة ١٨٨٩ .
ـ محمد عزة نصر الله : اليهودي على حسب التلمود ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ عبد المنعم شميس : التلمود كتاب إسرائيل المقدس ، القاهرة ١٩٦٨ .
—Adler, M.: **The World of the Talmud,** New York 1963.
—Baeck, L.: **The Essence of Judaism,** London 1936.
—Dalches, S.: **The Study of the Talmud in Spain,** London 1921.
—Goldin, J.: **The Living Talmud,** New York 1957.
—Gollanez, H.: **Pedagogics of the Talmud**, London 1924.
—Rohling, A.: **Le Juif Talmudiste,** Bruxelles 1936.

التلمـوند (سجـن ـ) : ز : السجـون الإسرائيلية

تُلَيْل (قريـة ـ) :

قرية عربية تقع على مسافه ١٤ كم شمال شرق صفد على ساحل بحيرة الحولة * الجنوبي الغربي حيث ينتهي وادي الحنداج ووادي وقاص في البحيرة بعد مرورهما بأطراف القرية . وقد فرض هذا الموقع أن ينشىء السكان قريتهم فوق تل أثري يعلو ٧٠ م عن سطح البحر ، ويرتفع قليلا عن مستوى الأرض السهلية المحيطة بالقرية من أجل الدفاع عن القرية وحمايتها من أخطار السيول والفيضانات .

كانت تليل تتألف من أبنية متراصة من الطين والقصب . وتوجد بعض التلال الأثرية بالقرب من القرية ، وهي تدل على أهمية المنطقة منذ القديم . وقد امتدت القرية

نحو الغرب في أواخر عهد الانتداب ، واقتربت من قرية الحسينية * التي كانت تمتد نحو الشرق حتى أصبحتا تقريبا قرية واحدة تبلغ مساحتها ٤٨ دونما ، واشتركتا في مدرسة ابتدائية مختلطة أقامتها جمعية تحسين القرى .

بلغت مساحة أراضي قريتي تليل والحسينية ٥،٣٢٤ دونما ، منها ١٥ دونما للطرق * والأودية ، و١،٧٥٣ دونما ملكها الصهيونيون . وقد اشتهرت أراضي القريتين بخصب تربتها ، وتوافر مياهها ، وارتفاع إنتاج الأرض ، حتى أن كيل البذار كان يعطي عشرين ضعفا . وأهم المنتجات الزراعية الحبوب *والخضر *. وقد مارس السكان أيضا حرفة صيد السمك من بحيرة الحولة ، وتربية الجواميس .

انخفض عدد سكان تليل من ١٩٦ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد استولى الصهيونيون على القرية عام ١٩٤٨ ، وطردوا سكانها ، ودمروها ، وأقاموا في ظاهرها الشمالي الغربي مستعمرة « يسود همعلاه » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحة الحولة .

تُلَيْلات الغسـول : رَ : الغسول (تليلات ـ)

التـمثيـل والمسـرح :

وجدت في فلسطين حركات مسرحية مدرسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، اشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى .

نشطت في المدارس العربية الحركة المسرحية ، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية العام الدراسي ، أو في مناسبات الأعياد الدينية والوطنية .

وفي الوقت الذي كانت مدارس الإرساليات تهتم بنقل أدب أمتها والتعريف بمؤلفيها وتمثيل المسرحيات التي تتعلق بتاريخها وتراثها ، أمثال مسرحيات موليير وكورني وراسين وشكسبير، كانت المدارس الوطنية تتجه نحو إحياء التراث العربي والتاريخ العربي ، وتذكير الفلسطينيين بتاريخ أمتهم . فقد ظهرت إلى الوجود مسرحيات : جابر عثرات الكرام ، وجريح بيروت ، وعنترة العبسي ، وصلاح الدين ، ومملكة أورشليم ، وطارق بن زياد ، وفتح الأندلس ، وغيرها (رَ : المسرحية) .

وفي هذه الحقبة ، أي في العشرينات ، اضطلع اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في تمرّ الحركة المسرحية الفلسطينية ذات الطابع الوطني والقومي ، وهما خليل بيدس * الذي أخرج بين عامي ١٩٢٤و ١٩٢٨ في الناصرة * مسرحية « السمؤل » أو وفاء العرب لأنطون الجميل ، أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية * . وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات ، أهمها مسرحية « عبد الكريم الخطابي » التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ .

زارت الفرق المصرية المدن الفلسطينية ، ولا سيما القدس * بين السنوات ١٩٢٥ و ١٩٣٢ لعرض مسرحياتها ، مما أهّب الحماسة في قلوب الشبان الفلسطينيين الذين نشطوا وأقبلوا على التمثيل . وكانت الفرق المصرية ثلاثاً : فرقة جورج أبيض ، وفرقة رمسيس ، وفرقة نجيب الريحاني . ولعل من أبرز الفرق التي تأسست في الثلاثينات فرقة نصري الحوزي ، وكان يديرها ، ويكتب لها ، ويمثل فيها .

وقد قامت في حيفا * عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها : جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب جدع ، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة الممثل إسكندر أيوب ، وقد مثلت رواية هملت لشكسبير ، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية ، ووصلت إلى مستوى جيد في الإخراج والتمثيل . وكان إلى جانب هاتين الجمعيتين فرقة جمعية الشبان المسلمين .

ووجدت في يافا * فرقة الشبيبة الأرثوذكسية ، ونشط في بيت لحم * نادي الشبيبة الأرثوذكسية . وتأسس بين السنوات ١٩٢٩ و١٩٤٨ اتحاد عكا ، وكان من أهدافه تمثيل مسرحية سنوية أو كل ستة أشهر يخصص ريعها للمشاريع الخيرية .

أما في القدس فقد قام نادي المنتدى الأدبي سنة ١٩١٥ بتمثيل رواية « صلاح الدين الأيوبي » لمؤلفها فرح أنطون ، وقد تمّ تمثيل هذه المسرحية في قهوة المعارف في باب الخليل (القدس) . وبعد ذلك قامت الفرقة بتمثيل مسرحية « لصوص الغاب » للكاتب الألماني نيتشه ، ثم أعيد تمثيل مسرحية « صلاح الدين » عام ١٩٢٠ ، وقد مثلتها فرقة النادي العربي * بالتعاون مع بعض الضباط العرب الأحرار .

أخذ الإنكليز بعد احتلالهم فلسطين يحضرون فرقهم التمثيلية إلى فلسطين . وقد عرضت هذه الفرق بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٢ مسرحيتي « هملت » و « ماكبث » .

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات

الأدبية" والفنية العربية منها : نادي الشبيبة الأرثوذكسية ، ونادي الشبان المسلمين ، وجمعية الفنون والتمثيل ، وفرقة النادي العربي .

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في ١٩٣٦/٤/١ ، وأدار القسم العربي فيها الشاعر إبراهيم طوقان " راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة ، وتشجيع التأليف والاعتماد على التراث العربي جابهته مقاومة الصهيونيين والسلطات الحاكمة وبعض العرب ، ولكنه ثبت أمام كل الصعوبات ، وشجع فرقة « الجوزي » ، أول فرقة إذاعية ، عن المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية ، وتتناول تاريخ البطولات العربية التي خاضها أبطالنا الميامين . ومن أشهر الفرق التي ساهمت في تقديم المسرحية الإذاعية على فترات متعاقبة الفرقة التمثيلية العربية ورئيسها موسى سالم سلامة ، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة شكري سعيد وحسين العفيفي ، وفريق هواة إذاعة القدس ، وجلهم من مذيعي الإذاعة الفلسطينية .

وبعد أربع سنوات من الكفاح أقيل إبراهيم من منصبه فتولى عجاج نويهض " إدارة القسم فاهتم بتنشيط التمثيل الإذاعي ، وساعده في عمله عصبة من كبار الأدباء والشعراء الفلسطينيين . وتولى القسم العربي بعده عزمي النشاشيبي فحذا حذو المديرين السابقين ، ونهج نهجهما في رفع مستوى الأدب والفن والموسيقى والتمثيل .

ولآل الجوزي نصيب في الإذاعة الفلسطينية ، فقد أسسوا فرقة الجوزي التي رافقت الإذاعة الفلسطينية منذ تأسيسها سنة ١٩٣٦ وحتى النكبة سنة ١٩٤٨ . وكانت الفرقة مؤلفة من ثلاثة هم : نصري الجوزي الذي كتب إذاعيات عالجت الأوضاع الاجتماعية والتاريخية والسياسة . وجبل الجوزي الذي ترجم ولخص إذاعيات كثيرة . وفريد الجوزي الذي كتب وترجم فصولاً هزلية كثيرة لاقت نجاحاً في الإذاعة وعلى المسرح .

ومن الذين ساهموا في المسرحية الإذاعية موسى سالم سلامة الذي ترجم عن الفرنسية بعض الفصول لموليير وراسين وكتب هيجو . وهناك شكري سعيد الذي شارك في التمثيل أولاً ، ثم ساهم في تقديم الإذاعيات بعدئذٍ . وله مجموعة مطبوعة بعنوان « القدس الشريف » .

والمسرحيات الفلسطينية مسرحيات مؤلفة كانت تعالج المشكلات الاجتماعية والسياسية ، ومسرحيات مترجمة أو مقتبسة تتصرف عن تلك اللغات ، ومسرحيات شعرية مؤلفة عالجت موضوعات تاريخية وطنية .

ومن أوائل الذين ساهموا بتأليف المسرحية محمد عزة دروزة صاحب رواية « وفود النعمان على كسرى أنو شروان » التي طبعت في بيروت سنة ١٩١١ ، ثم حوّلت إلى مسرحية مثّلها طلاب من مدرسة النجاح الوطنية في نابلس عندما تسلّى إدارتها في مطلع العشرينات .

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار " صاحب جريدة الكرمل " التي كانت تصدر في مدينة حيفا . وقد كتب مسرحية «شمم العرب» سنة ١٩١٤ ، وهي مسرحية في أربعة فصول . وله مسرحية ثانية هي « وفاء العرب » كتبها سنة ١٩٢٩ . وكان يهدف من وراء كتابة المسرحيتين إلى تعريف بني قومه بمآثر الآباء والأجداد ، وتصوير عادات العرب وتقاليدهم .

وفي أوائل العشرينات قدم جميل البحري " بتأليف المسرحيات التالية : قاتل أخيه (١٩١٩) ، سجين القصر (١٩٢٠) ، بنكرتون والنفر الظريف (١٩٢٢) ، الوطن المحبوب (١٩٢٣) ، حصار طبرية (١٩٢٤) ، الخائن (١٩٢٤) ، في سبيل الشرف (١٩٢٦) ، وفاء العرب ، الاختفاء الغريب ، الزهرة الحمراء ، ظلم الوالد . وبعض هذه المسرحيات مؤلف وبعضها مترجم أو مقتبس بتصرف عن الإفرنسية . وجميع هذه المسرحيات المطبوعة تخلو من العنصر النسائي ، ويبرر المؤلف ذلك بقوله : " إن روايات الغرام ، مهما كانت نبيلة شريفة ، لا تصلح لأن تمثل على مسارح المدارس ، فضلاً عن أنه يصعب إيجاد من يقوم بتمثيل الأدوار النسائية بين الشبان " .

وألّف بندلي صليبا الجوزي " عدداً من المسرحيات بين السنوات ١٩١٥ و١٩٢٥ ، ثم راح يكتب للمسرح فصولاً تمثيلية تعالج مشكلات المجتمع الفلسطيني ، وتدعو إلى الإنبال على العلم . ومن بين المسرحيات التي ألّفها مسرحية « لا بد للحب أن ينتصر » ، وهي أوبرت في ثلاثة فصول تمثل الصراع بين الحب والمال . ومسرحية « لمى » التي مثلتها وغنّت أدوارها سيدات وآنسات نادي الشابات الأرثوذكسيات .

وألّف نصري الجوزي مسرحيات منها : الحق يعلو (١٩٢٧) ، فؤاد وليلى (١٩٣٠) ، الشروع المحترقة (١٩٣٠) ، أنين الأحرار (١٩٣٥) ، عشاق النمابيل (١٩٤٦) . وله خمس مسرحيات ذات فصل واحد مطبوعة سنة ١٩٧٤ وهي : « أمة تطلب الحياة » ، و« حفلة عشاء » ، و« باسم الخداع وهارون الرشيد » ، و« معجون الحب » ، و« على الباغي تدور الدوائر » . وكان أول من كتب للمسرح المدرسي سنة ١٩٣٥ . وله مجموعتان تضمّان « ذكاء القاضي » و« العدل أساس الملك » ، أو لن أبيع أرضي » ، و« عيد الجلاء » ، و« فلسطين لن ننساك » ، و« وفاء الأصحاب » ، و« حطموا الأصنام » ، وعشرات غيرها .

أما جميل الجوزي فقد اختص بالترجمة عن اللغة الإنكليزية ، كما ساهم في التمثيل والإخراج . وقد ترجم ما يربو على الخمسين مسرحية إذاعية ، وله مجموعتان مطبوعتان هما « السيحة وتمثيليات أخرى » ، و « الزوجة الحرساء » ، وقد أذيعت هذه التمثيليات المترجمة بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ .

وفي عام ١٩٣٤ قام المدرّسان شفيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية « في سبيلك يا وطن » طبعت في المطبعة العصرية في القدس الشريف ، وقد لاقت نجاحاً مرموقاً .

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم ، وهو من مواليد الناصرة وكان يعلّم اللغة العربية في بيت لحم والقدس . وله عدة مسرحيات مدرسية هي : « السجناء الأحرار » و « غرام بيت » ، و « قبلة المحبة » ، و « صراع بين العلم والإيمان » ، و « صديق حتى الموت » و « يوم الجيش » ، و « دقت الساعة يا فلسطين » ، و « الموسيقى خير علاج » .

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا . ومن مسرحياته التي كتبها بالأفلانية : « حسن » ، وترجمت إلى اللغة العربية ، ومثلت في القدس في الأربعينات ، و « والي عكا » التي مثلت بنجاح على أحد المسارح في ألمانيا .

وساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية ، فقد قدّم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين * سنة ١٩١١ المسرحيات الشعرية التالية : « وطن الشهيد » (١٩٤٧) ، « شبح الأندلس » (١٩٤٩) ، « حرب السفادسية » (١٩٥١) ، « الفداء » (١٩٦٨) .

وأصدر محيي الدين الحاج عيسى المولود في صفد* سنة ١٨٩٧ مسرحية « مصرع كليب » سنة ١٩٤٧ ، و « أسرة شهيد » عن أحداث نكبة فلسطين سنة ١٩٦٦ .

وقد عالجت هذه المسرحيات الشعرية جميعها موضوعات تاريخية وطنية هادفة تحثّ الأجيال على المحافظة على التراث العربي ، وتحلل الأوضاع التي ألمّت بفلسطين . والشعر في هذه المسرحيات متين جزل . لكن حظ هؤلاء الشعراء من الثقافة المسرحية لم يكن في المستوى الذي يساعد على انتشارها وتمثيلها على خشبات المسارح .

وأسهمت المرأة في تزويد المسرح الفلسطيني بمسرحيات وفصول تمثيلية في محطات الإذاعات والمسارح الفلسطينية . فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام ١٩٣٨ مثّلت في جمعية الشبان المسيحية ومنهي النزهة ، وهي : « نساء وأسرار » ، و « صبر وفرج » ، و « أصل شجرة الميلاد » ، و « مصرع قيصر روسيا » .

وألّفت نجوى قعوار فرح مسرحيتين هما : مسرحية « ملك المجد » الدينية المستمدة من الإنجيل المقدس ، ومسرحية « شهرزاد » التي صوّرت حب شهرزاد للملك شهريار قبل أن تقص عليه قصصها . وقد زوّدت هذه الكاتبة الإذاعة الفلسطينية ومحطة الشرق الأدنى ومحطة لندن وبعض المدارس والمعاهد بفصول تمثيلية عالجت فيها المشكلات والقضايا الاجتماعية والتعليمية .

ومن الذين كتبوا للمسرح الشعري في السبعينات نعمن بسيسو من مواليد غزة * سنة ١٩٢٦ ، وله المسرحيات الآتية : « مأساة عيفارا » (١٩٦٩) ، و « ثورة الزنج » (١٩٧٠) ، و « شمشون ودليلة » (١٩٧١) .

وكتب غسان كنفاني * من المسرحيات : الباب ، والقبعة والنبي ، وجسر إلى الأبد . وصدرت جميعها سنة ١٩٧٨ بعد استشهاده .

كانت البداية الأولى للمسرح في الضفة الغربية في أواخر سنة ١٩٧٠ فمي الأرض المحتلة فرقة صغيرة من الهواة اسمها « عائلة المسرح » بدأت تتدرب على مسرحية الشاعر سميح القاسم « قراقاش » . ونظراً للانتقادات التي تضمنتها المسرحية وفساد الأحكام التي كان يصدرها قراقاش ، والمشابهة لأحكام الصهيونيين ، فقد منعت السلطات الحاكمة تمثيل هذه المسرحية الوطنية .

وجاءت بعد « عائلة المسرح » فرقة « بلالين » فأخرجت خمس مسرحيات هي : قطعة حياة ، والعتمة ، وثوب الإمبراطور (١٩٧٣) ، ونشرة أحوال الجو (١٩٧٣) ، وتربايتك يا عمي (١٩٧٥) . وتولى إخراج معظم هذه المسرحيات فرنسوا أبو سالم الذي درس الإخراج المسرحي في فرنسا .

وقامت فرقة دبابيس التي تأسست سنة ١٩٧٢ بعرض مسرحية « الحق الحق » للكاتب إبراهيم جبيل في رام الله * سنة ١٩٧٣ . وفي شباط ١٩٧٥ قدّمت الفرقة مسرحية « الانتظار » . أما مسرحيتها الثالثة فكانت بعنوان « عمارة من ورق » وقدمتها سنة ١٩٧٦ .

وظهرت فرقة « الكشكول » عام ١٩٧٤ ، وكذلك فرقة « صندوق العجب » عام ١٩٧٦ وكانت أول مسرحية عرضتها « لما انجلينا » .

والجدير بالملاحظة أن التمثيل في الضفة الغربية اعتمد بالدرجة الأولى على العامية الدارجة لكونه نتاً ملتزماً بقضايا الجماهير الفقيرة وثبه الأميّة التي تحمّلت عبء الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، وتدل التلخيصات التي يقرأها المرء في الصحف أن الحركة المسرحية هناك جزء من حركة المقاومة الفلسطينية العامة والمسرح وطني اجتماعي ملتزم .

وخلاصة القول إن الجهود التي بذلها ويبذلها الفلسطينيون في مضمار التمثيل المسرحي لا بأس بها ، ولو انها لا ترقى إلى المستوى المنشود .

وتأسست منذ عام ١٩٦٥ فرقة « فتح المسرحية الفلسطينية » ، ومن المسرحيات التي قدمتها :

١) شعب لا يموت ، من تأليف فتى الثورة وإخراج صبري سندس .

٢) الطريق ، تأليف وإخراج نصر الدين شما .

٣) محاكمة الرجل الذي لم يحارب ، إخراج الدكتور حسن عويتي .

٤) الكرسي ، إخراج خليل طافش .

واقتصر نشاط الفرقة بعدئذٍ على تقديم مسرحية في مهرجان دمشق المسرحي السنوي .

المراجع :

ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني ، ١٩٦٨ .

ـ خليل السواحري : النهوض المسرحي في الأرض المحتلة ، مجلة المعرفة ، العدد ١٩٦٣ ، دمشق ١٩٧٥ .

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

التمرتاشي : رَ : محمد بن عبد الله الغزي

التمساح (نهر ـ) : رَ : الزرقاء (نهر ـ)

تميم اللخمي :

في سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١م ، وقبل وفاة الخليفة العباسي المعتصم بالله بسنة واحدة ، ظهر في فلسطين ومنطقة الغور « هذا الثائر ، وكنيته أبو حرب ولقبه المبرقع . وليس يعرف عنه شيء كثير قبل ثورته أو بعدها . وتفيد المصادر أنه يماني من أهل الغور ، وأنه كان على جانب من الثقافة والعلم والتقوى . ولعله درس في طبرية * التي كانت ذات مركز علمي حسن في ذلك الوقت . وتذكر المصادر أنه خلع الطاعة لسبب شخصي ، إذ ضرب بعض الجند زوجته في غيابه ، فغضب وقتل الجندي ، ثم هرب ثائراً ، لكن تصرفه الثوري بعد ذلك يوحي بأنه كان يصدر عن عقيدة نذر لها نفسه ، وأراد أن يكون جنديها المجهول ، فجعل على وجهه برقعاً لئلا يعرف (ولذلك عرف بالمبرقع) ، ولجأ الى جبل من جبال الأردن ، وطلبته السلطات ، فلم يعرف له خبر . وكان يظهر في النهار فيقعد على الجبل الذي أوى إليه مبرقعاً ، فيراه الناس ، فيجتمعون إليه، فيذكّرهم ، ويحرّضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويذكر السلطان وما يأتي من الأعمال فيعيبه . وقد توجه بدعوته الى الفلاحين والفقراء . وكانت المنطقة التي ثار فيها سهولاً وهضاباً زراعية وقرى يعيش فيها حراثون أغلبهم يمانيون في النسب تتخللهم جماعات قيسية في الجولان * وفي البلقاء خاصة . وفيهم ، ولا سيما في بيسان * والرملة * وسهول طبرية ، اخلاط من السكان الأصليين (وكانوا يسمّون النبط) . وكانت المنطقة ذات مورد زراعي حسن ، فخراج جند الأردن (وهو الشمال من فلسطين والأردن اليوم) يتوف على مائة ألف دينار ، وخراج جند فلسطين (وهو القسم الجنوبي من البلدين) ثلاثمائة ألف دينار (وهو يساوي خراج دمشق يومذاك) .

ويظهر أن إهمال العباسيين للمنطقة وظلم الضرائب * سمحا لدعوة أبي حرب بالتوسع ، فاستجاب لها « قوم من الفلاحين وأهل القرى » من عرب لخم * وجذام * وعاملة * وبلقين . وكان يزعم انه أموي ، فقالوا : هذا هو السفياني المنتظر . ولما كثر جمعه من هذه الطبقة من الناس دعا أهل البيوتات ، فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية ، وكانت دمشق في تلك الفترة نفسها ثائرة فاستجاب له بعض زعمائها . ثم التفت الثورتان وتحالفتا .

وكان الخليفة المعتصم عليلاً بعلته التي مات فيها سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م ، وأقلقته الثورة جداً لما تحمل من تهديد أموي وانقطاع خراج فيحث بشائه رجاء بن أيوب الحضاري على رأس زهاء ألف من الجند . ولكن هذا القائد الذي استطاع هزيمة الثائرين في دمشق بالحيلة والمباغتة لم يجرؤ على منازلة المبرقع . فقد استخبر فرجله في عالم من الناس . . . كان في زهاء مائة ألف « فطاوله طويلاً . ولما كانت ثورته فلاحية ، ورجاله من أهل القرى فقد انتظر أشهر الصيف حتى جاء موسم عمارة الناس الأرضين وحراثتهم « في مطالع سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣م ، وانصرف الفلاحون الثائرون إلى أعمالهم ، وبقي أبو حرب في زهاء ألف أو ألفين ، فهاجمه القائد العباسي عند الرملة على ما يظهر في معركتين . وبالرغم من الوسوسة التي أبداها المبرقع في الحرب فقد سقط أسيراً وقتل الكثير من أصحابه . وسيق مع قائد ثورة دمشق ابن بيهس إلى العاصمة سامراء حيث سجنا في المطبق وأغلقت عليهما أبوابه إلى الأبد .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٣٩ .

ـ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ .
ـ اليعقوبي : التاريخ ، بيروت ١٩٦٠ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٢ .

التميمي : ر : رفيق بن راغب التميمي
ر : عبد الفتاح بن درويش التميمي
ر : محمد بن أحمد بن سعيد التميمي
ر : مصطفى بن عبد الفتاح التميمي

التميمي الدّاري : ر : تقي الدين بن عبد القادر الغزي

التمييز العنصري ضدّ العرب :

تقوم السياسة الإسرائيلية على أسس واضحة مستمدّة من الفكر التوسعي الصهيوني العنصري ، فهي ترمي إلى تفريغ فلسطين من أبنائها العرب لتقوم بزرع المستعمرات وحشد ما أمكن لها حشده من يهود العالم الذين يتفادون وراءها في الأراضي العربية . أما الجانب العنصري فهو منطلق ومُمّد للسياسة الإسرائيلية التوسعية ، فالصهيونيون يعتبرون أنفسهم شعبا مختارا مميّزا عن بقية الأقوام ، والأمم التي نابهم في كل شيء ينبغي أن تسخّر وتستغل لخدمتهم (ر : التوسعية الصهيونية) .

وانطلاقا مما تقدم يمكن تفسير السياسة اللاإنسانية التي اتبعتها (إسرائيل) بحق العرب ، والتي تجعلهم محرومين من الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يتمتع بها اليهود في الأرض المقدسة .

قدّر عدد العرب الذين نكفوا في فلسطين المحتلة في أعقاب الحرب العربية ـ الإسرائيلية عام ١٩٤٨ * بحوالي ١٧٠,٠٠٠ شخص موزعين حسب سكنهم على النحو التالي :

في المدن	٣٢,٠٠٠ شخص
في الريف	١٢٠,٠٠٠ شخص
في البادية	١٨,٠٠٠ شخص

وقد ارتفع عدد العرب إلى ٣١٢,٠٠٠ عربي عام ١٩٦٦ ، وهم يتركزون في المناطق الرئيسة الآتية :

١) منطقة الجليل * التي جعلها قرار التقسيم * الصادر عن الأمم المتحدة ضمن المنطقة المخصصة للعرب .
٢) منطقة المثلث في وسط فلسطين .
٣) منطقة النقب * التي تسكنها قبائل البدو العربية .

وإذا أضيف إلى العرب الذين بقوا في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ نحو ١,٠٥٠,٠٠٠ مواطن عرب فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين عام ١٩٦٧ أصبح الاحتلال الصهيوني يحكم بعد عام ١٩٦٧ نحو ١,٤٠٠,٠٠٠ فلسطيني ، وقد ارتفع هذا العدد إلى ٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٨١ .

وتعجز الكلمات عن توضيح الخطوط العامة للسياسة الصهيونية بحق العرب ، فقد قالت المناضلة عائشة عودة ، وهي إحدى المعتقلات الفلسطينيات في إفادتها أثناء المحاكمة : " لقد تعرضت لتعذيب وحشي لا أستطيع وصفه مهما حاولت " . ويمكن تلخيص موقف الرأي الرسمي الصهيوني بما قاله صمويل ديفون مستشار بن غوريون : " يذكّرنا بن غوريون دائما بأننا لا نستطيع أن نسير على أساس أعمال تخريبية لم تقم بها الأقلية العربية ، بل يجب أن نسير على أساس ما كان يحتمل هذه الأقلية أن تقوم به فيما لو أتيح لها المجال " .

أ ـ القوانين والأنظمة التي يُحكم بها العرب في (إسرائيل) :

١) أنظمة الطوارىء العسكرية لعام ١٩٤٥ : وهي متعددة متنوعة تتدخّل في جميع مجالات الحياة من الرقابة على الرسائل والطرود إلى الاعتقال وتقييد حرية التنقل والنفي وطرد السكان .

والجدير بالذكر أن هذه الأنظمة موروثة من عهد الانتداب البريطاني .

لقد كانت هذه الأنظمة ، ولا تزال ، الأساس القانوني لمصادرة الأراضي ، وإعلان المناطق المحظورة ، وطرد السكان العرب ، إلى غير ذلك من الإجراءات (ر : الدفاع ، أنظمة) .

٢) قوانين وأنظمة الطوارىء المدنية : طبقت هذه الأنظمة على العرب الذين بقوا في فلسطين التي احتلت عام ١٩٤٨ ، إذ كان كل عربي في فلسطين غادر مدينته أو قريته بعد ٢٩/١١/١٩٤٧ (تاريخ قرار التقسيم *) يعتبر متغيبا وفقا لهذه الأنظمة . وجميع العرب الذين كانت لهم ممتلكات في مكان ما ، بغضّ النظر عمّا إذا كانوا لم يقطعوا أكثر من مسافة قصيرة تفصلهم عن ذلك المكان ، اعتبروا متغيبين . كما أن الثلاثين ألف عربي الذين فرّوا من مكان إلى آخر داخل (إسرائيل) ١٩٤٨ ، ولكنهم لم يغادروا البلاد قط ، أعلنت ممتلكاتهم أيضا ممتلكات متغيبين (ر : أملاك العائبين ، قانون) .

٣) قانون استملاك الأراضي : غايته إضفاء الشرعية على مصادرة الأراضي العربية بتثبيت الإجراءات السابقة وتعويض أصحابها . وكان في وسع الحاكم العسكري إعلان أي منطقة عربية قطاعا محظورا ، فيحرم دخولها على كل عربي يرغب في أن يتعهد أرضه . ثم طبق قانون عام ١٩٥٣ فأصبحت الأراضي الزراعية

عرضة للمصادرة لأن أصحابها لم يتمكنوا من تعهدها بأنفسهم وهذا يعني أن أملاك العرب أصبحت ملكاً للدولة التي وضعت جميع العراقيل وخلقت الأسباب أمام العرب لكي لا يتمكنوا من تعهد أراضيهم وممتلكاتهم (ر : الامتيلاء على أرض في ساعة الطوارىء ، قانون) و(ر : استملاك الأراضي ، قانون ـ ١٩٥٣) .

٤) قانون التحديد ١٩٥٨ : وهو يطالب المالك العربي غير الحائز سندات أراضٍ بإبراز أدلة تثبت ملكيته للأرض المذكورة لمدة لا تقل عن ١٥ عاماً . وإذا لم يستطع ، وهو لن يستطيع ، تؤول ملكية الأراضي إلى الدولة .

٥) قانون العودة وقانون الجنسية * : يُمنح اليهودي بموجبهما ـ مهما كانت جنسيته ـ حق الإقامة والجنسية الإسرائيلية دون قيد أو شرط . أما العربي المولود في المناطق المحتلة فلا تشكل ولادته هذا سنداً قانونياً لمنحه حق المواطنة .

ب ـ استغلال وتجويع السكان المدنيين : اتجهت السياسة الاقتصادية لسلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى دمج اقتصاديات المناطق العربية المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ بالاقتصاد الإسرائيلي فكرّست الطاقات الاقتصادية العربية لخدمة اقتصادها . وقد استهدفت الخطة التي طبقت عام ١٩٦٧ امتصاص أكبر كمية من النقد الأردني ، واستغلال الطاقات البشرية لسد النقص الذي يعاني منه الكيان الصهيوني ، إضافة الى امتصاص المنتوجات العربية من الأسواق ليقل العرض ويزداد الطلب ، مما يخلق أسواقاً واسعة أمام المنتوجات الإسرائيلية . من ناحية أخرى عمل الإسرائيليون على هدم الاقتصاد العربي وجعله في حالة قلق مستمر . ولتحقيق ذلك لجأ الكيان الصهيوني إلى هدم البيوت وسلب الممتلكات ، وإجراء الاعتقالات وزيادة ضرائب الاستيراد ، وعرقلة التمويل ، ورفع تكاليف المعيشة والاستيلاء على أموال وممتلكات المبعدين والغائبين ، واستغلال العمال العرب . لقد استخدم الإسرائيليون شتى الوسائل لخنق الاقتصاد العربي وتجريد العرب من مصادر رزقهم في محاولة لتفريغ فلسطين منهم .

بعد حرب ١٩٦٧ * عملت السلطات الإسرائيلية على امتصاص البطالة التي كانت تعاني منها القوى العاملة العربية ، لأن حالة البطالة تخلق المناخ المناسب لنموّ الثورة ، فقامت بإنشاء بعض مشاريع العمل التي تستطيع أن تستوعب أكبر عدد من العمال (خدمات الاحتلال) ، وتُشعر العامل أنه أصبح في وضع اقتصادي أفضل . لكن السلطات الحاكمة لم تكن لتسمح بإطالة أمد هذه المشاريع ، إذ أخذت بعض المصانع تفضل عمّالها ، في حين أخذ التضخم النقدي يسلب العامل العربي كل ما كسب . وأخطر من هذا أن الأسرة العربية بعوّدت على مصروفات معينة . ونتيجة لسياسة ارتفاع الأسعار أصبح العامل العربي يسير في دوامة مفرغة ، أو يضطر لترك بلده والانتقال إلى الدول المجاورة ، وبهذا يحقق المحتلون أهم أهدافهم ، وهو تفريغ الأرض .

أما الأحوال في قطاع غزة فكانت أكثر سوءاً ، ففي هذا القطاع ٣٦٢ ألف نسمة منهم ٢٠٠ ألف لاجيء يسكنون الأكواخ والخيام المهترئة ويتعيشون من المخصصات الغذائية التي تقدمها هم الأمم المتحدة بما يعادل ٤ ليرات إسرائيلية للفرد الواحد . وأشار موشي دايان عام ١٩٦٩ إلى الأوضاع السيئة في غزة بقوله : " لقد رأيت جوعا في غزة . وهذا لن يعزز صورتنا في الخارج " .

جـ ـ معاملة العرب في مجال العمل : أدّت الإجراءات التعسفية التي مارستها (إسرائيل) ضد الاقتصاد الفلسطيني إلى دخول العمال العرب مجبرين إلى منشآت العمل الصهيونية ، خاصة تلك التي تتطلب جهداً جسمياً . ففي عام ١٩٧٤ كان ٢٠٪ من العمال العرب يعملون في مجال البناء والإنشاءات مقابل ١٠,٥٪ من اليهود يعملون في القطاع المذكور ، وهذا القطاع يتطلب مشقة وعناء ، وأجوره منخفضة وأعماله موسمية . فالعامل العربي لم يختر العمل فيه بل اضطر لذلك تلبية لحاجاته وحاجات أسرته ، ولأنه فقد مصادر رزقه المتمثلة في الأرض نتيجة المصادرة أو منافسة المنتوجات الإسرائيلية المماثلة .

تميزت سياسة (إسرائيل) تجاه العمال العرب بالعنصرية والاستغلال المكثف لإشباع أطماع الاستعمار الصهيوني الذي لجأ إلى تشغيل العمال العرب لفترة تصل إلى ١٢ ساعة يومياً ، فهم يخرجون من بيوتهم منذ أذان الفجر ، ولا يعودون إليها إلاّ بعد الغيب . ولا تخفى خطورة هذا الوضع إذ إن الآباء لا يرون أبناءهم إلاّ يوم العطلة (السبت) . وجدير بالملاحظة أن هؤلاء العمال يتجمعون في بعض الأماكن ليتم نقلهم بالشاحنات التي تسير محشوة كعلب السردين أو كالماشية يغلق عليهم الباب ، ولا يعرفون إلى أين يسيرون إلاّ عندما يصلون .

وإذا أضيف إلى ما ذكر شروط العمل الصعبة التي تجعل العمال العرب عرضة للإصابات فيصبحون عالة على أسرهم بدلاً من إعالتها ، وإذا أضيف إلى ذلك قصر أوقات الاستراحة ، والتمييز في الأجور ، تتكشف السياسة الصهيونية العنصرية التي تتعارض مع أبسط حقوق الإنسان الخاصة بالعمل كما أوردها الإعلان العالمي الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠/١٢/١٩٤٨ .

لقد جرّد الصهيونيون العمال العرب من أبسط الحقوق المتمثلة في التأمين الصحي ، والضمان الاجتماعي ، والانضمام إلى نقابات العمال ، التي تعتبر شرطاً أساسياً لتحقيق مطالبهم ، وتحسين

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية . وهناك فئة من العمال العرب أسوأ حالا مما ذُكر ، وهي تلك الفئة التي تعمل عن غير طريق مكاتب العمل الإسرائيلية . فالرأسمالي الصهيوني يعمد إلى هذه الطريقة من التشغيل (العمل الأسود) لأنها تحرّره من أية تبعات تجاه العامل ، ينقله من مكان إلى آخر ، أو من عمل إلى آخر ، أو حتى يفصله من عمله دون سابق إنذار ، ودون أي تعويض ، فلا النقابات تدافع عنه ولا تشريع حماية العمال يشمله .

د ـ معاملة السجناء والمعتقلين العرب : لم تكتف الصهيونية بجعل فلسطين المحتلة سجنا كبيراً للعرب ، بل عمدت إلى فتح السجون لتستوعب أعدادا ضخمة من الرجال والنساء والصبية الذين لا ذنب لهم إلاّ أنهم لم يخلقوا يهودا . وكثيرا ما لجأت السلطات المختصة إلى تدشين معتقلات جديدة ، أو توسيع المعتقلات الموجودة ، لمواجهة زيادة عدد المعتقلين .

اتخذ التعذيب الأشكال الآتية .

١) تعليق المعتقل من يديه ، وشدّه من أعضائه الأخرى لعدة ساعات حتى يفقد وعيه .

٢) الحرق بأعقاب السجاير ، أو إدخالها في فتحات الجسم الطبيعية كالأنف أو العين أو الشرج .

٣) الضرب بالعصا على الأعضاء التناسلية ، أو وخزها بالدبابيس .

٤) الربط وعصب الأعين لمدة قد تزيد على الأسبوع .

٥) نهش الكلاب الشرسة والمدربة .

٦) صدمات كهربائية على الوجه والصدر والخصيتين .

٧) اقتلاع الأظافر والرموش ، ووضع بيضة مسلوقة تحت الإبط لتكوي هذه المنطقة الحساسة من الجسم بحرارتها الحارقة .

٨) لف سلك على الذراع أو الذراع ووصله بالتيار الكهربائي .

٩) الاعتداء على أعراض المناضلات المعتقلات .

١٠) الحرب النفسية الرامية إلى تحطيم المعتقل وانهياره .

لقد نجم عن هذه المعاملة اللاإنسانية نتائج كثيرة منها : استشهاد كثير من المعتقلين ، والإصابة بشلل في الأيدي والأرجل ، وحدوث نوبات قلبية من أثر الصدمات الكهربائية ، وضعف البصر أو فقده تماما ، والإصابة بالأمراض العقلية والنفسية ، ووقوع الكثير من حالات التشويه .

ويجدر القول إن عدد السجناء السياسيين في نهاية عام ١٩٦٩ بلغ ٤,٨١٦ سجينا مقابل ٣,٣٠٠ سجين عام ١٩٦٨ ، أي بزيادة قدرها ١,٥١٦ في سنة واحدة ، ويقدر العدد عام ١٩٨١ بنحو ١٢,٠٠٠ سجين .

هـ ـ سياسة الصهيونيين في مجال التربية والثقافة والعلوم :

أدرك الصهيونيون خطورة انتشار التعليم والثقافة بين صفوف العرب الذين يخضعون لحكمهم ، لذا عمدوا إلى اتباع سياسة تقوم على تجهيل العرب فعملوا على طمس الثقافة الوطنية . وشملت سياستهم جميع مراحل التعليم ، ففي مرحلة الطفولة تميز واضح بين الأطفال العرب والأطفال اليهود ، والأمر نفسه ينطبق على المراحل التعليمية الأخرى حيث المخصصات السنوية التي ترصد للإنفاق على التعليم في المناطق العربية محدودة جدا ، وقد تبدّى عجز المخصصات المرصودة في نقص خطير في غرف الدرس ، والمعلمين ، والخدمات التي يحتاج إليها الطلبة ، مثل الكتب والخرائط والمختبرات . وتتعرض المناهج التي تدرّس في المدارس العربية إلى كثير من التشويه وتحريف الحقائق . وهذه الإجراءات تهدف إلى فصل الشعب الفلسطيني عن ثقافته ودينه وقضاياه الوطنية .

أما في مجال الصحافة والنشر فقد اتخذت (إسرائيل) سياسة مكملة للسياسة التعليمية حين استمرت في تطبيق قانون الطوارىء لعام ١٩٤٥ * ، وهو القانون الذي سنّه الانتداب البريطاني ليكبت بأحكامه التعسفية حرية الرأي والصحافة والنشر فقد نصّت المادة ٨٧ من نظام الطوارىء لعام ١٩٤٥ على أنه " لا يجوز طبع أو نشر أية جريدة في فلسطين إلاّ إذا كان صاحب تلك الجريدة قد حصل سابقا على رخصة موقّعة بإمضاء حاكم اللواء الذي يراد طبع الجريدة فيه ، أو الذي تطبع فيه في ذلك الحين " . كما أن النظام المذكور يجيز لحاكم اللواء ، بمحض إرادته ، أن يمنح تلك الرخصة أو أن يرفض منحها دون بيان أي سبب لذلك . ويجوز له أن يقرن الرخصة بأية شروط ، وأن يلغي الرخصة التي منحها ، أو يغيّر أي شرط من الشروط التي اشترطها فيها على الصورة المذكورة ، في أي وقت من الأوقات " . كما " يجوز للرقيب أن يصدر أمرا يمنع فيه ، بصورة عامة أو خاصة ، نشر أية مادة يرى أنها تضرّ ، أو من شأنها أن تضرّ ، أو يحتمل أن تصبح مضرة بالدفاع عن فلسطين ، أو السلامة العامة ، أو النظام العام " .

و ـ سياسة العقوبات الجماعية : أنزل الصهيونيون بالعرب الفلسطينيين ما عجز الاستعمار القديم والحديث عن ممارسته . ففي محاولتهم لإرهاب السكان وحملهم على الهجرة إلى البلدان العربية المجاورة، أو أملاً منهم في إضعاف حدّة المقاومة الفلسطينية لجأوا إلى العقوبات الجماعية الآتية :

١) الاعتقال الإداري والسجن .

٢) نسف المنازل والممتلكات المشتبه بأن لأصحابها صلاتة بالثورة . وقد نسف ما يزيد على ٢,٥٠٠ منزل .

٣) قطع الأشجار وتدمير المزارع التي تشكل مصدر دخل للسكان العرب .

٤) إبعاد المواطنين العرب بحجة الأسباب الأمنية المزعومة .

٥) مصادرة الأملاك . وقد بلغت الأراضي المصادرة حوالي ٧,٠٥٠,١٧٧ دونماً موزعة كما يلي :

(١) في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ : ٦,٤٧٩,٥٠٠ دونم .
(٢) في الضفة الغربية : ٥٠٩,٤٧٧ دونماً .
(٣) في قطاع غزة : ٦١,٢٠٠ دونم .

٦) تحديد حركة السكان العرب ، وضرورة الحصول على تصاريح للدخول إلى بعض المناطق ، وهي غالبا الأراضي الزراعية . ويلاحظ أن هذا الإجراء يوقت في موسم فلاحة الأرض أو الحصاد .

٧) جمع السكان في الساحات العامة تحت أشعة الشمس اللافحة ، أو في الشتاء القارس ، وإطلاق الرصاص فوق رؤوسهم .

٨) نقل السكان من منطقة إلى أخرى . فقد قامت سلطات الاحتلال بطرد أعداد كبيرة من اللاجئين في معسكرات قطاع غزة بعد هدم مساكنهم وتدمير ممتلكاتهم . ووصل عددهم كما ذكر مدير وكالة الإغاثة * في عمان بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٢ إلى نحو ٨٠,٠٠٠ وزعوا في مناطق متفرقة من الضفة الغربية .

المراجع :

ـ جامعة الدول العربية ، الأمانة العامة/ إدارة شؤون فلسطين : انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ إسرائيل شاحاك : عنصرية دولة إسرائيل ، منشورات مجلة فلسطين .
ـ صبري جريس : الحريات الديمقراطية في إسرائيل ، بيروت ١٩٧١ .
ـ صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ عمر غزواي : الصهيونية والأقلية القومية العربية في إسرائيل ، عكا ١٩٧٩ .
ـ فيليب لانر : أولئك إخوتي ، القدس ١٩٧٦ .

التنظيم الشعبي المسلح (قوات ـ) :

رَ : حركة التحرير الوطني الفلسطيني

تنكز بن عبد الله (ـ ٧٤١ هـ) (ـ ١٣٤٠ م) :

هو الأمير سيف الدين الحسامي ، الناصري حاكم دمشق ، ونائب سلطان المماليك الأتراك في مصر والشام الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون . أصله من مماليك المنصور حسام الدين لاجين ، ثم صار في حرس الناصر الخاص فارتقى صُعُداً حتى وصل إلى مرتبة النيابة فعدّ منذئذ من أكبر شخصيات الدولة المملوكية ، حتى إن بعض المؤرخين قارنه بجعفر البرمكي في الدولة العباسية . وفي الحق أن تنكز لقي لدى الناصر حظوة لم ينلها أمير قبله ، فقد صاهره الناصر فتزوج ابنته وزوّج ابنيه لولدي تنكز . وظل تنكز في نيابة دمشق ثمانيا وعشرين سنة ، وهي مدة طويلة في عصر مضطرب كالعصر المملوكي كثرت فيه المصادرات والاغتيالات والدسائس والمؤامرات . ويبدو أن تنكز كان " على شيء من الفهم والعدل " بالنسبة إلى زمنه ، فاستطاع ضبط الأمور ورعاية مصلحة الرعية حتى لقب بالعادل .

ولعل أبرز شيء في سيرة تنكز تلك الأعمال العمرانية والمنشآت الحضارية والأوابد الأثرية التي خلدت ذكراه ، والتي لا تزال ماثلة إلى الآن ، سواء في دمشق ، كجامع تنكز ودار القرآن والحديث التنكزية ، وتربة ستيتة زوجة تنكز ، أو في فلسطين ، كالمنارة الثابتة على باب السلسلة في القدس (٧٣٢ هـ) ، والمدرسة والخانقاه اللتين وقفهما في القدس ، ودكة المؤذنين الرخامية في الحرم الإبراهيمي في الخليل ، وبناء قناة السبيل التي أوصلت المياه إلى وسط المسجد الأقصى * (٧٢٨ هـ) ، وبناء الحمام المعروف بالجديد (٧٤١ هـ) ، والقيسارية في القدس ، والبركة المعروفة اليوم باسم « الكأس » بين الصخرة والأقصى ، وبناء المدرسة التنكزية الواقعة عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة (٧٢٩ هـ) .

وقد تجاوزت منشآت تنكز القدس * إلى صفد * نبنى فيها خانا ومستشفى (بيمارستان) يعرف باسمه (٧٢٥ هـ) . كما أنشأ عدة مبانٍ منها جامع بنابلس وآخر بعجلون . كذلك أنشأ خان المبنا ، أو خربة الخان بالقرب من طبرية * . وفي قرية جلجوليا " أنقاض جامع وخان من القيسفساء ، وهي من بقايا المنشآت التي أقامها تنكز " .

تلك هي الصفحة المضيئة من سيرة الأمير تنكز . أما الصفحة المظلمة فقد أشار إليها الذهبي في كتابه سير النبلاء فقال : " كان تنكز ذا سطوة رهيبة ، وإقدام على سفك الدماء ونفس سبعيّة ، وفيه عتوّ وحرص مع ديانة في الجملة . وكان فيه حدّة وقلّة رأفة " . وتعدّ كلمة « حرص » التي أشار إليها الذهبي ، وما تنطوي عليه من معاني الجشع وحب التملك ، من أبرز العيوب التي عرفت عن تنكز ، وهي التي قادته في نهاية الأمر إلى حتفه . فقد دأب على جمع الأموال ، وقتناء النفائس ، وامتلاك العقارات المختلفة في المدن والقرى في دمشق وحمص وبيروت والبقاع وفلسطين ومصر . وقد قدرت مخلفاته فبلغت أثمانها الملايين ، مما أوغر عليه قلوب الحسّاد ، فأوقعوا بينه وبين الملك الناصر ، فأمهل تنكز ثماني سنين قبل أن

بقتله سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠ م في مدينة الإسكندرية التي حمل إليها مقيّداً . وقد نقلت بعدئذ جثته إلى دمشق ودفن في تربته لصيق الجامع الذي أنشأه .

المراجع :

– المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .
– ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، القاهرة ١٩٥١ .
– مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ م .
– ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
– ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٤٨– ١٣٧٥ هـ .
– محمد بن طولون الصالحي : إعلام الورى بمن ولّي نائبا من الأتراك بدمشق الكبرى ، دمشق ١٩٦٤ .
– محمد أحمد دهمان : ولاة دمشق في عهد المماليك ، دمشق ١٩٦٤ .

تنـوخ (قبيلة) :

حي من اليمن اختلف النسابون والأخباريون فيه ، فمن قائل إنهم قبائل تحالفت «وتنوخت» في مواضعها، أي أقامت. ولم يعرف الزمن الذي كان فيه التنزخيون ، ويقال إنهم كانوا في أواخر القرن الثالث الميلادي ، ويقال أيضا إنهم نزلوا الشام قبل الإسلام بقرون . وهم أول من ملك مشارف الشام من قضاعة حتى إن ابن خلدون يشير إلى عدد من ملوكهم ، ومنهم النعمان بن عمرو بن مالك وابنه عمرو .

لا تذكر المصادر التاريخية معلومات مهمة عن تنوخ سوى تنصيبهم من قبل الروم ، ثم اضمحلالهم وتنصرهم ، إذ غلبت عليهم سليح من بطون قضاعة ، ثم الضجاعم منهم (ز : الضجاعمة) .

وفي رواية أن التنوخيين قتلوا الفرس فأعجب بهم ملك الروم وأقطعهم سورية وما جاورها من الجزيرة ، ولا سيما نواحي حلب .

ومن أخبار تنوخ في أوائل الإسلام * حريهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ في واقعة دومة الجندل .

ويبدو أن تنوخ توطّنت كذلك في شمالي بلاد الشام ، فحين صالح المسلمون القبائل العربية في حاضرة حلب وأطرافها كان منها تنوخ . ويذكر ابن العديم أن خمسة آلاف من هؤلاء التنوخيين قد استجابوا لدعوة الخليفة العباسي المهدي فاعتقوا الإسلام .

وتجدر الإشارة إلى أن نسب الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري يرجع إلى قبيلة تنوخ اليمنية .

المراجع :

– هشام بن الكلبي : الجمهرة في الأنساب (مخطوطة) .
– الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ .
– جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
– محمد أحمد باشميل : العرب في الشام قبل الإسلام ، دمشق ١٩٧٢ .
– فيليب حتي : تاريخ العرب (مطوّل) ، بيروت ١٩٤٩ .

التنـوير والاندمـاج اليهودي (حركة ـ) :

تسمى هذه الحركة بالعبرية « هسكلاه » ، أي التنوير أو الاستنارة . وهي حركة ظهرت بين يهود أوربا في منتصف القرن الثامن عشر واستمرت حتى عام ١٨٨٠ .

دعت الحركة إلى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها في سبيل الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة ، وطالبت بأن يكون ولاء اليهود الأول والأخير للبلاد والمجتمعات التي يعيشون فيها ، وليس لما يسمى « قوميتهم اليهودية » التي ليس لها أساس عقلي أو موضوعي . وكان السبيل إلى تحقيق ذلك ، حسب رأي دعاة الحركة ، هو اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية ، وفصل الدين اليهودي عمّا يسمى « القومية اليهودية » .

كانت بداية حركة التنوير اليهودي في ألمانيا أثناء حكم فريدريك الثاني (١٧٤٠ ـ ١٧٧٦ م) عندما نشأت طبقة رأسمالية تجارية بين اليهود ، ومنها انتشرت إلى غاليشيا (منطقة في وسط أوربا كانت تتبع بولندا ثم ضمت إلى النمسا) وإلى النمسا وروسيا وبولندا . ومحل الرغم من هذا الانتشار بقيت حركة التنوير حركة ثقافية ألمانية . ويعود سبب انتشار الحركة إلى تأثير الثقافات الغربية الألمانية والفرنسية والإنكليزية ، وما حملته من إيمان بالحرية والتقدم .

يعتبر موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦ م) المشل الرئيس لحركة التنوير اليهودي ، على الرغم من أن نشأة الحركة في الأصل كانت مستقلة عن اتجاهات مندلسون . وقد درس قادة ودعاة الحركة أعمال ومؤلفات المفكرين الأوربيين أمثال جان جاك روسو ولوك وشلنغ .

تركّز اهتمام الحركة على تعليم اليهود تعليما علمانيا . وكانت هذه القضية أساسية بالنسبة إلى دعاة الحركة ، بسبب الطبيعة الرجعية والمتخلفة للجماعات اليهودية . وطالبت الحركة اليهود بأن

يرسلوا أبناءهم إلى مدارس « الأغيار » حتى يتقنوا جميع الفنون العلمانية كالهندسة والزراعة . ودافعت الحركة عن تعليم المرأة وشجعت ممارسة الأعمال اليدوية . وكان من نتائج ذلك ظهور المدارس اليهودية العلمانية للمرة الأولى في تاريخ الأقليات اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر كالمدرسة الحرة في برلين التي تأسست عام ١٧٧٨ م ، والمدرسة الحبرية في فرانكفورت التي تأسست عام ١٨٠٤ م ، وافتتحت أول مدرسة يهودية لتعليم المرأة في روسيا عام ١٨٣٦ م ، وتأسس أول معابد الإصلاح في هامبورغ عام ١٨١٨ م .

نادى دعاة الحركة بالاندماج اللغوي والقضاء على اللغة اليديشية ، ودعوا إلى تعلم اللغة الوطنية ، سواء كانت الروسية أو الألمانية أو الفرنسية . أما إحياء اللغة العبرية فيتم باعتبارها لغة التراث اليهودي الأصلي .

كان دعاة الحركة يؤمنون بالعقل وتقبّل الواقع التاريخي . ومن هذا المنطلق هاجموا التراث الديني اليهودي المغرق في الغيبية والتخلف واللاتاريخية كفكرة المائيح (الملك من نسل داود الذي سيأتي لجمع شتات المنفيين ، ويعود بهم إلى صهيون ، ويحطم أعداء إسرائيل) ، وأسطورة العودة . كذلك حوّلوا فكرة جبل صهيون إلى مفهوم روحي على غرار « المدينة الفاضلة» التي لا وجود لها .

وهاجمت حركة التنوير الكتب والحركات الصوفية التي انتبهها التراث اليهودي كالحسيدية ، واحيت كتب المفكر اليهودي موسى ابن ميمون الذي طالب منذ العصور الوسطى بإدخال التعليم العلماني في الدراسات الدينية اليهودية .

وقام متدلسون بتأسيس مجلة بالعبرية هي « هاميأسيف » (١٧٧٤ ـ ١٨١١ م) دعت للإخاء البشري ومحاربة التعصب الديني . ولما تبين أن استخدام اللغة الألمانية يفتح آفاقاً أوسع بكثير من العبرية تحولت المجلة إلى الألمانية باسم « سلاميث » (١٨٠٦ ـ ١٨٤٨ م) ، وقد استبدلت هذه المجلة بما يسمى « الأمة اليهودية » لفظة « الإسرائيليين » .

تعرّضت حركة التنوير إلى هجوم عنيف من قبل السلطة الدينية اليهودية والقوى المحافظة والرجعية المتخلفة التي كانت تتحكم في اليهود . وقد مثّل هذا التيار الرجعي سمولينسكين الذي رأى في حركة التنوير انحلالا لليهودية ، فكان ذلك ، إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بثراث اليهود الفكري ووضعهم الاجتماعي والتاريخي ، سببا في فشل حركة التنوير في النهاية .

المراجع :

ـ عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ شؤون فلسطينية : العدد ٨٤ ، تشرين الثاني ١٩٧٨ ، بيروت .

تهجير : ز : إخراج الفلسطينيين من ديارهم
ز : عربة (إخراج سكان ـ)

تهجير عرب فلسطين (سياسة ـ) :

تم التخطيط لصهينة فلسطين وتهويد الأرض منذ المؤتمر الصهيوني* الأول الذي انعقد في بال عام ١٨٩٧ ، وجعل من الأهداف الصهيونية " العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة " . وفي عام ١٩٠١ نشطت الحركة الصهيونية في مجال شراء الأراضي في فلسطين ، وتهجير اليهود إليها .

عكف القادة في الحركة الصهيونية على وضع الخطط والسياسات اللازمة للتخلص من السكان الشرعيين لفلسطين أيام الانتداب البريطاني ، فقد كتب يوسف فايتس ـ الذي عمل مدة طويلة مديراً للصندوق القومي اليهودي كما عمل مستشاراً لرئيس الحكومة الإسرائيلية للشؤون العربية ـ كتب في مذكراته الخاصة عام ١٩٤٠ : " بيننا وبين أنفسنا ، يجب أن يكون واضحاً أنه لا يوجد مكان في البلاد للشعبين معاً . . . فمع وجود العرب لن نتمكن من تحقيق هدفنا المتمثل بأن نكون شعباً مستقلاً في هذه البلاد . إن الحل الوحيد هو أن تصبح أرض إسرائيل ، وعلى الأقل أرض إسرائيل الغربية ، بدون عرب . . ولا توجد طريقة أخرى لتحقيق ذلك غير نقل العرب من هنا إلى الدول المجاورة ، نقلهم جميعاً بحيث لا تبقى هنا قرية واحدة . ويجب أن يتم النقل إلى العراق وسورية ، بل إلى شرقي الأردن . ولهذا الغرض سوف تتوفر الأموال ، الكثير من الأموال . ومع هذا النقل فقط يمكن للبلاد ان تستوعب الملايين من إخوتنا . لا يوجد هناك بديل لذلك . . . وعلينا أن نقوم منذ الآن بدراسة البلدان المجاورة لكي تحدد قدرتها على استيعاب عرب أرض إسرائيل " . وعلى الرغم من اعتراف فايتس فإن عملية نقل السكان (أي طردهم بقوة السلاح) كانت خطة معدة سلفاً . لم ينجح تطبيق هذه الخطة تماماً ، فقد بقي بعد حرب ١٩٤٨* ١٥٦ ألف عربي لم تتمكن القوات الإسرائيلية من « نقلهم » ، وتمكنت هذه الأقلية العربية بفضل معدل تزايدها الطبيعي المرتفع من أن تصبح أكثر من ٤٥٠ ألف نسمة حالياً .

خططت الحركة الصهيونية ، تحت حماية حراب الاستعمار البريطاني ، لدعم وتنظيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين ،

ولتهجير شعب فلسطين العربي . فأقيمت الوكالة اليهودية * التي لعبت دور الحكومة ، وأنشىء الهستدروت * لينظم عمال المدن .

وأوجدت الكيبوتزات * لتعيء العمال المزارعين ، وتسيّج كل ذلك الهاغاناه * .

كان هناك ٤٣,٠٠٠ من اليشوف * ، رجالاً ونساء ، يحملون السلاح كمتطوعين في جيوش الحلفاء عام ١٩٤٢ . وهذه القوة العسكرية التي استفادت من تأهيل عسكري جيد وأشرفت عليها الهاغاناه سياسياً ساهمت بتهجير العرب من فلسطين ، وحسمت المعركة معهم عام ١٩٤٨ .

ومن سياسات التهجير التي نفذتها الحركة الصهيونية منذ صدور وعد بلفور * عام ١٩١٧ سياسة تملك الأراضي بأية وسيلة ، وهي السياسة التي جرى تنفيذها بمؤازرة الحكومة البريطانية التي دخلت إلى فلسطين عام ١٩١٨ لتنفيذ المشروع الصهيوني ، وتحقيق شعار « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

لقد كان اليهود يملكون ٢,٥٪ من أراضي فلسطين عام ١٩١٨ ارتفعت إلى ٥,٦٪ في منتصف عام ١٩٤٨ . ولقد كانت الصهيونية * تريد الأرض الفلسطينية نفسها كمرحلة أساسية تتبعها مرحلة تهجير السكان العرب الأصليين . وقد كتب خبير الأراضي الصهيوني أغرنوفسكي : " إن مسألة الأراضي هي في الواقع مسألة حياة أو موت للصهيونية والوطن القومي ، فإذا بقيت الأراضي بعيدة المنال لا يمكن تحقيق هدف الصهيونية " . لقد حصلت الحركة الصهيونية منذ عام ١٨٧٥ على مساحات متفرقة من الأراضي هبة من الحكومة العثمانية بحجة إنشاء مدارس ومختبرات زراعية . واشترت من الملاك العرب مساحات أخرى بأثمان مغرية . كما حصلت بموجب صك الانتداب * على تسهيلات واسعة للاستيلاء على الأراضي ، فمنحتها حكومة الانتداب ٣٠٠ ألف دونم من أراضي الدولة ، كما أجّرتها ١٠٠ ألف دونم بإيجار رمزي . وكان اليهود يملكون عند بداية الانتداب البريطاني ٦٥٠ ألف دونم ارتفعت إلى ١,٧٤٨,٥٠٠ دونم في نهاية الانتداب .

ولقد اتجهت الأطماع الصهيونية إلى الريف الفلسطيني لامتلاك الأراضي الزراعية فيه بشكل مخطط وهادف ، وبذلك حرم الفلاحون والعمال الزراعيون من أخصب أراضيهم ، وأغلقت أمامهم مجالات العمل والاستخدام ، وهم الذين كانوا يشكلون ٧١٪ من مجموع السكان العرب في عام ١٩٢٩ . يقول سيمسون في تقريره الرسمي للحكومة البريطانية عن أسباب اضطرابات عام ١٩٢٩ إن " النتيجة التي أسفر عنها شراء الصندوق القومي اليهودي للأراضي، في فلسطين هي إخراج تلك الأراضي عن إقليم البلاد . . . . والعربي لا يستطيع أن يجني منها أية منفعة حالياً أو في المستقبل ، وهو محروم إلى الأبد ، بموجب أحكام إيجار الصندوق القومي الصارمة ، من الاستخدام في تلك الأرض " (رز : سمبسون ، تقرير) .

اعتمدت المؤسسة الصهيونية سياسة تهجير اقتصادية واجتماعية تتماشى مع واقع الاقتصاد الفلسطيني (الزراعي) ومجتمعه الريفي من خلال مجموعة قوانين عنصرية حوّلت الفلاحين وصغار المستأجرين إلى طبقة مسحوقة ، وحرمتهم من أراضيهم ، ومن حق العمل فيها ، ودفعت بهم إلى الهجرة إلى المدن سعياً وراء العمل في أسوأ الشروط . لقد قدر عدد سكان الأحياء الفقيرة ومدن الصفيح من مهاجري الريف العرب في يافا والقدس وحيفا بـ ١٢١ ألف نسمة .

ومن بين سياسات التهجير التي جرى تطبيقها أيضاً سياسة العمل العبري (أي عدم استخدام الأيدي العاملة غير اليهودية) وغزو العمل ، وسياسة الضرائب ، وسياسة تأجيل الديون

وتراكمها ، وسياسة الأجور المتناقصة . لقد هدفت الحركة الصهيونية إلى إضعاف الشعب العربي الفلسطيني لصالح الأقلية اليهودية في فلسطين . فقد بعث أرلوزوروف مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية بتاريخ ١٩٣٢/٦/٣٠ رسالة سرية إلى وايزمن أجمل فيها آراءه بالنسبة إلى الإستراتيجية الصهيونية ، فأشار إلى أن السياسة الصهيونية يجب أن يحكم عليها فقط من خلال " علاقة القوى للشعبين المتنافسين في البلاد " والسير في مراحل متتابعة " يكون العرب فيها غير قادرين على تشكيل عامل إزعاج لعملية نمو السكان اليهود . . . وتحقيق فترة انتقالية تمارس الأقلية اليهودية من خلالها حكماً ثورياً منظماً ، ويتم وضع الجهاز الحكومي - الإدارة - والمؤسسة العسكرية في أيدي الأقلية " .

ومهما يكن من أمر القوة الصهيونية فإنها ينبغي أن تقاس بالمقارنة بينها وبين القوة العربية المحلية . فقد خطط الصهيونيون

لإقامة معامل أسلحة ولإعداد منظمات إرهابية مقاتلة متكاملة ، وإنشاء قوات بشرية كقوات كتائب شباب الجدناع وقوات شرطة المستعمرات ، ووضعوا تحت تصرف هذه المنظمات والقوات أسلحة متنوعة . أما قوة العرب فكانت تكمن في حقيقة إقامتهم في أراضيهم والعيش عليها في ثبات واستقرار دائمين ، وأما هزيمتهم فتكمن في إخراجهم من مواقعهم وطردهم من أراضيهم . وقد استطاع الصهيونيون تحقيق ذلك عندما قاموا باحتلال المناطق التي انسحبت منها القوات البريطانية بصورة متلاحقة قبل حلول موعد انتهاء الانتداب في ١٩٤٨/٥/١٥ . وتمكنوا من طرد الشعب الفلسطيني وإقامة حالة واقعية في فلسطين باستخدام العنف والإرهاب وتنفيذ المخططات اللاإنسانية للوصول إلى الأهداف الصهيونية .

والإرهاب الصهيوني * ليس وليد اليوم أو الأمس ، فهو يضرب بجذوره في أعماق الفكر والممارسة الصهيونيين . يقول جابوتنسكي : " إن النورلة والسيف أنزلا علينا من السماء " . ويقول مناحيم بيغن : " كن أخي وإلا لتلتك" . وقد أثيمت في الولايات المتحدة الأمريكية رابطة عنصرية إرهابية بزعامة حاخام صهيوني متعصب يدعى « كهانا » تقوم بأعمال العنف والإرهاب ضد أي إنسان ، أو جماعة ، أو حتى أية دولة تقف في وجه الصهيونية . وقد أطلق عليها اسم « عصبة الدفاع اليهودي * » . وشكّل كهانا فرعاً لرابطته في (إسرائيل) جمع فيه العناصر المتطرفة ضد العرب . كما أن عصابتي شتيرن (ز: ليحي، منظمة) وإرغون تسفاي لئومي * هما العصابتان الإرهابيتان اللتان عاثتا في أرض فلسطين داماراً وبطشاً قبل قيام (دولة إسرائيل) وبعدها . ويروي غلوب (باشا) رئيس أركان الجيش الأردني سابقاً أن أحد الضباط البريطانيين سأل موظفاً يهودياً في حكومة فلسطين عن كيفية مواجهة (الدولة اليهودية) المرتقبة للصعوبات المحلية التي ستنشأ عن تمثيل العرب لنصف سكانها فأجابه : " إن ذلك سيجري تدبيره . بضعة مجازر مدبرة سوف تكفي للخلاص منهم تقريباً " . وقد أعلنت منظمة الإرغون رفضها لتوصيات الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وعزمها على القتال لتحقيق « الحقوق الصهيونية » كاملة . كما وضعت الفاشاناه خطة غزو المناطق غير المخصصة لليهود في مشروع التقسيم . وقد كانت العمليات الإرهابية تتم بتنسيق تام بين المنظمات الإرهابية العسكرية وبين القادة السياسيين . ومن أهم الأعمال الإرهابية الصهيونية التي تمت في ظل الانتداب البريطاني مذبحة دير ياسين * التي كانت ذات هدف واضح محدد هو إقناع السكان العرب بمغادرة البلاد . ولم يكن واقع المدن العربية الفلسطينية الأخرى التي هوجمت من قبل القوات الصهيونية أرحم حالاً من واقع دير ياسين ، فقد كانت أعمال العنف والإرهاب خلال شهري نيسان وأيار من عام ١٩٤٨ أحد الأسباب الرئيسة لهجرة عرب فلسطين ، غير الإخلاء بالقوة وسياسة الحرب النفسية التي نفذها الصهيونيون باتقان حين أعلنوا عن " مسالك محددة يمكن للسكان ان يسلكوها للهروب من المجازر " . كما أعطت الأساليب التي كان الصهيونيون يتصرفون وفقها بعد احتلالهم للقرى والمدن العربية نتائج مماثلة إلى حد كبير بسبب انتشار الرعبة والفزع من مصير مماثل (ز : الإرهاب الصهيوني) .

تقول لجنة خدمات الأصدقاء الأمريكيين " إن معظم هؤلاء الذين هربوا فعلوا ذلك بدافع من النزعة الإنسانية الى الذعر حين نشوب الحرب والهرب من مناطق القتال " . وتضيف اللجنة قائلة " كما يمكن أن تعطي الطريقة التي هربت فيها المجموعات بل أعضاء العائلة الواحدة أفراداً في اتجاهات مختلفة فكرة عن درجة الذعر والرعب اللذين انتشرا بينهم " . ولقد قامت المنظمات العسكرية الصهيونية بتنفيذ عملياتها الإرهابية ومجازرها ضمن خطط عسكرية ، فوضعت الخطة « س ـ ٢ » للمرحلة الأولى التي حددت أهدافها الرئيسة بممارسة الضغط المستمر في كل مكان ضد الفلسطينيين ، وشن الغارات عليهم وتفجير الألغام . وقد أبدى العرب مقاومة غير عادية وتمكنوا من الاحتفاظ بمواقعهم . أما المرحلة الثانية فقد وضعت لها الخطة « دال * » . وتهدف هذه الخطة بصورة رئيسة " إلى السيطرة على المنطقة التي منحتها الأمم المتحدة لليهود بالإضافة إلى المناطق التي احتلتها القوات الصهيونية والتي تقع خارج منطقتهم ، ثم تشكيل قوة تجابه احتمال قيام الجيوش العربية النظامية بعملية غزو بعد الخامس عشر من أيار " . وقد أطلق القادة الصهيونيون اسم خطة « دال » على الخطة العامة للعمليات العسكرية التي ستنفذ خلال شهر نيسان وأوائل شهر أيار ١٩٤٨ في مختلف أنحاء فلسطين بهدف انتزاع فلسطين ، وبعثرة الفلسطينيين وتدمير تمسكهم بأرضهم ، ووضع فلسطين تحت الاحتلال العسكري الصهيوني . والعمليات العسكرية التي نفذت هي : عملية ناحشون ، وهارئيل ، ومسبارايم ، وشامير ، وجوفوسي ، ويفتاح ، ومأتاتي ، ومكابي ، وجدعون ، وبارك ، وبن عامي ، والشوكة ، وشيفعون .

وقد وصف يغال آلون القائد العسكري لمنظمة البالماخ * الوسائل التي تباتها الصهيونيون لتحقيق أهدافهم من خلال هذه العمليات بقوله : " لم يبق أمامنا سوى خمسة أيام فقط قبل ذلك اليوم الذي ينذر بالتهديد ، وهو يوم الخامس عشر من أيار . لقد رأينا أن هناك حاجة لتطهير الجليل الداخلي من السكان العرب لنقيم منطقة إقليمية يهودية في كل أنحاء الجليل الأعلى . لقد أضعفت المعارك الطويلة قواتنا ، وأمامنا تكمن واجبات كبيرة هي

قفل الطريق أمام الغزو العربي ، فذا فقد بحثنا عن وسائل نتمكن بواسطتها من عدم استخدام قواتنا في المؤخرة ، وبالتالي إجبار عشرات الآلاف من العرب العتيدين الذين بقوا في الجليل على الهرب ، لأن هؤلاء السكان العرب سيضربون مؤخرة جيشنا في حال وقوع غزو عربي. لقد حاولنا استخدام تكتيك اعتمد على الأثر الذي خلفه سقوط صفد وهزيمة العرب في المنطقة التي تم تطهيرها بواسطة العملية (ماتاتيه) . وقد أدى هذا التكتيك عمله بشكل معجز . لقد قمت بجمع المخاتير اليهود الذين لهم اتصالات مع العرب وطلبت منهم أن يبعثوا في آذان بعض العرب بأن تعزيزات يهودية ضخمة قد وصلت إلى الجليل ، وأن اليهود سيقومون بإضرام النار في جميع قرى الحولة ، ويجب أن يقترح هؤلاء على العرب بصفتهم أصدقاء لهم ، أن يبرحوا قبل أن يفوت الوقت . لقد انتشرت الإشاعة في جميع مناطق الحولة ... وحققت هذه الخطة هدفها بالكامل ، فلقد سقطت بناية مركز الشرطة في الحالصة دون إطلاق رصاصة واحدة من جانبنا ، وجرى تطهير مناطق واسعة ، وزال الخطر عن طرق النقل والمواصلات ، وأصبح بإمكاننا أن ننظم أنفسنا ضد الغزاة على طول الحدود دون أن نخشى شيئاً بالنسبة لمؤخرتنا " .

اعتمدت الدعاية الصهيونية على الأكذوبة المتمثلة في اتهام العرب الفلسطينيين بأنهم غادروا أراضيهم عام ١٩٤٨ نزولاً عند أوامر زعمائهم . إن هذه التهمة تعد جزءاً من حملة عامة تهدف أول ما تهدف إلى تقويض التعاطف العالمي مع الشعب العربي الفلسطيني المهجّر . إن مقولة حرب العرب من فلسطين تدحضها الخطط العسكرية الصهيونية ، وسياسات الإرهاب والعنف ، وسياسات تملّك الأراضي وتنظيم البيشوف وتهجير سكان البلاد الشرعيين عبر خطط صهينة فلسطين وتمهيد الأرض . يقول الكاتب تسفي شيلوح :

" إن كل ولد يعرف اليوم أنه لولا حرب العرب الجماعي سنة ١٩٤٨ لما كان لدولة إسرائيل ، ولو حتى داخل حدود التقسيم التي حددتها الأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، أن تقوم ، فكيف إذن داخل حدوده الممتدة الموسعة التي تحددت في غابة حرب التحرير ! " .

بعد نكبة عام ١٩٤٨ والإعلان عن قيام (إسرائيل) تمكنت القوات الصهيونية من الاستيلاء على ٧٧,٤٪ من فلسطين بعد ان طردت وأجلت عنها سكانها العرب إلى ما وراء خطوط الهدنة ، ما عدا أقلية لم تتجاوز آنذاك ١٥٦ الف نسمة . وظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على الساحة الدولية ، وذكر تقرير لجنة المسح الاقتصادي التابعة للأمم المتحدة في شهر كانون الأول ١٩٤٩ أن نحو ٧٢٦,٠٠٠ فلسطيني ، وهم الذين طردوا عنوة من ديارهم في أثناء حرب ١٩٤٨ ، قد أصبحوا لاجئين لان إسرائيل سدت عليهم سبل العودة إلى ديارهم » . ورغم أن قرارات الأمم المتحدة تؤكد منذ بعد أخرى ضرورة إعادة اللاجئين إلى ديارهم أو التعويض عليهم ، إلا أن أيّا من الأمرين لم يتم حتى الآن بسبب رفض (اسرائيل) هذه القرارات . لقد كان مجموع عدد اللاجئين في تقرير وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين " (الأونروا) في أيلول عام ١٩٧٠ نحو ١،٤٣٦،٨٤٠ لاجئاً . وهذا العدد هو أقل بكثير من العدد الحقيقي للاجئين لان تعريف الأونروا للاجئين كان منذ البدء تعريفاً ضيقاً استثنى المقيمين في قطاع غزة وقرى الحدود على الأردن وبعض القبائل الرحل ، وبذلك بشكل اللاجئون أكثر من نصف الشعب الفلسطيني ، وهم محرومون من الدخول في علاقات إنتاجية زراعية على أرض الوطن ، لا سيما أن ٧٠٪ من اللاجئين كانوا من سكان الريف . وهذا ما يوضح الأسباب البعيدة وراء قيام (إسرائيل) بإغلاق حدودها في وجه اللاجئين ومنع عودتهم إلى بلادهم . يقول بن غوريون : " علينا أن نفعل كل شيء لمنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة " . كما أن قيام القوات الصهيونية بتدمير القرى العربية كان أحد العوامل الرئيسة لنشوء مشكلة اللاجئين ، فقد عمدت (إسرائيل) إلى اتباع سياسة تدمير القرى العربية لتؤكد للفلسطينيين أن علاقاتهم بأوطانهم قد انتهت ، وأن فلسطين لم تعد وطناً لهم ، ولتكوين حقيقة ثابتة لدى الصهيونيين المقيمين في فلسطين بأن الفلسطينيين لن يعودوا إلى قراهم أبداً .

لقد تحرّى وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت حال قريتين معينتين ، وكتب في تقريره أنهما تعرضتا لهجوم الصهيونيين بدون أي تبرير ، واضطر السكان لإخلائهما ، ثم جرى تدميرهما . ويذكر الدكتور يسرائيل شاحاك في مقدمة تقرير أعده : " إن الحقيقة حول القرى العربية التي كانت موجودة قبل عام ١٩٤٨ ، ضمن نطاق الأراضي المقامة عليها دولة إسرائيل تعدّ من أشد الأسرار صوناً في الحياة الإسرائيلية . فلا توجد نشرة أو كتاب أو كرّاس يتحدث عن عددها أو عن مواقعها . وهذا أمر مقصود ، وذلك من أجل أن تكون الأسطورة الرسمية المقبولة المتحدثة عن بلاد فارغة قابلة للتعليم في المدارس الإسرائيلية ، ولرواياتها للزوار والسيّاح " . ويحرص الدكتور شاحاك في تقريره قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية قامت السلطات الإسرائيلية بهدمها وإزالة جميع معالمها من أصل ٤٧٥ قرية كانت موجودة قبل عام ١٩٤٨ .

وقد تعرضت الأقلية العربية المحاصرة في (إسرائيل) إلى الاضطهاد القومي والتمييز العنصري ، فمنذ إعلان قيام الدولة

الصهيونية فرض على العرب الحكم العسكري الذي تنص قوانينه على حرمان الخاضعين له من كل حقوق المواطنة الأساسية . يقول البرفسور فوتيه : " إن إسرائيل ليست عنصرية فقط بل هي العنصرية ذاتها . ولما طلبت من بسرائيل شاحاك (الذي يعمل في الجامعة العبرية) تعريف إسرائيل بكلمات ثلاث فقط ، قال عنها هي « عنصرية ، إرهاب ، نازية » ، وقال أخيراً " إنني انحزت إلى جانب معسكر الفقراء .. المعسكر الأكثر فقراً .. المحرومين من كل شيء .. معسكر الفلسطينيين " ،و"إن معسكر الفقراء لا يقاوم ولا يهزم " .

كما لجأت (إسرائيل) إلى اتخاذ شتى الإجراءات الممكنة الرامية إلى مصادرة الأراضي التي يمتلكها العرب ، سواء المقيم منهم أو الموجود خارج (إسرائيل) . وكان هدفها الرئيسي من وراء قيامها بمصادرة الأراضي والأملاك هو إنهاء الروابط التي تربط الفلسطينيين بوطنهم الأم فلسطين ، وحرمانهم من أهم مصادر عيشهم سعياً إلى تهجيرهم نحت وطأة الحاجة والفقر ، وتعويلهم من مزارعين متمسكين بالأرض العربية إلى عمال مأجورين بعيدين عن أراضيهم وذويهم يتعرضون للبطش والإرهاب المستمرين وللقوانين القمعية . لقد قامت القوات الأمنية ، والقوات العسكرية الإسرائيلية ، والوحدة التي عرفت باسم الوحدة رقم ١٠١ بغارات وحشية انتقامية ضد القرى العربية أثارت استنكار الرأي العام العالمي ضد (إسرائيل) كالغارة التي تعرضت لها قرية قبية في شهر تشرين الأول ١٩٥٣ وقرية كفر قاسم عام ١٩٥٦ (ز : قبية ، مذبحة) و (ز : كفر قاسم ، مذبحة) .

لقد كانت (إسرائيل) تفضل أن ترى فلسطين « نظيفة » كلياً من العرب ، كما قال بن غوريون مرة ، ولكن بقاء عدد قليل منهم جعل (إسرائيل) تخطط لتحويل العرب إلى مجموعة بشرية مبعثرة وضائعة في أسفل المجتمع الصهيوني من جهة وثائبة ومستوعبة في الاقتصاد الصهيوني من جهة أخرى . إنها تريد أن يختفي العرب من أراضيها ، ولكن ليس عن طريق طردهم إلى خارج (الدولة) هذه المرة ، بل طردهم إلى داخلها ، أي تحويل الفلسطينيين إلى جيش الفقر في المدن الإسرائيلية وتسخيرهم لخدمة الاقتصاد الإسرائيلي ودفعهم « للتخصص » في الأعمال الشاقة وأعمال الخدمات . لقد قامت (إسرائيل) بعملية اقتلاع اجتماعي ، ونفي من الجذور ، وسحق شعب بأسره ، لصالح غزاة أجانب .

لقد مضى نيف وثلاثون عاماً على قيام (دولة إسرائيل) وما زال قادة هذه الدولة يفكرون بالتخلص من الأقلية العربية فيها ، وفي ذلك يورد تسفي شيلوح ما قاله رئيس الوزراء السابق إسحق رابين " إن المشكلة الفلسطينية هي بالفعل إحدى المشاكل المعقدة في النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، غير أن مشاكل مثلها قد حلت في العالم المتمدن . لنأخذ على سبيل المثال الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد أمكن آنذاك حل مثل هذه المشكلة عن طريق تبادل السكان . وبالطبع لا داعي لاستخدام القوة مثلما فعلت روسيا ذلك في الماضي ، إنني أعتقد أن بالإمكان نقل السكان بدون استخدام القوة " .

المراجع :

ـ يوسف قايتس : مقالة منشورة في صحيفة دافار الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧٧/٩/٩ .

ـ محمد حافظ يعقوب : نظرة جديدة إلى تاريخ القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ تسفي شيلوح : مقال « أقوال واضحة لعرب إسرائيل » ، صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ ١٩٧٦/٣/٢١ .

ـ جون دبفز : كيف ولماذا هرب الفلسطينيون من فلسطين ؟ ، مجلة الشرق الأوسط العالمية ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، أيار ١٩٧١ .

ـ وليد خالدي : خطة دالت (دال D) ، مجلة الشرق الأوسط العالمية ، المجلد ٣٧ ، العدد ٩ ، تشرين الثاني ١٩٩١

ـ أسعد رزوق : الصهيونية وحرق الإنسان العربي ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ حبيب قهوجي : عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، إنتماء وصمود ، دمشق ١٩٧٦ .

تهويد : ز : الحرم القدسي الشريف
ز : الخليل
ز : القدس

تهويد الخليل (مشروع ـ) :

ز : الخليل (انتفاضة ـ)

توازن القوى بين الدول العربية وإسرائيل :

حينما أقامت الصهيونية والإمبريالية العالمية (إسرائيل) في قلب الوطن العربي عام ١٩٤٨ دعمتاها بجميع أنواع المساعدة والتأييد ، ولا سيما السلاح ، لتثبّت كيانها الإستعماري بالقوة حتى تصبح قوة موازنة للقوى العربية . وهكذا نشأ منذئذ مفهوم « توازن القوى بين الدول العربية وإسرائيل » . وكان هذا المفهوم ، وما يزال ، الحجة التي تتذرّع بها الدول المناصرة (لإسرائيل) لتزويدها بالسلاح وتأمين تفوقها العسكري على الدول العربية .

يتضمن مفهوم توازن القوى مقومات وعناصر عدة . وتختلف هذه المضامين بين الطرفين أو الأطراف التي يجري تقويم ودراسة التوازن بينها . ففي حين ترجح كفة بعضها في طرف تـرجح كفة بعضها الآخر في الطرف الثاني . وإذا كان توازن القوى يشكّل موضوعا لدراسة قوى الأطراف المتقابلة ومقارنتها بعضها ببعض بغية التوصل إلى استنتاجات وتوقعات فـإنه يشكّل ، في الوقت ذاته ، عاملا من العوامل الرئيسة المؤثرة في سياسة الأطراف المعنية والحلفاء المؤيدين لهذه الأطراف وإستراتيجيتهم .

وإذا مـا نظر إلى مفهـوم تـوازن القـوى ضمن إطار الصـراع العربي ـ الإسـرائيلي فلا بد من أخذ الحقائق التالية بعين الاعتبار :

١) ليس صحيحـا تفسير القوى المتقابلة في الصـراع العربي ـ الإسرائيلي على أنها في الطرف الإسرائيلي تمثل الكيان الصهيوني وحده بطائفات مجموعة بشرية صغيرة احتلت بقعة جغرافية محدودة في فلسطين ، وعلى أنها في الطرف العربي المقابل تمثل مجموعات طائفات الـدول العربيـة على امتداد الوطن العربي ، وهي طاقات بشرية واقتصادية وسياسية وعسكرية كبيرة .

إن وقـائع تـاريخ الصـراع العربي ـ الإسـرائيلي تثبت أن هـذا التفسير ليس صحيحـا بـل هو تفسـير منبثـق من نية عـدوانية من جانب الكيان الصهيوني وحلفائه .

٢) لجأ الكيان الصهيوني دائمـا تدعمه في ذلك أجهزة إعلام الصهيونية والإمبريالية والاستعمـار إلى تصوير القـوى العربيـة المناهضة له على أنها قوة موحّدة تشمل طاقات أمة واحدة ممتدة على رقعـة كبيرة من الأرض غنية بمواردهـا الاقتصادية وقـدراتهـا البشرية ، وثرواتها ، مصممة على القضـاء على هـذا الكيان . إن جميع هذه القـوى ـ حسب الصورة التي يرسمها الكيـان الصهيوني وأنصاره ـ تتجمع في كفـة من الميزان ، ويقـابلها في الكفـة الأخرى الكيان الصهيوني بحجمه الجغرافي وطاقاته المحدودة رسميه إلى السلام . وقد عاشت هذه الصورة الزائفة زمنا ، ولا سيما في أمريكا وأوربا الغربية ، وكانت فخا تستخدمه الصهيونية من أجل الحصول على الدعم المادي والسلاحي والمعنوي للكيان الصهيوني ، ومن أجل مناهضة العرب .

٣) جعلت الصهيونية والإمبريالية والاستعمار الكيان الصهيوني قلعـة مسلّحة ، إذ ليس في العـالم كله دولة في حجمـه الجغـرافي والبشري والاقتصادي تملك قوة عسكرية مسلّحة مماثلة لما يملكه .

٤) قد يكون تقدير قوة الكيان الصهيوني العسكرية في وقت من الأوقات أمرا ممكنا ، غير أن حجم هذه القوة يتغير نـوعـا وكـمّاً بشكل فجائي وسريع ، ويصعـد خطه البياني صعودا حـادا ، كما حدث في حرب ١٩٧٣ * حـين أسرعت الولايات المتحدة إلى إعادة التوازن إلى ميزان القـوى وترجيح كفة (إسـرائيل) بـالأسلحة الحديثة الغزيرة المتنوعة بعد هزيمة قواتها في الأيام الأولى من الحرب .

٥) يتكون ميزان القوى من مقومات وعناصر عدة ، وليست القوة العسكرية سوى أحد هذه المقومات والعناصر . وأهم هـذه العناصر هي المستوى الحضاري والقيم والمثل الروحية والمادية والأخلاقية ، والكتلة البشـرية وحـالتها الاقتصـادية والاجتمـاعية والثقـافية ، والنـظام السياسي والاجتماعي ، والـوعي الوطني ، والموقع الجغرافي والإستراتيجي ، والـوضع الاقتصـادي ، والمستوى العلمي والتقني ، والإعـلام ، والجـهاز الـدبلوماسي والعـلاقـات الخارجية ، والتخطيط السياسي والإستراتيجي ، والقوة العسكرية .

وإذا مـا أُخذت هـذه النقاط والحقـائق بعين الاعتبار في دراسة توازن القوى بين الدول العربية و(إسرائيل) يمكـن بسـهولة تفسير وقائع وأحداث توازن القوى هذا .

ومنذ قيام الكيان الصهيوني كانت الدول الرأسمالية ، وبخاصة الولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا ، هي المصدر الرئيس لتسليحه . وكاد دور كل من هذه الدول الثلاث يختلف اندفاعا أو تقلّصا ما بين فترة وأخرى حسب الظروف السياسية والدولية الخاصة بكل فترة زمنية . ففي حين كان دور فرنسا وإنكلترا في الخمسينات والستينات أكثر بروزاً من الـدور الأمريكي انعكست هـذه الصورة بعدئـذ فبرز الدور الأمريكي متزايدا وواضحا إلى حد أنه أصبح عاملا حاسما في حرب ١٩٧٣ وفي غزو (إسرائيل) لبنان في حزيران ١٩٨٢ .

كان مفهوم الدول الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة ، حول توازن القوى بين الدول العربية والكيان الصهيوني يقوم على أساس معادلة غير متوازنـة توفّر لهذا الكيان الأداة اللازمة لكي يتمكن من تحقيق أغراض الإمبريالية والصهيونية في الوطن العربي . فكانت الدول الغربية ـ وما تزال الولايات المتحدة تفعل ذلك ـ تضع القوات الإسرائيلية في كفة وقوات الدول العربية كلها في كفة أخرى . وحينـذاك يبدو ضروريا تحويل الكيان الصهيوني كله إلى ثكنة عسكرية كبيرة زاخرة بالمقاتلين والأسلحة الحديثة من مختلف الأنواع ، وبكميات كبيرة .

وإذا ما حدث اختلال في ميزان القوى ، ومالت كفته إلى صالح العرب ، فإن الولايات المتحدة تبرع إلى اتخاذ مجموعة من التدابير السياسية والـدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية السريعة لإنقاذ الكيان الصهيوني من نتائج ذلك الاختلال ، ولإعادة وضع الميزان إلى ما كان عليـه بحيث ينقلب ثانية لصالحه . من ذلك ما جرى في حرب ١٩٧٣ ، وما اتخـذته الـولايات المتحـدة من تدابير ومواقف ومبادرات ، سواء في منظمة الأمم المتحـدة ، أو في إطار العلاقات

الثنائية مع الدول الأخرى ، وبخاصة مع الاتحاد السوفييتي، أو على سعيد حلفائها المباشرة للكيان الصهيوني حين نصبت جسرا جويا وآخر بحريا نقلت بهما كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات الحديثة والذخائر إلى هذا الكيان فاستعملتها قواته في ميدان المعركة بشكل فوري ، مما أدى إلى تطوّر القتال واتخاذه منحى جديدا ، وحين دفعت أسطولها السادس مستنفرا إلى شرقي البحر المتوسط ، وعبّأت قواتها المتمركزة في أوربا ، وبخاصة النووية ، فدفعت العالم كله إلى حافة حرب نووية مدمّرة .

وإذا كانت المعادلة الخاصة بتوازن القوى بين الكيان الصهيوني والدول العربية قد فرضتها الإمبريالية والصهيونية لفترة من الزمن فإن الأساس الذي بنيت عليه تلك المعادلة قد اهتز اهتزازا عنيفا في حرب ١٩٧٣ لأن حساب ميزان القوى بين (إسرائيل) والدول العربية أعقد بكثير من هذه العملية الحسابية المبسّطة الضلّلة ، فهو يتضمّن مجموعة من العناصر والعوامل ليس السلاح سوى أحدها ، وإن كان من أهمها ومن أكثرها تأثيرا وحسما .

ومن أجل التعرف على تطور التسلح في الدول العربية و(إسرائيل) يمكن العودة إلى الكتب والمنشورات الدورية التي تصدرها بعض مؤسسات الدراسات والبحوث مثل المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن *The International institute for Strategic Studies* ومعهد ستوكهولم لبحث السلم الدولي *Stockholm International Peace Research Insiitute* ، وغيرهما .

المراجع :

ـ حسين عويضة : ميزان القوى العربي ـ الإسرائيلي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ الهيثم الأيوبي وهشام عبد الله : ميزان القوى العربي ـ الإسرائيلي ١٩٧٤ ، بيروت .

التوراة :

التوراة *Torah* كلمة عبرانية قديمة تعني الهداية أو الإرشاد . والتوراة كتاب اليهود المقدس الذي يتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم . وقد آمن المسيحيون بما جاء في التوراة فأضافوها إلى أسفار العهد الجديد (الأناجيل الأربعة ، والرسائل ، وأعمال الرسل) . ولكن لم يعترف بعضهم بكامل التوراة ، وخالفوا اليهود في ثلاثة أمور أولها : في اعترافهم بأسفارها ، وبخاصة البروتستانت الذين لم يعترفوا عند نسخهم العهد الجديد بسبعة أسفار كان يهود

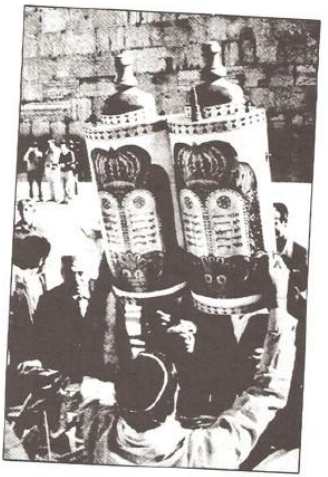

الإسكندرية في الفترة الرومانية وما بعدها قد اعتمدوها ، وهي : طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروك والمكابيين الأول والمكابيين الثاني . وهي الأسفار نفسها التي لم يعترف بها يهود فلسطين في ذلك الوقت . وثانيها : في تسميات بعضها الآخر ، فأصبحت أسماء الأسفار : اللاويين وصموئيل الأول وصموئيل الثاني والملوك الأول والملوك الثاني عند البروتستانت ، وعند الكاثوليك : الأحبار والملوك الأول والملوك الثاني والملوك الثالث والملوك الرابع ، بالترتيب . وثالثها : إضافة كلمة « نبوءة » إلى أسفار الأنبياء في النسخة الكاثوليكية (ر : المسيحية) .

وتذكر المصادر أن أقدم قراءة للتوراة العبرية جرت حوالي عام ٤٤٤ق.م . عندما دعا النبي عزرا اليهود إلى سماع بعض منها . وبعد الانتهاء من القراءة أقسم المجتمعون على إطاعة ما جاء فيها ، وعلى جعلها دستورا لدينهم ودنياهم . وفي عهد ملك مصر بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م .) شكا يهود الإسكندرية من عدم قدرتهم على فهم أسفار التوراة بالعبرية ، فقام بطليموس بتكليف الذين وسبعين فقيها من فقهاء اليهود من بيت

المقدس بجمع أسفار التوراة وترجمتها من العبرية أو الآرامية إلى الإغريقية . وسميت هذه الترجمة بالترجمة السبتاغوينية *Septuagint* أي السبعينية . وفي مستهل القرن الثاني الميلادي ترجمت التوراة إلى السريانية ، وفي القرن الثالث إلى القبطية ، وبعد ذلك إلى الحبشية ، ثم إلى اللاتينية والعربية (٧١٨ م) وإلى غيرها من اللغات .

لم تجمع أسفار التوراة بشكلها البروتستانتي والكاثوليكي دفعة واحدة ، بل على عدة مراحل . وفي حين تعتبر أسفار الأنبياء (أشعياء ـ أرميا ـ حزقيال ـ دانيال ـ عاموس ـ هوشع ـ عوبديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجّي ـ زكريا ـ ملاخي) أقدم الأسفار جميعا يؤكد المؤرخون أن الأسفار الخمسة الأولى (التكوين ـ الخروج ـ اللاويّين ـ العدد ـ التثنية) أو ما يسمى (بنتاتوك *Pentateaque*) لم تأخذ شكلها المعروف إلاّ في فترة السبي البابلي * (٥٨٦ ـ ٥٣٨ ق.م.) ، وأنها نقحت خلال القرنين التاليين . كما يرجحون أن سفر دانيال وعددا من المزامير كتبت أثناء فترة الحكم السلوقي لفلسطين ، وبالتحديد بين ١٦٨ و١٦٥ ق.م. (رَ : السلوقيون) .

وبالرغم من أن جانبا كبيرا من العهد القديم قد اتخذ شكله المعروف فيما بين عهد عزرا والعزر الروماني للمنطقة (حوالي ٦٤ ق.م.)فإنه لم يكتمل حتى مجمع يامنيا عام ٩٠ م الذي اعترف ، بعد مناقشات مستفيضة ، بمعظم الأسفار المعروفة اليوم ، التي تتردد خلالها إشارات عابرة إلى بعض الأسفار الضائعة ، ومنها سفر أخبار شمعيا وسفر ياشر وسفر أمور سليمان وسفر شريعة الله وسفر توراة موسى وسفر كلام ناثان النبي وسفر أخبار الأيام للملك داود وسفر أخبار الأيام لملوك يهودا وسفر ملوك إسرائيل ، وغيرها . ونشير الأسفار الأخيرة إلى أمرين : أولها أنه كان لكل ملك من ملوك يهودا وإسرائيل سفر خاص به . وثانيها أن الأسفار كانت تكتب في فترة قريبة من الحدث الذي تتناوله ، مع صياغتها بالقالب الذي أراده لها كاتبها . ولما كان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة فإن معظم المؤرخين يرجحون تعرضها ، خلال جيل أو أكثر ، لما تتعرض له عادة الأقوال المنقولة كلها مشافهة . ومن هنا نشأ كثير من التناقض غير المقصود في بعض الأحيان ، كما أثار الضغط على بعض النقاط الشك فيها أكثر مما أكد الحقيقة التي تحاول إبرازها . وهذا يعتقد كثير من المؤرخين أن التوراة المعاصرة ليست التوراة الأصلية ، أو أنها ، على أفضل تقدير ، التوراة مع كثير أو قليل من الإضافات . وهذا ما يثبته استعراض تاريخ التوراة .

تذكر المصادر المقدسة أن موسى * بعد تلقيه أوامر ربه في سيناء كتب هذه الأوامر وسلمها إلى « اللاويين » لحفظها في تابوت العهد في « شيلوه » ، وأمرهم بقراءتها أمام كل بني إسرائيل بعد سبع سنوات ، وفي عيد « المظال » . وقام خليفته يشوع بتنفيذ ذلك الأمر ، ومن ثم حفظ نسخة التوراة الوحيدة . وأثناء الحرب مع الفلسطينيين اصطحب اليهود توراتهم المحفوظة في تابوت العهد للتبرك بها والحفاظ عليها . وبنتيجة الحرب استولى الفلسطينيون على التابوت والتوراة ، واحتفظوا بهما سبعة أشهر ضاع فيها أي ذكر للتوراة . ثم وردت أخبار عن استعادة اليهود التابوت الذي فقد مرة أخرى أثناء حصار القائد البابلي نبوخذ نصر بيت المقدس (٥٨٨ ـ ٥٨٦ ق.م.) . وبعد خراب بيت المقدس بسبعين عاما خرج المدعو عزرا يزعم عثوره على الأسفار التي تمسّك بها اليهود .

ويعتقد بعض المؤرخين أن عزرا (وكان يهوديا متحمسا) جمع من أحبار اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي عددا من الكتب والروايات المقدسة التي سمعها أو اطّلع عليها ، وأنه قام بإعداد أول نسخ التوراة المكتوبة رتب فيها الأسفار وقسمها ثلاثة أقسام : القانون ، والأنبياء ، والمكتابات المقدسة . ويتكون القسم الأول من أسفار التكوين والخروج واللاويّين والعدد والتثنية . والثاني من أسفار يشوع والقضاة مع راعوث والملوك وصموئيل وأشعيا وأرميا مع المراثي وحزقيال ودانيال والاثني عشر نبياً الآخرين وأيوب وعزرا ونحميا وأستير . ويتضمن القسم الثالث أسفار المزامير والأمثال ونشيد الأنشاد والجامعة .

وقد عثر الأثريون على عدد من نسخ التوراة ، أو أسفارها التي كتبت في عصور مختلفة ، وأحدث ما عثر عليه في عام ١٩٥١ مجموعة الأسفار في منطقة بيت لحم ، وقبلها بقليل (عام ١٩٤٧) عثر في كهف في خربة قمران في الشمال الغربي من البحر الميت * على مجموعة أخرى من المخطوطات العبرانية يعتقد أنها دونت في الفترة الهلنستية ، وتضم المجموعة نصا لسفر أشعيا وأجزاء متفرقة من أسفار أخرى (رَ : البحر الميت ، مخطوطات) .

المراجع :

ـ جورج يوست . قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩١ ـ ١٩٠١ .
ـ سامي سعيد الأحمد . الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ، بغداد ١٩٦٩ .
ـ أحمد شلبي : مقارنة الأديان اليهودية ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي ، أطواره ومذاهبه ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ علي إبراهيم عطية : الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، القاهرة ١٩٥٠ .
ـ محمود مصطفى : التوراة مرشح خلاف ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ علي عبد الواحد وافي : اليهودية واليهود ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ١٩٢٧ .

ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، سورية:١٩٦٤ .
ـ ويل ديورانت : قصة الحضارة ، المجلد الأول ، الجزء الثاني .
— Adams, Y.M.K: **Ancient Records and the Bible,** 1946.
— Auchincloss, W.S.: **Chronology of the Holy Bible,** New York 1911.
— **Encyclopaedia Britannica,** Vol 2, S.v. Biblical literature.
— Fleming: **Dictionary of the Bible,** London.
— Horn, S.H.: **Bible Dictionary,** Washington 1960.
— Marston, C.: **The Bible is True,** London 1937.

التوسعية الصهيونية :

التوسعية الصهيونية هي المصطلح الذي يطلق على مخطط الصهيونية العالمية الرامي إلى احتلال فلسطين بأسرها ثم التوسع إلى أراضي بعض الدول العربية المجاورة . ويسمّى هذا المخطط التوسعي في المفهوم الديني اليهودي « إسرائيل الكبرى » ، أي إقامة الدولة اليهودية الكبرى التي يتجمع فيها يهود العالم . وتتجلى الأهداف الصهيونية التوسعية باحتلال الأراضي الفلسطينية متجاوزة مفهوم « الوطن القومي » الذي أشار إليه وعد بلفور* (١٩١٧) ، وقرار التقسيم* (١٩٤٧) وخطوط الهدنة المؤقتة (١٩٤٨) (رَ : الهدنة ، اتفاقية) .

ولعل مصطلح « إسرائيل الكبرى » هو التجسيد الواقعي للتوسعية الصهيونية ، لأن الصهيونية لم يكن لها دولة شرعية ذات حدود معترف بها دولياً وعربياً حتى تسعى إلى التوسع خارج حدود هذه الدولة . بل إن الصهيونية أرست مخططها منذ البداية على إقامة « إسرائيل الكبرى » تدريجياً دون الإعلان صراحة عن حدود الكيان الذي تسعى إلى تحقيقه . وتختلف الآراء حول تعيين هذه الحدود ، على الرغم من أن بعضها يستند في ذلك إلى ما ورد في التوراة ، لأنها مبهمة وغامضة في النصوص التوراتية ذاتها .

أما المراحل التي مرّ بها مخطط إنشاء « إسرائيل الكبرى » قبل ظهور الصهيونية* كحركة سياسية وبعده فيمكن تقسيمها على النحو التالي :

١) مرحلة الانتقال من الحنين الديني إلى « حب صهيون » . وهي المرحلة التي امتدت عبر العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي : ١٨٧٠ ـ ١٩٠٠ .

٢) مرحلة تنظيم الوجود الصهيوني العالمي ، وإرساء دعائمه ، وتأسيس الأجهزة العاملة لترتيب النشاط الصهيوني في فلسطين من ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠ .

٣) مرحلة تأسيس « الوطن القومي اليهودي » وترسيخ مقومات الوجود الصهيوني على أرض فلسطين في ظل الانتداب البريطاني : ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨ .

٤) الوجود الصهيوني في العالم منذ قيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨ حتى الآن وما تخلله من حروب استطاعت (إسرائيل) خلالها اكتساب المزيد من الأراضي العربية والتوسع خارج خطوط الهدنة .

وقد سعت الصهيونية وتسعى إلى تحويل حنين اليهود الديني إلى الأماكن المقدسة عن مقصده ، وربطه بعجلة أطماعها السياسية والإقليمية تحت ستار الأحلام التي تسير إلى التحقيق ، والأساطير التي تترجم إلى الواقع . وتستند الصهيونية إلى الحجج الدينية والتاريخية لتبرير اغتصابها فلسطين وتغليف أهدافها التوسعية في الوطن العربي .

تقوم الذريعة الدينية على إبراز العلاقة التي تربط الديانة اليهودية القديمة بأرض فلسطين ، وبالتالي على العلاقات الروحية التي تشد معتنقي هذه الديانة إلى « أرض فلسطين» . وزعم أصحاب هذه الذريعة أن الله وعد اليهود بفلسطين وأعطاهم إيّاها ردحاً من الزمن . وحين طردوا منها وعدهم ، على لسان الأنبياء ، بالرجوع إليها في الوقت المناسب ، حتى إن بعضهم يضع مسألة إرجاع اليهود إلى فلسطين في منزلة ممتازة من التدبير الإلهي للعالم والكون . ويدّعي أصحاب الذريعة الدينية أن طقوس العبادة والصلوات اليهودية تتركز كلها على فلسطين ، وعبادة الله الحقة لا تتم إلاّ في الهيكل المقدّس ، ولا تكتسب الصلوات والطقوس والشعائر الدينية اليهودية معناها الكامل إلا وسط بيئتها الطبيعية في فلسطين . ثم يذهب هؤلاء إلى القول إن « إرجاع» اليهود إلى فلسطين يؤلف الشرط الضروري لنمو الديانة اليهودية وازدهارها ، ويؤهّل هذه الديانة للمساهمة بقسطها كاملاً في الحياة الروحية للجنس البشري .

وهم يرون الديانة اليهودية « قومية » قبل أن تكون عالمية جامعة يعتنقها أناس من مختلف القوميات والجنسيات ، سواء اكتسبوا الدين اليهودي بالوراثة أو اعتنقوه اعتناقاً . فاليهودية في نظر أصحاب هذه الذريعة تؤلف بطبيعتها ديناً ودنيا على السواء ، وتعبّر عن ذاتها في حياة مجتمع له كيان مستقل .

تضم الصهيونية إذن عنصراً دينياً استغلته في محاولاتها الهادئة إلى تسخير الديانة اليهودية لخدمة أغراضها ، ولحمل اليهود من جهة ، والعالم المسيحي من جهة أخرى ، على مسايرة أهدافها السياسية . وأهم جوانب هذا العمل الديني التركيز على ما يسمى « العلاقة التاريخية » بين اليهود و« أرض ـ إسرائيل » ، وعرضها بشكل يخدم المطامع الصهيونية .

يطلق اسم « أرض ـ إسرائيل » (إيرتس ـ يسرائيل) وفقاً لما تزعمه التعاليم اليهودية على ذلك الجزء من العالم الواقع في جنوب غربي آسيا . وتضم هذه الأرض ـ حسب المصطلحات الجغرافية الحالية ـ فلسطين بحدودها أيام الانتداب البريطاني ، وأجزاء من

الدول الأخرى القريبة منها هي لبنان وسورية والأردن والعراق ومصر . ويعتبر اليهود واليهودية هذه المنطقة مهد تكوّنهم وتبلورهم . وتعود جذور عبارة « أرض ـ إسرائيل » إلى التوراة ، رغم أن استعمالها ، بمدلولها الحالي ، بدأ على ما يبدو في نهاية عهد « مملكة إسرائيل » الثانية خلال القرن الأول للميلاد . وتوسّع مفهوم هذه العبارة على مرّ السنين ، مع ازدياد تشتت اليهود ، ونتيجة لاجتهادات حكماء اليهودية ، فأصبح يعني أيضاً علاقة وثيقة ودائمة بين اليهود و « أرض ـ إسرائيل » ، واعتقاداً بوجوب عودة اليهود إليها مع ظهور المسيح المخلّص . من جهة ثانية كان هذا في الأصل تعبيراً عن أماني سياسية كامنة أخذت تبرز وتختفي بحسب الأوضاع السياسية التي وجد اليهود أنفسهم يعيشونها في أي مكان أو زمان .

إن العلاقة بين اليهود و « أرض ـ إسرائيل » ، وفي تلك الحدود نفسها ، ليست واضحة ، وتختلف باختلاف ما جاء عنها في التوراة ، أو في الكتب اليهودية المقدسة الأخرى . وهو اختلاف يعود إلى عامل الزمن ، والتأثر بطابع العصر الذي كتبت فيه التوراة ، أو أية أجزاء منها ، أو العصور التالية التي كتبت خلالها الكتب اليهودية المقدسة الأخرى . فهناك أولاً العلاقة المنصوص عليها في الميثاق الذي قطعه الإله لإبراهيم عندما اتفاده من أور إلى كنعان كما جاء في التوراة .

يرد ذكر الوعد الذي ينص صراحة على إعطاء نسل إبراهيم « أرض كنعان » ابتداء من سفر التكوين (١٣ / ١٧) وحتى نهاية الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين من الكتاب المقدس .

يقول سفر التكوين (١٨/١٥) : " في ذلك اليوم قطع الربّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " . وقد ورد في سفر التكوين أيضاً (١٧ / ٨) أن الربّ عاد وقطع الوعد لكل من إسحق * ويعقوب * ، كما أبرم الميثاق مع إبراهيم بطريق الختان مخاطباً إياه على النحو التالي : " وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً . . . "

إلاّ أن هناك « أرض ميعاد » أخرى ، وهي التي وعد الإله موسى * بها بعد خروج اليهود من مصر : " وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي تجاه أريحا ، فأراه الربّ جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض افرايم ومنسّى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر . وقال له الربّ : هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها " (سفر التثنية ٣٤ / ١ ـ ٥) .

ولكن هذه الحدود أيضاً غير واضحة رغم إسهاب التوراة في وصفها . فقد رسمت حدود أرض الميعاد ، مرة أخرى ، واستناداً إلى تفسيرات واجتهادات عديدة ، بشكل يضم المنطقة الواقعة بين البحر غرباً والصحراء شرقاً ، بما في ذلك القسم المأهول من شرقي الأردن كله . أما حدودها الجنوبية فتمتد على خط يصل بين العريش والعقبة في حين أن الحدود الشمالية غير واضحة وتشير إلى جبل الشيخ (حرمون) فقط .

وقد جاء في سفر يشوع (الإصحاح الأول / الآية ٣) : " كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير (البحر المتوسط) نحو مغرب الشمس يكون تخمكم " .

وجاء أيضاً في سفر يشوع (الإصحاح الثالث عشر / من الآية ١ حتى الآية ٦) : " وقد بقيت أراض كثيرة جداً للامتلاك . هذه هي الأراضي الباقية : كل دائرة الفلسطينيين ، وكل أرض الجشوريين من الشيحور (الفرع الشرقي من النيل) الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون (مدينة على بعد ١٥ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا) شمالاً تحسب للكنعانيين . . . من التيمن إلى أفين (أفقا ـ لبنان) إلى تخم الأموريين ، وأرض الجبليين (نسبة إلى جبيل) وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون (مدينة حاصبيا على سفح جبل الشيخ) إلى مدخل حماة . جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم (المشيرفة بين عكا ورأس الناقورة) جميع الصيدونيين أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل ، إنما اقسمها بالقرعة لإسرائيل كما أمرتك " .

وتقوم الصهيونية بتفسير نصوص التوراة على هواها وتبعاً لمصالحها وأطماعها المعروفة . على أن فحوى الذريعة الدينية التي تتوسل بها الصهيونية تتعلق مباشرة بالزعم القائل إن إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين قد تنبأت بها وأعلنتها نصوص الكتاب المقدس . أي أن ذريعة الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين وإنشاء « الوطن القومي اليهودي » على أرضها هي وليدة الزعم القائل إن الربّ وعد شعبه المختار بإعطائه هذه الأرض ، وبذلك منحه « الحق الإلهي » في فلسطين .

إن النظر السريع إلى جميع هذه النصوص يشير مجموعة من الملاحظات :

١) إن هناك مصدرين فقط أوضحت فيهما بالتفصيل

الخطوط التي تسير فيها حدود « أرض الميعاد » الأربعة ، وهما سفر العدد (٣٤ / ١ ـ ١٢) ، وسفر حزقيال (٤٧ / ١٥ ـ ٢٠) .

٢) إن بقية المصادر تحدد أرض الميعاد تحديداً عاماً ، كأن تعتبرها تمتد من النيل إلى الفرات ، أو من سيناء إلى نهر الفرات ، أو من البحر الأحمر إلى بحر فلسطين ، أو من الفرات إلى البحر الغربي (المتوسط) .

٣) إن حدود أرض الميعاد كما هي مرسومة في سفر العدد (٣٤ / ١ ـ ١٢) أصغر منها في أي نص آخر .

٤) إن رسم الحدود في النصوص المفصّلة يعتمد على تسميات لمراكز قديمة بعضها غير معروف في الجغرافية الحديثة . وبالنسبة إلى الحدود الشمالية فإن أبرز حدّ هو خط يمتد من المتوسط إلى جبل هور ، فمدخل حماة ، فصدد (مكان قرية حتيالا بين البحر الكبير ونهر عكار) ، كما هو في سفر العدد (٣٤ / ٧) أو من حتلون إلى صدد ، كما هو في سفر حزقيال (٤٧ / ١٥) . وتستخدم بعض النصوص أحياناً للدلالة على الحد الشمالي بالإشارة إلى مدخل حماة وجبيل ، كما هو في سفر يشوع (١٣ / ١ ـ ٦) . ولقد أدّى ذلك إلى اجتهادات صهيونية مختلفة في رسم الحد الشمالي لأرض الميعاد . بيد أن جمع هذه الاجتهادات اعتبرت أن لبنان هو جزء من التصور التوراتي لأرض الميعاد ، سواء أكان الاعتماد على النص الذي يتصور حدوداً مثالية للدولة اليهودية ، كما هي الحال في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢٠ من النيل إلى الفرات) أو النص الذي يتمثل فيه الحد الأدنى لحدود الدولة اليهودية كسفر العدد (٣٤ / ١ ـ ١٢) .

وتضم « أرض إسرائيل » ، بحسب هذه الحدود نحو ٤٣ ألف كم٢ . إلا أن هنالك حدوداً أخرى تدعى « الحدود الطبيعية لأرض إسرائيل » ، وهي أكبر قليلاً من الحدود « الأصلية » وتصل مساحتها إلى نحو ٥٩ ألف كم٢ نصفها تقريباً غربي نهر الأردن « أرض ـ إسرائيل الغربية » والنصف الآخر شرقي النهر « أرض ـ إسرائيل الشرقية » . ويلاحظ أن التعريف الثاني « لأرض إسرائيل » بالحدود التي زُعم موسى بها شائع أكثر من الأول .

وتجدر الإشارة إلى أن حدود المنطقة التي طلبت المنظمة الصهيونية العالمية * من مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ الاعتراف بها على أنها « وطن قومي » لليهود متماشية مع التعريف الأخير لحدود « أرض ـ إسرائيل » .

وإذا كانت الذريعة الدينية تقوم على مطالبة الصهيونيين بفلسطين انطلاقاً من الزعم « بحقهم الإلهي » في « الأرض الموعودة * » واستناداً إلى الميثاق المبرم بين الرب وإبراهيم * ، والعهد المقطوع لنسل إبراهيم وذرّيته ، فإن الذريعة التاريخية تستمد مقوماتها من مفهوم ينطوي على ادّعاء الحق التاريخي لليهود في فلسطين ؛ فقد وصف هرتسل فلسطين بقوله : " موطننا التاريخي الماثل في الذاكرة على مرور الزمن " .

وتضمنت توطئة إعلان قيام (دولة إسرائيل) عبارة « أرض إسرائيل مهد الشعب اليهودي » .

إذن فالصهيونية تقرن رغبتها في الاستيلاء على فلسطين بزعم وجود حقوق تاريخية لليهود فيها لأن أجدادهم الغابرين سكنوها قبل ستة وعشرين قرناً من الزمن ، وسرعان ما تتحول الروابط التاريخية إلى تأكيد الحق التاريخي لليهود في فلسطين . وتصبح بلاد الآخرين في نظرهم " الإقليم الطبيعي لإقامة شعب الله المختار في أرض الله المقدسة " . ويزعم أصحاب هذا الإدّعاء أن الحياة اليهودية في فلسطين لم تنقطع " من أيام الرومان إلى العصور الحديثة بل استمرت طوال القرون الماضية وحافظت على صلاتها الفريدة باليهود المنتشرين في مختلف أنحاء العالم " .

انطلقت الصهيونية من هذه الذرائع الدينية والتاريخية مستمدة منها وجودها ، ومستغلة الظروف التي كانت تحيط باليهود وأوضاعهم الذاتية خلال القرن التاسع عشر في روسيا وأوربا الشرقية وأوربا الغربية . وساعدتها عوامل أخرى مثل تبلور الفكرة القومية وقيام الكثير من الدول القومية ، ثم اتساع نفوذ الاستعمار الأوربي من جهة ، وظهور العداء للسامية من جهة أخرى (ر : اللاسامية) .

وليست الفكرة الصهيونية ، بمفهومها الداعي إلى جلب اليهود إلى فلسطين ، وإقامة دولة لهم فيها يعترف بها دولياً من خلال نشاط سياسي واستيطاني يقومون به ، ليست وليدة القرن التاسع عشر ، بل يرجع تاريخها إلى نحو قرنين قبله . فخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وجد أشخاص كثيرون ، من بين اليهود وغيرهم ، يعتنقون تلك الفكرة ويدعون إلى تحقيقها بدوافع متباينة . لكن الفشل كان من نصيبهم بسبب انعدام الظروف الملائمة ، يهودياً وعالمياً ، لتحقيق مثل هذه الفكرة . وقد ظهرت بين اليهود خلال العصور الوسطى من حين إلى آخر ، وفي هذا البلد أو ذاك ، حركات دينية تدعوهم للهجرة إلى فلسطين « أرض ـ إسرائيل » أو زعماء دينيون هاجروا إلى هناك .

ومن الشخصيات اليهودية الأولى التي نادت بإقامة دولة يهودية في فلسطين الحاخام يهودا الكلعي (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) السفاردي الأصل من يوغوسلافيا ، إذ دعا إلى توطين اليهود في فلسطين . ويعتبر الكلعي ، بسبب كتاباته ، واحداً من روّاد الفكر الصهيوني ، وبتأثيره أصدر الحاخام الألماني تسفي هيرش كالبشر سنة ١٨٦٢ كتاباً بالعبرية عنوانه « البحث عن صهيون » ، طوّر فيه الآراء التي دعا إليها الكلعي . وفي السنة نفسها أصدر موشي هيس كتاباً آخر بالألمانية بعنوان « روما والقدس » ودعا فيه لآراء مماثلة . وفي مطلع

الثلاثينات من القرن التاسع عشر توجّه كاليشر إلى أحد أبناء عائلة روتشيلد اليهودية الثرية في باريس مقترحاً عليه شراء فلسطين من حاكمها محمد علي لإقامة مستعمرات فيها للمهاجرين اليهود من أوربا الشرقية . وعرض الفكرة نفسها أيضاً على اليهودي البريطاني مونتفيوري .

وحين فرضت السلطات الروسية القيصرية مزيداً من القيود على يهود روسيا ، وحصرت إقامتهم في أماكن معينة ، وجد بعض دعاة « التحرر والتنوير » (ز : التنوير والاندماج اليهودي ، حركة) من المثقفين اليهود ذريعتهم المنشودة لمحاربة الاندماج والتفتيش عن حل عملي للمسألة اليهودية . فظهر بيرتس سمولينسكين (١٨٤٢ - ١٨٨٥م) وأخذ ينشر آراءه الخاصة بأوضاع اليهود ومشكلاتهم في روسيا داعياً إلى هجرتهم من موطنهم إلى المكان الوحيد الذي يستطيعون العيش فيه وهو « أرض - إسرائيل » . وانضمّ إليه موشيه ليف ليبنبلوم (١٨٤٣ - ١٩١٠م) فأصدر كرّاساً عنوانه « بعث الشعب اليهودي في أرض أجداده المقدسة » دعا فيه إلى إنشاء جمعية للاستعمار . وسارع الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤ - ١٨٩٨ م) إلى تأسيس أول جمعية لاحباء صهيون * وأصدقائها في سنة ١٨٨٢م . وكان من بين المفكرين الصهيونيين الأوائل أيضاً اليعزر بن يهودا (١٨٥٧ - ١٩٢٢ م) الذي دعا إلى « استيطان أرض - إسرائيل » وإحياء اللغة العبرية لغة قومية ، وكان له التأثير الأكبر في تحديث اللغة العبرية .

ترعرعت فكرة النوسعية الصهيونية في عهد الصهيونية الهرتسلية (١٨٩٥ - ١٩٠٥م) . ويعتبر الصحافي النمساوي تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة والأب الروحي لها بلا منازع ، فهو الذي وضع الأسس العقائدية للصهيونية السياسية ، وكرّس العقد الأخير من حياته لنقل أفكاره إلى سعيد العمل وللتنظيم . وإليه يعود الفضل في توحيد الصفوف الصهيونية تحت راية المنظمة الصهيونية العالمية عن طريق الدعوة التي وجّهها لعقد أول مؤتمر صهيوني على مستوى يهود العالم . ففي سنة ١٨٩٦ أصدر هرتزل كتاب « دولة اليهود » واصفاً إياه بأنه « محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية » . واعتبر أن المسألة اليهودية هي « مسألة قومية » وأن « الدولة اليهودية ضرورة لا بد منها للعالم ، لذلك سوف يتم خلقها» ، وأن « الوحدة التاريخية للشعب اليهودي حقيقة لا سبيل إلى نكرانها » .

ولا تقتصر أهمية التفكير والنقاش اللذين دارا داخل الحركة الصهيونية حول تحديد الأرض الملائمة للدولة اليهودية على الناحية التاريخية ، بل إن هذا النقاش يساعد على تفهم الدوافع الحقيقية الكامنة في الحركة الصهيونية ، ويوفّر الجواب على كثير من الادعاءات الصهيونية .

حين نشأت فكرة الدولة اليهودية عند هرتزل لم تكن مرتبطة بفلسطين ارتباطاً وثيقاً . وهو يعلن في كتابه « دولة اليهود » أنه لا يفضل بلداً على آخر . ويتساءل : أنختار فلسطين أم الأرجنتين ؟ ويقول : " سنأخذ ما يعطى لنا وما يختاره الرأي العام اليهودي ... فالأرجنتين من أخصب بلاد العالم ، وهي عتدة على رقعة شاسعة قليلة السكان معتدلة المناخ . وستحصل جمهورية الأرجنتين على أرباح كبيرة من جرّاء التنازل عن قسم من أراضيها لنا ... وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا ينسى ، وإن مجرد اسم فلسطين يجتذب شعبنا بقوة ذات فاعلية عجيبة " . ثم يقول : " إذا منحنا جلالة السلطان فلسطين فستتعهد بحل مشاكل تركيا المالية بأكملها " .

ولم يقتصر تفكير هرتزل على الأرجنتين ، بل فكّر في جزيرة موزمبيق التي كان يحتلها البرتغاليون ، وفي أفريقيا الشرقية (أوغندا). كذلك تقدم هرتزل بمطلب إلى وزير المستعمرات البريطاني في ١٩٠٢/١٠/٢٢ لاستيطان اليهود وإقامة دولتهم في قبرص وميناء والعريش .

لكن استقر رأي الحركة الصهيونية في نهاية الأمر على أن يكون هدفها إقامة الدولة اليهودية في فلسطين . وعلى الرغم من أن هذه الحركة استعملت اسم فلسطين في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، ونجحت في نهاية الأمر بالحصول على وعد بلفور من الحكومة البريطانية بإنشاء « وطن قومي » لليهود في فلسطين ، على الرغم من ذلك لم يكن اسم فلسطين في ذلك الوقت إسماً دولياً محدداً ، وإنما كان إسماً جغرافياً وتاريخاً ، ولم يعط هذا الاسم صفة دولية سياسية محددة إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكجزء من التسوية التي جرت بين الحلفاء في تلك الحرب . ومن هنا فإن اسم فلسطين الدولي لم يكن مطابقاً لاسم فلسطين حسب المفهوم الصهيوني . وقد أحدث هذا الاختلاط في التسمية تشويشاً خلق الانطباع بأن أطماع الصهيونية العالمية تقتصر على أرض فلسطين ضمن الحدود الدولية التي استقرت عليها بعد الحرب العالمية الأولى . وكان هذا التشويش سبباً في عدم التبين الصحيح لأهداف (إسرائيل) التوسعية الحقيقية .

حدد برنامج بازل * الذي أقرّه المؤتمر الصهيوني * الأول أن " غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام " .

وأقرّ المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨م) تأسيس « المصرف اليهودي الاستعماري » ومزاولة النشاط « الاستيطاني » بصورة

منظمة . وفي المؤتمر الثالث (١٨٩٩) تمّ تأسيس هذا المصرف تحت اسم « صندوق الإئتمان اليهودي للاستعمار » بغية تأمين النشاطات الاستيطانية في « فلسطين والبلاد المحيطة بها » . وأقر المؤتمر الرابع (١٩٠٠م) إعداد مسودة المشروع المتعلق بإنشاء الصندوق القومي اليهودي ونبّي شعار « العمل اليهودي على الأرض اليهودية » . وشهد المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١م) تأسيس الصندوق القومي اليهودي ، وقرر المؤتمر استخدام الأموال المتوفرة في الصندوق لغاية واحدة هي شراء الأراضي في فلسطين . أما المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥م) فقد قرر تعديل قانون «صندوق الإئتمان اليهودي للاستعمار » بحيث تأتي الفقرة المتعلقة بإعطاء الأفضلية لفلسطين وسورية لتكونا مسرحاً لتنفيذ المشاريع الاستعمارية اليهودية كما يلي : « في فلسطين وسورية وأي قسم آخر من تركيا الآسيوية وفي شبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص » .

إن التحديد الصهيوني لفلسطين ، أي للأراضي التي تطمح الصهيونية العالمية في امتلاكها وإقامة الدولة اليهودية عليها ،معروف منذ سنة ١٩١٩م ، إذ إن الجمعية الصهيونية العالمية كانت قد تقدمت بمذكرة إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في باريس ، في ١٩١٩/٢/٣ ، أوضحت فيها معالم الحدود التي تريدها لفلسطين ، أي للأراضي التي سيجري تحويلها إلى دولة يهودية . وقد طالبت هذه المذكرة الدول المجتمعة في مؤتمر السلام في باريس بأن تعترف بما أسمته " الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين ، وحق اليهود في أن يعيدوا إنشاء وطن قومي لهم فيها " . أما فلسطين هذه فقد حددتها المذكرة على الصورة التالية :

" إن حدود فلسطين يجب أن تتبع الخطوط العامة المبينة فيما يلي :

" في الشمال تبتدىء الحدود بنقطة تقع على ساحل البحر المتوسط بجوار صيدا وتتبع مجاري مياه الحمال اللبنانية حتى جسر القرعون ، ومنها إلى البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في اتجاه جنوبي متبعة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبل الشيخ حتى تصل إلى جوار بيت جن ، ثم تتجه شرقاً متبعة الضفة الشمالية لنهر مغنية حتى تحاذي الخط الحديدي الحجازي ، غرباً منه .

" وفي الشرق خط محاذ للخط الحديدي الحجازي وغرباً منه ينتهي في خليج العقبة* .

" إلى الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية .

" إلى الغرب البحر المتوسط .

" ويجب أن تسوّى أية تفاصيل للحدود أو أية تعديلات تفصيلية عليها بواسطة لجنة خاصة يكون للبهود ممثل فيها " .

وجاء في المذكرة أيضاً : " وجبل الشيخ هو بالنسبة إلى فلسطين أبو المياه الحقيقي . ولا يمكن فصله عنها بدون إنزال ضربة جذرية بحياتها . . . فيجب إذن أن يبقى تحت سيطرة أولئك الذين هم أرغب وأقدر على إعادته إلى نفعه الأقصى . ويجب وضع ترتيبات دولية لحماية حقوق المياه للسكان الذين يعيشون إلى الجنوب من نهر الليطاني . وإذا ما لقيت هذه المنابع عناية كافية فمن الممكن استخدامها لتنمية لبنان وكذلك لتنمية فلسطين .

" والسهول الخصبة الواقعة إلى الشرق من الأردن كانت منذ أقدم عصور التوراة مرتبطة اقتصادياً وسياسياً بالأراضي الواقعة غربي الأردن . وهذه البلاد التي يقطنها الآن سكان قليلون كانت أيام الرومان تعيل سكاناً كثيرين ، وهي تصلح الآن بصورة مدهشة للاستيطان على نطاق واسع . والمراعاة العادلة للحاجات الاقتصادية لفلسطين وشبه جزيرة العرب تتطلب حرية الوصول إلى الخط الحديدي الحجازي على طول امتداده للحكومتين .

" وإن التنمية الكثيفة للزراعة وغيرها من الفرص في شرق الأردن لتستوجب أن يكون لفلسطين حرية الوصول إلى البحر الأحمر ، وفرصة تطوير الموانىء الجيدة على خليج العقبة " .

لقد برزت معالم التوسعية الصهيونية ، واتخذت لها شكلاً محدداً في القرار الخاص الذي أصدره المؤتمر الصهيوني الثاني عشر (١٩٢١) بشأن مسألة الحدود . فقد أعلن المؤتمر باسم « الشعب اليهودي » ما يلي :

" يأخذ المؤتمر علماً ، وسط شعوره بالارتياح ، بأن منطقة شرقي الأردن التي ينظر إليها الشعب اليهودي كجزء متمم من أرض إسرائيل سوف تدمج في منطقة الانتداب الفلسطيني . ويجد المؤتمر نفسه ملزماً بالاعراب عن أسفه على أن مسألة الحدود الشمالية لأرض ـ إسرائيل لم تجد سبيلها إلى حل مرضٍ حتى الآن . . . كما يطالب المؤتمر اللجنة التنفيذية بألاّ تترك في المستقبل أية خطوة . . . للحؤول دون التخلي عن الوحدة الإدارية والاقتصادية الفلسطينية ـ أي في ضفتي الأردن ـ لمصلحة سياسة مناطق النفوذ ، لئلاّ يؤدي ذلك إلى تقلص إمكانات الاستيطان والاستعمار في وجه الجماهير اليهودية الباحثة عن عمل . ويأمل المؤتمر أن تستجيب حكومة الجمهورية الفرنسية لمصالح الشعب اليهودي وتفي بها " .

وفي مطلع عام ١٩١٩م أصدر الكاتب نورمان بنسويش الذي جاء مع القوات البريطانية من مصر إلى فلسطين كتاباً بعنوان « فلسطين اليهود : الماضي والحاضر والمستقبل » صدّره بخريطة لفلسطين تمتد من « بيروت إلى الخليج » وجاء في هذا الكتاب : " لا حاجة بفلسطين المستقبل أن تبقى محصورة ضمن حدودها التاريخية ، فالاستعمار الاستيطاني يمكنه أن يمتد حتى يشمل تلك الرقعة بأكملها

التي تضمنها الوعد (من الفرات إلى النيل) من البحر المتوسط إلى نهر الفرات ، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر ، هذه هي الأرض التي أعطيت للشعب المختار " .

أما آرثور رويين (١٨٧٦ - ١٩٤٣م) الذي كلفه المؤتمر الصهيوني الثامن (١٩٠٧م) دراسة أوضاع اليهود الاجتماعية والاستثمارات الصهيونية في فلسطين فقد أصدر في سنة ١٩١٩ دراسة مفصلة عن « بناء أرض - إسرائيل » دعا فيها إلى " توحيد فلسطين ضمن حدودها التاريخية والاقتصادية الطبيعية ، وجعلها تؤلف منطقة إدارية واحدة " ، ورسم هذه الحدود على النحو التالي :

" وفيما يتعلق بالحدود الشمالية التاريخية فقد شملت هذه دون جدال أحد المنبعين الرئيسين لنهر الأردن * ، أي المنبع الواقع عند بانياس (بالقرب من بلدة دان القديمة) . غير أن الأسباب الاقتصادية تتطلب بالضرورة أن تمتد فلسطين صوب الشرق لتشمل المنبع الآخر لنهر الأردن عند حاصبيا (الحاصباني) . فالأردن هو النهر الرئيس لفلسطين ، ومياهه بالغة الأهمية في حقلي الريّ وتوليد الطاقة . والاستغلال المناسب والمؤمّن لمياهه في فلسطين لا يمكنه أن يتم إلاّ متى أصبحت ينابيعه ملكاً لفلسطين . إن منبع الأردن عند حاصبيا (الحاصباني) يقع عند خط العرض ٣٣ - ٢٧ . لذلك تتجه حدود فلسطين الشمالية من منبع الأردن هذا على امتداد خط العرض المذكور حتى تصل البحر المتوسط . وإلى الشرق من حاصبيا تسير الحدود الشمالية على الخط نفسه (٣٣ - ٢٧) حتى تصل إلى قمة حرمون (الواقعة عند ٣٥ - ٥٥ شرقي غرينيش) ومنها إلى درعا .

" وفي الشرق نفرض علينا وجهة النظر التاريخية ضم كل من موآب وأمون القديمتين اللتين كانتا فيما مضى جزءاً من الدولة اليهودية داخل الحدود الشرقية وتوسيع الحدود بالتالي حتى الصحراء " .

وهنا ينتبه رويين إلى المعارضة المتوقعة في أوساط عرب سورية والحجاز لضم ذلك القسم الكبير من الخط الحديدي الحجازي إلى أراضي فلسطين فيتخوف من اشتداد تلك المعارضة لكون الخط المذكور يؤلف الاتصال الوحيد بين سورية والحجاز . وينصح بعدم الدخول في نزاع حول هذا الموضوع لأن الحكمة السياسية تقضي بذلك ، ويفضل البحث عن حل يرضي جميع المتنفعين الشرعيين . ويعثر على ذلك الحل في جعل الخط محايداً ، أو إخضاع المنطقة التي يمر بها لإدارة مشتركة . وحين يتعذر اعتماد هذا المخرج ، ويتحتم على الصهيونيين إرجاع الحدود الشرقية إلى غربي الخط الحديدي ، فلا بد من وصول فلسطين بالخط المذكور عند نقاط معينة مثل معان وعمان ودرعا . كما يستلزم ذلك الحصول على حق الأفضلية في استخدام الخط .

ثم ينتقل رويين إلى الحدود الجنوبية فيقول : " تتعين الحدود في الجنوب بخط يسير من رفح * على الحدود المصرية إلى العقبة ، ذلك المرفأ الذي كان يعرف أيام سليمان * باسم عصيون جابر ، ومن هنا مروراً بمحطة معان على الخط الحديدي الحجازي حتى الصحراء . ومن المسائل البالغة الأهمية لو أمكن التوصل عن طريق الاتفاق مع الحكومة البريطانية - المصرية إلى توسيع الحدود الجنوبية حتى العريش لأن هذه الرقعة الفاصلة حتى الآن تصلح على ما يبدو للتشجير ، وبذلك تصبح ملائمة جداً للاستعمار التوطيني اليهودي . والحكومة البريطانية لم تظهر ميلاً حتى الآن لتوطين هذه الرقعة لأنها رأت في هذا الحزام الصحراوي سداً طبيعياً يقيها الهجوم المفاجىء من الجهة التركية . ومع زوال هذا الخطر بقيام فلسطين مستقلة قد تعطي الحكومة البريطانية موافقتها على توطين يهود في هذه الرقعة وضمها إلى فلسطين بعد أن كانت جزءاً منها في قديم الزمان " .

وهكذا خرج رويين بصورة لفلسطين كبرى يبلغ طول رقعتها نحو ٢٦٠ كم وعرضها ١١٥ كم . وأصبحت حدود فلسطين المنشودة تضم ، بالإضافة الى فلسطين الانتداب ، الأقضية التالية : قضاء صور التابع لمتصرفية بيروت ، وقضاءي الكرك والسلط (متصرفية الكرك) ، وقضاء عجلون (متصرفية حوران) ، وقضاء القنيطرة (متصرفية دمشق) . ويبلغ عدد سكان هذه الرقعة التي رسم رويين حدودها استناداً إلى المعلومات الرسمية التي حصل عليها من السلطات العثمانية عام ١٩١٥ حوالي ٨٨٠ ألف نسمة . وقد وزع السكان حسب مذاهبهم على الشكل الآتي : ٧١٠ آلاف من المسلمين ، و ٩٠ ألفاً من اليهود ، و ٨٠ ألفاً من المسيحيين .

تمثلت المجاهرة بالتوسعية الصهيونية في الحركة التصحيحية بزعامة فلاديمير جابوتنسكي . فقد برزت خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني عشر (١٩٢١) معارضة للسياسة التي اعتمدها حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية . وتزعّم هذه المعارضة جابوتنسكي . وقد تمثلت فكرته التوسعية خلال المدة التي قضاها في عضوية اللجنة التنفيذية في الاهتمام الذي أعاره للمشكلات المتعلقة بما أسماه « قضية أمن اليهود في فلسطين » . وقد تطور نشاط جابوتنسكي الذي امتد عشرين عاماً (١٩٢٠ - ١٩٤٠) إلى ظهور « المنظمة الصهيونية الجديدة * » القائمة على دعوة الصهيونية الكبرى التي نادى بها جابوتنسكي . وتستند هذه الدعوة إلى تنظيم جيش

صهيوني ، وإقامة الدولة اليهودية على ضفتي نهر الأردن ضمن الحدود التاريخية القديمة لمملكتي إسرائيل ويهودا .

لقد أصبح التيار الذي تزعمه جابوتنسكي يعرف باسم «الحركة التصحيحية» . والتصحيحية التي نادى بها جابوتنسكي واتباعه قامت على الدعوة إلى تصحيح برنامج المنظمة الصهيونية ، وتسيير السياسة الصهيونية على خط يكفل قيام الكومنولث اليهودي في فلسطين ، ويقف في وجه التفسير الذي أورده ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك للانتداب في الكتاب الأبيض * الصادر سنة ١٩٢٢ والمتضمن فيما تضمنه إخراج شرقي الأردن من نطاق سياسة « الوطن القومي اليهودي » .

أما المبادىء الأساسية في برنامج الحركة التصحيحية فقد عددها جابوتنسكي على النحو التالي :

هدف الصهيونية	:	الدولة اليهودية
ساحة الدولة	:	على ضفتي الأردن
الأسلوب	:	الاستعمار الجماعي
النظام المالي	:	القرض القومي

وأشار إلى أن « عسكرة » الشباب اليهودي في فلسطين والشتات (الدياسبورا) من المهام الضرورية والمباشرة للصهيونية .

وهكذا برزت الحركة الصهيونية التصحيحية إلى حيّز الوجود فجاء تصحيحها لبرنامج بازل على الشكل التالي : " إن غاية الصهيونية هي تحويل فلسطين تدريجياً (مع شرقي الأردن) إلى كومنولث يهودي ، أي كومنولث يحكم نفسه بنفسه في ظل أكثرية يهودية قائمة . وكل تفسير آخر للصهيونية ، خصوصاً ما صدر في الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢ ، لا بد من اعتباره غير صحيح " .

وتضمّنت هذه المبادىء أيضاً الدعوة للمضي في تشكيل جيش يهودي مستقل ، والمناداة بتنفيذ الإصلاح الزراعي في فلسطين ، على أن يؤول هذا الإصلاح إلى نزع ملكية الأراضي العربية بحجة كونها تخص « طبقة الأفندية » ولأنها متروكة دون حراثة أو زراعة في حين تعمل الصهيونية ويسعى المنتمون إلى الحركة العمالية للاستيلاء على تلك الأراضي عن طريق الشراء بالأموال المجيّة من يهود العالم .

وعلى الرغم من التباعد والاختلاف الظاهر بين الصهيونيتين الرسمية والتصحيحية فإن نقاط التلاقي بينهما أكثر من أن تحصى ، وعلى مستويات كثيرة . وربما كان مردّ الخلاف بينهما إلى العوامل الشخصية والوسائل المتبعة أكثر منه إلى خلاف حول جوهر الصهيونية وهدفها النهائي . فالتوسع ليس وفقاً على الصهيونية المتطرفة التي يعتبرها الصهيونيون الآخرون مجرد نزعة تحريفية تتجاذبها الأهواء الشخصية وتسيطر عليها النزعة « المحاربة » لجابوتنسكي ، بل هو مرتكز أساسي في الفكر الصهيوني . فالصهيونية في نزعتها التوسعية ، وبجناحيها التصحيحي والرسمي العلني ، لم تنحرف عن صراط جابوتنسكي بل سارت في إثر خطواته واقتدت به .

ولا عجب في أن يتبنّى برنامج بلتمور * (١٩٤٢) آراء التصحيحيين التي طالما دعوا إليها ونادوا بها . فقد أكد الاجتماع الصهيوني في فندق بلتمور في نيويورك " الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين " ، ورفض الكتاب الأبيض * الصادر في سنة ١٩٣٩ ، وأيّد تأسيس كومنولث يهودي . وما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت جميع المنظمات الإرهابية والسكرية والصهيونية تعمل " يداً واحدة في جو من التنسيق والتعاون بغية تصعيد الإرهاب واللجوء إلى العنف والقوة في سبيل تحقيق المخطط الصهيوني " كما جاء في البيان الذي أصدرته الحكومة البريطانية في تموز ١٩٤٦ .

وأما الأساليب التي انتهجتها المنظمات السرية الإرهابية الصهيونية لحمل العرب على مغادرة فلسطين فهي : الإرهاب الذي بدأ بعد التقسيم بتنفيذ المذابح الجماعية كما حدث في دير ياسين (ز : دير ياسين ، مذبحة ـ ١٩٤٨) وناصر الدين (ز : ناصر الدين ، مذبحة) ، ونشر الإشاعات والرعب والضغط النفسي بين أهالي القرى العربية العزّل لحملهم على مغادرة قراهم إلى البلاد المجاورة ، وضرب الحصار الطويل وعزل السكان العرب عن سائر أجزاء البلد ، وقطع جميع الإمدادات عنهم كما حدث في طبرية * ، والاعتداءات المباشرة على المدنيين لطردهم من قراهم كما حدث في عين الزيتون * وصفورية * والصفصاف * .

وبعد إقامة (إسرائيل) في سنة ١٩٤٨ حُلّت جميع المنظمات الإرهابية وأدمجت في الجيش الإسرائيلي . إلاّ أن منظمة الإتسل أو الإرغون * « المنظمة العسكرية » التي قادها مناحيم بيغن منذ سنة ١٩٤٣م تحولت سنة ١٩٤٨م إلى حزب سياسي هو حزب حيروت * بزعامة بيغن ، وهو امتداد للحركة التصحيحية . وقد عارض حزب حيروت قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين * اعتلاقاً من ادّعائه المستمر أن لليهود الحق في استعادة « أرض ـ إسرائيل » « بحدودها التاريخية » .

لقد أسست الصهيونية العالمية (الدولة) التي أرادتها ، وعملت من أجل إنشائها بعد نصف قرن من الجهود المتواصلة بموجب قرار التقسيم الذي اتخذته منظمة الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ ورفضه العرب منذ البداية . وقد كان واضحاً لدى زعماء الصهيونية العالمية أن الدولة اليهودية التي نشأت بقرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، أو الدولة الأوسع التي نشأت عقب التوسع الإسرائيلي سنة ١٩٤٨ ، لن تكون سوى رأس جسر يمثل في مساحته جزءاً صغيراً من أطماعهم الأرضية ، لكنه يهيء لهم الفرصة للاندفاع نحو تحقيق هذه الأطماع .

ولقد بدأت (إسرائيل) منذ قيامها تعدّ نفسها للتوسع . فأخذت تتحين الفرصة للتوسع نحو الشرق منذ سنة ١٩٥٥ . فعهدت في سنة ١٩٥٦ جدّياً لاحتلال الضفة الغربية للأردن في سلسلة من الهجمات التي قامت بها القوات الإسرائيلية النظامية على المواقع والقرى الأمامية في الضفة. ففي ١٣ أيلول من تلك السنة هاجمت القوات الإسرائيلية قرية الرهوة وقتلت ١٥ عربياً ، وفي ١٤ أيلول قامت بهجوم ثان على قرية الخرندل وقتلت ١٥ عربياً ، وفي ١٦ أيلول قامت بهجوم ثالث على قريتي حوسان ووادي فوقين وقتلت ٣١ عربياً ، وفي ١١ ـ ١٢ تشرين الأول هاجمت مدينة قلقيلية * (ر : قلقيلية ـ مذبحة) وقتلت ٥٠ عربياً . وقد رافقت هذه الهجمات دعاية واسعة قامت بها الصهيونية لتهيئة الرأي العام العالمي لهجوم إسرائيلي على الأردن ، لكن يبدو أن العرض الذي تقدمت به فرنسا وبريطانيا (لإسرائيل) للقيام بهجوم مشترك على سيناء هو الذي غيّر وجه الاعتداء الإسرائيلي على الأردن ، كما كان مخططاً ، إلى مصر . وكان هدف (إسرائيل) في سنة ١٩٥٦ احتلال شبه جزيرة سيناء وضمها إليها ، إلا ان الظروف لم تكن مواتية في سنة ١٩٥٦ ، فتكررت المحاولة سنة ١٩٦٧ .

أما بالنسبة إلى الحدود الشمالية فقد بدأت (إسرائيل) تطالب منذ شهر آذار ١٩٥١ بالسيادة على المنطقة المتنوعة السلاح بينها وبين سورية ، ثم استولت على هذه المنطقة . ولم تستجب (إسرائيل) لقرار مجلس الأمن الصادر في ١٨/٥/١٩٥١ للانسحاب منها . وفي مرحلة ثانية أخذت (إسرائيل) تهاجم المخافر السورية المقدمة في عمليات متعددة (رَ : المناطق المتنوعة السلاح) .

لقد كان عدوان حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) مرحلة من مراحل التوسع الصهيوني . فقد أسفرت هذه الحرب عن احتلال أراض عربية جديدة وواسعة لا تتضمن فلسطين بحدودها الدولية المرسومة في فترة الانتداب البريطاني فحسب بل أقساماً من فلسطين الأوسع التي رسمت الصهيونية العالمية حدودها لتكون الدولة اليهودية المنشودة . وبدأت (إسرائيل) تتقدم نحو الهدف ـ هدف الاغتصاب الصريح بالضم ـ عندما أعلنت ضم الجزء العربي من مدينة القدس * . وكانت تلك أولى مراحل الضم تلاها في مرحلة ثانية ضم مرتفعات الجولان * السورية . ثم جاء الغزو الإسرائيلي للبنان في حزيران ١٩٨٢ مرحلة جديدة من مراحل تطبيق خطط التوسعة الصهيونية .

وقد سعت (إسرائيل) إلى تخليف نيّتها ضم الأراضي العربية المحتلة بالمطالبة بحدود « آمنة ومعترف بها » . وهذه الحدود الآمنة في نظرها ليست حدود الهدنة التي كانت قائمة قبل عدوان ١٩٦٧ . ولكنها في الوقت ذاته رفضت ولا تزال ترفض توضيح مفهومها لهذه الحدود الآمنة ، وتكتفي بالإدعاء أنها تعني حدوداً جديدة أوسع من الخطوط السابقة . وما زال الموقف الإسرائيلي في هذا الصدد يقوم على نقطتين : الأولى تفسير سلبي بأن الحدود الآمنة ليست هي خطوط ٤/٦/١٩٦٧ . والثانية تقرير إجرائي بأن الحدود الآمنة والقابلة للدفاع عنها يتم تحديدها عن طريق التفاوض المباشر بين الأطراف المعنية . وفي الوقت نفسه صدرت عن المسؤولين الإسرائيليين عشرات التصريحات المتضاربة حول حدود (إسرائيل) ومصير الأراضي المحتلة . ولعل أهم هذه التصريحات ما ورد في برنامج حزب العمل * الحاكم قبل انتخابات تشرين الأول ١٩٦٩ من أنه، إلى جانب القدس العربية ،يجب ان تضم سيناء وقطاع غزة ومرتفعات الجولان بصفة دائمة إلى (إسرائيل) ، على أن يكون نهر الأردن « حدود أمن » بحيث لا يجوز عبوره غرباً بقوات أجنبية . ثم عاد المؤتمر العام الأول للحزب نفسه وأكد في ٤/٦/ ١٩٧١ ضرورة إجراء « تغييرات هامة » في حدود (إسرائيل) سا قبل ٤/٦/١٩٦٧ فتحتفظ بالمرتفعات السورية ، والقدس ، وقطاع غزة ، وشرم الشيخ مع شريط ساحلي في سيناء يربطها (بإسرائيل) وتتحدد مساحته وفق مقتضيات الأمن ، إلى جانب حظر عبور نهر الأردن غرباً على أية قوات عربية . كذلك اجتهد بعض المسؤولين الإسرائيليين في تفسير عبارة « الحدود الآمنة » باستخدام ألفاظ جديدة غير واردة في قرار مجلس الأمن ٢٤٢ * فاستعمل وزير الخارجية الإسرائيلي آبا إيبان عبارة « الحدود التي يمكن الدفاع عنها » . ثم أضافت غولدا مائير رئيسة الوزراء (١٩٧١) عبارة « الحدود الرادعة » . وواضح من التصريحات الأكثر تحديداً حول الأراضي المرغوب في ضمها ، وما تم فعلاً من ضم القدس والجولان وبناء المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ، أن هذين الوصفين الجديدين يمثلان محاولة للقول إن الحدود التي تريدها (إسرائيل) لنفسها هي تلك الحدود التي لا تتضمن لها التوسع فيما وراء حدود الكيان الصهيوني في قرار التقسيم (١٩٤٧) فحسب وإنما أيضاً فيما وراء خطوط الهدنة لسنة ١٩٤٩ ، مع المكاسب الإقليمية التي حصلت عليها بالقوة في عدوان حزيران ١٩٦٧ .

وهكذا بقيت (إسرائيل) تتمسك بالأراضي العربية التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ رغم الوقت ذاته تقيم حقائق الأمر الواقع بإنشاء المستعمرات الإسرائيلية في جميع المناطق المحتلة . وقد زاد إنشاء المستعمرات بمجيء الليكود * إلى الحكم بزعامة مناحيم بيغن في سنة ١٩٧٧ . وفي ذلك العام زار الرئيس المصري أنور السادات القدس وتلا زيارته توقيع اتفاقيات كامب ديفيد (رَ : كامب ديفيد) مع الكيان الصهيوني (١٩٧٨) . وقد تضمنت الاتفاقيات

ما سمي « الحكم الذاتي » في الضفة الغربية . والمفهوم الإسرائيلي لهذا الحكم هو إضفاء الشرعية على احتلال (إسرائيل) للضفة الغربية تحت ستار منح العرب الفلسطينيين في الضفة الغربية بعض الصلاحيات المدنية في ظل سيادة (إسرائيل) ووجودها العسكري والاستيطاني .

وتبع ذلك توقيع مصر و (إسرائيل) « المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية * » في ٢٦/٣/١٩٧٩ ، وبموجبها تعترف مصر (بإسرائيل) ، وتقيم معها علاقات طبيعية متخلية بذلك عن أهداف الأمة العربية والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مقابل انسحاب (إسرائيل) من سيناء .

تعزّز الاتجاه التوسعي وترعرع في ظل حكومة الليكود بظهور حركات « استيطانية » توسعية جديدة . ومن أبرز الحركات الصهيونية التي تجاهر بالتوسع الصهيوني على حساب الأرض العربية والتي ظهرت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ « حركة أرض ـ إسرائيل الكاملة * » . وقد تشكلت هذه الحركة من العناصر المتطرفة في مختلف الأحزاب الصهيونية ، ولا سيما حيروت . وجاء ظهورها بعد الحرب في أوج المرجة الشوفينية حين ساد الاعتقاد بأن الفرصة سوانحة أمام (إسرائيل) كي تتوسع وتكبر فتحقق أهداف الاستراتيجية الصهيونية التوسعية . وقد رفعت هذه الحركة شعار عدم الانسحاب من « شبر واحد » من الأراضي العربية المحتلة ، ونادت بالاستمرار في إنشاء المستعمرات في جميع هذه الأراضي ، ورفعت شعار « عودة صهيون وجميع المنفيين ، واستيطان شعب إسرائيل في أرض إسرائيل » . وأكدت الحركة أن هدفها أكبر من تحقيق السلام مع العرب ، وهو : « إعادة شعب إسرائيل إلى أرض إسرائيل ، وإعادة أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل » .

وقد ظهرت حركات توسعية أخرى مثل حركة « غوش إيمونيم » أو « رابطة الإيمان » ، وهي حركة جماهيرية دينية متطرفة ظهرت سنة ١٩٧٤ . ومعظم أعضاء هذه الحركة من شبيبة المدارس الدينية التابعة لحزب المفدال * ومن طلاب جامعة بار ـ إيلان . وترفع هذه الحركة شعار « الاستيطان في كافة أرجاء أرض إسرائيل » . وقامت هذه الحركة منذ أواخر حكم المعراخ * وخلال حكم الليكود بإنشاء الكثير من المستعمرات في الضفة الغربية . وتعارض هذه الحركة معاهدة الصلح التي أبرمت بين (إسرائيل) ومصر ، وترفض الانسحاب من أي جزء من المناطق العربية المحتلة .

وتتعاون مع غوش إيمونيم حركة أخرى تدعى « كاخ » ، وهي أيضاً مجموعة دينية فاشية صغيرة تشكل امتداداً لعصبة الدفاع اليهودية * الإرهابية . وهي تتعاون مع غوش إيمونيم في نشاطاتها الاستيطانية وتدعو إلى طرد العرب من فلسطين بالقوة .

المراجع :

ـ أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ صبري جريس : تاريخ الصهيونية ١٨٩٢ ـ ١٩١٧ ، بيروت ١٩٧٧ .

ـ وزارة الدفاع الوطني ـ الجيش اللبناني : مؤسسة الدراسات الفلسطينية : القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ إبراهيم شحادة : الحدود الآمنة والمعترف بها ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ الكتاب المقدس : العهد القديم ، الطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .

تـوقة : ز : ابن هنوم (وادي ـ)

التوفيق (لجنة ـ الدوليـة) :

أنشئت لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة والمختصة بالقضية الفلسطينية بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (الدورة الثالثة) الصادر بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ ، وضمت في عضويتها كلا من فرنسا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد نص القرار على أن تضطلع اللجنة بالمهام التي كانت أوكلت لوسيط الأمم المتحدة سابقا الكونت برنادوت " بقدر ما ترى أن الظروف القائمة تستلزم ذلك " وأن تتخذ من الخطوات ما يساعد الحكومات والسلطات المعنية على التوصل إلى تسوية سلمية ، إما تحت رعاية اللجنة أو عن طريق المفاوضات المباشرة وفق توجيهات الجمعية العامة أو مجلس الأمن . كما كلّف القرار اللجنة بتقديم مقترحات إلى الدورة الرابعة للجمعية العامة تهدف إلى إقامة نظام دولي دائم للقدس ، وتسهيل عودة اللاجئين وإعادة توطينهم وتأهيلهم اقتصاديا واجتماعيا .

ما لبثت لجنة التوفيق أن لمست مدى التباعد بين مواقف العرب ومواقف الإسرائيليين فقررت أن تركز جهودها على معالجة مشكلة اللاجئين أولا عسى أن يكون في ذلك تمهيد لإيجاد تسوية شاملة . وكان العرب يصرّون على إيجاد الحل العادل لمأساة الفلسطينيين المهجّرين قبل تناول أي بحث آخر بينما كان الإسرائيليون يصرّون على تعليق البحث في مسألة اللاجئين الفلسطينيين إلى أن يتحقق السلام أولا . على أن الموقف الإسرائيلي تدرّج فيما بعد إلى رفض عودة اللاجئين رفضا قاطعا ، وإلى تشجيع الهجرة الصهيونية إلى

فلسطين * بأعداد كبيرة حتى تستقيم الذريعة القائلة إنه لا مكان للاجئين العرب .

وهكذا اصطدمت جهود اللجنة بعقبات أساسية وان أفلحت في إحراز بعض التقدم في مسائل ثانوية كقبول الأردن وسورية استقبال عدد من اللاجئين الذين قد يقررون عدم العودة والاكتفاء بالتعويض ، وكتأليف لجان مشتركة من الطرفين للإفراج عن أرصدة اللاجئين العرب المجمدة في المصارف الإسرائيلية ، وكقبول (إسرائيل) عودة عدد محدود من اللاجئين الذين ظلت عائلاتهم في الأراضي التي وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي . غير أن حل قضية اللاجئين ككل كان أبعد منالا . فرأت اللجنة في آب ١٩٤٩ معالجة الموضوع أولا من الناحية الاقتصادية ، فأنشأت بعثة للمسح والاستكشاف برئاسة الخبير الأمريكي غوردون كلاب رئيس هيئة تنمية وادي التنسي (في الولايات المتحدة)، وكلفتها دراسة الوضع الاقتصادي الذي خلفته الحرب في الشرق الأدنى ، ووضع التوصيات فيما تراه من وسائل لإعادة دمج اللاجئين في حياة المنطقة الاقتصادية ، وتهيئة الشروط الاقتصادية الصالحة لإحلال سلم دائم .

انصرفت آمال بعثة " كلاب " إلى إنشاء مشاريع كبرى تقدم العمل لأعداد كبيرة من اللاجئين ففضلا عما تحققه من تنمية واستثمار . ولكنها اصطدمت في تصوراتها بالعوامل السياسية الكأداء التي كانت تفصل بين العرب و(إسرائيل) ، فإن من مشروع شامل كاستغلال مياه الأردن يمكن الإنجاز دون تعاون وثيق بين الدول العربية و(إسرائيل) . وكان هذا التعاون مستحيلا . فخلصت البعثة إلى أن التخطيط الهندسي لأي مشروع لا ينفصل عن التخطيط السياسي وأن المنطقة ليست على استعداد لتقبل مشاريع التعاون الكبرى .

عدلت البعثة عندئذ عن المشاريع الكبرى ، وأوصت بتحقيق عدد من مشاريع صغرى رائدة نموذجية كأعمال الري وشق الطرق وإنشاء السدود أملا في أن تقدم عملا لبعض اللاجئين ، وتكون سابقة تجريبية مفيدة ، وتصلح منطلقا لمشاريع أضخم . وانسجاما مع رأيها هذا أوصت الجمعية العامة بأن تنشىء وكالة خاصة وتزودها بالأموال الكافية لتشرع إغاثة اللاجئين الفورية وإيجاد أعمال استثمارية ، وطلبت أن تكون مدة ولايتها ١٨ شهراً كما طلبت إلى الدول العربية أن تسهم بتمويلها عن طريق تقديم المواد والأدوات والأجهزة .

أنشأت الجمعية العامة هذه الوكالة بموجب قرارها ٣٠٢ (الدورة الرابعة) الصادر في ١٩٤٩/١٢/٨ تحت اسم وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى * وفوضتها بانفاق مبلغ ٥٤,٩٠٠,٠٠٠ دولار على برامج الإغاثة والتشغيل . وحدّدت ولايتها بثمانية عشر شهرا . وفيما كانت (إسرائيل) تصر على عدم السماح للاجئين بالعودة أصدر مجلس جامعة الدول العربية في دورته المنعقدة في حزيران ١٩٥٠ بيانا يسمح فيه للدول أعضاء الجامعة بقبول إقامة المشاريع إذا كانت لا تخل ببحق اللاجئين بالعودة أو بالتعويض . وابتدأت على أثر ذلك مصر والأردن ولبنان وسورية بالتشاور مع الوكالة على مشاريع التشغيل .

وقد شجع ذلك الجمعية العامة على تجديد ولاية الوكالة وتمويلها ، غير أنها في قرارها ٣٩٤ (الدورة الخامسة) المتخذ في ١٩٥٠/١٢/١٤ طلبت إلى كل من العرب والإسرائيليين الدخول بدون تأخير بمحادثات مباشرة أو غير مباشرة تحت رعاية لجنة التوفيق للعمل على حل المسائل المختلف عليها . كما خولت لجنة التوفيق إقامة مكتب خاص للاجئين يتصرف للعمل على تطبيق البند الحادي عشر من القرار ١٩٤ المتعلق ببحق اللاجئين بالعودة أو التعويض ، ويتابع التشاور مع العرب والإسرائيليين لحماية أملاك اللاجئين ومصالحهم . ولكن لجنة التوفيق أقرت سنة ١٩٥١ بأن الأمل ضعيف بحل أية مشكلة عربية ـ إسرائيلية في المستقبل القريب ، وركزت جهودها على مسائل فرعية ذات إطار محدود قد تتوافر فيها فرص التقدم كالإفراج عن الأرصدة المجمّدة في المصارف الإسرائيلية . كذلك تناولت بالدرس المراحل الفنية والقانونية لمشكلة التعويض وتُخمين قيمة تملكات اللاجئين . ولكنها عجزت عن إدراك غرضها في الحل الشامل فأقنعتها الولايات المتحدة الأمريكية ـ وهي عضو فيها ـ بمحاولة أخرى ، فدعت اللجنة إلى مؤتمر في باريس يعقد في أيلول ١٩٥١ ، وأقنعت (إسرائيل) والدول العربية بالاشتراك فيه .

كان رأي لجنة التوفيق في مؤتمر باريس أن الظروف قد تغيرت عما كانت عليه سنة ١٩٤٨ ولم يعد من المعقول أن يعود كل اللاجئين إلى وطنهم . واقترحت على (إسرائيل) أن تقبل عددا محدودا يمكن دمجه في الاقتصاد الإسرائيلي على أن توطن الدول العربية بقية اللاجئين ، وتعوّض (إسرائيل) على هؤلاء بمبلغ إجمالي تُجري تخمينه مكتب اللاجئين ويأخذ بعين الاعتبار قدرات (إسرائيل) المالية .

أثارت هذه المقترحات معارضة العرب الذين رأوا فيها خروجا على مقررات الأمم المتحدة ، واعتراضات (إسرائيل) التي أصبحت تدّعي أنه حصل " تبادل سكاني " بعد أن هاجر مئات الآلاف من اليهود من موطنهم الأصلي في الدول العربية ، وبعد أن سنّ العراق سنة ١٩٥١ قانونا يجعل الإشراف على الممتلكات اليهودية وتملكات اليهود الذين هاجروا منها من سلطة الحكومة العراقية وطالبت

(إسرائيل) بأن يتحمل العرب بعد الآن مسؤولياتهم في التعويض عن هذه الممتلكات اليهودية في أية عادثات تعقد في المستقبل .

وهكذا لم يحقق مؤتمر باريس أي تقدم ، ولم يبق للجنة التوفيق إلاّ الاستمرار في مساعيها للإفراج عن الأرصدة المجمدة ، كما ظلت ولاية وكالة الإغاثة تتجدد سنة بعد سنة .

وفي الدورة الرابعة عشرة عام ١٩٥٩ طلبت الجمعية العامة مجددا إلى لجنة التوفيق بذل جهود إضافية لتأمين تطبيق البند الحادي عشر من القرار ١٩٤ ومؤداه حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة أو التعويض . وعادت لجنة التوفيق تجدد المصاعب في مهمتها ، ثم فكرت بأنه قد يمكن إحراز تقدم ما في النواحي الاقتصادية فعيّنت في آب ١٩٦١ الدكتور جوزيف جونسون رئيس مؤسسة كارنغي الأمريكية للسلام الدولي تمثلا خاصا لاستكشاف الوسائل العملية لمعالجة قضية اللاجئين ، والاتصال لهذا الغرض بالإسرائيليين والعرب .

وضع الدكتور جونسون عددا من المقترحات ، وبدأ يسبر موقف الطرفين منها . وكانت مقترحاته أن يطلب من كل لاجيء الإعراب بحرية عمّا إذا كان يفضل العودة أو التوطن خارج وطنه الأصلي ، وأن تضمن " مصالح إسرائيل الأمنية المشروعة " فتتمكن من ردّ طلبات العرب والتوطين على شكل متدرج متزامن ، خطوة بعد خطوة ، وأخيراً أن ينشأ صندوق خاص تسهم فيه (إسرائيل) بمبلغ كبير للتعويض عن الأملاك العربية ، وللمساعدة على توطين اللاجئين حتى يصبحوا قادرين على إعالة أنفسهم . وجعل للأمم المتحدة الدور الرئيسي في الإشراف على مراحل هذا المنهاج (ر : جونسون ، مشروع جوزيف) .

أخذ العرب على منهاج جونسون تشديده على توطين الفلسطينيين خارج ديارهم بدل العودة إليها . وأخذ عليه الإسرائيليون تضمنه مبدأ العودة الذي يرفضونه . فأعلن جونسون فشله في مهمته في ١٩٦٣/١/٣ .

وحين دعت الجمعية العامة في دورتها الثامنة عشرة عام ١٩٦٣ لجنة التوفيق للاستمرار في جهودها بدأت (إسرائيل) معارضتها لإحياء نشاط اللجنة بينما طالب العرب بتوسيع عضويتها مقترحين تعيين حارس قضائي على أملاك اللاجئين ، وقد رفضت (إسرائيل) ذلك رفضا قاطعا .

وعشية حرب ١٩٦٧ * لم يكن قد بقي للجنة التوفيق من عمل سوى الاستمرار في عملية الإفراج عن الأرصدة ومحاولة إعداد جداول بأسماء المالكين .

وكانت مشكلة اللاجئين تتفاقم من جرّاء زيادة أعدادهم بسبب ارتفاع نسبة التوالد وزيادة حاجاتهم المعاشية في حين ظلت موارات الجمعية العامة حبرا على ورق . وجاءت حرب حزيران ١٩٦٧ لتزيد من تعقيد المشكلة برمتها وتجعل التسوية الشاملة أبعد ما تكون عن التحقيق .

ومنذ عام ١٩٦٩ بدأت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبتصاعد ملحوظ ، تتعامل مع قضية الشعب الفلسطيني بطريقة أخرى تنم عن اعترافها لهذا الشعب ليس بحق العودة * المشروط كما كانت سيرتها بموجب القرار ١٩٤ (الفقرة ١١) بل بحق العودة المطلق وحق تقرير المصير * مما جعل مهمة لجنة التوفيق هذه تضمحل عمليا .

المراجع :

ـ فريد خوري : القضية العربية الإسرائيلية ، (بالإنكليزية) نيويورك ، ١٩٧٧ .

ـ محاضر جلسات الجمعية العامة .

ـ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي .

توفيق إبراهيم (ـ ١٩٦٦) :

واحد من القساميّين ، ومن قادة الثورة العربية الفلسطينية الكبرى (ر : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . وقد كني بأبي إبراهيم الصغير تمييزا له من خليل محمد عيسى * القائد القسّامي الذي عرف بكنية أبي إبراهيم الكبير .

ولد في قرية أندور * قضاء الناصرة ، وأخذ يشارك في الكفاح الوطني المقاوم للصهيونيين وللاستعمار البريطاني منذ نعومة أظفاره . التحق بحركة الشيخ المجاهد عز الدين القسام * وخاض معه معركة أحراش يعبد في تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ التي استشهد فيها القسام مع نفر من أصحابه (ر : ثورة ١٩٣٥) .

وفي الثورة الفلسطينية الكبرى أسندت إليه قيادة بعض المناطق في لواء الجليل فقام بأعمال باهرة ، ومنها مهاجمة الدوريات البريطانية والمستعمرات الصهيونية ، كما هاجم مقر حاكم طبرية الإنكليزي فاستولى على ما فيه من أوراق وملفات . وحين انتهت هذه الثورة لجأ إلى سورية ، ثم عاد إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٨ أسندت إلى توفيق إبراهيم قيادة قوة تابعة للهيئة العربية العليا * قوامها ٢٠٠ مناضل مسلح انخلت مدينة الناصرة * مركزا لها ، وشاركت في الدفاع عن المدينة (ر : الناصرة ، معارك) ، وفي رد القوات الصهيونية عن القرى القريبة

منها . ومن أبرز المعارك التي خاضها معركة عين ماهل (رَ: كفر كنا وعين ماهل ، معركة) فقاد عددا من رجال الجهاد المقدس (رَ : جيش الجهاد المقدس) ، واستطاعوا أن يلحقوا بالقوات الصهيونية خسائر كبيرة ، ويستردوا منها أراضي عشائر الصبيح . كما أبلى بلاء حسنا في معارك الشجرة * التي استمرت طويلا قبل أن تسقط القرية بأيدي القوات الصهيونية في ١٩٤٨/٧/١ .

لجأ بعد النكبة إلى دمشق ، وفيها استقر ، وتوفي ، ودفن .

كان توفيق ابراهيم مناضلا قوي الشكيمة ظاهر النفس صلب العود لا تأخذه في الدفاع عن وطنه وفي موقف الحق لومة لائم . وقد قال أحد قادة العدو في وصفه إنه " القروي العربي الجليل صلب العود المحارب العنيد الجريء . ولقد أحسسنا في منطقة شرقي الناصرة بحركة قتال منتظم ، ولمسنا فيه اليد المحركة الخبيرة في قيادة العصابات " .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، بيروت .
ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)، بيروت ١٩٧٩ .
ـ اكرم زعيتر : اليوميات ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧، ق٢، بيروت ١٩٧٤ .

توفيق أبو الهدى (١٨٩٥ ـ ١٩٥٦) :

سياسي ولد في مدينة عكا * وأتم فيها دراسته الابتدائية، ثم أكمل دراسته الثانوية في مدرسة سلطاني بيروت ، والتحق بعدها بكلية الحقوق في الآستانة .

خدم في الجيش العثماني ، ثم انضم إلى الأمير فيصل وعمل في الإدارة العربية في دمشق بين سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ ، وبعد تأسيس إمارة شرقي الأردن انتقل إليها وتولى عددا من المناصب في وزارة المالية ، ثم عين مديرا عاما لدائرة تسجيل الأراضي فمديرا للمصرف الزراعي سنة ١٩٣٣ .

عهد إليه بتشكيل الوزارة الأردنية في سنة ١٩٣٨ ، وقد ترأس الوزارة الأردنية خمس مرات بين سنتي ١٩٣٨ و١٩٤٤ .

عين سنة ١٩٤٥ وزيرا للخارجية في حكومة إبراهيم هاشم . ثم أسندت إليه بعد استقالته إدارة المشروع الإنشائي العربي * بالقدس .

وفي سنة ١٩٤٧ عهد إليه للمرة السادسة بتشكيل الوزارة الأردنية . وبقي في رئاسة الوزارة حتى سنة ١٩٥٠ حين قدم استقالته . ولكنه ما لبث أن عاد إلى رئاسة الوزارة بعد اغتيال الملك عبد الله سنة ١٩٥١ ، وظل في منصبه حتى سنة ١٩٥٣ .

وقد تولى مجددا رئاسة الوزارة الأردنية من سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٥٥ .

توفي أبو الهدى منتحرا في تموز سنة ١٩٥٦ بعمان ودفن فيها .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٩ .

توفيق حماد (١٨٦٠ ـ ١٩٣٤) :

أحد رجالات الرعيل الأول في فلسطين . ولد في مدينة نابلس * وتلقى دراسته الأولية فيها ، ثم واصل دراسته حتى أتقن مع لغته العربية اللغة التركية . وكان منذ مطلع شبابه ذا شخصية قوية فرضت زعامتها على أبناء جيله .

كان أول عمل رسمي تولاه هو رئاسة قلم كتاب المتصرفية ، ثم خاض غمار الحياة السياسية فشارك في تأسيس كتلة تزعمها الشيخ عباس الحماش وضمت عددا من رجال مدينة نابلس ولوائها ، وعرفت باسم « الجمعية » لمناوأة الإقطاع والحد من التسلط العائلي . ثم تولى توفيق حماد زعامتها بعد انتقال الشيخ الحماش إلى حمص ، وانضم إليها أعضاء من نابلس وجنين * وطولكرم * تقوي نفوذها وعظم تأثيرها .

انتخب توفيق حماد رئيسا للبلدية نابلس (١٩٠٢ ـ ١٩٠٨) فأنشأ مستشفى وطنيا إسلاميا في نابلس بعد قيام المستشفى الإنكليزي التبشيري ، وكان الوحيد في مدينته ، وأسس لهذه الغاية جمعية وجمع التبرعات حتى تم إنشاء المستشفى وتجهيزه .

ثم انتخب عقب إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ عضوا في مجلس المبعوثان * نائبا عن مدينة نابلس ، وقد أعيد انتخابه لدورتين تاليتين إلى أن تم تعطيل المجلس بعيد إعلان الحرب العالمية الأولى .

وبعد أن احتل الإنكليز فلسطين تولى توفيق حماد رئاسة الجمعية الإسلامية المسيحية في نابلس (رَ : الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية) ، وقاد الحركة الوطنية في مدينته ، ومثلها في المؤتمرات الفلسطينية ، وتولى نيابة رئاسة لجانها التنفيذية (رَ : المؤتمر العربي

الفلسطيني) . وقد انتخبه المؤتمر الفلسطيني الرابع في جلسته المنعقدة في القدس يوم ١٩٢١/٦/٤ عضوا في الوفد الفلسطيني إلى لندن (رَ : الوفد العربية الفلسطينية إلى لندن) ، وكان نائبا لرئيسه موسى كاظم الحسيني * ، وقد عرف بصلابته أثناء مفاوضات الوفد مع تشرتشل وزير المستعمرات البريطاني وأعضاء مجلس اللوردات . وفي أثناء ذلك انتدبه الوفد لحضور المؤتمر السوري ـ الفلسطيني * الذي عقد في جنيف في أيلول ١٩٢١ ، وانتخب نائبا لرئيسه . وقد قرر ذلك المؤتمر المطالبة باستقلال سورية ولبنان وفلسطين ، ورفض الانتدابين الإنكليزي والفرنسي ، وأعلن حق كل قطر في الاتحاد مع القطر الآخر، ومع أي قطر عربي ، ورفع مذكرات بهذه المطالب إلى عصبة الأمم * ، وإلى المحافل السياسية الدولية ، وانبثقت عنه لجنة تنفيذية تقرر أن تكون القاهرة مقرا لها .

وعلى أثر ثورة البراق سنة ١٩٢٩ (رَ : ثورة ١٩٢٩) دعي توفيق حماد للإدلاء بشهادته أمام لجنة التحقيق التي قدمت إلى فلسطين فكان لشهادته تأثيرها ، ونزهت اللجنة بها في تقريرها .

حضر توفيق حماد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس سنة ١٩٣١ وانتخب عضوا في لجنته التنفيذية (رَ : المؤتمر الإسلامي العام) . توفي في مدينته نابلس ودفن فيها ، وقد عرف بتدينه ونزعته المحافظة وأنفته وصلابته وقوة شخصيته ومهابته وأناقة ملبسه وحسن خطه وشغفه بالرسم .

المراجع :

ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)، بيروت ١٩٧٩ .
ـ لبنى سعيد : الثورة العربية ، القاهرة .
ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٥١ .

توفيق الدجاني (١٨٧٠ ـ ١٩٥٨) :

عالم ديني عمل في الميدان الوطني الفلسطيني . ولد في يافا * وتوفي أبوه الشيخ عبد الله الدجاني وهو صغير فكفله أخوه الشيخ سعيد الدجاني الذي كان عالما وشاعرا فتلقى العلم منه ، ثم درس في الأزهر . ولما عاد من مصر اشتغل في المحاماة . وكانت له مكتبة غنية بالكتب .

عين رئيسا لدائرة المعارف بيافا . ولما توفي مفتي يافا الشيخ علي أبو المواهب انتخب مفتيا خلفا له . وخلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ أبعدته الحكومة التركية هو وعائلته إلى الأناضول ، كما أبعدت زميله مفتي الخليل وغزة . وقد اصطحب إلى منفاه في نوه جه بك (بلدة صغيرة في ولاية بورسة) مكتبته الكبيرة فانكب وأسرته على المطالعة . ثم نقلوا إلى قونية حتى نهاية الحرب ، ثم عاد إلى يافا سنة ١٩١٨ . وعرف بعد ذلك بما كان يجمعه من معلومات لتزويد الحركات الثورية العربية كالثورة السورية وثورة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي . وكان بيته مضافة لكبار القادمين إلى يافا مثل عبد الله النديم . وقد اضطر عام ١٩٤٨ إلى النزوح عن يافا إلى الزرقاء في شرقي الأردن حيث توفي . وقد عرف بنظم الشعر .

توفيق صايغ (١٩٢٣ ـ ١٩٧١) :

ولد توفيق صايغ في قرية خربا من أعمال حوران في سورية . وفي ١٩٢٥ انتقل والده القس عبد الله صايغ مع عائلته إلى البصة * شمالي فلسطين ثم إلى طبرية * في ١٩٣٠ . وبقي والده قسيسا للمدينة حتى ١٩٤٨ حين هاجرت العائلة إلى بيروت .

تلقى توفيق دروسه الابتدائية في طبرية (١٩٣١ ـ ١٩٣٧) ، والثانوية في الكلية العربية * في القدس * (١٩٣٧ ـ ١٩٤١) ، والجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) . عمل استاذا في مدرسة الروضة في القدس، ثم عمل فترة قصيرة في دائرة الترجمة في حكومة فلسطين ، ثم استاذا للأدب العربي في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم أمينا لمكتبة المركز الثقافي الأمريكي في بيروت (١٩٤٨ ـ ١٩٥٠) ، وكان في تلك الفترة محررا لمجلة « صوت المرأة » .

عمل توفيق من ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ محاضرا في الدائرة العربية في جامعة كامبردج ، وكان محاضرا في جامعة لندن من ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ . ثم عاد إلى بيروت وأصدر مجلة « حوار » حتى ١٩٦٧ حين أوقفها ، ثم عين أستاذا زائرا في دائرتي الأدب المقارن ولغات الشرق الأدنى في جامعة بكاليفورنيا (بيركلي) (١٩٦٩ ـ ١٩٧١) إلى أن وافته المنية يوم ١٩٧١/١/٣ ودفن هناك .

تعمق توفيق صايغ في الآداب الغربية ، وتأثر بالكتاب المقدس . كتب شعرا ذا صبغة دينية صوفية وجد فيه النقاد أصداء من الشاعرين الإنكليزيين جورج هوبرت ورتشارد كراشو ، ومعالم من بليك أحد المهمّدين لرومانسية القرن التاسع عشر ، وقرنوا بين فكرة النفي في شعره وإحساسه بأنه فلسطيني منفيٌ بحمل معاناته .

يدور شعر توفيق صايغ حول قضية الاغتراب : تجاه الوطن وتجاه الحبيبة ، والاغتراب تجاه الله . تشهد دواوين صايغ الثلاثة

التي صدرت خلال عشرة أعوام (١٩٥٤ ، و١٩٦٠ ،و١٩٦٣) خطّاً تصاعديا واضحا ينطلق ببساطة وبراءة وينتهي بالتعقيد والتجربة المرّة . يمتاز أسلوب صايغ بالجدة ، إذ أنه يرتكز على تلقيح ثقافة الشاعر الشرقية بأطروحات الغرب الشعرية إضافة إلى شاعرية تضرب جذورها في التراث والدين .

مؤلفاته : ثلاث مجموعات شعرية : « ثلاثون قصيدة » ، بيروت ١٩٥٤ .

و« القصيدة ك » بيروت ١٩٦٠ .

و« معلقة توفيق صايغ » بيروت ١٩٦٣ .

ومن كتاباته :

« أضواء جديدة على جبران » بيروت ١٩٦٦ .

كتب مقدمة « عبر الأرض البوار » لكتاب جبرا ابراهيم جبرا (عرق ، قصص أخرى » ، بيروت ١٩٥٦ .

« الحسون قصيدة من الشعر الأمركي » ، دمشق ١٩٦٣ .

ترجم « رباعيات أوميغ » للشاعر الإنكليزي إليوت ، بيروت ١٩٧٠ .

المراجع :

– ندى الشريف : توفيق صايغ : سيرته ـ أدبه ، بيروت ١٩٧٢ .

– عيسى بلاطة : الكركدن المحاصر ، دراسة حول توفيق صايغ ، مجلة شؤون فلسطينية ، شباط ١٩٧٤ .

– رياض نجيب الريس : البحث عن توفيق صايغ ، بيروت ١٩٧٥ .

– غالي شكري : الحمراء السهم الحركة الشعر الحديث ، مجلة حوار ، آذار ـ نيسان ، بيروت ١٩٦٦ .

– جبرا إبراهيم جبرا : ضغوط التار والجوهر الصلب : توفيق صايغ كما عرفته، مجلة شؤون فلسطينية ، أيار ، بيروت ١٩٧١ .

– محمود شريح : توفيق صايغ : بحالة عن الأحرف ك ا ي رعن الكركدن ، صحيفة ، النهار » ، ١٩٧٨/١٠/٢٩

— Salma Khadra Jayyusi: **Trends and Movements in Modern Arabic Poetry**, Leiden, Brill, 1977.

توفيق كنعان (١٨٨٢ ـ ١٩٦٤) :

طبيب ولد في بيت جالا * . وبعد أن أنهى دراسته في مسقط رأسه وفي القدس * التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج فيها طبيباً سنة ١٩٠٥ . وقد مارس الطب في مجالات مختلفة عسكرية ومدنية . واشتهر بوصفه أقدم طبيب عربي في مدينة القدس . وقد أعانته إجادته ست لغات أجنبية على كتابة بحوث طبية وثقافية وسياسية وفولكلورية كتب معظمها باللغة الإنكليزية والألمانية وترجمت إلى العربية ، منها :

١) الموت أم الحياة (١٩٠٨) .

٢) الطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس .

٣) أولياء المسلمين ومقدساتهم (١٩٢٧) .

٤) قضية عرب فلسطين (١٩٣٦) .

٥) الصراع في أرض السلام (١٩٣٨) .

في عام ١٩٢٧ أصبح رئيسا لجمعية الاستشراق الفلسطيني ، ورئيسا لتحرير مجلتها *Journal of Palestine Oriental Society (JPOS)* ، تلك المجلة التي عرفت بتخصصها في الدراسات الأثرية والتاريخية والجغرافية والفولكلورية والتي تدور حول الثقافة الفلسطينية . وقد وصفته الدكتورة هيلما جراتكفيتش بأنه " باحث محنك تمرّس في دراسة المأثورات الشعبية الفلسطينية " . وظل الرجل على نشاطه المعهود يقرأ ويكتب ويجمع المادة الفولكلورية ويلقي المحاضرات في هذا المجال .

يعدّ الدكتور كنعان رائد حركة إحياء الفولكلور الفلسطيني . وتتميز أعماله بالدقة العلمية ، وبأنها ثمرة عمل ميداني لا يرقى إليه الشك . ومن أبرز هذه الأعمال دراساته عن المزارات والأولياء في فلسطين ، والبيت الشعبي ، والمعتقدات الشعبية ، وحول الماء والآبار والينابيع والأواني السحرية ، والجن والأرواح ، والنور والظلام ، وفولكلور النبات في فلسطين .. الخ .

ولما تترجم هذه الأعمال إلى العربية وتنشر كوثيقة عن مأثورات شعب فلسطين .

توفي توفيق كنعان في القدس .

المراجع :

– يعقوب العبودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

– نمر سرحان : دراسات توفيق كنعان في الفولكلور الفلسطيني ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ١٦ كانون الأول ١٩٧٢ .

تيتو (مشروعا) :

كان جوزيف بروز تيتو رئيس الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية من أشد المعارضين للعدوان الإسرائيلي على الدول العربية في حزيران ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) . وقد شجب سلوك (إسرائيل) العدواني في أكثر من مناسبة ، وبذل جهودا ملحوظة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط (ر : يوغسلافيا) . ففي شهر آب ١٩٦٧ قام بجولة شملت كلا من مصر وسورية والعراق . وبعد انتهاء زيارته هذه بعث برسائل إلى عدد كبير من رؤساء الدول (السيدة أنديرا غاندي والجنرال شارل ديغول والرئيس

ليندون جونسون والرئيس هارولد ويلسون والإمبراطور هيلاسيلاسي والرئيس بودغورني ... الخ) وإلى الأمين العام للأمم المتحدة أوثانت . وقد أوضح وزير خارجية يوغسلافيا في ١٨/٩/١٩٦٧ الأفكار الرئيسة التي تضمنتها رسائل تيتو . كذلك تناقلت الصحف ووكالات الأنباء العالمية أن الرئيس تيتو كان قد حمل معه أثناء زيارته للأقطار العربية مشروع سلام يتضمن ما يلي :

١) انسحاب القوات الإسرائيلية تحت إشراف مراقبي الأمم المتحدة من الأراضي العربية التي تحتلها منذ نشوب القتال في الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

٢) يتولى مجلس الأمن أو الدول الأربع الكبرى ضمان جميع دول المنطقة وحدودها كما كانت قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ ريثما يتم وضع حل نهائي للقضايا المتنازع عليها . ولتحقيق هذه الغاية يمكن وضع نوات دولية على جانبي الحدود .

٣) حرية المرور لجميع السفن في مضائق تيران إلى حين صدور قرار من محكمة العدل الدولية .

٤) تكون الملاحة في قناة السويس كما كانت عليه قبل الخامس من حزيران (أي يستمر منع السفن الإسرائيلية من المرور فيها) .

٥) يتخذ مجلس الأمن الدولي بعد تنفيذ هذه الإجراءات خطوات لحل القضايا الأخرى المتنازع عليها وفي مقدمتها مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وقضية مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس . ويجري اتخاذ هذه الخطوات بمساهمة مباشرة من الفرقاء المعنيين .

رفضت (إسرائيل) مقترحات تيتو وأفكاره ، وشدد آبا إيبان وزير خارجيتها ، في معرض رفضه ، على أن (إسرائيل) لن تعود بشكل من الأشكال إلى حدودها القديمة لأن فيها تهديدا لأمن (إسرائيل) ووجودها . وطالب بعقد معاهدة سلام واضحة وملزمة مع الدول العربية باعتبارها الحل الوحيد الممكن للأزمة .

وترددت أنباء في القاهرة أن الرئيس عبد الناصر نفسه لم يقبل مشروع السلام اليوغسلافي . كما ذكرت بعض الصحف الأجنبية (نيوزويك الأمريكية والجويش كرونيكل اللندنية) أن تيتو فشل في إقناع الدول العربية التي زارها بمشروعه ، مما اضطر المسؤولين اليوغسلافيين إلى أن ينفوا وجود مشروع يوغسلافي للسلام . لكن تيتو كان قد أدلى قبل انتهاء جولته السابقة بتصريح قال فيه : " إن هناك تفاهما بيننا (بين يوغسلافيا والدول العربية والدول الصديقة) على ما سوف يتخذ من إجراءات لحل هذه الأزمة (أزمة الشرق الأوسط) حلا سياسيا " .

أما على الصعيد العالمي فقد لقيت أفكار الرئيس تيتو ردود فعل متفاوتة . فقد ذكر أن عددا من الدول مثل فرنسا والاتحاد السوفييتي والهند رحبت بمشروع تيتو للسلام في حين استقبلته المراجع الأمريكية والبريطانية بفتور كبير لأنه ـ في زعمها ـ لا يدعو العرب إلى إنهاء حال الحرب مع (إسرائيل) ، ولا يتضمن أية خطوة فورية لتأمين مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس ، ولأن الإسرائيليين لا يقبلون مرابطة مراقبي الأمم المتحدة في أراضيهم ، وأخيرا لأن الانسحاب (إسرائيل) من القدس العربية ليس أمرا عمليا كما ترى هذه المراجع .

كل هذا يعني أن الرئيس تيتو كان قد طرح فعلا مشروع سلام ، أو على الأقل أفكارا معينة لتحقيق تسوية للأزمة العربية ـ الإسرائيلية . غير أن عدم موافقة الأصدقاء العرب عليها حمل أوساط بلغراد الرسمية على إنكارها حرصا على استمرار العلاقات العربية ـ اليوغسلافية الودية .

وفي أوائل عام ١٩٦٨ حاول الرئيس تيتو مرة أخرى حل مشكلة الشرق الأوسط وتقديم مقترحات جديدة بعدما قابل ناحوم غولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية * ورئيس المؤتمر الصهيوني * ، وبعدما زار مجموعة من بلدان إفريقيا وآسيا ، ومنها مصر حيث اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر * وتباحث معه بشأن مشكلة الشرق الأوسط . ونقلت في ١٩٦٨/٢/٨ أنباء عن بلغراد تفيد أن الرئيس تيتو حصل على موافقة الرئيس المصري وغيره من زعماء العالم الثالث على مشروع لتسوية الأزمة في المنطقة . أما مضمون هذا المشروع فقد شرح الرئيس اليوغسلافي بعض أفكاره حول ذلك في مؤتمر عقده في القاهرة يوم ١٩٦٨/٢/٧ . وتتركز هذه الأفكار في النقاط التالية :

١) حل مشكلة الشرق الأوسط هو في يد الولايات المتحدة الأمريكية . ولا يمكن أن تحل الأزمة إلا بانسحاب القوات الإسرائيلية من المناطق المحتلة . ومن الصعب الاعتقاد بأن (إسرائيل) لن تطيع الولايات المتحدة إذا قررت واشنطن أن تضغط عليها من أجل الوصول إلى تسوية سلمية لمصلحة الطرفين ، وليس على حساب البلدان العربية فقط .

٢) على القوات الإسرائيلية الانسحاب من المناطق المحتلة بشرط أن يتبع ذلك إعلان بإنهاء حالة الحرب بين الطرفين ، والبدء بالمفاوضات ، والاتفاق على المرور الحر للسفن الإسرائيلية في خليج العقبة * . وبعد ذلك يتم التوصل تدريجيا إلى تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومسألة الملاحة في قناة السويس .

٣) إقامة مناطق منزوعة السلاح على الحدود العربية ـ الإسرائيلية .

وقبل أن يغادر الرئيس تيتو القاهرة هذه المرة دان (إسرائيل) لأنها وضعت العراقيل أمام الحل السياسي ، وامتدح

الدول العربية التي تظهر دلائل على استعدادها للإقرار بوجود (إسرائيل) ، وقبول حل سياسي للنزاع معها ما دام يضمن انسحاب القوات الإسرائيلية من كافة أراضيها واعترافها بحقوق اللاجئين الفلسطينيين .

رفضت (إسرائيل) المقترحات اليوغسلافية الجديدة ، وأصر إيبان على إجراء مفاوضات مباشرة بين (إسرائيل) والدول العربية . والظاهر أن الرئيس عبد الناصر نفسه أدرك عدم جدوى الحماسة لمشروع تيتو في ضوء الموقف المتعنت (لإسرائيل) وحلفائها منه فأعلنت سفارة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) في بلغراد في شهر تموز ١٩٦٨ ، أثناء زيارة الرئيس المصري لها ، أنه لا صحة لما نشرته صحيفة " بوربا " اليوغسلافية عن وجود مشروع من خمس نقاط لتسوية أزمة الشرق الأوسط .

وعلى أية حال مات هذا المشروع اليوغسلافي كما ماتت مشروعات التسوية السياسية السابقة كلها أمام مواقف (إسرائيل) المتعنتة التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الأخرى المؤيدة لها .

المراجع :

- ليل سليم القاضي : تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٧٢ ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ ، بيروت .
- مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية ١٩٣٤ - ١٩٧٤ . بيروت ١٩٧٠ .

تيكـــة (إلاهة) :

تيكة *Tyché* أو تيسة هي إلاهة الحظ الملائم والصدفة المناسبة في التجارة والحروب . حلت هذا الاسم عند الإغريق ، أما الرومان فقد أطلقوا عليها اسم « فورتونا » وعرفت بأسماء أخرى عند كثير من الشعوب . ونظراً لأهمية الإلاهة الحظ والثروة والسعادة هذه ، وانتشار عبادتها، أقدم الفنانون على تمثيلها بأشكال مختلفة من الحجر والبرونز . ومن أجمل تماثيلها وأندرها تمثال تيكة أنطاكية الذي قام بعمله الفنان أرتيكيديس في عام ٣٠٠ ق.م .

للإلاهة تيكة عدة وظائف ومهمات منها تأسيس المدن وحمايتها . وكان لكل مدينة ربة تحميها ، فكانت تيكة إلاهة مدينة قيسارية * بفلسطين وحاميتها محمدة خصبها وازدهارها .

للإلاهة تيكة كذلك عدة رموز منها : ١) تاج على شكل أسوار مدينة مع أبراجها، وذلك للدلالة على وظيفتها في حماية المدن .

٢) قرن الخصب، ويدل على وظيفتها في تحقيق الخصب للمدينة . ويعتبر قرن الخصب من علاماتها المميزة . ٣) دفة السفينة أو مقودها للدلالة على أنها هي التي تقود البشر إلى مصائرهم . ٤) الكرة، وترمز إلى العمومية والشمول . ٥) الدولاب . ٦) غصن النخيل كشارة فوز وعلامة نصر . ٧) حزمة من سنابل القمح حملتها تماثيل الإلاهة من فلسطين ولبنان وسورية . ٨) الأجنحة . ٩) الكأس . ١٠) الصولجان . ١١) الإكليل .

المراجع :

- بشير زهدي : الحوليات السورية الأثرية ، مجلد ١٦ ، ١٩٦٦ .
- **L'Antiquité Classique**, 1955.
- Grimal : **Dictionnaire de la Mythologie Grecque et Romaine**, 1958.
- Hilo J.A. Fortuna Saglio, **Dictionnaire des Antiquités**.
- Oswalt Sabine G.: **Concise Encyclopedia of Greek and Roman Mythology**, 1969.
- Syrig, M.H.: La Tyché de Césarée de Palestine. **Syria, t. XLIX, 1 and 2, (1972).**

التّينـــة (قريـــة ـ) :

قرية عربية تقع إلى جنوب الجنوب الغربي للرملة * . وترتبط مع طريق غزة ـ جولس ـ القدس الرئيسة المعبدة بدرب ممهد طوله ٤ كم عن طريق قريتي المسمية الصغيرة * والمسمية الكبيرة * . وترتبطها دروب ممهدة بقرى الحيمة * وجليا * وإذنبة * ونل الشرمس * وتل الصافي * . كان يمر بطرفها الشرقي خط سكة حديد بير السبع ـ الرملة في العهد العثماني ، ولكنه توقف أثناء عهد الانتداب البريطاني .

نشأت التينة فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي * الجنوبي ترتفع نحو ٧٥ م عن سطح البحر . وتنحدر الأرض جوها انحدارا عاما نحو الشمال الغربي . يجري في طرفها الجنوبي وادي العرسان الذي يرفد وادي منصور المتجه نحو المسمية في الشمال الغربي . بنيت معظم بيوت التينة من اللبن ، وتفصل بينها شوارع ضيقة . تكونت القرية وفقا لمخططها التنظيمي من ثلاثة تجمعات : التجمع الرئيس ، وتجمعين فرعيين جنوبي وغربي . وقد امتدت

القرية في أواخر عهد الانتداب ، فسار نموها العمراني على شكل محاور صغيرة بمحاذاة الدروب المتجهة نحو تل العماني وتل الترمس والمسمية . ووصلت مساحة التينة إلى ٢٤ دونما . وتتوافر بعض الخدمات والمرافق العامة في القرية . ففيها مسجد في طرفها الشمالي الشرقي ، ومدرسة ابتدائية تأسست في عام ١٩٤٦/١٩٤٧ ، وبعض المحلات التجارية ، بالإضافة إلى آبار* المياه التي تشرب القرية منها .

بلغت مساحة أراضي التينة نحو ٧,٠٠٠ دونم منها ١٥٧ دونما للطرق* والأودية و٩٤٩ دونما تسربت للصهيونيين . وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها وارتفاع محصولها ، وهي تنتج معظم أنواع المحاصيل من حبوب* وخضر* وفواكه . وقد غرس الأهالي نحو ١٤١ دونما من أراضيهم الزراعية برتقالاً ، كما غرسوا أشجار الزيتون* والعنب* والتين والتفاح واللوز والإجاص . وتعتمد الزراعة* على مياه الأمطار ، بالإضافة إلى مياه بعض الآبار .

بلغ عدد سكان التينة في عام ١٩٢٢ نحو ٣٩٦ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٥٣٠ نسمة كانوا يقيمون في ١٣١ بيتا . وقدر عدد الكسان في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٥٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قرية التينة ، وطردوا سكانها ، ودمروها .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لرحمة حجير .

ث

الثـأر (شـباب ـ) :

ر : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة

الثـأر (نشـرة ـ) :

نشرة أسبوعية سياسية فكرية من منشورات « هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل » . صدرت في بيروت في ١٩٥٢/١١/٢٠ ، وظلت تصدر حتى أواسط عام ١٩٥٨ . واختصت بتناول موضوعات القضية الفلسطينية وتطوراتها السياسية ، وكانت المنبر الرئيس لحركة القوميين العرب .

أكدت النشرة في عرضها لأسباب نكبة ١٩٤٨ أن " السبب الرئيس لنكبة العرب في فلسطين هو واقع الشعب العربي " الذي وصل إلى حالة متردّية من الضعف والجبن . وقالت : " أول أخطائنا في المعركة السابقة الجهل عند القائد وعند الجندي وعند المواطن البسيط على حد سواء . . . ومن الأخطاء التي كانت سبباً هاماً في هزيمتنا إهمالنا التام للمحافظة على متانة جبهتنا الداخلية " . كما رأت النشرة أن " المفهوم الإقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سبب من أسباب النكبة " .

ظلت نشرة الثأر تجعل العدو هو اليهود حتى عام ١٩٥٦ عندما أضافت إليهم المستعمرين وبعض الحكام العرب المرتبطين بهم ، وتعدّد التيارات الفكرية والعقائدية وتنازعها ، والأحزاب الشعوبية ، والإقطاع والرأسمالية . ودعت إلى معركة ضد اليهود والاستعمار مؤكّدة أنه " لا فرق عندنا بين الاستعمار واليهودية " . أما عن الفئة العربية الحاكمة ، وهي " التي أضاعت فلسطين ، فهي لا تشعر بشعور الشعب ولا تضمر الحقد والعداء لليهود . . . وإنه من الخسارة للعرب أن يؤمل بعضهم خيراً في الفئة الحاكمة ، أو ينتظر خيراً على يدها " .

أكّدت « الثأر » خطر (إسرائيل) على الأمة العربية بقولها : " إن المتتبع لتاريخ الحركة اليهودية العالمية منذ نشأتها حتى اليوم يدرك أن أهدافها لا تقتصر على إسرائيل الحالية . . إن إسرائيل ستلجأ حتماً إلى التوسع من تلقاء ذاتها حتى ولو أننا تناسينا فلسطين " .

قاومت الثأر على صفحاتها الحلول التصفوية للقضية الفلسطينية ، وعملت على تعبئة الجماهير ضدها ، وفي مقدمتها دعوات الصلح مع الكيان الصهيوني . واعتبرت " الخيانة بعينها أن ينادي عربي بالصلح مع إسرائيل " ، أو أن يقبل بما كان يطرح من حلول لأن القبول به " هو تنازل طوعي عن حق الأمة العربية في هذا الجزء المغتصب من وطنها " . ونادت بالثأر حلاً وحيداً لاسترداد

فلسطين " خالصة للعرب ، وطرد الغزو اليهودي من على الثرى العربي " .

عالجت النشرة الموضوع القومي في جميع أعدادها تقريباً ، واعتبرت القومية المطلق الأساسي في النضال من أجل تحرير فلسطين . من هذا المنطلق رأت أن الوحدة العربية هدف بحد ذاته ، وهي الطريق إلى تحرير فلسطين ، فما لم " توجد الدولة الموحّدة التي تضم العراق والأردن وسورية (كخطوة أولى) فإن وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون أمراً شبه مستحيل " ، وأن " الوحدة والتحرر من الاستعمار معركة واحدة " . واعتبرت النشرة " أن نقطة الانطلاق في رسم طريق النضال العملي لتحقيق الوحدة هي أن سلاحنا الرئيس في المعركة يكمن في قوة الشعب ، وينبعث من إرادة الجماهير " ، وأن " الضمانة الوحيدة للنصر في هذا الصراع التاريخي العنيف هي أن تستقر دفّة الحكم في يد الفئة المخلصة المؤمنة بحق هذه الأمة في التحرر والحياة " .

استعملت النشرة في مقالاتها « النازحون » أو « عرب فلسطين » ، وأكدت أن نضال النازحين " ليس منفصلاً عن نضال المجموعة العربية " لكنهم " الطليعة التي ستقود الأمة العربية نحو ميدان المعركة " .

ودعت الثوار إلى انخراط النازحين في " تنظيم جماعي منسّق يرسم لهم طريق العمل الجدي المثمر " ، ورأت أن من واجبهم " أن يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون " .

وشدّدت النشرة على أنه " لن ينقذ فلسطين إلاّ القوة ، ولن يعيد النازحين إلى ديارهم إلاّ القتال " . والعودة هي " عودة السيادة العربية على أرض فلسطين سلطة مطلقة مسيطرة . العودة هي أن تعود فلسطين إلى العرب ، لا أن يعود العرب إلى حكم اليهود الأعداء " .

المرجع :

ـ شؤون فلسطينية : العدد ٢١ ، أيار ١٩٧٣ ، بيروت .

الثروة الحيوانية : ر : الحيوانات الأليفة

الثروة المعدنية : ر : المعادن

الثلوج : ر : المناخ

ثمود (قبيلة ـ) :

قبيلة من العرب البائدة ترجع في النسب إلى ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح . ويبدو أن موطنها كان منطقة جبلية أو هضبية صخرية ، إذ تقول الآية القرآنية " وثمود الذين جابوا الصخر بالواد " ، فقد قطعوا الحجر والصخر واتخذوا فيه بيوتاً . ويرى المفسّرون أن الوادي هو في الأغلب وادي القرى بين المدينة والشام .

وفي الروايات أن ديار ثمود هي الحجر ، وفيها بئر تُسمّى بئر ثمود ، ونزل بها الرسول ﷺ مع أصحابه في غزوة تبوك . وفي رواية للمسعودي الجغرافي المؤرخ أن منازلهم في وادي القرى بين الشام والحجاز ، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال ، وأن رهطهم كانت في أيامه باقية ، وذلك على طريق الحاج بالقرب من وادي القرى .

ويعود تاريخ ثمود إلى ما قبل الميلاد ، وكانت من جملة الشعوب التي حاربها الأشوريون ، فقد استطاع صارغون الثاني الأشوري إجلاءهم عن مواطنهم إلى السامرة في فلسطين ، وهذا يمدّ أقدم ما يعرف عن ثمود . وبعد الميلاد كان الثموديّون يسكنون شمالي الحجاز في الحجر ودومة الجندل وغرب تيماء . ويرى دوتي *Doughty* أن الحجر الذي سكن بها قوم ثمود هي موضع الخريبة لا مدائن صالح التي هي حجر الأنباط " .

وقد ورد اسم ثمود في مواضع كثيرة من القرآن الكريم . وغالباً يأتي ذكر ثمود مع عاد ، وأحياناً مع قوم نوح وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس ، وسمّت الآية أولئك بالأحزاب . وقد ذكر القرآن الكريم ثمود في باب تذكير الأقوام وترهيبها من العاقبة التي آلت إليها . ويبدو أن عرب ما قبل الإسلام كانوا على علم بثمود ومساكنها ، كما تشير آية سورة العنكبوت : " وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم " .

تقطعت أخبار ثمود في المصادر العربية قبيل الإسلام أو بعده إلاّ ما ذكرته رواية لابن الأثير من إرجاع نسب ثقيف إلى ثمود ، ولكن ذلك لم يرض الثقفيين . ويبدو أنّ أعداء ثقيف ، أو معارضي سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق وضعوا هذه الرواية .

أما فيما يتعلق بديانة ثمود فقد اكتشف الأثريون مجموعة من النصوص الثمودية يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد وقسم منها إلى التاريخ الميلادي . ومن بينها نص يدل على معرفة هؤلاء بالمسيحية * ، ويعدّ أقدم إشارة إلى انتشار المسيحية في شمالي جزيرة العرب . وفي بعض النصوص أدعية لآلهة ثمود وجدت في حائل بنجد ، وفي تبوك وتيماء ومدائن صالح ، وفي سواحل الحجاز الشمالية ، وفي طور سيناء والصفا (شرقي دمشق) ، وفي الحرة

والرحبة شمالي غربي تدمر . وتشير هذه النصوص إلى صلات ثقافية ودينية بين نبياء وثمود . وتجدر الإشارة هنا إلى أن آلهة ثمود هي آلهة عربية قديمة .

كان قوم ثمود أقرب إلى الحضر من البدو ، فقد زرعوا الأرض واعتنوا بالماشية واشتغلوا بالتجارة ، وكانت لهم مستوطنات مستقرة شيّدوا فيها معابدهم وبيوتهم في الجبال . جاء في القرآن الكريم : " وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين " .

وقد وصلت كذلك أسماء ثمودية كثيرة تدل على أنها أسماء عربية شاعت في الفترة العربية البعيدة عن الإسلام ، ولا سيما العربية الجنوبية ، إذ ترد بكثرة في كتابات المسند .

ويبدو أن قوم ثمود أصيبوا بكارثة عظيمة مثل هزة أرضية أو بركانية بدليل ورود كلمة رجفة وكلمة صيحة في القرآن الكريم . وتؤكد الإشارات التاريخية أن مناطق سكناهم كانت جنوبي البحر الميت * حيث لاقت مدن أخرى مثل سدوم وعمورة * المصير الذي لقيه قوم ثمود ذاته (رَ : العرب قبل الإسلام في فلسطين) .

وقد حذّر القرآن قريشاً من مصير يشبه مصير ثمود ، إذ كفروا بما جاء به نبيهم صالح ، وعقروا الناقة التي أرسلت لهم آية ، واستمروا في ضلالهم ، فأرسل الله عليهم الصيحة فهلكوا ، ورجفت الأرض بهم فلم يبْق منهم إلا رجل واحد هو أبو رغال الذي كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله . وقد ورد في شعر حسان بن ثابت « أشقى ثمود » ، ويقال إنه قدار بن سالف (أحيمر ثمود) ، وهو عاقر ناقة صالح .

وفي رواية للطبري أن رسول الله ﷺ لما غزا تبوك نزل الحجر ونهى الناس عن دخول القرية وعن شرب مائها، والقرية هي الحجر قرية ثمود .

المراجع :

- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧٦ .
- الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل ، القاهرة ١٣١٩هـ .
- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
- Enno Littmann: Thamud und Safa in G. Rychmans, **Corpus Inscriptionum Semiticarum**, 1950.

ثميلة (وادي ـ) : ر : غزة (وادي ـ)

ثورة : ر : البراق
ر : بانيا

ثورة ١٨٣٤ : رَ : الحكم المصري

ثورة ١٩٢٠ :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي أسهم العرب فيها بالقتال إلى جانب الحلفاء كان العرب ينتظرون أن يفي الحلفاء بوعودهم باستقلال الأقاليم العربية التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية وتوحيدها . غير أن الحلفاء نكثوا بوعودهم فاقتسموا هذه الأقاليم فيما بينهم (فرنسا وإنكلترا) وأخضعوها لاستعمارهم باسم « نظام الانتداب » . وباشرت بريطانيا التي انتدبت على فلسطين بإعمال وعد بلفور * ، وبفتح الباب لهجرة الصهيونيين إلى فلسطين ، فأخذ هؤلاء يتدفقون إليها . وهنا أدرك العرب في فلسطين خطورة ما بيّت لهم الاستعمار البريطاني والصهيونية ، فكانت ثورة ١٩٢٠ أول تحرك شعبي جماهيري واسع للتعبير عن شعورهم بخيبة آمالهم وإحباط مطالبهم .

سادت الأساليب السلمية الكفاح الفلسطيني طيلة فترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٩ : مذكرات ، وعرائض ، ووفود إلى الحكومة البريطانية ، ومؤتمرات تعقد بترخيص من حكومة الانتداب وتتمخض عن قرارات معتدلة بسبب تركيز القيادات السياسية الفلسطينية على توجيه عداء الجماهير العربية الفلسطينية إلى الصهيونية دون التشديد على الارتباط الوثيق بين الصهيونية والاستعمار البريطاني . ولقد تخلّلت تلك المرحلة صدامات كثيرة بين المستعمرين الصهيونيين والسكان العرب . وكان جوهر الصراع دوماً وطيلة في آن معاً ، ذلك لأن الصهيونية جاءت غزواً استعمارياً استهدف اقتلاع الوجود القومي العربي لشعب فلسطين ، كما أن الصهيونيين احتلوا مواقع طبقية ممتازة على حساب عرب فلسطين كموظفين كبار ، وملاك ، وأصحاب أعمال .

وكان هناك أكثر من مصدر للسخط الشعبي المتزايد في أوساط الشعب العربي الفلسطيني . فاللجنة الصهيونية(وهي لجنة وافق الحلفاء على تشكيلها برئاسة حاييم وايزمن عام ١٩١٨ م لتتعاون مع حكومة الانتداب البريطاني في تطبيق وعد بلفور) أخذت تدلي بالكثير من التصريحات الاستفزازية التي كشفت أطماع الحركة الصهيونية في فلسطين ، ومحاباة سلطات الاحتلال البريطاني للمستعمرين الصهيونيين على حساب السكان العرب في مخالف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها . فقد قررت السلطات البريطانية ـ على سبيل المثال ـ جعل العبرية لغة رسمية في فلسطين ، وأغدقت الامتيازات على اللجنة الصهيونية وأعضائها .

ومن أبرز الأسباب الاجتماعية لثورة ١٩٢٠ وضع الفلاح

العربي الفلسطيني الذي ناء تحت وطأة الضرائب المتراكمة عليه منذ أواخر العهد العثماني ونهاية الحرب العالمية الأولى بعد أن أصرّت سلطات الاحتلال البريطاني على جمعها بكاملها . ويتضح مدى الجور في هذا الوضع إذا علم أن متوسط الدخل السنوي للفلاح العربي الفلسطيني كان يبلغ عندئذ نحو ٢٦ جنيها، وكان عليه دفع نحو ستة جنيهات منها ضرائب للحكومة . ورفضت الحكومة في الوقت نفسه إنشاء مصرف زراعي لإقراض الفلاحين العرب ، مما أوقع الفلاح العربي فريسة للمرابين الذين كانوا يتقاضون على ديونهم للفلاحين فائدة تراوح بين ٣٠ و٥٠٪ . أما متقفو عرب فلسطين فقد تزايد سخطهم بسبب تفلّد البريطانيين والمستعمرين الصهيونيين للوظائف العليا في البلاد ، وحصر العرب في الوظائف الصغرى ، بالإضافة إلى معارضتهم سياسة الاحتلال التعليمية الرامية إلى تقليص عدد المتعلمين العرب إلى ما يكفي لسدّ سلطات الاحتلال بالموظفين لإدارة البلاد وتيسير استغلال وامتصاص مواردها لصالح الاستعمار والصهيونية . في حين أغدقت هذه السلطات الاعتمادات المالية الكبيرة لتدعيم أوساط المستعمرين الصهيونيين .

وهناك عوامل أخرى محلية وخارجية كانت أيضا من أسباب إلهاب الحماسة الوطنية للجماهير الفلسطينية كمنح السلطات البريطانية المؤتمر الفلسطيني * من عقد دورته الثانية في شباط ١٩٢٠ ، واعتلاء فيصل بن الحسين العرش في سورية ، وقرار مجلس النواب التركي في كانون الثاني ١٩٢٠ القاضي بضرورة منح الولايات العربية حق تقرير المصير ، ونمو الحركة الثورية في مصر والسودان وسورية ولبنان والعراق والمغرب .

سبق ثورة ١٩٢٠ (٤ ـ ١٠ نيسان) انتشار المظاهرات الجماهيرية في معظم أنحاء فلسطين ، مما دفع الإدارة البريطانية ، بضغط من الصهيونيين ، إلى إصدار أمر يوم ١٩٢٠/٣/١١ يمنع المظاهرات بمختلف أشكالها . وإلى ذلك أخذت بعض مظاهر العنف ضد الاستيطان الاستعماري الصهيوني تبرز في الجانب العربي ، ومن أمثلة ذلك هجوم جماعات وطنية في شهر آذار ١٩٢٠ على مستعمرتي تل حي والمطلة في منطقة الحولة أسفر عن مقتل الغبب الصهيوني (الكابتن) جوزيف ترومبندور وستة صهيونيين آخرين . ومن أمثلة ذلك أيضا الهجومان اللذان قامت بهما ، في شهر نيسان ١٩٢٠ ، قبائل عربية عبر الأردن ، وحاصرت فيهما مستعمرات صهيونية محاطة بأسلاك شائكة . كما هوجمت في الوقت ذاته الحاميات البريطانية في سمخ * وبيسان * ، وعطّلت المواصلات البرقية والهاتفية ، مما دفع القيادة العسكرية البريطانية إلى إرسال تعزيزات بالقطارات ، وإلى قصف المهاجمين بالطائرات .

لقد توفرت العوامل الكافية لدى الشعب الفلسطيني للثورة ، وكان موعد احتفال المسلمين بموسم النبي موسى مناسبا لذلك . وصادف موعد أسبوع عيد الفصح والاحتفال به لدى المسيحيين واليهود موعد موسم النبي موسى نفسه . وقد أحدث هذا قلقا بالغا لدى الصهيونيين والإدارة البريطانية .

وموسم النبي موسى هو من المناسبات التي ابتكرتها عقلية القائد صلاح الدين الأيوبي * بهدف تجميع الناس واستغلال هذا التجمع للتحريض على مقاومة الصليبيين . ويبعد موقع الاحتفال نحو ٣٠ كم إلى الشرق من القدس * على طريق القدس ـ أريحا . وتبدأ الاحتفالات بتجميع سكان مدن وقرى فلسطين في مدينة القدس حيث يقدمون إليها شاهرين سيوفهم ورماحهم ، رافعين راياتهم ، منشدين الأناشيد الدينية والوطنية . ويلتقي الجميع في المسجد الأقصى ، ثم يتجهون منه بعد ذلك إلى مكان الاحتفال .

وقع صدام يوم ١٩٢٠/٤/٤ حين منعت الشرطة أهل الخليل من دخول القدس للاشتراك في الاحتفال ، وكان أهل القدس

ومعهم أبناء نابلس قد خرجوا لاستقبالهم . وشارك في الاستقبال أبناء الطوائف المسيحية حسب العادة المتبعة ، وارتفعت من الجموع المحتشدة هتافات وطنية تطالب بالوحدة العربية والاستقلال ، وتنادي بالأمير فيصل ملكا على سورية وفلسطين ، وتعلن رفضها للوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية .

افتتح أبناء الخليل باب الخليل في القدس عنوة ، واتجهت الجموع حاملة العلم إلى الساحة أمام باب الخليل . وعلى شرفة النادي العربي وقف الخطباء ، فتكلم موسى كاظم الحسيني * رئيس بلدية القدس ورئيس الجمعية الإسلامية ـ المسيحية * ، وخليل بيدس * ، وعارف العارف ، والحاج أمين الحسيني * ، وغيرهم . وكانت الكلمات كلها حماسية أثارت الشعور القومي .

في تلك الأثناء اندسّ صهيوني اسمه « كريجر بن منذل » بين صفوف الجماهير وتقدم إلى العلم محاولا خطفه وتمزيقه فانقضّ عليه بعض الرجال وقتلوه . ثم جاء صهيوني آخر مع عدد من الجنود

الإنكليز وحاول اختطاف العلم مرة أخرى فأصيب على إثره أحد الرجال بسيفه وقتله .

اجتمع إثر ذلك الشباب اليهود والجنود الإنكليز وهاجموا العرب المحتفلين بموسم النبي موسى فنشبت بين الفريقين معركة حامية سقط فيها تسعة قتلى و١٢٢ جريحا من الطرفين . وتجرت هذه المعركة الصراع ضد الاستعمار والصهيونية . فاستمر القتال الذي لم يتمدّ مدينة القدس مدة خمسة أيام ، وانتهى في ١٩٢٠/٤/٨ بقيام القوات البريطانية بمحاصرة المدينة المقدسة . وذكر بلاغ بريطاني رسمي أن حصيلة المعارك كانت مقتل أربعة من العرب ، وتسعة من اليهود ، و٢٥٠ جريحا من الطرفين .

كان هياج الجماهير العربية ، وتحدّي اليهود لها ، واستفزازهم للعرب بالتسلل إلى المواكب والهتاف ضد فيصل ، كذلك كانت المظاهرة التي تزعّمها جابوتنسكي ، والرصاص الذي أطلقه الجنود البريطانيون والمسلحون من الصهيونيين ، كان ذلك كله كافيا لوقوع الاصطدامات الدموية يوم ٤ نيسان ، ولإعلان الأحكام العرفية في اليوم التالي .

وبالرغم من إعلان الأحكام العرفية ، وحظر التجول ، وتعطيل جميع الصحف ، استمرت أعمال المقاومة والعنف من ٤ حتى ١٠ نيسان .

أصدرت سلطات الانتداب أحكاما مختلفة بالحبس ضد ٢٣ شخصا لاشتراكهم في ثورة القدس ، من بينهم عارف العارف وأمين الحسيني اللذان تمكّنا من الفرار إلى شرقي الأردن . كما أقالت سلطات الانتداب موسى كاظم الحسيني من رئاسة بلدية القدس وعينت راغب النشاشيبي مكانه .

كلفت الحكومة البريطانية « لجنة بالين » مهمة التحقيق في أسباب ثورة ١٩٢٠ . وقد ذكرت اللجنة في تقريرها " أن الهجوم كله كان ضد اليهود " ، ولكنها اعترفت بأن البريطانيين في فلسطين " يواجهون مواطنين محلّيّين يهبّون عليهم الخط الشديد بدافع من شعورهم بالغبن وخيبة الأمل ، ويلقمهم الذعر بشأن مستقبلهم . ونتيجة ذلك أن ٩٠٪ منهم يكنّون عداء مريرا للإدارة البريطانية العامة " .

وثمة ظاهرة تبلورت إبّان ثورة ١٩٢٠ وكشفت عن وحدة السياستين الإنكليزية والصهيونية في فلسطين ، وهي نشوء وحدات عسكرية شكّلها جابوتنسكي الذي كان يحارب في صفوف الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى . وقد جاء في تقرير لجنة بالين أن هذه الوحدات تشكلت دون موافقة الإدارة العامة (البريطانية) أو معرفتها ، ولكنها " كانت تتدرب بصورة علنية وراء مدرسة « ليمل » وفوق قمة جبل الزيتون " . وهو أمر عرفه العرب خلال شهر آذار ١٩٢٠ . وأهم من ذلك وأعظم دلالة أن الإدارة العامة اتخذت ، حسب تقرير اللجنة ، قرارا باستخدام " هذه الوحدات غير الشرعية " .

ولقيت ثورة القدس أنظار مؤتمر السلام في سان ريمو* إلى النزاع العربي ـ الصهيوني في فلسطين . ولكن المؤتمر ، بدلا من أن يعيد النظر في سياسة بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين ، وحدّد واجباتها من خلال تضمين صك الانتداب * نص وعد بلفور على الرغم من التناقض الواضح بين نرض وعد بلفور على الشعب الفلسطيني وبين حق هذا الشعب في تقرير مصيره وسيره نحو الاستقلال بموجب عهد عصبة الأمم ووعود الحلفاء المقطوعة في هذا الصدد (رَ : عصبة الأمم) .

نشلت المقاومة العربية العنيفة في إحداث أي تغييرات جوهرية في الصورة العامة للسياسة البريطانية في فلسطين . وعلى النقيض من ذلك بادرت الحكومة البريطانية إلى تعيين هربرت صموئيل السياسي اليهودي الصهيوني المعروف الذي كان يشغل عام ١٩١٦ منصب وزير الداخلية، أول مندوب سام بريطاني في فلسطين. وقال صموئيل في مذكراته إنه عين في المنصب المذكور مع معرفة حكومة صاحبة الجلالة التامة بعواطفه الصهيونية ، بل بسبب هذه العواطف إلى حد كبير .

اتصفت ثورة ١٩٢٠ بالخصائص التالية :

١) كانت التجربة الشعبية الجماهيرية الأولى للمقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار والصهيونية اللذين كانا يمهدان لتنفيذ مخططهما في سلب الشعب العربي الفلسطيني وطنه وطرده منه . وبالرغم من أن أهداف هذه المخطط لم تكن واضحة يومذاك كل الوضوح ، كان وعد بلفور ، وإقدام بريطانيا على تنفيذه ، وتدفّق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وبدء أعمال الاستيطان الاستعماري الصهيوني في فلسطين ، والشروع في تشكيل وحدات عسكرية صهيونية ، كان ذلك كله من الأسباب التي نبّهت الشعب الفلسطيني إلى مخاطر هذه السياسات والخطط .

٢) مثلت ثورة ١٩٢٠ الشعور العربي الفلسطيني بالخيبة والاخفاق إثر نكث الحلفاء ، وبخاصة بريطانيا، بوعودهم التي قطعوها للعرب باستقلال بلادهم ووحدتها .

٣) نقلت ثورة ١٩٢٠ الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية من مرحلة البدء بالوعي وإدراك المخاطر إلى مرحلة المقاومة الشعبية .

٤) لم تكن قوى المقاومة التي ظهرت في الثورة منظمة ومعبأة وموجهة بشكل يؤهّلها للقيام بعمل ثوري ، أو ثورة ذات نفس طويل في المقاومة والمناورة والتكتيك . فقد كانت ثورة العشرين محلية

(القدس) وقصيرة المدى الزمني (٧ أيام) وفاقدة أي تخطيط إستراتيجي أو عملياتي ، ولم تتعدّ كونها انفجاراً شعبياً نضالياً واسعاً ، عارفاً بأهدافه ، واعياً لغاياته ، غير منظم أو معبأ ، مفتقراً إلى التخطيط والقيادة الثورية النضالية .

ومن هنا اختلفت آراء المؤرخين والباحثين في وصف أحداث نيسان ١٩٢٠ ، فمنهم من رأى أنها " انتفاضة " في حين وصفها آخرون بأنها " أحداث دامية " أو " اصطدامات دامية " ، وقليلون سمّوها " ثورة " ، وهذا هو الأرجح للأسباب التالية :

١) كانت أحداث نيسان ١٩٢٠ ، في أسبابها وأهدافها ، اللبنة الأولى للثورات التي نشبت فيما بعد في فلسطين وللانتفاضات التي وقعت فيها . فقد سارت تلك الثورات والانتفاضات في خطوطها العامة ومراحلها وأحداثها مسيرة ثورة العشرين من حيث الهدف الرئيس ، وهو جعل فلسطين مستقلة عربية خالصة لشعبها ، بالرغم مما بين ثورة العشرين والثورات والانتفاضات التي تلتها من اختلاف وتباين في الطرائق والوسائل والقيادات والبنية الاجتماعية وغيرها .

٢) لم تكن الظروف في فلسطين عام ١٩٢٠ مهيأة لقيام ثورة منظمة معبأة بقوى ثورية وفق الشروط والمفاهيم والمقاييس التي لا بد من توافرها في أي « ثورة » أو « حدث ثوري » ، ذلك أن الخطط الاستعمارية والصهيونية كانت في بداية تنفيذها . وكان الاستعمار والصهيونية يتبعان أخبث السبل ، ويستخدمان أحطّ الوسائل من أجل تنفيذ خططهما بالتضليل والكذب والخداع حيناً ، وبالإرهاب والاضطهاد وقوة السلاح حيناً آخر .

٣) وبناء على ذلك لم يكن ممكناً يومذاك نشوء بؤرة ثورية أو قوى ثورية في صفوف الشعب الفلسطيني . وحينما أدرك هذا الشعب ، وبخاصة في المدن ، مخاطر ما ينوي الاستعمار والصهيونية فعله بدأت إرادة المقاومة تنمو وتتظهر وتفعل . وجاءت أحداث نيسان ١٩٢٠ لتكون أول تعبير عن ثورة الشعب الفلسطيني على أعدائه .

المراجع :

ـ عبد الوهاب كيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ صالح سمحه بو بصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ يزان نويض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨١
ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٦٨ .

ثـورة ١٩٢٩ :

اتصف العمل الوطني في فلسطين بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٩ بالركود يشكل عام إذا استثنيت المظاهرات التي قامت بها الجماهير الفلسطينية ضد زيارة بالفور لفلسطين عام ١٩٢٥ ، ومظاهرات التأييد للثورة السورية ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ .

وكان وراء هذا الركود جملة أسباب أهمها : ضعف قيادة الحركة الوطنية وتردّدها ، وشراسة الاستعمار البريطاني وبطشه بالجماهير لتوفير الظروف الملائمة لوضع وعد بلفور * موضع التنفيذ ، وتزايد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وتشكيل الوحدات الصهيونية العسكرية الإرهابية . وقد أدّى ذلك كله إلى عدم تكافؤ القوى بين الاستعمار البريطاني والعدو الصهيوني من جهة الحركة الوطنية من جهة أخرى .

أ ـ أسباب الثورة : مع بداية عام ١٩٢٩ كانت أحوال الشعب العربي الفلسطيني قد ازدادت سوءاً ، خاصة بعد أن تعرضت البلاد لكوارث الجراد والزلزال والوباء التي اجتاحتها عام ١٩٢٧ ، وفضلاً عن بداية الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢) . وجاءت تشريعات حكومة الانتداب لتسهل تدفق المزيد من المهاجرين اليهود إلى فلسطين حتى فاق عدد من دخل منهم إلى فلسطين منذ الاحتلال البريطاني وحتى بداية ١٩٢٩ مائة ألف مهاجر ، عدا الآلاف الكثيرة الأخرى من المتسللين غير الشرعيين . واقترنت هذه الهجرة باتساع رقعة الأراضي التي انتزعت من الفلاحين العرب وتم طردهم منها وحرمانهم من العمل فيها أجراء . وكانت مساحة ما منحته حكومة الانتداب للمشركات الصهيونية ٨٢ ألف دونم من الأراضي الأميرية ، علاوة على ما قدمته الحكومة للشركات الاحتكارية الصهيونية ، ومنها ٧٥ ألف دونم لشركة البوتاس ، و١٨ ألف دونم أخرى لشركة كهرباء روتنبرغ (ز : القدس ، شركة كهرباء) ، كما نقلت سلطات الانتداب امتياز تجفيف سهول الحولة إلى الشركات الصهيونية ، وتبلغ مساحة هذه السهول نحو ثلث الأراضي الخصبة في فلسطين .

واذا ما أضيفت إلى هذه الأسباب أسباب أخرى تتعلق بالصناعة * ، إذ احتكرت المؤسسات الصهيونية القسم الأعظم من جوانب النشاط الصناعي والتجاري ، ونعم اليهود بالمؤازرة الحكومية ، وروؤس الأموال الضخمة ، وبالخبرة الفنية العالية ، وهي عوامل هامة افتقرت إليها الصناعة العربية في فلسطين ، أمكن الوقوف على درجة نقمة الجماهير العربية الفلسطينية وثورتها .

ب ـ معركة القدس : وسط هذا المناخ المتوتر اندلعت الشرارة الأولى في ثورة ١٩٢٩ التي يسميها بعض المؤرخين « ثورة البراق » . فقد نظم الصهيونيون مظاهرة ضخمة يوم ١٤ آب/

١٩٢٩ في تل أبيب بمناسبة ذكرى « تدمير هيكل سليمان » انبعثوا ، في اليوم التالي ، بمظاهرة كبيرة في شوارع القدس لم يسبق لها مثيل ، حتى وصلوا إلى قرب حائط البراق (حائط المبكى) ، وهناك رفعوا العلم الصهيوني ، وأخذوا ينشدون النشيد القومي الصهيوني (الهاتكفا ـ الأمل) ، وشتموا المسلمين ، وأطلقوا صيحات التحدي والاستفزاز ، وطالبوا باستعادة (حائط المبكى) زاعمين أنه الجدار الباقي من هيكل سليمان .

وكان اليوم التالي ، أي ١٦ آب ، يوم جمعة ، وكان في الوقت ذاته ذكرى المولد النبوي الشريف (١٢ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ) التي جرت العادة فيها أن يتوجه أهالي القدس والقرى المحيطة بها إلى المسجد الأقصى لصلاة الظهر . وقد خرج المصلون بعد أداء الصلاة في مظاهرة ضمت الآلاف من أهالي القدس والقرى ، واتجهوا نحو حائط البراق حيث حطموا منضدة لليهود كانت

موضوعة فوق الرصيف وأحرقوا بعض الأوراق التي تحتوي على نصوص الصلوات اليهودية والموضوعة في ثقوب حائط المبكى .

حدث في اليوم التالي (١٧ آب) اشتباك بين مجموعة من العرب وأخرى من الصهيونيين أدّى إلى جرح ١١ شخصاً من الجانبين ووفاة رجل واحد من الصهيونيين. فسارعت سلطات الانتداب إلى احتلال عدد كبير من الشبان العرب مع زمرة قليلة من اليهود .

وتواترت الأخبار عن نية الصهيونيين شن هجوم على حائط البراق واحتلاله لتثبيت « حقهم في ملكيته » ، فتدفق أهالي القرى إلى القدس بأعداد كبيرة يوم الجمعة ٢٣/ ٨/ ١٩٢٩ لأداء صلاة الظهر وهم مسلحون بالعصي والهراوات . وخرج المصلّون من المسجد الأقصى ليجدوا أمامهم تجمعاً صهيونياً يتحدّاهم . ووقع صدام بين الطرفين ، وفتحت الشرطة البريطانية النيران على الجمهور العربي، وحلقت بعد ذلك الطائرات فوق المدينة إرهابا للعرب . وما كادت تحل الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم حتى كانت المصفحات البريطانية تدخل القدس ومعها تجدات من الشرطة لتعيد الهدوء إلى المدينة في الوقت الذي كان بعض الشبان العرب يتصدون للصهيونيين في الضواحي اليهودية من المدينة وفي المستعمرات القريبة منها .

جـ ـ الاضطرابات في المدن الأخرى : وعندما وصلت أنباء أحداث القدس إلى نابلس * والخليل * والمدن الأخرى انطلقت الجماهير تتظاهر . وقام العرب في الخليل بهجوم على الحيّ اليهودي فقتل أكثر من ٦٠ يهودياً ، وجرح أكثر من ٥٠ آخرين .

وفي اليوم نفسه قام العرب في نابلس بمحاولة جريئة لانتزاع الأسلحة من أحد مراكز الشرطة فنشبت اضطرابات عنيفة بسبب إطلاق الشرطة النار على الجمهور . وفي بيسان * شن العرب هجوماً على اليهود . وفي يافا * قامت اضطرابات مماثلة تخللها هجوم على عدة مستعمرات صهيونية .

وفي يوم ٢٥ و٢٦ آب شن العرب هجمات كثيرة على مختلف المستعمرات القريبة من مدنهم ، وقد تم تدمير ست مستعمرات تدميرا كاملا . ونشبت في الوقت ذاته اضطرابات في الحي القديم من حيفا * رافقتها عدة غارات على ضاحية « هادار هاكرمل » قرب حيفا . وفي يافا قامت الشرطة بصدّ هجوم عربي مستخدمة النار في ذلك فقتل إمام أحد المساجد وستة من العرب . وفي القدس هجم اليهود يوم ٢٦ آب على مسجد عكاشة ، وهو مسجد قديم العهد ، فأصابوه بأضرار بالغة وانتهكوا قدسية الأضرحة التي يضمها .

د ـ معركة صفد : وفي صفد شاع الخبر بأن اليهود اعتدوا على الحرم الشريف وهدموه وأحرقوه ، فهرع الناس مساء يوم ١٩٢٩/٨/٢٩ إلى الجامع الكبير في السوق للاستماع إلى ما يقوله الخطباء في ذلك . ولم يمض إلاّ القليل حتى دخل المسجد « المجور فردي » مساعد مدير الشرطة البريطاني وخاطب الناس بالعربية متظاهرا بمحاولة تهدئتهم : " أيها الإخوان ، لا تصدّقوا كل ما قيل ، إن اليهود لم يهدموا الحرم ، بل هاجموه ، واستولوا على البراق . لكن حكومتنا لا يمكن أن تسكت على هذا " .

ولم تمكّنه الجماهير من تكملة كلامه وارتفعت بينها دعوات الانتقام والثأر . وفي هذه الأثناء صاح قادم أن المجاهد أحمد طاش قد قتل فخرجت الجماهير هادرة متجهة إلى حارة اليهود التي كانت تقع في القسم الشمالي من المدينة، وأخذت جموعهم تخلع أبواب المحلات التجارية وتشعل النار فيها . فتدخلت الشرطة البريطانية ، ونقلت اليهود ، ولا سيما النساء والأطفال ، إلى السراي حيث مكثوا ثلاثة أيام التزم أهالي صفد خلالها

بسحاياهم العربية وإنسانيتهم فكانوا يحضرون الطعام لأولئك المحتجزين . وحدث أثناء ذلك أن ألقى مجهولون قنبلة قتلت أربعة من اليهود وثلاثة من خيول الشرطة فقدمت في اليوم الثاني (٣٠ آب) القوات البريطانية من الجاعونة * وطبرية * ، ودخلت حارة اليهود ، وأطلقت النار على كل عربي وجدته فيها . ولم يكن دخول القوات البريطانية إلى المدينة سهلا لأن شباب صفد أقاموا حاجزا من الحجارة الضخمة عند مدخل البلدة ، مما حمل الجنود على أن يترجلوا عن خيولهم وسياراتهم ، فتعرضوا لنيران وحجارة انهالت عليهم مما زاد في حنق الجنود فصاروا يطلقون النار على كل من يرون ، محاربا أو مسالما ، وصوّبوا نيران بنادقهم إلى قريتي عين الزيتون * وبيريا * القريبتين من صفد ، ودخلوا حارة اليهود وهم يغلون حقدا على العرب ، فسقط من نيرانهم عدة قتلى وجريحي من العرب .

تمكنت القوات البريطانية من السيطرة على الموقف ، وأعادت اليهود إلى بيوتهم ، وتولّت حراسة حارتهم ، ثم قامت قوات الشرطة بحملة تفتيش في بيوت العرب إرهابا لهم ، وألقت القبض على نحو ٤٠٠ عربي ، وأفرج فيما بعد عن كثيرين ، وسيق الباقون إلى سجن عكا حيث تعرضوا للإهانة والتعذيب . وقد وجه مدير السجن ، وهو ضابط بريطاني ، إهانات شديدة إلى الحاج توفيق غنيم فهجم ابنه نايف على الضابط وألقاه أرضا ، فحكم على نايف وأخيه عارف غنيم بالسجن المؤبد ، كما حكم بالسجن المزيد على كل من توفيق عبيد ، وأحمد صالح الكيلاني ، ورشيد سليم الحاج درويش ، وأخيه علي ، ومحمد علي زيتب ، ورجال سليم الحولي ، ورشيد محمد الخرطيل ، ومصطفى أحمد دعيس ، ومحمد مصطفى شريفة ، وسعيد شنّا . وأعدمت السلطات البريطانية الشهيد فؤاد حجازي * من صفد مع الشهيدين عطا الزير * ومحمد جمجوم * من الخليل يوم ١٩٣٠/٦/١٧ .

وقد جاء في البلاغ الرسمي رقم ١٤ الصادر في ١٩٣٠/٥/٣١ ما يلي : " قتل من العرب عبد الغفور الحاج سعيد ، والعبد سليم الخضرا ، وفوزي أحمد الديدوب ، والعبد ذياب العباسي " . وورد فيه أن عدد قتلى اليهود وجرحاهم بلغ ٤٥ رجلا .

وبعد هدوء الحالة في المدينة خرج نفر من شباب صفد واعتصموا بالجبال حيث شكّلوا جماعة مناضلة لمقاومة الإنكليز والصهيونيين . وقد أحضرت حكومة الانتداب كتيبة فرسان من قوة حدود شرق الأردن تمركزت في قرية ميرون * الواقعة عند سفح جبل الجرمق على مسافة ١٠كم إلى الغرب من صفد . وأخذت هذه الكتيبة تقوم بالدوريات ليل نهار في الأودية والجبال بحثا عن هؤلاء المجاهدين ، واستمرت تعمل أكثر من عام ، وتمكنت من القبض على اثنين منهم فقط واختفى الباقون .

من أهم نتائج معركة صفد هذه أن اليهود أخذوا يهجرون المدينة تدريجيا ، فبعد أن كان عددهم يتراوح بين ٧ و٩ آلاف لم يبق منهم في المدينة حتى عام ١٩٤٨ أكثر من ألفين .

هـ - نتائج الثورة : بدأت الحالة في نهاية شهر آب ١٩٢٩ تتجه نحو الهدوء ، باستثناء عدد ضئيل من الهجمات والحوادث .

كانت حصيلة أحداث ثورة ١٩٢٩ وقوع ١٣٣ قتيلا من اليهود وجرح ٢٣٩ منهم بينهم ١٩٨ إصاباتهم بالغة . أما العرب فقد قدموا ١١٦ شهيدا في حين بلغ عدد جرحاهم ٢٣٢ شخصا . ودمرت القوات البريطانية عدة قرى مثل لفتة * وديير ياسين * ، وألحقت أضرارا كبيرة بعدد آخر .

قدمت السلطات البريطانية إلى المحاكمة ما يزيد على ألف شخص ، أكثر من ٩٠٠ منهم من العرب ، بتهم تتعلق بأحداث شهر آب ١٩٢٩ ، وصدر الحكم بإعدام ٢٦ شخصا هم ٢٥ عربيا ويهودي واحد كان شرطيا دخل على أسرة عربية مؤلفة من سبعة أفراد فقتلهم جميعا . وقد أصرّت السلطات البريطانية ، فيما بعد ، على إعدام ثلاثة من العرب هم عطا الزير ، ومحمد جمجوم ، وفؤاد حجازي . ونفذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء ١٩٣٠/٦/١٧ في سجن عكا . وأبدى الشهداء الثلاثة من رباطة الجأش والشجاعة والتفاني في سبيل الوطن ما جعلهم مخلّدين في قلوب أبناء الشعب ، وما دفع الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان * إلى تخليدهم في قصيدة « الثلاثاء الحمراء » .

وإلى ذلك طبقت السلطات البريطانية أحكام قانون العقوبات المشتركة على سكان المدن والقرى التي دينت " بالاشتراك في الهجوم المنظم على اليهود في الخليل ، وسوتزا ، وعرتوف * " وفرضت عليهم غرامات كبيرة .

وكان المندوب السامي البريطاني تشانسلور في بلاده حين وقعت أحداث آب . وأثر عودته إلى القدس أصدر يوم ١٩٢٩/٩/١ بيانا أثبت فيه تحيزه للصهيونية والصهيونيين ، وافترى على العرب ، وكان كاذبا فيما ذكره في بيانه ، وواضحا جدا في تعابيره . وقد شجّع هذا البيان الصهيونيين على الادعاء بأن العرب مثّلوا بجثث القتلى اليهود وشوّهوها في الخليل . وغدى العرب الصهيونيين وطلبوا إجراء تحقيق في ذلك . فألف المندوب السامي البريطاني لجنة من أطباء بريطانيين لفحص تلك الجثث بحضور ممثلين عن الجانبين العربي واليهودي . وفحصت اللجنة الجثث وقدمت تقريرا ذكرت فيه أنها " لم تعثر على دلائل تثبت تهم وقوع التمثيل في الجثث " . واعتبر تقرير اللجنة الطبية نصرا سياسيا ومعنويا للعرب الفلسطينيين .

أما بيان المندوب السامي البريطاني فقد أثار جوّاً من التوتر ،

وتوالت احتجاجات العرب الفلسطينيين عليه ، وعقدت مؤتمرات للرد عليه وتفنيده ، ومن ذلك الاجتماع الوطني العام الذي عقده أهالي منطقة يافا يوم ١٩٢٩/٩/٣ واحتجوا فيه بشدة على بيان المندوب السامي وطالبوا بلجنة تحقيق من عصبة الأمم* ، واجتماع اللجنة التنفيذية (وهي اللجنة المنبثقة عن المؤتمر العربي الفلسطيني*) وإصدارها بيانا كررت فيه مطالب الاجتماع الوطني في يافا ، واتخاذها مجموعة من القرارات كان أهمها الاهتمام بالجرحى وأسر الضحايا ، وبالموقوفين والدفاع عنهم .

كلفت الحكومة البريطانية لجنة برلمانية عرفت باسم « لجنة شو »* ، نسبة إلى رئيسها والتر شو ، كلفتها التحقيق في أسباب ثورة ١٩٢٩ . وقد وصلت اللجنة الى فلسطين في ١٩٢٩/٩/٢٣ وانتهت من تقريرها في ١٩٣٠/٣/٦ . وقد عبرت اللجنة السبب الرئيس للأحداث إلى " شعور العرب بالعداء والبغضاء لليهود ، وهو شعور نشأ من خيبة آمالهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي . . بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي " .

وكان المندوب السامي تشانسلور كتب إلى وزير المستعمرات البريطاني باسفيلد يوم ١٩٢٩/١٠/١٢ ، أي في أعقاب الثورة ، يقول : " إن العرب لا يزالون يكنّون مشاعر البغض لليهود ، ولا يزال فرض المقاطعة مستمرا . . ولدى العرب الآن شعور متصاعد بالعداء للحكومة تعززه دعاية بارعة يقوم بها الزعماء العرب . ولقد قيل لي إن هذا الشعور لم يعد مقتصرا ، كما كان في السابق ، على الأوساط السياسية ، بل هو يمتد الآن ليشمل الطبقات الأدنى من الشعب ، كما يمتد إلى القرويّن " .

ويعد هذا التقرير بأسبوع رفع تشانسلور تقريرا آخر إلى باسفيلد قال فيه : " يبدو أن السكان المسلمين يقتربون من حالة اليأس بالنظر إلى تخلف الحكومة عن تلبية مطالبهم بأي شكل من الأشكال . وهذا الشعور لا يقتصر على القيادة فحسب ، بل هو منتشر في صفوف الطبقات الأدنى وسكان الأرياف أيضاً " .

لقد كانت أحداث ثورة ١٩٢٩ سببا في زيادة إيضاح ثلاث حقائق وجلائها أمام الجماهير الفلسطينية :

١) الحقيقة الأولى : أن الصهيونية والوطن القومي اليهودي كانا يعتمدان ، في الأصل والنهاية ، على الحراب البريطانية ، ومن ثَمّ تجب محاربة بريطانيا والصهيونية معا إذا أريد للصراع ضد الصهيونية أن يحقق أهدافه .

٢) الحقيقة الثانية : عدم قدرة زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية على قيادة الجماهير في الصراع ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني في فلسطين بسبب عدم إدراكهم الحقيقة الأولى ، وجهلهم للرابطة العضوية بين الصهيونية والاستعمار البريطاني .

٣) الحقيقة الثالثة : وعي الجماهير بأن الأسلوب المتبع في القتال ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني ، وهو أسلوب الاحتجاج والتظاهر ، غير ناجع ، ولا بد من اللجوء إلى استعمال السلاح وتشكيل منظمات مناضلة مقاتلة . وكانت « عصابة الكف الأخضر » * أول منظمة مقاتلة فلسطينية تشكلت إثر أحداث ثورة ١٩٢٩ .

المراجع :

ـ عبد الوهاب كيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٨١ .
ـ صالح مسعود بو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ محمود العابدي : صفد في التاريخ ، عمان ١٩٧٧ .
ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٧٤ .

ثـــورة ١٩٣٥ :

أ ـ المقدمة : حدثت تغييرات هامة في الحركة الوطنية الفلسطينية خلال سنوات الثلاثينات الأولى ولم تكن تلك التغييرات في الأهداف السياسية للحركة الوطنية ، بل كانت في أساليب الحركة ووسائلها . فمع تدفق أعداد المهاجرين الصهيونيين إلى فلسطين في تلك السنوات ، وزيادة امتلاك الصهيونية للأراضي في فلسطين ، ومع ازدياد نضج عرب فلسطين سياسيا ، وإدراكهم حقيقة الاستعمار ومناوراته وأساليبه ، وحقيقة ارتباط الصهيونية به ارتباطا عضويا ، انبعثت دعوة بين عرب فلسطين إلى اتّباع نوع آخر من أنواع النضال غير سياسة الاحتجاج والتظاهر والتمرّد السلمي والوسائل السلمية . وكانت حركة الشيخ عز الدين القسّام* النموذج الأول لهذا النوع الجديد من النضال ، إذ دعت إلى الكفاح المسلح طريقا لمكافحة الاستعمار والصهيونية . وشكّل القسام جماعات سرية نضالية مدرّبة ، وبذلك كان القسام رائد الكفاح المسلح في الحركة الوطنية الفلسطينية ، ويعدّ عروبة تلك الحركة ، إذ كان من أبناء شمالي سورية .

ومن طبيعة الحركات والتنظيمات السرية أن تظل حقائقها وبواعثها مجهولة وخافية على الناس . وكانت المنظمة التي أوجدها الشهيد الشيخ القسام من أخطر المنظمات العربية السرية خلال

عهد الانتداب البريطاني وأدقها تنظيما . وقد أُحيط تشكيل هذه المنظمة بإطار كثيف من السرية والكتمان ، كما صُرب على ما قامت به من أعمال طوق شديد من الصمت والتكتم . لهذا فإن من العسير تقديم دراسة كاملة ووافية عن هذه المنظمة . ولكن يمكن تقديم مثل هذه الدراسة في ضوء ما عرف عن الشيخ الشهيد ومنظمته ، وما توفر من معلومات أكيدة عبر التجربة والممارسة .

ب ـ القسام في حيفا : ولد ونشأ عز الدين القسام في بلدة جبلة القريبة من مدينة اللاذقية السورية عام ١٨٧١ . وبعد أن عاد من الأزهر في القاهرة حيث تلقى العلم على الإمام الشيخ محمد عبده ، عكف على التدريس ، وشارك في الوقت ذاته في حركة الجهاد فانضم في بادىء الأمر إلى عصبة عمر البيطار ، ثم اشترك مع الشيخ صالح العلي في ثورته على الفرنسيين في شمالي سورية (١٩٢٠ - ١٩٢١) . وأرسلت إليه سلطة الاحتلال رسولا يعده بتوليته القضاء وبذل العطاء إن هو كفّ عن تمرده ، فردّ الرسول خائبا . فحكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالإعدام ، مما اضطره إلى اللجوء إلى حيفا * في ١٩٢٢/٢/٥ حيث استوطن وتولى التدريس في جامع النصر ، وعمل مدرسا في المدرسة الإسلامية بحيفا ، وكانت معقلا من معاقل الحركة الوطنية الفلسطينية . ثم عيّنه المجلس الإسلامي الأعلى * خطيبا لجامع الاستقلال في حيفا ومأذونا شرعيا . وبذلك توفر للقسام عن طريق الوظائف الأربع التي صار يشغلها مجال واسع للاتصال المباشر بالشعب ، وبصورة خاصة بالطبقات التي يخرج من صفوفها ، عادة ، المجاهدون .

وكانت حيفا عندما هبطها القسام تنمو في عمرانها ، فهي مرفأ فلسطين الأول ، وأقرب مدنها إلى لبنان ودمشق ، وهي قاعدة من قواعد النشاط والتحرك الصهيوني . ووجد القسام في « جمعية الشبان المسلمين » التي تألفت عام ١٩٢٧ فرصة لتوسيع نطاق علاقاته بالناس فكان رئيسها وحامل لوائها . ولعل القسام وجد في حيفا ما كانت نفسه تتوق إليه ، وهو أن ينشىء عصبة تكون نواة للثورة ضد الاستعمار والصهيونية . وقد استطاع أن يحقق آماله فأنشأ ، بعد عدة سنوات من مقامه في حيفا ، عصبة سرية شرطها الأساسيان : أن ينتمي العضو السلام على حسابه الخاص ، وأن يتبرّع بما يستطيع لهذه العصبة .

وكان الشيخ القسام ذا شخصية جذابة ، حسن السيرة والمعاشرة ، عدّثا لبقا وخطيبا بارعا . وقد ابتدأ يخرج إلى القرى منذ عام ١٩٢٩ عندما عين مأذونا شرعيا . فكان يقتضي عمله هذا بحضر حفلات الأعراس ، ويتعرف إلى الناس ، ويستقي الأخبار ، ويتصل بسائر طبقات الشعب .

وقد ذكر الكثيرون من إخوان الشيخ القسام أنه كان يناقش المثقفين وأنصار الأساليب السلمية ، وأنه كان يراقب المصلين وهو يخطب فوق منبر المسجد ، ويدعو من يتوسم فيهم الخير والاستعداد للتمرد ليقنعهم بالعمل لإنقاذ فلسطين مما يهددها من أخطار .

وكان القسام في جميع مراحل عمله من الإقناع إلى ضم المناضلين إلى جماعته يستعين بالكتمان على تحقيق هدفه ، فكان لا يبوح بالسرّ الذي يحمله ، وهو الدعوة إلى الثورة لمنع إقامة وطن قومي صهيوني في أرض فلسطين ، إلّا لأشخاص قلائل بعد أن يدرس نفسيتهم ويمتحن إخلاصهم لمدة قد تطول عدة سنوات .

وكان القسام في دعوته إلى اليقظة ضد مخاطر الاستعمار والصهيونية يدعو الناس إلى اتحاد الكلمة ولمّ الشعث ورصّ الصفوف . وكان يبثّ الروح الوطنية في النفوس ، ويلح على العودة إلى تعاليم السلف الصالح منذرا قومه بعواقب الشقاق والتنازع .

وكان القسام ينتقي أصحابه من أهل الدين والعقيدة الصحيحة ، ويقوم بتدريبهم في رحلات ليلية . كما كانوا يقومون بتحركات استطلاعية يتمرّنون في أثنائها على إصابة الهدف .

وكان أنصار القسام يتألفون من العمال والفلاحين والباعة الذين كانوا يحضرون دروسه ، فكان يحضّهم على وجوب الجهاد ، ويحيي في نفوسهم روح المقاومة استعدادا لحمل السلاح حينما يحين وقت الثورة .

جـ ـ أجهزة العمل : وهكذا أخذت نواة الحركة الثورية تتألف حول القسام وتتّسع بمرور الزمن بسرعة مذهلة . وازداد عدد المنضمين إلى جهازه الذي أداره القسام بمهارة وحكمة ولباقة ؛ وشكّل القسام من أفراد المنظمة حلقات صغيرة تتألف الواحدة منها من رقيب وخمسة أفراد . وكان أفراد الحلقة الواحدة يعرف بعضهم بعضا ، ويعرفون الزعيم (القسام) ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون إطلاقا أي شيء عن الحلقات الأخرى وأفرادها . كذلك شكّل القسام مجموعات قيادية تألفت من كبار رجال التنظيم ، منها مجموعة للتدريب العسكري ، ومجموعة لجباية الأموال ، ومجموعة للاتصالات السياسية والشعبية ، ومجموعة لشراء السلاح ، وأخرى للتجسس على البريطانيين والصهيونيين . وكانت أخطر مجموعة شكلها القسام هي مجموعة الدعاية للثورة ، ومهمتها الأساسية إقناع الناس بعدم جدوى التعاون مع الإنكليز أو الاعتماد عليهم ، وبأن الجهاد في سبيل الله والوطن هو الطريق الوحيد لبلوغ الأهداف . وكان من مهامها أيضاً توجيه الناس للتعاون والتناصر والأخلاق الحميدة ، ومقاومة ما كان يبذله الإنكليز والصهيونيون من جهود لشلم وحدة الصف العربي وصرف أنظار العرب عن المقاومة والكفاح .

وعرف أكثر وأكبر المنتظمين في هذا الجهاز السري باسم (الشيوخ) ، على أنهم والشبان الذين انضووا تحت لواء القسام ظلوا مجهولي الهوية والأسماء لا يعرفهم الناس . وقد عرف فيما بعد ، ولا سيما بعد استشهاد القسام ، أسماء بعض كبار رجال منظمته وبعض الشبان الوطنيين العاملين معه .

وكانت مدينة حيفا تتقدم وتتطور فاستقل الكثيرون من العرب من مناطق القدس " ونابلس " وغيرها للعمل فيها ، وتضاعف عددهم على مرّ الأيام فوُجدت في حيفا كتلة عامة قوية من العمال وغيرهم كانت في الحقيقة المعين الذي اختار منه القسام المؤهلين للعمل .

ومما هو جدير بالذكر أن القسام كان قد أوجد في عدد من قرى لواء الشمال تشكيلات مسلحة سرية من الشبان مهمتها مناوشة القوات البريطانية وإنحاد المجاهدين في حالة وقوع اصطدام مع الصهيونيين أو الإنكليز ولما بدأت النظمة أعمالها انضمّ إليها المزيد من الشباب الوطني .

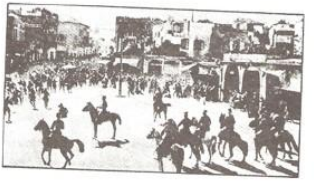

د ـ المال والسلاح : كانت مهمة تمويل حركة القسام ومدّها بالسلاح صعبة للغاية بسبب الأحوال السائدة ، وسريان مفعول أنظمة الطوارىء والقوانين الاستثنائية . وكانت مصادر التمويل متعددة وسرية منها :

١) تبرعات الأفراد المنتظمين .

٢) تبرعات من أبناء حيفا كان يتولى جمعها سرّاً بعض أعضاء الحركة والرجال الوطنيين .

٣) تبرعات من الجمعية الإسلامية في حيفا تسجّل في ميزانيتها تحت بند مساعدة المعوزين من المسلمين .

أما الحصول على السلاح والعتاد فقد كان أكثر صعوبة من الحصول على المال . وقد قدم كبار قادة المنظمة بعض البنادق والمسدسات القديمة في حين أن بعض أنصار القسّام ومريديه في جبلة واللاذقية هرّبوا إلى حيفا كمية صغيرة من السلاح .

هـ ـ بداية العمل المسلح : برمج القسام ثورته في أربع مراحل :

١) الإعداد النفسي ونشر روح الثورة المسلحة .

٢) إنشاء حلقات سرية .

٣) تشكيل لجان قيادية لجمع التبرعات وشراء السلاح .

٤) الثورة المسلحة .

وكان يرمي أثناء تطبيق هذا البرنامج إلى الإسهام مع أصحابه في تهيئة أكبر عدد ممكن من المجاهدين ، وتدريبهم وتجهيزهم للقيام بثورة عامة في فلسطين في الوقت الملائم ، وبعد اكتمال الإعداد . على أن عدة عوامل واعتبارات هامة جابهت العرب في عامي ١٩٣٣ و١٩٣٤ دفعت القسام ومنظمته إلى البدء بالعمل المسلح ، قبل أن يُتمّ العاملون التأهب والإعداد . وكان من هذه العوامل والاعتبارات :

١) تدفق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين " بصورة مخيفة .

٢) اندفاع الصهيونيين ، تؤيدهم بريطانيا ، في التسلح وتشكيل المنظمات الإرهابية السرية .

٣) استفحال خطر تسرب الأراضي إلى اليهود وتفاقم أعمال السماسرة والخونة والجواسيس في خدمة الأعداء .

تحت ضغط هذه العوامل ، وفي ضوء تعطّش الشعب الفلسطيني إلى مقاومة الأعداء بالقوة ، بدأ القسام العمل المسلح . ولكنه لم يخض في بادىء الأمر ثورة مكشوفة ضد الأعداء ، وآثر الضربات الخاطفة والأعمال الفردية والمحلية ليقينه بأن من شأنها إزعاج الأعداء ورفع معنويات الشعب وتحبيذ الدعوة للتمرد والعصيان .

و ـ العمليات الثورية : عندما قرر القسام القيام بأعمال مسلحة ضد الأعداء لم يكن الشعب أو الإنكليز أو اليهود يعلمون شيئا عن المنظمة القسامية ، فيما كان الشيخ القسام يمارس وظائفه وأعماله في حيفا ويظهر أمام الجميع .

قام القساميون وتشكيلات الشباب المرتبطة بهم فور صدور قرار القسام بسلسلة من الأعمال ضد المستعمرات الصهيونية ودوريات الجيش البريطاني والشرطة ، وأشاعت هذه الأعمال القلق والذعر في الأوساط الإنكليزية والصهيونية ، وحلّت بها الحيرة والتخبط لعدم معرفتها أصحاب هذه الأعمال ومن يقف خلفهم . ولم تقع معارك كبيرة مكشوفة بين القساميين والجيش ، إذ اقتصرت أعمال المجاهدين على مهاجمة المستعمرات الصهيونية ودوريات الشرطة والجيش ثم الاختفاء ، وهي من أساليب حرب العصابات . وقد ألحقت هذه الأعمال خسائر كبيرة بالممتلكات والمزروعات الصهيونية ، وأدت إلى قتل كثير من الإنكليز

والصهيونيين . ووقعت اصطدامات شديدة وواسعة بعض الشيء بين المجاهدين وقوات السلطة في كل من أم الزينات " وغرادة وعرابة " والبطوف " وبيت جن والناصرة " وجبل الكرمل " وبلد الشيخ " ووادي الطيل بالكرمل وشعب ولوبية " .

وفي عام ١٩٣٣ هاجم عدد من المجاهدين مستعمرة نهلال الواقعة قرب الطريق الرئيس بين حيفا والناصرة . وكان هجوما مركّزا استعملت فيه القنابل والمتفجرات ، مما ألحق بالمستعمرة خسائر كبيرة في الأرواح والأموال .

وأثار هذا الهجوم غضب الإنكليز والصهيونيين فانطلقوا يبحثون مختلف وسائلهم للعثور على الذين قاموا بالهجوم على نهلال .

وبعد مرور نحو ثلاثة أشهر على هذا الهجوم وبفضل أعمال التجسس التي قام بها بعض العملاء من رجال الشرطة تمكن الإنكليز من القبض على صالح أحمد ط ومصطفى علي الأحمد وخليل محمد عيسى " (أبي إبراهيم الكبير) وأحمد الخلايلي وأحمد النوبة وآخرين غيرهم وقادوهم إلى المحاكمة ، فأصدرت المحكمة حكما بالإعدام على مصطفى علي الأحمد ، وبالسجن ٢٥ عاما على أحمد الخلايلي ، وبرّأت الآخرين .

وكانت المحاكمة ، وقد شغلت الرأي العام العربي ، غاية في الأهمية والخطورة لأن المتهمين الذين مثلوا أمام المحكمة تخلصوا بلباقة وحسن تصرّف من محاولات النائب العام والقضاة حملهم على الاعتراف بوجود منظمة سرية . ومن المهم جدا أنه لم يرد ذكر القسام خلال المحاكمة .

وتأكد المجاهدون أن ضابطي الشرطة حليم بسطة وأحمد التايف هما اللذان اكتشفا المتهمين ، وحرّضا الإنكليز عليهم ، وأنهما كانا ينشطان لمعرفة أسرار المنظمة نفسها ، فاغتالهما المجاهدون في وسط مدينة حيفا بعد أيام من انكشاف أمرهما .

ومن العمليات المعروفة لجماعة القسام هجوم على مستعمرة عتليت ، وقتل عدد من الصهيونيين ، وتصديم لقافلة من السيارات كانت تنقل عمالا صهيونيين والقضاء على عدد منهم .

ومن الأعمال الأخرى البارزة التي قام بها المجاهدون ملاحقة باعة الأراضي والسماسرة وعملاء السلطة من العرب ، وأفراد الشرطة الذين كانوا يعينون في اضطهاد الوطنيين . وكان نصيب عدد كبير منهم الاغتيال .

وقد أشار التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ إلى أن الحكومة كان لديها شك كبير في أن " لعصابة القسام علاقة بالأعمال الإرهابية التي حدثت خلال السنوات السابقة " .

استمرت الاصطدامات بين الثوار وقوى السلطة ، وازداد عدد الهجمات على المستعمرات الصهيونية . واتسعت عملية اغتيال باعة الأراضي والسماسرة والعملاء ، الأمر الذي ضاعف من جهود الأعداء لمعرفة الحقيقة .

ولم يلبث الشيخ القسام وجماعته أن قرروا القيام بالثورة علنا لرفع معنويات الجماهير وإبراز الأهداف التي يجاهدون في سبيل تحقيقها ، ولإحباط الدعاية المعادية التي كانت تحاول إظهار أعمال القساميين على أنها أعمال إجرامية هدفها السلب والنهب .

وقد أصبح الوضع في عام ١٩٣٥ لا يحتمل مزيدا من تأجيل إعلان الثورة ، فقد بلغ خطر الهجرة اليهودية حدا كبيراً ، وأصبح تسلح الصهيونيين بمساعدة الإنكليز أمراً لا يجوز السكوت عنه . وهكذا تقرر البدء بالتحرك من أجل الثورة في المنطقة الجبلية شمالي فلسطين . ومن أجل التنفيذ عقد اجتماع في منزل محمود سالم المخزومي في حيفا ليلة ١٩٣٥/١١/١٢ حضره اركان الثورة وزعيمها . وكان أصحاب القسام باعوا حليّ زوجاتهم وبعض أثاثهم واشتروا بها بنادق وذخائر . ثم قصدوا الجبال القريبة من حيفا ، ولجأوا إلى أحراج بلدة يعبد " من قضاء جنين ، واختاروا قرية الشيخ زيد قاعدة لهم . وفي الوقت ذاته تسلل عدد كبير من جماعة القسام وشبان مسلحون إلى مدينة حيفا لمساندة الهجوم المنتظر الذي سيشنه القسام وجماعته على المدينة منطلقا من أحراج يعبد .

وعلم الإنكليز أن القساميين موجودون في أحراج يعبد ، وأنهم يستعدون للدخول في معركة مع قوات الحكومة . وبلغهم أن المسلحين من أهل القرى المجاورة جهزوا أنفسهم لإنجاد القساميين . على أن الإنكليز لم يعلموا أن القسام نفسه كان على رأس رجاله في أحراج يعبد ، ولذلك ضاعفوا جهودهم للقبض عليه في حيفا وقاموا بعمليات تفتيش إرهابية في منطقتها .

وأرسل الإنكليز قوات كبيرة حاصرت أحراج يعبد في حين كان القسام قد أقام بعض نقاط لرصد تحركاتهم على حدود المنطقة الحرجية ، فحدثت عدة اصطدامات بين طلائع القوات البريطانية وطلائع القساميين ، قتل خلالها جندي بريطاني وبعض رجال الشرطة ، الأمر الذي أثار المسؤولين البريطانيين فأمروا القوات المحاصرة باقتحام الأحراج ومنازلة القساميين . وتعاظم عدد القوات البريطانية تدعمها المصفحات والدبابات في حين قامت الطائرات البريطانية بطلعات استكشافية متواصلة لمعرفة مواقع القساميين وأعدادهم .

استمرت المناوشات بين الإنكليز والقساميين نحو خمسة أيام . ثم تبين للإنكليز أن القسام نفسه موجود في المنطقة . فشنّوا هجوما مركّزاً ضدّه القساميون بعزم وتصميم ، وبحث الإنكليز بعض رجال الشرطة العرب لإقناع القسام وزملائه بالاستسلام . ولكن القسام وأصحابه رفضوا هذا الطلب واختاروا الجهاد والشهادة . عندئذ

تحركت قوات السلطة وما معها من مصفحات ودبابات وطائرات في هجوم واسع النطاق على القساميين . وحين أدرك الثوار قوة الزحف البريطاني نصح بعضهم الشيخ القسام بمغادرة الأحراج ، وكان في استطاعته اختراق الحصار والنجاة بنفسه ومَن يرافقه من رجاله على أن يبقى الآخرون لمناوشة القوات الزاحفة . ولكن القسام رفض هذه النصيحة وهيأ نفسه للقتال وللشهادة .

ز ـ استشهاد القسام : في ١٩٣٥/١١/٢٠ وقعت المعركة الكبرى بين القساميين والأعداء ، وقد استمرت أربع ساعات هلك خلالها عدد غير قليل من رجال السلطة واستشهد من القساميين الشيخ يوسف عبد الله ، وأحمد الشيخ سعيد ، وسعيد عطية أحمد ، وأحمد مصلح الحسين، وجرح عدد آخر. واستوقفت المعركة الضارية بعد ظهر اليوم ذاته فاستشهد فيها الشيخ عز الدين

القسام وجرح عدد من زملائه، أما الباقون فإنهم استطاعوا اختراق الحصار والوصول إلى منطقة الشمال الفلسطينية وهم يحملون جثة قائدهم الشهيد إلى مدينة جنين ، ووقع عدد صغير من المجاهدين أسرى بأيدي الإنكليز فنقلوهم إلى سجن نابلس .

اضطرب الرأي العام الفلسطيني لدى سماعه أنباء المعركة واستشهاد القسام . وقد اشتد غضب الشعب على الحكومة لأنها أشارت في بلاغها الرسمي الذي أصدرته بعد انتهاء المعركة إلى القساميين بأنهم « عصبة من الأشقياء » .

هرع إلى حيفا عدد كبير من زعماء البلاد للاشتراك في تشييع جثمان القسام . وغصت حيفا بوفود كثيرة العدد حضرت من جميع أنحاء فلسطين ، في حين قضى أهل حيفا ليلتهم بانتظار تشييع الجنازة وأعلنوا الإضراب العام فيها .

نعى الشيخ القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى ومساجد فلسطين . وصُلّى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب . وحملت الجماهير نعش القسام ، وسار موكب الجنازة مجلّلا بالأعلام السورية والمصرية والعراقية والسعودية واليمنية . ودفن الشهيد في مقبرة الياجور قرب بلد الشيخ التي تبعد ٧ كم تقريبا عن حيفا . وقد استغرقت مسيرة الجنازة نحو ٤ ساعات ، وتحولت إلى مظاهرة عاصفة ، ووقعت عدة اصطدامات دامية بين الجماهير وقوات الحكومة جرح فيها كثيرون من الجانبين .

ترك استشهاد القسام دوّياً فعل عنيفاً في الأوساط الفلسطينية والعربية ، فعمّت المظاهرات الصاخبة مدن فلسطين وقراها ، ونادى خلالها المتظاهرون بوجوب الثأر للشهداء والالتجاء إلى القوة المسلحة لمحاربة الأعداء . وجرت في العواصم العربية مظاهرات ومهرجانات مماثلة .

وكان لحركة القسام واستشهاده أكبر الأثر في التعجيل بإنجاز مهمة التنظيم السري والدعوة للثورة . وقد غدا الشعب برمّته مؤمناً بوجوب القتال المسلّح .

ح ـ استمرار الثورة : لم يؤدّ استشهاد الشيخ عز الدين القسام وبعض زملائه في معارك أحراج يعبد إلى ما كان يأمله الأعداء من توقف أعمال الجهاد ، ذلك أن القساميين أعادوا تنظيمهم ، واختاروا خليل محمد عيسى (أبا إبراهيم الكبير) لقيادة منظمتهم ، في حين ازداد عدد أفراد المنظمة كثيرا ، وبادر الكثيرون من الشبان إلى الانضمام إلى المجاهدين، وقد حفزهم إلى هذا التطوع استشهاد القسام والروح الثورية التي بثها في حياته وجسّدها في مماته .

اختار القساميون شمال فلسطين (أقضية حيفا وعكا وصفد والناصرة) قواعد لأعمالهم ، واعتمدوا بصورة خاصة في الجبال الشاهقة المعروفة في شمال البلاد . واستأنفوا شنّ الهجمات الشديدة على المستعمرات الصهيونية وقوات الجيش والشرطة . وقد حدثت معارك خطيرة بين القساميين وقوات السلطة في دالية الكرمل وشعبا والمغار ولوبية وصفورية * وغيرها استشهد فيها بعض المجاهدين ، وهلك من الأعداء كثيرون .

وشكّل القساميون « محكمة ثورة » خاصة للنظر في « المخالفات الدينية والقومية » التي يرتكبها بعض العرب كبيع الأرض لليهود ، أو التسمرة عليها لحساب الأعداء ، أو القيام بأعمال تجسسية ضد المجاهدين . وقد دانت هذه المحكمة عددا من العرب كان مصيرهم الإعدام .

ظل القساميون في الميدان خلال الأشهر الستة التي أعقبت استشهاد القسام . ولما نشبت الثورة الفلسطينية في مطلع أيار ١٩٣٦ انضموا إليها ، وقاموا بأعمال مجيدة تسجّل لهم بغبطة وافتخار .

ط ـ خلاصة : تشكل ثورة الشيخ عز الدين القسام وإخوانه وتلامذته منعطفا في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ؛ فقد تميزت بأنها الثورة المسلحة المنظمة الأولى التي اعتمدت الكفاح المسلح أسلوبا لتحرير فلسطين من الاستعمار البريطاني والصهيونية واتبعت قيادتها طريقة إنشاء الجماعات الثورية . وكان اعتماد القسام على طبقتي الفلاحين والعمال واضحا في إقامة تنظيمه الثوري أكثر من اعتماده على المثقفين وغيرهم من طبقات المجتمع .

ومن الملاحظ أن إطار الثورة لم يمتد أو يتسع ، ولم يطل زمن الثورة . وعلة ذلك أن الشيخ القسام كان شديد الحذر في قبول انضمام المناضلين إلى حركته ، فقد كان يخشى اندساس العملاء أو المنافقين . وبالإضافة إلى ذلك كان نضال الحركة الوطنية الفلسطينية منسبا بومذاك بالسعي إلى نوال الحقوق بمختلف أساليب النضال عدا أسلوب الكفاح المسلح . لهذا بدأ القسام متأنيا في إقامة تنظيمه ، ساعيا إلى تنفيذ برنامجه بدقة وتصميم ، مقتنعا بأن انطلاق جماعة ثورية متماسكة ، مدربة تدريبا حسنا ، متعاهدة على الجهاد والشهادة ، سيكون كافيا لاستقطاب عدد كبير من الثوار ، فتنشأ جماعات ثورية متعددة في مختلف أنحاء البلاد ذات أهداف وثيقة واحدة . غير أن الظروف التي كانت سائدة في فلسطين لم تمهل القسام لإكمال تنفيذ برنامجه ، مما دفعه إلى بدء الثورة في أحراج يعبد . ولم يطل الزمن بانطلاقة القسام وصحبه في الثورة حتى انقضّت عليهم قوات الاستعمار وهي أكثر منهم عدة وعددا .

وعلى الرغم من أن التنظيم الذي أعدّه القسام ودرّب للثورة لم يكن كبيرا فقد قدّرته بعض المراجع بنحو ٢٠٠ متاصل و٨٠٠ من الأنصار . على الرغم من ذلك كان لثورة القسام معنى سام أكثر من حجمها العددي ، وكانت رمزا وتمهيدا وقدوة للحركة الثورية التي سادت فلسطين بعد عدة أشهر من استشهاد القسام ، وهي ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * .

ولقد أقام القسام تنظيمه الثوري ووضع برنامجه ونفّذه منطلقا من إيمانه بأن الجهاد المسلح وحده هو الذي يستطيع أن يمنع بريطانيا من إقامة « وطن قومي يهودي » في فلسطين . وفي مقابل هذا الإيمان الذي كان جوهر حركة القسام وتنظيمه الثوري لم تكن الأحزاب والقيادات الفلسطينية العاملة في الحركة الوطنية يومذاك تؤمن بأن وقت الثورة المسلحة قد حان ، وبأن الشروط أصبحت متوافرة للعمل الثوري المسلح . ومن هنا تضاربت آراء المؤرخين حول علاقة الشيخ القسام بالأحزاب والقيادات الفلسطينية ؛ فمنهم من قال إن القسام كان عضوا في حزب الاستقلال * في حيفا ، وإنه كان على صلة وثيقة ببعض أركانه . ومنهم من قال إن لبعض زعماء الحركة الوطنية صلات بالتشكيلات الثورية في تنظيم القسام . وذكرت مصادر الهيئة العربية العليا لفلسطين * أن القسام كان عضوا في لجنة الحزب العربي * التنفيذية ، وأنه كان أكثر رجال الحزب اتصالا بالمفتي وتعاونا معه ، وأنه قمت في خريف ١٩٣٥ مباحثات سرية بين القسام وصحبه وبين المفتي ورجال الحركة الوطنية في القدس انتهت بالاتفاق على انتهاج خطة معينة في مقارعة الأعداء . وأشارت مصادر أخرى إلى أن القسام لم يكن مؤمنا بأي حزب ولم يكن مرتبطا بأية جهة .

غير أن من يتتبع أدوار حركة القسام منذ نشوئها حتى استشهاد قائدها ، ويدرس شخصية الشيخ وفكره وصفاته ، يدرك أن جوهر حركته وأسلوبها وهدفها تتطلب استقلالا في التفكير والتخطيط والتعبئة الثورية والتنفيذ . ولهذا فإن كان للقسام علاقات تعاون وصلات طيبة بالأحزاب الوطنية والقيادات الفلسطينية العاملة في الحقل الوطني يومذاك فإن تلك العلاقات والصلات لم تبلغ حدّ المساس باستقلال حركة القسام ، عقيدة وتخطيطا وتنفيذا .

المراجع :

ـ ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٧٠ .

ـ أحمد طربين : قضية فلسطين (١٨٩٧ ـ ١٩٤٨) ، دمشق ١٩٦٨ .

ـ صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣١ ـ ١٩٣٩) القاهرة ١٩٦٧ .

ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ مجلة فلسطين : العدد ٣ ، ١٩٦١/٣/١٥ .

ـ مجلة شؤون فلسطينية : العدد ٦ ، كانون الثاني ١٩٧٢ .

ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ :

أ ـ تمهيد : لا بد قبل الدخول في البحث من تسجيل الملاحظات التالية :

١) بدأت ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ عمليا وشعبيا قبل إعلان الجهاد المقدس في مطلع أيار ١٩٣٦ .

٢) إن هذه الثورة وتطوّراتها وأحداثها هي سلسلة متلحمة الحلقات من أعمال مسلحة ، وإضرابات عامة ، ومظاهرات شعبية ، واصطدامات محلية بين العرب والأعداء ، ونضال سياسي شديد ، وجهود دبلوماسية ودعائية ، ومقاطعة للأعداء في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومقاومة جدّية لباعة الأراضي والذين يسمسرون لبيعها لليهود .

٣) إن هذه الثورة مرّت بثلاث مراحل رئيسة :

المرحلة الأولى : من نيسان ١٩٣٦ إلى تشرين الأول ١٩٣٦ ، وقد سادها العمل المسلح .

المرحلة الثانية : من تشرين الأول ١٩٣٦ إلى أيلول ١٩٣٧ ،

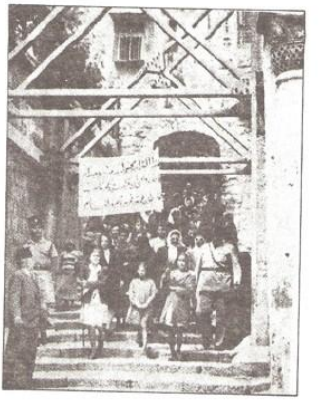

واتّسمت بنضال سياسي ودعائي ، ومقاومة عنيفة لسياسة الحكومة البريطانية ، وباعتبال الباعة والسماسرة والجواسيس ، وبالتصدي لمشروع تقسيم فلسطين الذي كانت بريطانيا تمهّد السبيل لتنفيذه ، واتّسمت هذه المرحلة أيضاً باصطدام سياسي عميق بين القيادة الوطنية والسلطات البريطانية .

المرحلة الثالثة : من أيلول ١٩٣٧ إلى أيلول ١٩٣٩ ، وكانت ثورة مسلحة مستمرة في داخل فلسطين ، وأعمالا دعائية وسياسية وجهودا دبلوماسية خارج فلسطين .

ب ـ الأسباب والعوامل : تجمعت عدة عوامل واعتبارات هامة تولّدت عنها الأسباب والظروف التي أدّت إلى نشوب هذه الثورة العظيمة التي كانت أكبر وأطول ثورة قام بها أي شعب عربي ضد أعدائه ، باستثناء ثورة الجزائر .

١) الأسباب البعيدة : تعود الأسباب البعيدة لهذه الثورة إلى تصميم الفلسطينيين على الدفاع عن عروبة وطنهم ووحدة أراضيه ، وإنقاذ فلسطين من شرور السياسة البريطانية والغزوة الصهيونية ، كما تعود إلى تمسك الفلسطينيين بميثاقهم الوطني ، وعزمهم على بلوغ أهدافه بالحرية والاستقلال والوحدة العربية الشاملة .

وهذه الأسباب العميقة والجذرية هي التي أدّت إلى نشوب الثورات الفلسطينية في أعوام ١٩٢٠ * و١٩٢١ * و١٩٢٩ * وإلى ما وقع في فلسطين من أحداث ومظاهرات وإضرابات واصطدامات دامية بين العرب وأعدائهم منذ ١٩١٩ وحتى ربيع ١٩٣٦ .

وزاد من تصميم الفلسطينيين على الدفاع عن عروبة وطنهم في وجه الاستعمار البريطاني والغزوة الصهيونية التجارب المريرة التي مرّت بها الحركة الوطنية الفلسطينية منذ نشأتها في ١٩١٨/١٩١٩ ، وما منيت به جميع محاولات التفاهم مع الإنكليز من إخفاق وخيبة أمل .

وقد ساد الفلسطينيون بعامة ، وقيادتهم السياسية بخاصة ، اقتناع عميق ، بعد عام ١٩٣١ ، بأن بريطانيا لن تتدخل أي تبديل أو تعديل على سياستها ، وأنها تساعد الصهيونيين على بلوغ هدفهم بتهويد فلسطين . وانجلى هذا الاقتناع عن شعور عام في البلاد بأنه لا جدوى من الجهود والمساعي السياسية التي كانت تبذل بنشاط لإقناع بريطانيا بتغيير مواقفها والعمل على إنصاف العرب ، وبأن لا فائدة من مواصلة إرسال الوفود إلى بريطانيا وأوربا وأمريكا ، والقيام بأعمال الدعاية في الخارج للدفاع عن قضية فلسطين وعرض مطالب العرب على المحافل الدولية ، وبأن السبيل الوحيد المجدي لإنقاذ الوطن هو مجابهة الأعداء بالقوة والعنف . وقد عمل هذا الاقتناع على تغذية وتعميق حركة الإعداد السرّي للجهاد والكفاح المسلّح ، وزادها عزما ونشاطا ، وأشعر المسؤولين في الحركة الوطنية بوجوب التعجيل في إنجاز مهام التأهب والإعداد والاستفادة من الشعور المتوثّب تأييدا لأعمال الجهاد والتحرير .

وكان الإيمان بعدم جدوى العمل السياسي ، وبأن النضال المسلح هو السبيل الوحيد لبلوغ الأهداف الوطنية ، قد وجد تجسيده بشكل حيّ وواقعي في ثورة الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥ ، فقد أيقظت هذه الثورة الشعب الفلسطيني ، وأفعمت في نفسه الحماسة للجهاد ، ورفعت معنوياته ، وأثبتت له بالتجربة أنّ لا سبيل لمواجهة الاستعمار والصهيونية إلاّ الثورة المسلحة عليهما (رَ : ثورة ١٩٣٥) .

٢) الأسباب القريبة : أما الأسباب القريبة المباشرة لنشوب الثورة وحفز الشعب إلى تلبية نداء الجهاد فهي كثيرة أهمّها :

(١) استفحال تدفق الهجرة الصهيونية على فلسطين بعد تولّي الحزب النازي مقاليد الحكم في ألمانيا ، وارتفاع أعداد المهاجرين خلال السنوات ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥ بشكل أثار مخاوف الشعب بصورة ملموسة (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

(٢) استمرار الهجرة اليهودية (السرّية) إلى فلسطين ، وتغاضي الحكومة البريطانية عنها والتستّر عليها وحمايتها .

(٣) تفاقم خطر استيلاء اليهود ، بشتى الوسائل والأساليب ، على أراضي فلسطين ، وإمعان الحكومة البريطانية في سنّ الأنظمة والقوانين تسهيل عملية استيلاء اليهود على الأراضي .

(٤) قيام الصهيونيين (بمعرفة الحكومة ومساعدتها) بتهريب كميات كبيرة من السلاح والعتاد إلى فلسطين وتوزيعها على الملل والمستعمرات الصهيونية ، بالإضافة إلى نشاطهم (العلني والسري) في إنشاء تشكيلات ومنظمات عسكرية وإرهابية ، واشتراك ضباط بريطانيين في تنظيمها وتدريب أفرادها .

٣) الأسباب النفسية : يضاف إلى الأسباب البعيدة والقريبة لثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ الأسباب النفسية التي تعتبر من حيث تأثيرها على الشعور العام ، وما كان لها من ردود فعل في الأوساط الشعبية ، من العوامل الأساسية في نشوب الثورة ، إذ هيّأت النفوس للإقبال عليها والاشتراك فيها ومن هذه العوامل :

(١) ما كان يتعرض له الفلسطينيون عامة والمجاهدون خاصة من اضطهاد وظلم على أيدي الإنكليز .

(٢) إقدام الصهيونيين على اقتراف أعمال إجرامية إرهابية ضد العرب ، ولا سيما في المناطق المحاذية للمدن والمستعمرات الصهيونية .

(٣) اعتزاز الفلسطينيين بما أحرزوا يلمسون وجوده من تشكيلات ومنظمات عسكرية فلسطينية (سرية) تمّ إعدادها لأعمال الجهاد ، ويقينهم بأن قيادة الحركة الوطنية عملت على حشد الرأي العام في العالمين العربي والإسلامي لدعم أهل فلسطين .

(٤) اتفاق جميع الأحزاب والفئات والجماعات الفلسطينية على توحيد الكلمة والصف ، وانتهاء عهد الاختلافات والمشاحنات ، وتشكيل « اللجنة العربية العليا لفلسطين » * .

٤) العوامل الأخرى : طرأت قبل إعلان الثورة أحداث عجّلت بنشوب الثورة :

(١) ففي مطلع شهر نيسان ١٩٣٦ ضاعف الصهيونيون هجماتهم العدوانية المسلحة على العرب لإثارتهم وجرّهم إلى خوض المعركة قبل أن يتمّوا استعدادهم للثورة . وكان الإنكليز والصهيونيون قد علموا بوشك بانفجاء العرب نحو التأهب والاستعداد . لكن هذه الخطة الصهيونية المبيّتة منيت بالفشل ، إذ امتنع التشكيل السري عن مجابهة الهجمات الصهيونية السابق ذكرها وترك أمر الرد عليها للأهلين في مناطق الاعتداء .

(٢) لجأ الصهيونيون بعد فشلهم السابق إلى خطة أخرى لإيقاع العرب في المعركة في وقت ما زال فيه الخلاف والشقاق قائماً بين الأحزاب العربية . وقد بنيت هذه الخطة على شنّ أعمال عدوانية ضد يافا أكبر مدينة عربية في فلسطين . ولكن هذه الخطة انقلبت على أصحابها ، إذ إنها أدت إلى وحدة صف الفلسطينيين بشكل سريع ، فأعلنت يافا الإضراب العام ، وبعثتها مدن وقرى فلسطين وبادر زعماء المدن والقرى على اختلاف مشاربهم وفئاتهم إلى إنشاء اللجان القومية * (لجنة في كل مدينة وقرية كبيرة) . وضمّت هذه اللجان ممثلين عن جميع الأحزاب والطوائف والفئات .

(٣) في ٢٥ نيسان ، والإضراب العام ما زال قائماً ، عقدت اللجان القومية مؤتمراً عاماً لها في القدس . وقرر هذا المؤتمر في جوّ من الحماسة الشديدة تشكيل قيادة سياسية مركزية للحركة الوطنية مقرّها القدس، على أن تمثل فيها الأحزاب والجماعات . فتألفت اللجنة العربية العليا لفلسطين * برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني * وعضوية ممثلي الأحزاب الفلسطينية جميعها وممثلين عن المستقلين .

جـ ـ الأهداف : كانت أهداف ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ هي الأهداف نفسها التي ثار الفلسطينيون من أجلها ، والتي قاموا في سبيلها بالمظاهرات والإضرابات والاصطدامات العنيفة مع الأعداء منذ ١٩١٩ حتى ربيع ١٩٣٦ . وهذه الأهداف هي صيانة عروبة فلسطين ، والحفاظ على أراضيها ،ومنع تهويدها، وإعلان استقلالها في وحدة عربية شاملة . على أن هذه الأهداف لم تعلن بصراحة وبوضوح إلّا عند إعلان الثورة المسلحة في مطلع أيار ١٩٣٦ . ولعل السبب الذي دفع اللجنة العربية العليا لفلسطين إلى عدم إعلان هذه الأهداف فور تشكيلها في ١٩٣٦/٤/٢٥ يعود إلى أن زعماء الحركة الوطنية ركّزوا جهودهم ، ولا سيما بعد مظاهرات تشرين الأول ١٩٣٣ ، على خطة سياسية تعتمد على مطالبة الإنكليز بتغيير سياستهم المتبعة ، وتبديل سواقتهم المتخذة من فلسطين وأهلها العرب ، وتجنّبوا التهديد بالتمرد والعصيان ، وآثروا السكوت عن المطالبة بالحرية والاستقلال لفلسطين . وتعود هذه الخطة إلى عاملين رئيسين هما :

١) الحرص على التستر على ما كان يجري من تنظيم وإعداد وتأهب للجهاد ، والاعتقاد بأن المطالبة بالتغيير والتبديل تحسب تحدياً للإنكليز والصهيونيين مما الاقتناع بأن القيادة الوطنية غدت معتدلة .

٢) اعتقاد القيادة السياسية بأن خطة مطالبة بريطانيا بتبديل سياستها وتغيير مواقفها ، وعدم مجابهتها بالمطالب الأساسية للحركة الوطنية ، قد تكون أكثر جدوى ، وأقرب إلى التلبية من جانب بريطانيا ، وأن التركيز على هذه المطالبة سيحوّل الرأي العام البريطاني إلى جانب العرب فيضغط على حكومته لتلبية هذه المطالب لما يظهر فيها من اعتدال .

وظلّ القادة المسؤولون يلتزمون خطة مطالبة الحكومة البريطانية بالتبديل والتغيير بعد إعلان الإضراب العام ، ولكن تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين يومئذ ، وقيام حركة ملموسة في داخل بريطانيا

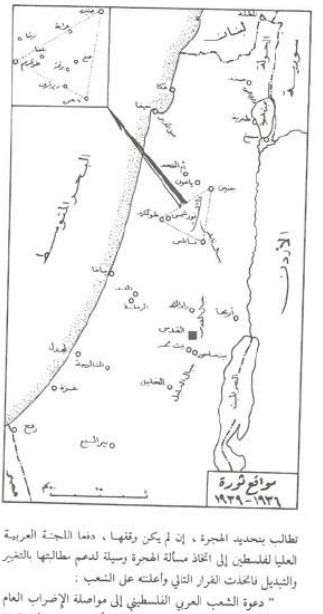

تطالب بتحديد الهجرة ، إن لم يكن وقفها ، دفعا اللجنة العربية العليا لفلسطين إلى اتخاذ مسألة الهجرة وسيلة لدعم مطالبتها بالتغيير والتبديل فاتخذت القرار التالي وأعلنته على الشعب :

" دعوة الشعب العربي الفلسطيني إلى مواصلة الإضراب العام حتى تبدّل الحكومة البريطانية سياستها وتغيّر موقفها ، وأن تكون البادرة الأولى لهذا التبديل وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين " .

د ـ عناصر الثورة : ليس من اليسير تحديد عناصر ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وذلك لعدة أسباب منها :

١) طوق السرّية والكتمان الذي ضرب على حركة التأهب والاستعداد الفلسطينية (السرية) والذي ظل مضروبا إلى مدى بعيد بعد نشوب الثورة .

٢) تجنّب المسؤولين عن إعلان الثورة وقيادتها كشف النقاب عن عناصر المجاهدين (الثوار) وقادتهم الحقيقيين ، ومن المدن أو القرى التي جاؤوا منها . وكان الغرض من هذا التكتم إخفاء الحقيقة ، أو إبعادها عن الإنكليز والصهيونيين ، لأن الأعداء كانوا يضطهدون (عائلات) الثوار إذا عرفوا ، ويبطشون بمدنهم وقراهم ، في حين كانت المنظمات الإرهابية الصهيونية تقترف أبشع الجرائم ضد القرى التي يتبين لها أن أبناءها يحملون السلاح ويشتركون في الثورة .

٣) تعدّد عناصر الثورة واختلافها ، فمنهم المجاهدون حملة السلاح ، ومنهم بعض زعماء اللجان القومية ، وتشكيلات « سرية جدا » مستقلة عن الثورة مهمتها معالجة أمور الجواسيس وباعة الأراضي والسماسرة ، ومنهم عناصر وطنية وسياسية في خارج فلسطين ساهمت بشكل جدّي في دعم الثورة وتقويتها .

ويمكن تسجيل الحقائق التالية بالنسبة إلى عناصر الثورة ، وقد تكون هناك بعض عناصر ما زالت غير معروفة :

١) كان أبناء فلسطين هم العنصر الأساسي والرئيس في الثورة ، سواء منهم المجاهدون حملة السلاح ، أو عدد من رجال السياسة والقيادة الوطنية ، أو عدد من كبار الموظفين العرب في الحكومة الذين قدّموا للثورة خدمات جيدة .

٢) كان الحاج أمين الحسيني وعدد من الشبان الذين وثق بهم واعتمدهم ، قد أنشأوا خلال الأعوام التي سبقت نشوب الثورة ، عدة منظمات وتشكيلات « سرية » ، ووفّروا لها السلاح والتدريب والتنظيم للقيام بالثورة عندما يأذن الوقت الملائم . وكانت هذه المنظمات والتشكيلات هي في الحقيقة نواة الثورة .

٣) عمل هؤلاء المذكورون على إنشاء تشكيلات ومنظمات علنية ، ودرّبوها تحت ستار النشاط الرياضي على أعمال الإسعاف والدعاية ، وعلى أعمال تنظيمية وملكية تفيد منها الثورة عند نشوبها . وكان من هذه التشكيلات والتنظيمات : جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجمعيات الشبان المسلمين ، ومنظمة الفتوة (التابعة للحزب العربي الفلسطيني *) ومنظمة الجوّالة الإسلامية (التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى *) فضلا عن نواد رياضية وثقافية كان من أبرزها كشافة الجراح في عكا ، ونادي روضة المعارف في القدس ، والنادي الرياضي الإسلامي والنادي الأرثوذكسي في يافا ، والاتحاد النسائي العربي الفلسطيني ، ولجان الإسعاف والعناية بالمنكوبين والأيتام . وكانت هذه المنظمات والتشكيلات أيضا مُعيبا ينتقى منه من يرى فيه المقدرة والاستعداد ، لضمهم إلى التشكيل السري .

٤) قبل إعلان الثورة بمدة وجيزة وحّدت جميع التشكيلات والمنظمات العسكرية (السرية) ، ومن ضمّ اليها بعد تجربة وخبرة فيما بعد ، في منظمة واحدة هي « جيش الجهاد المقدس » * الفلسطيني الذي اختير لقيادته عبد القادر الحسيني * .

٥) كان القسّاميون أيضا من عناصر الثورة . فبعد استشهاد الشيخ عز الدين القسّام * في تشرين الثاني ١٩٣٥ واصل إخوانه وزملاؤه أعمالهم النضالية ضد الأعداء ، فلمّا أعلنت ثورة ١٩٣٦ انضموا إليها .

هذا فيما يتعلق بعناصر الثورة داخل فلسطين ، أما عناصرها التي جاءت من خارج فلسطين فيمكن تسجيل الوقائع التالية :

١) بعد نشوب الثورة المسلحة في أيار ١٩٣٦ جهّز العراق (الرسمي سرّا والشعبي علنا) قوة عسكرية وافية تألفت من متطوعين للجهاد كان بينهم ضباط وجنود من رجال الجيش العراقي . وأسندت قيادة هذه القوة إلى فوزي القاوقجي * . وتركّز تشكيل هذه القوة ردّ فعل عميقا في الأوساط العربية ، فتطوّع للعمل تحت لواء القاوقجي الكثيرون من أبناء سورية ولبنان .

وقد دخلت هذه القوة الأراضي الفلسطينية في أوائل شهر تموز ١٩٣٦ واتخذت مراكز لها في منطقة المثلث (نابلس ـ طولكرم ـ جنين) ، واتحق بها الكثيرون من المجاهدين من أبناء هذه المنطقة . وقامت هذه القوة بأعمال هامة ضد الأعداء . وعندما أعلن وقف الثورة في ١٣/١٠/١٩٣٦ (نهاية مرحلتها الأولى) انسحب القاوقجي ورجاله إلى العراق وسورية وعاد المتطوعون الفلسطينيون في هذه القوة إلى مدنهم وقراهم .

٢) من عناصر هذه الثورة أيضاً متطوعون من أبناء شرقي الأردن وسورية ولبنان التحقوا بجيش الجهاد المقدس . وكان من أبرز هؤلاء المتطوعين الثائر السوري المعروف سعيد العاص * الذي استشهد وهو يتولّى قيادة المجاهدين في معركة «الخضر» في أيلول ١٩٣٦ .

٣) دخلت قوة عسكرية شكّلها الحزب السوري القومي الاجتماعي باسم « فرقة الزوبعة » شمالي فلسطين في صيف ١٩٣٦ وساهمت في أعمال الثورة والجهاد وعادت هذه القوة إلى لبنان في أواخر شهر أيلول ١٩٣٦ وكان عدد أفرادها نحو ٧٥ رجلا عمل معهم بعض المتمين إلى الحزب المذكور في شمالي فلسطين .

٤) تشكلت في العراق وسورية ولبنان وشرقي الأردن لجان وطنية لنصرة أهل فلسطين ودعم ثورتهم . وقد عملت هذه اللجان على جمع الأموال والأسلحة وإرسالها إلى الفلسطينيين ، وتمت باستقبال الجرحى والمصابين من المجاهدين والعناية بهم في بغداد وبيروت وعمّان ودمشق .

٥) قام المغتربون (الفلسطينيون والسوريون واللبنانيون) في المهجر الأمريكي بأداء واجبهم في دعم الثورة ، مما يجيز اعتبارهم من عناصرها . فقد شكّل هؤلاء الجمعيات واللجان للدعاية لفلسطين وقضيتها ، وجمعوا الأموال وأرسلوها إلى فلسطين .

٦) ساهم بعض زعماء البلدان العربية الأخرى ، وبعض البلاد الإسلامية ، بدعم الثورة دعمايا وإرسال بعض أموال التبرعات لفلسطين .

عندما أعلن وقف الثورة (في مرحلتها الأولى) في ١٣/١٠/١٩٣٦ عاد المتطوعون العرب إلى ديارهم . ولما استؤنف القتال في تشرين الأول ١٩٣٧ (المرحلة الثانية للثورة) تولّ جيش الجهاد المقدس الفلسطيني والمجاهدون الفلسطينيون مهمة الجهاد والقتال وحدهم ، على أن بعض أبناء العراق والأردن وسورية ولبنان تطوعوا للجهاد كأفراد وانتحقوا بقوات المجاهدين الفلسطينيين

أما اللجان التي تشكلت في العراق وسورية ولبنان والأردن ، فإنها واصلت أعمالها في دعم الثورة المستأنفة ، بل ضاعفتها . كذلك فعل المغتربون .

هـ ـ مراحل الثورة :

١) المرحلة الأولى (نيسان ـ تشرين الأول ١٩٣٦) : ولدت الثورة في الحقيقة في أحداث نيسان ١٩٣٦ وإعلان الإضراب العام . واتخذت شكلا مسلحا وعنيفا في مطلع شهر أيار ١٩٣٦ . ولقد كان متفقا عليه أن يتأخر إعلان الثورة المسلحة بعض الوقت ، وأن تركّز الجهود على إبقاء الإضراب مستمرا ، وإنجاحه بشكل يؤدي إلى بلوغ أهدافه . ولكن الظروف والأوضاع تطوّرت بصورة سريعة جعلت إعلان الثورة المسلحة أمرا لا مفرّ منه .

فقد رفضت الحكومة البريطانية ، على الرغم من اشتداد

الإضراب ، طلب العرب وقف الهجرة اليهودية كما أعلنته اللجنة العربية العليا لفلسطين ، ثم تحدّتهم علانية بإصدارها شهادا هجرة جديدة لمئتين للوكالة اليهودية لإحضار أعداد كبيرة من المهاجرين إلى فلسطين .

وتركّز موقف الحكومة أساساً الأثر في نفوس أبناء الشعب ، وحفزهم على التشدد في الإضراب وتقويته . وردّا على هذا التحدّي قرر القادة الفلسطينيون المسؤولون ، بعد سلسلة من الاجتماعات السرية حضرها كبار المجاهدين ، إعلان الثورة المسلحة . وتنفيذا لهذا القرار أعلن جيش الجهاد المقدس في مطلع أيار ١٩٣٦ الثورة المسلحة على الأعداء ، وأذاع بيانا ضمّنه أهداف الثورة ، وهي الأهداف نفسها التي اشتمل عليها الميثاق الوطني الفلسطيني .

ونور صدور هذا البيان خرج عبد القادر الحسيني وفصائل جيش الجهاد المقدس إلى الجبال والريف (في لواء القدس) ، وشرع المجاهدون يهاجمون ثكنات الجيش ومخافر الشرطة والمستعمرات الصهيونية ، ويدمّرون طرق المواصلات ، ويهاجمون قوافل الأعداء وتجمعاتهم .

انحصرت أعمال الثورة في أيامها الأربعة الأولى على لواء القدس وحده ، وعلى المجاهدين المنتظمين في جيش الجهاد المقدس ، كما اقتصرت على أعمال مسلحة محدودة في منطقة يافا . على أن الفلسطينيين لم يلبثوا أن انطلقوا إلى السلاح يحملونه ، فقد امتدت الثورة في يومها الخامس إلى سائر أنحاء فلسطين ، وعمّت المدن والقرى والبادية .

وأخذت الثورة تشتدّ وتتسع نطاقا يوما بعد يوم . وأثارت أنباء المعارك الضارية والاصطدامات الشديدة بين المجاهدين والأعداء حماسة الجماهير ، في حين رفعت انتصارات المجاهدين المتوالية معنويات الشعب وضاعفت استعداده للبذل والعطاء ، فانتحى الكثيرون من الرجال والشبان ، ولا سيما في القرى ، بالمجاهدين واشتركوا في المعارك تحت قيادة جيش الجهاد المقدس ، فلم يعد العمل المسلح مقتصرا على المنتظمين في تشكيلاته .

تركّزت المعارك والاصطدامات خلال الشهر الأول في لواء القدس (القدس * ـ الخليل * ـ بيت لحم * ـ أريحا * ـ رام الله *) ولواء نابلس (نابلس * ـ جنين * ـ طولكرم *) ، في حين اتسعت الاصطدامات واشتدت المناوشات في أقضية يافا واللد والرملة . ووقعت في المدن الكبرى وبعض القرى سلسلة من الأعمال المسلحة .

وبدأ الشهر الثاني للثورة بامتداد المعارك العنيفة وحرب العصابات إلى جميع ألوية فلسطين وأقضيتها ، فغدت الثورة في الواقع ثورة الشعب الفلسطيني برمّته .

ثم طرأ تطور في ميدان المقارعة بدخول فوزي القاوقجي وقواته إلى منطقة المثلث من ناحية ، وتدفق المتطوعين من الأردن وسورية ولبنان على فلسطين وانضمامهم إلى الجهاد المقدس من ناحية أخرى . وقد تأثر الشعب كثيرا بهذه التطورات ، وتضاعفت حماسته ، فانطلق يدعم الثورة بالمال والرجال والسلاح وسائر وسائل الكفاح ، وأحاها في شهرها الثالث إلى معارك عسكرية مكثوفة مع القوات البريطانية في شتى أنحاء فلسطين ، وهجمات مركزة على المستعمرات الصهيونية وطرق المواصلات ومخافر الشرطة . وما هو جدير بالتسجيل أن دخول قوات القاوقجي في معارك عنيفة مع القوات البريطانية في قرى منطقة المثلث (مثل قرى بلعة * وجبع وبرقة وزبتا * وأم الفحم * ودير شرف وعرّابة * وغيرها) رفع معنويات الشعب وحفز الجميع إلى المساهمة في أعمال الثورة .

وكان الإنكليز والصهيونيون يعتقدون في بادىء الأمر أن الإضراب العام لن يستمر طويلاً ، وأن الثورة ليست سوى فورة آنية لا تلبث أن تهدأ وتخبو ، فلمّا تبين لهم عكس ما كانوا يعتقدون انطلقوا يرتكبون أبشع المظالم من أعمال القتل والإجرام والإرهاب والعسف والقهر ضد العرب . ولكن الفلسطينيين واصلوا الجهاد ، ولم تضعضعهم عمليات السلطات والصهيونية بنسف القرى وتدمير الأحياء والبيوت واعتقال المئات من المواطنين . وكان من أبشع ما لجأ اليه الانكليز من تدابير نسفهم بلدة يافا القديمة .

ولمناسبة مرور مائة يوم على إعلان الإضراب العام الذي كان قد بلغ أوج قوته وقعت في جميع أنحاء فلسطين معارك عنيفة طوال هذا اليوم وليلة تجرّأ خلالها المجاهدون على مهاجمة مدن القدس ويافا * والخليل وغزة * وبير السبع * وعكا * وصفد * ومحاولة احتلالها . وفي الوقت نفسه اتسعت أعمال المجموعات « السرية » داخل المدن ، وأخذت تغتال الموظفين البريطانيين وضباط الجيش والشرطة والجواسيس وباعة الأراضي والسماسرة ، وتلقي المفجرات على دوائر الحكومة . وفي هذه المناسبة أيضا خرجت النساء العربيات في شتى مدن فلسطين في مظاهرات صاخبة ضد الإنكليز ، ووقعت اصطدامات دموية بين القوات البريطانية والنساء الفلسطينيات .

وقد أقضت مضاجع الإنكليز واليهود هذه الحوادث ، وجعلتهم في حالة من الذعر ، وفي خشية من أن يتمكن الثوار من احتلال بعض المدن والقرى الكبيرة بعد أن فقدت الحكومة أية سلطة فعلية على أقسام واسعة من الريف والبادية . فأعلنت الحكومة البريطانية حالة الحصار (حالة الحرب) في فلسطين ، وقررت وضع قوانين الدفاع * وقوانين الطوارىء * موضع التنفيذ ، وراحت تطبقها على العرب بوحشية وقسوة .

لكن الحكومة البريطانية شعرت بعجزها عن وقف الثورة وإنهاء الإضراب العام فلجأت إلى خطة المراوغة والتضليل ، وأعلنت أنها قررّت إيفاد « لجنة ملكية » للتحقيق في قضية فلسطين وشكاوى الأهلين ووضع التوصيات لحل القضية حلاً عادلا . كذلك وسطت الحكومة البريطانية بعض أقطاب العرب وحكامهم (ولا سيما المعروفين بصداقتهم لبريطانيا) لإقناع عرب فلسطين بوقف الثورة . وحضر بعضهم إلى فلسطين ليجدوا إصرارا عظيما من العرب على الاستمرار في الثورة حتى تتحقق مطالبهم .

وعندما أيقنت الحكومة أن الفلسطينيين لن يلينوا ، وأنهم مصممون على مواصلة الثورة والإضراب ، أقالت القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين وعددا من ضباطه ، وعيّنت الجنرال ديل رئيس أركان جيوش الإمبراطورية البريطانية لتولي القيادة العامة في فلسطين ، وأطلقت يده للعمل دون قيد أو شرط . فاستحضر الجنرال ديل إلى فلسطين قوات عسكرية ضخمة نقلت بحرا وبرا وجوا من بريطانيا نفسها ، ومن قواعدها العسكرية في مالطة وقبرص وقناة السويس والحبانية (العراق) . وبلغ عدد القوات البريطانية في النصف الأول من شهر أيلول ١٩٣٦ في فلسطين أربع فرق كاملة (أي أكثر من سبعين ألف ضابط وجندي) ، بالإضافة إلى نحو أربعين ألف رجل من قوات الشرطة * النظامية والإضافية وقوة حدود شرق الأردن وحرس المستعمرات اليهودية . ووضع الصهيونيون قوات الهاغاناه * والمنظمات « السرية » الإرهابية تحت تصرف القيادة البريطانية . وصمد العرب في وجه هذه القوى الضخمة ، وانتصروا في المعارك التي خاضوها ضد قوات الجنرال ديل ، واستولوا على مساحات أخرى من الريف والبادية . عندئذ اضطرت الحكومة البريطانية إلى سحب الجنرال ديل وولت الجنرال ريفل القيادة العامة . فرافقه الفشل نفسه ، فاستبدلت به الحكومة الجنرال رتشي وأرسلت إمدادات عسكرية جديدة ، ولكن دون جدوى . فسحبت الجنرال رتشي وعينت الجنرال ماكميلان بدلا منه . ولكن هذه الأعمال والجهود ذهبت أدراج الرياح ، وبقيت الثورة مشتعلة الأوار طوال شهري آب وأيلول ١٩٣٦ ، دون ما مهادنة أو ضعف .

حيال الفشل المتواصل الذي حاق بجميع الجهود والإجراءات التي اتخذتها بريطانيا لوقف الثورة لجأت هذه إلى ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم للتوسط لدى اللجنة العربية العليا لفلسطين لفك الإضراب ووقف الثورة متعهّدة لهم أن تعمل على إنصاف عرب فلسطين . وبعد اتصالات ومشاورات أجراها الملوك والرؤساء والأمراء ، وجّهوا رسالة إلى رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين لفك الإضراب وإنهاء أعمال العنف . ونزل الفلسطينيون عند نداء الزعماء العرب فأوقفوا الإضراب والثورة في ١٣/١٠/١٩٣٦ . وكان قد مضى على هذا الإضراب ١٧٦ يوما وعلى الثورة المسلحة ١٦٤ يوما (راجع : نداء الملوك والرؤساء العرب للشعب الفلسطيني) .

عادت الحياة إلى مجاريها الطبيعية ، وبتشكل يدل على حسن التنظيم ووعي الشعب ، فور صدور بيان من اللجنة العليا بفك الإضراب ، وعاد القوافقي وقواته إلى العراق عبر أراضي شرقي الأردن ، ورجع المتطوعون العرب إلى ديارهم بصورة سرّية تجنبا لغدر الإنكليز بهم . أما المجاهدون الفلسطينيون فإنهم عادوا إلى مدنهم وقراهم بعد أن أخفوا أسلحتهم في مخابىء معدّة لهذا الغرض ، وكأن شيئا لم يحدث في البلاد .

ورؤي ، تجنبا لغدر الإنكليز وملاحقاتهم ، أن يلجأ إلى سورية ولبنان والعراق كبار قادة الثورة ، وكان منهم على سبيل المثال عبد القادر الحسيني ، وحسن سلامة * ، وحنا خلف ، وعبد الحليم الجيلاني ، وعبد الرحيم الحاج محمد * ، وعشرات غيرهم .

٢) المرحلة الثانية (تشرين الأول ١٩٣٦ - أيلول ١٩٣٧) : طغى على هذه المرحلة في أشهرها الأولى طابع الصراع السياسي بين العرب وأعدائهم ، ثم تطورت الأوضاع في تموز ١٩٣٧ ، ووقع من الحوادث ما أدى إلى استئناف الثورة في تشرين الأول ١٩٣٧ . وفيما يلي موجز للأحداث والتطورات التي برزت في المرحلة الثانية للثورة .

(١) بعد وقف الثورة وفك الإضراب انصرف الفلسطينيون إلى الحياة العادية ، وانطلقوا يحاولون ترميم أوضاعهم الاقتصادية : التجارية والصناعية والزراعية . في حين لجأت القيادة السياسية إلى بذل أقصى الجهود للإبقاء على وحدة الصف وتوعية الشعب وتحذيره من تقلبات سياسية ومؤامرات أجنبية جديدة . وفي الوقت نفسه انطلقت اللجنة العربية العليا لفلسطين تعدّ العدة للدفاع عن قضية فلسطين ومطالب أهلها أمام اللجنة الملكية البريطانية للتحقيق (لجنة بيل *) .

أنهت اللجنة الملكية أعمالها في أواخر كانون الثاني ١٩٣٧ وعادت إلى لندن حيث عكفت على إعداد تقريرها . وفي أواخر حزيران ١٩٣٧ أشارت الأنباء الخارجية إلى أن اللجنة الملكية ستوصي بتقسيم فلسطين ، فأذاعت اللجنة العربية العليا لفلسطين بيانا على الشعب أكدّت فيه رفضها للتقسيم ، ودعته إلى مقاومته . وفي مطلع شهر تموز ١٩٣٧ عمّت فلسطين مظاهرات صاخبة ضد التقسيم ، ووقعت اصطدامات دامية بين العرب والأعداء في نابلس ويافا والقدس وعكا .

(٢) وكان الصهيونيون قد قاموا خلال شهري آذار ونيسان ١٩٣٧ بسلسلة من الأعمال الإرهابية الإجرامية ضد بعض القرى العربية ، فردّ عليهم العرب فورا وأجبروهم على الإقلاع عن اعتداءاتهم . وفسّر العرب هذه الأعمال الصهيونية الإرهابية بأنها

جرت بتوجيه من بريطانيا لتخويف العرب وإرهابهم ودفعهم إلى القبول بقرار التقسيم عند صدوره .

(٣) نشرت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الملكية يوم ١٩٣٧/٧/٧ ، وقد أوصت فيه بإنشاء دولة يهودية في أقسام من فلسطين ، ووضع القدس وما حولها وحيفا * ومنطقتها تحت انتداب بريطانيا الدائم ، وضم المناطق الباقية من فلسطين إلى شرق الأردن . وأذاعت الحكومة البريطانية في اليوم نفسه بلاغا رسميا تعلن فيه تبنّيها للتقسيم . وأعلنت أمام مجلس العموم البريطاني أنها تتعهد بتنفيذ مشروعه (ر : تقسيم فلسطين) .

(٤) عقدت اللجنة العربية العليا لفلسطين في ١٩٣٧/٧/٩ اجتماعا طارئا اشترك فيه ممثلون عن اللجان القومية تقرر فيه إعلان رفض العرب للتقسيم ، وللسياسة البريطانية الجديدة . وأذاع رئيس اللجنة بيانا على الشعب يدعوه فيه إلى التمسك بالمطالب

الوطنية ومقاومة التقسيم بعناد وتصميم حتى يُقضى عليه . وعمّت فلسطين المظاهرات والاضطرابات وتبين للحكومة أن الشعب الفلسطيني سيعود إلى السلاح والجهاد .

(٥) اشتدت نقمة الأعداء على رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين المفتي أمين الحسيني واتهموه بأنه المسؤول عن اشتعال نيران الثورة ، فقرروا اغتياله وإبعاده إلى جزيرة موريشوس في المحيط الهندي . وفي ١٩٣٧/٧/١٩ داهمت قوة من رجال الجيش والشرطة دار اللجنة العربية العليا للقبض على المفتي ، ولكنه فرّ من الأعداء هذه الفرصة نغادر دار اللجنة قبل وصول القوة البريطانية ولجأ إلى المسجد الأقصى .

(٦) بعثت اللجنة العربية العليا لفلسطين عدة وفود سياسية ودينية إلى أوربا وأمريكا والبلاد العربية والإسلامية للدعاية لقضية فلسطين وشرح موقف أهلها من التقسيم وأسباب رفضهم له .

ونشطت اللجان القومية والمنظمات الرياضية والكشفية والثقافية والدينية في حقل التوعية الوطنية وإعداد الشعب للإقبال على استئناف الجهاد في الوقت الذي يعلن فيه .

كانت قيادة الثورة الفلسطينية واثقة بأن الأعداء لن يتخلّوا عن سياستهم ، ولن يرجعوا عن مؤامراتهم ، كما كانت مقتنعة بأنه لا مناص من استئناف الثورة لإكراه بريطانيا على تلبية مطالب العرب ، وانطلقت تعمل لذلك بسرّية وكتمان .

عمل المسؤولون خلال المرحلة الثانية للثورة على إعادة تنظيم المجاهدين وتدريبهم ورمدّهم بالعتاد والسلاح ، وتنظيم جباية مستمرّة لدعم الجهاد . وعملوا على إعادة تشكيل اللجان الوطنية في البلاد العربية لجمع المال والسلاح والعتاد .

وأوفد المسؤولون عددا من أبطال الجهاد وكبار قادته إلى العراق وألمانيا حيث التحقوا بدورات عسكرية في المعاهد العسكرية وتلقوا تدريبا خاصا على إعداد المتفجرات والألغام وحرب العصابات .

وتطورت الأوضاع في فلسطين بشكل سريع بعد إعلان قرار التقسيم ولجوء المفتي إلى الحرم الشريف . فقد اشتدت المقاومة الشعبية للتقسيم ، ووقعت خلال شهري آب وأيلول ١٩٣٧ عدة اصطدامات بين العرب والأعداء ، وانسحبت الهجمات العربية على المستعمرات الصهيونية وتكنات الجيش والشرطة .

أما الحكومة البريطانية التي لم تأبه إطلاق تشعور الفلسطينيين ورغائبهم فإنها راحت تمعن في اضطهادها للوطنيين ، وتتمادى في اتخاذ التدابير والإجراءات الضرورية لتنفيذ قرار التقسيم مهما كلفها الأمر . ونظرا لأهمية لواء الجليل (شمال فلسطين) بالنسبة إلى مشروع التقسيم الذي قرر أن يكون القسم الأكبر منه ضمن الدولة اليهودية فإن الحكومة عيّنت أحد غلاة الاستعماريين البريطانيين ، وهو لويس أندروز ، حاكما للواء الجليل ، وأطلقت يده للعمل على تنفيذ التقسيم .

وفيما كان أندروز يضاعف جهوده ومساعيه لتنفيذ قرار التقسيم ، ويمعن في اضطهاده للعرب ، ويبرأ بمناوراتهم ، اغتاله المجاهدون في مدينة الناصرة في ١٩٣٧/٩/٢٦ مع مرافقه البريطاني . وفي اليوم التالي لاغتيال أندروز وقعت هجمات عنيفة على المستعمرات الصهيونية ورجال الجيش والشرطة .

صعّدت بريطانيا أعمالها العدوانية القمعية وضاعفت بطشها بالعرب إثر اغتيال أندروز وما تبعه من أحداث محاولة القضاء على مقاومتهم للتقسيم ، فأعلنت حالة الطوارئ في البلاد ، وانطلق المسؤولون عن الحكم يعتقلون الألوف من العرب ، ويطبّقون أنظمة الطوارئ وقوانين الدفاع على القرى العربية بقسوة متناهية . وأذاعت الحكومة البريطانية بيانا رسميا أعلنت فيه أنها تعتبر الحاج

أمين الحسيني مسؤولاً عن إشعال نار الثورات وتوجيه أعمال التمرد والعصيان والإرهاب ، وأن اللجنة العربية العليا لفلسطين مشاركة في أعمال العنف والإرهاب . وعقّبت الحكومة بحلّ اللجنة العربية العليا لفلسطين واللجان القومية في البلاد وباعتبارها منظمات غير مشروعة . كما قررت عزل المفتي من رئاسة المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى ، وعيّنت لإدارة المجلس لجنة ثلاثية برئاسة كركبرايد البريطاني .

حاولت الحكومة اعتقال رئيس وأعضاء اللجنة العربية العليا فلم تستطع الوصول إلى الحرم الشريف ، ولكنها ألقت القبض على أربعة من أعضاء اللجنة هم حسين فخري الخالدي * وأحمد حلمي عبد الباقي * وفؤاد سابا ويعقوب الغصين * ونقتهم مع بعض الزعماء الوطنيين الآخرين - ومنهم رشيد الحاج ابراهيم * الزعيم المعروف في حيفا - إلى جزر سيشيل . أما بقية أعضاء اللجنة العليا فقد استطاعوا الاختفاء داخل فلسطين ثم الانتقال سرّاً إلى لبنان .

كذلك اعتقلت الحكومة معظم أعضاء اللجان القومية و٨١٩ شخصاً من رجال الدين وقضاة الشرع والوعّاظ والأطباء والتجار والمحامين والصحفيين وغيرهم ، فضلاً عن مئات آخرين قبضت عليهم إثر اغتيال أندروز .

وتوتّرت الحال في فلسطين ، واشتدت المقاومة رغم تدابير السلطة وإجراءاتها . وشدّدت الحكومة الحصار على الحرم الشريف وضاعفت مراقبتها للمفتي وتحركاته وشددت مساعيها لاعتقاله ، لكن الحاج أمين استطاع الخروج سرّاً من المسجد الأقصى ومغادرة فلسطين إلى لبنان في ١٣/١١/١٩٣٧ . وبعد مدة من وصوله إليه ، استأنف نشاطه السياسي والنضالي ، وغدت بيروت مقراً للجنة العربية العليا لفلسطين .

استطاع الحاج أمين ، رغم المراقبة الشديدة التي فرضها عليه الفرنسيون في لبنان ، أن ينشر بيانا في الصحف العربية أكّد فيه رفضه لمشروع التقسيم وتمسّكه المطلق بمطالب الشعب المعروفة ، ودعا فيه الشعب الفلسطيني إلى مقاومة السياسة البريطانية ومحاربة مشروع التقسيم حتى القضاء عليه . وزوّع هذا البيان في داخل فلسطين يوم ٢٩/١٠/١٩٣٧ فاعتبره الفلسطينيون دعوة إلى استئناف الثورة المسلحة .

واستؤنفت الثورة فكانت مرحلتها الثالثة .

٣) المرحلة الثالثة (تشرين الأول ١٩٣٧ - أيلول ١٩٣٩) :

تميزت هذه المرحلة الثالثة من ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بالحقائق التالية :

(١) لم تعد القدس المركز الرئيس للقيادة الوطنية ، إذ انتقل نشاط اللجنة العربية العليا والكثيرين من أعضاء اللجان القومية وزعماء الشباب إلى بيروت فغدت هي المركز الرئيس للقيادة الوطنية الفلسطينية .

(٢) ولاعتبارات كثيرة ، وظروف سياسية مختلفة ، اختيرت دمشق لتكون مركزاً ومصدراً لتموين الثورة.ومدّ المجاهدين بالسلاح والعتاد والمال . وتألفت للقيام بهذه المهمة لجنة ذات طابع سري من عدد من السوريين والعراقيين والفلسطينيين . وكانت هذه اللجنة تصرّف أعمالها وتضطلع بواجباتها بتنسيق وتعاون وثيقين مع اللجنة العربية العليا لفلسطين في بيروت .

(٣) اقتصرت أعمال الجهاد في الداخل في هذه المرحلة على الفلسطينيين أنفسهم ، فلم تدخل فلسطين قوات شعبية منظمة من الخارج (مثل قوة فوزي القاوقجي في المرحلة الأولى) ، ولكن أعداداً من المتطوعين من الأردن والعراق وسورية ولبنان ،دخلوا فلسطين وانضمّوا إلى المجاهدين الفلسطينين بقيادة عبد القادر الحسيني .

(٤) كانت معارك الثورة في مرحلتها الثالثة أشدّ عنفاً وتركيزاً من معارك المرحلة الأولى . وكانت أكثر اتساعاً حتى شملت كل بقاع فلسطين . وظهر قادة جدد للمجاهدين ، ولا سيما في مناطق

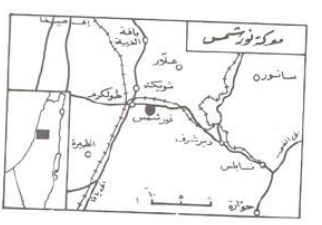

فلسطين الشمالية ، أبلوا بلاء حسناً في التنظيم والقتال وحروب العصابات . وكانت الكفاءة في القتال والتنظيم في هذه المرحلة أظهر منها في المرحلة الأولى .

(٥) كانت المقاومة في داخل المدن أكثر حدّة وشدة من المقاومة التي ظهرت في هذه المدن خلال المرحلة الأولى للثورة ، فقد توالت أعمال اغتيال موظفي الحكومة الإنكليز والمتعاونين مع السلطة وبلغت الأراضي والسماسرة والجواسيس ، واشتدت هجمات المقاومة على دوائر الحكومة وتدميرها وإحراقها .

(٦) لم تُضرب فلسطين في المرحلة الثالثة كما أضربت في المرحلة الأولى للثورة . وهذا الواقع سهّل للشعب بذل الجهود والقيام بالأعمال لدعم المجاهدين ومساعدتهم ، ومكّن قيادة الثورة من الحصول على المعلومات والأنباء عن مساعي السلطة وتحركات قواتها المسلحة والمنظمات الصهيونية الإرهابية .

(٧) وقعت في البلاد معارك عسكرية ضخمة كان بعضها يستمر بضعة أيام بين المجاهدين والجيش البريطاني . واتخذت هذه المعارك طابع المعارك الحربية ، وقد قام المجاهدون بهجمات عسكرية منظمة على المدن ، واستطاعوا احتلال بعضها ورفع العلم العربي مكان العلم البريطاني . ومن المدن التي احتلها المجاهدون القدس القديمة ، وعكا ، وبير السبع ، والخليل ، وبيت لحم ، وبيت ساحور* ، والمجدل* ، والفالوجة* ، ولم يخرجوا منها إلا بعد معارك ضارية مع القوات البريطانية التي كان تعزيزها مستمرا . وتمكن المجاهدون من السيطرة التامة على أكثر من نصف مساحة فلسطين (الريف والبادية) ومن التحكم الكامل بطرق المواصلات الرئيسة طوال مدة الثورة .

(٨) السعي في هذه المرحلة الهجمات الفلسطينية المركزة على المستعمرات الصهيونية ، ولا سيما في لواءي القدس وغزة ، وتكبدت هذه المستعمرات خسائر مادية فادحة ، في حين هلك الكثيرون من حراسها الصهيونيين ومن أفراد المنظمات العسكرية الصهيونية الإرهابية .

(٩) ولوحظ خلال هذه المرحلة من الثورة قيام المجاهدين بأعمال النسف والتدمير وتفجير المفجرات في الأوساط الصهيونية والدوائر الرسمية بشكل دلّ على أنهم قضوا المرحلة الثانية وهم يتدربون على هذه الأعمال .

(١٠) الناحية السياسية : حدثت خلال هذه المرحلة أحداث وتطورات سياسية ودبلوماسية هامة سواء على المستوى الدولي أو في المجال العربي العام . وكانت أبلغ هذه التطورات :

ـ انكشاف الستار عن تأييد الولايات المتحدة الأمريكية ، رئيسا وشعبا وحكومة ، للصهيونيين والانتداب البريطاني وحرصها على أن تتوفر أسباب الدفاع الحقيقي عن الكيان اليهودي في فلسطين كما كان قائما يومئذ ، ومساهمتها الفعالة في دعم العصابات الصهيونية المسلحة ، والاضطلاع بدعاية عالمية لصالح الصهيونيين وتخطيطهم .

ـ ثورة الرأي العام العربي بخاصة والرأي العام الإسلامي بعامة ، وتوثب شعور العرب والمسلمين لتأييد ثورة فلسطين والعمل لصالح القضية الفلسطينية . وقد أدت ثورة الرأي العام العربي إلى توحيد الصف في الدول والأوساط العربية ، ووقوفها كلها إلى جانب تأييد الميثاق الوطني الفلسطيني وما اشتمل عليه من مطالب . كذلك قضت الثورة على كل ما كان قائما بين الدول العربية من اختلاف وتباين رأي بشأن قضية فلسطين وكيفية حلها .

ـ دخول ، وربما إدخال ، الدول العربية فريقا أساسيا ومباشراً في قضية فلسطين والدفاع عنها . وقد برزت هذه الحقيقة في دعوة الحكومة البريطانية الدول العربية للمساهمة في الجهود المبذولة لتسوية قضية فلسطين ، وللاشتراك إلى جانب الوفد الفلسطيني في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩ (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) .

ـ ومن الأحداث والتطورات السياسية والدبلوماسية الهامة خلال المرحلة الثالثة للثورة اضطرار بريطانيا ، تحت ضغط الثورة والجبهة الفلسطينية الداخلية الموحدة وتأثير الرأي العام العربي والإسلامي ، إلى العودة للاعتراف باللجنة العربية العليا لفلسطين ، ودعوتها للاشتراك في مؤتمر المائدة المستديرة السابق ذكره بوصفها الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني .

ـ اضطرار بريطانيا ، بعد عجزها عن القضاء على الثورة وتعاظم الخسائر التي كانت تتكبدها القوات البريطانية على أيدي المجاهدين ، إلى العدول عن قرار التقسيم (تقرير لجنة اللورد بيل) وعقد مؤتمر المائدة المستديرة للبحث في الوصول إلى حل لقضية فلسطين .

حققت هذه الثورة للفلسطينيين وللعرب انتصارات سياسية ودبلوماسية كبيرة ، فضلا عن الانتصارات العسكرية ، وأحالت قضية فلسطين عمليا إلى قضية عربية عامة ، وقضية إسلامية .

و ـ التنظيم العسكري : جرت محاولات لتنظيم النشاط العسكري أثناء الإضراب الكبير بهدف توحيد الجهود وتحقيق الحد الأقصى من الفاعلية والتأثير . وقد أدّى أعضاء تنظيم الشيخ القسام السرّيون الذين تمكنوا من تجنب عمليات التطويق البريطاني ونجحوا في تأمين قواعدهم في الجبال ، أدّوا دورا بارزا في التحريض على إشعال الثورة والإعداد التنظيمي والعسكري لها مستغلين حالة الغليان التي عاشتها الجماهير ، وأدت إلى إعلان الإضراب الكبير . ولم يتوقفوا عن العمل الثوري في صفوف طبقات الشعب كافة ، وخاصة طبقة الفلاحين ، ودعوتهم للجهاد من أجل قضية العرب الكبرى .

وقد حافظ العمل العسكري خلال عام ١٩٣٦ إلى حدّ ما على التنظيم ، لكن العفوية تغلبت على معظمه حتى خريف ١٩٣٧ وبداية ١٩٣٨ عند اشتعال الثورة مرة أخرى وشملها قطاعات الشعب الفلسطيني كافة . وكان للتجارب الكثيرة التي مرّ بها القادة والثوار ، واكتسبوا خلالها خبرة أوسع من ناحية القتال والتدريب ، أثر كبير في تطوير التنظيم نحو الأفضل ، مما جعل الثورة على مستوى أعلى من الدقة والتنظيم وفي عام ١٩٣٨ تم تنظيم القيادة العسكرية على الشكل التالي :

١) القيادة العامة : اتخذت قيادة الثورة من مدينة دمشق مقرّا سرّيا لصعوبة بقائها في فلسطين في تلك الفترة نتيجة ضغط ومراقبة السلطات . وتكون المجلس القيادي من القائد العام ومن عدد من المساعدين هم غالباً رؤساء فروع الشؤون الإدارية

والمخابرات والإعلام ، بالإضافة إلى قادة المناطق . كما تم تعيين عدد من قدامى المحاربين السوريين ممن عملوا في الثورة السورية (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) مستشارين للقائد العام .

٢) قيادة المناطق : خضعت جبهات القتال في فلسطين لقيادات مناطق رئيسة كانت كل منها قيادة ميدانية للثورة في غياب القيادة العسكرية العامة في دمشق ، وقد تم توزيعها على الشكل التالي :

(١) المنطقة الشمالية : وتمتد من جبل الكرمل * في الجنوب إلى حدود سوريه ولبنان في الشمال ومنطقة طبرية وسمخ * في الشرق . وتعتبر هذه المنطقة بسبب وعورتها ملائمة لحرب العصابات .

(٢) منطقة نابلس : وتشمل أقضية نابلس وطولكرم وجنين وساحل حيفا . وتعتبر هذه المنطقة نموذجية لحرب العصابات لوعورتها وصعوبة مسالكها .

(٣) المنطقة الوسطى : تشمل أقضية يافا واللد والرمله .

(٤) منطقة القدس : وتشمل أقضية القدس والخليل ورام الله وبيت لحم

أما المناطق الجنوبية من فلسطين فلم يكن فيها قادة مناطق لأنها أراض زراعية أو صحراوية لا تصلح لتنقل رجال العصابات .

ورُضمت قيادات محلية في غزة والمجدل وبير السبع تنفذ أوامر القيادة العامة وتتعاون مع قيادي منطقتي القدس ونابلس في بعض الأحيان .

٣) مسؤوليات قادة المناطق : تألفت المنطقة الرئيسة من عدد من المناطق المحلية تضم كل منها بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ ثائر موزعين إلى فصائل يتألف كل فصيل من ١٥ مقاتلا في المتوسط منهم فصيل القيادة . وقد حدّدت اختصاصاتها بالإشراف على القطاعات المحلية وشؤون الأمن فيها بالإضافة إلى الاشتراك في المعارك الرئيسة . وكانت الإدارة البريطانية في المناطق الجبلية ، باعتراف الجنرال هايتنغ القائد العام للقوات البريطانية ، " غير موجودة على الإطلاق " .

وقد أظهرت دراسة تناولت ٣٨٢ قائدا عسكريا من ثوارا مختلف المناصب في الثورة أن ٦٥٪ منهم كانوا فلاحين و٣٪ فلاحين استقروا في المدن ، و٢٢٪ من سكان المدن ، و٨٪ من البدو ، وأن الباقين دنوا من الدول العربية المجاورة .

وقد قامت الثورة على تحالف الطبقات والقوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية ، وهي : العمال والفلاحون والبرجوازية الوطنية والجناح المستنير من كبار الملاّك .

إن نظرة إلى الأسماء التي أوردها صبحي ياسين * ، وهو أحد الثوار، في كتابه « الثورة العربية الكبرى في فلسطين » تظهر بجلاء هوية قادة الفاتلين وأصولهم الاجتماعية والطبقية . فهم في معظمهم إما فلاحون فقراء وإما من فقراء المدن المتحدرين من أصول ريفية .

ز ـ قوات الثورة : ليس من السهل الحصول على رقم دقيق لعدد الثوار المتفرغين الذين عملوا خلال فترة الثورة . ولكن بعض المصادر العربية تقدر عدد الثوار الذين اشتركوا في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ بما يتراوح بين تسعة وعشرة آلاف ثائر . من هذا العدد ثلاثة آلاف ثائر تفرغوا لأعمال العصابات ، وألف ثائر تفرغوا للعمل في المدن . أما الباقون فكانوا من سكان القرى والبادية الذين لم يتفرغوا للقتال ، بل كانوا يمارسون أعمالهم الخاصة ، ولكنهم يقومون بتجدد الثوار عند نشوب المعارك بالقرب من قراهم وأماكن سكنهم .

أما السلطات البريطانية فقدّرت قوة الثوار المتفرغين للقتال بين ألف وألف وخمسمائة مقاتل يساعدهم عدد كبير من المتطوعين من سكان المناطق المجاورة كانوا يبدؤون بين الجماهير إثر كل معركة بعد أن يخلعوا سلاحهم وسلاحهم ، ويعودون لممارسة أعمالهم العادية . وقدّرت مصادر أخرى (باحثون بريطانيون) عدد الثوار عام ١٩٣٦ بخمسة آلاف بين متفرغ وشبه متفرغ ، ثم قفز الرقم إلى خمسة عشر ألفا في عام ١٩٣٨ .

ومن هنا تبدو تقديرات المصادر العربية لقوة الثوار معقولة بالمقارنة مع تقديرات المصادر البريطانية المختلفة ، هذا إذا أضيف إلى عدد الثوار المتفرغين أولئك الذين يعملون إلى جانبهم من سكان القرى المجاورة ، والذين سُمّوا « بالفَرْيعة » . وقد قام هؤلاء الثوار غير المتفرغين بعمليات لا تقل في جرأتها عن تلك التي قام بها الثوار المتفرغون ، مثل نسف وتخريب طرق المواصلات ، وقطعوا الكثير من المهام التالية كالإغارة على المستعمرات الصهيونية ومراكز الشرطة ، وإشغال العدو بمعارك جانبية لتخفيف الضغط عن قوات الثورة أثناء اندلاع المعارك الكبيرة ، وشنّ معارك الإفناء لتوزيع وتشتيت جهود العدو على جبهات مختلفة عند القيام بهجوم أو عملية حربية كبيرة ، وحماية مؤخرة وحدات الثوار عند الهجوم على الدوريات والمستعمرات والمعسكرات التابعة للجيش البريطاني ، وتأمين نقل الذخائر والتموين للثوار المتمركزين في قواعد ثابتة في الجبال والمناطق الوعرة ، وذلك بالتنسيق مع القيادات المحلية

ح ـ التسليح : تكوّنت الأسلحة التي استخدمها الثوار خلال هذه الفترة من خليط غريب ومتنوع من البنادق والمسدسات يمكن وصفها بأنها قديمة الطراز وغير فعّالة إذا قورنت بالأسلحة التي استخدمتها القوات البريطانية والمنظمات الصهيونية . وقد كان لذلك أثر كبير في إبقاء معظم عمليات الثوار مقتصرة على الكمائن والغارات وعمليات القنص . ومن الثابت أنه لم تكن هناك خطة عامة للتسليح في البداية ، وهي الفترة التي انطلقت فيها الثورة بعفوية جماهيرية .

استخدم الثوار في البداية بنادق كانت تحتفظ بها الأسر للدفاع عن النفس وتم الحصول عليها قبل الحرب العالمية الأولى من الجيش التركي ومن مصادر أخرى . واستخدموا أيضا بنادق من صنع كندي وفرنسي وياباني وروسي وإنكليزي والماني . وكذلك أسلحة تم تركيبها بطريقة لا تخلو من الخيال والإبداع من قطع غيار مختلفة لبنادق متنوعة . وفي إحدى العمليات استولت القوات البريطانية على بندقية برتغالية مصنوعة في القرن الثامن عشر .

ولكن القسم الأكبر من الأسلحة تم الحصول عليه من مخلّفات القوات التركية المنسحبة أثناء الحرب العالمية الأولى ، أو تم تهريبه عن طريق البحر وعبر الحدود من الأردن وسورية ولبنان . وفي فترة لاحقة ، وبالتحديد بعد وصول الفاوقجي إلى فلسطين ، استخدم الثوار الرشاشات على نطاق ضيق في منطقة نابلس بعد أن غنموا بعضها من البريطانيين . أما المدافع فلم تكن موجودة على الإطلاق .

ومن الظواهر المعبّرة والمؤثّرة فيما يتعلق بموضوع الأسلحة ذلك التعاون الذي كان يحدث بين إخوة السلاح . فالأسلحة التي استخدمت في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين هي نفسها التي استخدمت في ثورة ١٩٢٥ في سورية ثم نقلت إلى فلسطين بعد ذلك . وقد كانت قوة الشرطة الفلسطينية (١,٥٠٠ شرطي) مصدرا سهلا لإمداد الثوار بالبنادق .

أما الذخيرة التي استخدمها الثوار فقد كانت مستودعات الجيش البريطاني والشرطة مصدرها الرئيس . وكان بعضها ظروفا فارغة تم جمعها وتعبئتها يدويا ، أو جرى الاستيلاء عليها خلال المعارك مع القوات البريطانية ، أو شراؤها من بعض أفراد تلك القوات ، بالإضافة إلى قسم كبير تم تهريبه من المناطق المجاورة . واستخدم الثوار أيضا كميات كبيرة من القنابل اليدوية البريطانية من نوع « ميلز ٣٦ » ، وقاموا بتصنيع قنابل يدوية أفادوا منها بشكل واسع في عمليات المدن . وحوّل الثوار أيضا قذائف مدفعية استولوا عليها من بعض معسكرات الجيش البريطاني إلى ألغام نسفوا بها خطوط السكك الحديدية والطرق والجسور .

ط ـ الاستراتيجية والتكتيك : لا بد لكل من يدير حربا أو عملية إستراتيجية أو تكتيكية من دراسة مبادىء الحرب الثورية وقوانينها واستيعابها ، مثلها مثل أي حرب أخرى . فالشعب الفلسطيني الذي خاض حربا ثورية دامت أكثر من ثلاث سنوات كان يعيش ظروفا معقدة وصعبة جدا ، مما أثّر في العمل الحربي وطبيعته ، وبالتالي نتيجته . وقد عجزت قيادات ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ عن فهم المبادىء والقوانين الخاصة بذلك العمل ، وكيفية القيام به بالشكل المناسب ، ومن ثم إتقانه .

فالقادة الذين تولوا أمور القيادة طوال سنوات الثورة لم ينجحوا في رسم إستراتيجية عسكرية واضحة وإن كانوا قد نجحوا في تطبيق أهم مبادىء حرب العصابات دون تطويرها إلى حرب نظامية أو متحرّكة ، وذلك لعدم تمكنهم من قلب موازين القوى لصالح الثورة في النهاية .

فعلى سبيل المثال لم تنجح الثورة إلاّ في تطبيق المرحلة الأولى من مجموع المراحل الثلاث التي يفترض أن تجتازها الحرب الطويلة الأمد حتى تنتصر ، وهي المرحلة التي تقوم خلالها قوات الثورة بعمليات هجومية محدودة ضد قوات العدو . ولم تنجح في تطبيق المرحلتين الأخريين ، وهما المرحلة التي يحافظ فيها العدو على وضعه الإستراتيجي استعدادا لصدّ هجمات الثوار الواسعة النطاق ، والمرحلة التي تشنّ فيها الثورة الهجوم النهائي في الوقت الذي يبدأ فيه العدو تراجعه الإستراتيجي .

في مقابل هذا مرت الثورة الفلسطينية بالمراحل التالية :

١) المرحلة الأولى : الإضراب العام المصحوب بعمليات عسكرية في المدن والريف ، أي العمل العفوي ومحاولة التنظيم .

٢) المرحلة الثانية : التركيز على العمل العسكري في الريف حيث وصلت الثورة إلى ذروتها بالعمل الثوري المنظم .

٣) المرحلة الثالثة : وهي العودة إلى المدن تحت ضغط القوات البريطانية ، أي هبوط الثورة وخمودها .

وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهت الثورة نجح رجال العصابات في تطبيق المبادىء الأساسية لتلك الحرب مثل حشد قوات كبيرة أثناء مهاجمة نقطة معينة ، والعمل بصورة سرية ونشطة ومستمرة ، وتطبيق المفاجأة في الهجوم ، وإنهاء المعركة بسرعة خاطفة . ولعل أهم تلك المبادىء ، وبالتوازي المصادر العسكرية البريطانية ، هو تجنب الاشتباكات الواسعة النطاق مع الجيش البريطاني ، مما مكّنه العدو مرارا وسعى له كي يتمكن من فرض المعركة في وقت وزمان مناسبين بهدف إلحاق أكبر الخسائر بالثوار .

ي ـ العمليات العسكرية : جرى على أرض فلسطين ، على مدى سنوات الثورة ، الكثير من العمليات العسكرية والمعارك الكبيرة التي كان مسرحها الجبال وبعض المدن . وأهمها حسب

السنين والمناطق والقيادات المختلفة : نور شمس ١٩٣٦/٦/٢١ ، والجماعونة ١٩٣٦/٨/١٢ ، وبلعة ١٩٣٦/٩/٣ ، واليامون ١٩٣٨/٣/٣ ، وبير السبع ١٩٣٨/٩/٩ ، وطبرية ١٩٣٨/١٠/٣ ، والقدس ١٩٣٨/١٠/١٧ .

اتخذت العمليات العسكرية الأولى طابع العمل غير المنظم والارتجالي والحالي تقريبا من التخطيط الدقيق حتى لواخر آب ١٩٣٦ عند وصول نوة عسكرية نظامية متطوعة بقودها الضابط فوزي القاوقجي ، وتمركزها في الجبال المحيطة بنابلس .

بلغ عدد العمليات التي نفذها الثوار العرب عام ١٩٣٦ ٤,٠٧٦ عملية منها ١,٩٩٦ ضد الأفراد الصهيونيين ، و٨٩٥ ضد ممتلكاتهم ، و٧٩٥ ضد الجيش البريطاني والشرطة ، و٣٨٠ عملية ضد وسائل المواصلات . وقد استشهد خلالها ٢٢٤ ثائرا عربيا ، وجرح ١,١٢٦ آخرون ، وقتل من البريطانيين (في الجيش والشرطة) ٣٣ وجرح ١٩٣ . أما خسائر الصهيونيين فقد بلغت ٨٠ قتيلا و٣٦٩ جريحا . وقد انتصرت تلك العمليات على قذف القنابل اليدوية وتصفية بعض العملاء في المدن ، والقيام بعمليات القنص ضد معسكرات الجيش ومراكز الشرطة ، ونصب الكمائن للقوافل الصهيونية ودوريات الجيش التي تواكبها ، وإشعال النيران في مزارع وممتلكات الصهيونيين . أما العمليات ضد وسائل المواصلات فقد عمّت في تلك الفترة أنحاء البلاد امتدادا من المطلة شمالاً وحتى رفح جنوبا . وقد بلغت الخسائر المباشرة للحكومة البريطانية بسبب الإضراب حوالي ٣,٥٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني ، عدا الخسائر التي نجمت عن توقف التجارة والسياحة إلى البلاد .

ومن الواضح أن هذا التركيز على وسائل المواصلات البريطانية والصهيونية يعود إلى خطورتها وأهميتها بالنسبة إلى السلطات ، وإلى كونها هدفا سهلا للثوار في وقت كانت فيه وسائل المواصلات العربية متوقفة تماما بسبب الإضراب .

وفي منتصف شهر أيار ١٩٣٦ بدأ مركز النشاط العسكري ينتقل من المدن إلى المناطق الريفية والجبلية ، وأصبحت جبال نابلس * والشمال وتلالها الحرجية الشديدة الانحدار أكثر المناطق عليانا وجذبا للثوار . أما الكتيبة الذي اتبع فكان تجمّع زمر من الثوار وكمونهم في أحد سفوح الوديان ، أو رؤوس الجبال المليئة ، ينتظرون مرور قافلة من السيارات ، فإذا ما مرّت أمامهم أطلقوا عليها النار ثم قتلوا مسرعين ، كل إلى قريته أو بلدته حيث يختفون الأسلحة والعتاد في أمكنة آمنة ، ويختلطون بسكان القرى وكأنّ شيئا لم يحدث . وكان عدد أفراد الكمين يصل أحيانا إلى ٢٠٠ رجل متفرغ وشبه متفرغ .

وهذا الأسلوب القتالي الذي اتبع في البداية أسلوب خال من التخطيط العسكري الفني الذي يبنى عادة على معلومات دقيقة عن تحركات العدو وبياته .

لكن حدث تغيّر جوهري في نوعية العمليات العسكرية ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦ بعد تولي فوزي القاوقجي مهام القائد العام للثورة في فلسطين . فقد كتب الفايس مارشال بيرز في تقريره قائلا : "لقد أظهر الثوار تصميما أكثر في خوض العمليات ، كما بدا واضحا أن رجالا عسكريين ذوي خبرة عالية بدأوا يخطّطون لها " .

وكتب في التقرير نفسه أن " العصابات المسلحة التي تألفت في السابق من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ١٥ و٢٠ رجلا قد أصبحت تتألف من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠ و٧٠ رجلا . وهي ليست عصابات للنهب ، بل تمارس ما تعتقد بأنه حرب وطنية تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية " .

١) عام ١٩٣٦ : بعد صدور بيان الملوك والرؤساء والأمراء العرب ، والدعوة إلى وقف الأعمال القتالية ، لم تتوقف هذه الأعمال توقفا كليا . وقد اعترفت المصادر البريطانية بذلك ولاحظت أن حالة من « الهدنة المسلحة » عمّت البلاد . فالمناطق التي انتشر فيها الثوار بقيت تحت سيطرتهم ، واستمرت العمليات ذات الطابع الفردي كعمليات النسف والقنص والاغتيالات السياسية وقطع وسائل المواصلات بمختلف أنواعها . وقد وصلت تلك العمليات إلى ذروتها عندما نجحت إحدى خلايا الفدائيين العاملين في المنطقة الشمالية ، بعد محاولتين سابقتين ، في اغتيال حاكم منطقة الجليل لويس أندرز يوم ١٩٣٧/٩/٢٦ ، وقتل مفتش الشرطة حليم بُسْطه في وقت سابق . ويعني ذلك أن قادة الثورة عاشوا حالة من الترقب والقلق بانتظار نتائج تحقيقات اللجنة الملكية (لجنة بيل) ، ولم يسقطوا من حسابهم الخيار العسكري . ولذلك حافظوا على درجة معينة من التوتر في جميع أنحاء فلسطين حتى يسهل الانتقال منها إلى الثورة وخوض القتال الفعلي عند الضرورة . ويبدو أن عملية تصفية حاكم الجليل الذي أدار الانتداب وفق الرغبات الصهيونية كانت إشارة لاستئناف الثورة مطلقة من المنطقة الشمالية . فقد أراد الثوار بذلك إفهام بريطانيا عمليا رفضهم القاطع لاقتراح لجنة بيل القاضي بتقسيم فلسطين وضم منطقتهم (الجليل) إلى الدولة الصهيونية التي اقترحت اللجنة إقامتها .

وقد كانت الاندفاعة الثورية عام ١٩٣٧ لدى جماهير الفلاحين أشد عنفا من تجربة العام المنصرم ، وذلك بسبب الخسارات المكتسبة ، وبسبب ازدياد وضوح التناقض القائم بين أطراف الصراع . كما اتجهت هذه المرحلة من الثورة بصورة جوهرية ضد البريطانيين . وقد اتخذت الحكومة البريطانية على أثر ذلك

إجراءات قمعية قاسية ضد المواطنين ، فطوّقت القوات البريطانية قراهم ودمرت الكثير من بيوتهم واعتقلت أبناءهم وفرضت عليهم غرامات باهظة ، ولم تكن هذه الإجراءات القمعية جديدة أو مفاجئة للشعب الفلسطيني ، فقد اعتادها منذ أيام الإضراب ، ولذلك لم تحقق تلك الإجراءات ، رغم قسوتها وشراستها ، سوى المزيد من الإصرار على الاستمرار في الثورة حتى تحقيق المطالب العربية المشروعة .

٢) عام ١٩٣٧ : كان في فلسطين في عام ١٩٣٧ ، عدا القوات الجوية والشرطة وقوات حرس الحدود ، لواءان من المشاة استقدمتهما القيادة البريطانية ، مما سبّب خللا واضحا وخطيرا في ميزان القوى بالنظر إلى ضآلة عدد قوات الثورة المتفرغة للقتال الذي لم يزد في يوم من الأيام على ثلاثة آلاف ثائر . وأصبح من المتوقع أن يكون شتاء ١٩٣٧ قاسيا نظرا لرغبة كل من الطرفين في فرض شروطه على الطرف الآخر . فالطرفان اكتسبا خبرة أوسع في ممارسة القتال في الجبال وحرب العصابات . وأصبح الطيارون البريطانيون أكثر خبرة في طلعاتهم القتالية في الأماكن الجبلية والمأهولة . بالإضافة إلى البدء في شق الكثير من الطرق العسكرية . وقد أحصى التقرير السنوي للإدارة البريطانية عمليات المقاومة في عام ١٩٣٧ على الشكل الآتي :

نوع العمليات	عددها
ـ هجمات ضد معسكرات ومراكز الجيش والشرطة	١٠٩
ـ هجمات ضد المستعمرات الصهيونية	١٤٣
ـ هجمات ضد منازل يملكها البريطانيون	٢
ـ عمليات نسف سكك حديدية	٥
ـ عمليات قطع خطوط البرق والهاتف	٨٢
ـ عمليات نسف طرق	١
ـ هجمات على مصالح حكومية	٣
ـ هجمات على أملاك صهيونية	١٨
ـ عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال ضد الجيش والشرطة والصهيونيين	١٤٨

من الملاحظ أن المعارك التي استنزفت في شتاء ١٩٣٧ اختلفت في أمور كثيرة عن تلك التي حدثت في فترات سابقة . إذ دارت على مسرح عمليات مختلف عن ذلك الذي حدثت فيه في فترة الإضراب الكبير ، والذي كان في جبال نابلس . نمنطقة الخليل * بمسالكها وجبالها وغاباتها الكثيفة التي تغطي معظم التلال * أصبحت الميدان الرئيس للعمليات . لذلك أصبحت المعارك أقرب إلى الحدود منها إلى المناطق الداخلية في فلسطين بسبب الحاجة الماسة لاستمرار تدفق الأسلحة والذخائر عبر الحدود الأردنية والسورية واللبنانية ، والحاجة إلى مؤخرة أمينة يسهل الالتجاء إليها وقت الضرورة وعند التطويق .

وهناك ظاهرة هامة أخرى هي أن القوات البريطانية بدأت تعمل من أجل استرداد زمام المبادرة ومحاولة التمسك بها ، وبدت مصمّمة على استعادة السيطرة على المناطق الخارجة عن سلطتها . لذلك خصص الجنرال ويفل القائد العام البريطاني الجديد قوات ضخمة مدرّبة على مقاومة حرب العصابات للعمل في هذا المجال . وقُسّمت تلك القوات إلى فصائل متحركة تقوم بأعمال الدوريات المستمرة والمنتظمة طوال أشهر السنة . ففي فصل الشتاء حيث يصعب التنقل والاتصال كانت الطائرات تمدّ تلك الفصائل بالأسلحة والذخائر والمؤن بالمظلات .

بالمقابل بدا رجال المقاومة أكثر وعيا وتدريبا من السابق ، فلم يعد من السهل اصطيادهم . وبدا واضحا أنهم يملكون الحسّ الأمني ، ولذلك عاشوا في يقظة دائمة وهم يحرسون أمكنة استراحتهم الموقتة مهما بدت منيعة أو أمينة ، كما أن الممارسة المختلفة كانت أكثر وعيا لواجباتها ومهامها . وقد بدت سيطرة القادة تامة على قواتهم طوال مراحل القتال . كل ذلك ساعد على التغلّب إلى حدّ كبير على النقص في الأسلحة ذات المستوى المتطوّر .

٣) عام ١٩٣٨ : أخذت الثورة ، مستفيدة من انشغال بريطانيا في أزمة ميونخ الأوربية عام ١٩٣٨ ، تزداد عنفا نتيجة للتنظيم الجيد والخبرة الممتازة اللذين اكتسبتهما في المرحلة السابقة ، فامتدّت سيطرة الثوار على معظم الطرق وعمل الكثير من المدن . وأظهروا نشاطا بارزا في مناطق الجليل وجنوب ونابلس والمنطقتين الوسطى والجنوبية . ونجحوا في تدمير محطات السكك الحديدية الواقعة بين القدس والله ، وبين الله والحدود الأردنية . وهاجموا أيضاً معظم مراكز الشرطة ،وقتلوا في أحدها الضابط موفات مدير شرطة جنين في مكتبه . وبحلول الصيف كان الثوار قد سيطروا تماما على معظم المناطق الجبلية في البلاد إلى درجة أنهم كانوا يسيرون في مدينة نابلس بحرية تامة في وضح النهار وبأسلحتهم الكاملة . ومما يدلّ على عنف الثورة ونجاحها النسبي انخفاض معدل الهجرة اليهودية إلى عشرة آلاف مهاجر في ذلك العام في مقابل ٦٢,٠٠٠ مهاجر يهودي دخلوا البلاد عام ١٩٣٠ ، ومما أورده التقرير البريطاني لعام ١٩٣٨ عن الزيادة في نفقات الأمن العام ، والعمليات التي قام بها الثوار ، والتي ركّزت على أهداف اقتصادية ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى بريطانيا ، وخاصة خط أنابيب شركة النفط العراقية . وقد بلغت تلك النفقات ١,٠٣٤,٨٢٥ جنيها إسترلينيا عام ١٩٣٨ في حين

كانت نحو ٨٦٧,٢٩٥ جنيها عام ١٩٣٧ ، و٦٤١,٢٧٦ جنيها عام ١٩٣٦ .

وقد أورد التقرير المذكور عدد الإصابات على الشكل التالي : مقتل ٦٣ جنديا بريطانيا وجرح ٢٠٠ ، إضافة إلى مقتل ١٢ شرطيا وجرح ١٥ آخرين . كما قتل ٢٥٥ صهيونيا وجرح ٣٩٠ مقابل ٥٠٣ شهداء من العرب و٥٩٨ جريحا . أما العمليات التي حرث في عام ١٩٣٨ نهي كما أحصاها التقرير :

نـوع العمليـات	عـددها
ـ هجوم وعمليات قنص ضد أفراد صهيونيين	١٧٦
ـ هجوم وعمليات قنص ضد قوات الجيش والشرطة البريطانية	٩٨٦
ـ هجوم على وسائل المواصلات	٣٣٥
ـ إطلاق نار على المستعمرات والأحياء اليهودية	٦٥١
ـ إلقاء قنابل	٣٣١
ـ عمليات خطف	٢١٥
ـ إتلاف أملاك يهودية	٤١٠
ـ تخريب هواتف	٧٢٠
ـ تخريب سكك حديدية وطرق	٣٤١
ـ تخريب أملاك حكومية أخرى	٢١٠
ـ تخريب خط أنابيب شركة النفط العراقية	١٠٤
ـ عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال	٤٩٠

انحصر ميدان نشاط الثورة في البداية تقريبا في المنطقة الشمالية وفي جبال الخليل ثم امتد حتى شمل أراضي فلسطين كلها . وقد اعترف قادة القوات البريطانية في تقاريرهم المنظمة بأنه لم يكن يمر أسبوع دون وقوع معركة كبرى . وقد ازداد عدد الثوار بشكل ملحوظ في المنطقة الواقعة شرق طريق جنين ـ نابلس خلال الفترة الممتدة من الأسبوع الأول من شهر شباط إلى الثالث من آذار ، وهي الفترة التي وقعت فيها معركة اليامون .

ويعترف الاستاذ هيامسون أن الثوار سيطروا على معظم البلاد عام ١٩٣٨ حين يقول : " خضعت مدينة القدس القديمة ومدن أخرى ، خلال أوقات معينة ، لسيطرة الثوار " ، ويعترف أيضا بأن الجماعات العربية أصبحت ، منذ تموز ١٩٣٨ ، منظّمة تنظيما جيدا وغدت تقاد من قبل قيادة واحدة .

٤) عام ١٩٣٩ : كانت عملية القدس آخر عملية كبيرة قام بها الثوار الفلسطينيون ضد السلطة البريطانية والمنظمات الصهيونية . وهذا لا يعني أن المعارك قد توقفت ضد البريطانيين ، لكن معدلها هبط ، إذ بلغ مجموع العمليات ٩٥٢ عملية ضئيلة في ذلك العام . وقد أفلتت زمام المبادرة من الثوار وانتقل إلى أيدي القوات البريطانية التي تحولت مع المنظمات الصهيونية إلى موقع الهجوم . وأصبح موقف الثوار العرب حرجا للغاية لاستحالة تمكّنهم من فرض المعركة بالشروط التي تلائمهم كالسابق . فالقوات البريطانية بدأت في عملية نزع سلاح عامة بالتعاون مع الصهيونيين والعناصر المعادية للثورة ، واستطاعت خلالها الاستيلاء على ٢,٠٧٦ بندقية ، و٧٨٥ مسدسا ، و٣٣٥ بندقية صيد . وتمكنت حتى تموز ١٩٣٩ من احتلال وتفتيش ٧٥٨ قرية . وأدّى الضغط المتزايد إلى إنهاك الثوار واهتزاز تنظيماتهم وافتقارهم إلى القيادة العسكرية والسياسة الفعالة القادرة على تحدّي تفوق الحسم الساحق . فالقيادة العسكرية لم تعد موجودة في الداخل من الناحية الفعلية ، وخاصة بعد استشهاد القائد العام عبد الرحيم الحاج محمد في آذار ١٩٣٩ ، واضطرار عارف عبد الرازق إلى تسليم نفسه للسلطات الفرنسية على الحدود اللبنانية ، ووجود عبد القادر الحسيني خارج البلاد منذ إصابته في خريف ١٩٣٨ . أما القيادة السياسية التي كانت في الأصل بعيدة في دمشق فلم تعد موجودة حتى هناك بعد قيام السلطات الفرنسية بتضييق الخناق على أعضائها عشية نشوب الحرب العالمية الثانية .

وقد كان واضحا ضمن هذه الظروف استحالة تحقيق نصر عسكري ساحق على القوات البريطانية ، خاصة أن الثوار لم يعتقدوا أبدا بإمكانية تحقيق هذا الهدف لأسباب تتعلق بالإمكانات وميزان القوى الذي كان يميل من ناحية العدد وقوة النيران بنسبة ١/٢٠ إلى جانب البريطانيين والصهيونيين . وقد ترافق ذلك مع غياب الإستراتيجية العسكرية وعدم توفر الإمكانات الفعالة ، إضافة إلى غياب القيادة العسكرية السياسية الموحدة وعدم ملاءمة الوضع الدولي نظرا لما مثّله الاستعمار من هيمنة على العلاقات الدولية في تلك الفترة من الزمن . وعلى الرغم من كل ذلك حقّقت الثورة هدفا أساسيا مرحليا من الأهداف التي ناضلت من أجل تحقيقها ، وهو موافقة بريطانيا في مؤتمر سان جيمس* بلندن عام ١٩٣٩ على الحد من عدد المهاجرين اليهود ومن عمليات بيع الأراضي لهم خلال مدة انتقالية مدتها عشر سنوات يمنعها إيقاف كامل للهجرة إلى البلاد ، إلاّ في حال موافقة العرب أنفسهم . وهذا يعني صراحة طيّ مشروع التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ والذي كان السبب المباشر في عودة الثورة إلى الاندلاع في خريف العام المذكور .

ومن النتائج الهامة للثورة كشفها القيادات المتخاذلة المحلية والأنظمة العربية التي تدخلت في قضية فلسطين بشكل أسهم في إجهاض الثورة ، إضافة إلى كشفها الحلف الإمبريالي ـ الصهيوني في

المنطقة الذي ترك بصماته على تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية بصورة أوضح منذ عام ١٩٣٦ وحتى يومنا هذا .

وأخيرا لا يمكن إنكار حقيقة كون الثورة العربية الكبرى في فلسطين قد قدمت أنموذجا حيًا للنضال من أجل التحرر والدفاع عن الوطن والحفاظ على فلسطين عربية . وقد أفادت ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، بتجربتها النضالية الغنية والفريدة ، الثورة الفلسطينية الباشقة منذ مطلع عام ١٩٦٥ وأثرتها بدروس كثيرة .

لـ - نسف مدينة يافا القديمة : كانت مدن نابلس والقدس ويافا أكثر «مدن فلسطين غليانا وتفجّرا خلال ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين ، حتى إن القائد العام للقوات البريطانية نفسه لم يجرؤ مثلا على زيارة نابلس إلاّ بعد إرسال كتيبة مشاة إليها معززة بمدافع الهاوتزر . وكانت عمليات المقاومة أكثر انتشارا في القدس . أما فيما يتعلق بيافا فقد نفّذت فيها أعلى نسبة من عمليات القنص وقذف القنابل ضد الجيش البريطاني والشرطة ، ولم يكن أحد من المسؤولين السياسيين أو القادة العسكريين البريطانيين يستطيع دخولها دون التعرّض لمحاولة القتل أو الاغتيال .

وقد اتخذت القيادة البريطانية خلال الأشهر الأولى للثورة ، وخاصة خلال الفترة التي تولّى القيادة فيها الجنرال بيرز ، سلسلة من الإجراءات الانتقامية داخل تلك المدن ، وكان أبرزها نسف بلدة يافا القديمة بقصد الردّ على تلك الهجمات .

طالب بيرز في تقريره إلى وزارة الطيران " بضرورة إعادة النظام والأمن إلى مدينة يافا وإعادة تشغيل مرفئها باستخدام عمّال آخرين بدلا من العمال المضربين اذا أصرّوا على مواصلة الإضراب " . وهذا لا يتمّ في نظره ما بقيت الحالة الأمنية في المدينة متدهورة وغير مستقرة . لذلك قدّم اقتراحا يتضمن القيام بنسف أجزاء من مدينة يافا القديمة لتحقيق هذا الغرض . ويتناقض هذا الاقتراح تناقضا كليا مع ادّعاء السلطات البريطانية آنذاك أن الهدف من عملية النسف كان توسيع وتحسين المدينة القديمة بشّق طريقين فيها .

في صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٦ ألقت طائرة حربية كانت تحوّم فوق المدينة الإنذار التالي : " إن الحكومة على وشك البدء في مشروع يرمي إلى توسيع وتحسين البلدة القديمة في يافا ، وذلك ببناء طريقين يفيدان المدينة بكاملها . وسيبدأ الخطوات الأولى الضرورية بهدم وإزالة بعض الأبنية المزدحمة وغير الصحية مستغلّين فرصة وجود فرق المهندسين الملكية الآن في فلسطين للبدء في هذه الأعمال " .

وكانت قد صدرت الأوامر للمقدم أوتبرسون - كيلسو بإجراء الاستطلاعات اللازمة ووضع خطة مناسبة بالتعاون مع حاكم اللواء الجنوبي كروسبي ومساعده مفتش الشرطة العام فولي . وقد قدّم في البداية اقتراحا يوصي فيه باستخدام قوات المشاة لاحتلال المدينة ومن ثم تنفيذ عملية النسف . ولكن الخوف من وقوع الخسائر الكثيرة في صفوف القوات البريطانية جعل تنفيذ هذه العملية أمرا مستبعدا . وفي النهاية قررت القيادة البريطانية تنفيذ الخطة التالية وقد قسّمت إلى أربع مراحل :

١) إطلاق نار كثيفة ومستمرة ضد مراكز الثوار حتى إسكات نيرانهم .

٢) فرض عمل إجباري على سكان المدينة لإزالة المتاريس والحواجز .

٣) نسف المناطق الشرقية والغربية من البلدة القديمة وشق طريق عبرها .

٤) نسف المناطق الشمالية والجنوبية من المدينة القديمة وشق طريق أخرى وسطها .

بدأ تنفيذ المرحلة الأولى بإطلاق نار كثيفة على أماكن القنّاصة العرب ومواقعهم من رشاشات الفيكرز ذات الكثافة النارية العالية والتأثير الفعال بالمقارنة بأسلحة الثوار البدائية . وقد استمرت تلك الاشتباكات ١٨ يوما متواصلة حتى اليوم الذي بدأ فيه العمل لتنفيذ المرحلة الثالثة في ١٩٣٦/٦/١٨ . وقد أدّى نجاح المرحلة الأولى إلى تنفيذ المرحلة الثانية ، فأمرت القوات البريطانية الوجهاء وأصحاب المحلات والسكان في المنطقة المعنية بعد تطويقها بإزالة مختلف الحواجز والمتاريس في الشوارع وإعادة النظام إليها . واستيقظ سكان المدينة القديمة صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٦ على دقّ أجراس وأصوات منادين ومنشورات تلقيها طائرة تتضمن قرار الحكومة البدء بعملية (تجميل المدينة) . وهدّدت باستخدام القوة في حالة حدوث أي مقاومة لتنفيذ خطة الحكومة ، ووعدت بدفع تعويضات مناسبة لأصحاب المساكن المنسوفة أو المتضرّرة .

بدأت أولى خطوات العملية عند الساعة الرابعة من صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٨ بعد قيام إحدى كتائب المشاة بتطويق المنطقة وتفتيش كل من يغادرها ، وقيام كتيبة أخرى بتأمين التغطية الضرورية لفرقة النسف . في حين وُضعت سريتان من المشاة وسرية ثالثة مدرّعة في الاحتياط ، بالإضافة إلى البارجة الحربية « أكتيف » التي عهد إليها تأمين المنطقة المشرفة على البحر . وهكذا بدأت عملية النسف . وبحلول المساء تمّ شقّ طريق بعرض عشرة أمتار امتدّ من مركز شرطة العجمي شرقا حتى دير اللاتين غربا .

أدّى نجاح المرحلة الثالثة من العملية إلى البدء في تنفيذ المرحلة الرابعة بعد فترة قصيرة . وقد صرح بيرز بأن سبب السرعة في تنفيذ المرحلة الأخيرة من العملية كان من أجل عدم ترك أي مجال للمحكمة العليا للفصل في عملية النسف بعد قيام العرب برفع شكوى إليها بهذا الشأن .

استؤنفت أعمال النسف لإنجاز المرحلة السرابعة يوم ١٩٣٦/٦/٢٩ ، وتم الانتهاء منها في اليوم التالي بعد تدمير بعض المناطق الواقعة شمالي المدينة وجنوبيها .

يتضح مما تقدم مدى التناقض في أهداف السلطات البريطانية المعلنة وبيّاتها الحقيقية في نسف المدينة القديمة . ويظهر مدى اعتدائها على السكان العرب وحقوقهم . وقد برز هذا واضحا في إعلانها عن سبب واه وغير مقنع لنسف المدينة القديمة مرتين خلال شهر واحد ، الأولى يوم ١٩٣٦/٦/١٨ والثانية يومي ٢٩ و١٩٣٦/٦/٣٠ . وقد نسف في المرة الأولى ٧٠ بيتا تسكنها ١٥٠ عائلة ، وفي المرة الثانية نحو ١٥٠ بيتا تسكنها نحو ٣٠٠ عائلة . وتمت إزالة حوالي ٨٥٠ « بركة » خشبية في مناطق أخرى في المدينة يسكنها نحو ٤,٠٠٠ شخص . هذا بالإضافة إلى هدم وتشقّق عدد كبير آخر من البيوت المجاورة . ويقدر عدد الذين أصبحوا بلا مأوى بعشرة آلاف نسمة . وقد تجاوز الضرر المدينة القديمة ، وأصاب كنيسة الخضر الموجودة في حي العجمي إذ تصدعت بتأثير النسف بالديناميت . وأصيب مسجد الشيخ رسلان وثُعّر جزء من مئذنته وتناثرت الحجارة على كنيسة دير الروم مما سبّب خرابا كبيرا في سطحها وإتلافا لبعض المصابيح المعلّقة فيها . أما كنيسة دير اللاتين المعروفة بالقلعة فقد أثّر فيها الديناميت تأثيرا كبيراً وأتلف محتوياتها وشوّه منظرها الخارجي . ولم يزد التعويض الذي وعدت بريطانيا بتقديمه للمتضررين على عشرين مليما لكل فرد من أفراد العائلة دون القيام بعمل يذكر في سبيل إيواء هؤلاء المشردين .

وعلى الرغم من الهدوء النسبي في مدينة يافا وبعض المدن الأخرى إثر عملية النسف بدا واضحا للسلطة البريطانية أن العملية لم تحقق الهدف الإستراتيجي الذي نفذت من أجله ، وهو ترويع الثوار والسكان ووقف الإضراب . فبعد أقل من شهر على العملية ، وفي يوم ١٩٣٦/٧/٢٧ الذي صادف مرور مائة يوم على بدء الإضراب ، نُفّذت عمليات كثيرة غطّت معظم أنحاء البلاد . وقد كتب بيرز على أثرها لقيادته " إن القوات التي تعمل تحت قيادتي لم تعد قادرة على سحق التمرد بالسرعة المطلوبة ، ولذلك أطلب إرسال كتيبتي مشاة محمولتين على الأقل ليصبح كل لواء مشكلا من أربع كتائب بالإضافة إلى كتيبتي احتياط وفوج خيالة مفرزين للمهمات المحدودة ، وخاصة في مناطق الأردن وبير السبع " .

ويضيف بيرز قائلا : " لقد بات من الضروري حتى يعود الهدوء بسرعة إلى البلاد وضع فرقة كاملة مؤلفة من ثلاثة ألوية ، بما فيها القوات الموجودة أصلا في البلاد ويبلغ عددها ١٠,٣٨٩ ضابطا ورجلا ، بما فيها القوات الجوية ، تحت تصرف القائد العام . إضافة إلى السرب ٣٣ القاذف المتمركز أصلا في قاعدة الإسماعيلية بهدف تكثيف عمليات القصف " .

ل ـ معركة نور شمس : إحدى أهم معارك ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . وتقع قرية نور شمس شرقي طولكرم على مبعدة ٣ كم منها ، وتشرف على طريق حيفا ـ تل أبيب التي كانت القوافل الصهيونية تسلكها محروسة بالقوات البريطانية .

حينما وقعت معركة نور شمس يوم ١٩٣٦/٦/٢١ كانت القوات البريطانية في فلسطين تتألف من ٦ كتائب من المشاة والمدرعات والمدفعية ، وسرب من الطائرات القاذفة ، وبعض قطع الأسطول في البحر المتوسط .

قاد المعركة عبد الرحيم الحاج محمد * . وقبل أن تبدأ قام القائد عبد الرحيم باستطلاع دقيق لساحة المعركة بعد أن وصلت إليه معلومات تفيد بقرب مرور قافلة صهيونية محروسة بقوة مسلحة بريطانية .

بدأت المعركة في الساعة ١٠,٠٠ من صباح ٦/٢١ واشترك فيها خمسون مناضلا عدا الذين تطوّعوا عند الاشتباك من القرى المجاورة . وقد تراوح تسليح القوة بين البنادق الحربية القديمة وبعض القنابل اليدوية . أما القوة المعادية فكانت تتألف من ست سيارات ركّاب يحرسها فصيل مشاة بريطاني محمول ومعزز بمصفحتين . وقدر عدد الصهيونيين والجنود البريطانيين بنحو ١٧٠ فردا عززوا عند الاشتباك بثلاث طائرات حربية استخدمت للمرة الأولى في مواجهة مباشرة ضد الثوار . وقدمت نجدة من القوات البريطانية المتمركزة في مدينة نابلس قدرت بفصيلين محمولين . وقد مكّن الثوار من إشعال هذه النجدة ومنعها من الوصول إلى أرض المعركة بكمين نصب لها قرب دير شرف على مبعدة ٢٠ م تقريبا من طولكرم .

تلخصت خطة القائد عبد الرحيم بتقسيم قواته إلى ثلاث مفارز مهمة المفرزة الأولى تغطية مقدمة القافلة وحصرها بالنيران من الأمام ، ومهمة المفرزة الثانية ضرب قلب القافلة بعد وقوعها في الفخ ، أما المفرزة الثالثة فقد كان واجبها مؤخرة القافلة . واختار القائد مكانه في قلب المفرزة الثانية . وقد تمركز ثلاثة في نقطتين خفيّتين ومؤتمنين جيدا في مقدّمة الكمين على يمين الطريق ، وتمركز ثالث على يسار الطريق للمرابئة وإعطاء الإنذار بقدوم المدد وإطلاق النار عند دخول آخر سيارة للقافلة ضمن منطقة الكمين ، وفور اصطدام السيارة الأولى بمانع من الحجارة تمت تهيئته مسبقا على الطريق . استمرت المعركة نحو سبع ساعات لم يعترف البريطانيون بعدها بوقوع خسائر في قواتهم أوفي الصهيونيين الذين كانوا يرافقونهم بل أعلنوا عن استشهاد ما بين ٢١ ـ ٢٥ ثائرا . أما المصادر العربية فقد أعلنت عن استشهاد ثلاثة من الثوار ومقتل ما يقارب خمسين جنديا من القوات البريطانية وتدمير ثلاث سيارات وإسقاط طائرة حربية .

ويبدو واضحا من سير المعركة أن القائد عبد الرحيم الحاج محمد قادها ونفذها بجرأة ومرونة فائقة ، فقد اختار وقت تنفيذها نهارا مع علمه بأن خسائر قواته قد تكون أكثر وفرص النصر قد تكون أقل لأن القوافل الصهيونية كانت تتوقف ليلا وتحيط نفسها بالحراسة البريطانية المشددة .

إن صمود الثوار بأسلحتهم القديمة سبع ساعات متواصلة في وجه القوة البريطانية الكبيرة دليل قاطع على مدى الاستعداد للتضحية والتصميم على خوض النضال المسلح . ويبدو واضحا أن العملية قد أعدّ لها إعدادا جيدا من حيث التخطيط وحشد القوة وتوزيعها وتحديد مكان الكمين في منطقة وعرة تساعد على إبقاء زمام المبادرة في أيدي قوة الكمين وتكسبه المرونة أثناء خوض المعركة وتمكّنه من إيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو .

م ـ معركة الجاعونة : تعرف بلدة الجاعونة " عند الصهيونيين باسم « روشبينا » ، وتقع على الطريق بين صفد وطبريه إلى الشرق من مدينة صفد ، وكانت تسكنها أكثرية يهودية . ولما بدأت فصائل ثورة عام ١٩٣٦ تعمل في منطقة صفد تعرّضت طريق صفد ـ طبرية لعدة هجمات من المجاهدين ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦ ، فكانوا ينصبون الكمائن لسيارات الركاب الصهيونية التي تسير بين صفد وطبرية بحراسة المصفحات البريطانية ، فوقعت معركة جب يوسف ليلة ٢١/ ٢٢ حزيران وكان يقود المجاهدين فيها عبد الله الأسبح " من الجاعونة وعبد الله الشاعر من صفد .

قاد عبد الله الشاعر مجموعة من المجاهدين إلى كمين نصبه « لباص » صهيوني قادم من طبرية إلى صفد يوم ١٢/٨/١٩٣٦ . وكان موقع الكمين قبل الجاعونة بكيلومترين . وقد سدّ المجاهدون الطريق وكمنوا بين الصخور ، ولما وصلت السيارة الصهيونية تحت الحراسة البريطانية انهال المجاهدون عليها بالرصاص ، واستمر الاشتباك نحو ساعتين ، وأخذت قوة الحراسة تطلب النجدات .

أسفرت هذه المعركة عن مقتل ثمانية من الركاب الصهيونيين ، وقتل وجرح عدد من الحرس البريطاني . وتمكن المجاهدون من الانسحاب قبيل وصول النجدات البريطانية دون خسائر في صفوفهم ، وقد اتسمت هذه العملية بالمفاجأة والجرأة .

ن ـ معركة بلعة : معركة بلعة التي وقعت يوم ٣/٩/١٩٣٦ من أكبر معارك ثورة ١٩٣٦ . وتبعد قرية بلعة نحو ٧ كم عن مدينة طولكرم ، ونحو ١,٥ كم عن طريق نابلس ـ طولكرم .

بلغ عدد الثوار الذين اشتركوا في المعركة خمسين رجلاً مسلحين بالبنادق المتنوعة والرشاشات الخفيفة وبعض الألغام . وكانوا متطوعين قدموا من أنحاء فلسطين وسورية والعراق . وقد انتقوا موقع بلعة لارتفاعه وإشرافه على طريق نابلس ـ طولكرم حيث تمر القوافل الصهيونية بحماية القوات البريطانية . وقد نظّم القائد فوزي القاوقجي خط الدفاع الرئيس فوق المرتفعات المشرفة على الطريق العام على شكل أربع مفارز تتقاطع نيرانها فيما بينها فلا يستطيع العدو الدخول بين المفارز دون أن تناله نيرانها ، وأعدّ أيضا مفرزتين لتبنّيا الألغام على الطريق وتكمنا على مقربة منه وتناوشا العدو ، ثم تنسحب كل منها باتجاه محدّد بغية شطر قوة العدو إلى قسمين واستدراجه إلى حيث يقع تحت النار المجدية لخط الدفاع الرئيس . وتم أيضاً تركيز عدد من المفارز الصغيرة من الرماة المهرة في أماكن ملائمة للدفاع الجوي لصدّ الطائرات إذا ما اشتركت في القتال .

وصلت قوة المجاهدين بصورة سرّية إلى نقطة التجمع في قرية بلعة ليلة ٢/٩/١٩٣٦ . وتم إبلاغ قادة المفارز التعليمات ، وعرف كل منهم مهمته . وفي صباح يوم ٣/٩/١٩٣٦ تحركز المجاهدون في مواقعهم المحدّدة .

ظهرت القافلة المعادية قادمة من اتجاه طولكرم ، وكانت مؤلفة من ٢٠ سيارة . وحينما وصلت إلى النقطة المعيّنة في الساعة ٨,٤٠ صباحا انفجرت الألغام وأطلق الكمينان النار على القافلة . وردّت القوة البريطانية بنيران الدبابات والرشاشات والمدافع الخفيفة . ولما تحرك الكمينان سوقديهما حسب الخطة المرسومة تبعهما الجنود البريطانيون منشطرين إلى قسمين ، وسرعان ما وقعا تحت رحمة نيران خط الدفاع الرئيس . فوجدت القوة البريطانية نفسها محاصرة لا تستطيع التقدم ولا الانسحاب ، فاستجدت بالقيادة . ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت الطائرات وأخذت تنقض على مواقع المجاهدين الذين استطاعوا أن ينسحبوا ثلاثا منها بأسلحتهم العادية . وتبع ظهور الطائرات تدفّق نجدات المدافع والدبابات والرشاشات على ساحة المعركة . وحاولت القوة البريطانية الالتفاف على مواقع المجاهدين ، ولكنها رُدّت على أعقابها .

وحوالي الساعة ١٤,٠٠ بلغت المعركة أقصى حدّتها ، إذ كثّف الإنكليز القصف بالمدرعات والمدافع الثقيلة والطائرات . واضطرت الفيادة العربية إلى الأمر بالانسحاب إلى خط الدفاع الثاني على مرتفعات تساعد أكثر على الدفاع والمقاومة . وفي هذه الأثناء أخذ العدو ينسحب من المعركة أيضا تحت حماية نيران كثيفة وغزيرة أطلقتها طائراته وأسلحته المختلفة . وقد ظلت قوات العدو مرابطة حول ساحة المعركة حتى تمّ لها إخلاء الجرحى والقتلى ، ثم انسحبت بعد غروب الشمس . وهكذا استمرت المعركة حتى الساعة ١٥,٣٠ على جبهة طولها ١٢ كم قاتل فيها الثوار قتالا عنيفا وعنيدا . وقد نفدت ذخيرتهم في المرحلة الأخيرة من المعركة .

اعترفت القيادة البريطانية بمقتل ضابطين أحدهما طيار ،

وبجرح ثلاثة أحدهم إصابته خطيرة ، ويقتل عريف وجرح اثنين آخرين ، واعترفت بسقوط طائرة وإصابة ثلاث أخرى بنيران البنادق ، وادّعت استشهاد « ١٤ من رجال العصابات » . أما الثوار فقد أعلنوا مقتل ٨٠ جنديا بريطانيا بينهم عدة ضباط ، عدا الجرحى ، وإصابة ثلاث طائرات وتعطيل رابعة ، والاستيلاء على رشاش طائرة من طراز « برن » .

كان من بين الشهداء محمود أبو جميى من جبل العرب (سورية) ، وإليه يعود الفضل في صمود خط الدفاع الرئيس . وكان الشيخ سليمان الصالتوري ، وهو فلسطيني ، من أكثر المقاتلين شجاعة وحكمة . وقد استشهد فيما بعد في معركة كفرعوش .

ويبدو واضحا من دراسة هذه المعركة مدى الدقة والتنظيم في خطة القتال وحسن تدريب المجاهدين . فقد تم تحديد أماكن تمركز المغارز بدقة فائقة لضمان إيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو والمحافظة على النفس . وأنجز الكمين الذي أوكلت إليه مهمة استدراج العدو إلى المواقع الأساسية مهمته طبقا للخطة الموضوعة بمهارة وجرأة .

ونجحت المغارز المخصصة للدفاع الجوي في تخفيف الضغط عن الثوار ، وحرمت العدو من الغطاء الجوي بعد إصابة عدد من طائراته ، مما أثّر في سير المعركة لصالح الثوار في البداية .

تلقّى الشعب العربي الفلسطيني أخبار هذه المعركة الظافرة بارتياح كبير ، وقويت الروح المعنوية لديه . لى حين قررت الحكومة البريطانية بعد هذه المعركة اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وشدة في التعامل مع « رجال العصابات » من أجل إعادة النظام ، ومنها إعلان حالة الطوارئ . هذا وقد تم تعيين الجنرال جون دبل بدلا من بيرز قائدا عاما للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الأردن يوم ١٩٣٦/٩/١٥ ، وأرسلت إلى فلسطين تعزيزات كثيرة من الجنود والمعدات .

س ـ معركة اليامون : تقع قرية اليامون * على بعد ٩ كم شمال شرقي جنين ، وكان يتولى قيادة منطقة نابلس ـ جنين عند حدوث المعركة يوم ١٩٣٨/٣/٣ الشيخ عطية أحمد عوض * أحد رجال ثورة الشيخ عز الدين القسام * .

أقدم الشيخ عطية ، في وقت سابق ، على رأس أربعة فصائل من الثوار ، على تطويق مدينة جنين من جميع جهاتها ، ونجح في الإغارة على مراكز الشرطة والجيش البريطاني فيها ، والاستيلاء على كل ما فيها من ذخيرة وبنادق . وقام فصيل من قواته بمهاجمة قوات الجيش المتمركزة في نابلس ، ونصب فصيل آخر كمينا للدوريات العسكرية على طريق نابلس ـ جنين . وعلى أثر هذه المعارك الناجحة للثوار أصدر البريطانيون القائد اللواء السادس عشر البريطاني أوامر لقواته بالتوجه إلى منطقة جنين وتمشيطها ، خاصة بعد شقّ الكثير من الطرق في الجبال لتسهيل حركة القوات .

توقع الشيخ عطية أن تقوم القوات البريطانية بعملية انتقامية كبيرة ضد قواته ، لذلك استعد لمعركة طويلة . ففام بالاستطلاعات الضرورية ، ودرس الموقف ، ثم قرر احتلال مراكز مشرفة على نقاط التقرّب المحتملة ، ووزّع قواته بحيث احتل فريق من الثوار مواقع في رابا (قرية تقع على بعد ١٢ كم جنوبي شرق جنين) واحتل فريق آخر رؤوس الجبال من كفردان (قرية تقع على مسافة ٨ كم غربي جنين) إلى اليامون .

بدأت المعركة عند الساعة العاشرة من صباح ١٩٣٨/٣/٣ بعد نجاح القوة البريطانية في فرض طوق حول مواقع الثوار ، واستمرّت حتى حلول الظلام عندما استطاع الثوار فتح ثغرة في الطوق ومن ثم الانسحاب . وقد اشترك في المعركة نحو ثلاثة آلاف جندي بريطاني ، بالإضافة إلى مفرزة من قوات الحدود الأردنية ، ودعم طائرات استدعيت بعد ١٥ دقيقة من بداية الاشتباك مقابل ٣٠٠ ثائر فلسطيني . وقد اعترفت القوات البريطانية بجرح ضابط ومقتل جندي وجرح آخرين وإصابة خمس طائرات إصابات طفيفة . وادّعت استشهاد ٦٠ ثائرا وأسر ١٦ آخرين . أما الثوار فقد أعلنوا من جانبهم استشهاد تسعة منهم كان أحدهم الشيخ عطية نفسه ، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثين مناضلا من المتحدات العربية التي التحقت بموقع المعركة من القرى المجاورة ، وأحصوا مقتل وجرح أكثر من ٧٠ بريطانياً . وقد حاولت القيادة البريطانية خلال هذه المعركة مفاجأة الثوار والقضاء على قيادة الثورة في المنطقة باستدراج أكبر عدد من المقاتلين والقوات المحلية . ولكن الثوار استطاعوا الصمود على جبهة طولها كيلومتران حيث قاتلوا قتالاً عنيدا بأسلحة عتيقة واجهوا بها المدفعية الثقيلة والطائرات التي أدّت دورا فعالا في تلك المنطقة الجبلية الوعرة . ورغم ذلك اعترف البريطانيون بأن الثوار تمكنوا من الانسحاب بنجاح بعد قتال في ظروف غاية في الصعوبة والتعقيد، وفي مواقع لم تكن ملائمة لهم على الإطلاق . وقد أظهر الثوار ، رغم خسائرهم الكبيرة ، مقدرة كبيرة على خوض معركة دفاعية ناجحة نسبيا ، خطّط العدو لها وحشد من أجلها قوات كبيرة ، بعد أن أفقدوه عنصر المفاجأة . وأظهروا أيضاً براعة فائقة في حرية الحركة والتخلص من الطوق ، وبالتالي الحفاظ على قواتهم من أجل معارك قادمة .

ع ـ معركة بير السبع : بحلول شهر أيلول عام ١٩٣٨ امتدت الثورة إلى منطقة بير السبع جنوبا بعد أن اعتقد البريطانيون خطأ بأن المطقة لن تساهم بقليل أو بكثير في الثورة لبعدها وقلة عدد السكان الصهيونيين فيها . ففي يوم ١٩٣٨/٩/٩ بدأ قائد منطقة الخليل عبد الحليم الجولاني (أبو زيدان) يعدّ خطة للهجوم على

مدينة بير السبع للاستيلاء على أسلحة الجيش والشرطة هناك لتسليح قواته ومؤيديه . وقد جهّز لتلك العملية ٦٠ مناضلا نقلتهم أربع سيارات شحن كبيرة بالإضافة إلى بعض الثوار من غزة . أما قوة البريطانيين فكانت خمسة أفراد شرطة وضابطا ، مع بعض أفراد الشرطة العرب .

ثم تنفيذ خطة الهجوم عند ظهر اليوم المذكور فبعد تطويق المدينة من جهاتها الأربع تمكن فصيل القيادة من دخولها والاستيلاء على مخازن السلاح ، وفيها أكثر من ٦٠٠ قطعة سلاح . وبذلك استطاع الجولاني تسليح بعض أفراد الشعب والتفرغ للعمليات الحربية بصورة أكثر تنظيما .

وبعد إخلاء دائرة الشرطة قام الثوار بإحراقها . وكان من نتيجة المعركة مقتل ضابط الشرطة البريطاني وجرح عدد آخر من الشرطة ، والاستيلاء على بعض الوثائق الهامة . وقد انسحب الثوار في الصباح

إضراب ١٩٣٦

بعد إنجاز مهمتهم . وكانت هذه المعركة أول معركة كبيرة تقع في الجنوب . وقد نجحت بسبب ما توافر لها من مفاجأة وسرية وتفوّق عددي .

ف ـ معركة طبرية : وضع قائد المنطقة الشمالية (منطقة الخليل) أبو ابراهيم الكبير ومعاونوه خطة عسكرية للهجوم على مدينة طبرية . وقد حشد لهذه العملية التي قادها بنفسه ٣٠٠ ثائر . وتلخصت الخطة بتقسيم قوة الهجوم إلى خمس مجموعات تقوم الأولى بالهجوم على دار الحكومة والثانية بالهجوم على معسكر الجيش البريطاني المقابل لدار الحكومة وتتولّى المجموعة الثالثة احتلال الحي اليهودي الذي يقع في وسط المدينة للاستيلاء على الأسلحة في الحي ، في حين تتمركز المجموعتان الأخيرتان على طريق طبرية ـ سمخ ، وعلى طريق صفد ـ طبرية لمنع وصول النجدات .

بدأت العملية في الساعة العاشرة مساء من ليلة ١٩٣٨/١٠/٣ ، واستمرت خمس ساعات انسحب الثوار بعدها دون أن يصابوا بأذى خسارة بعد أن قتلوا ١٩ مستوطنا صهيونيا . وقد اعترضتهم أثناء الانسحاب قوة معادية من الفصائل المتحركة للجيش البريطاني على مقربة من حطّين * فوقعت معركة اشتركت فيها أيضا المفارز الخاصة البريطانية ، واستشهد فيها عدد من الثوار قبل أن يتمكن الآخرون من الإفلات من الطوق .

ص ـ معركة القدس : كان يتمركز في القدس أكثر من ثلاثمائة شرطي وكثير من الجنود حين قرر الثوار السيطرة عليها . فقد اجتمع قادة الثوار العاملون داخل القدس ، وعلى رأسهم قائد المنطقة عارف عبد الرازق * ، على أثر الاستفزازات الإنكليزية لمشاعر الأهلين باحتلال القوات البريطانية مخفر البراق في المدينة ، ووضعوا خطة للسيطرة عليها بعد تقدير الموقف بناء على المعلومات التي تم تجميعها نتيجة للاستطلاعات التي قام بها الثوار وأنصارهم من أفراد الشرطة العربية .

في صباح ١٩٣٨/٩/١٣ بدأ الثوار ينفذون الخطة ، فأعلنوا الإضراب العام داخل الأسوار ، وفرضوا منع التجوّل من أجل تسهيل تحرّكهم . وفي الساعة الثانية صباحا قامت جميع مفارز الثوار العاملة في القدس بالهجوم على مراكز الشرطة واحتلالها والاستيلاء على أسلحتها دون مقاومة تذكر ، وكان من بينها مخفر البراق الذي احتلّ بعد قتل أربعة من الإنكليز .

تابعت المفارز تنفيذ الخطة المرسومة بإتقان ودقة وسرعة حتى أصبحت مدينة القدس بحلول منتصف شهر تشرين الأول ١٩٣٨ بيد القوات العربية . وحدثت أثناء سيطرة القوات العربية عدة اشتباكات متفرقة قتل فيها عدد من الإنكليز ، واستشهد أكثر من ٤٠ عربياً معظمهم من أفراد الشعب المرّل . وقد اعترف قائد منطقة القدس البريطاني الجنرال هاينغ في تقريره المؤرخ في ١٩٣٨/١٠/١٩ بهذه العملية قائلا : " أصبحت المدينة المقدسة بحلول السابع عشر من تشرين الأول ١٩٣٨ تحت السيطرة الفعلية للثوار " . واعترف مدير الشرطة العام شارلز تيجرت بأن الثوار قد أمّنوا خلال تلك المدة محكمة خاصة بهم في منطقة الحرم . ولم تستطع الحكومة استعادة السيطرة على القدس إلا بعد أن قررت القوات العسكرية البريطانية تطويقها واحتلالها بفرقة المشاة السابعة التي لم تتمكّن من دخول المدينة إلا بعد استخدام عدد كبير من السكان المحليين كدرع بشري أمام القوات المهاجمة ، وبعد التهديد بضرب الأماكن المقدسة بالمدافع ، مما أجبر الثوار على الانسحاب .

المراجع :

ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، بيروت ١٩٥٩ .

– محمد حافظ يعقوب : نظرة جديدة إلى تاريخ القضية الفلسطينية (١٩١٨ – ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٧٣ .
– مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وزارة الدفاع اللبنانية : القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .
– عبد القادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٥ .
– عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
– عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ .
– إحسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، نابلس ١٩٧٢ .
– بيان نويهض الحوت(إعداد) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ – ١٩٣٩) من أوراق أكرم زعيتر ، بيروت ١٩٧٩ .
– صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ – ١٩٣٩) ، القاهرة ١٩٦٧ .
– صبحي ياسين : حرب العصابات في فلسطين ، القاهرة ١٩٦٧ .
– محمد الشاعر : الحرب الفدائية في فلسطين ، بيروت ١٩٦٧ .
– أكرم زعيتر : يوميات الحركة الفلسطينية ، ١٩٣٥ – ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٨٠ .
– خيرية قاسمية : فلسطين في مذكرات القاوقجي (١٩٣٦ – ١٩٤٨) بيروت ١٩٧٥ .
– صالح مسعود بو بصير : جهاد شعب خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .
– محمود العابدي : صفد في التاريخ ، عمّان ١٩٧٧ .
— **Haining's Report,** 19. 10. 38. Co 733/ 379 / 75528/ 74/38.
— Hayamson, A.M.: **Palestine under the Mandate,** London 1950.
— **Tegart Papers,** Box 2, File 4. DS. 126-2.
— **Wavell's Dispatch,** 7.4.38. Co 733/ 379/ 75528/ 74/38.

الثورة الفلسطينية (صحافة ــ) :

ظهرت صحافة الثورة الفلسطينية بعد عقد من الزمن تقريبا من الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى (ر : حرب ١٩٤٨) . ويرجع هذا التأخير للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة التي عاشها الشعب العربي الفلسطيني في المنفى . وأدّى ما عاناه الشعب العربي الفلسطيني في البلاد العربية المختلفة إلى ضعف الشخصية الفلسطينية وتبديدها بالضياع في الجو العربي المتخبط بعد فقدان جزء من الأراضي الفلسطينية وإنشاء (دولة إسرائيلية) .

ظهر أثر ضعف الشخصية الفلسطينية بعد حرب ١٩٤٨ * في الصحافة التبقية في الضفة وقطاع غزة ، وفي الصحف العربية فقد كانت معالجات المشكلة الفلسطينية بين ١٩٤٨ و١٩٥٩ تنصبّ على النواحي الإنسانية للفلسطينيين كلاجئين ، ولم يكن ما يشير إلى الثورة الفلسطينية وصحافتها قبل الستينات ، وبشكل محدد في عام ١٩٥٩ الذي ولدت فيه منظمات المقاومة وانتشرت دعوتها لإبراز الشخصية الفلسطينية وتحديد دور خاص للشعب الفلسطيني في التحرير .

ساعد على خلق ونمو المقاومة الفلسطينية عوامل عدة أهمها تأثير الثورة الجزائرية في الجماهير العربية بشكل عام ، والجماهير الفلسطينية بشكل خاص . ونمو خطر (إسرائيل) المتمثل بشروعها بتحويل نهر الأردن (ر : الأردن ، استثمار مياه نهر ــ وروافده) .

وبانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني * الأول في القدس * سنة ١٩٦٤ ثم بولادة منظمة التحرير الفلسطينية * التي أصبحت الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني نشأت صحافة الثورة الفلسطينية ، وتطورت في مرحلتين من الزمن : الأولى قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، والثانية بعدها .

آ ـ المرحلة الأولى لصحافة الثورة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٧) : تحكمت ظروف الشعب الفلسطيني الصعبة ومنظمات المقاومة بمولد صحافة الثورة ونشأتها . فقد افتقرت الصحافة إلى حرية التعبير عن وجهة نظر المنظمات السياسية والعقائدية ، وحرية توزيعها بين الجماهير الفلسطينية .

ولذلك اعتمدت التنظيمات الفلسطينية التي تبلورت في الستينات على المنشور السري ، والنشرة الداخلية الأسبوعية أو الشهرية ، ولم تتمكن الثورة من إصدار صحف يومية في هذه الفترة . كما افتقرت صحافة الثورة في هذه المرحلة إلى الموارد المادية والمقدرات الفنية . ولم تكن منتظمة الصدور ، لكنها تميزت منذ نشأتها بأنها صحافة ملتزمة اهتمت بقضايا الثورة ومعالجتها بالأسلوب التحليلي والتثقيفي ، وابتعدت عن الأسلوب الصحافي التجاري .

صدر عن منظمات الثورة في هذه المرحلة ست صحف ونشرات كان أبرزها « فلسطيننا * ـ نداء الحياة » عام ١٩٥٩ . وقد صدرت في بيروت شهرية شبه علنية ، وأشرفت على تحريرها حركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) قبل بدء الكفاح المسلح ، وعالجت بشكل رئيس ومكثف موضوع الكيان الفلسطيني والشخصية الفلسطينية . وكان أسلوبها ثوريا يدعو إلى مقاومة وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى * ، ومقاومة مشروع همرشولد * الذي اعتبرته الحركة تصفويا ، وقرارات التقسيم الصادرة عام ١٩٤٧ (ر : تقسيم فلسطين) . كما قدّمت للقارىء تجارب ثورية عالمية كالثورة الكوبية وحرب الأنصار السوفيتية .

وصدرت « فلسطين » جريدة نصف شهرية سنة ١٩٦٤ في بيروت في شكل ملحق لجريدة المحرر اللبنانية يشرف على تحريرها غسان كنفاني * . وكانت لسان حال القوميين العرب ، ويغلب عليها الطابع التثقيفي . وكانت « فلسطين » الأولى بين

الجرائد الفلسطينية التي بعث ووزعت علنا وعلى أوسع نطاق جماهيري فلسطيني في البلدان العربية .

وصدرت « أخبار فلسطين » في غزة سنة ١٩٦٥ ، ودامت سنتين صحيفة سياسية أسبوعية تنطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية . وقد دعت في أول صدورها للارتباط بالإستراتيجية العربية لتحرير فلسطين ، إلاّ أنها عادت عام ١٩٦٦ وأكدت أهمية العمليات الفدائية في الأراضي المحتلة .

وصدرت « الوطن المحتل » سنة ١٩٦٥ عن منظمة التحرير الفلسطينية ، وصدرت « العاصفة » في ١٩٦٥/٥/١٥ عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، وصدرت « جبل الزيتون » في القاهرة في تشرين الثاني سنة ١٩٦٥ عن الاتحاد العام لطلبة فلسطين * في القاهرة . ورغم عدم تبلور صحف هذه المرحلة كصحف ثورة بالمعنى الصحيح لعدم انتظامها واستقرارها فإنها مهّدت السبيل أمام صحافة الثورة التي تبلورت وتطورت فيما بعد في ظروف جديدة .

ب ـ المرحلة الثانية لصحافة الثورة (بعد ١٩٦٨) : كان لحرب ١٩٦٧ * تأثير مباشر في انطلاق الثورة الفلسطينية ، إذ دخلت منعطفا جديدا من تاريخها بتلاءم مع نمو حركة المقاومة الفلسطينية التي أكدت ضرورة إبراز الشخصية الفلسطينية ودور الشعب الفلسطيني في معركة التحرير .

لكنها خرجت المقاومة الفلسطينية من نطاق العمل السرّي المحدود إلى العمل العلني الواسع بعد هزيمة حزيران انطلقت الصحافة وثمّت .

تميزت صحافة الثورة في هذه المرحلة من سواها بنموها السريع وتعددها الذي أبرز وجهات نظر منظمات الثورة السياسية والعقائدية ، وتركزت موضوعات الصحافة على الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية .

وصدرت أكثر صحف هذه المرحلة في الأردن بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٠ ، وذلك بحكم وجود حركة المقاومة هناك . إلاّ أن أكثر هذه الصحف توقفت في الأردن بعد هذا التاريخ على أثر أحداث أيلول عام ١٩٧٠ .

وقد اضطرت بعض منظمات المقاومة حفاظا على بقائها وبالنظر للظروف الصعبة التي مرّت بها حركة المقاومة ، ولعدم انتظام صدور صحفها ، اضطرت إلى شراء أو استئجار امتيازات صحف لبنانية أصدرتها بأسمائها اللبنانية الأصلية .

صدر في هذه المرحلة ٦٣ نشرة وصحيفة بالعربية ، وست نشرات باللغات الأجنبية ، تعبّر كل منها عن وجهة نظر إحدى المنظمات وتوزع هذه الصحف بين :

١) صحف مركزية ، و٢) صحف غير مركزية ، و٣) صحف صادرة عن الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية . و٤) مجلات متخصصة .

١) صحف الثورة المركزية : بلغ عدد صحف الثورة الصادرة عن جهات مركزية للمنظمات بين عامي ١٩٦٥ و١٩٧٥ زهاء ٢٩ صحيفة ونشرة علنية كان من بينها ثلاث صحف لبنانية ، وهي من بين أهم صحف هذه المرحلة جرى استئجارها أو شراء امتيازها ، وهي : الهدف * (١٩٦٩) والحرية * (١٩٥٩) ، وإلى الأمام (١٩٧٠) .

ولم تحظ هذه الصحف بالحرية الكاملة التي كانت لصحف المقاومة الأخرى ، وذلك لخضوعها لقانون المطبوعات اللبناني . كما أن الصحفيين والكتّاب الفلسطينيين في هذه الصحف لم تكن لهم الحقوق التي كانت للصحفيين اللبنانيين . ورغم ذلك استطاعت هذه الصحف خلال عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤ أن تستقر وتصدر بانتظام بمستوى جيد من الإخراج الصحفي .

وإلى جانب ذلك أصدرت المنظمات الصحف التالية :

(١) جريدة فتح : سياسية يومية صدرت في ١٩٧٠/٦/١٥ ناطقة بلسان حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، ثم بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٠/٧/٣ .

(٢) مجلة فلسطين الثورة * : صدرت بدلا من جريدة « فتح » في ١٩٧٢/٦/٢٨ على أنها الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

(٣) صوت فلسطين * : سياسية عسكرية صدرت في ١٩٦٨/٦/١ ناطقة بلسان جيش التحرير الفلسطيني * وقوات التحرير الشعبية وفي آذار ١٩٧٢ أصبح اسمها المجلة العسكرية الفلسطينية ، ثم عادت وصدرت بالإسم القديم .

(٤) الثورة الفلسطينية * : مجلة سياسية صدرت في تشرين الثاني ١٩٦٧ وتوقفت عن الصدور في أواسط عام ١٩٧٢ .

(٥) الجماهير : نشرة يومية صدرت في عمان في ١٩٧٠/٧/٢٩ عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * .

(٦) الشرارة : جريدة شهرية صدرت في عمان في حزيران عام ١٩٦٩ عن اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * .

(٧) الجبهة : مجلة سياسية شهرية صدرت في كانون الثاني سنة ١٩٦٩ عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة * .

(٨) الطلائع : مجلة سياسية أسبوعية صدرت عن الإعلام المركزي لطلائع حرب التحرير الشعبية * في ١٩٦٩/١٠/٣ .

(٩) الناشر العربي : صدرت في الأردن في ١٩٦٩/٨/٢ عن جبهة التحرير العربية * .

نشرات وصحف الثورة الفلسطينية (١٩٥٩ - ١٩٧٥)

اسم النشرة الدورية	صاحب الامتياز	السنة	المدينة
أخبار فلسطين	زهير الريس	١٩٦٥	غزة
أصداء الثورة الفلسطينية	قوات العاصفة	١٩٦٩	دمشق
إلى الأمام	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة	١٩٧٠	بيروت
أنباء بلادنا المحتلة	المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	عمان
البروليتاري	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	إربد
التحرير	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٠	قطر
التحرير	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧١	بغداد
التقدم	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٧٢	دمشق
الثائر العربي	جبهة التحرير العربية	١٩٦٩	عمان
الثورة الفلسطينية	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٦٧	عمان
الشوري	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧١	عمان
الشوري	قوات التحرير الشعبية	١٩٦٩	دمشق
جبل الزيتون	الاتحاد العام لطلبة فلسطين	١٩٦٥	القاهرة
الجبهة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	دمشق
الجبهة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة	١٩٦٩	
الجماهير	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	عمان
جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني	جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني	١٩٧٢	بيروت
الجندي	جيش التحرير الفلسطيني	١٩٧٢	دمشق
الحرية	حركة القوميين العرب	١٩٥٩	بيروت
الحقيقة	المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٨	عمان
حصاد العاصفة	حركة التحرير الوطني الفلسطيني	١٩٦٨	بيروت
الديمقراطية الشعبية	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧١	عمان
الراية القومية	امية العاملة لتحرير فلسطين	١٩٧٠	عمان
الشرارة	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	القاهرة
الشرارة	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	عمان
الشرارة	الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين	١٩٧١	بيروت
شؤون فلسطينية	مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧١	بيروت
١٧ أيلول	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة	١٩٧١	
الصاعقة	طلائع حرب التحرير الشعبية	١٩٦٩	عمان
صدى الثورة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧١	
صدى الثورة	الاتحاد العام لطلبة فلسطين	١٩٧٤	بيروت
صوت الجبهة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧١	
صوت الطلائع العمالية	طلائع حرب التحرير الشعبية	١٩٧١	
صوت الفقراء	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	
صوت فلسطين	جيش التحرير الفلسطيني	١٩٦٨	دمشق
الطالب الثوري	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	بيروت

(١٠) الحقيقة : صدرت عن المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين " في أواخر عام ١٩٦٨ .

(١١) النضال : صدرت عن جبهة النضال الشعبي الفلسطيني " في أيلول ١٩٦٧ .

اسم النشرة الدورية	صاحب الامتياز	السنة	المدينة
الطلائع	طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة)	١٩٦٩	دمشق
الطلائع والجماهير	طلائع حرب التحرير الفلسطينية (الصاعقة)	١٩٧١	بيروت
فتح	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٦٩	
فتح	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٠	
فلسطين الثورة	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٢	بيروت
فلسطين ـ حلمنا المصير	حركة القوميين العرب	١٩٦٤	بيروت
فلسطينا ـ نداء الحياة	توفيق حـــوري	١٩٥٩	بيروت
فلسطيننا	الاتحاد العام لعمال فلسطين	١٩٧٢	دمشق
فلسطينا	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٢	تونس
الفلسطينية الثائرة	الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية	١٩٧٠	عمان
القاعدة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة	١٩٧٣	
قضايا الجماهير	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	الزرقاء
قضيتنا	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٢	الكويت
القواعد الثورية	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ١٩٧٣	١٩٧٣	
الكاتب الفلسطيني	الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين	١٩٧٨	بيروت
الكلمة المسؤولة	منظمة فلسطين العربية	١٩٧٠	
ما العمـــل	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	عمان
المسيرة	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٧٢	
المقاتل الثوري	منظمة فلسطين العربيـــة	١٩٦٩	
المقـاومة	اللجنة السياسية للثورة الفلسطينية في العراق	١٩٧٣	بغداد
المقاومة	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧١	
المناضل	المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	عمان
نـداء الأرض	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٧	الجزائر
نداء الثأر	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٧	الرباط
النسور	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٧٣	بيروت
النضال	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٦٧	
نضال الشعب	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٧٣	
النضـال الشعبي	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٦٩	
النضـال الطلابـــي	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٧٢	بيروت
الهـدف	غســان كنفـــانـــي	١٩٦٩	بيروت
الوطـن	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧٢	بيروت
الوطن المحتل	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٥	عمان
ALSAIQA	طلائع حرب التحرير الشعبية (بالإنكليزية)	١٩٧٣	
Arab Palestine Resistance	جيش التحرير الفلسطيني (بالإنكليزية)	١٩٦٨	
Bulietin	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (بالإنكليزية)	١٩٧٣	
FATH	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (بالإنكليزية)	١٩٦٩	
FATH	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (بالفرنسية)	١٩٧٠	
Palestine Revolution	منظمة التحرير الفلسطينية (بالانكليزية)	١٩٧٣	

(١٢) المقاتل الثوري : صدرت عن منظمة فلسطين العربية * في أيلول سنة ١٩٦٩ .

(١٣) الراية القومية : صدرت عن الهيئة العاملة لتحرير فلسطين * خلال شهري آب وأيلول سنة ١٩٧٠ فقط .

٢) صحف ونشرات الثورة غير المركزية : أصدرت فروع المنظمات الفلسطينية في الأقطار العربية ٢٣ صحيفة ونشرة لتصل إلى الجماهير الفلسطينية الموجودة هناك . وكان طابعها إخباريا إعلاميا ، ولم تكن منتظمة الصدور ، إلاّ أنها كانت تثبت وجودها عندما تبرز أحداث مهمة في المنطقة .

وقد صدر أكثرها بين عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، فصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية سبع نشرات هي « التحرير » في قطر وبغداد ، و« قضيتنا » في الكويت ، و« المقاومة » في العراق ، و« نداء الثأر » في السودان ، و« نداء الأرض » في الجزائر ، « وفلسطيننا » في تونس . وأصدرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) « حصاد العاصفة » و« الثورة » في لبنان ، و« فتح » في العراق .

وأصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ست نشرات من بينها « الجبهة » في سورية ، و« ما العمل » في الأردن ، و« الطالب الثوري » في لبنان . وأصدرت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ست نشرات غير مركزية من بينها « قضايا الجماهير » في الزرقاء بالأردن ، و« الثوري » و« الوطن » . وصدرت عدة نشرات أخرى عن المنظمات الأخرى لكنها ، كبقية صحف هذه الفترة ، لم تكن منتظمة الصدور .

٣) صحف الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية : تبلور هذا النوع من الصحافة الثورية بين ١٩٦٧ و١٩٧٥ ، فقد أصدرت الاتحادات النقابية والمهنية المختلفة خمس نشرات تبط وجهة نظر المقاومة ومبادىء الثورة . واهتمت هذه الصحف بالقضايا النقابية ، ودافعت عن حقوق الطبقة العاملة الفلسطينية ، بالإضافة إلى معالجة المواضيع السياسية العامة . ومن هذه الصحف : « الفلسطينية الثائرة » التي أصدرها في شباط ١٩٧٠ الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في الأردن ، و« فلسطينا » التي صدرت عن الاتحاد العام لعمال فلسطين * في دمشق في كانون الأول ١٩٧٢ ، و« صدى الثورة » وقد أصدرها في آذار ١٩٧٤ الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع لبنان ، و« جبل الزيتون » التي أصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القاهرة سنة ١٩٦٥ ، و« جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني » ، وقد صدرت في بيروت في آذار ١٩٧٢ .

٤) المجلات المتخصصة : اهتمت بدراسة وتحليل القضية الفلسطينية بأسلوب علمي موثق . وأهم هذه المجلات « شؤون فلسطينية » * التي أصدرها في آذار ١٩٧١ «مركز الأبحاث * الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهي مجلة شهرية امتازت بجدية أبحاثها واستكتبت الكثير من الكتاب والباحثين الفلسطينيين والعرب والأجانب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية . و« الوطن المحتل » التي صدرت عن دائرة شؤون الوطن المحتل في منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٥ وتخصصت بدراسة أوضاع الفلسطينيين في الأراضي العربية المحتلة .

ومن هذه المجلات المتخصصة مجلة « الكاتب الفلسطيني * » . وقد أصدرها في بيروت عام ١٩٧٨ الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين * .

بسبب تعدد صحافة الثورة الفلسطينية ما زالت هذه الصحافة غير مستقرة بدا عي الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني في البلاد العربية أو تحت الاحتلال .

المراجع :

– غازي الخليلي : **صحافة المقاومة في عشر سنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥** ، شؤون فلسطينية ، العدد ٤٢/٤١ ، كانون الثاني/ شباط ١٩٧٥ ، بيروت .

– أبو ثائر : **صحافة فتح والثورة** ، شؤون فلسطينية ، العدد ١٧ ، كانون الثاني ١٩٧٣ ، بيروت .

– غسان كنفاني : **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨** ، بيروت ١٩٦٨ .

الثورة الفلسطينية (مجلس ـ) :

رَ : منظمة التحرير الفلسطينية

الثـورة الفلسطينيـة (مجلة ـ) :

دورية فلسطينية شهرية صدرت بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧١ عن المكتب الإعلامي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) . وقد صدر العدد الأول منها في مطلع تشرين الثاني ١٩٦٧ .

في البداية كانت " الثورة الفلسطينية " مجرد نشرة إخبارية في ثمان وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتضمنت أصداء العمليات العسكرية لحركة المقاومة الفلسطينية في الصحف العربية والعالمية مع التركيز على العمليات التي يخوضها مقاتلو " فتح " ، إلى جانب كلمة العدد ، وركن " من منطلقاتنا الثورية " ، وبعض القصائد ، ولمحات من التاريخ الوطني الفلسطيني . على أن المجلة سرعان ما أفسحت في صفحاتها مكانا للدراسات والمقالات على حساب المادة الإخبارية .

صدر العدد الأخير من " الثورة الفلسطينية " ،وهو العدد رقم ٣١ ، في كانون الثاني ١٩٧١ ، وهو العدد الذي خصص للذكرى السادسة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، ولم توقفت النشرة بعده ، واكتفت حركة التحرير الوطني الفلسطيني بصحيفتها الأسبوعية " فتح " (رَ : الثورة الفلسطينية ، صحافة) .

ENCYCLOPÆDIA PALÆSTINA

MICROPÆDIA
(In Four Volumes)

Published by:
Encyclopædia Palæstina Corporation.

Chairman of The Executive Council : Ahmad Marashly
Editor-In-Chief : Abd al Hadi Hashim
Counselor : Anis Sayegh

Damascus (P.o. Box 9084)

طبعت الموسوعة في مطابع ميلانو ستامبا الايطالية